

ISSN:2708-1796
E-ISSN: 2708-180x

مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية



عدد خاص بالمؤتمر الدولي الرابع - ٥ / ٧ / ١١ / ٢٠٢١



أكاديمية الإمام البخاري الدولية

بالتعاون مع:

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

برعاية:

اتحاد الجامعات الدولي - اسطنبول

أبحاث المؤتمر الدولي الرابع:

دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

في ضوء القرآن والسنة

وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه

1443 2021



ISSN:2708-1796
E-ISSN: 2708-180x

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية
(تصدر كل ٣ أشهر مؤقتاً)

عدد خاص بالمؤتمر الدولي الرابع

٥-٧/١١/٢٠٢١ م.

رئيس التحرير والمدير المسؤول:
أ. د. سعد الدين بن محمد الكبي

مدير التحرير:

الدكتور محمود بن صفا الصياد العكلا

الحوالات المصرفية باسم:

• مجلة البحث العلمي الإسلامي

بنك البركة - لبنان - طرابلس

حساب رقم: 13903

• ويسترن يونيون - لبنان طرابلس

المراسلات:

لبنان - طرابلس ص. ب. : 208

تلفاكس: 00961 6 471 788

بريد الكتروني:

albahs_alalmi@hotmail.com

www.boukharysrc.com

معتمدة لدى قاعدة بيانات:



قواعد النشر في المجلة

إتاحة في الفرصة للإفادة من أبحاث العلماء والباحثين ، فإن إدارة المجلة
ترحب بنشر الأبحاث وفق الشروط التالية:

١- أن يكون البحث متخصصاً في مسألة من المسائل العلمية أو قضية من
القضايا الإسلامية النازلة.

٢- أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي وفق قواعد وأسس البحث العلمي ، مع
التوثيق وعزو المصادر وتخريج الآيات والأحاديث.

٣- أن يكون البحث جديداً غير منشور سابقاً ولا مستلاً من رسالة الباحث
العالمية - الماجستير - أو العالمية العالية - الدكتوراه.

٤- أن لا تزيد عدد صفحات البحث عن ٤٨ من حجم الورق (A4) مقاس الكلمة
١٦ للمتن و ١٤ للهوامش.

٥- إرفاق ملخص عن البحث باللغة الإنجليزية ، لا يزيد عن صفحة واحدة.

٦- إرفاق نسخة عن سيرة الباحث الذاتية مع كتابة العنوان بالتفصيل.

٧- يتم وضع عنوان البحث واسم الباحث باللغتين العربية والانجليزية.

٨- إرسال البحث على عنوان المجلة بالبريد الالكتروني على برنامج: Word و

PDF بخط: Traditional Arabic.

٩- يخضع البحث قبل نشره للتحكيم ، ويتم إبلاغ الباحث بالنتيجة.

مجلة البحث العلمي الإسلامي

عدد خاص بالمؤتمر الدولي الرابع ٥ - ٧ / ١١ / ٢٠٢١

أ. د. : سعد الدين بن محمد الكبي
رئيس التحرير والمدير المسؤول

الدكتور محمود بن صفا الصياد العكلا
مدير التحرير

فضيلة الشيخ يوسف طه
سكرتير التحرير

الأستاذ مصعب الكبي
سكرتير إداري

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور بسام خضر الشطي
(أستاذ في كلية الشريعة - جامعة الكويت)

الأستاذ الدكتور عمر عبد السلام تدمري
(أستاذ بالجامعة اللبنانية سابقاً)

الأستاذ الدكتور وليد إدريس المنيسي
(رئيس الجامعة الإسلامية بمنيسوتا)

الأستاذ الدكتور أحمد منصور سبالك
(رئيس الجامعة الإسلامية العالمية)

الدكتور بشار حسين العجل
(أستاذ مشارك في جامعة الجنان - لبنان)

الدكتور شوقي نذير

(أستاذ محاضر جامعة غرداية، الجزائر، رئيس تحرير مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والإقتصادية)

الدكتور صالح بن عبد القوي السنباني

أستاذ مشارك بجامعة الإيمان ورئيس قسم الإعجاز العلمي - اليمن

الدكتور عبد الواسع بن يحيى المعزبي الأزدي

كلية الآداب والعلوم جامعة نجران فرع شروره

بالتعاون مع أساتذة في الجامعات العربية والإسلامية

الهيئة الاستشارية

افتتاحية العدد ٨

المحور الأول:

مفهوم دلائل النبوة والمصطلحات ذات الصلة

- تأصيل مفهوم دلائل النبوة في اللغة والاصطلاح
- أ. م. د. محمود صفا الصياد العكلا ١٣
- دلائل النبوة والمعجزة والكرامة « المفاهيم والفروق »
- د. خليفة فرج الجراي ٢٧
- مفهوم المعجزة والفرق بينها وبين الدلائل والكرامة
- د. بسام رضوان عليان ٤٩
- جهودُ شيخ الإسلام مصطفى صبري في إثبات صدق الرُسالة المُحمديّة
- د. عبد الكريم جيدور ٧٥

المحور الثاني:

علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية
(دلالة إعجاز القرآن الكريم على صدق النبوة)

- دلالة إعجاز القرآن الكريم على صدق النبوة
- د. مبروك بهي الدين رمضان الدعدر ١٠٣
- الصلة بين أدلة صدق الوحي والنبوة ووجه الإعجاز القرآني
- أ. د. عبد السلام حمدان اللوح / د. عامر مصطفى قاسم ١٣٥
- معجزة القرآن الكريم البلاغية دليل صدق نبوة محمد ﷺ
- الدكتور عبد الله البوعلاوي ١٥٩
- دلالة إعجاز القرآن الكريم على صدق نبوة محمد ﷺ
- د. عبد القادر محمد أحمد ١٨٣
- علامات نبوة محمد ﷺ من خلال كتب التفسير
- أ. عبد الإله الغريبي ١٩٧

المحور الثاني:

علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية
(علامات النبوة في كتب السنة والسيرة النبوية)

- علامات النبوة في كتب السنة والسيرة النبوية
- أ. د. محمد عبدالرزاق الرعود ٢١٣
- تحري الصحابة عن دلائل النبوة في الأخبار الغيبية الواقعة في زمانهم
- أ. د. زكريا صبحي زين الدين ٢٣٥
- من دلائل النبوة في القرآن والسنة
- د. أحمد إبراهيم الحاج ٢٦٣

- علامات النبوة بعد البعثة في ضوء أحاديث الصحيحين
الدكتورة نجاح محمد حسين العزام ٢٨٩
- علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية
الشيخ الدكتور محمد بن إبراهيم الزغبى ٣١٣
- مدونات المغاربة في السيرة النبوية وتأصيل الاعتقاد في النبوة بين خصوصية المنهج ومنهجية التدين
د. خالد مُدرِك ٣٣٣
- شهادة الجمادات والبهائم على نبوة محمد ﷺ
الدكتور جلال صالح شيخ جعيم ٣٥٧
- جهود المحدثين في تقرير علم دلائل النبوة
د. وسيم عصام شبلي ٣٦٧
- علامات النبوة في كتب السنة والسيرة النبوية
أ. طارق محمد بش ٣٨١
- تداولية اللغة وأثرها في الدلالة على صدق نبوة محمد ﷺ
أ.د. مبارك بلالي ٤٠١
- دلائل النبوة المستنبطة من رسائل النبي ﷺ للملوك والأمراء
د هاشم بن علي الأهدل ٤٢٣

المحور الثالث:

البشارات بالنبي محمد ﷺ في كتب وأخبار أهل الكتاب

- البشارات بدعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في كتب أهل الكتاب
الدكتورة جلوس بنت فرج بن شتوي القحطاني ٤٤٥
- بشارات الكتاب المقدس برسول الله محمد ﷺ
د. جميلة أهجو ٤٧٣
- البشارات بالنبي محمد ﷺ الواردة في كتب أهل الكتاب
أ.د. خالد بن عبد الله القاسم ٤٩١
- دور مؤمني أهل الكتاب في إثبات نبوة محمد ﷺ
الدكتور أحمد حسين الخلف ٥١٣
- الخلفية العلمية لكعب الأحبار ودورها في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ
د. وليد أحمد حمود ٥٢٩
- بشارات الكتب السماوية بنبي الأمة ﷺ
د. براء عمر مصطفى بدير ٥٥٣

المحور الرابع:

شهادات عقلاء المعاصرين في الغرب

- مقاربات المستشرقين لنبوّة محمّد ﷺ من إيديولوجيات التحامل والإجحاف إلى التسليم والاعتراف
د. عائشة حورة..... ٥٧٣
- شهادات عقلاء المعاصرين في الغرب
أ. معمر محمد أمين الحاج..... ٥٩٩
- «وشهد شاهد من أهلها» شهادة حق في محمد عليه السلام أفضل الخلق
د. أسية شعبان..... ٦١٥
- صورة النبي محمد ﷺ عند عقلاء الغرب المحدثين وموقفهم من نبوته
أ. حفيظة نازف..... ٦٤٣

المحور الخامس:

الإعجاز العلمي في ضوء القرآن والسنة النبوية الصحيحة

(الإعجاز الطبي والتشريعي)

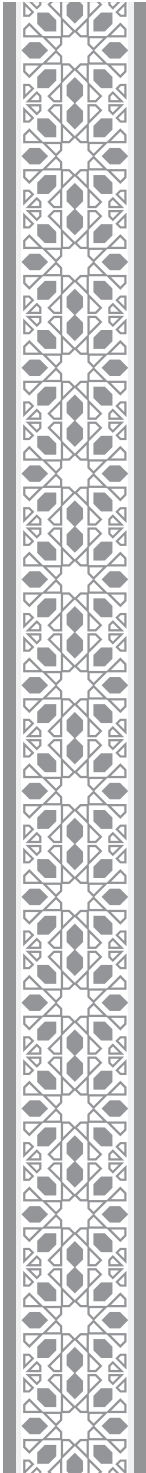
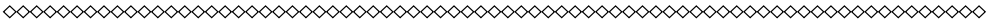
- الإعجاز التشريعي بتشريع الوحدة
الدكتور علي ملحم حسن..... ٦٦٥
- الدلائل التربوية المستنبطة من الإعجاز العلمي في ضوء القرآن الكريم
د. نهيل علي حسن صالح..... ٦٨٩
- الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة النبوية (ميراث المرأة في الإسلام أنموذجاً)
أ.د. سليمان العيد بن قاسم بن محمد العيد..... ٧١٥
- الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ
الدكتورة إيمان «محمد أمين» حسن بني عامر..... ٧٣٧
- «الطب الوقائي في السنة النبوية»
د. ميمونة بنت محمد بن حارث الخروصية..... ٧٥٧
- الإعجاز العلمي في الوقاية من الوباء من خلال التوجيهات الإسلامية
د. علي مصري سيمجان فوترا..... ٧٨٥

المحور الخامس:

الإعجاز العلمي في ضوء القرآن والسنة النبوية الصحيحة

(إعجاز السنة في الإخبار عن أمور غيبية)

- إعجاز السنّة النبوية في الإخبار عن أمور غيبية
أ.د. إبراهيم بن حماد الرئيس..... ٨٠١
- إعجاز السنة في الإخبار عن أمور غيبية
أ. سهاد تحسين إلياس دولة..... ٨٣٧



- إعجاز السنة النبوية في الإخبار عن الأمور الغيبية
د. وسيم الخطيب ٨٥٥
- الأخبار الغيبية في السنة النبوية
الدكتور بدر بن سالم بن جميل السناني ٨٧٣
- وقوع الأخبار النبوية الغيبية دليل صدق الرسالة المحمدية
أ. يونس بوعوام ٩٠٣
- أحاديث الهرج التي أنبأ النبي ﷺ عن وقوعها ووقعت في زمننا المعاصر
جمانة بنت حازم السمنة ٩٣١
- الإشارات النبوية حول تطور وسائل الاتصال
د. محمد أحمد حسن ربابعة ٩٥١

الافتتاحية

بقلم: رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين
أما بعد ،

فيسر رئاسة تحرير مجلة البحث العلمي الإسلامي أن تشر أبحاث
المؤتمر الدولي الرابع دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ضوء القرآن
والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه ، الذي نظمته أكاديمية الإمام
البخاري الدولية بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بمنيسوتا ، ورعاية اتحاد
الجامعات الدولي إسطنبول.

إن المؤتمرات الدولية المحكّمة تعتبر تجمعاً علمياً تحت عنوان واضح
ومحدد ، يتناوله الباحثون المتخصصون بأوراق بحثية تخضع للتحكيم العلمي
من أساتذة الجامعات المتخصصين ، ويخرج الباحثون بنتائج واضحة تخدم
موضوع المؤتمر ، وتختتم المؤتمرات في العادة بجلسة ختامية تقرأ فيها
التوصيات التي تعبّر عن خلاصة الأبحاث ونتائجها.

ونحن في هذا المؤتمر الذي خرج فيه الباحثون بتوصياتهم والتي سيتم
إلحاقها بالمجلة ، وتشر في موقعها الإلكتروني - إن شاء الله - تعميماً للفائدة
، وقد طبعت التوصيات بأربع لغات ؛ العربية ، التركية ، الإنجليزية ، والفرنسية
، ونأمل أن تكون هذه الأبحاث قد حققت أهداف هذا المؤتمر والغاية التي أقيم
لأجلها.

وبالمناسبة إننا نتقدم بأخلص معاني الشكر والتقدير للأساتذة الباحثين
على جهودهم التي بذلوها في خدمة موضوع المؤتمر ، ولا يشكر الله من لا يشكر
الناس.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة البحث العلمي الإسلامي المحترم
مركز الإمام البخاري للبحث العلمي و الدراسات الإسلامية، طرابلس، لبنان
تحية طيبة وبعد،،،

يسر معامل التأثير والاستشادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (Arcif - ارسيف)، أحد مبادرات قاعدة بيانات "معرفة" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد أطلق التقرير السنوي السادس للمجلات للعام 2021.

يخضع معامل التأثير "Arcif" لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة، جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "Arcif" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن (5100) عنوان مجلة عربية علمية أوبحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (1400) هيئة علمية أو بحثية في (20) دولة عربية (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (877) مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "Arcif" في تقرير عام 2021 .

ويسرنا تهنئتم وإعلامكم بأن **مجلة البحث العلمي الإسلامي** الصادرة عن **مركز الإمام البخاري للبحث العلمي و الدراسات الإسلامية، طرابلس، لبنان** قد نجحت في تحقيق معايير اعتماد معامل "Arcif" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: <http://e-marefa.net/arcif/criteria>

و كان معامل "Arcif" العام لمجلتكم لسنة 2021 (0.0625).

وقد صنفت مجلتكم في تخصص الدراسات الإسلامية ضمن الفئة (الثانية Q2)، وهي الفئة الوسطى المرتفعة، مع العلم أن متوسط معامل ارسيف في هذا التخصص على المستوى العربي كان (0.069).

وبإمكانكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل "Arcif" الخاص بمجلتكم.

ختاماً، نرجو في حال رغبتكم الحصول على شهادة إلكترونية خاصة بنجاحكم في معامل "Arcif"، التواصل معنا مشكورين.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي الخزندار

رئيس مبادرة معامل التأثير

"Arcif ارسيف"





مجلة البحث العلمي الإسلامي

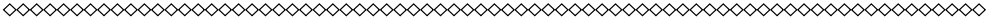
مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحث العلمي والدراسات الإسلامية المتخصصة:

إعتماداتها:

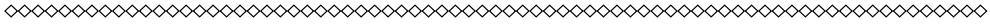
- مسجلة في وزارة الإعلام اللبنانية تحت الرقم ٢٠٠٤/٣٦٤.
- حائزة على الرقم الدولي ISSN للنسختين الورقية والإلكترونية.
- معتمدة في قاعدة بيانات أرسيف.
- معتمدة لدى قاعدة بيانات دار المنظومة، الرياض.

www.boukharysrc.com



المحور الأول:

مفهوم دلائل النبوة والمصطلحات ذات الصلة



تأصيل مفهوم دلائل النبوة في اللغة والاصطلاح

تمهيد

إن الله تعالى خلق الخلق ليعبده ويوحده في هذه الأرض، ولا يستطيع الإنسان بمفرده أن يصل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكان الطريق هو أن يرسل الله الأنبياء والمرسلين، يدلون الناس على خالقهم، ويعلمون الناس كيفية عبادة ربهم عز وجل. وقد يعتري الناس الشك فيمن جاءهم، فلذلك أيد الله تعالى رسله وأنبياءه بمعجزات تدل على صدقهم، وأنهم مرسلون من قبل ربهم عز وجل.

وحين يدعي إنسان أنه يتصل بالله، ويحمل عنه إلى الناس رسالة، تترتب عليها تكاليف وواجبات؛ فإن من الطبيعي أن يطالبه الناس بالدليل على صدقه. ولم ير القرآن في هذا أمراً خارجاً عن المعقول، فالتساؤل حتى للتعليم مطلوب

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِم تُوْمِن ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠١﴾ سورة البقرة / ٢٦٠.

وقد دعانا القرآن الكريم للتأمل في دلائل نبوة النبي ﷺ في غير آية ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطٰكُمْ بَوَاحِدَةً أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرْدِي ثُمَّ نُنْفِكِرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْن يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ سورة سبأ / ٤٦.

وإنني اخترت للمشاركة في المؤتمر الدولي الرابع (دلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء القرآن والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه) المحور الأول: مفهوم دلائل النبوة والمصطلحات ذات الصلة. تحت عنوان: «تأصيل مفهوم دلائل النبوة في اللغة والاصطلاح».

وحاولت في بحثي هذا توضيح معنى الدلائل وأمثلتها، والفرق بينها وبين المعجزات، والكتب

(١) مقدمة دلائل النبوة للبيهقي ١٠١-١١٠.

التي تناولت الكلام عليها، وفوائدها وذلك ضمن المخطط التالي:

قسمت البحث إلى تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة:

تمهيد: تكلمت فيه عن أهمية دلائل النبوة لدعوة الأنبياء.

المبحث الأول: تعريف دلائل النبوة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف دلائل النبوة.

المطلب الثاني: فوائد دلائل النبوة.

المطلب الثالث: الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ.

المبحث الثاني: الفرق بين الدلائل والمعجزات وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: الفرق بين الدلائل والمعجزات.

المبحث الثالث: الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الكرامة.

المطلب الثاني: الفرق بين المعجزة والكرامة.

المطلب الثالث: معرفة الخوارق والأحوال الشيطانية.

المطلب الرابع: الفرق بين المعجزة والخوارق والأحوال الشيطانية.

المبحث الرابع: عدد الدلائل والمعجزات.

المبحث الخامس: كتب دلائل النبوة.

الخاتمة: بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريف دلائل النبوة

المطلب الأول: تعريف دلائل النبوة:

الدلائل جمع دليل: وهو في اللغة المرشد والكاشف، من دلت على الشيء، ودلت إليه، والِدال وصف الفاعل.^(١)

والدليل: ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خبري ولو ظناً، وقد يخصه بعضهم بالقطعي.^(٢)

النبوة في اللغة مشتقة من النبأ وهو الخبر، ومنه قول الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ^(١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿سورة النبأ / ١-٢

ومنه سمي النبي؛ لأنه أنبأ عن الله تعالى. وقيل: النبوة مشتقة من النبوة، وهي الشيء المرتفع من الأرض، ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله، وذلك لأنه يهتدي به.

قال ابن الأثير: والرسول أخص من النبي لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول.^(٣)

والفرق بين النبي والرسول أن من نبأه الله تعالى بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول.^(٤)

تعريف دلائل النبوة: باعتباره مركباً تركيباً إضافياً هي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم، والدليل لا يكون إلا مستلزماً للمدلول عليه مختصاً به، لا يكون مشتركاً بينه وبين غيره، فإنه يلزم من تحققه تحقق المدلول، وإذا انتفى المدلول انتفى هو، فما يوجد مع الشيء ومع عدمه لا يكون دليلاً عليه، بل الدليل ما لا يكون إلا مع وجوده، فما وجد مع النبوة تارة، ومع عدم النبوة تارة، لم يكن دليلاً على النبوة، ببل دليلاً ما يلزم من وجوده وجودها.^(٥)

(١) المصباح المنير ١/١٩٩، التعريفات للجرجاني ص ١٠٤ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الإحكام للأمدى ١/٩، روضة الناظر وجنة المناظر ٢/٥٨٠.

(٣) انظر لسان العرب ١/١٦٢ - ٢٠٢/١٥، تهذيب اللغة ١٥/٣٤٩.

(٤) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية عبد الآخر الفنيمي ص ٢٠٣.

(٥) كتاب النبوات ١/٢١٣ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحران، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان ط. أعضاء السلف الرياض ط ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م

المطلب الثاني: فوائد دلائل النبوة:

ولمعرفة الدلائل فوائد كثيرة منها:

تزيد المؤمن إيماناً، فالإيمان المبني على العلم والبراهين ليس كالإيمان المتلقى تقليداً، كما قال الله تعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. وربما تكون سبباً لإسلام من يرد الله به خيراً.

وأما المعاند والجاحد فلا تزيده الآيات إلا عمى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ مَحْنُ قَوْمٍ مَّسْحُورُونَ﴾
سورة الحجر / ١٤-١٥

المطلب الثالث: الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ:

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، وقد حصرها العلماء في خمسة محاور أساسية وهي:

بشارات الأنبياء السابقين بالنبي اللاحق.

الآيات والمعجزات الخارقة للعادة التي يجريها الله تعالى على يد النبي.

سيرة النبي وأخلاقه ودلائل صدقه.

نصر الله وتأييده للنبي.

النظر في مبادئ الرسالة ودعوتها إلى الصلاح والسعادة. (١)

المبحث الثاني: الفرق بين الدلائل والمعجزات

المطلب الأول: تعريف المعجزة:

المعجزة لغة: مفعلة من العجز وهو عدم القدرة. (٢)

اصطلاحاً: ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق الرسالة وقارنها، على جهة التحدي

ابتداءً، بحيث لا يقدر أحدٌ على مثله، ولا على ما قاربها. (٣)

وقيل: بأنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالمٌ عن المعارضة. (٤)

(١) الرسل والرسالات د. عمر سليمان الأشقر ص ١١٩-١٢٠ مكتبة الفلاح - الكويت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.

(٢) لسان العرب ٥/٣٦٩.

(٣) لوامع الأنوار البهية ٢/٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤) المصدر السابق.

المطلب الثاني: الفرق بين الدلائل والمعجزات:

ومن خلال التعريف للمعجزة يتبين الفرق بينها وبين الدلائل، فالأمور الخارقة التي تُعطى للأنبياء وليس مقصوداً بها التحدي، كنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ، وتكثير الطعام ونحوه لا تعد من باب المعجزات وإنما هي من الدلائل.

وقد نبه الحافظ ابن حجر على هذا الفارق فقال:

العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص، لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن يقول: إن فعلتُ كذلك أتصدق بأنني صادق، أو يقول من يتحداه: لا أصدقك حتى تفعل كذا، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ، في عدة مواطن، وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها. (١)

والمعجزة من أعظم دلائل صدق الأنبياء، ولفظ المعجزة غير وارد في القرآن الكريم، وإنما الوارد لفظ الآية، لأن الأصل في الآية العلامة الدالة على الشيء وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن أو آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجوا أني أكثرهم تابِعاً يوم القيامة». (٢)

وكان القصد من هذه المعجزات تحدي قدرات الناس، الذين كانوا يعيشون في زمن معين، ومكان معين فيما برعوا ونبغوا فيه؛ ليعلموا أن ما جاء به الرسل هو الحق من عند الله عز وجل، ليثبت الإيمان في قلوب الناس.

فجاء موسى عليه السلام إلى أهل مصر المشتهرين بالسحر، فكانت معجزته العصا ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ سورة الأعراف / ١٠٧، واليد ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَلَاثِ رُجُوعٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ سورة النمل / ١٢.

وجاء عيسى عليه السلام إلى قومه وقد اشتهروا بالطب، فكانت معجزته أنه كان يبصر الأكمه والأبرص بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

(١) انظر فتح الباري ٦/٦٧٢ شرح باب علامات النبوة من صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٩٨١) ومسلم في صحيحه برقم (١٥٢).

وَالتَّبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ سورة آل عمران / ٤٩.

وجاء رسول الله ﷺ محمد إلى العرب، وقد بلغوا من الفصاحة مبلغاً عظيماً، فكانت معجزته القرآن الكريم الذي نزل بلغتهم، فلم يقدر أحد منهم على معارضته. قال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ سورة الإسراء / ٨٨.

وقد كان مجرد سماع العربي للقرآن كان يوقفه على المعجزة العظمى، ويحملة ذلك على الإيمان، وأدرك ذلك كفار قريش فكانوا ينهون عن سماع القرآن، كما حكى الله سبحانه وتعالى ذلك عنهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة فصلت / ٢٦. والحكمة من اختيار المعجزة من جنس ما اشتهر به القوم لتكون الحجة عليهم أقوى، والمعجزة في حقهم أوضح.

المبحث الثالث: الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية الخارقة

للعادة على يد السحرة والمشعوذين

المطلب الأول: تعريف الكرامة:

الكرامة لغة: اسم يوضع للإكرام، والمكرم الرجل الكريم على كل أحد. (١)
اصطلاحاً: أمرٌ خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد ولي من أوليائه، تكريماً له، أو نصرة لدين الله. (٢)

كإيتاء السيدة مريم عليه السلام ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء، ونداء عمر السارية أن ينحاز للجبل، وسماع سارية لندائه مع أن بينهما آلاف الأميال، وكالظلة التي وقعت على أسيد بن الحضير حين قراءته للقرآن.

فوائد الكرامة:

تقوية إيمان العبد وتثبيتته، ولهذا لم ير كثير من الصحابة شيئاً من الكرامات لقوة إيمانهم وكمال يقينهم.

إقامة الحجة على العدو، كما حصل لخالد بن الوليد لما أكل السم، وكان قد حاصر حصناً

(١) لسان العرب ٥/٥١٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٤/٣١١ ترتيب فهد السليمانى ط ١٤١٣ دار الوطن.

فامتنعوا عليه، حتى يأكله، فأكله وفتح الحصن.

وقد تكون ابتلاء فيسعد بها قوم، ويشقى بها آخرون.^(١)

وليعلم أن عدم حصول الكرامة لبعض المسلمين لا يدل على نقص إيمانهم، فإن الله تعالى يفتح على بعض أوليائه من ذلك باباً، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة تفتناً، فيقوى عزمه على هذا الزهد في الدنيا، والخروج من دواعي الهوى. وقد يكون بعض عباده يكشف بصدق اليقين، وذلك يغنيه عن رؤية خرق العادات، لأن المراد منها كان حصول اليقين، وقد حصل، وقد يكون هذا الثاني أتم استعداداً وأهلية من الأول.^(٢)

المطلب الثاني: الفرق بين المعجزة والكرامة:

أن المعجزة مبنية على الإظهار والاشتهار وأن صاحبها (وهو النبي) مأمور بإظهارها. بينما الكرامة مبنية على الكتم والستر، وصاحبها (وهو الولي) مأمور بكتمانها. المعجزة تكون مقرونة بالتحدي وبدعوى النبوة، أما الكرامة فغير مقرونة بالتحدي، ولا يدعون فضيلة ولا منزلة عند الله.

ثمرة المعجزة تعود بالنفع والفائدة على الغير، والكرامة في الغالب خاصة بصاحبها.

المعجزة تكون بجميع خوارق العادات، والكرامة تختص ببعضها.

الأنبياء يحتجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية، والأولياء يحتجون بالكرامة على نفوسهم حتى تطمئن وتوقن ولا تضطرب.^(٣)

الكرامة تظل أحياناً محكومة بعوامل الزمان والمكان، فما كان في زمن كرامة لا يكون في زمن آخر، فإيتاء مريم عليها السلام ثمر الشتاء والصيف لا يعد كرامة في كثير من البلاد. وكذلك وصول صوت عمر السارية لم يعد كرامة في عصرنا، بعد تقدم التكنولوجيا ووسائل الاتصالات، بخلاف المعجزة فإنها تظل على مدى الأزمان.

المعجزة تُطلب وقد تتكرر وتكون مصاحبة لدعوى النبوة. أما الكرامة فتُمنح ولا يستطيع الولي تكرار هذه الكرامة.

أن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، والآيات الكبرى

(١) التبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ عبد الرحمن السعدي ص ١١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢١/١١.

(٣) الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية، نقلًا عن رسالة ماجستير، محمد خير العمري. الأردن: الجامعة الأردنية وانظر الفرق بين المعجزة والكرامة، جوهرة الوثلان موقع الألوكة نت.

مختصة بهم. أما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام فقد وُجد لغير واحد من الصالحين لكن لم يكن كما وُجد للنبي ﷺ، أطمع الجيش من شيء يسير، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم لكن لا يماثلونهم في قدره.^(١)

المطلب الثالث: معرفة الخوارق والأحوال الشيطانية؛

ضلَّ كثير من الناس عندما ظنوا أن كل من جرت على يديه خوارق العادات فهو من أولياء الله الصالحين؛ فبعض الناس يطيرون في الهواء ويمشون في الماء ويضربون بالسلاح فلا يؤثر فيهم. وهذا كله من فعل الشياطين، ولذلك إذا ذُكر الله أو قرئت آية الكرسي أو شيئاً من القرآن بطلت أحوالهم.

والمسيح الدجال تجري على يديه أمور خارقة للعادة، تذهل من يراها، وهو مع ذلك يدعي الألوهية.

فالكرامة سببها الإيمان والتقوى، والخارقة هي أمرٌ خارق للعادة يجريه الشيطان على أيدي أوليائه.

والضابط: أننا ننظر إلى عمل هذا الذي جرت على يديه هذه الخوارق للعادات، فإن كان موافقاً للإسلام فما يجري على يده فهو كرامة، وإلا فهو من خدمة الشياطين له.

المطلب الرابع: الفرق بين المعجزة والخوارق والأحوال الشيطانية والسحر:

ومن الفروق بين المعجزة والسحر

المعجزة خارقة للعادة: أي أنها تأتي مخالفة لقوانين الكون فهي من الله تعالى.

أما السحر فإنه يحدث بحسب قوانين يمكن تعلمها فهو من الساحر.

المعجزة لا ينتج عنها إلا الخير، أما السحر فلا يصدر منه الخير.

المعجزة لا يمكن إبطالها، أما السحر فإنه يمكن إبطاله، ومعلوم أن السحر لا يتم إلا بالاستعانة بالشياطين والتقرب لها.^(٢)

المعجزة تجري على يد النبي، وهو خير الناس علماً وعملاً وخلقاً، والسحر يجري على يد الساحر، وهو شر الناس علماً وعملاً وخلقاً. والنفوس تنفر منه ومن صاحبه.

المعجزة ليس لها سبب، ولهذا لا يستطيع غير النبي أن يأتي بمثلها، أما السحر فله أسباب

(١) النبوات لابن تيمية ص ٨٠٢.

(٢) محاضرات في الثقافة الإسلامية ص ١٧٤ د. أحمد العوايشة.

معروفة، وهي الطلاسم التي تقال وتكتب ويستعان فيه بالجن، فكل من تعلم ذلك وفعله حصل له ما يريد من السحر.

أما المعجزة فلا تستفاد بالتعلم والتجربة.^(١)

المبحث الرابع: عدد الدلائل والمعجزات.

الرسول ﷺ أكثر الرسل معجزة، وأبهرهم آية، فله من الدلائل والمعجزات ما لا يُحدّ ولا يُعدّ، وهي كثيرة جداً حتى قال البيهقي: «إنها بلغت ألفاً»^(٢) وقال ابن تيمية: «وكان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته ﷺ، ومعجزاته تزيد على ألف معجزة، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات»^(٣) وقال ابن حجر: «وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أنها تزيد على ألف ومائتين»^(٤)

ومن رحمة الله بعباده أن جعل دلائل النبوة من الوضوح والكثرة، بحيث لا يعنى عنها إلا من فقد البصر والبصيرة.

يقول ابن تيمية: «ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر والبيّن لكل أحد، كالحوادث المشهودة، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله»^(٥).

ويزعم البعض الاكتفاء بمعجزة القرآن الكريم:

وكان قد ابتدع هذا الأمر المستشرقون، ثم انتقلت إلى بعض المسلمين ظناً منهم أنه ما دام القرآن هو المعجزة الكبرى التي أوتيتها رسول الله ﷺ فلا حاجة لذكر غيرها، ولا سيما أن بعضها لم يثبت سنداً.

واستدل بعضهم بقول النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

ولكن يجاب بأن ذكر النبي ﷺ للقرآن فقط لكونه اشتمل على الإعجاز الواضح. ولكن لا يعني ذلك أنه ﷺ لم يؤت من المعجزات غيره.

فقد أوتي ﷺ من الدلائل الحسية الكثير، ومنها انشقاق القمر، ونبع الماء بين أصابعه، وتكثير الطعام، وخطابه الشجر والحجر والحيوان، وحنين الجذع وشوقه إليه، ورميه بكف من

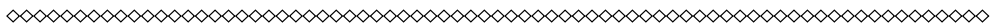
(١) انظر الفروق للقرافي ١١٦/٨ ترقيم الشاملة.

(٢) انظر فتح الباري ٦/٦٧٤.

(٣) الجواب الصحيح ١/٣٩٩ دار العاصمة السعودية ط ٣ ١٤١٩/١٩٩٩.

(٤) فتح الباري ٦/٦٧٤ وانظر شرح صحيح مسلم ١/٢ دار إحياء التراث العربي بيروت ط ١٣٩٢ هـ.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/٤٣٥.



حصى في وجوه الكفار، وإخباره عن الكثير من المغيبات، سواء ما حدث منها قبل بعثته أم بعدها، ووقعت كما أخبر بها ﷺ.

وقال ابن القيم بعد أن عدد معجزات موسى وعيسى عليهما السلام: «وإذا كان هذا شأن معجزات هذين الرسولين، مع بُعد العهد وتشنت شمل أمتيهما في الأرض، وانقطاع معجزاتهما، فما الظن بنبوة محمد ﷺ، ومعجزاته وآياته تزيد على الألف، والعهد بها قريب، ونقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرناً بعد قرن»^(١).

وإنما قصد الذين اعتمدوا أن المعجزة الوحيدة للنبي ﷺ هي القرآن تضخيم دور العقل على حساب النقل، من أجل تطويع الدين الإسلامي لصالح الحضارة الغربية، فكأنما يريد أن يقول: أن الرسول محمداً ﷺ يختلف عن الأنبياء السابقين، في أن معجزاته ﷺ لم تقم على خوارق العادات، وأن القرآن الكريم معجزة عقلية فقط، وفي هذا يلتقي الإسلام تمام الالتقاء مع الحضارة الغربية التي هي مبنية على العقل وحده، ولا مكان للغيوب فيها، لذلك علينا الأخذ بالحضارة الغربية لأنها تتفق مع أهم أصل يقوم عليه ديننا وقرآننا.^(٢)

المبحث الخامس: كتب دلائل النبوة

لكل علم مصادره التي يستقي منها مادته، ومصادر دلائل النبوة يأتي في مقدمتها. القرآن الكريم.

كتب الحديث، حيث جمعت فيها الأدلة والبراهين النقلية على إثبات النبوة، قبل أن تخصص لها مصنفات مستقلة. كالصحيحين لمحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري، «والجامع الصحيح» لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي.

كتب تراجم الصحابة.

كما هو الحال عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى»، والبيهقي في «معجم الصحابة»، وابن عبد البر في «الاستيعاب»، وابن الأثير في «أسد الغابة»، وابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة». كتب السيرة النبوية.

والسيرة النبوية برمتها دليل من دلائل النبوة، وقد صرح ابن حزم عن ذلك بقوله: (إن سيرة الرسول ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة، تشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقاً، فلو

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ص (١١٠٧) تحقيق علي حسن الحلبي.

(٢) موقف الجابري من المعجزات والغيوب في الإسلام. عرض ونقد د. غازي التوبة مجلة البيان العدد (٢٩٢).

لم تكن معجزة غير سيرته ﷺ لكفى). (١)

كتب خاصة بدلائل النبوة

ومن أهم هذه الكتب التي اختصت بدلائل النبوة:

دلائل النبوة للحافظ أبي بكر الصريابي ٣٠١ هـ.

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ٤٣٠ هـ.

أعلام النبوة لعلي بن محمد الماوردي ٤٥٠ هـ.

دلائل النبوة للحافظ أبي بكر البيهقي ٤٥٨ هـ.

دلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني ٥٣٥ هـ.

دلائل النبوة لعماد الدين ابن كثير ٧٤٤ هـ ويقع في كتاب البداية والنهاية.

الصحيح المسند من دلائل النبوة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ١٤٢٢ هـ.

وبالنظر في مؤلفات هذا الصنف من العلم «دلائل النبوة» يتبين أنه لا يوجد قرن في التاريخ الإسلامي لم يؤلف ويكتب فيه عن دلائل النبوة، وفي هذا دليل على مدى العناية الكبرى التي أولاها العلماء لهذا الجانب.

ويجب التنبيه إلى أن كتب دلائل النبوة شأنها شأن الكتب الأخرى في الحديث والسير، قد اشتملت على الصحيح والضعيف والموضوع، فكان لزاماً على من أراد الاستفادة منها أن يكون على ذكر من ذلك، وأن لا يكون كحاطب ليل يورد ما اتفق، بل يعتمد ما صح وما قاربه، وي طرح ما سوى ذلك. وقد قال ابن تيمية: (الاستدلال بما لا تعلم صحته لا يجوز بالاتفاق، فإنه قول بلا علم وهو حرام بالكتاب والسنة). (٢)

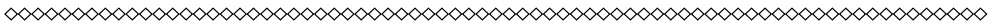
الخاتمة:

وبعد انتهاء هذا الدراسة لمفهوم دلائل النبوة، والمعجزة والذي أسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان فيها من زلل فمني ومن الشيطان وأستغفر الله منه.

وإن أهم النتائج التي توصلت إليها هي:

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي ٧٢/٢.

(٢) منهاج السنة النبوية ١٦٧/٧ الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦.



أن دلائل النبوة هي الأدلة والعلامات الدالة على صدقهم.
الفرق بين الدلائل والمعجزات، أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها التحدي.
الفرق بين المعجزة والكرامة:
أن المعجزة مبنية على الإظهار.
تكون مقرونة بدعوى النبوة.
تعود بالنفع والفائدة على الغير.
تكون بجميع خوارق العادات.
تظل على مدى الأزمان.
بينما الكرامة بخلاف ذلك.
الفرق بين المعجزة والسحر:
أن المعجزة خارقة للعادة وأما السحر فيحدث بحسب قوانين يمكن تعلمها.
المعجزة لا ينتج عنها إلا الخير.
المعجزة لا يمكن إبطالها.
أن رسول الله ﷺ هو أكثر الرسل معجزة، وأنها تزيد على ألف معجزة.
أن مصادر دلائل النبوة كثيرة، بدءاً من كتاب الله تعالى وكتب الحديث، والتراجم، والسير،
وكتب خاصة بدلائل النبوة.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

الإحكام في أصول الأحكام، تأليف سيف الدين الأمدي طبعة المعارف - مصر.
إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان. ابن قيم الجوزية، تحقيق علي حسن الحلبي ط جمعية
إحياء التراث الإسلامي، الكويت.
التعريفات للجرجاني دار الكتب العلمية، بيروت.
التبیهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ عبد الرحمن
السعدي.

تهذيب اللغة للأزهري، طبع دار القومية العربية.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، دار العاصمة السعودية ط ٢ ١٤١٩ هـ
١٩٩٩ م.

دلائل النبوة للبيهقي، أبو نعيم، دائرة المعارف.

الرسل والرسالات د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ
١٩٨٢ م.

روضة الناظر وجنة المناظر تأليف عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي مكتبة الرشد،
الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.

صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، مطبوع مع فتح الباري دار الريان
للتراث - القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م.

صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج مطبوع مع شرح النووي دار إحياء التراث العربي -
بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.

فتح الباري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة
الأولى، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م.

الفروق للقرافي.

الفصل في الملل والأهواء والنحل - ابن حزم الأندلسي مكتبة محمد صبيح، القاهرة.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
لوامع الأنوار البهية للسفاريني طبع دولة قطر.

مجلة البيان. العدد: ٢٩٢، المنتدى الإسلامي - لندن.

مجموع الفتاوى لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم الحراني. جمع ابن قاسم طبع الرياض -
الطبعة الأولى.

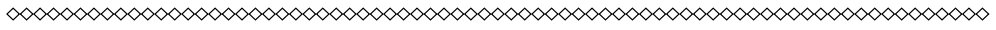
مجموع فتاوى ابن عثيمين، ترتيب فهد السلطان، دار الوطن الطبعة الأولى عام ١٤١٣ هـ.

محاضرات في الثقافة الإسلامية د. أحمد العوايشة.

المصباح المنير أحمد بن محمد الفومي - مكتبة لبنان.

المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية، عبد الآخر الغيمي.

منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود ط ١ ١٤٠٦ هـ
١٩٨٦ م.



النبوات. أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی، تحقیق عبد العزیز الطویان، أضواء
السلف الریاض ط ۱ ۱۴۲۰ هـ ۲۰۰۰ م.
الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية، محمد خير العمري رسالة ماجستير، الأردن -
الجامعة الأردنية.

د. خليفة فرج الجراي

كلية علوم الشريعة، جامعة المرقب، ليبيا

دلائل النبوة والمعجزة والكرامة «المفاهيم والفروق»

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ومن علينا ببعثة خير الأنام محمد بن عبد الله بدر التمام ومسك الختام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحبه الأعلام وسلم تسليمًا كثيرًا ما كتبت أقلام ونشرت أعلام.

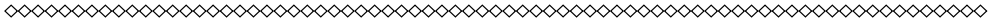
وبعد:

فقد اقتضت حكمة الله - تعالى - بإرسال الأنبياء والرسول لإرشاد الناس وتوجيههم لما فيه الخير والصلاح في دينهم وديناهم، ثم أيد الله - عز وجل - أنبياءه ورسله بالآيات البيّنات التي تدل على صدقهم؛ حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحديد الآية (٢٥)، وذلك لأنّ انقياد الناس للإيمان بدعوة الرسل تكون أسرع وأقوى وأشدّ تماسكًا عند رؤيتهم لهذه الآيات، وإنه ليسعدني ويشرفني أن أشارك في هذا المؤتمر الدولي المبارك الرابع «دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ضوء القرآن والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه» الذي تنظمه أكاديمية الإمام البخاري الدولية بورقة بحثية نصره للنبي ﷺ وإبراز دلائل نبوته لغير المسلمين، وهذا من أعظم الواجبات التي تجب علينا تجاه مقامه الشريف صلوات الله وسلامه عليه وتأدية لحق نعمة الإسلام التي ننعم بها وإيصالها لغيرنا ممن حرّموا منها.

وقد اخترت محورًا من محاور المؤتمر وهو: مفهوم دلائل النبوة والمصطلحات ذات الصلة، ليندرج تحته موضوع ورقتي البحثية بعنوان: (دلائل النبوة والمعجزة والكرامة) «المفاهيم والفروق»

وسيكون هذا البحث على النحو التالي: مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

- مقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع والمؤتمر بصفة عامة.



مطلب أول: دلائل النبوة .

أ- مفهوم دلائل النبوة

ب- أقسامها وصورها.

ج - دلائل النبوة غير محصورة في طريق معين.

مطلب ثان: المعجزة.

أ- مفهوم المعجزة.

ب- الفرق بين المعجزة ودلائل النبوة.

ج- أقسامها وصورها.

مطلب ثالث: الكرامة.

أ- مفهوم الكرامة .

ب- أنواع الكرامات.

ج- ضوابط الكرامات ولمن تقع.

خاتمة وتشتمل على أهم الفروق بين الدلائل والمعجزات والكرامات والنتائج والتوصيات.

والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل .

مطلب أول: دلائل النبوة

أ- مفهوم دلائل النبوة

تعريف كلمة دلائل:

دلائل: جمع دلالة، وهي مصدر دل يدل دلالة، والدلالة يجوز فيها الفتح والكسر. (١)

وقال الجوهري: وقد دل على الطريق يدل دلالة ودلولة، والفتح أعلى. (٢)

والدليل: هو الدال والهادي والمرشد إلى المطلوب.

وأما في الاصطلاح: يقول الزبيدي: الدلالة في الاصطلاح: كون اللفظ متى أطلق فهم منه

معناه للعلم بوضعه. (٣)

تعريف النبوة لغةً واصطلاحاً:

النبوة لغة: مشتقة من النبأ، وهو الإخبار؛ ومنه قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ

الْعَظِيمِ ﴿النَّبَأُ الْآيَةُ: (٢-١) وَإِنْ أَخَذْتَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالنَّبَاوَةِ فَهِيَ بِمَعْنَى: العلو والارتضاع، والنَّبِيُّ:

الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ. (٤) فَتَكُونُ بِمَعْنَى الطَّرِيقِ الْمَوْصَلَةِ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُلِّ هَذِهِ الْمَعَانِي

مُوَافَقَةً لِّلْمَعْنَى الشَّرْعِيِّ لِلنَّبُوَّةِ.

أما اصطلاحاً:

عرفها ابن حزم الظاهري: بأنها وحي من الملك إلى الرسول الذي يختاره الله تعالى ويعلمه

علوما لا يكتسبها ولا يد له فيها. (٥)

ويعرفها الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: بأنها سفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الألباب

من خليقته، ولهذا توصف أبداً بالرسالة والبعثة. (٦)

وقد اختلف أهل العلم في معنى النبوة والرسالة، واختلفوا على مذاهب:

أولاً: أنه لا فرق بين النبي والرسول، فهما من قبيل الترادف، فيطلق النبي على الشخص

الذي اصطفاه الله لإنذار قومه، والرسول تطلق عليه من جهة تكليفه بمهمة التبليغ والإرسال. نصّ

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٦٥/١٤)

(٢) ينظر: الصحاح في اللغة (١٦٩٨/٤) وقوله أعلى أي: أفصح.

(٣) ينظر: تاج العروس (٣٢٤/٧)

ينظر: لسان العرب لابن منظور الجزء (١) مادة نبأ.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٤٠/١)

(٦) دلائل النبوة (٣٣/١)

على ذلك القاضي عياض رحمه الله وبين أنه مذهب ضعيف. (١)

ثانياً: أن هناك فرق بين النبي والرسول، فالنبي لم يؤمر بالتبليغ، والرسول هو المأمور بالتبليغ.

ثالثاً: وهو مذهب جمهور أهل العلم، أن الرسول هو المبعوث إلى قوم برسالة جديدة وشرع جديد، في حين أن النبي هو مذكّر لقومه برسالة سابقة، فيكون كل رسول نبياً، وليس كل نبي رسولاً. (٢)

حقيقة النبوة:

النبي رجل من البشر، يجتبيه الله تعالى على سائر البشر، ويختصه بعنايته: فيوحي إليه، أو يحدثه من وراء حجاب، أو يرسل إليه ملكاً يكلمه. وإلى ذلك يشير القرءان الكريم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ الشورى الآية (٥١) ثم يأمره سبحانه وتعالى بهداية البشر وإبلاغهم ما أوحى إليه من البشارة والندارة، لتتم حجة الله على الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ الأنعام الآية (٤٨).

الربط بين كلمة «دلائل» وكلمة «النبوة»

كلمة «دلائل النبوة» مركب تركيب إضافي، فدلائل مضاف، والنبوة مضاف إليه، فبين الكلمتين ارتباط وثيق لأن النبوة تحتاج إلى أدلة وبراهين تثبت صدق النبي في دعواه، فدلائل النبوة هي علامات النبوة ومعجزات النبوة.

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، باب: علامات النبوة في الإسلام. (٣)

قال الكرمانى رحمه الله: وعلامات النبوة أي: المعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ الظاهرة في زمن الإسلام. (٤)

ب- أقسامها وصورها

أولاً: الغيوب التي أخبر عنها ووقعت في حياته وبعد مماته ﷺ.

الغيوب التي أخبر بها ﷺ كثيرة، فمنها ما تحقق حال حياته ﷺ ومنها بعده، ومنها ما يكون

(١) الشفا للقاضي عياض، (٢/ ٧٢٦)

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (١/ ٤٩)

(٣) صحيح البخاري بشرح فتح الباري (٦/ ٦٧١)

(٤) شرح الكرمانى على صحيح البخاري (٤/ ١٤٩)

قريباً من الساعة، وفي كل ذلك دلائل على نبوته ورسالته.

١- إخباره ﷺ بغيوب تحققت في حياته.

- خبر الريح:

تنبأ ﷺ بهبوب ريح وهو منطلق وأصحابه إلى تبوك فقال: «ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة، فلا يقيم فيها أحدٌ منكم، فمن كان له بعيرٌ فليشدُّ عقاله». قال أبو حميد - رضي الله عنه - راوي الحديث: فهبت ريحٌ شديدة، فقام رجلٌ، فحملته الريح، فألقته بجبلي طيء. (١)

- خبر انتصار الروم على الفرس:

قال ابن عباس: «كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم، لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: أما إنهم سيغلبون.

فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا أي: بدوام انتصار الفرس كان لنا كذا وكذا أي: من الرهن، وإن ظهرت أي: بانتصار الروم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهر الروم أي: في هذه السنين الخمس.

فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: ألا جعلته إلى دون العشر أي: طلب منه زيادة الأجل إلى تسع سنين، لأن البضع في لغة العرب ما دون العشر، والله قد وعد بظفر الروم في بضع سنين.

قال أبو سعيد: والبضع ما دون العشر.

قال: ثم ظهرت الروم بعد، قال ابن عباس: فذلك قوله تعالى: ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الروم الآية (٢/٣) (٢)

- خبر كتاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

أرسل حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش مع امرأة، يخبرهم فيه بعزم النبي ﷺ على غزو مكة، فلما كشف الله ذلك لنبيه؛ بعث علياً والزبير والمقداد بن الأسود، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب، فخذوه منها» يقول علي - رضي الله عنه - : فانطلقنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: الفضائل باب: في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (١٢٩٢)

(٢) الخبر رواه الترمذي في سننه (٣١٩٢)

فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)

قال ابن حجر: «وفيه من أعلام النبوة إطلاعُ الله نبيه على قصة حاطب مع المرأة» (٢)
خبر سوء خاتمة رجل.

قاتل رجل مع المسلمين فأحسن البلاء ولكن أخبر ﷺ عن سوء خاتمته، يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - : شهدنا مع رسول الله ﷺ فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: « هذا من أهل النار». يقول أبو هريرة: فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الذي قلت له: إنه من أهل النار؛ فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً، وقد مات! فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إلى النار».

قال أبو هريرة: فكاد بعض الناس أن يرتاب. فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمّت، ولكن به جراحاً شديداً، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: «الله أكبر، أشهد أني عبدُ الله ورسولُه» ثم أمر بلالاً فنادى بالناس: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». (٣)

٢- إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلية التي تحققت بعد وفاته.

خبر أم حرام بنت ملحان .

فقد سمعت النبي ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا».

قالت أم حرام: قلتُ: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «أنتِ فيهم».

ثم قال النبي ﷺ: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم».

فقلتُ: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا». (٤)

فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية - رضي الله عنه - فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت. (٥)

قال ابن حجر: «وفيه ضروب من إخبار النبي ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال ، وذلك معدود

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب: الجهاد باب: الجاسوس (٢١٩٢)

(٢) فتح الباري (٢١٠/١٢)

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب: الجهاد، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر (٢٠٦٢)

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب: الجهاد باب: ما قيل في قتل الروم (٢٩٢٤)

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٦٣/٢)

من علامات نبوته: منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكة ونكاية في العدو، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون مع من يغزو البحر، وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية»^(١)

خبر خروج النار

جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى».^(٢)

قال النووي: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة جداً، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة».^(٣)

قال ابن كثير: «وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة، قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبي شامة في تاريخه: إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، وذكر كتباً متواترة عن أهل المدينة في كيفية ظهورها شرق المدينة، وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أن أهل المدينة لجؤوا في هذه الأيام إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها».^(٤)

خبر خروج الدجالين.

ومن علامات نبوته ﷺ إخباره عن ظهور الدجالين الذين يدعون النبوة، فقال محذراً منهم: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله».^(٥) وفي رواية: «في أمتي كذابون ودجالون، سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين، لا نبي بعدي».^(٦)

قال ابن حجر: وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً؛ فإنهم لا يُحصون كثرة، لكون

(١) فتح الباري (٧٧/١١)

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب: الفتن باب: خروج النار (٧١١٨)

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٨/١٨)

(٤) البداية والنهاية (٢٩٥/٦ - ٢٩٦)

(٥) رواه مسلم كتاب: الفتن باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء رقم (٨٤)

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢٢٣٥٨)

غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدت له شبهة. (١)

وأول النسوة الأربع اللاتي تبأن بالكذب سجأح التميمية التي ادعت النبوة في وسط الجزيرة العربية، قال ابن حجر: «وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ، فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجأح التميمية في بني تميم». (٢)

ثانياً: الدلائل الحسية لرسول الله ﷺ

١- تكثير الطعام والشراب والوضوء ببركة النبي ﷺ

تواترت في ذلك الأخبار وتكاثرت وهي تتحدث عن معجزاته ﷺ من تكثير القليل ببركته ﷺ، قال النووي: وقد تظاهرت أحاديثُ أحادٍ بمثل هذا، حتى زاد مجموعها على التواتر، وحصل العلمُ القطعيُّ بالمعنى الذي اشتركت فيه هذه الأحاد، وهو انخراق العادة بما أتى به ﷺ من تكثير الطعام القليل الكثرة الظاهرة، ونبع الماء وتكثيره، وتسبيح الطعام، وحنين الجذع وغيره. (٣) ومن هذه الأخبار التي تواترت ما رواه لنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حيث قال: توفي أبي وعليه دينٌ، فعرضتُ على غرماثة في الدين أن يأخذوا التمر بما عليه، فأبوا، ولم يروا أن فيه وفاء، يقول جابر: فأتيْتُ النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقال: «إذا جدَدته فوضعتَه في المرَبدِ أذنتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم»، أي: إذا جمعت التمر ووضعتَه في مكانه الذي يجمع فيه فأعلمني بذلك، قال جابر: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر، فجلس على المرَبدِ، ودعا بالبركة، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ادعُ غرَماءَكَ فأوفهم»، قال جابر: فما تركتُ أحداً له على أبي دينٍ إلا قضيتُه، وفَضَلُ ثلاثة عشر وسقاً، فوافيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب، فذكرتُ ذلك له، فضحك، وقال: «أئت أبا بكر وعمر فأخبرهما»، فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك، أي أن أبا بكر وعمر توقعوا أن يقضي التمر - مع قَلتِه - الدين، وذلك ليقينهما ببركة النبي ﷺ. (٤)

وروى سلمةُ بنُ الأكوع أنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة فأصابهم جهْدٌ، حتى همّوا بنحر بعضِ إبلِهِم، يقول سلمة: فأمرنا نبي الله ﷺ، فجمعنا مزادنا، فبسطنا له نطعاً، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال سلمة: فتطاولتُ لأحزره كم هو؟ فحزرتُه كَرَبْضَةِ العنز، ونحن أربع عشرة

(١) فتح الباري (٦/٦١٧)

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢١٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلح، باب: الصلح بين الغرماء وأصحاب الميراث والمجازفة في ذلك (٢٧٠٩).

مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جُرْبِنَا، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «فهل من وضوء؟» قال: فجاء رجلٌ بِإِدَاوَةٍ له، فيها نُظْفَةٌ، أي: القليل من الماء، فأفرغها في قَدَحٍ، فتوضأنا كُلْنَا. (١)

قال النووي: «وفي هذا الحديث: معجزتان ظاهرتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما: تكثيرُ الطعام، وتكثيرُ الماء هذه الكثرةُ الظاهرة، قال المازري: في تحقيق المعجزة في هذا، أنه كلما أكل منه جزءٌ أو شرب جزء، خلق الله تعالى جزءاً آخر يخلفه». (٢)

٢- شفاء المرضى بنفثه وريقه ﷺ

من ذلك ما حصل مع الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر، حين قال النبي ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه» فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجون يعطى، فقال: «أين علي؟»، فقيل: يشتكى عينيه، فأمر، فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم». (٣)

ومن معجزاته ﷺ شفاء المصاب ببركة نفثه عليه، كما حدث مع الصحابي سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فعن يزيد بن أبي عبيد قال: «رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتي النبي - صلى الله عليه وسلم - فنفت فيه ثلاث نفات، فما اشتكيتها حتى الساعة». (٤)

ثالثاً: الدلائل المعنوية لرسول الله ﷺ

١- استجابة الله دعاءه ﷺ

من الدلائل المعنوية والآيات التي أكرم الله جل وعلا بها نبيه ﷺ إظهارا له، وتأيداً لدعوته، وهي من دلائل النبوة، سرعة استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وقد اهتمت كتب السيرة بنقل هذه الأخبار سواء في الأمور العظام أو ما دونها، ومن ذلك ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: اللقطة، باب: استحباب خلط الأزواد (١٧٢٩).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٥/١٢)

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة (٢٩٤٢)

(٤) رواه البخاري، كتاب: المغازي باب: غزوة خيبر رقم (٤٢٠٦)

اللَّهُ ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحب، ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة -يعني الثانية- ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسخها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية، ومنابت الشجر، قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس. (١)

وطلب أبو هريرة رضي الله عنه من النبي ﷺ أن يدعو لأمه بالهداية للإسلام فدعا لها صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم اهد أم أبي هريرة» قال أبو هريرة رضي الله عنه فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً، قال قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحبهم إلينا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم حب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحب إليهم المؤمنين» فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني. (٢)

قال النووي: وفيه استجابة دعاء رسول الله ﷺ على الفور بعين المسؤول، وهو من أعلام نبوته ﷺ. (٣) ودعا لعبد الله بن عباس رضي الله عنه بالفقه في الدين فقال: «اللهم فقهه في الدين» (٤) فأصبح أحد علماء الأمة، ولُقّب بحَبْر الأمة وترجمان القرآن.

٢- حماية الله لنبيه ﷺ

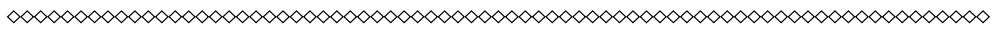
عندما أعلن النبي ﷺ دعوته للإيمان بالله وحده تعرض لكثير من الأذى، والشدة والمكائد،

(١) رواه البخاري، كتاب: الاستسقاء باب: الاستسقاء في المسجد الجامع رقم (١٠١٣)

(٢) رواه البخاري، كتاب: الاستسقاء باب: الاستسقاء في المسجد الجامع رقم (١٠١٣)

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٥٢/١٦)

(٤) رواه البخاري، كتاب: الوضوء، باب: وضع الوضوء عند الخلاء (١٣٤)



ممن كفروا بدعوته من أهل مكة وصناديدها ولكن الله تبارك وتعالى أنجاه من المؤامرات والمكائد التي تحاك ضده فحفظه ونصره، وعصمه من الناس، وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

وقد أخبره الله وأنبأه بحفظه وسلامته من كيدهم وعدوانهم، فقال له: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (١)

قال ابن كثير: «أي بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومُظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل إليك أحدٌ منهم بسوء يؤذيك». (٢)

تقول عائشة - رضي الله عنها -: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «يا أيها الناس، انصرفوا عني، فقد عصمني الله» (٣)

وفي هذا دليل من دلائل النبوة لما صرفهم عن حراسته ليقينه بما أنزل الله إليه، ولو كان مدعيا النبوة - وحاشاه - لما غرر بنفسه وعرضها للهلاك.

ج - دلائل النبوة غير محصورة في طريق معين.

دلائل النبوة ليست محصورة في المعجزة كما يقول المتكلمون، بل هي كثيرة متنوعة؛ فمنها أيضا:

- إخبارهم عن الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم، فوقع كما أخبروا، ولم يتخلف منه شيء؛ كما حصل لنوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مما قصه الله في كتابه.

- ومنها أن ما جاءوا به من الشرائع والأخبار في غاية الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدى الخلق مما يعلم بالضرورة أن مثله لا يصدر إلا عن أعلم الناس وأبرهم.

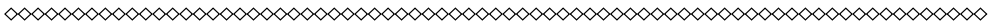
- ومنها أن الله يؤيدهم تأييدا مستمرا، وقد علم من سنته سبحانه أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد به الصادق، بل لا بد أن يفتضح الكذاب، وقد يمهل الله ثم يهلكه.

- ومنها أن طريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله والعمل بطاعته والتصديق باليوم الآخر والإيمان بجميع الكتب والرسل؛ فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه؛ فهم يصدق متأخرهم متقدمهم، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم؛ كما بشر المسيح ومن قبله بمحمد ﷺ، وكما صدق محمد ﷺ جميع النبيين قبله.

(١) رواه البخاري، كتاب: الوضوء، باب: وضع الوضوء عند الخلاء (١٣٤)

(٢) تفسير ابن كثير (١٣٧/٢)

(٣) الجامع الصحيح للترمذي (٣٠٤٦) وقال الألباني حديث حسن ينظر الجامع (٢٥١/٥)



- ومنها أن الأنبياء مؤمنون مسلمون يعبدون الله وحده بما أمر والفطر والعقول توافق ما جاء به الأنبياء عليهم السلام.^(١)

مطلب ثان : المعجزة.

أ- مفهوم المعجزة.

تعريف المعجزة لغة:

المعجزة لغة : اسم فاعل من الإعجاز، والإعجاز مصدر للفعل أعجزَ.

فالمُعْجَز والمُعْجَزَة : ما أُعْجِرَ به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة كما في قولهم: علامة، ونسابة، وجمعها معجزات، والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها .

والعَجْزُ : أصله التأخر عن الشيء وهو ضد القدرة، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، يقال عَجَز فلان عن الأمر، وأعجزه الأمر إذا حاوله فلم يستطعه ولم تتسع له مقدرته وجهده.^(٢)

تعريف المعجزة اصطلاحاً:

المعجزة اصطلاحاً : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة يظهره الله على يد رسله، ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن الوصول إليها عن طريق الجهد والكسب الذاتي وإنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى ليبرهن بها على صدق رسوله الذي أكرمه بالرسالة.

ويعرّف الفخر الرازي المعجزة في العرف: بأنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة^(٣) ويعرفها ابن حمدان الحنبلي: بأنها ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقتها على جهة التحدي ابتداءً بحيث لا يقدر أحدٌ على مثلها، ولا على ما يقاربها^(٤).

فالمعجزة هي عبارة عن دليل - حسي أو معنوي - على صدق النبي والرسول الذي يرسله الله لهداية الناس، وهذه المعجزة سواء كانت كلاماً كالقرآن الكريم أو أفعالاً كما حدث مع الأنبياء عليهم السلام.

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٥٨/١) وكذلك يراجع كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/١ - ٤٥١)

(٢) ينظر لسان العرب مادة (عجز) (٣٦٩/٥ - ٣٧١) بتصرف

(٣) لواعم الأنوار البهية (٢/٢٨٩)

(٤) نفس المصدر السابق.

ب- الفرق بين المعجزة ودلائل النبوة:

هناك من لم يفرق بين المعجزة ودلائل النبوة عامة، فالإمام ابن حزم لم يفرق بينهما ولم يجعل التحدي من شروط المعجزة، فيقول: إن اشتراط التحدي في كون آية النبي آية دعوى كاذبة، سخيفة، لا دليل على صحتها، لا من قرآن، ولا سنة صحيحة ولا سقيمة، ولا من إجماع، ولا من قول صاحب، ولا من حجة عقل، ولا قال بهذا أحد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة.^(١)

ويقول الإمام ابن تيمية: إن عامة معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يتحدى بها، ويقول ائتوا بمثلها، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه، ولم يتحدهم به ابتداء، وسائر المعجزات لم يتحد بها، وليس فيما نقل تحد إلا بالقرآن.^(٢)

بينما نجد بعض المحدثين يفرق بينهما، فترجموا الكتب والأبواب المتصلة بالنبوة تحت عنوان: «علامات النبوة»، كما فعل البخاري في صحيحه، أو «دلائل النبوة»، كما فعل البيهقي وغيره. ويراد منها: كل دليل يثبت نبوة محمد ﷺ ويبرهن على صدقه، من دون تقييد بشروط معينة، فتشمل كل الدلائل التي تدل على صدقه سواء كانت حسية أو معنوية أو حتى علامات في جسده الشريف صلوات الله وسلامه عليه.

وقد نبه ابن حجر على الفرق بين الدلائل والمعجزات في شرحه لباب: علامات النبوة في الإسلام من صحيح البخاري فقال: العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص، لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن يقول: إن فعلتُ كذلك أتصدقُ بأنِّي صادق، أو يقول من يتحدها لا أصدقك حتى تفعل كذا، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن، وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها.^(٣) فالدلالة أو المعجزة، وإن كانتا خارقتين للعادة، إلا أن المعجزة تنفرد بأنها يقصد بها التحدي، فلا تكون إلا بطلب من النبي ﷺ والدلالة لا يقصد بها التحدي.

فانقلاب العصا ثعبانا على يد موسى عليه السلام معجزة، لأنه قصد بها التحدي، وانشقاق القمر لنبينا محمد ﷺ معجزة أيضا، لأنه وقع بطلب من النبي «صلى الله عليه وسلم» تحديا للمشركين.

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧/٥).

(٢) النبوات (٧٤٩/٢).

(٣) فتح الباري (٥٨١/٦).

وناقة صالح - عليه السلام - معجزة، لأنهم تحدوه أن يخرج لهم ناقة ومعها فصيلها من صخرة عينوها له فخرجت كما طلبوا، وبهذا يتبين أن دلائل النبوة أعم من المعجزات، والمعجزة أخص، لأنه لا يشترط في الدلائل التحدي.

ج- أقسامها وصورها.

تنقسم المعجزات إلى قسمين: حسية، ومعنوية.

معجزات حسية:

منها انشقاق القمر.

معجزة انشقاق القمر من المعجزات التي أيد الله بها نبيه محمداً ﷺ، وهي حادثة انشق القمر فيها إلى شقين، حتى أن بعض الصحابة رضي الله عنهم رأى جبل حراء بين هذين الشقين، وكان وقوع هذه المعجزة قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة؛ وذلك عندما طلب كفار مكة من النبي ﷺ آية تدل على صدق دعوته ونبوته؛ كما جاء في البخاري: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما^(١)

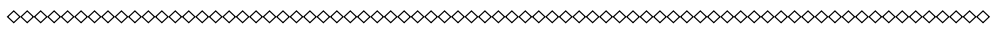
وورد ذكر هذه الحادثة أيضاً في القرآن الكريم مقروناً باقتراب الساعة، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾ القمر الآية (١).

معجزات معنوية:

منها القرءان الكريم.

فمن المعنوية إنزال القرآن عليه، وهو أعظم المعجزات، وأبهر الآيات، وأبين الحجج الواضحات، لما اشتمل عليه من الإعجاز الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك، مع تميز معارضيه بالفصاحة والبلاغة والبيان، ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا، ثم إلى التحدي بسورة من مثله، فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء الآية (٨٨)، وقال تعالى معيدا للتحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة الآيات (٢٣-٢٤)، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: انشقاق القمر (٣٦٥).



أَفْتَرَنَّهُ قُلٌّ فَأَتَوْا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴿١٣﴾ فَالَّذِي يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ هود الآية (١٣/١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَّهُ قُلٌّ فَأَتَوْا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيْنَ ﴿ يونس الآيات (٣٧-٣٩) .

فبين تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بل عن عشر سور عليه، بل عن سورة منه، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدا كما قال تعالى: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) أي فإن لم تفعلوا في الماضي ولن تستطيعوا ذلك لا في الماضي ولا في المستقبل وهذا من أعظم الأدلة والبراهين على أنه كلام رب العالمين معجز، وعلى نبوة من أنزل عليه هذا القرآن.

مطلب ثالث: الكرامة

أ- مفهوم الكرامة .

تعريف الكرامة لغة:

كُرم الشيء بضم الراء كراماً بفتحين، وكرامة إذا نفس وعز فهو كريم، وله علي كرامة أي عزا، وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم، ولا يقال في الإنسان كريم حتى تظهر منه أخلاق وأفعال محمودة، وكرمه تكريماً، وأكرمه إكراماً، عظّمته ونزهته.

والمكرمة بضم الراء: اسم من الكرم، والتكريم، تقول: فعل الخير مكرمة، أي سبب للكرم، أو التكريم، وتكون الكرامة اسماً أيضاً من الإكرام، والتكريم، تقول: نعم حياً وكرامة، وليس ذلك لهم ولا كرامة، والإكرام والتكريم، أن يوصل إلى الإنسان إكرام أي: نفع لا يلحقه فيه غضاضة، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئاً كريماً، أي شريفاً. (١)

تعريف الكرامة اصطلاحاً:

أمرٌ خارقٌ للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي، تأييداً له، أو إعانة، أو تثبيتاً، أو نصراً للدين. جاء في كتاب «الوجيز في عقيدة السلف الصالح» أن الكرامة: أمر خارق للعادة وغير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها؛ يُظهره الله على يد بعض عباده الصالحين - من الملتزمين

(١) ينظر الصحاح تاج اللغة مادة (كرم) (٢٠١٩/٥).



بأحكام الشريعة - إكراماً لهم من الله عز وجل، فإذا لم يكن مقرونًا بالإيمان الصحيح والعمل الصالح كان استدراجاً. (١)

جاء في كتاب «كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» لنخبة من العلماء، أن الكرامة: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح. (٢)

فصاحبها يكون معروفًا بالاستقامة على الشرع وحفظ حدوده، وأما من خالف قواعد الشرع وليس له استقامة وإن ظهرت له بعض خوارق العادات فهذا ليس بكرامة.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره عن الليث بن سعد والشافعي - رحمهما الله - قولهما: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. (٣)

قال الدكتور محمد الأشقر في رسالته العلمية: أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام الشرعية - في مبحث الأفعال الخارقة للعادة: خرق السنن الكونية على أيدي الأولياء: اختلفت الآراء في الأمة الإسلامية حول هذه النقطة، فالمعتزلة وأبو إسحاق الإسفراييني والحلي، يرون أن النواميس الكونية لا تتخرق إلا لنبي، لتكون معجزة له، وأما ما عدا ذلك، فالسنن مطردة أطراداً منضبطاً لا يتخلف مطلقاً، فأنكروا بذلك كرامات الأولياء الخارقة للعادة، وسواء أكانت صغيرة أم كبيرة، وأجازوا أن يبسر للأولياء نحو إجابة دعاء، وموافاة ماء في أرض فلاة مما ينحط عن رتبة خرق العادات... وأهل السنة والصوفية وجمهور الأمة، على إثبات كرامات الأولياء، إلا أنهم في ذلك على قولين :

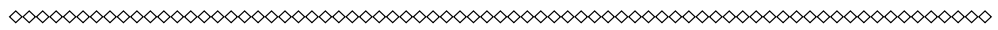
الأول: أن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، ولا فرق بينهما، إلا أن النبي يتحدّى بخرق العادة ليثبت نبوته، والولي لا يتحدّى، ونسب هذا القول إلى جمهور العلماء، وممن صرح به النووي في شرح صحيح مسلم، والجويني في الإرشاد.

الثاني: أن كرامات الأولياء بخرق العادات ثابتة، إلا أنها لا ترقى إلى مثل وجود ولد دون والد، وقلب جماد بهيمة، وممن قال بهذا القول القشيري، وابن السبكي، وابن حجر العسقلاني، ويظهر أن الباقلاني يقول به في كتابه في التفريق بين المعجزات والكرامات، حيث يرى أن السحرة يقدرون على كل ما يقدر عليه الأنبياء، ما عدا ما أجمع على أنهم لا يقدرون عليه، كإخراج ناقة

(١) الوجيز في عقيدة السلف (١/١٤٣).

(٢) أصول الإيمان على ضوء الكتاب والسنة ص (٢٠٢)

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٤٠)



من صخرة، وقلق البحر، وآيات موسى التسع، وإنما يقدررون على نحو الطيران في الهواء، وموت المسحور وحبّه أو بغضه، فيظهر أن قوله في خوارق الأولياء مثل ذلك. اهـ^(١)

ب- أنواع الكرامات.

يمكن أن نقسم الكرامات إلى قسمين: كرامات حسية - كرامات معنوية.

كثير من الناس لا يهتمون ولا يتكلمون إلا عن الكرامات الحسية التي قد تظهر على أيدي الأولياء حتى ظن البعض أن الولاية ليس لها من علامات الإ وقوع كرامات حسية ومشاهدة، والصحيح أنه توجد كرامات معنوية يكرم الله بها الصالحين من عباده.

أولاً: كرامات حسية.

١ - ما جرى لأهل الكهف: من الكرامات الحسية التي أجازها الله على أوليائه الصالحين ما جرى على أهل الكهف الذين قال الله تعالى بشأنهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الكهف الآية (١٣) ، فقد كان في زمانهم حاكم يدعوهم لعبادة غير الله، فأبوا إلا أن يوحدوا الله تعالى فألهمهم الله تعالى أن ينفروا بدينهم ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ الكهف الآية (١٦) ، فلجأوا إلى بعض الجبال، فكانت كرامتهم أن أنامهم الله ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ الكهف الآية (٢٥) ، مع أنهم ليسوا بأنبياء ولا رسل.

٢- ما جرى للسيدة مريم عليها السلام: هذه الصديقة، التي هي باتفاق الجميع ليست من الأنبياء والرسل، قد أجرى الله تعالى على يديها العديد من الكرامات والخوارق، فقد تمثل لها الروح الأمين على هيئة بشر وخاطبها أن الله أرسله لها ليهب لها ولدا، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم الآية (١٧) ، ثم حملت بولد دون أن يمسهها بشر ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران الآية (٤٧) ، إلى أن حانت ساعات الوضع فابتعدت عن أهلها إلى مكان خالٍ من الجهة الشرقية، وجلست إلى جانب شجرة من أشجار النخيل التي لا ثمر فيها، فحصل معها كرامات إلهية، منها تساقط الرطب عليها من النخلة غير المثمرة لما هزّت جذعها ﴿وَهَزِيَّتْ إِلَيْكَ مِجْدَعُ النَّخْلَةِ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ مريم الآية (٢٥) ، وغيرها من الكرامات.

٣- ما حصل لعمر رضي الله عنه : فقد كان عمر رضي الله عنه بالمدينة على المنبر فقال: يا سارية الجبل الجبل، وهو يخاطب بذلك سارية بن زنيم وهو قائد سرية من سرايا جيش في

(١) كتاب أفعال الرسول ودلائلها على الأحكام الشرعية (٢٥٣/١)

أرض فارس، وقد سمع سارية وأصحابه كلام عمر وكانوا في الصف في مواجهة العدو، فاستندوا إلى الجبل فدافعوا عن أنفسهم حتى فتح لهم.^(١)

٤- ومن ذلك ما جرى لعباد بن بشر، وأسيد بن حضير، في عهد النبي ﷺ، لما خرجا من عنده في ليلة ظلماء، أضاءت لهما أسواطهما في الظلمة، فلما انصرف كل واحد إلى بيته؛ أضاء له سوطه حتى وصل إلى بيته.^(٢) فهذا من كرامات الله لأوليائه رضي الله عنهم جميعاً.

ثانياً: كرامات معنوية.

الكرامات المعنوية هي ما يبسرره الله تعالى لعبده المؤمن الصالح مما يعينه على تقوى الله فيكرمه به في الحياة الدنيا، فمن ذلك أن يفتح له في تدبر القرآن، أو أن يعينه على الطهارة دائماً، أو أن يعينه على قيام الليل، أو أن يعينه على صيام النفل، أو أن يعينه على شهود صلاة الجماعة دائماً، أو أن يكرمه بالتوفيق الدائم للإتيان بمكارم الأخلاق، واجتناب سفاسفها، وإزالة الغلّ والحقد تجاه الناس، وعدم سوء الظنّ بهم. وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بكلّ صفة حميدة.

ج- ضوابط الكرامات ولمن تتع.

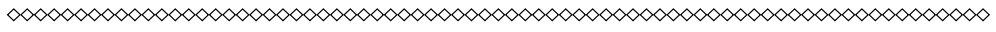
كرامات أولياء الله لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى والولي لله هو المحافظ على الفرائض والسنن والنوافل، عالماً بأمر الله عاملاً بما يعلم فمن صفت عقيدته وضح عمله كان ولياً لله يستحق إكرام الله له إن شاء، فهذا إذا خرقت له العادة لا تضر ولا يفتر بذلك ولا تصيبه رعونة، وقد لا تحصل الكرامة فليست شرطاً لصلاح العبد وليست هي بحد ذاتها دليلاً على الأفضلية، فالصحابه رضي الله عنهم من خيار الناس وأكرمهم عند الله وقد حصلت لبعضهم ولم تحصل للبعض الآخر، كما أنه ليس كل من خرقت له العادة يكون ولياً لله، كما أنه ليس كل من حصل له نعمٌ دنيوية تعد كرامة له، بل قد تخرق العادة لمن يكون تاركاً للفرائض مباشراً للفواحش فهذه لا تعدوا أن تكون إما مساعدة من شياطين الجن ليضلوا الناس عن سبيل الله، أو استدراج من الله ومكر به.

خاتمة

خاتمة تشتمل على أهم الفروق بين الدلائل والمعجزات والكرامات والنتائج.

بعد توفيق الله تعالى بهذا العرض الوجيز حول الحديث عن دلائل النبوة والمعجزات

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل رقم (٥٢٦) وابن عساکر في تاريخه (٢٦/٢٠)
(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة رقم (٤٦٥) وأحمد في مسنده رقم (١٢٩٨٠)



والكرامات ومعرفة مفهومها وصورها وبالرجوع إلى أهم المصادر والمراجع توصلت إلى أهم الفروق والنتائج على النحو التالي:

أولاً: الدلائل: وهي كل دليل يثبت نبوة محمد ﷺ ويبرهن على صدقه، من دون تقييد بشروط معينة، فتشمل كل الدلائل التي تدل على صدقه سواء كانت حسية أو معنوية أو حتى علامات في جسده الشريف صلوات الله وسلامه عليه وسواء كانت مقرونة بالتحدي أم لا.

ثانياً: المعجزات: وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة يظهره الله على يد رسله، ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن الوصول إليها عن طريق الجهد والكسب الذاتي وإنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى ليبرهن بها على صدق رسوله الذي أكرمه بالرسالة. ثالثاً: الكرامات: أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي، تأييداً له، أو إعانة، أو تثبيتاً، أو نصراً للدين وصاحبها يكون معروفاً بالاستقامة على الشرع وحفظ حدوده، وأما من خالف قواعد الشرع وليس له استقامة وإن ظهرت له بعض خوارق العادات فهذا ليس بكرامة.

رابعاً: دلائل النبوة أعم من المعجزات فالدلائل قد تكون مقرونة بالتحدي وبغيره أما المعجزات فهي مقرونة بالتحدي.

خامساً: الأنبياء والرسل تحصل لهم الدلائل والمعجزات والكرامات.

سادساً: الأولياء والصالحين لا تحصل لهم إلا الكرامات فقط.

سابعاً: ليس كل ما يحصل من خوارق العادات على أيدي الناس من غير الأنبياء هو كرامة فقد يكون سحراً واستدراجاً.

التوصيات:

هذا الموضوع له من الأهمية بمكان فهو موضوع دعوي كبير وخاصة لغير المسلمين إلى الإسلام من وجهين:

الأول: أن أغلب الناس إنما يقتنعون ويؤمنون بالمعجزات الخارقة للعادة ولذلك أيد الله بها أنبياءه عليه السلام فينبغي أن تكون أسلوباً من أساليب الدعوة وتقام لها المؤتمرات الدولية والندوات.

الثاني: وقع كثير من الخلط بين المعجزات والكرامات وبين الشعوذة والسحر حتى شككوا في صحة المعجزات والدلائل، فظنوا أنها نوع من السحر والكهانة، فينبغي أن يزال الشك وتبين الضوابط الصحيحة حتى تكون هذه الأمور مشروعاً كبيراً من مشاريع الدعوة إلى الله.

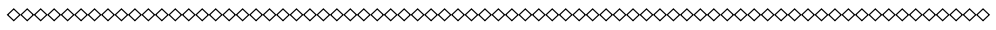
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

القرءان الكريم برواية حفص عن عاصم.

١. أصول الإيمان على ضوء الكتاب والسنة، ل نخبة من العلماء، ط١، ١٤٢١، الناشر وزارة الأوقاف السعودية.
٢. أفعال الرسول ودلائلها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر، ط٦، ١٤٢٤هـ، مؤسسة الرسالة.
٣. البداية والنهاية لابن كثير طبعة سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م دار إحياء التراث العربي.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، بلا ط، دار الهداية للنشر.
٥. تاريخ دمشق، لابن عساكر، ط ١٤١٥، دار الفكر للطباعة والنشر.
٦. تفسير ابن كثير، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط بلا.
٧. تهذيب اللغة للأزهري تحقيق رياض زكي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار المعرفة للطباعة، بيروت.
٨. الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٩. حاشية الكرمانى المسمى الكواكب الذراري على صحيح البخاري، ط١، ١٤١١هـ. دار الفكر.
١٠. دلائل النبوة لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، ط١، ١٤٠٩هـ، دار طيبة الرياض.
١١. سير أعلام النبلاء للذهبي، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م دار الفكر العربي وط١٠، ١٤١٤هـ مؤسسة الرسالة.
١٢. شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ط٩، ١٤٠٨هـ - المكتب الإسلامي، بيروت.
١٣. شرح النووي على صحيح مسلم، ط١، ٢٠٠١م، مؤسسة المختار القاهرة.
١٤. الصحاح في اللغة للجوهري، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥. صحيح البخاري، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦. صحيح مسلم، ط١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.



١٧. فتح الباري لابن حجر العسقلاني، طبع ١٣٧٩هـ، دار المعرفة بيروت.
١٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد الأندلسي الظاهري، دار الخانجي للنشر.
١٩. لسان العرب لابن منظور، طبعة سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م، دار صادر، بيروت، ط بلا
٢٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاري، ط ١٤٠٢هـ، الناشر: مؤسسة الخافقين دمشق
٢١. مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، ط بلا.
٢٢. النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط ١، ١٤٢٠هـ، دار أضواء السلف الرياض.
٢٣. الوجيز في عقيدة السلف، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ط ١، ١٤٢٢، الناشر وزارة الأوقاف السعودية.



د. بسام رضوان عليان

دكتوراه في الشريعة الإسلامية
كلية الدعوة الإسلامية، وزارة الأوقاف - غزة

مفهوم المعجزة والفرق بينها وبين الدلائل والكرامة

قدّمت هذه الخطة؛ للمشاركة في المؤتمر الدولي الرابع لأكاديمية الإمام البخاري الدولية،
لدلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء القرآن والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه، ضمن
المحور الأول: مفهوم دلائل النبوة والمصطلحات ذات الصلة، مفهوم المعجزة والفرق بينها وبين
الدلائل والكرامة.

الملخص:

يدرس البحث مفهوم المعجزة والفرق بينها وبين الدلائل والكرامة، ويهدف إلى:
١- بيان التعريف الدقيق لمصطلحات المعجزة والدلائل والكرامة.
٢- إبراز مصطلحات قرآنية محرّرة، والاستفادة منها في دراسة أوجه الإعجاز.
وإستخدام الباحث لتحقيق ذلك المنهج الوصفي التحليلي.
وقد أظهرت هذه الدراسة عدة نتائج، منها:
ظهر فروقٌ دقيقةٌ بين مصطلحات المعجزة، والدلائل والكرامة، خلط كثير من العلماء بين
هذه المصطلحات، دون مراعاة لدقة الفرق بينهم.
هناك أوجه تشابه دقيقة بين مصطلحات الدراسة الثلاثة، وهناك أوجه تشابه بين اثنين
منها دون الثالث، وهناك أوجه اختلاف دقيقة بين اثنين أو بين الثلاثة.
وقد أوصت الدراسة جميع الباحثين، والمختصين، والعلماء عموماً أن يولوا هذا الموضوع
أهمية بالغة، وأن يعطوه حيزاً كافياً من جهدهم؛ حتى يتعرف الناس إلى الدلالة الحقيقية
للمصطلحات المحرّرة في الإعجاز.

Abstract:

The research studies the concept of the miracle and the difference

between it and the evidence and dignity, and aims to:

1- Explanation of the precise definition of the terms miracle, evidence and dignity.

2- Highlighting edited Qur'anic terms and using them in studying the miracles.

The researcher used the descriptive analytical method to achieve this.

This study showed several results, including:

1- There have been subtle differences between the terms miracle, evidence and dignity. Many scholars have confused these terms, without taking into account the accuracy of the difference between them.

2- There are subtle similarities between the three study terms, and there are similarities between two of them without the third, and there are subtle differences between two or between the three.

The study recommended all researchers, specialists, and scientists in general to attach great importance to this topic, and to give it enough space for their efforts; So that people get to know the true significance of the liberated terms in the miracles

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

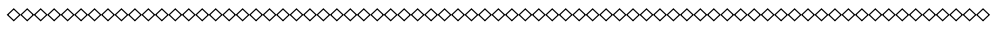
المقدمة

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين، وحجة على المعاندين، الذي أكمل به الدين، وختم به الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالقُرآن الكريم آية في البلاغة والإعجاز، ودقة في التعبير والألفاظ، وعظيم في الهداية والإرشاد.

وقد تحدى القرآن الكريم الجن والإنس قاطبة بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، لكنهم عجزوا وهزموا أمام هذا القرآن العظيم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

وإنَّ إعجاز القرآن الكريم يتعلق به مصطلحات يظنها كثير من الناس بمعنى واحد؛ ولكنها



مختلفة تماماً حينما نحررها، ومن هذه المصطلحات: المعجزة، والدلائل، والكرامة.

وإن هذه الدراسة التي أقوم بها تأتي في سياق بيان هذه المصطلحات الثلاثة من خلال تعريف كل واحد منها، ومعرفة أوجه الشبه، وأوجه الافتراق، مع بيان نماذج توضيحية لكل مصطلح منها.

لذا كان من الضروري طرق أبواب هذا الموضوع لمعرفة المفهوم الحقيقي لهذه المصطلحات، ومعرفة نماذج منها.

أولاً: أهمية الموضوع

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

- 1- الأهمية الكبيرة لتحرير مصطلحات: المعجزة، والدلائل، والكرامة.
- 2- التفريق بين مصطلحات: المعجزة، والدلائل، والكرامة يساهم في التعامل الصحيح مع بيان أوجه الإعجاز القرآني.
- 3- شمولية الدراسة ستثري بإذن الله تعالى للمكتبة الإسلامية شيئاً جديداً.

ثانياً: أهداف الدراسة والغاية منها

لدراسة أهداف وغايات، نذكر منها:

- 1- بيان التعريف الدقيق لمصطلحات المعجزة والدلائل والكرامة.
- 2- إبراز مصطلحات قرآنية محررة، والاستفادة منها في دراسة أوجه الإعجاز.
- 3- بيان أثر تحرير مصطلحات الإعجاز في التعامل الصحيح مع حقيقة الإعجاز القرآني وغاياته.

- 4- المشاركة في المؤتمر الدولي الرابع لأكاديمية الإمام البخاري الدولية بما يساهم في بيان أوجه الإعجاز القرآني في جانبه النظري والتطبيقي بالطريقة الصحيحة.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع

دفعني لاختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب والغايات، منها:

- 1- نيل الأجر والثواب من الله تعالى من خلال خدمة كتابه الكريم، والبحث فيه.
- 2- المشاركة في المؤتمر الدولي الرابع لأكاديمية الإمام البخاري الدولية، دلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء القرآن والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه، ضمن المحور الأول:

مفهوم دلائل النبوة والمصطلحات ذات الصلة، مفهوم المعجزة والفرق بينها وبين الدلائل والكرامة.

٢- مثلت أهمية الموضوع سبباً من أسباب اختيار الموضوع.

رابعاً: الدراسات السابقة

بعد البحث والتمحيص وجدت كثيراً من الأبحاث والكتب والدراسات التي تناولت هذا الموضوع من جوانب متعددة غير أن الذي يميز هذا البحث هو أنه يقوم على تحرير هذه المصطلحات الثلاثة بعد استيفاء قراءة تعريفات العلماء لهذه المصطلحات، ومن ثم وضع النماذج العملية المناسبة لهذه التعريفات المحررة.

خامساً: مشكلة الدراسة

تحدد مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس، وهو: ما مفهوم المعجزة والفرق بينها وبين الدلائل والكرامة؟

ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

١- ما تعريف المعجزة والدلائل والكرامة؟

٢- ما هي أوجه التشابه وأوجه الافتراق بين مصطلحات: المعجزة والدلائل والكرامة؟

٣- ما هي النماذج العملية للتمييز بين أوجه التشابه وأوجه الافتراق بين المعجزة والدلائل والكرامة؟

سادساً: منهج الباحث

منهجي في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي.

سابعاً: هيكلية الدراسة

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون هيكليتها مشتملة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، موزعة على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأهداف الدراسة والغاية منها، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومشكلة الدراسة، ومنهج الباحث، وهيكلية الدراسة.

المبحث الأول: تعريفات المعجزة والدلائل والكرامة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الدلائل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف الكرامة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أوجه التشابه والافتراق بين المعجزة والدلائل والكرامة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوجه التشابه بين المعجزة والدلائل والكرامة.

المطلب الثاني: أوجه الافتراق بين المعجزة والدلائل والكرامة.

المبحث الثالث: نماذج عملية للمعجزة والدلائل والكرامة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج عملية لمصطلح المعجزة.

المطلب الثاني: نماذج عملية لمصطلح الدلائل.

المطلب الثالث: نماذج عملية لمصطلح الكرامة

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

تعريفات المعجزة والدلائل والكرامة

من أعظم دلائل النبوة ما يؤتيه الله أنبياءه -عليهم السلام- من معجزات تخرق العادات، وتعطل نواميس الكون وسننه، ويعجز عن فعلها سائر الناس؛ وذلك تأييداً لهذا الذي أكرمه الله بالنبوة أو الرسالة، وتكريماً له، وشاهداً وبرهاناً على صدق ما جاء به من البيّنات والهدى.

المطلب الأول: تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً

أولاً: المعجزة لغة:

اسم فاعل مأخوذ من العجز، والفاعل (عَجَزَ) يدل على الضعف، وعلى مؤخر الشيء. عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي: ضعيف. وقولهم: إن العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه^(١).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٤/ ٢٢٢).

ومعنى الإعجاز: الفَوْتُ والسبق، يقال: أعجزني فلان، أي: فاتني، أو إذا عجزت عن طلبه وإدراكه^(١).

والتعجيزُ: التثبيط، وكذلك إذا نسبتَه إلى العَجَزِ^(٢). قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحج: ٥١).
قرأ ابن كثير وأبو عمرو البصري: (مُعْجِزِينَ).
وقرأ باقي العشرة: (مُعَاجِزِينَ)^(٣).

من قرأ: (مُعْجِزِينَ): فَالْمَعْنَى مَثْبُطِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، مِنَ الْعَجْزِ وَهُوَ نَقِيضُ الْحَزْمِ. وَمَنْ قَرَأَ (مُعَاجِزِينَ) فَتَفْسِيرُهُ مَعَانِدِينَ. وَقِيلَ: مَسَابِقِينَ^(٤).
وَالْعَجْزُ: الضَّعْفُ. تَقُولُ: عَجَزْتُ عَنْ كَذَا أَعْجَزْتُ بِالْكَسْرِ عَجْزًا وَمُعْجِزَةً وَمُعْجِزًا^(٥).
وَالْمُعْجِزَةُ: مَا أَعْجَزَ بِهِ الْخَصْمَ عِنْدَ التَّحْدِي، وَالْهَاءُ لِلْمِبَالِغَةِ، وَالْجَمْعُ مُعْجِزَاتُ^(٦).
وقد وردت مشتقات لفظ (عجز) في القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعاً^(٧).
وسيكتفي الباحث بما له علاقة بالبحث، وهي كما يأتي:

أَعْجَزْتُ: قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَنْوِيْلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ﴾ (المائدة: ٣١).

نُعْجِزُ، نُعْجِزُهُ: قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ (الجن: ١٢).

لِيُعْجِزَهُ: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلِلَّةٌ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٤٤).

يُعْجِزُونَ: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (الأنفال: ٥٩).
مُعَاجِزِينَ: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحج: ٥١).

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى (١/ ٢١٩).
(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٣/ ٨٨٤).
(٣) انظر: البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، ص ٢١٦.
(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى (١/ ٢١٩، ٢٢٠).
(٥) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٣/ ٨٨٣، ٨٨٤).
(٦) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٥١٦، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ص ١٤٩، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (١٥/ ٢١١).
(٧) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فواد عبد الباقي، ص.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (سبأ: ٥).

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (سبأ: ٢٨).

بِمُعْجِزٍ: قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأحقاف: ٣٢).
مُعْجِزِي: قال الله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣).
مُعْجِزِينَ: قال الله تعالى: ﴿ إِنْ مَاتُوا عَدُونَ لَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (الأنعام: ١٣٤).

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَدِينُونَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (يونس: ٥٢).

قال الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (هود: ٢٠).

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (هود: ٢٣).

قال الله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (النحل: ٤٦).

قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (النور: ٥٧).

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (العنكبوت: ٢٢).

قال الله تعالى: ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (الزمر: ٥١).

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الشورى: ٢١).

وبالنظر في هذه المشتقات للفظ (عجز) في هذه الآيات نلاحظ أن لفظه (معجزة) لم ترد مطلقاً في القرآن الكريم، وإلى هذا المعنى يشير د. نعيم الحمصي ويقول: «ولم يرد في القرآن لفظ معجزة أو إعجاز، وإنما جاء فيه ألفاظ (آية وبرهان وسلطان)، وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة، ولا تشمل معنى الإعجاز المفهوم منها، وإنما تدل على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد، وهذا الجزء يقابل كلمة الدليل أو الحجة، بمعنى أن حادثة من الحوادث هي دليل نبوة أحد الأنبياء أو دليل الألوهية، ولا يدل على أكثر من ذلك، أما كلمة معجزة فتدل على أمر خارق للعادة يكون دليلاً على نبوة أحد الأنبياء دون غيره، ويعجز غيره من الخلق عن الإتيان بمثله، ومن الصعب جداً أن نحدد الزمان أو المكان أو الأثر الذي استعملت فيه كلمة

معجزة أو إعجاز أول مرة بهذا المعنى الاصطلاحي الفني»^(١).

ويقول د. عمر الأشقر: «وقد أطلقنا عليها اسم (الآية) كما جاء بذلك القرآن الكريم، وهو اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواءً أقصد به التحدي أم لم يقصد»^(٢).

وبهذا يتبين دقة كلام الدكتور عمر الأشقر في أن الآية هي الأصل في بيان ما أعجز به الخصم عن الإتيان بمثله؛ ولكن اصطلاح العلماء القدامى والمعاصرين على كلمة المعجزة جعلت لها رواجاً، غير أن ذلك لا يلغي الأصل وهو الآية، ولست مع الأستاذ نعيم الحمصي فيما ذهب إليه من أن الآية تأخذ جزءاً من معنى المعجزة.

ثانياً: المعجزة اصطلاحاً:

تعددت آراء العلماء في تعريف المعجزة في الاصطلاح، سيذكر الباحث تعريفاً واحداً للمفسرين وتعريفاً آخر لأهل الكلام، وتعريفاً للسلف، وتعريفاً للمعاصرين.

١- تعريف المعجزة عند المفسرين، فقد عرفها الخازن بقوله: «أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدي»^(٣).

٢- تعريف المعجزة عند أهل الكلام، فقد عرفها الأشاعرة: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي يظهر على يد نبي، سالم من المعارضة»^(٤).

٣- تعريف المعجزة عند السلف، فالمعجزة عند ابن تيمية: هي علامات وبراهين من الله تدل على صدق النبي وأنه مرسل من عند الله تعالى^(٥)، والإنس والجن عاجزون عنها^(٦)، وتسميتها آية وبرهاناً وسلطاناً أولى من تسميتها معجزة أو أمراً خارقاً^(٧)؛ لأن التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها؛ فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، ولأن التعبير بالألفاظ المحدثة فيها إيهام واشتباه ونزاع^(٨).

٤- أما تعريفها عند العلماء المعاصرين، فقد عرفها الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، د. نعيم الحمصي، ص ٧، نقله عنه أ.د. عبد السلام اللوح في كتابه: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص ٤.

(٢) الرسل والرسالات، أ.د. عمر الأشقر، ص ١٢٢.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٢٥٣/٤).

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود (٢/ ١٢٧٩).

(٥) انظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٧٧٨).

(٦) انظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٨٦٤).

(٧) انظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٨٢٨).

(٨) انظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٨٧٦).

بقوله: «أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد مدعي النبوة على وفق مراده تصديقاً له في دعواه، مقروناً بالتحدي مع عدم معارضته، وذلك كله في زمن التكليف»^(١).

الخلاصة:

مصطلح المعجزة لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنة المطهرة، وإنما ظهر هذا المصطلح في وقت متأخر بعض الشيء عندما دوّنت العلوم، ومنها علوم العقائد، في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث.

لذا نجد أن القرآن الكريم قد استعمل كلمة (الآية) في صدد إعطاء الدلائل للرسول عليهم الصلاة والسلام لمحاكاة أقوامهم^(٢)، يقول تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٩).

كما استعمل القرآن الكريم تارة لفظة (البينة) كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةٌ لِّلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ (الأعراف: ٧٣)، والبينة: أي حجة ظاهرة للدلالة على صحة نبوتي^(٣).

وتارة يستخدم القرآن الكريم لفظة (البرهان)، يقول تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ (القصص: ٣٢). والبرهان الحجة القاطعة^(٤).

كما يأتي التعبير عن المعجزة أحياناً بالسلطان^(٥)، قال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصَدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا فَأَتُونَا سُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (إبراهيم: ١٠).

ولعل اختيار العلماء لهذا المصطلح بدلاً من (الآية) والكلمات الأخرى؛ لإزالة الدلالة المشتركة في الآية من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ (البقرة: ١٠٦)، وبين الآية بمعنى العلامة البارزة الدالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته^(٦) كما في قوله تعالى: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، أ.د. عبد السلام اللوح، ص ٦.

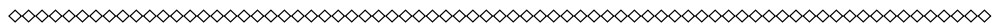
(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٢٩ / ١٢).

(٣) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (١٢٥ / ٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١١٥ / ٢٠).

(٥) انظر: النكت والعيون، الماوردي (١٢٦ / ٢).

(٦) انظر: تفسير القرآن، السمعاني (٣٨٨ / ١).



وَالْتَهَارَ لَأَيَّتِ لِأُولَى الْأَلْتَبِ ﴿ (آل عمران: ١٩٠) ، وبين الآية بمعنى البناء العالي^(١) كما في قوله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (الشعراء: ١٢٨) ، وكذلك الخروج من الدلالات المشتركة في الكلمات الأخرى^(٢).

وبناء على ذلك، فإنه يمكن تعريف مصطلح المعجزة بأنه: أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد مدعي النبوة، تصديقاً له في دعواه، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، وذلك كله في زمن التكليف.

المطلب الثاني: تعريف الدلائل لغة واصطلاحاً

أولاً: الدلائل لغة:

الدلائل جمع دليل، قال ابن فارس: «الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر: اضطرابٌ في الشيء. فالأول قولهم: دلّلتُ فلاناً على الطريق. والدليل: الأمانة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة»^(٣).

والدليل: ما يُسْتَدَلُّ به. والدليل: الدالُّ. وقد دلّه على الطريق يدُّله دَلالةً ودلالةً ودلولةً^(٤).

وقد وردت مشتقات من لفظ الدليل في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَاقُولِ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ (طه: ٤٠) ، وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ (طه: ١٢٠) ، وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (الفرقان: ٤٥).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ (القصص: ١٢) ، وفي قوله تعالى: ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّمَّزِقٍ ﴾ (سبأ: ٧) ، وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِمْ ﴾ (سبأ: ١٤) ، وفي قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ بَجَرَقٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴾ (الصف: ١٠)^(٥).

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢٢٨/٤).

(٢) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، أ.د. مصطفى مسلم، ص ١٧، ١٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٢٥٩/٢).

(٤) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (١٦٩٨/٤).

(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٢٠.

والمعنى في المواضع السبعة، هو: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كلاماً كان أو غير كلام^(١).

ثانياً: الدلائل اصطلاحاً:

الدليل: «هو المرشد إلى المطلوب والموصل إلى المقصود، ولا فرق بين أن يحصل العلم أو غلبة الظن»^(٢).

والدليل: «هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر... الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول»^(٣).

وأدلة صدق الوحي والنبوة هي: كل دليل يثبت أن القرآن الكريم من عند الله، ويثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويبرهن على صدقه^(٤).

المطلب الثالث: تعريف الكرامة لغة واصطلاحاً

أولاً: الكرامة لغة:

مشتقة من الفعل (كَرَّمَ)، «الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق. يقال: رجل كريم، وفرس كريم، ونبات كريم. وأكرم الرجل، إذا أتى بأولاد كرام. وكرم السحاب: أتى بالغيث. وأرض مكرمة للنبات، إذا كانت جيدة النبات... والأصل الآخر الكرم، وهي القلادة»^(٥).

وَكَرَّمَ كرامةً فهو كريم: أي عزيز فاضل^(٦). والكريم: اسم من أسماء الله تعالى، وهو الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه. وهو الكريم المطلق. والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. والكريم: الذي كَرَّمَ نَفْسَهُ عن التدنس بشيء من مخالفة ربه^(٧).

ثانياً: الكرامة اصطلاحاً:

«هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً. وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة»^(٨).

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي (٢٤ / ٤٦٤).

(٢) التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد بن الحسن الكَلَوْدَانِي (١ / ٦١).

(٣) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص ١٠٤.

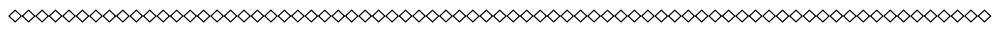
(٤) انظر: الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ص ٢٤، ٢٥.

(٥) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٥ / ١٧١، ١٧٢) باختصار.

(٦) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري (٩ / ٥٨١٥).

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤ / ١٦٧).

(٨) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص ١٨٤، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٢٨١.



وعرفها بعضهم بأنها: «أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح»^(٩).
فقولنا: أمر خارق للعادة: أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال.
وغير مقرون بدعوى النبوة: أخرج معجزات الأنبياء.
ولا هو مقدمة لها: أخرج الإرهاص وهو كل خارق تقدم النبوة.
ويظهر على يد عبد ظاهر الصلاح: أخرج ما يجري على أيدي السحرة والكهان فهو سحر وشعوذة^(١٠).

ومن هذا يتبين أن إطلاق الكرامة على خوارق الأولياء معنى اصطلاحى ليس موجوداً في الكتاب والسنة وإنما اصطلاح عليه العلماء فيما بعد وإن كان في مدلوله يرجع إلى ما تقرر في النصوص من الحق.

المبحث الثاني

أوجه التشابه والافتراق بين المعجزة والدلائل والكرامة

يركز هذا المبحث على بيان أوجه التشابه والافتراق بين المعجزة والدلائل والكرامة.

وقد مثل هذا المبحث توضيحاً لذلك، من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أوجه التشابه بين المعجزة والدلائل والكرامة.

هناك أوجه تشابه عدة بين المعجزة والكرامة، منها ما يلي:

١- كلاهما أمر خارق للعادة، أي: خرج به ما كان جارياً على سنن العادة، فإنه لا يعتبر هذا معجزة، ولا كرامة لولي، فلو أن رجلاً ادعى الولاية لله، وأراد أن يثبت ذلك للناس بكرامة له، فأخبر أن الشمس تطلع في اليوم المحدد في الوقت المحدد، وكان هذا الوقت هو موعد طلوعها الذي يعرفه الناس، ويعهدونه، فخرجت كما قال، فخرجت كما قال، فإنه لا يعد ذلك شهادة له بالولاية، ولا يعد كرامة له؛ لأنه ليس خارقاً للعادة، فلا يكون كرامة^(١١).

٢- كلاهما يثبت صدق صاحبه، فالمعجزة تثبت صدق النبي في دعواه، وكذلك الكرامة

(٩) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص ٢٠٢.

(١٠) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص ٢٠٢.

(١١) انظر: شرح العقيدة السفارينية - الدرر المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص ٥٥٥.

تثبت صدق الولي في صلاحه.

٣- كلاهما يدل أعظم دلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه فعال لما يريد، وأن له فوق هذه السنن والأسباب المعتادة سنناً أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدرکها أعمالهم^(١). فهما من فعل الله تعالى، ولا يد للنبي ولا للولي فيهما، بل ليس للنبي ولا للولي كسب في المعجزة والكرامة^(٢).

٤- إن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم، وسيرهم على هديهم^(٣).

٥- الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق. وإلا فالتكذيب بذلك أو إنكار شيء منه رد للنصوص ومصادمة للواقع وانحراف كبير عما كان عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين^(٤).

أما أوجه التشابه بين المعجزة والدلائل، فهو أن المعجزة تصبّ في ميدان الدلائل والأدلة على صدق الوحي والنبوة، إذ ثمره المعجزة هي إثبات صدق الوحي والنبوة.

أما أدلة صدق الوحي والنبوة فلا تصح أن تكون وجوهاً معجزة^(٥).

وقد أكد هذا الأمر الشيخ محمود شاكر حيث استدلل على ذلك بحقيقتين ونتيجة:

الحقيقة الأولى: أن إعجاز القرآن متمثل في البيان والنظم، لا بشيء خارج عن ذلك، وهو دليل النبي ﷺ على صدق نبوته، وعلى أنه رسول الله يوحى إليه هذا القرآن.

الحقيقة الثانية: أن إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن تنزيل من عند الله ليست دليلاً على أن القرآن الكريم معجز بهذا الجانب^(٦).

وترتب على هاتين الحقيقتين نتيجة هي: أن القرآن المعجز هو البرهان على صدق الوحي والنبوة، وأما صدق الوحي والنبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن.

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ويليهِ ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ص ٢٥٣.

(٢) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (٩٨٢ / ٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ويليهِ ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ص ٢٥٣.

(٤) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص ٢٠٤.

(٥) انظر: الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني، أ. د. عبد السلام اللوح، ص ١٠٧.

(٦) انظر: الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ص ٢٥، ٢٦.

المطلب الثاني: أوجه الافتراق بين المعجزة والدلائل والكرامة

هناك أوجه افتراق بين المعجزة والكرامة، من أهمها ما يأتي:

١- المعجزة تختلف عن الكرامة بأنها خاصة بالنبي، ولذلك سميت معجزة؛ لأنها مصحوبة بالتحدي، فالنبي يتحدى قومه أن يأتوا بمثله، ولذلك تحدى الله تعالى في كتابه أبلغ العرب وأفصحهم أن يأتوا بمثل هذه القرآن، أو بعشر آيات، أو بسورة، أو بآية، فما أفلح أبلغهم وأفصحهم وأبينهم وأعذبهم لساناً أن يأتي بآية واحدة تشبه آية من كتاب الله عز وجل، مع أن الله تعالى تحداهم في مجال مشهود لهم فيه بالكفاءة. ولذلك المعجزات لا تكون إلا للأنبياء، بخلاف الكرامة فإنها تكون للنبي ولغيره، لأن المعجزة ما هي إلا كرامة لهذا النبي، وإظهار لنبوته.

٢- المعجزة مصحوبة بالتحدي، وإلا فلن تكون معجزة، أما الكرامة فغير مصحوبة بالتحدي، وإلا كانت معجزة، ولذلك إذا أجرى الله تعالى كرامة على يد رجل صالح فلا يحل له أن يتحدى بها، وإلا كانت باباً عظيماً من أبواب فساد القلب لمن جرت على يديه هذه الكرامة، ويوشك أن تؤخذ منه، وأن يحرمها بقية حياته؛ لأنه لا يحل له أن يتحدى بها، بل الكرامة للأولياء والصالحين إنما هي محض فضل من الله عز وجل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٢٢).

فالنبي يصرح بالتحدي بها؛ لأن الله أيده بها حتى يعلم الناس صدق رسالته فيؤمنوا به، وأما الكرامة فهي لطف وكرم وتفضل وتمنن من الله تعالى لإظهار مكانة هذا المتعبد الناسك^(١).

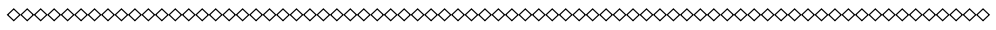
٣- النبي يختص بالعصمة دون الولي، فالمعجزة للنبي دليل على عصمته من الخطأ فيما أرسل من أجله؛ وهو التشريع. أما الولي فكرامته إنما تدل على صدق النبي الذي آمن به هذا الولي، واتبعه في شريعته، ولا تدل بحال على عصمته هو من أن يخطئ في بعض أعماله أو عباداته أو توجيهاته؛ لأنه لم يرسل ويصطف من الله -تعالى- لهذا الغرض كالنبي، وإنما هو مجتهد فيه، أما النبي فقد اصطفاه الله من عباده لهذا الغرض.

فالكرامة تدل على الولاية، لكنها لا تدل على العصمة؛ ومن هنا وجبت طاعة النبي مطلقاً، بينما لا تجب طاعة الولي مطلقاً، إلا فيما عليه دليل شرعي واضح^(٢).

فأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قدرة على التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم أو صرف شيء من الأموال والعطايا لهم.

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، ص ٦٢.

(٢) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة، عبد الرزاق عفيفي، ص ١٨٤.



٤- أن الكرامة تحدث بحسب حاجة الولي، فإذا احتاج إليها لتقوية إيمانه؛ جاءه منها ما يكفيه لتقوية إيمانه، أو احتاج إليها لفك ضيق عليه، أو على من يدعوله؛ جاءه من ذلك ما يفرج كربته ويجيب دعاءه، بخلاف المعجزات؛ فإنها لا تكون إلا لحاجة الخلق وهدايتهم^(١).

٥- الأصل في الكرامة الإخفاء والكتمان، وهذا يخالف المعجزة؛ لأن إظهارها واجب ليتم بها تبليغ الرسالة^(٢).

أما أوجه الافتراق بين المعجزة والدلائل، فهي كما يأتي:

١- الوجه المعجز هو الذي وقع من جهته التحدي، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فلم يقع منها التحدي أبداً.

٢- الوجه المعجز هو الذي يحقق المثلية الكاملة من حيث اللفظ والنظم والمعنى، أما أدلة صدق الوحي والنبوة لا تحقق المثلية الكاملة من حيث اللفظ والنظم والمعنى، وإنما تتعلق بالمعنى دون اللفظ ودون النظم.

٣- الوجه المعجز هو الذي يمثل العلة في عجز الخلق جميعاً عن معارضة القرآن بمثله، ولولا هذه العلة لجاءوا بمثله، وما استحال عليهم معارضته، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فهي لا تمثل العلة في هذا العجز للخلق جميعاً.

٤- الوجه المعجز متحقق في كل سورة من سور القرآن الكريم بلا استثناء، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فهي غير متحققة في كل سورة من سور القرآن الكريم، وقد جعل الله كل سورة معجزة قائمة مستقلة بذاتها عن غيرها من السور، فقد تجد سوراً كثيرة ليس فيها حقائق علمية، ولا أخبار غيبية، ولا قواعد شرعية، ومع ذلك لم تخل هذه السور من الإعجاز، مما يدل على أن الوجه المعجز شيء، والأدلة على صدق الوحي والنبوة شيء آخر^(٣).

المبحث الثالث

نماذج عملية للمعجزة والدلائل والكرامة

يبين هذا المبحث نماذج عملية لكلٍّ من: المعجزة والدلائل والكرامة، توضح الفرق بين كلٍّ منها، وذلك في المطالب الآتية:

(١) انظر: الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقايف (٨ / ٢١١).

(٢) انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص ٢١٥.

(٣) انظر: الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني، أ. د. عبد السلام اللوح، ص ١٠٦.

المطلب الأول: نماذج عملية لمصطلح المعجزة

تبين في تعريف المعجزة وأوجه الافتراق بينها وبين الدلائل والكرامة أن المعجزات تتوفر فيها شروط، منها: أنها خارقة للعادة، وأنها تظهر على يد مدعي النبوة، وأنها تصدق النبي في دعواه، أنها مقرونة بالتحدي، وأنها سالمة عن المعارضة، وأنها في زمن التكليف، وغير ذلك من الشروط، التي لا تنطبق إلا على علة الإعجاز عند النبي الذي ظهرت على يديه، وأذكر نموذجين للمعجزة، هما:

أولاً: المعجزة الحسية

وقد انقسمت إلى أقسام، منها:

المعجزة التركية، كالتي حدثت مع نبي الله إبراهيم عليه السلام، بعدم حرق النار، رغم توفر الدواعي، إلا أن الله تعالى خرق الأسباب وقوانين الطبيعة؛ لتصديق نبي الله إبراهيم عليه السلام في دعواه، قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (٦٨) قلنا ينار كوفي برداً وسلاماً على إبراهيم (٦٩) وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين (الأنبياء: ٦٨-٧٠)، أي: قال بعضهم لبعض لما أعيتهم الحيلة في دفع نبي الله إبراهيم عليه السلام، وعجزوا عن مجادلته، وضافت عليهم مسالك المناظرة: حرّقه؛ انصرافاً منهم إلى طريق الظلم والغشيم وميلاً منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان وعلى أي أمر اتفق؛ وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة، وافترض لا يبقى له مفرغ إلا المناصبة، ثم قالوا: وانصروا آلهتكم بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل وبتحريفه، إن كنتم عازمين على النصر، فجمعوا له الحطب الكثير، وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا إبراهيم عليه السلام، وجعلوه في النار، عندها قال الله تعالى: يا نار أبردِي برداً غير ضار، وسلمنا سلاماً، على إبراهيم عليه السلام، ولولم يقل (على إبراهيم) لما أحرقت نار ولا انتقدت، وأراد قومه به مكرًا، وهو التحريق فجعلهم الله تعالى أخسر من كل خاسر، ورددنا مكرهم عليهم، فجعلنا لهم عاقبة السوء، كما جعلنا لإبراهيم عاقبة الخير؛ لأنهم خسروا السعي والنفقة، فلم يحصل لهم مرادهم، وصار سعيهم برهاناً على بطلانهم، أو الأخسرين بمعنى الهالكين^(١).

فمعلوم أن ما حدث لإبراهيم عليه السلام كان أمراً خارقاً للعادة، ظهر على يد نبي الله إبراهيم، وكان فيه تحدٍّ ضمني، وكان ذلك تصديقاً له في دعواه، ولا شك أنه سالم عن المعارضة، وأن ذلك كان في زمن تكليفه بالرسالة، وأنه مستشهد به على الله تعالى، فجاز إطلاق ذلك الجانب

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، ٣٤٧/٨، ٣٤٨.

التركي، من عدم إحراق النار معجزةً.

المعجزة الفعلية، كمعجزة نبي الله عيسى عليه السلام، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩)، قال السعدي: «ثم ذكر له كمالاً آخر، وفضلاً زائداً على ما أعطاه الله من الفضائل، فقال (ورسولاً إلى بني إسرائيل)، فأرسله الله إلى هذا الشعب الفاضل الذين هم أفضل العالمين في زمانهم يدعوهم إلى الله، وأقام له من الآيات ما دلهم أنه رسول الله حقاً، ونبية صدقاً ولهذا قال (أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين) طيراً، أي: أصوره على شكل الطير، (فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) أي: طيراً له روح تطير بإذن الله، (وأبرئ الأكمه) وهو الذي يولد أعمى (والأبرص) بإذن الله (وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين)، وأي آية أعظم من جعل الجماد حيواناً، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضاً؟ فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان»^(١).

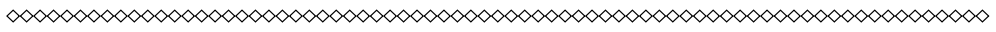
ويلاحظ أن الشيخ عبد الرحمن السعدي قد أخذ بعين الاعتبار شروط المعجزة، وذكرها ضمن كلامه عن معجزات نبي الله عيسى عليه السلام، ويضاف إلى ما ذكره الشيخ أن التحدي شرطٌ ضمني، دون تصريح بألفاظ مباشرة له.

ثانياً: المعجزة المعنوية

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «ونقول: إن معجزة محمد ﷺ كانت القرآن، لقد أجرى الله تعالى على يديه خوارق وعادات أخرى، مثل: إخباره عن بعض ما يغيب عن حسه، ومثل حنين الجذع إليه، ومثل بكاء الناقة عنده، ومثل الإسراء والمعراج، ولكن لم يتحد إلا بالقرآن الكريم، ولم ير المشركون صرحاً شامخاً يتحداهم به سوى القرآن الكريم»^(٢)، ويقول -أيضاً-: «تلك المعجزة الخالدة هي القرآن الذي يتحدى الأجيال كلها أن يأتوا بمثله، ولو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، كما ذكر الله عز وجل في محكم

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٢١.

(٢) المعجزة الكبرى القرآن، ص ١١.



التزليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو حجة الله على خلقه، وحجة النبي ﷺ في رسالته، وسجل الشريعة المحكم في بيانه، وهو المرجع عند الاختلاف، والحكم العدل عند الافتراق، وهو الطريق المستقيم المرشد عن الاعوجاج، من سلكه وصل، ومن لجأ إليه اهتدى^(١).

المطلب الثاني: نماذج عملية لمصطلح الدلائل

معلوم أن الدلائل هي تلك الأشياء التي تثبت صدق الوحي والنبوة، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)، وهذه الدلائل لا تتضمن شروط الوجه المعجز سابق الذكر، ومن نماذج هذه الدلائل ما يأتي:

أولاً: الأدلة العلمية الكونية

وقد ورد ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۗ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۗ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۚ ۝٨ يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ ۚ ۝٩ فَأَلْهَمَ لهُمِن قُوَّةٍ ۚ وَلَا نَاصِرٍ ۚ﴾ (الطارق: ٥-١٠).

الحقيقة العلمية: السائل المنوي أشبه ما يكون بماء عديد النطف ولا يقوم بتخصيب البويضة مجهرياً إلا حيوان منوي واحد يماثل في عالم المراثيات بالعين المجردة نطفة (قطرة) من ماء، وتجتمع الأصول الخلوية للخصية في الذكر أو المبيض في الأنثى في ظهر الأبوبن خلال نشأتهما الجنينية في عضو تناسل مشترك Gonad ثم يخرج كل منهما من منطقة بين بدايات العمود الفقري (الصلب) وبدايات الضلوع (الترائب) ليهاجر المبيض إلى الحوض بجانب الرحم وتهاجر الخصية إلى كيس الصفن حيث الحرارة أقل وإلا فشلت عند البلوغ في إنتاج الحيوانات المنوية، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۗ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۗ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۚ ۝٨ يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ ۚ ۝٩ فَأَلْهَمَ لهُمِن قُوَّةٍ ۚ وَلَا نَاصِرٍ ۚ﴾ (الطارق: ٥-١٠)؛ الماء الدافق تعبير وصفي للمني؛ لأنه سائل كالماء في تعدد القطرات ولكن مكوناته تتدفق وتتحرك بنشاط ويصدق عليها الوصف باسم الفاعل (دافق) لدلالته على الحركة الذاتية، وتستقيم عودة كل الأوصاف على الإنسان والوصف، (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) يبين موضع خروج الذرية بينما يبين موضع تكونها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، وقوله: ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمُ﴾ (النساء: ٢٣)، ولم

(١) المعجزة الكبر القرآن، ص ١١.

يتضح ذلك إلا بعد أبحاث مضمّنية أعقبت اكتشاف المجهر^(١).

إنّ مثل هذه الحقيقة العلمية الكونية غايتها إثبات صدق الوحي والنبوة، وليس تلك العلة التي وقفت سداً منيعاً أمام معارضة القرآن.

ثانياً: الأدلة الغيبية

من نماذج ذلك ما قاله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢)، أي: «سيقول بعض الخائضين في قصتهم عن عددهم: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، وكلتا الطائفتين إنما قالت ما قالته تبعاً لظنها من غير دليل، ويقول بعضهم: هم سبعة وثمانهم كلبهم، قل أيها الرسول: ربي أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل ممن علمهم الله عددهم، فلا تجادل في عددهم ولا في غيره من أحوالهم أهل الكتاب ولا غيرهم إلا جدالاً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تقتصر على من نزل عليك وحي بشأنهم، ولا تسأل أحداً منهم عن تفاصيل شأنهم، فإنهم لا يعلمون ذلك»^(٢)، ولا شك أن الله تعالى وحده الذي يطلع على ما في القلوب، وقد ثبت قولهم ذلك، فدل ذلك على صدق الوحي والنبوة.

المطلب الثالث: نماذج عملية لمصطلح الكرامة

كما ورد ذلك في قصة مريم بنت عمران، أم عيسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنادى بها من تحنها ألا تحزني قد جعل ربك تحنك سرياً ﴿٢٤﴾ وهزى إليك يجذع النخلة تسقط عليك رطباً جنياً ﴾ (مريم: ١٦-٢٥)، أي: «واذكر يا محمد في القرآن مريم

(1) <https://www.ejaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences-191/Genesis-Atomic-scientific-evidence>

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ص ٢٩٦.

البتول وخبرها الصحيح الذي يتضمن ولادتها لعيسى ابنها عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل، ونفى الولد عن الله عز وجل، نشأت مريم بنت عمران في بيت كريم ونسب شريف، ونشأت عفيفة طاهرة فلما شبت وترعرعت تحت عناية الله ورعايته، وبلغت مبلغ النساء كان منها أن انتبذت أهلها، وجلست وحدها في خلوة للعبادة أو لقضاء بعض حاجاتها وكان ذلك في مكان جهة الشرق (ومن هنا اتخذ المسيحيون قبلتهم ناحية الشرق)، وبينما هي في خلوتها إذ بجبريل روح القدس يتمثل لها بشرا سويا تام الخلقة مستوى الخلق لم ينقص منه شيء في رجولته، فلما رآته على هذا الوضع قد اخترق عليها حجابها. ظنت به سوءاً أو أنه يريد بها شراً فقالت له إني أعوذ بالرحمن منك وألتجئ إلى الله أن يقيني شرك، ما كنت يا هذا رجلاً نقياً، وهذا دليل على عفافها وورعها؛ حيث تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفاتنة وكان تمثيله بتلك الصورة ابتلاء من الله لها وسبراً لعفتها، قال جبريل لها: إنما أنا رسول ربك الذي تستعيزين به، جئت لأهب لك غلاماً زكياً طاهراً، قالت مريم: أنى يكون لي غلام؟ والحال أنى لم يمسنى بشر في زواج شرعي، ولم أك بغياً من البغايا!! وسؤالها هذا لم يكن عن استبعاد لقدرة الله، ولكن أرادت متعجبة كيف يكون هذا الولد؟ هل هو من قبل زوج تتزوج في المستقبل أم يخلقه الله ابتداء؟ قال الملك: الأمر كذلك (والمشار إليه أنى يكون لي غلام؟) قال الله: هو على هين وقد خلقناه على هذا الوضع لنجعله آية للناس حيث يستدلون بخلقه على كمال القدرة، وتمام العظمة لله تعالى، وكان رحمة منا للخلق، وهكذا كل نبي يهدي الناس إلى الخير، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم، وكان ذلك المذكور أمراً مقضياً ومقدراً من الله، اطمأنت مريم إلى كلامه فدنا منها، ونفخ في جيب درعها أي نفخ في فتحة قميصها من أعلى، ووصلت النفخة إلى بطنها، وتحت عن أهلها قاصدة مكاناً قصياً بعيداً فألجأها المخاض متجهة إلى جذع النخلة لتستر به، وتعتمد عليه عند الولادة قالت: يا ليتني مت قبل هذا الحادث، وكنت شيئاً منسياً، تراها تمت الموت خوفاً من أن يظن بها السوء في دينها، أو يقع أحد بسبها في البهتان، فتأداها جبريل من تحتها إذا كانت هي على مكان مرتفع وقيل الذي ناداها هو عيسى الوليد، ناداها بالأحزني ولا تتألومي، فهذه آية الله الدالة على أن الأمر خارق للعادة، وأن لله في خلقه شؤوناً. فها هو ذا قد جعل لك ربك تحتك نهراً يفيض بالماء بعد أن كان جافاً، وحركي جذع النخلة اليابسة تتساقط عليك رطباً جنياً شهياً، أليست هذه أمارات الرضا؟ ودليلاً على أن الله معك ولن ينساك يا مريم»^(١).

إن ما حدث لمريم رضي الله عنها كان كرامة؛ لأنه خارق للعادة، ظهر على يد امرأة سالحة، تصديقاً لها، وهو ليس مقروناً بالتحدي.

(١) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ٤٥١/٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه بعد الدراسة في موضوع مفهوم المعجزة والفرق بينها وبين الدلائل والكرامة، ظهرت أهم النتائج والتوصيات، وذلك فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج

ظهر فروقٌ دقيقة بين مصطلحات المعجزة، والدلائل والكرامة، خلط كثير من العلماء بين هذه المصطلحات، دون مراعاة لدقة الفرق بينهم.

وضح للمطالع على هذا البحث أن هناك فرقاً واضحاً بين المعجزة مكتملة الأركان للوجه المعجز، وبين الدلائل المثبتة لصدق الوحي والنبوة.

هناك أوجه تشابه دقيقة بين مصطلحات الدراسة الثلاثة، وهناك أوجه تشابه بين اثنين منها دون الثالث، وهناك أوجه اختلاف دقيقة بين اثنين أو بين الثلاثة.

ظهر من خلال التمثيل لنماذج المعجزة أن التحدي ضمناً كما في بعض المعجزات الحسية، أو تصريحاً كما في معجزة القرآن إنما هو أساس التكلم عن المعجزة إضافة إلى أنها تظهر على يد مدعي النبوة، تصديقاً له في دعواه.

الدلائل على صدق الوحي والنبوة لا حاجة إلى تسميتها وجهاً معجزاً؛ لأن هذا يوقع في خطأ، بسبب عدم اكتمال شروط الوجه المعجز.

وضح من خلال التمثيل لنماذج المصطلحات الثلاثة أن القرآن الكريم حافل بهذه المصطلحات.

ثانياً: التوصيات

رسالة إلى جميع الباحثين، والمختصين، والعلماء عموماً أن يولوا هذا الموضوع أهمية بالغة، وأن يعطوه حيزاً كافياً من جهدهم؛ حتى يتعرف الناس إلى الدلالة الحقيقية للمصطلحات المحررة في الإعجاز.

أوصي الجامعات ومراكز البحث العلمي أن يقيموا ندوات علمية تبين عظيم التفسير العلمي للظواهر الكونية، والحقائق الغيبية، وكافة العلوم التي تدل على صدق الوحي والنبوة، وتثبت دون حاجة إلى خلط بينه وبين المعجزة، أو الكرامة.

فهرس المصادر والمراجع

أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٢١هـ.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والأولى أن يسمى الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، أ.د. عبد السلام حمدان اللوح، منشورات مكتبة آفاق، غزة- فلسطين، ط: ٣، ١٤٢٨هـ- ٢٠١٧م.
البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة - القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م.

التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، (المتوفى ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن- الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد- بيروت، ط: ١٠، ١٤١٣هـ.

التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكَلَوْدَاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: مفيد محمد أبو عمشة (الجزء ١ - ٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (الجزء ٢ - ٤)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى (٢٧)، ط: ١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٢٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م.

التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٢١هـ)، عالم الكتب ٢٨ عبد

الخالق ثروت-القاهرة، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٢١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار الصميعة (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية)، ط: ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

الرسال والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفاثس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: ٤، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طبية - السعودية، ط: ٨، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

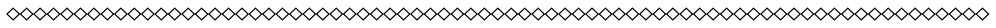
شرح العقيدة السفارينية - الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ.

شرح العقيدة الواسطية، ويلييه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هراس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، ط: ٣، ١٤١٥هـ.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليميني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري- مطهر بن علي الإيراني- د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

الظاهرة القرآنية، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تحقيق:



(إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر - دمشق سورية، ط: ٤، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

العقائد الإسلامية، سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.

فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة، عبد الرزاق عفيفي.

فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري الفنجوي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعاه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني نظرات جديدة في إعجاز القرآن، أ.د. عبد السلام حمدان اللوح، مكتبة أفاق للطباعة والنشر، غزة - فلسطين، ط: ١، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، دار القلم - دمشق، ط: ٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٢٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط: ٣، ١٤٣٦هـ.

المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.

الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

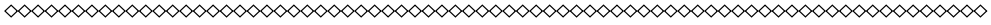
موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود.

النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

<https://www.ejaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences/191-Genesis-Atomic-scientific-evidence>



د. عبد الكريم جيدور

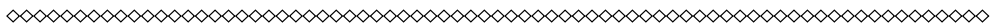
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر
وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر، ورقلة

جُهودُ شيخ الإسلام مصطفى صبري في إثبات صدق الرّسالة المُحمديّة:

دراسةٌ حول منهجه في ردِّ شبهة تأويل المعجزات

ملخص البحث:

الغاية من هذه الدراسة التعريف بمنهجية شيخ الإسلام العلامة مصطفى صبري في مواجهة التيارات الفكرية المتعاضمة التي ظهرت في زمانه، وتضافرت على إنكار الأديان وتعطيل النبوات وتسخيف الإيمان بالمعجزات واليوم الآخر وكل ما يدخل في علم الغيب. وقد تظهر أهمية هذه الدراسة من تميّز المنهج العلمي، ونضوج الموقف العقلي، في الردود الوافية والآراء النقدية الضافية التي وجهها الإمام مصطفى صبري لكل الجهات التي أنفقت أموالها وأفنت أعمارها في مضاهاة الإسلام ومعاداة رسول السلام؛ فقد وجه اعتراضات قوية نافذة لكل من أنكر معجزات الأنبياء، وهم على ثلاثة آراء؛ أولها: منكر بالجملة والتفصيل لا يريد الحجة ولا يسمع للتعليل، كضريد وجدي وهيكل باشا وتوفيق الطويل وتوفيق الحكيم. ثانيها: منكر جل المعجزات مثبت بعضها، كالذين قالوا إن المعجزة الوحيدة هي القرآن الكريم، وما سواه شبه لا معجزات. ثالثها: منكر يتأولها تأويلات تسوغها العقول وتتسجم مع أصول المنهج العلمي الغربي الحديث. كالذين قالوا إنما هي عبقرية فذة، يفسرها التحليل النفسي العميق، أو هي بطولة عظيمة نادرة يكشفها التحقيق التاريخي الدقيق. وقد وجدنا أن موقف الإمام مصطفى صبري في الرد على هؤلاء يتلخص في الأصول الآتية: أولاً: التأكيد بأن معجزات الأنبياء أصل من أصول الدين، فمن أنكره يوشك أن يهدم الدين من قواعده. ثانياً: التأصيل العلمي الكلامي لمسألة كون المعجزات خارقة، وذلك بالتمييز بين خرق العادات والكونيات وهو ممكن لا يُعجز الخالق البارئ سبحانه وتعالى فعله لحكمة عالية. وبين خرق العقل وهو مستحيل بالنسبة للأصول والبيدهيات التي تسالم



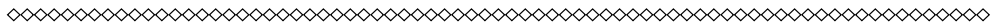
العقلاء عليها. ثالثاً: رفض تأويل المعجزات، لأن المعجزة إذا ما أُوتت فقدت صفة الإعجاز، فالحكمة الأصليّة من إحداثها أن يكون في مخالفتها لنواميس الكون المعهودة تبيّحت للطاعين وتثبّيت للمؤمنين. رابعاً: رفض التأويلات الفكرية التي تتماهى مع النظريات الفلسفية الغربية والتمويهات الإستشراقية، كالتّي تعتبر معجزات الأنبياء خوارق طبيعية، أو تدعي أنهم عباقرة ليسوا في حاجة إلى معجزات. وسنحاول في هذه الدراسة تفصيل منهجية الإمام مصطفى صبري في النقاط الأربعة المذكورة، مع الإشارة إلى سلوكه الفكري في الرد عليها، وطريقته الخاصة في تنظيم الأفكار.

الكلمات المفتاحية:

جهود؛ شيخ الإسلام؛ إثبات؛ صدق؛ تأويل المعجزات.

Abstract:

The main object of this study is to introduce the methodology using by Sheikh Al-Islam, the knowledgeable scholar Mustafa Sabri, facing growing intellectual tendencies that appeared in his time, which allied itself aiming of denying religions, disrupt prophets, ridicule belief in miracles and day of judgment, and reject any kind of knowledge associate with the unseen world. The importance of this study emerges from the distinction of the Sheikh's approach in his detailed responses to all sides and fronts that declared hostility against Islam and against the Messenger Muhammad (PBUH), and against the miracles of the prophets. They were of three opinions; the first of them rejects a «complete rejection», either in detail or as a whole, they does not want the argument, and does not listen to the explanation, such as: Farid Wajdi, Haykal Pasha, Tawfiq al-Taweel, and Tawfiq al-Hakim. The second: denial of most miracles, some of which are proven, such as those who said that the only miracle is the Noble Qur'an, and all other than it are likenesses, not miracles. The third: deniers who made efforts to interpret miracles, provided that these interpretations must conform to the principles of reason and modern logic, in harmony with the origins of the modern Western scientific method. For example: saying that a miracle is a unique genius, it can be explained by psychoanalysis, or it is a rare great heroism revealed by careful historical investigation. Sheikh Mustafa Sabri's response can be summarized in the following four principles; First: the assertion that the miracles of the prophets are one of the fundamentals of the religion, and whoever denies it is about to destroy the religion from its foundations. Second: rooting the concept of



«miracles breaking the everyday habit» by relying on the arguments of Islamic theology, by differentiating between breaking habits, and transcend the universal principles of reason. it is known that the first is possible, while the second is impossible. Third: refusal to interpret miracles, because if a miracle is interpreted, it loses the attribute of miraculousness. Fourth: rejection of intellectual interpretations that identify with Western philosophical theories, orientalist fallacies; such as those that consider the miracles of the prophets supernatural, or claim that they are geniuses who do not need miracles at all. In this study, we will try to detail the methodology of Imam Mustafa Sabri in the four mentioned points, with reference to his intellectual behavior in response to them, and his own way of organizing ideas.

key words:

efforts; sheikh Al-Islam; proof; sincerity; interpretation of miracles.

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى المساهمة في الجهود العلمية والأكاديمية الرامية إلى تطوير الوسائل العقلية والتربوية المُعِينة على إظهار السنة النبوية المشرفة في حلة تناسب بهاءها وطُهرها وفضلها على العالمين، وهي محاولة في الوقت نفسه، لنفض طبقات متراكمة من أغبرة الشكوك والظنون السيئة والأكاذيب التي نسجت حول صاحب الرسالة الخاتمة، النبي الأمي الذي بذل نفسه ومُهجته لسعادة الناس، وخلصهم من حياة الضنك والضييق والاكْتئاب، بمنحهم فرصة لحياة طيبة في كنف الإسلام والإيمان والإحسان، يَلْقَوْنَ بعدها ربا كريما رحيفا يثيبهم على حسن ظنهم وجميل صبرهم. وكان شيخ الإسلام مصطفى صبري التوقادي واحدا من العلماء الأعلام الذين دافعوا عن الجناح المحمدي الطاهر دفاعا قويا مُفحما، لم يُثْبِتْهُ عن إتمامه ترغيب ولا ترهيب، فكانت سيرته الذاتية ومواقفه العلمية متطابقة متناسقة، كأنها استلهاهم مباشرة من السيرة النبوية المشرفة. وسيجد قارئ هذه الدراسة محاولة للتعريف بجهود هذا الشيخ الجليل في رد الأكاذيب والافتراءات التي حاولت إسقاط مقام النبوة، والسخرية من معجزات الأنبياء، واستبدال علومهم العلوية اللدنية المباركة، بمخرجات ركيكة ممجوجة صنعتها يد المكر والعداوة المستميتة في معاهد الغرب ومعامله. ولقد ألبست هذه البضاعة الكاسدة لبوس العلم الدقيق، وغطيت بغطاء المنهج التجريبي الوثيق، وكتبت بلسان عربي أدبي أنيق. ومع ذلك كله، لم تقدر على النفوذ من غربال العالم المسلم المحقق المدقق، الشيخ مصطفى صبري، الذي واجهها بنفس الأسلوب، فكان يركز انتقاداته وإيراداته الصائبة على دوافع تلكم الأفكار،

وعلى والأبيادي الخفّية الخلفيّة التي تحركها وتلعب بعقول مصدقيها.

المبحث الأول: نبذة عن شيخ الإسلام مصطفى صبري ومقومات فكره ومشروعه الإصلاحية:
هو العالم الجليل مصطفى صبري بن أحمد بن محمد القازأبادي التوقادي^(١)، نسبه في الأسر التركية الأناضولية مشهور ضارب الجذور^(٢)، واسمه مركب: (مصطفى صبري) وتركيب الأسماء من عادات الأتراك الحميدة. ولد في مدينة توقاد من قرى الأناضول، موافقا ليلة المولد النبوي الشريف عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م^(٣). وسرعان ما ظهرت علامات نبوغه وذكائه المفطر؛ فحفظ القرآن الكريم وجوده وهو دون العاشرة، وتلقى علوم الشريعة، وعلوم الآلة على مشايخ بلدته توقاد، ثم ارتحل إلى قيصرية، وكانت حينئذ حاضرة علمية، فأخذ عن علماءها ما زاده فقها وضلوعا في العلوم العقلية والنقلية. وأهله ذكأؤه وسرعة استيعابه، مع تزكية شيوخه وثنائهم عليه، أن ينتقل إلى الآستانة، حيث احتفى به وكيل درس مشيخة الإسلام العلامة (أحمد عاصم الكوملجنوي)، وقربه غاية القرب، وزوجه ابنته^(٤) لما شهد عليه من علامات الصلاح والورع وصلاح الظاهر والباطن. انتدب للتدريس في جامع السلطان محمد الفاتح وسنّه وقتئذ دون الثنتين والعشرين، ولم يكن هذا المنصب يُمنح إلا لأكابر العلماء ذوي الباع الطويل والتجربة المديدة. فبرزت حلّته، وكثر تلاميذه، فاختر للإمامة والتدريس في (جامع الآثارية) الكبير في منطقة بشكطاش، وانتخب مدرّسا للتفسير في كلية الإلهيات بجامعة الآستانة، إلى أن عُين سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م مدرسا للحديث النبوي الشريف في المدرسة السلمانية. وكان له في كل المناصب التي تبوأها جهد كبير وأثر جلي في التربية والتعليم والحرص الشديد على تكوين شباب الأيّمة والعلماء.

وكان قد اختير منذ زمن مبكر (منذ ١٣١٦هـ/١٨٩٨م) وعنده ثلاثون سنة أو أقل، ليكون خطيبا في (دروس الحضور الرمضانية) التي أنشأها السلطان عبد الحميد الثاني، وكان يحضرها السلطان بنفسه^(٥). وسرعان ما لفت انتباه السلطان، فعينه قيما على مكتبته الخاصة،

(١) شيخ الإسلام مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢ (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ٧١/١. ملاحظة: سيشار إلى هذا المصدر لكثرة تكرره لاحقا (موقف العقل).

(٢) شيخ الإسلام مصطفى صبري، النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة. تح: محمد محمد حسين وحسن السماحي سويدان، دار البيارق، عمان، الأردن. ط١ (١٤١٨هـ/١٩٩٨م). ص٩٨.

(٣) موقف العقل، ٢٨٨/٤.

(٤) موقف العقل، ١/١.

(٥) كانت دروسا علمية حقيقية، للاحقة للتفاخر والتمظهر، وكان لها نظام فريد مفيد، قائم على عرض المسائل الشرعية ثم مناقشتها باستفاضة وتفصيل، وإذا عنت مسألة حكومية أو إدارية أو شرعية تحتاج إلى مزيد بسط وتأصيل، يُكلف أحد أعضاء مجلس الدروس (وهم خمسة عشر عالما من الصف الأول) لبحثها وتحقيق الكفاية من فهمها وفتورها. وقد ألغيت =

وهي صرح غني بأنفس الكتب وأنفعها، ولا شك أن الشيخ مصطفى صبري نهل من مصنفاتها الكثيرة ما أكسبه سمات: الموسوعية والتنوع والاطلاع على الأدب العربي والفكر الغربي. وما لبث أن انضم إلى سلك كتاب السلطان، وعين مديرا للقلم السلطاني، ونال عن جهوده ميدالية ذهبية ووساما مجيديا من الدرجة الرابعة. كما انضم منذ سنة (١٣٢٢هـ/١٩٠٥م) إلى لجنة تدقيق المؤلفات الشرعية^(١). وكان أول رئيس (للجمعية العلمية الإسلامية)، بإجماع كل العلماء المؤسسين^(٢)، وقد تأسست الجمعية في النصف من شهر رجب سنة (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م). واختير سنة (١٣٢٦هـ/١٩١٨م) عضوا في دار الحكمة الإسلامية، وهي أكبر تجمع علمي وعلمائي في الخلافة العثمانية، تابعة لمشيخة الإسلام.

عيّن شيخا للإسلام في السلطنة العثمانية أربع مرات. وشاء الله تبارك وتعالى أن يكون رجل مثله في ذلك المنصب الشريف، ليقول كلمة الحق ويصدع بها. ومشيخة الإسلام في الدولة العثمانية العلية لم تكن منصبا دينيا يقوم على الإفتاء والاجتهاد الشرعي فحسب، بل كانت منصبا سياسيا له قوة تأثير ونفوذ كبير.

وكان للشيخ مصطفى صبري نشاط سياسي قوي، لا يقل أبدا عن اجتهاده العلمي وعطائه التعليمي. وقد انطلق نضاله السياسي من قناعاته الراسخة بأن شؤون الحياة لا تنفصل بعضها عن بعض؛ فالمجتمع يحتاج التربية والتوعية، والتوعية تحتاج سلطة وقوة تضبطها، والسلطة تحتاج فقها واعيا يرشدها إلى الحلال ومسالكه، وينبهاها على الحرام ومهالكه. وكان الشيخ يرى أن دخول العالم المسلم معترك السياسة فرض شرعي، لأنه يجب أن يكون مطلعا على دقائق الواقع، وتفاصيل الحكم، إذا كان يريد أن يصوغ للأمة ولحكماها حُكما شرعيا يوصل إلى إقامة الشريعة الغراء بيضاء سمحاء نقية؛ لأنه إن غفل عن أثر هذه الأمور يوشك أن يُفتي بما يغضب الله تعالى أو بما يكذب به الله ورسوله. قال في كتابه: النكير على منكري النعمة: «اعلم أن الأمور منتهية إلى السياسة، ومنها يستفيد كل شيء قوة الوجود في الخارج ابتداءً وبقاءً، وأن المساعي المتعلقة بمصلحة العامة إن تجردت عن السياسة تذهب هباء وهواءً، وكل نصيحة لا تؤيدها السياسة فهي بمنزلة تضرع العاجز»^(٣). وكان رحمه الله تعالى شديد الإنكار على العلماء الذين فضلوا الاعتزال،

= هذه السنة الطبية، ويا للأسف، زمن الحكم الجمهوري بالقرار رقم (٣٤١م) الصادر في رجب ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م. ينظر: مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي. سلسلة أعلام المسلمين، ع: ٩٢. دار القلم، دمشق، ط١ (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ص ٨٥.

(١) مجلة الهداية الإسلامية، مج ٤، ج ٨، محرر (١٣٥١هـ) ص ٣٢٤.

(٢) قام على تأسيس الجمعية مئة وثلاثة عشر عالما، وبعد الانتخاب السري، نال الشيخ مصطفى صبري ثقة مئة واثنى عشر صوتا، فلم يبق إلا صوته هو، وليس بعد هذا الإجماع إجماع. القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي، ص ٨٧.

(٣) النكير على منكري النعمة، ص ١٣٠.



ودعوا عامة المسلمين إلى الاشتغال بأنفسهم، وقال إن ذلك من العجز والوهن الذي يبْطِر الحكام ويطلق أياديهم بالسوء. وأن يُنكر المرء المنكر بيده أو بلسانه أو بقلبه، حسب مرتبته وقدرته، هو فرض عين لا يسقط على أحد من المكلفين، ناهيك بالعلماء العاملين، وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في موعظته البليغة على وجوب النصح والتناصح^(١).

إن الكلام عن هذا العالم المجد المجتهد له تشعبات وتفرعات كثيرة يقصر عنها المقام في هذه الدراسة المقتضبة، ولعل أكبر دليل على مكانته العلمية والأدبية والدعوية شهادات صادقة منصفة أقر له بها أقرانه ومعاصروه سجية دون تكلف ولا تملق؛ فقال عنه شيخ الأزهر العلامة محمد الخضر حسين إنه عالم الدنيا والعالم العالمي^(٢)، الذي حمل هموم الأمة الإسلامية، وأثقال الخلافة العثمانية^(٣). ووصفه الأديب الكبير محب الدين الخطيب بفحل الفحول الصائل. وأثنى عليه وكيل مشيخة الإسلام العلامة المجتهد زاهد الكوثري كثيرا، ومن كلماته قوله: «هو قرة أعين المجاهدين». وكان حقا النذير العريان (كما وصفه محمد رجب البيومي، أحد تلامذته في مصر) الذي أدرك الكارثة المقبلة على الأمة من بعيد، ورأى قومه في غفلة عنها، ولهو ولعب، فذاهم بنفسه وماله ووطنه، لينذرهم وليُعذر من نسفه عند الله وعند رسوله^(٤).

ومن الإنصاف بمكان أن يقال إن شيخ الإسلام: العالم الفقيه الأصولي مصطفى صبري التوقادي واحدٌ من البقية القليلين الذين أثنى الله تبارك وتعالى على ثباتهم وحكمتهم وإخلاصهم لوجهه الكريم، حين تدلهم الأمور وتستعر الفتن، وهم النضر الصالحون الذين كتب لهم الفلاح والنجاح وسداد المنهج. وتحقيق ذلك في مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. (هود، ١١٦).

وبعد خمس وثمانين سنة من حياة الامتحان والابتلاء الدنيوية، انتقل شيخ الإسلام، العالم الرباني مصطفى صبري أفندي إلى جوار ربه الكريم، في السابع من شهر رجب سنة

(١) من حديث (الدين النصيحة)، رواه الإمام مسلم (رقم ٥٥)، من حديث تميم الداري رضي الله عنه. وفي الباب حديث (إن الدين النصيحة)، رواه الإمام النسائي (رقم ٤٢١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦٠/٦) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ (إنما الدين النصيحة).

(٢) من تقرّظ العلامة محمد الخضر الحسين للشيخ مصطفى صبري.

(٣) قدمت الأسرة العثمانية، وهي أكبر الأسر الحاكمة في تاريخ الإسلام، خدمات جليلة مخصصة في نشر الإسلام والدعوة إليه، وشهد عصرها أكبر توسع لرقعة الدولة الإسلامية. ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٢١ وما بعدها.

(٤) حول مواقف العلماء والمنكرين من الشيخ مصطفى صبري، يراجع الدراسة الآتية: (مصطفى صبري أفندي، أحد أواخر شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية (١٨٦٩-١٩٥٤): حياته، أعماله، ومساهماته الفكرية). وهي في الأصل رسالة ماجستير قدمت لمعهد الدراسات الإسلامية في جامعة ماك جيل، المملكة المتحدة (بريطانيا). Mehmet Karabela (2003). One of the Last Ottoman Şeyhülislams, Muṣṭafa Sabri Efendi (1869-1954): His Life, Works and Intellectual Contributions. McGill University Libraries.

١٣٧٣هـ الموافق الثاني من شهر آذار/ مارس ١٩٥٤م. رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأكرم نزله بالدرجات العلى في الآخرة، وجزاه عن الإسلام والقرآن والإيمان خير الجزاء وأجمله وأوفاه.

المبحث الثاني: المناخ الفكري والعلمي الذي ساد في زمانه:

عاش شيخ الإسلام زمنا عصيبا ظهرت فيه علامات ما أسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوهن^(١) ظاهرة في كل جوانب الحياة؛ وتكالب الأعداء على الخلافة الإسلامية فأحاطوا بها من كل جانب، وألقوا في روع فئة من الشباب الأغرار سفهاء الأحلام، أفكارا من وحي الشيطان غروهم بها عن دينهم وأخلاقهم، فأصبحوا جيشا عُراما متأبعا لنهش الأمة من داخلها، كأنتهم لها حصان طروادة^(٢). وسرعان ما نبنت القومية الطورانية^(٣) في تركيا، وانتقلت منها في شكل القومية العربية إلى مصر أولا، ثم إلى بقية الأقطار العربية.

ولقد أدرك الشيخ ثلاث انقلابات هائلة حوّلت موازين الحياة السياسية والدينية والاجتماعية في تركيا وبقية العالم الإسلامي؛ فقد شهد زمن الحكم الدستوري المعروف بالمشروطية زمن خلافة السلطان عبد الحميد الثاني عليه رحمة الله^(٤)، وشهد حكم الاتحاديين^(٥)، ثم الحكم الجمهوري.

(١) كما في صحيح أبي داوود من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» (أبو داود: ٤٢٩٧). وأصل هذا المعنى ثابت ومكرر في القرآن الكريم، وقد ورد لفظ الوهن في مقام الذم والتحذير الشديد في المواضع الآتية: (آل عمران: ١٣٩، ١٤٦، محمد: ٣٥). وفي معنى ذم الوهن والنذل في وجه الأعداء، ورد أيضا حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (أبو الحسن علي ابن القطان، الوهم والإيهام: ٢٩٦/٥).

(٢) محمد مصطفى صفوت، الجمهورية الحديثة، ص ١٤٣.

(٣) الطورانية (Turanism): أصل الكلمة توران (Turan)، أو بلاد الطور (Tur of Land)، وهي منطقة في آسيا الوسطى استوطنتها قبائل تركية منذ عصور غابرة، وظلت المنطقة بنفس الاسم في إيران القديمة، حتى الأسرة القاجارية، كما تدل الصور الجغرافية الراجعة إلى تلك الفترة. والطور المذكور هنا هو إشارة إلى الابن الثاني للملك فريدون، أحد الشخصيات الأسطورية التي خلدها الأدب الفارسي القديم، كما في الشاهنامه. ومعنى الاسم (تور) في الفارسية هو: الشجاع. ينظر: A. Edward, Allworth, (1994). Historical A :Asia Central. p. 86 Overview. Duke University Press. أما المصطلح فيشير إلى الشعوب المنحدرة من الأصل التركي، أو هي باختصار القومية القائمة على تميز العنصر التركي وتقدمه. وقد نادى بعض مفكري هذا الاتجاه وأدبائهم المتحمسين إلى ما أسموه (الجامعة الطورانية)، فروجوا بأن الترك والمغول والفنلنديين والمجر وغيرهم هم أترك في الأصول الغابرة، ولابد أن يعودوا شعبا واحدا كما كانوا. ولقد روج لهذه النزعة العنصرية الغربية حزب الاتحاد والترقي، وهيج لها طابورا كاملا من الشعراء والصحفيين والخطباء، حتى أصبحت كلمة طوران ذات صدى واسع، محفوفة كلما ذكرت بمعاني الإجلال والإكبار. ينظر: الأمير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ١٥٨/١-١٥٩.

(٤) ولقد عطل السلطان عبد الحميد الثاني الدستور بعد أن تبين له أن أنصاره المتحمسين له من أشد الناس عداوة للإسلام، وهم رؤوس جمعية الاتحاد والترقي الذين تأمروا على خلعهم. ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج ٨/ ١٨٨.

(٥) أعضاء حزب الاتحاد والترقي الذين تولوا السلطة بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وصدر الدستور الثاني سنة ١٩٠٨م. ودخلت البلاد التركية والإسلامية في أمواج متلاطمة من الاضطرابات والقلق، ناهيك عن تهلل المالية والاقتصاد، وتكالب الأعداء من كل حذب وصوب، وأكبر خسارة كانت تفريق الكلمة وتمزيق الوحدة.

أما من الناحية المعرفية والثقافية، وهي الأشد خطرا، والأفدح ضررا، فقد عاش في زمن انتشرت فيه أفكار الإلحاد والادعاءات الجوفاء بحرية الفكر وعلمنة الحياة^(١)، تحت تأثير نظرية النشوء والارتقاء، وهي النظرية الداروينية التي تصور تاريخ الكون على أنه محصلة سلسلة عشوائية من المصادفات، وتصور تاريخ الإنسان على أنه انتقال متدرج خال من النظام أو الوعي عبر مراحل وأطوار نشوئية؛ تبدأ عندهم بالأميبا وصولا إلى الإنسان العاقل (Homo sapiens)، مرورا بالحيتان والقرودة. ومعلوم عند كل مُطَّلِع على هذه النظرية، أن قوانينها الستة التي تشبث بها الملاحدة والماديون تشبث الغريق بالقشة، وآمنوا بفحواها إيمانا مطلقا، قد تهاوت تماما^(٢)، ولم يبق منها إلا قانون واحد هو كعبة التطوريين المعاصرين وقبلتهم^(٣). وقد تأثرت كل جوانب الحياة بهذا التحول؛ الجوانب العلمية، والاجتماعية، والسياسية؛ ومن تأثيراته الفادحة في سياسة الشعوب وتديير مصالحهم بزوغ فكرة القومية العنصرية؛ كالقومية الطورانية في تركيا، والقومية العربية في مصر والشام، وتأثرت المناهج التعليمية بهذه التطورات أشد التأثر، كما تأثر بها العلماء والصحفيون والأدباء تأثرا بليغا لانظير له.

ولم يكن شيخ الإسلام مصطفى صبري من صنف العلماء الذين يعكفون في محاربيهم على كتبهم ومصنفاتهم غافلين كل الغفلة عن مجرى الحياة الواقعية الهائج المائج، بل كان على نقیض ذلك، رجلا في محراب العلم، ورجلا في معترك السياسة، ورجلا في مناقشة العلماء ومناقسة الأدباء، لم تبارحه الأنفة والرجولة قط في أية حال من أحواله. فلم يسكت عن هذه الأمور، وهاجمها في صميمها، ولم يبال بالعواقب، ولم تكن عواقب ذلك عليه هينة ولا يسيرة؛ فقد امتحن بكل أنواع الإفك والبهتان لتوهين شخصه وتصغير مركزه بين العلماء، واعتقل أكثر من مرة في ظروف من الإهانة والظلم، وفارق الوطن وخرج عن كل أملاكه مرتين على الأقل.

وانتشر في زمانه أيضا أنواع أخرى من الأفكار والنظريات التي حوّلت منهج التفكير العلمي وقلبت كيانه، وأشدها تأثيرا الفلسفة الإيجابية أو الوضعية (positivisme) المنسوبة إلى إمانويل كانت؛ ومدارها أيضا على فكرة التطور في تاريخ الحضارات، لكنه تطور في الاتجاه الصحيح والإيجابي كما يزعمون، ويدعي كانت أن البشرية مرت بمراحل ثلاث؛ المرحلة الغيبية اللاهوتية،

(١) عبد الكريم مشهداني، العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا، ص ٢٣-٢٥.

(٢) الانتقاء الطبيعي: selection natural the، أهم قوانين التطور التي وضعها داروين في نظريته المشهورة، وهو القانون الوحيد من قوانينه الستة الذي ما زال صامدا يقول به جمهوره التطوريين المعاصرين. يراجع: ميشيل توماسيللو، الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، تر: شوقي جلال، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ٢٠٠٦م.

(٣) بوصف في الدراسات التطورية، ولاسيما التشريحية منها بأنه: باكورة الإنسان الحديث (Early Modern Human/EMH) أو المطابق التشريحي للإنسان الحديث (Anatomically Modern Human /AMH).

ثم المرحلة السحرية الأسطورية، وآخرها وأفضلها المرحلة الحالية (في زمانه) وهي مرحلة العلم الإيجابي الصحيح والنافع. وهي نظرية تافهة، تتصور التطور الحضاري خطأ مستقيماً متسلسلاً لا اعوجاج فيه ولا نتوء، ولا صعود ولا نزول؛ وقد أثبت العلماء الغربيون أنفسهم، وبخاصة مؤرخو الحضارات، وعلماء الإناسة، أن بعض جوانب التطور المادي والمعنوي في حضارات ساحقة القدم هو بلا ريب أقوى وأكمل من بعض جوانب نظرية له في الحضارة الحالية، وأثبتوا أيضاً أن وعي الإنسان القديم وذكاءه واختراعاته لا ترجع بالضرورة إلى المستند الأسطوري، وليست، على الأغلب، لا سحراً ولا كهانة. ومع ذلك فقد اشتهرت نظرية كانت في تركيا والعالم العربي، وفي مصر بالذات، شهرة غير عادية، وتعصب لها المنادون بها.

وتركب حول هاتين النظريتين طفيليات كثيرة جداً من الخطرات والبدوات والآراء الشاذة والأوهام المصبوغة بصبغة العلم ومظهره، وذلك مثل الفلسفة الذرائعية النفعية (pragmatism)، ومذهب اللذة المطلقة (hedonism)، ومنهجية الشك (skepticism)، وأشياء من هذا القبيل، عجت وطفحت بها الكتب والمقالات والخطابات في كل الحافل والمناسبات.

هذا الوصف المقتضب للحالة الفكرية وتداعياتها العلمية والسياسية في زمن نشاط شيخ الإسلام مصطفى صبري يفسر إلى حد بعيد الأسباب التي جعلت حملته على كل مروج لها في المجتمع المسلم قوية العبارة، شديدة اللهجة، صريحة في ذكر الأسماء والأشخاص إلى أبعد حد. لقد عرف الشيخ أن المقصود بهذه الدعاوى الباطلة هو الإسلام، وأصوله الراسخة؛ الإيمان بالله الواحد، والتصديق بالنبي الأمي الخاتم، وتعظيم القرآن الحكيم، وتوقير سنة النبي الكريم. ولاشك أن كل مسلم صادق، فضلاً عن عالم مخلص، يسترخص في سبيل الذود عنها مهجته ومكانته وأهله وماله ولا يبالي.

المبحث الثالث: سياق الهجمة على معجزات الأنبياء؛

من الواضح أن الهجمة على الأنبياء، ومحاولة تقويض مكانتهم في نفوس المؤمنين، هي جزء من خطوات الاستعمار الغربي واستدراجاته. ذلك أن أعداء الإسلام لما رد الله تعالى كيدهم في الحروب الصليبية حملة بعد حملة، فلما أيقنوا أنهم مهزومون في القتال المسلح المباشر لا محالة، كان آخر سلاح الدول الوارثة لضغائن تلكم الحروب نشر الإلحاد القائم على العلوم والمبادئ المادية بين أبناء الأمة المسلمة، لاسيما الأذكى والمتفوقين والمتقنين منهم، ونبت من ذلك أيضاً سلاح ثان لا يقل خبثاً ولا خطراً، تمثل في نشر المبادئ التحريرية والقومية

التي بهرجوها وعظموا شأنها حتى بُهر بها الناس^(١)، وقد خفيت جذورها الخبيثة خفاء شديداً، حتى فتن بها كبار القوم من العلماء والأدباء. وساعدت ظروف كثيرة على نجاح كلا السلاحين؛ فوجد أولهما (الإلحاد) عوناً للأعداء في قلب تركيا، فكان استعماله كفتح الحصن من داخله، كما وجد السلاح الثاني (القومية) رواجاً عظيماً في أطراف تركيا، «وكفى السلاحان في القضاء على دولة الترك المسلمة المجاهدة»^(٢).

المبحث الرابع:

تأصيل معنى المعجزة والإعجاز في فهم الشيخ مصطفى صبري:

المعجزات من الخوارق التي تستند إليها نبوات الأنبياء، وكلاهما مشترك في علة مخالفة سنة الكون ونواميسه المعتادة^(٣). والمؤمن يسلّم بها كما هي، ولا يتأولها، وذلك معنى التصديق المطلق لله وأنبياؤه، وهو الامتحان القلبي الكاشف عن حقيقة الإيمان. وكما يقرر شيخ الإسلام مصطفى صبري، فإن المعجزة المؤولة ليست بمعجزة، بل العجز عن الإدراك هو عين الإدراك؛ لأن إدراك قصور عقل الفرد عن إدراك ذات البارئ سبحانه، هو قمة الإدراك وذروة سنام الفهم. والله سبحانه هو كما وصف نفسه: الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. وهو كما قال أيضاً: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ومعجزات الأنبياء من أفعاله الذاتية التي لا تغل، بل يسلم المؤمن بها كما هي، ولأن معظمها، ما خلا القرآن الكريم، موقوفة على زمان ومكان، ومجموعة مخصوصة من الأفراد، ولا سبيل لمعرفة حدوثها، وتفاصيل مجرياتها، إلا الخبر الصادق عن الله وعن رسوله، ومن مصادر التاريخ الموثوقة. والمعجزة المؤولة ليست بمعجزة، لأن التأويل هو تفسير وشرح للظاهرة بحيث تتناسب مع بديهيات العقل وقوانينه العامة. وليست المعجزة مظهراً طبيعياً أو تجلياً وجودياً خاضعاً للنواميس المعتادة، ولا يخاطب بها العقل ابتداءً، إنما يخاطب بها القلب الذي من شأنه أن يزداد بها طمأنينة ويقينا.

على أن الشيخ يقيم فروقا دقيقة بين العقل من حيث هو نشاط الفرد العاقل المكلف، الساعي دوماً إلى الفهم والفقّه بحسب اجتهاده واستطاعته، وهو درجات ومراتب كثيرة لا تكاد تحصر. وبين العقل الجمعي، أو القوة العاقلة، وهي مفهوم مجرد لا تخرج المعجزات عن طوقه، فهي معقولة بهذا المعنى، لأن كل عاقل يعرف أنها معجزات، خارقة لما اعتاده الناس في شؤون حياتهم، وهي ممكنة بالإضافة إلى طلاقة قدرة صانعها ومحدثها، وهو البارئ سبحانه وتعالى.

(١) موقف العقل، ٢٢/١.

(٢) المصدر السابق، ٢٢، ٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ٢٥/١.

ومن شأن المعجزة، بل من أخص مظاهرها أن تكون خارقة للعادة، لكنها لا تخرق العقل، ذلك أن خرق العادة ممكن، أما خرق العقل فمستحيل، فدائرة الإيمان، أي قدرة الله جل جلاله على الخلق والإنشاء لاتحدّها حدود العادة^(١).

ولا يرى الشيخ مانعا من اتفاق المعجزة مع العقل وأدلتها العامة^(٢)، فالعقل الذي عرف أن خالق هذا الكون هو الله، وعرف أن هذا الخالق حكيم عليم مطلق القدرة، لا يجد صعوبة في تقبل أن هذا الخالق القادر المقتدر يصنع في كونه من الأشياء ما لا طاقة للمخلوقين على الإتيان بمثله، ومن حكمته البالغة، أن هذه الإعجازات ليست دائمة كدوام الليل والنهار والأرض السماء، لا بل هي زمنية مؤقتة، إنما تثبت في ميعادها المقدر تثبتا للأنبياء والأولياء وتأييدا للحق الذي معهم. وقد مال إلى هذا الرأي وصوره فريق معتبر من علماء الأصول والكلام، غير أن معظم المذاهب الفلسفية القديمة والحديثة لم تتم وزنا لهذا التفريق الدقيق.

المبحث الخامس:

ردود شيخ الإسلام مصطفى صبري على منكري معجزات الأنبياء :

يوضح شيخ الإسلام خطورة إنكار معجزات الأنبياء، وتحول هذا الأمر إلى نزعة قوية جرفت في طريقها أشهر القامات العلمية والأقلام الأدبية في مصر وهي وقتئذ مركز التأثير الثقافي والعلمي في عموم البلاد العربية وكثير من البلاد الإسلامية، يقول في هذا الشأن: «معجزات الأنبياء المعدودة من الخوارق التي تستند إليها نبواتهم غير معترف بها عند المبرزين من العلماء الذين اتخذتهم مصر الحديثة أئمة في الدين مثل الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والشيخ الأكبر المراغي، واقتدى بهم الكتاب من كبار المؤلفين مثل الدكتور هيكل باشا والأستاذ فريد وجدي بك الذي يعد آيات المعجزات، بل آيات البعث بعد الموت أيضا من المتشابهات غير المحكمات»^(٣).

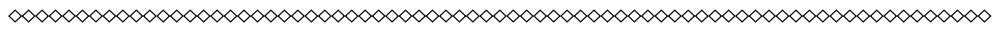
المبحث السادس: تصنيف منكري معجزات الأنبياء وتحديد نزعاتهم:

يمكن تقسيمهم بحسب أقوالهم على ثلاثة آراء؛ الرأي الأول: يشمل المنكرين إنكارا إجماليا، ابتداءً، لا يعتمدون أصلا على المصادر الإسلامية، وبخاصة التراث الحديثي والأخباري، ومنهم: فريد وجدي بك وهيكل باشا وتوفيق الطويل وتوفيق الحكيم. الرأي الثاني: يشمل المنكرين أكثر

(١) موقف العقل، ٤٨/١.

(٢) المصدر السابق، ٤٩/١ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، ٢٥/١.



المعجزات، كالذين قالوا إن المعجزة الوحيدة هي القرآن الكريم، وما سواه شبه التبست بمعنى المعجزة وليست منها. الرأي الثالث: يضم المنكرين الذين يتأولون المعجزات، على أن ينسجم التأويل مع العقلية الحديثة، والمنهج العلمي السائد في زمانهم؛ كالذين أولوها بالعبقرية والنبوغ، والذكاء الفائق، وهي معان يمكن قياسها على أسس من التحليل النفسي والتجربة العملية.

وسنعرض في الفقرات الموالية إلى ردود شيخ الإسلام مصطفى صبري على بعض أعلام الاتجاهات السابقة، لنبين منهجه في تقديم الأقوال، ومسلكه في الاعتراض وإقامة الحجة.

المطلب الأول: رده على الأستاذ فريد وجدي بك:

يلاحظ أن شيخ الإسلام مصطفى صبري وجه نقودا كثيرة قوية ومفصلة للأستاذ فريد وجدي بك، وحسب استقراءنا، فهو الذي نال أكبر قسط من هذا النقد، ولهذا الأمر مبررات واقعية:

١. مكانة الرجل، وقوة تأثيره العلمي والأخلاقي والجماهيري.
٢. وقوع المناظرة المباشرة بين الرجلين أكثر من مرة.
٣. خطورة أقوال فريد وجدي بك وصراحتها، مع إقرار الجلة من العلماء عليها، أو سكوتهم عنها.

وفيما يلي ملخص مضمون رد شيخ الإسلام على فريد وجدي بك في مسألة معجزات الأنبياء: كتب شيخ الإسلام مقالة حول معجزات الأنبياء، ورد عليه الأستاذ فريد وجدي بك بمقال^(١) نشر في مجلة الأهرام قال فيه: «في تلك الأثناء ولد العلم الحديث ومازال يجاهد القوى التي كانت تسيره حتى تغلب عليها فدالت الدولة إليه في الأرض، فنظر نظرة في الأديان وسرى عليها أسلوبه، فقذف بها جملة إلى عالم الميتولوجيا (الأساطير) ثم أخذ يبحث في اشتقاق بعضها عن بعض، واتصال أساطيرها بعضها ببعض فجعل من ذلك مجموعة تقرأ لالتقدس تقديسا ولكن ليعرف الباحثون منها الصور الذهنية التي كان يستعبد الإنسان لها نفسه ويقف على صيانتها جهوده، غير مدخر في سبيلها روحه وماله»^(٢)

ويقول أيضا في موقف أكثر صراحة: «اتصل الشرق بالغرب منذ أكثر من مائة سنة فأخذ

(١) كتب فريد وجدي بك العديد من المقالات حول هذا الموضوع في «الأهرام». وفي «الرسالة» منها مقال بعنوان: (الدين في معترك الشكوك). وكان قد كتب مقالات عديدة أيد فيها (الانقلاب الكمالي) في تركيا، وسماه ثورة نحو الحضارة، ولا بد لمصر والبلاد العربية أن تمر بنفس أطوار تركيا لتلحق بالركب. وناقش في هذا الموضوع الشيخ التفتازاني، كما ناقش شيخ الإسلام مصطفى صبري في مسألة معجزات الأنبياء والبعث بعد الموت. وهو من أشد المتحمسين للمذاهب الغربية.

(٢) موقف العقل، ١/١٦٦، ١٦٥.

يرتشف من مناهله العلمية ويقتبس من مدنيته المادية فوقف فوقه فيما وقف عليه على هذه الميتولوجيا، ووجد نفسه مائلا فيها فلم ينبس بكلمة لأنه يرى الأمر أكبر من أن يحاوله، ولكنه استبطن الإلحاد متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا إلى درجته العلمية»^(١).

يلاحظ الشيخ أن منكري المعجزات، من المفكرين والأدباء، وفريد وجدي بك من غلاتهم في هذا الشأن^(٢)، يتوسلون لتسويغ أفكارهم بأمرين رئيسيين؛ أولهما: أنهم يفرقون بين الكتاب والسنة، فيقولون بأن الاعتماد الوحيد إنما هو على القرآن الكريم الذي لا يمسه الباطل، وفيه تفصيل كل شيء. وأما الأحاديث النبوية فلا مجال للاعتماد عليها، فقد رويت بالمعنى، ولم تثبت أسانيدھا، وكثر فيها الكذب والانتحال والتصحيف، ثم إنها دونت في زمن متأخر جدا عن النبي صلى الله عليه وسلم. ثانيهما: الإصرار على التفريق بين لفظ القرآن ومعناه؛ فأحيانا يتمسكون باللفظ ويدعون أن المعنى غير ثابت، والآراء حوله كثيرة مختلفة. وأحيانا أخرى يتمسكون بالمعنى مع أن اللفظ لا يطابقه «حسب ما يقضي به هوى التجديد العصري»^(٣)، وهكذا يبدو دعاء المنهجية العلمية، والمدافعون عن القياس الجلي والتنظيم، مفككين في آرائهم، ولاتكاد أقوالهم تطرد على مسطرة قياسية معتبرة.

الخلل الآخر الذي وقع فيه منكرو المعجزات، وبخاصة القائلين بفرادة القرآن وأنه المعجزة الوحيدة العظمى، وأن النبوة نوع من النبوغ الفائق والعبقرية الفذة، أن النبوة تخرج، بقولهم هذا، عن كونها مرتبة شرعية إلى كونها مظهرا إنسانيا محظا^(٤). والعبقرية ليست حكرا على الأنبياء، ولأمانع من عقل ولا من واقع أن يتفوق عليهم بعض عباقرة العلوم. ثم إن النبوة وما يصدقها من معجزات نوعان؛ معجزات ظاهرة تدركها الحواس، ومعجزات باطنة تكتنف النبي نفسه، ينتقل بها من الحال البشرية العادية، إلى الحال الربانية التي فيها يقع الوحي والخطاب من البارئ سبحانه وتعالى، فنفس الأنبياء وقلوبهم ليست كغيرهم، بل هم أثبت وأقوى. وهذان المعنيان المتلازمان؛ النبوة والمعجزة المصدقة لها، منقولان إلينا عن طريق الوحي الإلهي نفسه، فهما مفهومان شرعيان، يترتب على التصديق بهما مقتضيات، كما يترتب عن جحودهما أو التكذيب بهما مقتضيات، وليست العبقرية على شيء من ذلكم.

ومن أخطر ما تضمنته هذه النزعة، التي روح لها فريد وجدي بك، وبعض أساتذة الجامعات

(١) موقف العقل، ١٦٦/١.

(٢) حسب تقدير الشيخ. موقف العقل، ٢٩/١.

(٣) الصدر السابق، ٢٩/١.

(٤) المصدر نفسه، ٢٩، ٣٠/١.



كتوفيق الطويل، الإيمان بشرط التجربة الحسية لحصول التصديق، وقد نقل هذا الزعم عن جمهرة من علماء الغرب، منهم و. ميرس، مدرس علم النفس في جامعة كمبرج الذي تطرق إلى صيغة التجربة الحسية وما يسمى بشرط تكرار الحالة على النحو الآتي: «كنت مقتنعا بأنه لو أمكنت معرفة شيء عن العالم الروحي على أسلوب يستطيع العلم أن يقبله، ولن يكون ذلك بالتنقيب في الأساطير القديمة (يريد المعجزات المنقولة إلينا من عصور الأنبياء) ولا بالتأمل في علم مابعد الطبيعة (كاستدلال علماء الكلام على وجود الله بالأدلة العقلية) ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة، وبتطبيقنا على الظواهر المشاهدة أساليب الباحث المضبوطة... هذه المباحث لايجوز أن تبنى على التأكيدات التي صدرت عن هذا الوحي أوذاك، بل يجب أن تؤسس ككل بحث علمي بمعناه الصحيح على تجارب يمكننا تكرارها اليوم، مؤملين أن نزيد عليها غدا»^(١).

ولقد ناقش شيخ الإسلام مصطفى صبري شرط التجربة الحسية، ومبدأ تكرار الحدوث، الذي تحول في نظرية المعرفة الحديثة إلى مبدأ قابلية التخطئة (falsification) من وجوه كثيرة؛ منطقية وكلامية وشرعية، وفيما يلي ملخص عيوب هذا المبدأ من وجهة نظره:

يطمس هوية المؤمن ولا يبقى امتيازاً للمؤمن عن الكافر.

الإيمان نور يقذفه الله تبارك وتعالى في القلوب، والآيات والبراهين وسائط معينة، وحتى المؤمن لا يزال يترقى في الإيمان ويزداد في درجات اليقين، والله سبحانه وتعالى شاءت حكمته البالغة أن يكون الناس مختلفين، وإليه وحده يرجع الحكم والفصل بينهم.

شرط التجربة الحسية، لا يختلف فيه الناس، فلا يتحقق به الاختبار والتمحيص والابتلاء الذي هو مراد الله تبارك وتعالى من نزول آدم وذريته إلى الأرض. هذا ما يسميه بعض فقهاء المعرفة المعاصرة، وعلماء الاجتماع، بالنزعة إلى التسطیح، وبناء النماذج الحياتية والفكرية المتشابهة، فبالغاء الفوارق والاختلافات تتعش حضارة المادة وحياة المتعة واللذة، بلا حسيب ولا رقيب.

يغفل شرط التجربة الحسية وجود عوالم ومخلوقات لا تدركها الحواس المباشرة، وتطور التكنولوجيا الذي مكن من رؤية دقائق العوالم الصغرى، وأجزاء ضخمة من العوالم الكبرى، هو بذاته دليل على أن الحس المباشر لا يقدم ترجمة صادقة للواقع، إلا بالقدر الذي يفيد الفرد الناظر نفسه، وعلى هذا فالحقيقة العلمية نسبية وزمنية ومحدودة، أما الحقيقة الشرعية المرتكزة على الربط بين عالم الغيب والشهادة فهي مطلقة وخالدة.

(١) موقف العقل، ١/٥٩-٦٠. وما بين قوسين من تعليقات الشيخ مصطفى صبري.

المطلب الثاني: رده على عباس محمود العقاد (نموذج النزعة إلى التأويل والتقريب):

من آيات إنصاف شيخ الإسلام مصطفى صبري، وعلامات تواضعه، واستحقاقه درجة العالم المجتهد، عدوله عن رأي سابق وصم فيه عباس محمود العقاد بأوصاف لا تنطبق عليه، إذ كان يظنه منضويا في سلك منكري النبوة ومروجي العبقرية، كهيكل باشا وزكي المبارك، فلما قرأ كتابه الذي عنوانه: (عبقرية محمد) أدرك أنه مفكر مستقل وباحث مجتهد، فضلا عن كونه أدبيا متميزا، ذا قلم رشيق، وبيان أنيق، واطلاع واسع على الصادر. وقد سجل اختلافه وتميزه عن سابقيه في نفس الفكرة، فكرة العبقرية، بالملاحظات الآتية:

لم يروج للثورة على مفهوم النبوة ومقامها، بفعل استفحال المنهج الغربي وشيوعه، كما توقع زكي مبارك على سبيل المثال.

لم يصادم البداهة في سبيل إنكار معجزات الأنبياء، ليقوده ذلك إلى التعسف الفاضح في رد الآيات الواردة في شأنها، وهي كثيرة مبسوسة في الكتاب العزيز.

لم يقده عشقه لحرية الفكر، إلى رفض الأحاديث النبوية، والأخبار الصادقة التي أيدت المعجزات الكونية لنبينا محمد ﷺ بل احترم هذا المصدر واعتد به. لم يحرف عن مواضعه في تأويل آيات القرآن الناطقة بالخوارق.

لم يهن مقام القرآن بادعاء مجاراته لعقيدة العرب الجاهليين في تصوير الشيطان، كما فعل شيخ الأزهر شلتوت فرارا من الإيمان بالغيب.

أحسن جدا في الدفاع عن سيدنا محمد ﷺ ورد ردا جميلا مقنعا على من اتهمه بالاستسلام للذاته الحسية، ومن وصفه بالشهواني، وعاشق الصغيرات (حاشا مقامه الشريف عن ذلك).

أحسن في بيان موقف الإسلام الصحيح المتفق عليه في العديد من المسائل التي كثر اللغظ حولها، ومن ذلك مثلا مسألة تعدد الزوجات.

قال شيخ الإسلام في تقييمه لأعمال العقاد: «وجدت الأستاذ العقاد أمثل دعاة العبقرية في اتزان الكلم. أما كون قلمه أقوى فإني أعرفه قبل كتابه هذا. ثم إنني بعد كل هذا الاعتراف بحق الأستاذ أراه مخطئا في إنكار المعجزات»^(١).

يرى الشيخ مصطفى أن جوهر فكرة العقاد التي أراد إيصالها في كتابه (عبقرية محمد) أن نبوته صلى الله عليه وسلم وليدة تهيؤ الزمان والمكان، وحاجة الدنيا إلى مخلص ينقذها من

(١) موقف العقل، ٤/ ١١.

تقشي الطغيان والكفر، وقد صادفت هذه التهيؤات والإرهاصات الكونية شخص محمد صلى الله عليه وسلم مستعداً تماماً للاضطلاع بهذه الأمانة الجسيمة، فهو عبقرى في الدعوة، عبقرى في العسكرية، عبقرى في التواصل والتفاهم، عبقرى في معرفة مكامن العبقرية والنبوغ فيمن حوله. ويعيب شيخ الإسلام على العقاد في موقفه هذا، تناسيه للقرآن كونه أعظم أسباب نجاح دعوته، وبلوغها ما بلغت، وهو الوحي العظيم الباقي في الناس معجزة خالدة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. ومما يؤيد ذلك، أنه لم يتطرق في الفصل الذي عنوانه: (محمد البليغ) إلى تأثير القرآن عليه صلى الله عليه وسلم، وتأثير القرآن الكاسح في دعوته^(١).

المبحث السابع:

أصول منهج شيخ الإسلام مصطفى صبرى في ردوده على المنكرين:

المطلب الأول: الأصول المنهجية:

يمتاز منهج شيخ الإسلام مصطفى صبرى بإيراد نصوص الاعتراضات كاملة مع ذكر مصادرها في متن الكلام، وقد امتاز بهذه الطريقة بين الكتاب والعلماء المعاصرين، الذين اعتمدوا الطريقة الغريبة القائمة على إثبات مصدر الإحالة في الهامش، مستغنين بذلك عن إيراد كل النص المقصود. ويبرر شيخ الإسلام هذا الاختيار من عدة نواح:

توفير نصوص الاعتراضات كاملة بين يدي القارئ يفنيه عن الانشغال بالتقصي عنها، وقد يضيع وقته في البحث، وقد لا يجد المصدر، وقد يشغله المصدر فيستطرد تاركا الكلام الأصلي. إيراد النصوص كاملة فيه زيادة تثبت وأمانة مع أصحاب الأقوال المعترض عليهم، فكثيرا ما يقتبس الكتاب مقاطع جزئية من كلام خصومهم يقطعونها عن سياقها لتوافق آراءهم، في حين أن تمام الرأي خلاف ذلك. وفي هذا المسلك قدر لا يخفى من الظلم والاعتساف، وقد يحدث ذلك عفوا عن غير قصد، فالأسلم، كما يرى شيخ الإسلام، أن يتحمل المؤلف إيراد النصوص كاملة، وإن أثقل ذلك على القراء، وزاد في حجم الكتاب، لأن نشدان الإنصاف هو الأولى. وقد ذكر نماذج من الاقتباسات الجزئية التي اتهم فيها هو نفسه بما لم يقله^(٢).

يظهر في هذا المسلك كلام الخصوم وآراءهم واضحة كاملة، وفي ذلك عدل معهم، ودليل على أن المؤلف قرأ كلامهم واستوفى أقوالهم، وهذا دأب علماء الإسلام الكبار، فإنك تجد كلام خصومهم مفصلا قد يزيد على محرر كلامهم هم أنفسهم، زيادة منهم في الثقة،

(١) المصدر نفسه، ٤/١٣٠١٤.

(٢) موقف العقل، ١/٣٧-٣٩.

والمفكرين. بل وصل الأمر ببعضهم إلى تكذيب الأحاديث رأساً^(١)، على خلفية من هوى النفس، أو رغبة عارمة في الشك والرفض وهجران ما يسمونه تنقصاً وازدراء بالتراث والموروث القديم ونحو ذلك من الاصطلاحات.

ويرى شيخ الإسلام مصطفى صبري أن هذا المسلك لا يفعله المؤمن الصادق، ناهيك بالعالم الذي عرف أصول الإسلام واطلع على كلام العلماء الراسخين حول هذه المسألة، ذلك أن عليها إجماعاً منذ عهد الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان في كل الأمصار، وعليها إجماع العلماء من مذاهب الحق الأربعة. ثم يؤصل الشيخ بكل وضوح في عبارات تشبه نص فتوى رسمية، بأن منكر السنة النبوية المطهرة، أو المشكك في حجيتها وأصالتها، هو منكر للقرآن الكريم، رافض لآياته الناصحة وعباراته الواضحة التي تؤكد الترابط والتكامل بين الكتاب والحكمة، وتقرر بصيغة الأمر أن المسلم يجب عليه أن يأخذ كل ما أتاه ووصله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢). أما النقاش حول درجة الأحاديث، وفحصها من جهة السند والمتن، رواية ودراية، فذلك أمر لاختلاف عليه، بل هو دأب العلماء والمحدثين منذ الصدر الأول. غير أن لكل علم رجاله، ولكل ميدان فرسانه، فالشيخ مصطفى صبري يرفض أن يتكلم في هذا الشأن من ليس من أهله، الذين عرفوا أصوله وفروعه ومصادره ودقائقه، وتكونت عندهم مع الزمن والدربة وملازمة العلماء الأثبات الراسخين، وإدامة القراءة الفاحصة في مصنفات العلماء الأوائل الذين نهجوا هذا العلم وأصلوا قضاياهم ومسائلهم ومباحثه، مهارة وتفنن في الفهم عن رسول الله ﷺ وذكاء وفطنة في الجمع بين ما يوهم الاشتباه والتعارض، وإدراك لسياق الحوادث وأسباب الأعمال. وأهم من ذلك، أن يتولد في قلوبهم إكبار وتعظيم لسنة المصطفى ﷺ ناضح من حبه ونصرته والنية الصادقة في نشر دعوته وتوصيل رسالته غضة طرية بيضاء نقية. فإن هذا الباعث القلبي بالإضافة إلى التأصيل العلمي والانكباب على الدرس والتحصيل، يكون أكبر عون لصاحبه على خدمة السنة المطهرة، ورؤية النور النبوي الساطع، والصدق المحمدي الناصع الذي يعمه عن رؤيته كثير ممن يقتحم هذا الميدان متدرعا بالمنهج التجريبي، والفلسفة الذرائعية الوضعية، وقدر غير محدود من انتفاخ النفس والكبرياء التعاليمي الزائف. هذا الموقف فيما يخص العلماء والأدباء المسلمين، الذين يفترض أن يكون تعظيم مقام رسول الله ﷺ وتوقير سنته الشريفة العطرة، مجالهم الحق للباري والتنافس.

أما علماء الغرب ممن كتب عن السنة، وجاهد جهده واحتمل بكل حيلة لقطع أصولها

(١) المصدر نفسه، ١٩/٤.

(٢) نفسه، ١٩/٤.

تأويلها، حتى بلغت حدا من الاضطراب والتناقض يجعل التوصل إلى حقيقة معناها أمرا عسيراً بعيد المنال^(١).

وفي معرض رد الشيخ مصطفى صبري على هذا الزعم، وضع أن المتشابه في القرآن الكريم على ضربين؛ متشابه اللفظ؛ كالحروف المقطعة أوائل السور، ومتشابه المعنى؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

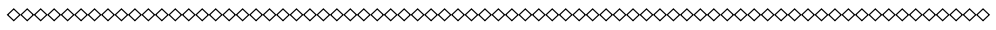
وفي الرد على أصل الادعاء، يؤكد الشيخ مصطفى صبري أن فيه تكديبا للقرآن الكريم، بادعاء أن ماورد فيه على صورة الواقع ليس بواقع. وفيه تجهيل له بادعاء أنه لا يميز المحال من الممكن. وفيه رمي له بالفشل والهزيمة أمام حجج المخالفين. والنتيجة عجز الله عن خلق تلك المعجزات، وفشله في إفهام الناس وإقناعهم بها^(٢). وذلك كله باطل، كما يقرر شيخ الإسلام، وأول وأكبر ما يدحضه هو القرآن الكريم نفسه، فقد سرد سبعة عشر مثالا من أي الذكر الحكيم تنطق بقوة حجته في مواجهة منكري المعجزات، ومنكري البعث بعد الموت، وكلها آيات واضحة صريحة ليست من المتشابه ولا تمت إليه بوجه صلة، وهي في جملتها نموذج قليل من كثير، فنظائرها ماثورة في المصحف الشريف، وهي السياق الغالب عليه^(٣). وهذه إشارة إلى أن الادعاء المذكور قائم على تصفح جزئي، لم يستوف كل آيات القرآن الكريم، أو أن أصحابه من ذوي الجهل بالقرآن واللسان العربي.

والآيات التي جاء بها الشيخ مصطفى صبري في مقام الاستشهاد على بطلان زعم تشابه اللفظ، هي بذاتها شواهد على بطلان زعم تشابه المعنى؛ ذلك لشدة وضوحها، وبساطة أفكارها، وخلوها في الجملة الغالبة من غريب اللفظ، فهي واضحة المعاني، مفهومة ولا ريب عند كل ناطق باللسان العربي، فضلا عن دارس النحو والبلاغة المطلع على أسرار البيان القرآني. ويستنتج الشيخ مصطفى صبري أن هذا الزعم ما هو إلا مدخل للطعن في لسان القرآن، ومنه إلى بلاغته وبيانه، ومنهما إلى مضمونه وأحكامه، وهكذا يستكمل العدو المتربص كافة شروط الهدم الشامل الكامل لإعجاز القرآن وقوة تأثيره على القلوب والعقول. أليس هذا المسلك المتدرج الشبيه بخطوات الشيطان واستدراجاته، هو بحذافيه مشروع الاستشراق الذي حاول وما يزال يحاول ضرب الإسلام في أعماق أعماقه، بالطعن في أصوله الكبرى، وليس ذلك بغريب ولا هو عنهم بعيد، فقد شنوا منذ البواكير الأولى حملة ضارية شعواء استهدفت للسان العربي المبين الذي

(١) موقف العقل، ١٧٣/١-١٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ١٧٩/١، ١٧٨.

(٣) المصدر السابق، ١٨١/١، ١٨٠.



هو وعاء النص المقدس وحامل أسرارهِ. لكن الغريب العجيب، كما يقرر شيخ الإسلام، أن تتشابه، بل تتطابق، طريقة هؤلاء الذين عرفنا عداوتهم، وفهمنا سبب غلهم وكرهم، مع طريقة أدياء العلمية والعقلانية في الشرق العربي، وبخاصة في مصر، والأشد غرابة والأكبر عجباً، أن تصدر مثل هذه الأفكار والأقوال من الأزهر الشريف منارة العلم ومدرسة العلماء.

المطلب الثالث: الأصول التربوية الدعوية:

الفرع الأول: ضرب الأمثلة وفضح الأعمال الباطلة بكل وضوح وصراحة:

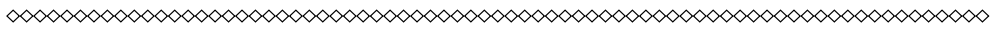
ذكر شيخ الإسلام صطفى صبري أكثر من مرة الإشادة الكبيرة بقاسم أمين صاحب الحملة المسعورة على حجاب المرأة، وتعجب من كم التقريظ والمدح الذي يُكّال له في الجرائد وعبر أثير الراديو، كالذي حدث مثلاً في ذكره الثلاثين، حيث كتبت مقالات وأذيعت برامج تهدف إلى تسويغ مهزلة تأميل الثواب له في قبره من سفور النساء الذي أصبح منتشرًا في مصر وغيرها^(١). ويتعجب شيخ الإسلام أشد العجب حين تكشف تلكم الكتابات والدعوات عن دعم قوي لهذه الحملة، ابتداءً بشيخ الأزهر محمد عبده فما بالك بمن دونه. ومن آيات فشو التملق والمصانعة في مثل هذه الأمور، على حساب الدين الحق والعقيدة الصحيحة، أبياتٌ مليئةٌ بمعاني الترحم والدعاء، بل معاني الترقية والترفيح قالها الشاعر الكبير علي الجارم في نفس الذكرى الثلاثين جاء فيها:

كنت في الحق للإمام نصييراً والوفي الصفي من أصحابه
نم هنيئاً فمصر نالت ذرى المجد وفازت بمحضه ولبابه
منك عزم الداعي وفضل المجلى وعلى الله ما ترى من ثوابه^(٢)

ولم يسكت شيخ الإسلام، كما سكت وأطبق الناس من حوله، عن شطحات بعض من يتوسمون بوسام الأدب، والأدب منهم براء، وذلك مثل القصيدة الموسومة بعنوان: «النبى الجديد، أو نبوءة عن المستقبل» التي نشرها المحامي محمد إحسان على صفحات جريدة «الأهرام» أكبر الجرائد العربية وقتئذ، وأوسعها انتشاراً، وهو شعر طافح بإنكار المعجزات، بل فيه إساءة بالغة لمقام الرسل الكرام وكتبهم المقدسة كلهم جميعاً بلا استثناء، وفيه تعظيم للعلم، وتسميته تورية بالنبى

(١) موقف العقل، ١/٢٥٠، ٢٦١.

(٢) قصيدة حافلة في خمس وستين بيتاً، أذيعت في دار الإذاعة المصرية سنة ١٩٢٨م بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاة قاسم أمين، ومطلعها: مل من وجده ومن فرط ما به وأراق الشراب من أكوابه. ويقصد بالإمام: الشيخ محمد عبده. والمجلى: الحائز قصب السبق على أقرانه ومنافسيه. ينظر: ديوان علي الجارم، دار الشروق، القاهرة، ط١: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ص ١١٠-١١٤.



الجديد، وأنه هو الدين الحق الذي ليس عنه بديل، وهو الهدى الذي لا يطاله التضليل^(١). ومما جاء في هذه القصيدة، وهو صريح في الدلالة على المعاني الأنف ذكرها، الأبيات الآتية:

قام في الناس نبي	إنما شأنه ليس كشأن المرسلين
وحد الناس وقد فرقهم	كافة الرسل على مر السنين
جاءهم من غير إنجيل ولم	يأتهم بالوحي جبريل الأمين
معجزات العلم قد أوفت على	معجزات الدين في ماضي القرون
آمنوا بالعلم دينا وهدى	ليس بعد العلم للأفهام دين

وانتقد شيخ الإسلام في كثير جدا من كتاباته، وهو بفضل الله تعالى غزير الإنتاج، جيد الديباجة، مظاهر الانحلال والسفور والبعد عن آداب الإسلام وتعاليمه في كل مجالات الحياة، خاصة ما كان يحدث في الحفلات والمناسبات الرسمية. كما وقف موقف المساند المؤيد لكل بادرة أو قول أو موقف يصدر عن عالم أو أديب أو صاحب منصب، يرى فيه خدمة للإسلام، ونصرة للشريعة وللقائمين على حفظ بيضتها^(٢).

الفرع الثاني: الجمع بين الخطاب العلمي الرصين والتوجيه الوعظي المستقيم:

يكثر شيخ الإسلام مصطفى صبري، في جل كتاباته، أن يجمع في الموضوع الواحد خطابا علميا قائما على تأصيل الأدلة ومناقشة الاعتراضات بتفاصيل تفصيلها، ثم يفتح في غضون ذلك منفذا لنصيحة أو موعظة بيّنة واضحة، كأنه يحتال لها أن تخترق كثافة التراكم المنطقية العقلانية، لتلج القلوب المتعطشة للموعظة الحسنة، والمحتاجة بطبعها إلى مزيد من الترغيب أو الترهيب، إذ لا تكفي الأدلة العقلية والبراهين الواقعية وحدها في حصول الاقتناع الكامل. والحق أن هذا الاختيار هو منهج القرآن الكريم، في كثير من المواضع. واضح أن شيخ الإسلام تشربه، واتخذ مسلكا لا يكاد يجيد عنه.

الفرع الثالث: التصريح بأسماء المخالفين مهما كان مقامهم:

ذكر شيخ الإسلام أن بعض الفضلاء ممن اطلع على بعض أجزاء كتاباته قبل نشرها نصحه بتجنب التصريح بأسماء المخالفين، والاكتفاء بذكر الأقوال والآراء والردود المفصلة عليها، خشية أن يخرج كتابه عن مقامه، فيتحول إلى مطية للجدل العقيم، وكثرة الأخذ والرد والقليل والقال، ويخاف أن يجلب هذا المسلك على صاحبه كثيرا من الخصومات والعداوات هو في غنى

(١) موقف العقل، ٢٥٢/١-٢٥٧.

(٢) موقف العقل، ٤٤٦/١-٤٤٩.

عنها، ومقامه العلمي والأخلاقي في الأمة ينبغي أن يسمو عن ذلك.

ولا شك أن هذه نصيحة فاضل صادق، يعرف مقام مشيخة الإسلام، ويريد الخير لصاحبها. وهي أيضا إرادة الخير بأمة الإسلام التي من مزاياها البحث عن وحدة الكلمة والبعد كل البعد عن الفرقة والاختلاف.

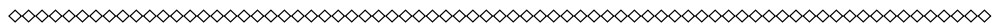
ومع إقرار شيخ الإسلام بوجاهة هذا الرأي، واعتقاده الجازم أنها نصيحة صادقة مخلصه، إلا أنه أصر على موقفه بذكر المخالفين بأسمائهم صريحة، والاقتناس من كتاباتهم مع الإشارة الدقيقة إلى المراجع دون لف ولا دوران، ولكنه قدم بين يدي هذا الاختيار الصعب تبريرا مفصلا نلخصه على النحو الآتي بيانه:

أصحاب الأقوال المضادة والذين نشروا الشكوك والأراجيف حول الإسلام والنبوات هم قوم ملتزمون بما قاموا عليه، مؤمنون بالفكر الجديد والموقف الجيد السديد الذي يتغلزون به إلى الحدائث الغربية، ومناهجها الشكية والإحلالية والذرائعية ونحوها، فالامتناع عن ذكر أسمائهم رجاء أن يكون في ذلك تلطيف للأجواء، وفسحة لعقولهم التائهة أن ترجع للطريق القويم، هو أمر لا طائل من ورائه^(١).

يؤكد شيخ الإسلام أن الغاية من كتاباته مكافحة الشبهات المثارة حول عقائد الإسلام، وهي شبهات مبهرجة ألبسها أصحابها لبوس العلمية والمنطقية، وحشوها بالأدلة التجريبية والتحقيقات النفسانية والمعملية، فأصبحت كأنها الحق الصريح الذي لا سبيل لنقضانه. وقد قام على نشر هذه الأراجيف علماء في الغرب يعدون أساطين كبارا في مجالاتهم، وافتتن بهم كثير من الشرقيين في تركيا ومصر وغيرها من بلاد الإسلام غاية الافتتان، وكان لهم في نشر هذه الشبهات وترويجها أساليبهم الخاصة، ومذاهبهم الجديدة في الكتابة والتأثير. فكان لا بد لفضح الشبهات وتقليل أثرها على الجماهير، فضح النزعات والخلفيات التي تقف عليها، وكذلك فضح أصحابها وزعزعة مراكزهم في المجتمع.

ويوضح شيخ الإسلام لناقديه وناصحيه معا، أن كتابه (موقف العقل) ليس ككتب أصول الدين التي ألفها العلماء من قبله، إنما هو كتاب يفضح الشبهات المثارة حول عقائد الإسلام مع مراعاة الأساليب الخطائية والطرق التأثيرية التي استخدمها أصحابها في نشر باطلهم. يقول في هذا الصدد: «ولما هاجرت بعد انقلاب تركيا إلى مصر وجدت فيها العلم الحديث الغربي الناظر

(١) المصدر السابق، ١/٤٣، ٤٢.



إلى الأديان نظره إلى الأساطير، أنطق لساننا من علم أصول الدين الإسلامي وأعلى صوتاً»^(١). ويقول حول المهمة التي انتدب نفسه إليها وضمنها كتابه الحافل موقف العلم: «مهمة هذا الكتاب الرئيسية مكافحة اللادينييين ومحاربتهم بطريقة علمية متجلية في القضاء على كل شك يرمي إلى الإلحاد. ومن المعقول أن تتقدم هذه المرحلة التي هي مرحلة الغاية، مرحلة أخرى يشرح فيها وقوع الشرق الإسلامي في خطر من انسياب العقليات الغربية المناوئة للدين إلى أذهان المثقفين، وإثبات هذا الخطر يتوقف على سرد شواهد من كلمات رجال يستدل بأهمية مراكزهم الرسمية أو الأدبية على أهمية هذا الخطر»^(٢).

الفرع الرابع: تجنب توطئة الكلام بمدح أصحاب الآراء وذكر مناقبهم:

يرى شيخ الإسلام أن تصدير نقد الأقوال بذكر محامد أصحابها ومناقبهم هو عمل غير سديد، إذ الغاية منه التلويح بدل النقد الواضح الصريح، وفيه تنفيه للنقد وتقليل من قيمته، كما أنه مذهب انتشر عند الغربيين^(٣) فأعجب به الشرقيون ونقلوه عنهم بمزيد تدبيح وتميق. يقول حول هذه المسألة: «ليس من حق القارئ المنصف أن يتوقع مني عند نقد الأقوال التي لا يجوز الإغضاء عليها من رجال الدين أن أضع توطئة لعملية النقد في كلمات متقدمة تتضمن مدح أصحاب تلك الأقوال وإكبارهم كما هو المعتاد في زماننا... وفي ظني أن الأقوال التي تستوجب التعقيب والاستنكار فالاشتغال قبلها بمدح وإكبار القائلين أصبح عادة متبعة بين نقاد الشرق الإسلامي بعد أن تعودوا تقليد الغربيين، وهي من زيوف مدنياتهم، فيهتمون بالمصانعة أكثر من المصارحة»^(٤).

الخاتمة:

لقد حاولت هذه الدراسة المختصرة التطرق إلى المواقف العقلية والمنهجية والتربوية التي أظهرها شيخ الإسلام مصطفى صبري التوقادي الأناطولي في كتاباته حول مسألة: تأكيد الوجود الفعلي لمعجزات الأنبياء، وبيان أن أكبر مميزاتها خرقها للقوانين الكونية الاعتيادية، وكانت طريقته في هذا الإثبات قائمة على دحض الحجة المقابلة، وذلك باستقراء منكري معجزات الأنبياء، وتقويت حججهم الواحدة تلو الأخرى. ومن الإنصاف القول بأنه نجح في هذا الموقف العلمي الاجتهادي نجاحاً لا غبار عليه.

(١) موقف العقل، ٤٤/١.

(٢) المصدر السابق، ٤٤/١.

(٣) وقد ترك الغربيون هذا التقليد منذ زمان بعيد، وصار الإكثار منه دليل ضعف منهجي عندهم.

(٤) موقف العقل، ٤٤، ٤٥/١.

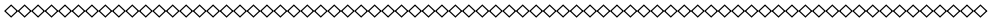
وقد أضاف شيخ الإسلام لأسلوبه في الرد مسحة وعظية إرشادية واضحة، فبذل أقصى طاقته للنصح والإرشاد، والتحذير الشديد من مخاطر هذه النزعات الوافدة، وكانت بصيرته في مجال السياسة الشرعية وفهم عناصر المكر والتحايل على المستوى الدولي بعيدة نافذة، فحذر من الغزو الثقافي الغربي، وأنذر بتميع الحياة الأسرية والاجتماعية. ومما يؤسف له أشد الأسف، أن تحذيراته ومواعظه، على بلاغتها وإخلاص قائلها، لم تلق في وقتها الأذن المصغية، ولا القلوب الواعية المتلقية، فنال العالم الإسلامي نصيبه المقدور من تسلط الغرب عليه ماديا ومعنويا؛ عسكريا وسياسيا وثقافيا.

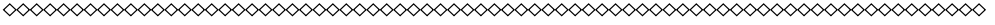
ولأن الأيام دول، ودوام الحال من المحال، فقد تخلصت معظم الأقطار الإسلامية من سطوة اليد الغربية الغاشمة الآتمة، ونهضت فيها أجيال من المفكرين والعلماء الذين يدركون أن هذا الطاغوت وإن نبا عن الأرض، فإنه مازال معششا في كثير من العقول والمؤسسات، لدى أفراد وجماعات وتنظيمات تعشق هذا الغرب وتستلذ طريقته المتحررة الإباحية في الحياة، وتعمل على نشر ما يجب في أوطاننا المسلمة. وفي مثل هذه الظروف تكون الحاجة شديدة إلى أفكار شيخ الإسلام مصطفى صبري وأمثاله من العلماء الذين ربطوا العلم بالعمل، وفيما يلي أفكار في صيغة توصيات لإحياء هذا المنهج وتعظيم الاستفادة منه:

العناية المنتظمة أكاديميا وتعليميا بجهود شيخ الإسلام مصطفى صبري في إطار مشروع أوسع يشمل جهود مشيخة الإسلام في العهد العثماني.

توسيع إطار الأبحاث والدراسات حول شخصية شيخ الإسلام مصطفى صبري وحياته وإنجازاته، باقتراح مداخل ومحاور تتطلب عملا متكامل فيه العديد من التخصصات الشرعية والإنسانية للتوصل إلى رؤية أشمل ونتائج أفضل.

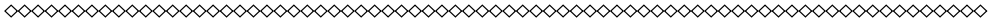
بذل الجهود المناسبة لتبني المضمون التربوي والأخلاقي، فضلا عن العلمي في سيرة الشيخ مصطفى صبري داخل المنظومة الإعلامية المعروفة بقوة تأثيرها وعمق نفوذها إلى فئات واسعة جدا من الجماهير، ويمكن في هذا الإطار التأسيس لمسابقة حول تأليف سيناريو درامي تكون فيه شخصية شيخ الإسلام محور التفاعل والتأثير.





المحور الثاني:

علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية
(دلالة إعجاز القرآن الكريم على صدق النبوة)



د. مبروك بهي الدين رمضان الدعدر

أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة

دلالة إعجاز القرآن الكريم على صدق النبوة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد .

لقد دعا الإسلام إلى إطلاق العقل من أسر التقليد، والخرافات، والأساطير، كما حث الناس جميعاً على الاستثمار الأمثل لقدرات الإنسان لما يميزه به عن سائر المخلوقات، لهذا جاء دستور الإسلام الخالد القرآن الكريم بدعوة صريحة لاستخدام العقل والتفكير والتأمل في القضايا المختلفة، فقد كرر القرآن الكريم الحث على استثمار العقل بأكثر من لفظ، كقوله تعالى: «أفلا يعقلون» و «أفلا يتفكرون» و «أفلا يتدبرون»، في كثير من مواضع الحجّة والبرهان، ومطالباً كل منكر بدليله وبرهانه، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة ١١١.

ولا شك أن دلائل النبوة كثيرة جداً، سواء كانت دلائل نقلية أو عقلية، وهي أكثر من تحصى أو تعد، وعلى رأس هذه الدلائل كتاب الله تعالى الخالد، وحجته الباقية، الذي أعجز الأولين والآخرين، كأحد أعظم دلائل النبوة.

وإن المتأمل في القرآن الكريم لاستنباط دلائل النبوة من خلاله، يجد أنه استخدم طرائق وأساليب شتى في الإثبات والاستدلال والبرهان، ولم يقتصر في دلائل النبوة على طريقة واحدة ولا أسلوب واحد، ولم تكن غايته استقراء الأدلة والبراهين على القضايا المختلفة، فما أبانه القرآن الكريم من دلائل النبوة جاء كان منها لتوضيح هذا المنهج وتنوعه واستغراق إقامة الحجّة على المنكرين والمتشككين، كما أن دلائل النبوة لا تُحصَر في معجزة القرآن وحده أو غيره من المعجزات الحسية، بل إن الشريعة الإسلامية كلها بأحكامها، ومقاصدها العليا، وتشريعاتها الربانية، واحدة من أبرز دلائل النبوة، لما تفرّدت به من مرونة وصلاح لكل زمان ومكان.



إن منهج القرآن الكريم في عرض دلائل النبوة جاء متنوع الطرائق والوسائل، والأسلوب والبيان والإعجاز، فتارة يكون بالإعجاز البياني، وتارة يكون بالإعجاز العلمي، وتارة يكون بالإخبار عن الأمم السابقة، وأخرى بالإخبار لما سيأتي من أحداث، أو بالإخبار لما هو واقع غير معلوم لمعاصريه، وغيرها كثير.

وتحقيقاً لرغبة منظمي هذا المؤتمر المبارك في الإيجاز، وتحديد مساحة محدودة للعرض، فسوف نستعرض في هذه الورقة بعض دلائل النبوة في القرآن الكريم بإيجاز مع التمثيل لكل دلالة باختصار مع بيان وجه الدلالة وماهيتها، وذلك من خلال العناصر الآتية: مقدمة، وتشمل أهمية الموضوع وأبرز أهدافه.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في إثبات دلالة النبوة.

المطلب الأول: العلاقة بين الإعجاز والمعجزة في دلائل النبوة.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في بيان دلائل النبوة.

المطلب الثالث: دلائل النبوة وأوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: نماذج من بيان دلائل النبوة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: دلائل النبوة في الإخبار أمم قد خلت.

أولاً: الإخبار عن الأمم السابقة.

ثانياً: الحكمة من ذكر الأمم السابقة في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الإخبار عما سيكون من أحداث.

المطلب الثالث: الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

خاتمة، وفيها بيان أبرز الاستنتاجات والتوصيات.

مراجع البحث.

فهرس الموضوعات.

ونسأل الله تعالى التوفيق والرشاد.

والحمد لله رب العالمين.

توطئة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد .

إن من حكمة الله تعالى ورحمته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب لإصلاح الخلق، وإقامة الحجة عليهم، ولقد جرت سنة الله تعالى تأييد الرسل والأنبياء بالآيات، وأن يجري على أيديهم خوارق العادات لتكون معجزة لهم، وبرهاناً على صدقهم، وسبيلاً لإقامة الحجة على أقوامهم، ودحض الشك في صدق ما جاء به الرسول المرسل؛ لئلا يبقى أمرهم مشكلاً؛ ويطمئن الناس إلى ما جاءوا به، لأن انقياد الناس لما يرونه بأعينهم من المعجزات والآيات المؤيدة للأنبياء أقوى وأسرع إقناعاً.

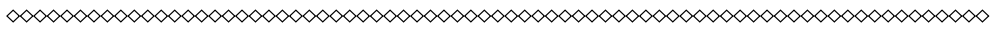
ومن حكمة الله تعالى أن الآيات التي جاء بها الرسل خارجة عن طوق البشر؛ وأن آية ومعجزة كل نبي جاءت من جنس ما شاع في عصره، وما برع فيه قومه الذين أرسله الله إليهم، فكانت معجزة عصا موسى عليه السلام مناسبة لما غلب على قومه وبرعوا فيه من السحر، وكان معجزة سيدنا عيسى عليه السلام مما برع فيه قومه من فنون الطب والتداوي، وهكذا عند الأنبياء والرسل، ومن الملاحظ أن معجزات وآيات الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ كانت آيات ومعجزات حسية، محدودة المكان والزمان، وليس لها صفة العموم والعالمية والخلود.

وإن كانت الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ كثيرة، وأكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لقول النبي ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مَثَلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَارْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، فقد جاءت الآيات والمعجزات التي أيد الله تعالى بها نبيه معجزات متنوعة؛ فمنها ما كان حسياً، مثل: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير القليل من الطعام بين يديه ﷺ حتى كان يأكل منه من معه من المسلمين، وتكثير الماء حتى يشرب ويتوضأ منه جميع الجيش، وحنين الجذع إليه لما فارقه إلى المنبر، وتسليم الحجر عليه وهو في مكة، وانقياد الشجر إليه، وتسبيح الحصى بكفه، وإبراء المرضى بإذن الله، وغيرها.

ودلائل النبوة في القرآن الكريم الشاهدة بنبوة نبينا محمد ﷺ متنوعة وكثيرة، نذكر منها:

الأول: الغيوب: ومنها ما أخبر عنها النبي ﷺ وتحققت حال حياته أو بعد وفاته كما أخبر

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كَيْفَ نَزَلَ الْوَحْيُ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ ١٨٢/٦ برقم ٤٩٨١، ومسلم كتاب الإيمان، بابُ وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمَلِّ بِمَلَّتِهِ، ١٣٤/١ برقم ١٥٢.



عنها، ومنها ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الإعجاز العلمي الذي شهد بصحته العلم التجريبي الحديث.

الثاني: المعجزات الحسية: وهي التي وهبها الله النبي ﷺ، مثل: تكثير الطعام وشفاء المرضى وانشقاق القمر، وغيرها.

الثالث: الدلائل المعنوية، كاستجابة الله لدعائه، وعصمته له من القتل، وانتشار رسالته صلى الله عليه وسلم...، وهذا النوع من الدلائل يدل على تأييد الله تعالى له ومعيته لشخصه ثم لدعوته ودينه.

الرابع: أعظمها وأدومها، إنه القرآن الكريم معجزة الله جل وعلا التي لا تبليها السنين ولا القرون، والقرآن الكريم معجزة خالدة، ودليل باهر بما أودعه الله من أنواع الإعجاز العلمي والتشريعي والبياني، وغيرها من وجوه الإعجاز، كما أخبر رسول الله ﷺ^(١).

الخامس: إخبار النبوات السابقة وتبشيرها بمقدمه صلى الله عليه وسلم، فهو النبي الذي أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه حال بعثته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: ٨١.

السادس: الأخلاق والمحامد والأحوال الشخصية: وهي أنواع من دلائل النبوة الدالة على كماله ونبوته ﷺ، إذ لم تجتمع فيه هذه الصفات وتلك الكمالات إلا من تأديب الله له، فقد أدبه فأحسن تأديبه، أجملها ربنا جل وعلا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم ٤.

والحقيقة أنه لا يمكن أن نستوفي هذه الدلائل الكثيرة، وسوف نقتصر الحديث هنا عن دلائل النبوة في القرآن الكريم، ولا نزعم أننا نستوفي كل الدلائل التي أوردها القرآن، بل نشير إلى بعض أنواع الدلائل في القرآن الكريم مع الاستدلال بأمثلة مختصرة منها، بما يتناسب مع المساحة المحددة من إدارة المؤتمر الموقر، مع التغافل عن كثير من وجوه الإعجاز كالعلمي والبياني، تاركاً ذلك لأهل الاختصاص، وفي كل ذلك أبذل وسعي أملاً من الله التوفيق والسداد.

(١) انظر: تخريج الحديث النبوي السابق، ص ٤.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في بيان دلائل النبوة.

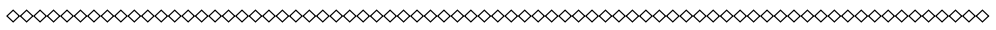
إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أنه حشد جملة من دلائل النبوة لبيان صدق نبوة محمد ﷺ، فجمع بين الأدلة العقلية والنقلية القاطعة والكافية، ومن ذلك:

الكمال الأخلاقي للنبي ﷺ، وكمال صدقه واستحالة كذبه، وهو محل اتفاق عند الناس قبل النبوة وبعدها، فقد لُقّب بالصادق الأمين، وشهد له القرآن الكريم بالصدق، ونفى تكذيب خصومه له، فقال تعالى: ﴿فَاتَّهَمُوا لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام، ٢٣، ومنها أميته ﷺ؛ إذ كان لا يقرأ ولا يكتب، فكيف لمن عاش مع قومه أربعين سنة متصفاً بالصدق، ولا يعرف القراءة والكتابة أن يعلم ما مضى من خلق الكون والعالم والبشر، وقصص الأنبياء، والأقوام السابقين، وأخبار المستقبل، وأحكام الحلال والحرام والتعاملات، برغم أميته وعدم تحدّثه بها أربعين سنة إلا أن يكون نبياً يتلقى الوحي من الله عز وجل، وقد بيّن القرآن الكريم مصدر هذه العلوم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء، الآية ١١٣.

ومنها: الكمال التشريعي لرسالته ونبوته ﷺ، إذ جاء كمال التشريع من حيث موافقة رسالة محمد ﷺ للفطرة البشرية، وعدم مخالفة الفطرة السليمة، كما قال تعالى: ﴿فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم، ٣٠، كما جاءت الرسالة موافقة للحكمة والعقل، فأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ النساء، ١٢٥، وكذلك موافقة الرسالة المحمدية لجوهر رسالات الأنبياء السابقين؛ في عبادة الله وحده والإيمان باليوم الآخر، وفي أصول الحلال والحرام، فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة، ٤٨، لأن المصدر واحد وهو الله عز وجل.

وتضافرت دلائل النبوة في القرآن الكريم ليتطابق مضمون الرسالة المحمدية مع حقائق الكون والعلم، والتي كان بعضها معروفاً في عصره، وكثير منها لم تفهم البشرية تفاصيله إلا بعد عشرات أو مئات السنين، وبعضها ما يزال لليوم لم يتوصل العلم لدقائقه، إلا أن تكون وحياً من عند الله الخالق للكون!!

ومنها: إخباره ﷺ عن أمور غيبية كثيرة، كالإخبار عن غيبات مستقبلية وتحققها، كانتصار الروم على الفرس، فقال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم



سَيَعْلَمُونَ ﴿ الروم، ٢-٣، وإخباره عن دخوله مكة فاتحًا، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ الفتح، ٢٧، ولقد تحققت الكثير من الغيبيات أخبر بها ﷺ، أو بالجواب عن أسئلة اعتمادًا على الوحي، كوصف بيت المقدس، ومنها إخباره ﷺ عن أمور غيبية ماضية؛ كإخباره عن قصة كفالة مريم، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آل عمران، ٤٤.

كما أورد القرآن الكريم نوعًا آخر من دلائل نبوته ﷺ، مثل: تباين نظم كلامه ﷺ عن نظم وأسلوب القرآن الكريم، وعن نظم كلام العرب وهم أهل الفصاحة والبيان والشعر، فبطل ادعاؤهم، وكذبت أوصافهم.

ولقد أثبت القرآن دلائل نبوته في صور متعددة، منها: عتاب الله عز وجل للنبي ﷺ في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ تَتَّبِعَنَ لِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ التوبة، ٤٣، وذلك في قصة المتخلفين عن غزوة تبوك، وغيرها، مما يؤكد النبوة والوحي وصفة الصدق والأمانة التي يتحلى بها النبي ﷺ.

ومنها: تأخر نزول الوحي مع مسيس الحاجة إليه في حادثة الإفك التي لمز بها المنافقون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كواحدة من أبلغ دلائل النبوة وأدلة على أمانته وصدقه صلى الله عليه وسلم.

فضلاً عن المعجزات الحسية التي جاءت على يد النبي ﷺ، مما يلزمنا قبل بيان منهج القرآن في إيراد دلائل النبوة، بضرورة الإشارة إلى تحرير مصطلحي المعجزة والإعجاز، ودلاتهما.

المطلب الأول: العلاقة بين الإعجاز والمعجزة في دلائل النبوة

الحقيقة أنه عندما تختلط المفاهيم، يصعب في كثير من الأحيان التعامل مع بعض المفاهيم المتعلقة بالإسلام، ويشوبها الغموض، مما ينتج عنه استنتاج مفاهيم مغلوطة متعلقة بها، مما يؤكد أهمية تجلية المصطلح ودلالته، ومن المصطلحات التي تحتاج إلى جلاء المفهوم والدلالة، مصطلحي المعجزة والإعجاز والعلاقة بينهما.

فمن الناحية اللغوية، فإن مصدر المصطلحين لنفس الفعل وهو (أعجز) كما أن وزني المصدرين يثبت اختلاف المعنى.

فالمعجزة: تأتي بمعنى (آية) وتعني: خرق لنواميس الكون، فهي الأمر الخارق للعادة،

المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة يظهره الله تعالى على يد النبي، تصديقاً له في دعوى النبوة»^(١).

كما أنها: حدث معين أو فعل معين أو قدرة معينة في زمن معين، فهي ظاهرة ترتبط بالزمان والمكان، والمعجزة غالباً ما تكون حسية، ترتبط بعناصر مناسبة لزمن ومناسبة وقوعها، لبيان موطن الإعجاز فيها، والمعجزة حُص بها الأنبياء دون غيرهم، كما أنَّ المعجزة تحدي للبشر أن يأتوا بمثلها، وتنتهي بانتهاء زمانها، لأنها تأتي لإثبات النبوة وإلهية الرسالة، وإقامة الحجّة على من يشهدا فقط دون غيرهم، ودعم ودليل أنني على صدق من أُجريت على يديه، والأمثلة أكثر من تحصر، منها: عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام معجزة، وشق البحر لسيدنا موسى عليه السلام معجزة، وإحياء الموتى لسيدنا عيسى عليه السلام معجزة، وشق القمر، والإسراء والمعراج لنبينا محمد ﷺ معجزة.

أما الإعجاز: إثبات العجز، والعجز: ضد القدرة، وهو القصور عن فعل الشيء، وهو حقيقة وفق نواميس الكون لم تعرف من قبل، وعُرف بعضها اليوم، وما زال الكثير منها غير معروف، كما تعني أن يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرائق^(٢)، وإن كان الإعجاز معنويًا في الأصل إلا أنه يكون كذلك حسيًا، وهو أمر لا يرتبط لا بالزمان ولا بالمكان، مستمر الحدوث، وتتقسم إلى قسمين: نسبي ومطلق.

فالإعجاز المطلق: هو أمر إلهي، والقرآن هو الوحيد الذي يتصف بهذا النوع من الإعجاز كونه كلام الله جل وعلا.

والإعجاز النسبي: هو أمر بشري بطبعه وهو ما تُعرف به الخوارق الإنسانية، سواء كانت جسمية أو عقلية، ممنوحة لأناس معينين لإظهار قدرة الله عز وجل في خلقه.

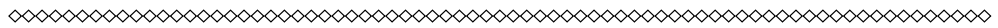
وحتى لا نتفرع كثيرًا، فحديثنا عن دلائل النبوة في القرآن الكريم كونه إعجازًا، والتي جاءت على صور كثيرة، ولعل أبرزها وأعظمها القرآن الكريم، حيث تنوع الإعجاز القرآني ليشمل عددًا كبيرًا من مجالات الإعجاز، فمنه:

الإعجاز البياني: وهو قدرة القرآن الكريم على إيصال المعاني والرسائل المختلفة بوضوح وبلاغة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها^(٣).

(١) انظر: شرح الجلال على العقائد العنصرية، الدواني، ٢/٢٧٦.

(٢) انظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص ٢٢-٢١.

(٣) انظر: نظرية تعدد الأكوان ومركز الحياة، رضوان السبكي، ص ١٢٩.



والإعجاز العلمي: كإخبار القرآن الكريم بالحقائق والمعلومات الدقيقة المرتبطة بالظواهر الكونية المختلفة كأسرار الفضاء والبحار والجبال وغيرها والتي لم يكن ممكناً إدراكها في زمن نزول القرآن ولم يتم إثباتها إلا بالعلم الحديث^(١).

والإعجاز التشريعي: والمتمثل في سمو ودقة التشريعات والنظم والمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم وتميزها عن ما دونها من التشريعات والأحكام الوضعية بطريقة يستحيل على البشر الإتيان بها^(٢).

أما الإعجاز الغيبي: فيُقصد به إشارة القرآن الكريم لأمر غيبية لها علاقة بالماضي أو الحاضر أو المستقبل يستحيل على البشر التنبؤ بها^(٣).

المطلب الثاني: مناهج القرآن الكريم في بيان دلائل النبوة

فإن المتأمل في نهج القرآن الكريم يجد أن سلك منهجاً متفرداً في إيراد وإثبات وبيان دلائل النبوة من خلال أدلة كثيرة تتكاتف لتؤدي إلى اليقين، ونعرض هنا بإيجاز أبرز طرائق القرآن الكريم في إثبات دلائل النبوة، فمن ذلك:

المنهج العقلي: فإن المتتبع لآيات القرآن يجد أن المساحة التي شغلها الحديث عن العقل ومرادفاته ووظائفه، لها دلائلها الواضحة الجلية على المنزلة العظيمة التي بوأها القرآن للعقل، والمكانة السامية التي أحلها لأهله، فقد استخدم القرآن الكريم مرادفات للعقل، مثل: الأبواب، والحجر، والنهي، أضف إلى ذلك الآيات التي تدور حول الوظائف العقلية المختلفة، كأنظر والتدبر والتذكر، والبصر^(٤).

ويعود ذلك أن الدين يقوم في الإقناع على دعامين أساسيتين هما: العقل والوحي، وكل منها لا يستغني عن الآخر^(٥)؛ «فالعقل لن يهتدي إلى الحق إلا بالشرع والشرع لا يبين إلا بالعقل»^(٦)، والوحي لا بد له من دلالة عقلية تثبته، والعقل لا بد له من منهج قويم يوجهه، ليكون قادراً على أداء وظيفته^(٧).

لذا لا غرابة أن نجد القرآن الكريم قد اعتنى بالعقل والتفكير، ودعا إلى النظر والتفكير،

(١) انظر: قصة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، زغلول النجار، ص ٨٦.

(٢) انظر: الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، محمد محمود، (الألوكة)، ص ١٣.

(٣) انظر: دلائل النبوة، سامية البدري. ضمن إصدارات مركز دلائل بالرياض، ص ٢٤ / <https://nir-osra.org>

(٤) انظر: الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، د. عبد الكريم عبيدات، ص ٨٥.

(٥) انظر: الفكر الإسلامي بين العقل والوحي، مكرم، ص ٥.

(٦) انظر: ترشيد الفكر الإسلامي، أنور الجندي، أنور، ص ٨٨.

(٧) انظر: مقام العقل عند العرب، قدرى طوقان، ص ١٥.

وَحَثَّ عَلَى التَّعْقُلِ وَالتَّدْبِيرِ، وَطَالِبٌ بِحَسَنِ اسْتِعْمَالِهِ، وَحَمَلَ عَلَى كُلِّ مَقْلَدٍ عَطَّلَ عَقْلَهُ وَمَنَعَهُ عَنِ
أَدَاءِ وَظِيْفَتِهِ^(١).

منهج التحدي: فالقرآن الكريم تحدى العرب والعجم والإنس والجن أن يأتوا بمثله، وبالغ
في التحدي أو بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٢٣.

منهج الحججة والبرهان: وهو منهج يعنى ببيان النبوة، مؤكداً أن رسول الله ﷺ عاش
فيهم قبل النبوة أربعين عاماً، فلم يحدثهم نبوة ولا رسالة، وعُرف بينهم بالصادق الأمين، ولم
يركن إلى معلم، ولم يكن شاعراً، فلماذا المعاندة والمكابرة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا تَكَلَّفْتُمُ عَلَيْهِمْ وَلَا أَذْرَبْكُمْ بِهِ ۗ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّنْ قَبْلِهِ ۗ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾ يونس: ١٦. ولم الشك في أمره مع أنه قد تجرد عن كل مطمع دنيوي، وأن أجره
على الله ولم يطالبهم بشيء، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ سبأ: ٤٧، ولم الشك في أمره وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا يمكن أن
يستمد من كتاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ ۚ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ ۚ بِيَمِينِكَ إِذًا
لَّآرْتَابَ الْمُبْطُلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨.

منهج الجدل للمنكرين: فإن المتتبع للآيات التي وردت بها لفظة «الجدل» بمشتقاتها، يجد
غالبها جاءت في موضع الذم، وأنها وصف لمن يجادل بالباطل، ليدحضوا به الحق، وفي المقابل
أثنى الله سبحانه على نبيه بأنه لم يكن فظاً ولا غليظاً في تعامله مع الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ
كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران ١٥٩.

منهج الدليل: فالأدلة القرآنية جاءت لغاية رئيسة واضحة، هي الرد على الشبهات والشكوك
التي يثيرها المرجفون في كل عصر وزمان، أو بيان لمن يقتنع بالأدلة العقلية، كأحوال الجنة
والنار واليوم الآخر، كما أنها لإثبات قضايا الاعتقاد وترسيخها في الأذهان بشكل يقيني لا يقبل
الشك^(٢)، ولذلك نوع القرآن الكريم في ذكر الأدلة، فمنها الأدلة البرهانية، لتقرير القضايا
الغيبية، على طريقة البرهان العقلي، ومنها الأدلة الدالة على صدق القرآن الكريم، وصدق نبيه
ﷺ، ومنها الأدلة التكليفية، لدلالاتها على الأحكام التكليفية، كدلالة الأوامر والنواهي على الطلب
من المكلف^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٥-١٦.

(٢) انظر: الأدلة القرآنية، خصائصها ومميزاتها، العمري، محمد نبيل، ص ٤٨.

(٣) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ابن القيم، ٧٩٣/٢.

ولقد أثبت القرآن الكريم دلائل النبوة الشاهدةُ بنبوة نبينا ﷺ، ليؤكد أن القرآن نفسه هو أعظمُ وأدومُ تلك الدلائل، دليل خالد، وباهر بما أودعه الله من أنواع الإعجاز العلمي والتشريعي والبياني، وغيرها من وجوه الإعجاز، أبانها النبي ﷺ في أوجز عبارة وأفصح بيان، فقال ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي، إلا قد أُعطي من الآيات، ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»^(١).

وجملة القول أن تنوع مناهج عرض القرآن الكريم لتحقيق عقيدة راسخة تقوم على العلم والدليل والبرهان، أحد أوجه الإعجاز، وواحدة من دلائل النبوة الخالدة، فقد دعانا القرآن الكريم للتأمل في دلائل نبوة النبي ﷺ في غير آية، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى قُرْدَى ثُمَّ نَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦.

المطلب الثالث: دلائل النبوة وأوجه الإعجاز في القرآن الكريم:

مع تعدد أوجه الإعجاز في كتاب الله جل وعلا، تتعدد جوانب النظر فيه، وقد حشد القرآن الكريم لدلائل النبوة في القرآن الكريم آيات مبهرات، عجزت البشرية عن إدراك معظم أسرارها، فضلاً عن مضاهاتها، وإن كان الإعجاز في القرآن الكريم جامعاً للقواعد العقديّة، والتعبديّة، والقيميّة والأخلاقيّة، وجامعاً للقيم السلوكية والمعاملات الإنسانية، فقد حوى كذلك قبساً وافراً من الإشارات العلمية، والوقائع التاريخية، والوسائل التربوية، والنبوءة المستقبلية اليقينية، إنه القرآن الكريم يفيض بجلال الربوبية، فقد تفرّد أن تعجز البشرية أن تأتي بشيء من مثله، لأنه من الحكيم السميع البصير سبحانه جل وعلا.

إن الحديث عن أوجه الإعجاز في كتاب الله جل وعلا، متنوع تنوع آياته ودلائلها ومقاصدها، وقد أفاض العلماء والباحثون والمفسرون والفقهاء وحتى المنكرون والملحدون في بيان كثير من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، فمنهم من رأى جمال بيانه، ودقة نظمه، وكمال بلاغته، ومنهم من رأى روعة معانيه وشمولها واتساقها ودقة صياغتها، ومنهم من رأى قدرته على مخاطبة الناس علي اختلاف مداركهم وأزمانهم، وإشعاعها بجلال الربوبية، ومنهم من أدرك إعجاز القرآن في كمال تشريعه، ودقة تفاصيله، وحكمته وشموله، ومنهم من رأى الإعجاز في منهجه التربوي الفريد، وأطره النفسية السامية والعلمية في نفس الوقت، أو في إنبائه بالغيب مما تحقق بعد نزوله بسنوات طويلة، أو في إشاراته إلي العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم يكن معروفاً

(١) سبق تخريجه ص ٤.



لأحد من البشر وقت نزول القرآن ولا لمئات من السنين بعد ذلك النزول، ومنهم من رأى إعجاز القرآن في صموده علي مدي يزيد علي أربعة عشر قرناً، رغم كل محاولات النيل منه أو التحريف علي مدي القرون العديدة، إنه كتاب الله تعالي الذي تعهد بحفظه، فقال تعالي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر ٩، إنه إعجاز القرآن الكريم في كل ذلك وفي غيره، ليبرهن علي أنه من عند الله تعالي، ويكون واحداً من دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ^(١).

المبحث الثاني: نماذج من بيان دلائل النبوة في القرآن الكريم

سبق الإشارة إلى أن القرآن الكريم دعا البشرية للتأمل في دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في غير آية، ولما كانت دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ الدالة على صدقه كثيرة جداً، منها ما هو حسي، ومنها ما هو معنوي، او غيبي، او تشريعي، او بياني، وغيرها، ويتعذر الحصر والتفصيل، فلم نجد بداً من التزام منهج البحث في عرض الأدلة التي تشهد بنبوة النبي ﷺ، من القرآن الكريم، خروجاً به من التقليد إلى البرهان والدليل، وتكون دعوة للبشرية للتحقق بالدليل في معرفة نبينا محمد ﷺ، وجوانب العظمة في حياته ودعوته، وتثبيتاً للمؤمنين لوثوق الإيمان به نبياً ورسولاً، وحرصاً على عدم التشعيب، والتفرض، فسوف نلزم خطة البحث المعتمدة لهذه الورقة، ونوجز الاستدلال والاكتفاء بنماذج من الأمثلة.

المطلب الأول: دلائل النبوة في الإخبار عن أمم قد خلت.

أولاً: الإخبار عن الأمم السابقة.

إن الإخبار عن حضارات سادت ثم اندثرت، والإخبار عن الأنبياء السابقين وأقوامهم الذين بعثوا أو أوحى الله تعالي إليهم قبل مئات وآلاف السنين، والحديث عن قصص ومشاهد تفصيلية لأمم سابقة لم يكن لها اتصال مباشر بأهل الجزيرة العربية، وذكر أحوالهم وما آل إليه مصيرهم، أمر يثير الدهشة والعجب إذا كان المبلغ باحثاً تاريخياً، أو عاش زمن هذه الحضارات، أو عاصر هؤلاء الرسل والأنبياء وعاش تلك الحقب، لكن الإعجاز أن يكون المبلغ عن الله تعالي أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجلس إلى معلم، ونشأ بين أظهرهم، ولم بعاصر شيئاً من هذا، ثم يأتي لهم بذكر الأمم السابقة بتفاصيلها، فإن ذلك لا يعني إلا أمراً واحداً، وهو: أن هذا العلم لا يكون إلا من عند الله جل وعلا، وأن المبلغ هونبي ورسول، ويقيناً أنه حقٌ وصدق، وأحد أبرز دلائل النبوة، ودليل يقيني علي أنه نبي.

(١) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المقدمة، يوسف الحاج، ٢-٥ (بتصرف واختصار).



ولقد جاء ذكر الأمم السابقة في القرآن الكريم في مواضع عدة، مجملًا تارة، ومفصلًا تارة أخرى، يحمل معها العبرة والغاية، ونظرًا لكثرة ما أورده القرآن الكريم من دلائل النبوة ببيان عن الأمم السابقة، فسوف نكتفي بذكر نماذج من ذلك، إلا أننا نرى من الضروري ثبّت بعض المسلمات، ومنها:

أن أخبار الأمم السابقة في القرآن الكريم هي أصدق الأخبار، وأن قصص القرآن أصدق القصص؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء: ٨٧، وذلك لتّمَام مُطَابَقَتِهَا للواقع.

أن قصص القرآن عن الأمم السابقة هي أحسن القصص؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ نَقَضَ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ يوسف: ٣، وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى.

أن قصص القرآن عن الأمم السابقة هي أنفع القصص؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: ١١١، وذلك لقوّة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق^(١).

ولقد أخبر الله تعالى أن ما كان من أخبار الأمم السابقة، والأنبياء السابقين من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا من أوحى الله تعالى إليه، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ هود: ٤٩، فأثبت الله تعالى للبشرية أن هذا ليس من كلام النبي محمد ﷺ، ولكنه وحي أوحى إليه.

وفي موضع آخر يبين الله تعالى للبشرية، ولمن ينكر، ويجحد، أو يدّعي أنه من كلام السابقين تعلمه محمد ﷺ، فجاء الردّ مضمّنًا أن من يقولون إنه نقل عنهم وكانوا يقصدون عبداً روميًا^(٢)، إنما هو من العجم أي لا يعرف العربية، وهذا كلام عربي، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣، كما عاب القرآن على جهلهم وتكذيبهم أنفسهم، بأن محمد ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، مذكراً لهم بما قالوه، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ، بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨، قال ابن كثير، «أي: قد لبثت في قومك - يا محمد - ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن

(١) انظر: أصول التفسير؛ لابن عثيمين، ص ٥٧.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن؛ للطبري، ٢٦٤/١٤.

الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب.. وأردف ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَازَتْكَ الْمُبْتَلُونَ﴾، أي: لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة^(١).

والمتأمل في ذكر الأمم السابقة في القرآن الكريم يجد أنها جاءت على نوعين:

الأول: ما كان عن الأنبياء والرسول، وما جرى لهم مع أقوامهم، كقصة نوح عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنقُبُونَ﴾ المؤمنون ٢٣، وقصة هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ هود ٥٠، وقصة لوط عليه السلام: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصافات ١٢٣، وقصة يونس عليه السلام: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصافات ١٢٩، عليهم السلام، وما كان عن غيرهم من الأنبياء والرسول.

والثاني: ما كان عن أفراد وطوائف، كقصة مريم عليها السلام، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آل عمران: ٤٤، ولقمان عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان ١٢، وقصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ البقرة ٢٥٩، وقصة ذي القرنين، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف ٨٢، وما جاء عن قصة قارون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَوْسَىٰ﴾ القصص ٧٦، وقصة أصحاب الكهف، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الكهف ١٠، وقصة أصحاب الفيل، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْصِبِ الْأَحْدُوذِ﴾ البروج ٤، وما جاء عن أنبياء القرى، ومنه وقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ هود: ١٠٠، وغيرها الكثير.

ووجه الإعجاز في ذكر تلك القصص والأخبار اليقينية، هو أن البيئة العربية لم تكن على علم تفصيلي بها، وهذا يُثبت أنه ﷺ عَلِمَ بها من مصدر إلهي، وإذا أُضيف إلى ذلك أن النبي

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٥٧/٣.

﴿﴾
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَمِيًّا لَا يُحَسِّنُ الْقِرَاءَةَ وَلَا الْكِتَابَةَ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُتَّصِرِينَ أَنْ يَتَلَقَى مِثْلَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَبِالتَّالِي لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ تِلْكَ التَّفَاصِيلِ إِلَّا عَنِ طَرِيقِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى أَقْرَبُ بَعْضُ الْأَحْبَارِ بِصَدَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَبِيِّتِهِ، وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الَّتِي لَا رَيْبَ فِيهَا، أَنَّ الَّذِي أَخْبَرَ بِكُلِّ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا نَبِيًّا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، وَأَعْلَمَهُ بِكُلِّ هَذَا.

ثانِيًا: الْحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

لَقَدْ تَعَدَّدَتْ الْحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمِنْ أBRزها:

بَيَانُ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيْمَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْقِصَصُ مِنْ وَقَائِعِ ثَابِتَةٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ الْقَمَرِ ٤-٥، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيُّ: مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ قِصَصِ الْأُمَمِ الْمَكْذِبِينَ بِالرَّسْلِ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ وَالْعَذَابِ، مِمَّا يَتَلَى عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أَيُّ: مَا فِيهِ وَاعْظُ لَهُمْ عَنِ الشَّرْكِ وَالتَّمَادِي عَلَى التَّكْذِيبِ (١).

بَيَانُ عَدْلِهِ جَلِّ وَعَلَا بِعُقُوبَةِ الْمَكْذِبِينَ؛ وَبَيَانُ فَضْلِهِ تَعَالَى بِمُثُوبَةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٢٤﴾ الْقَمَرِ: ٢٤، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ بَجَرِي مِّنْ شُكْرِ ﴿٢٥﴾ الْقَمَرِ: ٢٥، قَالَ السَّعْدِيُّ: قَلْبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ دِيَارِهِمْ، وَجَعَلَ أَسْفَلَهَا أَعْلَاهَا، وَتَتَبَعَهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ، مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمَسْرِفِينَ، وَنَجَّى اللَّهُ لُوطًا وَأَهْلَهُ مِنَ الْكِرْبِ الْعَظِيمِ، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى شُكْرِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ (٢).

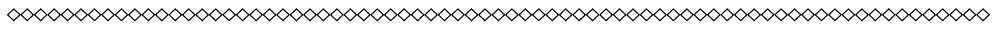
تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْمَكْذِبِينَ لَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذَتْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٥-٢٦﴾ أَيُّ: وَإِنْ يَكْذِبُكَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُوكُونَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ رُسُلَهُمَ الَّذِينَ جَاؤُوهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ الْوَاضِحَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نَبِيِّتِهِمْ، وَجَاؤُوهُمْ بِالْكِتَابِ الْمَجْمُوعِ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ الْمَوْضِعِ لَطَرِيقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ (٣).

تَرْغِيبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِيمَانِ بِالْثَبَاتِ عَلَيْهِ وَالْإِزْدِيَادِ مِنْهُ، إِذْ عَلِمُوا نَجَاةَ الْمُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ، وَانْتِصَارَ مِنْ أَمْرِهِ بِالْجِهَادِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَبِحَيْثُ لَهُ مِنَ الْعَمْرِ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ الْأَنْبِيَاءُ: ٨٨، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَيُّ نَخْلَصُهُمْ مِنْ مَهْمِهِمْ بِمَا سَبَقَ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ٥٢٨.

(٢) انظر: تفسير الكريم المنان، للسعدي، ص ٨٢٧/١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣٤/١١.



من عملهم^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُهُمْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم: ٤٧، قال ابن كثير: هو حق أوجبه على نفسه الكريمة، تكرمًا وتفضلاً^(٢).

تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ محمد: ١٠، قال القرطبي: ألم يسر هؤلاء في أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بهم فينظروا بقلوبهم كيف كان آخر أمر الكافرين قبلهم، دمر الله عليهم أي أهلكهم واستأصلهم^(٣).

وما يعيننا هنا هو أن هذه القصص من حكمتها الربانية إثبات رسالة النبي ﷺ، فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ هود: ٤٩، قال ابن كثير: أي: لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، حتى يقول من يكذبك: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك، فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك، فإننا سننصرك ونحوطك بعنايتنا، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة^(٤)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ إبراهيم: من الآية ٩. قال السعدي: من كثرتهم وكون أخبارهم اندرست^(٥).

إنها واحدة من أبرز دلائل النبوة لنبينا محمد ﷺ، لمن أراد أن يتذكر أو يخشى.

المطلب الثاني: دلائل النبوة بالإخبار عما سيكون من أحداث

إذا كانت الحقيقة المطلقة لدى المؤمن وغير المؤمن أن الغيب غيبان أو نوعان:

الأول: غيب مطلق، وهو الذي لا يعلمه إلا الله، ومن شاء أن يُطلعه على ما شاء منه، من رسله من الملائكة ومن الناس، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ النمل: ٦٥/٦٦، قال ابن كثير: لا يعلم أحد ذلك إلا الله

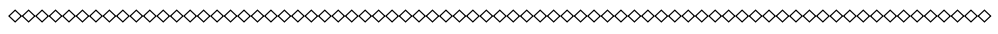
(١) انظر: التفسير الميسر، نخبة من العلماء، ٤٢٧/١.

(٢) انظر: التفسير الميسر، نخبة من العلماء، ٤٢٧/١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٢١/٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٢٨/٤.

(٥) انظر: تفسير الكريم المنان، السعدي، ٤٢٢/١.



عز وجل، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له^(١)، وقيل: قل أيها الرسول لهم: لا يعلم أحد في السموات ولا في الأرض ما استأثر الله بعلمه من المغيبات، ولا يدرون متى هم مبعوثون من قبورهم عند قيام الساعة؟ بل تكامل علمهم في الآخرة، فأيقنوا بالدار الآخرة، وما فيها من أهوال حين عاينوها، وقد كانوا في الدنيا في شك منها، بل عُميت عنها بصائرهم^(٢).

والثاني: غيب نسبي، وهو بمعنى العلم بالشيء من الحوادث والأحوال والأعمال العامة والخاصة، فما يغيب عن بعض الناس قد يعلمه البعض، ويكون غيباً بالنسبة لمن لم يشاهده أو لم يدركه بشيء من حواسه، وحينئذ فلا طريق له إلى العلم به إلا بالخبر الصادق^(٣).

وأما دعوى فلاسفة العصر الحاضر: بأن معرفة الغيب بالوسائل الحديثة لنقل الأخبار، والحكم على الأخبار بحسب مصادرها وناقليها، فمن ادعى شيئاً من هذا فيقال له: هل علمه أحدٌ قبلك، فإن كان جوابه بنعم فلا يكون غيباً، وإن لم يكن معلوم من قبل فقد يكون ظناً، وقد يكون توهمًا، فالاعتبار يكون بحال المخبر للحكم على خبره.

أما مدعي علم الغيب من الكهنة والعرافين، فإن مستندهم في أخبارهم إما أدلة وهمية لا تقيد إلا الظنون الكاذبة، وإما ما يتلقونه من شياطين الجن، وهم يصدّقون ويكذّبون، والغالب فيها الكذب والخداع، وأما ما يصدّق منها يكون على سبيل الحظ والمصادفة، أو أن يكون هو من السحرة ومما يتلقاه عن مسترق السمع، فيكذب معه مئة كذبة، ويزيد وينقص حسب الحالة التي أمامه، كما أثبتته القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وأما الفراسة الإيمانية فهي من نور الإيمان، وهي من نوع الإلهام الإلهي، ولا يكون الإنسان بها عالماً بكل أحوال الناس، إنما يكشف الله لصاحب هذه الفراسة بعض أحوال الناس، ممن يراهم، أو بعض الأمور المتوقعة، وهي من الخوارق الكشفية التي يختص الله تعالى بعض عباده^(٤).

ومما سبق يعلم أن علم الغيب من المسلمات لدى المؤمنين، وهي أن الغيب المطلق لا يعلمه أحد من البشر، وأن التنبؤ بالغيب أمر من ضروب الشعوذة والدجل.

ولذلك كان من دلائل إعجاز القرآن الكريم في إثبات دلائل النبوة لنبينا محمد ﷺ، إخباره عن الغيوب المستقبلية يقيناً بتحقق، كما أن غيب المستقبل الذي أخبر به النبي ﷺ، بوحى من الله تعالى، ليبرهن على نبوته ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٠٧/٦.

(٢) انظر: التفسير الميسر، نخبة من المفسرين، ٢٨٣/١.

(٣) انظر: حكم من يدعي علم الغيب، د. عبد الرحمن البراك، <http://iswy.co/e4500>

(٤) انظر: حكم من يدعي علم الغيب، د. عبد الرحمن البراك، <http://iswy.co/e4500>

الأول: قسم أخبر به القرآن الكريم ووقع في حياة رسول الله ﷺ، وهو كثير جداً أكثر من يحصر هنا، فعلى سبيل المثال: ما كان في غزوة الأحزاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الأحزاب: ٩، ومنه ما كان من خبره في هزيمة الروم، قال تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَعْلَبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ الروم: ٤، ومنه ما أخبر عنه بموت أبي جهل على كفره، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا أُمِّي لَهُبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ الْمَسْدُ ١، كما سيأتي بيانه.

الثاني: ما أخبر عنه القرآن الكريم ووقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعَةٌ إِلَىٰ قَوْمِ أُولِي الْأَسْبَابِ لَقَدْ وَفَّيْنَاكُمْ فِي غَزَاكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ غَلَبَتِ الرُّومَ ﴿١﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ الفتح: ١٦، ومع اختلاف المفسرين في هؤلاء القوم الذين هم أولو بأس شديد على أقوال: أنهم هوازن، أو ثقيف، أو بنو حنيفة، أم هم أهل فارس، أم هم الروم، أم هم فارس والروم معاً، أم هم أهل الأوثان، وأيا كانوا هم هؤلاء القوم، فكانوا لم يأتوا أولئك بعد، فقد شرع جهادهم وقتالهم، فلا يزال ذلك مستمرًا عليهم ولكم النصر عليهم، فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار^(١)، وهو ما تحقق على مرِّ العصور بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

والثالث: ما أخبر عنه القرآن الكريم لم يقع بعد، وسيقع حتمًا لأن الله لا يخلف الميعاد، كالأحداث التي تكون قبل قيام الساعة من اختلال النظام الكوني، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ الْقِيَامَةُ ٩، وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنْفُثَتْ ﴿٢﴾ الْانْفِطَارُ: ١-٢، وخروج يأجوج ومأجوج قبل ذلك، وهي من أهوال يوم القيامة، قال المفسرون: فإذا تحيرَ البصر ودُهِشَ فزعًا مما رأى من أهوال يوم القيامة، وذهب نور القمر، وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، يقول الإنسان وقتها: أين المهرب من العذاب؟^(٢).

ونشير فيما يأتي إلى بعض نماذج من دلائل النبوة في إخبار رب العزة جل وعلا لنبيه ببعض الأخبار المستقبلية، تأكيداً لنبوته ﷺ، فمنها:

إخباره عن انتصار الروم على الفرس، كما في قوله تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَعْلَبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/٢٠٤.

(٢) انظر: التفسير المبسر، نخبة من المفسرين، ١/٥٧٧.

﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الروم: ١ / ٤، ومعلوم أن كلمة (بضع) في اللغة تدل على ما بين ثلاث وتسع^(١)، وقد جاء انتصار الروم على الفرس بعد سبع سنين من نزول الآية، قال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، أي: هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أنا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق، وخبر صدق لا يخلف، ولا بد من كونه ووقوعه^(٢)، وقال السعدي رحمه الله: «وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركون، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته»^(٣).

انتصار المسلمين في معركة بدر: قال تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ﴾ القمر ٤٥، قال القرطبي رحمه الله: «وهذا من معجزات النبي ﷺ؛ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر»^(٤). وقال ابن عاشور رحمه الله: «وهذا بشارة لرسوله ﷺ بذلك، وهو يعلم أن الله منجز وعده، ولا يزيد ذلك الكافرين إلا غروراً فلا يعيروه جانب اهتمامهم وأخذ العدة لمقاومته»^(٥).

موت أبي لهب على الكفر، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ المسد ١-٢، قَالَ الْفَرَّاءُ: التَّبُّ الْأَوَّلُ: دُعَاءٌ وَالثَّانِي خَبْرٌ^(٦)، أي إخبار بأن أبا لهب سيموت على الكفر ولن يدخل في الإسلام، وهو أمر غيبي أوحاه الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، وكان بإمكان أبي لهب أن يعلن إسلامه ليكذب هذا الخبر ولو ظاهراً؛ لكنه لم يفعل، ومات على الكفر، تحقيقاً لخبر السماء، وتأكيذاً لنبوته نبينا صلى الله عليه وسلم.

إخباره عن دخول المسلمين المسجد الحرام محلّقين رؤوسهم ومقصرين، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ الفتح: ٢٧، قال ابن كثير: هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء^(٧)، أي جعل الله رؤيا رسوله التي رآها في النوم عام

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٥/٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، لابن كثير، ٦ / ٢٠٥.

(٣) انظر: تفسير السعدي، عبد الرحمن السعدي، ص ٦٣٦.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٧ / ١٤٦.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢١٣ / ٢٧.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠ / ٢١٦.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ٣٥٦/٧.

الحديبية حقاً^(١)، قال الرَّاغِبُ: الصَّدْقُ يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَيَكُونُ بِالْفِعْلِ وما في الآيةِ صِدْقٌ بِالْفِعْلِ وهو التَّحْقِيقُ أَي حَقَّقَ سُبْحَانَهُ رُؤْيَتَهُ^(٢)، فدخُلوه بعد سنة معتمرين، ودخلوه بعد سنتين فاتحين، تحقياً لوعد الله تعالى، وتصديقاً لنبوة نبينا محمد ﷺ.

المطلب الثالث: دلائل النبوة بالإعجاز البياني في القرآن الكريم

لقد شهد الأولون والآخرون بأن القرآن الكريم مُعْجَزٌ للبشر، لذا فإنَّ التسليم بهذا هو تسليم بأنه من عند الله تعالى، وهذا بدوره يؤدي إلى التسليم بأن القرآن الكريم أعظم دلالة من دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ، فلقد أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين في أمة لها باعها الطويل والقِدْحُ المُعَلَّى في البيان والفصاحة وروعة الأسلوب، يتباهون ويفخرون بأدق وأجود وأبرع صناعتهم البيانية، تذوقاً للغة التي تهذبت كلماتها وأساليبها واختيرت ألفاظها أحسن اختيار.

فأنزل الله تعالى القرآن على النبي محمد ﷺ، دليلاً على النبوة وتأكيدياً أنه، كما أخبر الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم ٣-٤، قال ابن كثير: أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض أي إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً، من غير زيادة ولا نقصان^(٣).

فوقف أمتهم وفصحاؤهم وبلغاؤهم من العرب عاجزين أمام القرآن أن يحاكوه أو يماثلوه في أزهى عصور اللغة بياناً وفصاحة وبلاغة، فكان التحدي بألفاظ القرآن وكلماته في فصاحته وبلاغته وبيان أسلوبه، ليؤكد أن أعظم دلائل النبوة القرآن الكريم، كتاب الله الذي أعجز الأولين والآخريين.

يقول رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي، إلا قد أُعطي من الآيات، ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(٤).

قال ابن حجر في معنى قوله: «إنما كان الذي أوتيتُ وحياً»، أي أن معجزتي التي تحدتُ بها، الوحي الذي أنزل عليّ، وهو القرآن، وقال: «بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختصَّ بها دون غيره ﷺ»^(٥)، وقال ابن كثير في معنى الحديث: «معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء،

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٤/٤١٤.

(٢) انظر: مفردات القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ١/٥٧٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧/٤١١.

(٤) سبق تخريجه، ص ٤.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٨/٦٢٢.

والإتيان بمثله عجز دائم لا انقطاع له، فيقول: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ البقرة: ٢٤، قال القرطبي: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ إثارة لهمهمم، وتحريكٌ لنفوسهم؛ ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها^(١).

وحين أراد مسيلمة معارضة القرآن فضحه الله وأخزاه، فكان قوله محلاً لسخرية العقلاء وإعراض البلغاء، وقال كلاماً أضحك العرب، مثل: «يا ضفدع، نقي كما تتقين، لا الماء تدركين، ولا الشراب تمنعين»، وأراد معارضة القرآن الكريم فقال: «ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج من بطنها نسمة تسعى، من بين شراشيف وحشى»، ومثله: ما فعله النضر بن الحارث والذي كان يدعى بليغ قريش وفصيحتها، فقد أتى بالأغرب والمضحك حين قال: «والزراعات زرعاً. والحاصدات حصداً. والطاحنات طحناً. والعاجنات عجنأ. والخابزات خبزأ»^(٢).

وعندما توهموا أن القرآن ككلام البشر، يعتريه من الضعف ما يعتري كلام البشر، أو أن فصاحته يدانيها كلام الفصحاء، ويقاربها أساليب البلغاء، أراد أبدأؤهم معارضة القرآن، فوقفوا عاجزين، مثل: ابن المقفع عندما أراد معارضة القرآن الكريم كلٍّ وعجز، فقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر، ومثله: من كان يُدعى بليغ الأندلس وفصيحتها، يحيى الغزال، وغيرهم، وذلت رقابهم لما سمعوه من آيات الله ومحكم التنزيل، ولم يجدوا بدءاً من اعترافهم بعظمة القرآن، فها هو الوليد بن المغيرة سيد قريش، يسمع النبي ﷺ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠، فيقول قولته المشهورة التي وقعت على مسامع قريش كالصاعقة: «والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلا، وإنه ليحطم ما تحته»^(٣).

ومثل ذلك ما خضعت له رقاب جهاذة اللغة والفصاحة، فعندما جاء عتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ؛ فقرأ عليه النبي ﷺ أوائل سورة فصلت، فرجع إلى قريش قائلاً: إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكون لقوله الذي سمعتُ نبأ^(٤).

فلقد خضع واستسلم أساطين البلاغة في كل زمان ومكان، لنظم القرآن الكريم، ولنسقه

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/٢٦٧.

(٢) لماذا أسلم صديقي، إبراهيم خليل، ص ٥٠-٥٤.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک، ٢/٥٥٠، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة، ٢/١٩٨.

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة، ٢/٢٠٤-٢٠٥، وفي: ٢/٢٠٢، وابن إسحاق في السيرة، ١/١٨٧.

الفريد، وترتيبه العجيب، واستمدت منه النفوس المؤمنة روحها وريحانها، فلم يشبع من دراسته العلماء، ولم يمل تلاوته أحد من الأتقياء^(١)، قال القاضي عياض: «فالقرآن في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة، وكما شهدت به الأعداء كالوليد بن المغيرة، إذ قال حين تلي عليه منه: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله مغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما هو من كلام البشر^(٢)».

ووجه إعجازه معلوم ضرورة بجزالة لفظه، وفخامة تأليفه، وبلوغه أقصى درجات مراتب البلاغة والفصاحة، وحسن التثام كلماته ونظم آياته، وبراعة إيجازه وخرابة فنونه، وفصاحة وجوه فواتحه وخواتمه، فلا يحتاج العلم به إلى دليل^(٣).

قال أبو بكر الجصاص: «وقد علمنا أن القرآن في أعلى طبقات البلاغة فحائز أن يكون التحدي للعجم واقعاً بأن يأتوا بكلام في أعلى طبقات البلاغة بلغتهم التي يتكلمون بها^(٤)».

والحقيقة المطلقة عند أهل اللغة هي أن «الإعجاز في كلام الله تعالى أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق، فإعجاز كلام الله تعالى إنما هو بهذا الطريق وهو كونه في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة على ما هو الرأي الصحيح^(٥)».

والحديث عن إعجاز القرآن الكريم البياني واللغوي أمر يطول ولا يقف عند حد، وفي ما ذكر اختصاراً وتحقيقاً لتقرير حقيقة ما أخبرنا به ربنا جل وعلا، فقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨، قال ابن سعدي: «وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ .. هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء، ظهر له الفرق العظيم^(٦)».

المطلب الرابع: دلائل النبوة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم

نعني بدلائل النبوة من خلال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما تضمنه القرآن الكريم

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل، ص: ٢٢٨ بتصرف.

(٢) انظر: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، ٢/١-٦.

(٣) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٩٠٨/٩.

(٤) انظر: أحكام القرآن، للجصاص، ٣/٢٧١٠.

(٥) انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي نكري، ٩٧٠/١.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٤٥-٤٦.

من إشارات صادقة إلى بعض النظريات والحقائق العلمية في الكون والإنسان، لم تكن معروفة للبشرية وقت نزول القرآن الكريم على نبينا ﷺ، ولم يكتشف العلم والعملاء المختصين هذه الحقائق إلا بعد مرور مئات السنين، وما زالت تُكْتَشَفُ وتتنوع إلى وقتنا الحاضر، مع أن نبينا ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولا شك أن هذا واحد من أبرز دلائل إعجاز القرآن الكريم من ناحية، وصدق النبي ﷺ من ناحية أخرى، والأمثلة على هذه النظرات والإشارات كثيرة في كتب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

وإن كنا نعيش زمناً وعصراً يؤمن فيها الأفراد والمجتمعات بالعلم التجريبي، وأن العلم التجريبي هو اللغة السائدة كأحد أكثر القناعات لتحقيق اليقين، وأن مقياس تقدم الشعوب يكون بما أحرزته من اكتشافات واختراعات، ويعدونه إعجازاً من البشر، فلنا نحن المسلمين كذلك أن نبرهن للبشرية أن القرآن الكريم كتاب ربنا جل وعلا، قد حوى من العلوم التجريبية والكونية والحقائق العلمية اليقينية منذ ألف وأربعمائة عام، وأخبرنا بما توصلتم أنتم إليه اليوم، فضلاً عن شواهد أخرى ما زالت البشرية عاجزة عن اكتشاف أسرارها، وفيما لم تصلوا إليه بعد، ولأجيال قادمة، إلى أن تقوم الساعة^(١).

وإذا كان من المعلوم يقيناً أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وليس كتاباً علمياً بمفهوم العلوم الكونية كالتبُّ أو الهندسة أو علوم الأرض، ونحو ذلك من العلوم العلمية التجريبية، إلا أن المتأمل في القرآن الكريم ليجد ما يزيد عن سبعمائة وخمسين آية تضمنت أو حوت قبساً من حقائق ومسائل هي في حقيقتها من صميم العلم التجريبي، منها قضايا عامة وأخرى تفصيلية، وهي واحدة فقط من دلائل إعجاز القرآن المتعددة التي تظهر للناس تباعاً، ليكون دليلاً من الدلائل الكثيرة التي تؤكد على مرّ الأزمنة والعصور أن القرآن كلام الله تعالى، وواحدة من أعظم دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ.

ولم يكن هذا امرأ مستحدثاً أو مستتبّاً بل خبر الحكيم الخبير، فلقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم بعبارة واضحة صريحة أنه جل وعلا سيكشف للبشرية آياته تباعاً، وعلى مرّ الأجيال والعصور والأزمان^(٢)، فقال تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣، قال السعدي: فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقوم الله لكم، ويريكم من آياته في الأفاق كالأيات

(١) مجلة الشريعة، العدد، ٣٥، ص ٤٢.

(٢) مجلة الشريعة، العدد، ٣٥، ص ٢٦-٢٩.

التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق، ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثالات في المكذبين، ونصر المؤمنين ﴿حَقَّ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ﴾ من تلك الآيات، بياناً لا يقبل الشك ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ وما اشتمل عليه حق، وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبين لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء^(١).

إن دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أمر بطول ويتفرع، ولكن قبل الاستطراد في إثبات دلائل الإعجاز العلمية في القرآن الكريم، علينا أن نقرر حقيقة مهمة:

أن المفسرين على مر الزمان والعصور قد حذروا من الاستطراد في تأويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها التشريعية والإيمانية، تحقيقاً للحقيقة المسلمة، وهي: أن القرآن لم يكن كتاب قوانين علمية أو معادلات رياضية، ولا لبيان جداول المواد وخصائصها، ولا لخصر قوائم أسماء الكائنات وتصنيفاتها وصفاتها، وإنما هو في الأصل كتاب هداية وإرشاد، كتاب عقيدة، وعبادة، وقيم حضارية، وأخلاق سامية، ومعاملات محكمة، وتلك الركائز التي يقوم عليها المنهج الرباني، كتاب يوضح للإنسان منهجاً ومنظومة حضارية وقيمية، لما لا يستطيع الإنسان لنفسه فيها ضوابط صحيحة.

وأن القرآن الكريم حين يلفت الأنظار إلى مختلف مظاهر الكون، وما فيها من دلائل وإعجاز، إنما يعرضها من قبيل البرهان والاستدلال على قدرة الخالق العظيم، وعلمه، وحكمته، وتدبيره، وإقامة الحجة البينة على كل من ينكر الوحي، أو من يجحد بنبوة النبي ﷺ، وتأكيداً على قدرته جل وعلا على كل خلقه، بكل ما فيه من إبداع وإعجاز.

ولما كان الأمر بهذه السعة، وعدم القدرة على الإلمام بكل نواحي الإعجاز، فلا سبيل لنا إلا الإيجاز، والاكتفاء بأمثلة لبيان دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ودلائلها على النبوة وصدق نبينا محمد ﷺ، وذلك من خلال صور إجمالية لا تفصيلية، ومن ذلك على سبيل المثال: في الآيات الكونية: وهي واحدة من دلائل نبوة النبي ﷺ، إذ أن الحقائق الكونية التي جاءت في القرآن الكريم، لا يستطيع أحد من البشر أن يحيط بها مهما اتسعت مداركه العلمية، فكيف يكون الحال إذا جاءت هذه الحقائق على لسان رجل أمي عاش في بيئة أمية، لا شك أن هذا يدل دلالة قاطعة أن القرآن منزل من الله تعالى، وأن ما نطق به نبينا صلى الله عليه وسلم وحياً، وهو دليل صدق على نبوته ﷺ.

(١) تيسير الكريم المنان، السعدي، ٧٥٢/١.

ومن ذلك كمثل، قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ الزمر: ٥؛ وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الأنبياء: ٤٤، ومعلوم أن التكوير لغة: اللَّيُّ واللَّف (١)، وهي حقيقة علمية، تفيد استدارة الأرض، وتنطبق بإعجاز عن تكوير الليل على النهار، إذ الحقيقة العلمية أن الأرض ليست كرة تامة الاستدارة، بل بيضاوية، ومن ناحية أخرى أثبت العلم الحديث أن النسبة بين قطري الأرض تتناقص باطراد، وهو ما يشار إليه في القرآن بنقص الأرض من أطرافها، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد ٤١ (٢)، فمن أخبر النبي ﷺ بهذا؟ إنه الحق جل وعلا سبحانه.

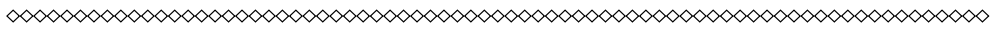
وعن الشمس: نقرأ قول الله تعالى: ﴿نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ الفرقان: ٦١، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يس: ٣٨، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ النبأ: ١٣، وفيها وصف الشمس والقمر بصفات حيرت المفسرين: كونها سراجًا مشتعلًا متوهجًا، تقدر درجة حرارته بألاف الدرجات بالمقارنة بالقمر المنير البارد الذي يقتصر دوره على دور المرآة العاكسة، كما أشار القرآن إلى حركتها المستمرة، وهو ما اكتشفه العلم الحديث، كون الشمس تسير في اتجاه محدد مستقر لها بسرعة فائقة تصل إلى ١٥٠٠ كيلومتر في الثانية، بالنسبة للنجوم المحيطة بها في اتجاه ما يسمى بكوكبة الجاثي التي تقع في منطقة تميل حوالي ١٠ درجات إلى الجنوب الغربي من النجم اللامع المسمى بالنسر الواقع، وعن القمر نقرأ قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ يس: ٣٩، وما اكتشفه العلم في العصر الحديث من حقائق حول القمر: أنه جرم بارد عاكس للضوء، خلافًا لحال الشمس السراج، وحجمه الذي هو أصغر من الشمس، رغم ما يظهر للرائي من كبره، شكله الظاهر لنا الذي يتبدل من هلال إلى بدر حسب أوضاعه (منازله) النسبية للشمس والقمر (٣)، فمن أعلم النبي ﷺ بهذا؟ إنه الحكيم الخبير جل وعلا، ليبرهن للبشرية على دلائل نبوته ﷺ.

وعن حركة الأرض: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي

(١) لسان العرب، لابن منظور، ١٥٦/٥.

(٢) كشّاف الإعجاز العلمي، للدكتور نبيل هارون، ص ٤٢٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٤٣٠.



فَلَاكِ يَسْبَحُونَ ﴿ الأنبياء: ٣٣؛ وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ يس ٣٧، حقيقتان علميتان توصل العلم إلى حقيقتهما حديثاً، عبّر عنهما القرآن الكريم بأوضح عبارة وأدق تصوير، تشير إلى حركة الأرض المستمرة في دورانها حول نفسها؛ يجمع الليل والنهار مع كل من الشمس والقمر في الحديث عن الدوران والسباحة في الأفلاك، كل في فلكه، وطلب الليل والنهار حديثاً، كما يرى بعض العلماء أيضاً أن تعبير رب المشارق والمغرب يتفق مع حركة الأرض؛ إذ إنه في كل لحظة هناك موضع جديد بالكرة الأرضية تشرق عليه الشمس، وآخر تغرب عنه؛ والحديث عن الليل الذي يسلك منه النهار؛ أي: ينشأ منه رويداً رويداً بحركة الأرض^(١)، فمن أخبر نبينا الأمي قبل ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام؟

وعن خلق الإنسان: كواحدة من أمثلة الإعجاز العلمي، نقرأ قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ الزمر: ٦، إشارة إلى السوائل الثلاثة المحيطة بالجنين، ونقرأ قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ القيامة: ٤، في إشارة إلى البصمات وتحقيق الشخصية^(٢)، وهي حقائق علمية أشار إليها القرآن الكريم قبل أن تعرف البشرية مثل هذه العلوم.

وفي الصعود إلى طبقات الجو العليا: نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ الأنعام: ١٢٥، وتعني: «نقص الأوكسجين في طبقات الجو كلما صعدنا لأعلى؛ فعند ذلك يشعر الإنسان بضيق في الصدر وصعوبة في التنفس»^(٣)؛ ووجه الإعجاز في الآية هو: ما الذي يجعل الصدر ضيقاً حرجاً عند تصعده في السماء؟ فكان ما اكتشفه العلم الحديث؛ من انخفاض ضغط الهواء ونسبته كلما ارتفعنا عن سطح الأرض، وأن من يصعد في السماء يضيق تنفسه، وتضغط عضلة الحجاب الحاجز في الصدر على الرئتين فتتقبضان بشدة، وهنا يضيق صدر الإنسان، مما ألزم عمل ملابس خاصة بالفضاء^(٤)، وقد أشار المفسرون قديماً إلى هذا، يقول الإمام ابن جرير الطبري: «وهذا مثل من الله تعالى ذكره وضرب له قلب هذا الكافر في شدة تضيق الله له عن وصول الإيمان إليه، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه، لأن ذلك ليس في وسعه»^(٥).

(١) انظر: كشاف الإعجاز العلمي، للدكتور نبيل هارون، ص ٢٣-٢٤. (بتصرف واختصار).

(٢) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص ١٥٧.

(٣) التبيان، للصابوني، ص ١٣٠.

(٤) انظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية؛ د. أحمد مصطفى متولي، ص ٤٣، ٤٤.

(٥) جامع العلوم والحكم، الطبري، ٤١/٨.



وما سبق مجرد نماذج فقط، إذ الأمر في هذا الباب أكبر من يحصر أو يعد، وجملة القول عن مثل هذا الإعجاز والدلائل ما نجده في آيات الله، من دلائل النبوة في مجالات كثيرة، مثل: (الليل والنهار، وفرش الأرض، وتمهيد الأرض، والجبال، الشَّهْب، السَّحاب، نقص الأوكسجين في طبقات الجو العليا، تقسيم الذرَّة، ظاهرة الاتزان، الزوجية موجودة في كل شيء، دورة الحياة، قاع البحار والمحيطات، وظلمات البحر الثلاث، الماء المالح لا يختلط بالماء العذب، التلقيح بواسطة الرياح، التقويم الشمسي والقمرى، التربة الزراعية، ... ثم في خلق الإنسان من نطفة وتطور الخلق في الرحم، الحيوان المَنُوي، مراحل نمو الجنين، مدة الحمل، أغشية الجنين، نوع المولود، الصفات الوراثية، العين، وتكسير البصر، لكل إنسان رائحة خاصة، لكل إنسان بصمات أصابع خاصة به، وفي الصحة العامة، مثل: أضرار النوم الطويل، والوقاية الصحية من الأمراض، وفي مجال الأكل: مثل الإعجاز في: الرُّطْب، الزيتون، عسل النَّحْل، اللبن، أضرار أكل لحم الخنزير وعدد ما شئت فلن ننهي من دلائل الإعجاز العلمي، ودلائل صدق نبوة نبينا محمد ﷺ.

والحقيقة: نختصرها في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج ٤٦.

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

الحمد فقد بذلت جهدي، وأعلم أنه جهد مكل، والنقص من طبيعة البشر، ومما يمكن استخلاصه من هذه الورقة المختصرة ما يأتي:

إن دراسة دلائل صدق النبوة، تهدف فيما تهدف إلى بيان الحق، وترسيخ اليقين، كما أن ثبوت صدق نبوة النبي ﷺ بالأدلة القطعية، والبراهين الساطعة تعني التسليم المطلق لما جاء به ﷺ، التصديق بمضمون أخباره، والعمل بمقتضاه طاعة وتعبداً لله وحده.

أن دلائل النبوة تؤكد تمام الشريعة الإسلامية وكمالها، لأنه بني على دلائل يقينية توجب إيماناً وتسليماً ليس مشروطاً لأنه الحق الصادق.

أن دلائل النبوة متعددة، ومتنوعة، ولا يمكن حصرها إجمالاً، ولا حصر مقاصدها ودلالاتها في دليل دون غيره، فلكل واحدة من الدلائل هدف ومقصد ودلالة، فالإشارة إلى بعضها لإطلاق

التفكير والتدبر والتأمل والبحث عن دلائل غفل عنها الباحثون قد تكون أكثر أهمية.

لا يكفي الاكتفاء بالمنهج الشرعي في إثبات دلائل النبوة، فما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، أمر مُسلم به لدى المؤمنين، ولكن نحتاج كذلك إلى استثمار وسائل الإقناع المتنوعة في مواجهة تحديات منكري العصر الجدد على اختلاف مذاهبهم، لأن الأدلة العقلية وموافقتها للعقل والفطرة مع بشريتها، تبرهن على أنه لا بد للناس من كتاب مُنزل يحكم حياتهم. إن دراسة دلائل النبوة تكشف الغطاء عن ماهية المصطلحات، والحد من تأثير الثقافات المتباينة الناتجة عن صراع الحضارات، وضرورة ضبطها وفق منهجية شرعية لتأصيل كثير من مسائلها، والحد من خلط بعض المسائل والدلائل، مثل: مصطلح (المُعجزة والإعجاز)، وعلاقتها بدلائل النبوة في كل منها.

أن دراسة دلائل النبوة لا تنفك عن القراءة الشمولية لبيان العلاقة بين مسألة النبوة وأدلتها مع مسائل الدين الأخرى، وهو ما تفتقر إليها الساحة في مواجهة المخالف الذي يشكك في دلائل النبوة.

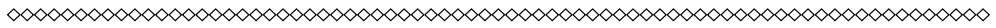
تأكيد المسلّمات اليقينية للمؤمنين وغيرهم بأن النبي ﷺ اتصف بالكمال الأخلاقي، ينتفي عنه ضده وهو استحالة الكذب، وأن معنى الأمية على صدق نبوءته ليست أمراً مُستقلاً، بل هي حقيقة ما عرف عنه ﷺ، وأخبر به من أمور هذا الدين.

أن النبوءات السابقة، والإخبار بالوقائع التي حدثت من قبل، وما أخبر به صلى الله عليه وسلم من أمور لم تحدث في عصره، من الإخبار بالمُغيبات دلالة مُشتركة بين الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم، وهي دلالة على وحدة مصدرها الإلهي.

أن الاستدلال على دلائل النبوة بالمكتشفات الحديثة، تجمع بين الدلالة على الربوبية كما تدل على النبوة وأن ما جاء به النبي ﷺ لا يتعارض مع الحقائق العلمية، التي يتجدد اكتشافها، أزال كثير من الشبهات التي أثارها مُنكرو النبوءات قديماً ما زالت تثار حديثاً، مع تباين في المُنطلقات الفكرية، ومع ذلك لا ينبغي أن يكون إثباتها بالمفهوم المادي وزحزحة مفهوم الدلائل الأخرى.

أن دلائل النبوة في القرآن الكريم دلالة ضمنية اشتملت فيما اشتملت عليه على الدليل والمدلول، وهي واحدة من أقوى الأدلة وأظهرها وأبينها.

أن دراسة دلائل النبوة في القرآن تثبت أن تكذيب المنكرين لنبوءة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لذاته ﷺ، وإنما كان لمخالفة كثير من عادات وتقاليد آبائهم وأجدادهم، فضلاً



الأحقاد التي تتطوي على الحسد والأثرة في أن تكون النبوءة فيهم.

إن دراسة دلائل النبوة بصورة عامة وفي القرآن على وجه الخصوص بصورة علمية يحد من المماحكة العقلية وجدال الفكر الذي تتبناه فئات ساورها الريب، وتلجج في نفوسها الشك، وتذبذب في قلوبها الحق حول مسائل النبوءة وضرورتها، مما ينبغي السعي لدرء مفاسدهم.

ومن أبرز التوصيات: فأوصي نفسي وزملائي بالعمل على:

التأكيد على أهمية تأصيل فقه الاستدلال على دلائل النبوة من مصادرها الموثوقة، والاعتناء بكتب السيرة النبوية، ودلائل النبوءة المبنية على المنهج التاريخي وتمحيصها وتنقيتها من الروايات الضعيفة، وأن يكون منهج السيرة وفق كتب السنة الصحيحة.

العمل على دراسة دلائل النبوة بقرأة شاملة كاملة متوازنة تجمع المختصين في مجالات العلوم الشرعية المختلفة لإحداث كتلة علمية صحيحة نقية من شوائب الاسترسال دون المقاصد الشرعية.

من الضروري أن تجمع الجهات والهيئات المختصة بين العلماء الشرعيين في كافة مجالات الشريعة، بجانب علماء الاختصاص في المجالات العلمية، لاستثمار أفضل المخرجات حال الاستدلال بالمكتشفات العلمية على أي من مسائل الدين.

العناية الجادة والسعي الحثيث لترجمة البحوث العلمية الرصينة خاصة التي تعنى بدلائل النبوة وأدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية وتقديمها للآخر بأسلوب وطرائق عرض متنوعة، للحد من تأثير التراث المشوه في معظم ما لديهم عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم.

العمل على تفعيل مخرجات مثل هذه المؤتمرات، واستثمار مخرجاتها في دورات تدريبية علمية وندوات علمية، وفتح حوارات علمية بطرائق مبتكرة لمواجهة تيارات العلمنة المادية المعاصرة، وكتائب الإلحاد الذي يسعى للنيل من عقول الشباب في مختلف أنحاء العالم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٢٧٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الأدلة القرآنية، خصائصها ومميزاتها، العمري، محمد نبيل، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، علوم الشريعة والقانون، العدد ٢/٢٠٠٠م.

أصول التفسير؛ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) أشرف على تحقيقه:
قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس
الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: مكتبة المعارف،
الرياض، المملكة العربية السعودية. د.ت.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر
الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة،
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، كتاب أكاديمي أعد لطلاب كليات
المجتمع، ١٩٨٩م.

التيبان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، دار إحسان للنشر والتوزيع، طهران، الطبعة
الثالثة ١٤٢٠هـ.

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،
محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية
للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

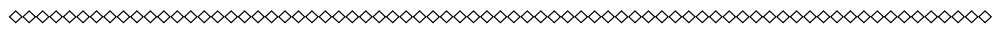
تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي
(ت ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،
السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٩م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله
السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي،
أبو جعفر الطبري (ت ٢١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى،
١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح



الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

حكم من يدعي علم الغيب، د. عبد الرحمن البراك، <http://iswy.co/e4500>

دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ١٢هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، د. عبد الكريم نوفان عبيدات، ط١، دار النفاثس، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ.

دلائل النبوة، سامية البدري. ضمن إصدارات مركز دلائل بالرياض، <https://nir-osra.org>

سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

شرح الجلال على العقائد العضدية، محمد بن أسعد الصديق، جلال الدين الدواني، ط/ دار سعادات تركيا، ١٣١٦هـ.

الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط٢، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني

الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

الفكر الإسلامي بين العقل والوحي، مكرم، عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، دار الاعتصام، القاهرة، سلسلة الرسائل الجامعية، ١٩٨٤م.

كشّاف الإعجاز العلمي، نبيل عبد السلام هارون، دار ابن سينا، القاهرة، د.ت.
لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.
لماذا أسلم صديقي، إبراهيم خليل، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة. د.ت.
مباحث في إعجاز القرآن المؤلف: د مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

مجلة الشريعة، العدد، ٣٥، يصدرها مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٩٨٩م.
المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت الطبعة: الأولى: ١٤١٢هـ.

مقام العقل عند العرب، طوقان، قدرتي حافظ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م، ودار القدس للطباعة والنشر، د.ت.

موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، يوسف الحاج أحمد، دار ابن حجر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م.

موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، سورية، دمشق، الحلبوني، جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية؛ د. أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، ٥٢٠١٤هـ.

نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض (ط. العلمية)، أحمد محمد عمر الخفاجي المصري شهاب الدين، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

أ.د. عبد السلام حمدان اللوح

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

الجامعة الإسلامية - غزة

د. عامر مصطفى قاسم

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

الجامعة الإسلامية - غزة

الصلة بين أدلة صدق الوحي والنبوة ووجه الإعجاز القرآني (دراسة قرآنية)

إعداد

قدّمت هذه الخطة؛ للمشاركة في المؤتمر الدولي الرابع لأكاديمية الإمام البخاري الدولية،
دلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء القرآن والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه، ضمن
المحور الثاني: علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية، دلالة إعجاز القرآن الكريم على
صدق النبوة.

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز مصطلحات قرآنية محرّرة، والاستفادة منها في دراسة
الإعجاز النظرية والتطبيقية، وبيان أثر تحرير مصطلحات الإعجاز في التعامل الصحيح مع
حقيقة الإعجاز القرآني وغايته.

وقد انتهج الباحثان في هذه الدراسة المنهج التحليلي المقارن، وكان من أهم نتائج البحث
خلط كثير من العلماء بين أدلة صدق الوحي والنبوة، التي تعني التدليل على صدق النبي ﷺ،
وما جاء به من عند الله تعالى، ولا يشترط فيها التحدي، ولا المثلية الكاملة في اللفظ والنظم
والمعنى، وأنها لا تمثل العلة التي وقفت سدًا منيعًا أمام جميع الخلق لمعارضة القرآن، وأنها لا
توجد في كل سورة من سور القرآن، وهذا بخلاف الوجه المعجز للقرآن، الذي يجب أن تتوفر فيه
الشروط الأربعة سابقة الذكر.

وكان من توصيات الدراسة الرسالة إلى جميع الباحثين، والمختصين، والعلماء عمومًا أن يولوا هذا الموضوع أهمية بالغة، وأن يعطوه حيزًا كافيًا من جهدهم؛ حتى يتعرف الناس إلى الدلالة الحقيقية للمصطلحات المحررة في الإعجاز، دون خلط أو لبس بين أيٍّ منها، وأن الحكمة هي ضالة المؤمن، هو أولى بها أنى وجدها.

Abstract

This research aims to highlight edited Qur'anic terms, and benefit from them in studying the theoretical and applied miraculousness, and to show the effect of editing miraculous terms in the correct dealing with the reality and purpose of the Qur'anic miraculousness.

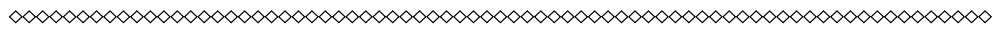
In this study, the two researchers adopted the comparative analytical approach, and one of the most important results of the research was the confusion of many scholars between the evidence of the truthfulness of revelation and prophecy, which means demonstrating the sincerity of the Prophet, peace and blessings be upon him, and what he brought from God Almighty, and does not require challenge, nor complete homosexuality in The pronunciation, order, and meaning, and that it does not represent the cause that stood as an impenetrable dam in front of all creation to oppose the Qur'an, and that it does not exist in every surah of the Qur'an, and this is in contrast to the miraculous aspect of the Qur'an, which must meet the four conditions mentioned above.

One of the recommendations of the study was the message to all researchers, specialists, and scientists in general to attach great importance to this topic, and to give it enough space for their efforts; In order for people to know the true significance of the liberated terms in the miraculous, without mixing or ambiguity between any of them, and that wisdom is the lost property of the believer, he is more deserving of it wherever he finds it.

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فمعلوم أن القرآن قد أتم كافة احتياجات الخلق من كافة جوانب الهداية، سواء أكانت الهداية إرشادية تعليمية، أم هداية إيمانية، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ



أَجْرًا كَبِيرًا ﴿ (الإسراء:٩) ، وَإِنَّ مِنْ لَوَازِمِ الْهَدَايَةِ إِثْبَاتَ عَجْزِ الْخَلْقِ جَمِيعًا عَنْ مَعَارِضَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لَذَا سَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَجْزَهُمْ عَنِ الْإِثْيَانِ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨).

وإنَّ إعجاز القرآن الكريم يتعلّق به مصطلحات يظنّها بعض أهل العلم -فضلاً عن غيرهم- واحدة؛ ولكنها مختلفة حينما نتعامل معها بالتحقيق العلمي، ومن هذه المصطلحات المتشابهة التي قد يقع فيها الخلط: الأدلة على صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني.

وإن هذه الدراسة التي نحن بصددّها تأتي في سياق بيان هذين المصطلحين من خلال تعريف كل واحد منهما، ومعرفة أوجه الشبه، وأوجه الافتراق، مع بيان نماذج توضيحية لكل مصطلح منهما، والله الموفق والمستعان.

أولاً: أهمية الموضوع

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

المكانة العظيمة لتحرير مصطلحي: الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني.

التفريق بين مصطلحي: الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني يساهم في التعامل الصحيح مع نظرية الإعجاز القرآني.

شمولية الدراسة ستضيف بإذن الله تعالى جديداً للمكتبة الإسلامية، بل والعالمية.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

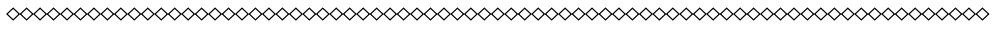
المساهمة بالمشاركة في المؤتمر الدولي الرابع لأكاديمية الإمام البخاري الدولية، دلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء القرآن والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه، ضمن المحور الثاني: علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية، دلالة إعجاز القرآن الكريم على صدق النبوة.

تهيئة جميع أدوات البحث لهذا الجهد البحثي.

مثّلت أهمية الموضوع سبباً رئيساً لاختيار هذا الموضوع.

ثالثاً: أهداف الدراسة والغاية منها

لدراسة أهداف وغايات، نذكر منها:



إبراز مصطلحات قرآنية محررة، والاستفادة منها في دراسة الإعجاز النظرية والتطبيقية. بيان أثر تحرير مصطلحات الإعجاز في التعامل الصحيح مع حقيقة الإعجاز القرآني وغايته.

المشاركة في المؤتمر الدولي الرابع لأكاديمية الإمام البخاري الدولية بما يساعد في إيصال رسالة الإعجاز القرآني في جانبه النظري والتطبيقي بالطريقة الصحيحة.

رابعاً: الدراسات السابقة

سبق هذا البحث كتاب يشتمل على ثلاثة أبحاث علمية محكمة ونشرات وملخصات محاضرات علمية يعالج هذا الموضوع، للأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان اللوح، واسمه (الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني)، غير أن هذا البحث يتوسع ببيان أوجه الشبه، وكذلك أوجه الاختلاف بين أدلة صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني، ودراسة نماذج عملية لكل مصطلح منهما، مما زاد من قناعتنا بضرورة البحث في هذا الموضوع.

خامساً: مشكلة الدراسة

تحدد مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس، وهو: ما هي الصلة بين مصطلحي: أدلة صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني؟

ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

ما تعريف مصطلحات الإعجاز الرئيسية؟

ما هي أقوال العلماء في التمايز بين مصطلحي: أدلة صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني؟

ما هي أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين مصطلحي: أدلة صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني؟

ما هي النماذج التطبيقية لبيان التمايز بين أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين المصطلحين؟

سادساً: منهج الباحثين

منهجنا في هذا البحث هو المنهج التحليلي المقارن.

سابعاً: هيكلية الدراسة

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون هيكليتها مشتملة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، موزعة على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة والغاية منها، والدراسات السابقة، ومشكلة الدراسة، ومنهج الباحثين، وهيكلية الدراسة.

المبحث الأول: التعريفات بمصطلحات الدراسة.

المطلب الأول: تعريف الوجه المعجز للقرآن.

المطلب الثاني: تعريف أدلة صدق الوحي والنبوة.

المبحث الثاني: الصلة بين مصطلحي أدلة صدق الوحي والنبوة وبين وجه

الإعجاز القرآني.

المطلب الأول: أوجه التشابه بين المصطلحين.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين المصطلحين.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لمصطلحي أدلة صدق الوحي والنبوة ووجه

الإعجاز القرآني.

المطلب الأول: نماذج تطبيقية لمصطلح أدلة صدق الوحي والنبوة.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لمصطلح وجه الإعجاز القرآني.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريفات بمصطلحات الدراسة

إن الحديث عن أدلة صدق الوحي والنبوة وعن الوجه المعجز للقرآن الكريم يحتم علينا أن نمهد له ببيان تعريفات لمصطلحات الدراسة، مثل أدلة إثبات الإعجاز، والوجه المعجز للقرآن، وأدلة صدق الوحي والنبوة، وشروط الإعجاز والمعجزة.

وقد مثل هذا المبحث توضيحاً عملياً لذلك، من خلال المطالبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف الوجه المعجز للقرآن

إن هذا المصطلح المركب يتكون من مصطلحات ثلاثة، وهي: الوجه، والمعجز، والقرآن، ومعلوم أن مصطلح القرآن قد عمت شهرته بما أغنى عن ذكره في هذا المقام؛ لذا نقوم باستخلاص المصطلح المركب، بعد تعريف المفردتين الأوليين لغةً واصطلاحاً، وتعريف المعجزة اصطلاحاً، ومن ثم التعرف إلى المصطلح المركب (الوجه المعجز للقرآن)، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الوجه

(١) الوجه لغة:

أصل الوجه في اللغة يدل على مقابلة لشيء، والوجه مستقبلٌ لكل شيء، وربّما عبّر عن الذات بالوجه^(١)، وجمعه الوجوه^(٢).

(٢) الوجه اصطلاحاً:

عرّف المناوي (ت ١٠٢١ هـ) مصطلح الوجه بأنه: «أول ما يستقبلك، وأشرف ما في ظاهر البدن، واستعمل في مستقبل كل شيء، وفي أشرفه ومبدئه، وهو ما به الشيء حقاً»^(٣).

وهذا التعريف هو الأقرب إلى الدقة، غير أنه يحتاج إلى توضيح؛ ليخدم دراستنا التي نحن بصددّها، فيكون التعريف الأدق هو: «مستقبل الشيء وصدوره، وما به الشيء حقاً، أو ما يمثل علّة حقيقية له».

ثانياً: تعريف المعجزة

(١) المعجزة لغة:

أصل المعجزة في اللغة إما الضعف، وإما مؤخر الشيء^(٤)، وقد جمع الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس وابنته الأستاذة سناء بين هذين الأصلين بأن التأخر ناتج عن الضعف والقصور عن فعل الشيء^(٥).

وأعجزه الشيء، أي: فاته، والتعجيز: التثبيط، ومعجزة النبي ﷺ: ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء: للمبالغة^(٦).

(٢) المعجزة اصطلاحاً:

عرض الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح تعريفات العلماء لمصطلح المعجزة، ثم خرج بخلاصة تعريفية شاملة دقيقة، وهي أنه: «أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد مدّعي النبوة، على وفق مراده؛ تصديقاً له في دعواه، مقروناً بالتحدي، مع عدم معارضته، وذلك كله في زمن التكليف»^(٧).

(١) انظر: مقاييس اللغة- ابن فارس- ٨٨/٦.

(٢) انظر: لسان العرب- ابن منظور- ٥٥٥/١٣.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف- ص ٣٢٤.

(٤) انظر: مقاييس اللغة- ابن فارس- ٢٣٢/٤.

(٥) انظر: إعجاز القرآن- ص ٧.

(٦) انظر: القاموس المحيط- الفيروز آبادي- ص ٥١٦.

(٧) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والأولى أن يسمى...- ص ٩.

ثالثاً: تعريف الوجه المعجز للقرآن باعتباره مصطلحاً مركباً

عرّف الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح مصطلح الوجه المعجز للقرآن بأنه: «ذلك الأمر الذي وقع به التحدي، ومثل علّة العجز أمام الخلق جميعاً عن مماثلة القرآن مثلية كاملة، وأن يتحقق في كل سورة من سور القرآن بلا استثناء»^(١).

وبالرجوع إلى تعريفات المصطلحات المفردة لهذا المصطلح المركب يتضح أن تعريف الأستاذ الدكتور عبد السلام دقيق، فهو مشتمل على أركان الوجه المعجز، التي لا ينبغي أن يختل ركنٌ منها، وذلك فيما يأتي:

أن يكون قد وقع من جهتها التحدي، قال الدكتور محمد عبد الله دراز: «ولتكن عنايتنا أوفر بناحيته اللغوية؛ لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملةً وتفصيلاً في سورة منه»^(٢)، وقال الدكتور عدنان زرزور: «من البين عندنا أن الإعجاز الذي وقع به التحدي -وهو المراد من الإعجاز عند الإطلاق بالطبع- كان وجهه بيانياً صرفاً»^(٣)، وقال الدكتور صلاح الخالدي: «عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصور عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية، وقيام الداعي إلى ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتحرير عجزهم عن ذلك»^(٤)، وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح «أنّ العرب قد تحداهم الله تعالى بما برعوا فيه، واشتهروا، ألا وهو البلاغة والفصاحة والبيان، ومن ادّعى غير ذلك فلا حجة له... وقد يقول السائل: وما ذنب غير العرب حتى لا يدركوا وجه الإعجاز القرآني؟ فالجواب: تكفيهم ثمرة الإعجاز القرآني؛ إذ إن ثمرته هي إدراك (صدق الوحي والنبوة)»^(٥)، من هنا يتبين خطأ الإمام الرماني (ت ٢٨٤هـ) الذي خلط بين مصطلح الوجه المعجز الذي يكون فيه التحدي أحد الأركان، وليس وجهاً مستقلاً بذاته، وبين شروط المعجزة والإعجاز -أيضاً-^(٦).

استحالة المجيء بمثله مثليةً كاملة، تتضمن اللفظ والنظم والمعنى، كما ذكر الإمام الخطابي (ت ٢٨٨هـ)، بقوله: «وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة

(١) الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني - ص ٩٩.

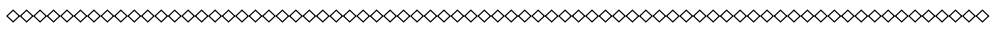
(٢) النبأ العظيم - ص ٧٩.

(٣) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه - ص ١٥٧.

(٤) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني - ص ١٧.

(٥) الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني - ص ٩٩.

(٦) انظر: النكت في إعجاز القرآن - ص ١١٠.



حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً^(١).

يمثل الوجه المعجز العلة التي وقفت سداً منيعاً أمام الخلق مجتمعين، ولا تخلو سورة من وجود هذه العلة المانعة من المماثلة للقرآن الكريم، وقد ركز الإمام الخطابي رحمه الله (ت ٢٨٨هـ) على ذكر العلة من الإعجاز مما بينه بعض العلماء، ولم يوافقهم، وما بينه هو، كما يقول: «فدل النظر وشاهد العبر على أن السبب له، والعلة فيه أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية؛ فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل؛ ومنها الجائر الطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه ألبتة؛ فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه؛ فعازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّة، وأخذت من كل نوع من أنواع شعبية، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين؛ لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة تعالجان نوعاً من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوكل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن»^(٢)، وهكذا فقد وضع الإمام الخطابي رحمه الله يده على هذا الوجه المعجز الذي يمثل علة الإعجاز، وهو البلاغة بمفهومها الدقيق، ومراتب الكلام فيها، أما أقسامها، فهي اللفظ والنظم والمعنى، كما قال: «فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني»^(٣).

تحقق هذا الوجه المعجز في كل سورة من سور القرآن، يقول الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح: «ومعلوم أن كثيراً من سور القرآن لا يوجد فيها حقائق علمية أو تشريعية أو غيبية، وإنما يوجد فيها الجانب اللغوي البياني الذي وقع به التحدي، ومثل علة العجز بمثلية كاملة، ويستحيل معارضتها»^(٤).

(١) بيان إعجاز القرآن - ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق نفسه - ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق نفسه - ص ٢٧.

(٤) الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني - ص ١٠١.

المطلب الثاني: تعريف أدلة صدق الوحي والنبوة

إن هذا المصطلح المركب يتكون من مصطلحات أربعة، وهي: أدلة، وصدق، والوحي، والنبوة، ومعلوم أن مصطلح الصدق الذي يدل على موافقة الظاهر للباطن، وكذلك مصطلحي الوحي والنبوة قد عمت شهرتهم بما أغنى عن ذكرهم في هذا المقام؛ لذا نقوم بتعريف مفردة الأدلة لغةً واصطلاحاً، ثم نقوم باستخلاص المصطلح المركب لأدلة صدق الوحي والنبوة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الأدلة

(١) الأدلة لغةً:

أصل الدليل في اللغة إما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، وإما اضطراب في الشيء، مثل قولهم: تدلّل الشيء، إذا اضطرب^(١).

والدليل هو ما يُستدلُّ به، وهو الدالُّ^(٢)، ودلَّ عليه وإليه دلالةً بمعنى أرشد، يقال: دلَّه الطريق ونحوه، أي: سدَّه إليه^(٣).

(٢) الأدلة اصطلاحاً:

عرّف مصطلح الدليل خلقٌ كثيرون، منهم:

تعريف علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بأنه: «ما يلزم من العلم به العلمُ بشيءٍ آخر»^(٤)، ووافقه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري السنيكي (ت ٩٢٦هـ)^(٥)، ومحمد عميم الإحسان البركتي (ت ١٣٩٥هـ)^(٦).

تعريف السيوطي (ت ٩١١هـ)، بأنه: «ما يؤدّي إلى إدراك المطلوب»^(٧)، وقال: «وقيل: ما يلزم من العلم به العلمُ بالشيء، وقيل: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري، وقيل: هو كلُّ أمرٍ صحَّ أن يتوصَّل بصحيح النظر فيه إلى علم ما لم يعلم باضطراب»^(٨).

(١) انظر: مقاييس اللغة - ابن فارس - ٢/٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) انظر: الصحاح - الجوهري - ٤/١٦٩٨.

(٣) انظر: المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون - ١/٢٩٤.

(٤) التعريفات - ص ١٠٤.

(٥) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة - ص ٨٠.

(٦) التعريفات الفقهية - ص ٩٦.

(٧) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم - ص ٧٧.

(٨) المصدر السابق نفسه - الصفحة نفسها.

ويظهر من مجموع التعاريف المذكورة أنَّ تعريف السيوطي الأول هو أدقُّ التعاريف؛ لأنه منسجم مع التعريف اللغوي من جهة، ولأنه المعمول به في بيان معنى الأدلة في كافة علوم الشريعة، والله أعلم.

ثانياً: تعريف أدلة صدق الوحي والنبوة باعتبارها مصطلحاً مركباً

يمكن استخلاص تعريف المصطلح المركب أدلة صدق الوحي والنبوة، بأنه: «الأمور التي تؤدي إلى مطلوب موافقة الظاهر والباطن؛ ليتيقن جميع الخلق أنَّ ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن والسنة حقٌّ لا مرأى فيه»، وبهذا يتبين لنا أنَّ التعريف قد أدرج كل ما يصلح أن يكون حقيقة علمية أو تشريعية أو غيبية أو نفسية، أو نحو ذلك، وقد يكون في سورة من القرآن دون الأخرى، فهذا ممكن؛ لأنه لا يشترط فيه وقوع التحدي من جهته، كما أنه لا يشترط فيه أن يوضح علة العجز.

وبالرجوع إلى العلماء وما كتبه في الإعجاز نجد أنَّ المحققين منهم لم ينتبهوا إلى التفريق بينه وبين الوجه المعجز إلا بعد طول خبرة وتمحيص امتدت إلى عشرات السنين، حتى وصلوا إلى التفريق الدقيق بين هذين المصطلحين المركبين، فنجد مثلاً الدكتور صلاح الخالدي قد صنَّف أول حياته العلمية كتاباً سمَّاه «البيان في إعجاز القرآن»، وقد انتصر آنذاك لفكرة تعدد وجوه الإعجاز^(١)، ثم رجع عن رأيه، وسمى الإعجاز البياني وجهاً إعجازياً وحيداً، أما الأخرى فهي دلائل مصدر القرآن الرباني، وصنَّف كتاباً سماه «الإعجاز البياني ودلائل مصدره الرباني»، وأما الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح فقد كتب رسالة ماجستير، بعنوان «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم»، وانتصر فيها لفكرة تعدد وجوه الإعجاز، ثم تبين له الحق، بعد خبرة تدريسية دامت لأكثر من ثلاثين عاماً، وكتب ثلاثة أبحاث علمية، بالإضافة إلى ملخصات لمحاضرات علمية ألقاها، ثم جمعها في كتاب «الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني»^(٢)، وفرَّق بين أدلة صدق الوحي والنبوة، والوجه المعجز للقرآن.

(١) انظر: مقدمته - ص ٣.

(٢) انظر: مقدمته - ص ١١.

المبحث الثاني

الصلة بين مصطلحي أدلة صدق الوحي والنبوة وبين وجه الإعجاز القرآني

يركز هذا المبحث على بيان أوجه التشابه والاتفاق بين مصطلحي أدلة صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني، وكذلك أوجه الاختلاف والافتراق بينهما. وقد يتضح هذا المبحث ذلك من خلال المطالبين الآتيين:

المطلب الأول: أوجه التشابه بين المصطلحين.

تتمثل أوجه التشابه بين مصطلحي أدلة صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني فيما يأتي:

أولاً: كلُّ منهما دالٌّ على عظمة الله تعالى وقدرته؛ فأدلة صدق الوحي والنبوة تتسع لجميع الأخبار الغيبية والكونية والطبية والنفسية والحقائق التشريعية وكل ما هو حقيقة علمية في أي مجال من المجالات، وذلك كله دالٌّ على وجود الله تعالى، وعظيم قدرته وفضله على خلقه، وأن القرآن من عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿سَرُّهُمْ أَيْتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فُصِّلَتْ: ٥٢)، وقد ذكر ابن جزري (ت ٧٤١هـ) آراء العلماء في معنى الآفاق بقوله: «وفيها ثلاثة أقوال: أحدها أن الآيات في الآفاق هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات في أنفسهم هي فتح مكة فجمع ذلك وعداً للمسلمين بالظهور، وتهديداً للكفار، واحتجاجاً عليهم بظهور الحق وخمول الباطل، والثاني أن الآيات في الآفاق هي ما أصاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفي أنفسهم يوم بدر، الثالث أن الآيات في الآفاق هي خلق السماء وما فيها من العبر والآيات، وفي أنفسهم خلقة بني آدم، وهذا ضعيف؛ لأنه قال: سريهم بسين الاستقبال، وقد كانت السموات وخلقة بني آدم مرثية، والأول هو الراجح أنه الحقُّ الضمير للقرآن أو للإسلام مُحِيطٌ، أي بعلمه وقدرته وسلطانه»^(١)، ويلاحظ أن ابن جزري الكلبي (ت ٧٤١هـ) قد ضعَّف الرأي القائل بأن الآفاق هي خلق السموات وما فيها من العبر والآيات، وهذا جرياً على ما ذهب إليه جمهور أهل التفسير، ولعله كان يقصد المقصود أصالة من السياق، وهو النص، كما يفهمه أهل الأصول^(٢)؛ ولكن الآية تقيد بعمومها -سواء كان المقصود أصالة أو تبعاً- كل الحقائق العلمية الكونية والإنسانية الدالة على صدق الوحي والنبوة، وهذا مفهوم من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، أي: أن القرآن حق هو كلام الله، ومن ثم فإن

(١) التسهيل لعلوم التنزيل - ٢٤٢/٢.

(٢) انظر: أصول التفسير وقواعده - د. خالد العك - ص ٢٥٠.



محمدًا ﷺ حقُّ هو رسول الله، وهذا يدلُّ على أن جميع الحقائق العلمية أو التشريعية أو الغيبية أو النفسية أو غير ذلك من الحقائق إنما يصب في حقيقة لا نزاع فيها، وهي أن الغاية منها تكمن في التبين وبيان الأدلة على صدق الوحي والنبوة، وكذلك وجه الإعجاز البياني يدلُّ على صدق الوحي والنبوة.

ثانيًا: وجه الإعجاز القرآني من خلال لفظ القرآن ونظمه ومعناه إنما يثبت أن الله تعالى قد تكرَّم على عباده بهذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنَّ ذلك يدلُّ على قدرته الباهرة، التي أبهرت أهل الفصاحة والبلاغة، فما دونهم من باب أولى، وهذا يدلُّ على صدق الوحي والنبوة، يقول الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح: «أما وجه الاتفاق فهو متحقق في أنَّ الوجه المعجز يصبُّ في ميدان الأدلة على صدق الوحي والنبوة، إذًا ثمرته هي إثبات صدق الوحي والنبوة»^(١).

ثالثًا: يتشابه المصطلحان في كون كلِّ منهما يُعدُّ خارقًا للعادة، في زمن نزوله؛ فكما أن الوجه المعجز أمر خارق للعادة، كذلك الأدلة - على اختلاف مسمياتها - هي خارقة للعادة؛ لكنَّها غير متحدِّية بها، ولا تتضمن أركان الوجه المعجز.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين المصطلحين

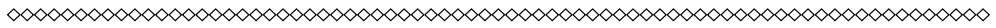
تتركز أوجه الاختلاف بين مصطلحي أدلة صدق الوحي والنبوة، والوجه المعجز في النقاط الآتية^(٢):

أولًا: الوجه المعجز هو الذي وقع من جهته التحدي، وهو الذي يتطلب الدعوة إلى المنازلة والمعارضة، بما لا يقدر عليه أحدٌ، رغم توفر الدواعي، وعدم سلب قدرات المُتحدِّين، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فلا تتطلب الدعوة إلى المنازلة والمعارضة، وليس شرطًا أن تكون مشتملة على التحدي.

ومعلوم أن المعجزات عمومًا تأتي مصدِّقة لما جاء به نبيٌّ من الأنبياء عليهم السلام بالقدر الذي يكفي للدلالة على صدق الوحي والنبوة، فقد ذكر القرآن أن الملائكة من بني إسرائيل اعترضوا على مجيء ملك لم يوسِّع له في المال، وهم يظنون أنهم أجدر بالملك منه، فجاءت بعض العلامات والآيات والمعجزات المُحسَّنة الدالة على صدق الوحي والنبوة، فيما أخبر به، وهو أن طالوت هو الملك، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

(١) الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني - ص ١٠٧.

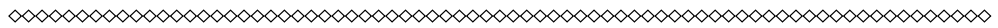
(٢) انظر: المصدر السابق نفسه - ص ١٠٦.



طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَعَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿البقرة: ٢٤٧، ٢٤٨﴾، أي: «وقال لهم نبيهم: إن الله استجاب لكم فاختر طالوت حاكماً عليكم، فاعترض كبراًؤهم على اختيار الله، فائلين: كيف يكون ملكاً علينا ونحن أولى منه؛ لأنه ليس بذي نسب ولا مال، فرد عليهم نبيهم قائلاً: إن الله اختاره حاكماً عليكم؛ لتوافر صفات القيادة فيه، وهى سعة الخبرة بشئون الحرب، وسياسة الحكم مع قوة الجسم؛ والسلطان بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ولا يعتمد على وراثة أو مال، وفضل الله وعلمه شامل، يختار ما فيه مصالحكم، وقال لهم نبيهم: إن دليل صدقي على أن الله اختار طالوت حاكماً لكم هو أن يعيد إليكم صندوق التوراة الذى سلب منكم تحمله الملائكة، وفيه بعض آثار آل موسى وآل هارون الذين جاءوا بعدهما، وفى إحصاره تطمئن قلوبكم، وإن فى ذلك لدليلاً يدفعكم إلى اتباعه، والرضا به، إن كنتم تدعون للحق وتؤمنون به»^(١)، وهذا التفسير الصحيح للآيتين يبرهن أن المعجزة جاءت حينما اعترض قومه على تولية طالوت ملكاً، وأن المعجزة تضمنت التحدي، وإن لم يرد ذلك صراحةً.

ومن جهة أخرى؛ فقد طلب المشركون من رسول الله ﷺ أن يأتي بالمعجزات المُحَسَّنة جزاء إيمانهم به رسولاً، فلم يستجب الخطاب القرآني لهم؛ لأن ذلك يدل على طلب التحدي؛ لأجل المكابرة، وليس لأجل الإيمان والتصديق، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا وَعَنْبٍ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا وَعَنْبٍ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِبَالًا وَعَنْبٍ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفِقِ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِنْبًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٠-٩٣)، فمع ظهور هذا الدليل في العالم غيباً وشهادة إجمالاً وتفصيلاً قالوا تعنتاً واقتراحاً ومبالغة وإلحاحاً: لن نصدق بكتابتك ودينك حتى تشقق أنت لنا أرض مكة شرفها الله عيناً جارية نشرب منها، ونزرع بها، ونغرس على وجه العموم، أو تكون لك عليها على

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة من علماء الأزهر - ص ٥٩.



وجه الخصوص جنةً وبستان مغروسة مملوة من نخيلٍ وعنب سهل السقي فتَجَرَّ الأنهار خِلالها وأوسطها تَجِيراً سهلاً يسيراً، بحيث لا تكلف في سقيها، ولا عسر أصلاً، أو تأتي بآية ملجئة لنا إلى الإيمان بأن تُسْقَطَ السَّمَاءُ - كما زَعَمَت - قطعة بعد قطعة حتى نؤمن لك أو تأتي بالله الذي ادعت الرسالة والنبوة من عنده جهرة ظاهرة تعالى عن ذلك، وتأتي بالملائكة الذين ادعت أنت وساطتهم ورسالتهم بينك وبين ربك مقابلاً عياناً مشاهداً محسوساً لنا، بحيث نريهم صورهم وأشباحهم، أو يكون لك بيتٌ متخذ من ذهب وفضة مكللة بجواهر نفيسة، أو تصعد أنت بنفسك على رؤوس الأشهاد في السماء بلا أسباب ووسائل، وبعد صعودك وعروجك إليها لن نؤمن ونصدق بك بمجرد رقيقك وعروجك حتى تُنزلَ علينا كتاباً مكتوباً من عند ربك مشتملاً على أسامينا، وعلى دعوتك إيانا إلى الإيمان وتصديقنا بك بحيث نقرؤه بين أظهرنا ونؤمن بك بأجمعنا، قل لهم: متعجباً منزهاً مستبعداً: سُبْحَانَ رَبِّيَ وتعالى هل كنتُ وما صرت إلا بشراً ضعيفاً كسائر الناس^(١)، فالملاحظ أن الله تعالى لم يستجب لطلبهم؛ لأنهم لم يقصدوا اتباع الحق لورأوها؛ فليس كل طلب لمعجزة من قبل المشركين يتبعها موافقة من الله تعالى؛ لكن القرآن الذي هو المعجزة الخالدة تحدى الله به خلقه أن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور مثله مفريات، ثم بسورة مثله، ثم بسورة من مثله، ومع ذلك فقد عجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، فسجّل الله تعالى على الثقيلين عجزهم عن الإتيان بمثله، ولو اجتمعوا لذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (الإسراء: ٨٨).

ثانياً: الوجه المعجز هو الذي يحقق المثلية الكاملة في اللفظ والنظم والمعنى، كما نرى ذلك في الجانب البلاغي، أما أدلة صدق الوحي والنبوة؛ فإنها تتعلق بجانب دون آخر، كتحقيق جزء من المعنى دون اللفظ والنظم، مثل: الحقائق العلمية الكونية، وقد يتعلق بجانب اللفظ والمعنى دون النظم، مثل الحقائق التشريعية، والأخبار الغيبية، إذا هي تمثل جزءاً من المثلية، وليست مثلية كاملة مطلقة.

ثالثاً: الوجه المعجز هو الذي يمثل العلة في عجز المخلوقين جميعاً عن معارضة القرآن بمثله، وأنه لولا هذه العلة لما استحال على الخلق الإتيان بمثله، وهذا بخلاف أدلة صدق الوحي والنبوة، فهي لا تمثل علة العجز.

رابعاً: الوجه المعجز متحقق في كل سورة من سور القرآن بلا استثناء، مهما كانت السورة

(١) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية - الشيخ علوان - ١/٤٦٥.

قصيرة في عدد كلماتها وحروفها، أما أدلة صدق الوحي والنبوة، فلا يكون كل دليل على حده موجوداً في كل سورة من سور القرآن الكريم، فقد لا توجد سور كثيرة ليس فيها حقائق علمية كونية أو طبية، أو هندسية، ولا أخبار غيبية، ولا حقائق تشريعية، وهكذا، ومع ذلك فلا تكون السورة خالية من الإعجاز؛ لأن كل سورة معجزة قائمة بذاتها؛ لأن مقدار التحدي قد وقع بأي سورة من سور القرآن.

خامساً: الوجه المعجز ثمرته الدلالة على صدق الوحي والنبوة، أما دليل صدق الوحي والنبوة فلا يوصل إلى الوجه المعجز، وفي ذلك يستدل الشيخ محمود شاكر على الفرق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة بحقيقتين، الأولى: أن إعجاز القرآن متمثل في البيان والنظم، وهو البرهان على صحة النبوة، ودليل الوحي، وقد استدل على هذه الحقيقة بدليلين، والثانية، هي أن إثبات دليل النبوة وتصديق الوحي، وأن القرآن من عند الله تعالى ليست دليلاً على أن القرآن معجز من هذا الجانب، وقد استدل على ذلك بدليلين^(١).

ثم يقول: «فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن، والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر، وفي دراسة (إعجاز القرآن)، قد أفضى إلى تخطيط شديد في الدراسة قديماً وحديثاً، بل أدى هذا الخلط إلى تأخير علم (إعجاز القرآن) و (علم البلاغة)، عن الغاية التي كان ينبغي أن ينتهيا إليها»^(٢).

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية لمصطلحي أدلة صدق الوحي والنبوة ووجه الإعجاز القرآني

يبين هذا المبحث بعضاً من النماذج التطبيقية التي تثبت الفرق بين مصطلحي أدلة صدق الوحي والنبوة، ووجه الإعجاز القرآني، وذلك من خلال المطالبين الآتيين:

المطلب الأول: نماذج تطبيقية لمصطلح أدلة صدق الوحي والنبوة

أولاً: نموذج الحقائق العلمية الكونية

يتضمن هذا النموذج الحقيقة العلمية الآتية:

الوصف القرآني للسحاب بأنه يُزجى، ومعناه أن الرياح تسوقه بحالة الرفق إلى ما يقدره الله عز وجل في نزول ماء المطر، وقد اكتشف أهل العلم أن السحاب الركامي تسوقه الرياح قطعاً من

(١) انظر: الظاهرة القرآنية- مالك بن نبي- تقديم فصل في إعجاز القرآن للأستاذ محمود محمد شاكر- ص ٢٤-٢٦.

(٢) الظاهرة القرآنية- مالك بن نبي- تقديم فصل في إعجاز القرآن للأستاذ محمود محمد شاكر- ص ٢٥-٢٦.

السحب الصغيرة إلى مناطق التجمُّع، فتزداد كمية بخار الماء، وخاصةً أول التجمُّع.

المطر يجمُّع بين السحاب بعد الإزجاء، وهذا يعني الجمع بين قطعه المتفرقة مع التنظيم والترتيب، ثم تتألف السحب المتعددة؛ لتكون سحاباً واحداً، ومن المؤكَّد علمياً أن هذه العملية تستغرق وقتاً طويلاً؛ ولذا جاء السياق القرآني (ثمَّ) الذي يفيد التراخي^(١).

جعلُ السحاب ركاًماً بعد التأليف، وهذا يعني أن السحاب بعد أن أصبح قطعةً مترابطةً واحدةً، تجتمع بعضها فوق بعض، وإن أهل العلم أخبروا أنَّ عامل ركم السحاب الذي يكون بالنمو الرأسي لنفس السحابة، هو العامل الرئيس في هذه المرحلة، وأن الانتقال إليه من المرحلة السابقة يحتاج كذلك إلى زمن؛ لذلك كان استعمال حرف العطف الدال على الترتيب مع التراخي في الزمن، وهو حرف العطف (ثم).

وصف الآية نزول المطر من فتوق السحاب ومخارجه، وهذا هو ما قرَّره علماء الأرصاد.

لا بدُّ أن يكون السحاب ذا شكل جبلي، يسمح بتكوين الثلج في المناطق العليا منه، ويسمح بتكوين الماء شديد البرودة الذي سيتحول إلى مزرعة للبرد عندما يشاء الله في المنطقة الوسطى من السحابة، وإن البرد يتكون عندما تمكث نواة ثلجية لفترة زمنية كافية وتحتوي على ماء شديد البرودة (ماء درجة حرارته تحت الصفر حتى درجة ٤٠)، وهذا الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَّابًا مِّنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ (النور: ٤٣).

يوضح الخطاب القرآني أن للبرد برقاً شديد اللمعان، فالضمير في برقه يرجع إلى أقرب مذكور وهو البرد، وسنا البرق: شدة بريقه وضوئه، ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾، أي: خطفه إياها من شدة الإضاءة، فنسب البرق إلى البرد في كتاب الله تعالى، والبرد يوزع الشحنات الكهربائية في جسم السحابة أثناء صعوده وهبوطه، ثم يقوم بالتوصيل بين الشحنات الكهربائية المختلفة، فيحدث تفريقاً هائلاً، وهذا هو الذي قاله الله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (النور: ٤٣)^(٢).

فما الذي أدري محمداً ﷺ بهذه الحقائق الكونية، وهو لا يقرأ ولا يكتب، لولا أن يكون ذلك وحياً من عند الله تعالى، وإن ثبت كونه وحياً فقد ثبت نبوة النبي محمد ﷺ، وهذا ما يعرف بدليل صدق الوحي والنبوة.

(١) انظر: إجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر- من بحوث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- مجموعة من الباحثين- اليمن- جامعة الإيمان.

(٢) انظر: أنواع السحب رؤية قرآنية- عادل الصعدي- موقع جامعة الإيمان اليمنية الإلكتروني- صدر بتاريخ (٢٢/١/٢٠١٣م).

ثانياً: نموذج الحقائق الغيبية

يتضمن هذا النموذج حقيقة غيبية مستقبلية حدثت زمن الرسول ﷺ، وقد تمثلت في قوله تعالى: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥)، والمراد بالجمع كفار قريش يوم بدر^(١)، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُنشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِن شِئْتَ لَمْ تَعْبُدْ)، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥)^(٢)، وقد حقق الله تعالى له ما وعده، بانتصار المسلمين يوم بدر، فالذي يعلم الغيب هو الله تعالى، والذي وعد وحقق وعده هو الله، فدلَّ على أن القرآن كلام الله، موحى به إلى رسول ﷺ، وهذا ما يعرف بالدليل الغيبي على صدق الوحي والنبوة.

إن هذين النموذجين يمثلان دليلين على صدق الوحي والنبوة، فهما يتعلقان بشيء من جوانب المعنى دون اللفظ والنظم، ومن ثم يفقدان أركان الوجه المعجز المتمثل بالتحدي ولو ضمناً، ويحقق المثلية الكاملة في اللفظ والنظم والمعنى، وأن يكون في كل سورة بلا استثناء، ولا شك أن هذين النموذجين وغيرهما لا يمثلان العلة التي وقفت سدّاً منيعاً أمام معارضة القرآن.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لمصطلح وجه الإعجاز القرآني

إن أهل العلم - سواء القائلون بالتعدد أو بالوجه الوحيد - قد أجمعوا على وجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، بل ذكر القائلون بالتعدد أن وجه الإعجاز البياني هو أمُّ وجوه الإعجاز وأعمقها، فتحن نرى أن الرمانى ذكر سبعة أوجه للإعجاز القرآني، غير أنه أفاض في ذكر وجه الإعجاز البلاغي، حتى شملت معظم رسالته^(٣)، ولكنهم اختلفوا في معرفة السر في إعجاز القرآن البلاغي، وقد رفض أبو سليمان الخطابي وجه الإعجاز بالبلاغة دون بيان أو تفصيل لكيفية إعجازها، وبيَّن أنَّ علة هؤلاء في عدم وضعهم على سر الإعجاز البلاغي هو أنهم مقلدون تابعون، وقالوا بغلبة الظن دون التحقيق والإحاطة^(٤).

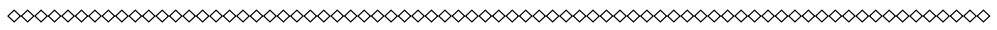
ثم بيَّن الخطابي رحمه الله سر الإعجاز البلاغي، بقوله: «فدل النظر وشاهد العبر على أن السبب له، والعلة فيه أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية؛ فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل؛ ومنها

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٤٥/١٧.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب المغازي - باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَفِيئُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ..﴾ (الأنفال: ٩) - ٧٣/٥ - حديث رقم (٣٩٥٢).

(٣) انظر: النكت في إعجاز القرآن - ص ١٠٩-٧٦.

(٤) انظر: بيان إعجاز القرآن - ص ٢٤.



الجائز الطلق الرَّسْلُ، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه ألبتة.

فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه؛ فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّةً، وأخذت من كل نوع من أنواعه، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين؛ لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والامتانة تعالجان نوعاً من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوّ كل واحد منهما على الآخر فضيلة خصّ بها القرآن، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ليكون آية بينة لنبيه، ودلالة له على صحة ما دعا إليه من أمر دينه»^(١).

وذكر الخطابي رحمه الله بعضاً من الصفات التي يظن كثيرون أن لها مرادفات، والحقيقة أن كل لفظ يقع في مكانه نظماً ومعنىً، ومنها العلم والمعرفة؛ «فالعلم ضده الجهل، والمعرفة ضدها النكرة، والحمد والشكر قد يشتركان، والحمد لله على نعمة، أي الشكر لله عليها، ثم قد يتميز الشكر عن الحمد في أشياء؛ فيكون الحمد ابتداءً بمعنى الثناء، ولا يكون الشكر إلا على الجزاء، تقول: ...، وإذا أردت أن تتبين حقيقة الفرق بينهما اعتبرت كل واحد منهما بضده، وذلك أن ضد الحمد الذم، وضد الشكر الكفران، وقد يكون الحمد على المحبوب والمكروه، ولا يكون الشكر إلا على المحبوب.

وأما الشح والبخل؛ فقد زعم بعضهم أن البخل منع الحق، وهو الظلم والشح ما يجده الشحيح في نفسه من الحزازة عند أداء الحق وإخراجه من يده...، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، قال: ليس ذلك الشح الذي ذكره الله في القرآن؛ ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذلك البخل، وبئس الشيء البخل.

وأما النعت والصفة، فإن الصفة أعم والنعت أخص، وذلك أنك تقول: زيد عاقل وحليم، ...، فيكون ذلك صفة ونعتاً لهما، وأما النعت فلا يكاد يطلق إلا فيما لا يزول ولا يتبدل، كالتطول والقصر والسواد والبياض ونحوهما من الأمور اللازمة»^(٢).

إن هذه النماذج من الألفاظ وغيرها مما يظنها بعض الناس أنها واحدة قد برهن الخطابي رحمه الله أن ثمة فرقاً واضحاً بينهما بالتمحيص والتدقيق؛ ولذا فإن كلمة تُذكر في القرآن الكريم

(١) المصدر السابق نفسه - ص ٢٦.

(٢) بيان إعجاز القرآن - ص ٣٠، ٣١.

بحسب نظمها والمعنى الذي وجد في الآية، وبهذا تكتمل المثلية في الإعجاز، وهي اللفظ والنظم والمعنى.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، فلم يبخل بالدعوة إلى الله تعالى على الثقلين أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فإنه بعد الدراسة المستفيضة في حيثيات موضوع الصلة بين أدلة صدق الوحي والنبوة ووجه الإعجاز القرآني، ظهرت أهم النتائج والتوصيات، وذلك فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج

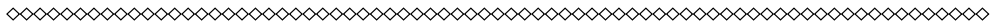
برز أهم الفروق بين مصطلحات الدراسة، وهي: الوجه المعجز للقرآن، وأدلة صدق الوحي والنبوة.

خلط كثير من العلماء بين أدلة صدق الوحي والنبوة، التي تعني التدليل على صدق النبي ﷺ، وما جاء به من عند الله تعالى، ولا يشترط فيها التحدي، ولا المثلية الكاملة في اللفظ والنظم والمعنى، وأنها لا تمثل العلة التي وقفت سدًا منيعًا أمام جميع الخلق لمعارضة القرآن، وأنها لا توجد في كل سورة من سور القرآن، وهذا بخلاف الوجه المعجز للقرآن، الذي يجب أن تتوفر فيه الشروط الأربعة سابقة الذكر.

تبيّن أن ثمة فرقاً واضحاً بين أدلة صدق الوحي والنبوة، وبين الوجه المعجز للقرآن، وأن هناك أوجه اتفاق؛ لكنها تؤول إلى توضيح الفروق.

القائلون بوجه الإعجاز البياني وجهاً وحيداً للإعجاز كثيرين، في جميع المراحل التاريخية لعلماء المسلمين؛ لكن السبب الرئيس في عدم ظهور أدلتهم وتوجههم هو قوّة حضور القائلين بتعدد وجوه الإعجاز.

ظهر من خلال التمثيل لنماذج أدلة صدق الوحي والنبوة أن الغاية من هذه النماذج هو التدليل على صدق الوحي والنبوة كما تبيّنه آية فصلت، وهذا يتحقق في بيان الأدلة المتنوعة على صدق الوحي والنبوة، ولا حاجة إلى تسميتها وجهاً معجزاً؛ لأن هذا يوقع في خطأ، بسبب عدم اكتمال أركان وشروط الوجه المعجز.



وضع من خلال التمثيل لنماذج الوجه المعجز للقرآن أن الجانب البلاغي هو الوحيد الذي تتمثل فيه المثلية التامة، بعدما تبين أن الألفاظ التي يظنها بعض أهل العلم أنها مترادفة، والحقيقة أنها ليست كذلك، وأن النظم والمعنى هما اللذان يحكما وجود أي منها، فالوجه المعجز هو الذي يمثل لفظاً حاملاً، ومعنىً به قائماً، ورباطاً لهما ناظماً.

ثانياً: التوصيات

رسالة إلى جميع الباحثين، والمختصين، والعلماء عموماً أن يولوا هذا الموضوع أهمية بالغة، وأن يعطوه حيزاً كافياً من جهدهم؛ حتى يتعرف الناس إلى الدلالة الحقيقية للمصطلحات المحررة في الإعجاز، دون خلط أو لبس بين أي منها، وأن الحكمة هي ضالة المؤمن، هو أولى بها أنى وجدها.

توصية إلى الجامعات ومراكز البحث العلمي أن يقيموا مؤتمرات علمية تبين عظيم التفسير العلمي للظواهر الكونية، والحقائق التشريعية، وكافة العلوم التي تدلل على صدق الوحي والنبوة، وتثبت دون حاجة إلى خلط بينه وبين الوجه المعجز.

فهرس المصادر والمراجع

أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط: ٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: رتبه محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.

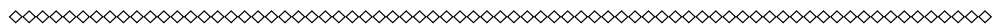
الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والأولى أن يسمى الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، أ.د. عبد السلام حمدان اللوح، منشورات مكتبة آفاق، غزة- فلسطين، ط: ٣، ١٤٢٨هـ- ٢٠١٧م.

إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح الخالدي، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط: ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر، من بحوث المؤتمر العلمي في القرآن والسنة، مجموعة من الباحثين، اليمن- جامعة الإيمان.

إعجاز القرآن، أ.د. فضل حسن عباس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط: ٢، ١٩٩٧م.

أنواع السحب رؤية قرآنية، عادل الصعدي، موقع جامعة الإيمان اليمنية الإلكتروني، صدر بتاريخ (٢٠١٣/١/٢٢م).



أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (المتوفى: ٩٧٨هـ)، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.

بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «سلسلة: ذخائر العرب (١٦)»، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغول سلام، دار المعارف بمصر، ط: ٣، ١٩٧٦م.
تراث أبي الحسن الحرّالي المراكشي في التفسير، الحرّالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التّجيبّي الأندلسي (المتوفى: ٦٣٨هـ)، مستخرجة من: تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، تصدير: محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط، ط: ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبى الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: ١، ١٤١٦هـ.

التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

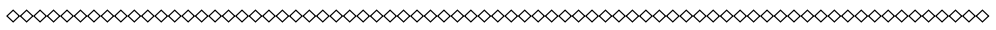
التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، ط: ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٢١هـ)، عالم الكتب ٢٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

جامع العلوم في اصطلاحات الفنون دستور العلماء، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحوص، دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر



القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: ٢،
١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين
الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر -
بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ.

الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢ - ٨٩٣
هـ)، تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ -
٢٠٠٨م.

الرسالة الشافية، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «سلسلة: ذخائر العرب
(١٦)»، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار
(المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف
بمصر، ط: ٣، ١٩٧٦م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي
(المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ -
١٩٨٧م.

الظاهرة القرآنية، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تحقيق:
(إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر - دمشق سورية، ط: ٤، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني نظرات جديدة في إعجاز القرآن، أ.د. عبد السلام
حمدان اللوح، مكتبة آفاق للطباعة والنشر، غزة - فلسطين، ط: ١، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.

فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة
الرسالة، ط: ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن
محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر،
ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب
تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة

والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط: ٢، ١٤١٤هـ.

مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، دار القلم - دار الشامية، دمشق - بيروت، ط: ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة، مصر، ط: ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

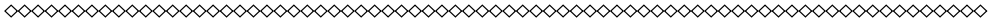
مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ.

المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط: ١٨، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيده ومحققة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «سلسلة: ذخائر العرب (١٦)»، علي ابن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: ٣، ١٩٧٦م.



الدكتور عبد الله البوعلاوي

أستاذ مادة العقيدة والفكر الإسلامي

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية (جامعة السلطان مولاي سليمان المغرب)

معجزة القرآن الكريم البلاغية دليل صدق نبوة محمد ﷺ

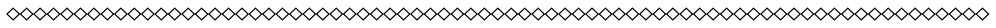
The rhetorical miracle of the holy Qur'an as an evidence of the sincerity of the prophecy of Muhammad, may God's prayers and peace be upon him

تشهد بلاغة القرآن الكريم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي أخرجت البشرية بأن يأتوا بمثلها، فدانت للقرآن الكريم أعناق البلغاء والفصحاء مما وجدوا من فنون الفصاحة والبيان.

إن بلاغة القرآن الكريم أدت بالكثير، ممن أراد مُحاجَّته، إلى الإذعان لقوته البلاغية والاعتراف بأنه كلام يعجز البشر عن الإتيان بمثله على مر الأزمنة والأمكنة بالرغم من توفر البلاغة والبيان لديهم، لذلك انجذبت له أفئدة تهم وجوارحهم، لأنه نُسج بصورة جمالية تفوق قدرتهم البلاغية. لقد وُضعت كلمات القرآن الكريم بالعناية الإلهية لتعبر عن معنى دقيق، ولا يدرك ذلك إلا من فقه فنون اللغة العربية.

لو أمعنا النظر في كل آية من القرآن الكريم لوجدناها تنطق بقوة بلاغتها أنها من لدن حكيم حميد، وأنه لا يمكن لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يأتي بمثل القرآن الكريم، فقد انسجمت ألفاظه وحروفه بعضها من بعض؛ فكل حرف له موقعه في الكلمة، وتألقت كل كلمة واستوتت مع أخواتها بشكل دقيق لتكون نسيجاً متراسماً من المعاني والمباني وتؤدي المعنى المقصود. فكل لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته وكل كلمة في حيزها لا تتأرقه، ولو فارقته لوجدناه فارغاً لا يملؤه غيرها.

يصرح القرآن الكريم على عجز البشرية على الإتيان بمثله، وهو تحدُّ على التأييد يدل من جهة على أمية محمد ﷺ وأنه بشر لا حول ولا قوة له في تأليف القرآن الكريم، ليس عليه إلا البلاغ، وأنه محتاج إلى ربه ينتظر الوحي ليبيث في القضايا المتجددة، ومن جهة أن البشرية مهما حاولت ارتداء لباس المقاومة، انتهى بها الأمر إلى التسليم بعظمة بلاغة القرآن في تضام كلماتها وعبارات نظمها.



The eloquence of the holy Qur'an testifies to and ascertains the sincerity of the prophecy of Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, which silenced mankind and challenged rhetoricians to bring a similar one.

The eloquence of the holy Qur'an led many of those who wanted to argue its content to yield to its rhetorical power and to admit that it is a language that humans, despite their being eloquent, have been unable to come up with over times and places. As a fact, their hearts were attracted to it, because it was woven in an aesthetic way that exceeds their rhetorical ability. The words of the holy Qur'an were developed by divine providence to express a precise meaning, and this is only understood by the jurisprudence of the arts of the Arabic language.

If we look closely and attentively at every verse of the Noble Qur'an, we will find that it holds the strength of its eloquence and that it is from the Wise, the Praised One, and that it is not possible for Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, to come up with similar verses of the Holy Qur'an. All its words and letters are in harmony and every single letter has its place in the word. In addition to that, each word is precisely aligned with others to form a tight web of meanings and buildings so as to perform the intended meaning. Every word in the Qur'an has a meaning based on its own, and every word in its context remains within the scope of the Noble Qur'an. Add to this, if a word goes beyond this scope, we would find it empty and does not hold anything else, but sounds meaningless.

The Holy Qur'an openly declares the inability of mankind to produce it, and it is an eternal challenge that indicates on the one hand the Prophet's illiteracy, may God's prayers and peace be upon him. He (Muhammad) is a human being who has no power or strength to compose the Holy Qur'an. He has nothing but eloquence. He, instead, expects God with his revelation to broadcast issues. On the one hand, humanity, no matter how much resistance it tried to hold, they ended up accepting the greatness of the eloquence of the Qur'an in the coherence of its words and phrases of its systems.

مقدمة

شكلت اللغة العربية لغة التنزيل للنص القرآني، ومن هنا ندرك الدافع الحقيقي للدراسات والبحوث في علوم اللغة من بلاغة ونحو وقراءات ليشكل ذلك وسيلة لتحديد دلالات ألفاظه واستنباط أحكامه، فإنها اللغة المؤهلة للحمل الثقيل شاهدة على صدق نبوة محمد ﷺ النبي الذي تلقى القول الثقيل عن الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ

﴿عَلِيمٌ﴾^(١)، إذ ألقى الله تعالى عليه القرآن الكريم بهذا المعنى من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلًا﴾^(٢)، ليقع التخلُّق بالقرآن الكريم على النحو الذي وصفت به أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها محمدًا صلى الله عليه وسلم عندما سئلت عن خلقه، فقالت: «كان خلقه القرآن»^(٣) بوصفه نظاماً ومنهج حياة يتحقق من خلاله الرقي الإنساني.

لقد عاش محمد ﷺ بين ظهراي قبيلة قريش في مكة أربعين سنة قبل بعثته إلى الناس، بسيرته العطرة وأخلاقه الفاضلة، إذ لُقّب بالصادق الأمين كما وصفه جعفر للملك النجاشي عند هجرتهم إليه، فقال: «أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه...»^(٤). ثم أثبتت الحجج التاريخية والدلائل على أن محمدًا ﷺ كان أمياً لم يتعلم الكتابة ولا القراءة وإنما ترعرع في قبيلة بني سعد كباقي الصبيان، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٥)، و«ثبوت نبوة محمد ﷺ بنفسها، أي بالبرهان العلمي والعقلي الذي لا ريب فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية. إن هذا البرهان قائم ماثل للعقول والحواس في كل زمان، وأنه لا يمكن إثبات آيات النبيين السابقين إلا بثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا القرآن الذي جاء به، فالحجة الوحيدة عليها في هذا الطور العلمي الاستقلالي من أطوار النوع البشري هو شهادته لها. فإن الكتب التي نقلها لا يمكن إثبات عزوها إلى من عزيت إليهم، إذ لا يوجد نسخ منها منقولة عنهم باللغات التي كتبوها بها لا تواتراً ولا أحاداً، ولا يمكن إثبات عصمتهم من الخطأ فيما كتبوه على اختلافه، وتناقضه، وتعارضه، ولا إثبات صحة التراجم التي نقلت بها. ف«الكتاب الإلهي الوحيد الذي نقل بنصه الحرفي تواتراً بطريقتي الحفظ والكتابة معا هو القرآن، وأن النبيَّ الوحيد الذي نقل تاريخه بالروايات المتصلة الأسانيد حفظاً وكتابةً هو محمد ﷺ...»^(٦).

(١) سورة النمل الآية ٦

(٢) سورة المزمل الآية ٥

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٥٢٤١هـ) ٦/٩١ تحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م (حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا مبارك عن الحسن عن سعد بن هشام بن عامر قال أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾.

(٤) الرحيق المختوم للشیخ صفی الرحمن المبارکفوری، ص: ٩٩ دار الوفاء، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

(٥) سورة الجمعة الآية ٢

(٦) الوحي المحمدي، ثبوت النبوة ودعوة الشعوب المدنية إلى الإسلام، دین الأخوة الإنسانية والسلام، للسید محمد رشید رضا،

ص: ٥٥-٥٧



لقد أحرس القرآن الكريم البشرية بأن تأتي بمثله ولو بأقصر سورة منه، فهو المعجزة الخالدة التي تحدى الله بها الإنس والجن، فدانت له أعناق البلغاء والفصحاء لما يجدون فيه من فنون الكلام وبديع التصوير البلاغي والإعجاز الذي لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره من البشر على مر الدهور منافسته. والمتأمل في كلام القرآن الكريم وخطابه يجد فيه أنواعاً متعددة من الأدلة تفيض بها الآيات وتتطق لتُبرهن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن له أن يزخر بمختلف ما نطق به القرآن الكريم، وإن أوتي جوامع الكلم، فكلامه يخالف النص القرآني من حيث تطريز آياته تطريزاً دقيقاً بحيث لا يمكن تغيير الحرف عن موضعه أو الكلمة عن موضعها، لأنه نُسج من لدن حكيم حميد.

إن إعجاز بلاغة القرآن الكريم وكمال لغته نُسجت بمداد الوحي وطُرُزت حروفه في الكلمات، والكلمات في الآيات، والآيات في السور، وانسجمت وتناسبت بعضها ببعض، فلن يستطيع أحد ولم يستطع أحد أن يعارض القرآن الكريم، وهو تحد مستمر في الأجيال ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١)، وقال الله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ هو نفي بالتأبيد.

لنفترض جدلاً أن محمداً ﷺ كان عالماً متعلماً، كيف له أن يمتلك هذه القدرة دون غيره ممن عرفوا بفصاحة اللسان وقوة البيان ومعرفة أسرار اللغة العربية، الذين كانوا يظهرون عداوتهم لخطاب رب العالمين، بأن يأتي بهذا الإعجاز البياني في الألفاظ والمعاني. إن البلاغة التي تمتع بها محمد صلى الله عليه وسلم لا تصل إلى بلاغة القرآن الكريم التي تُعبر بمنتهى الدقة بما يدركه اللغوي بحسب الزمان والمكان، وتجعله يستمتع برؤيته الشمولية للقضايا المطروحة على الإنسان والكون، لا «تقطع فيه الرؤية الشاملة، بل هو يعرض الكون وهو بيني العقيدة.. ويعرض الكون وهو يُربي الخلق.. ويمزج بين الجميع بطريقة مدهشة»^(٢). فالذي يفقه معاني اللغة يرتوي بحلاوة أسلوبه، ويقتطف من ثماره، ويفدق من كنوز معارفه، وهو الدليل القوي والحجة على كل معاند لنبوة محمد ﷺ.

وأروم من خلال هذه المداخلة أن ننصت إلى نبض بعض معاني القرآن الكريم بعدة بلاغية وإدراك أبعادها على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة

(١) سورة فصلت الآية ٤٢

(٢) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، في دراسة مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، عمر عبيد حسنة ص: ٥٢، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

المطلب الأول: إعجاز لغة القرآن الكريم وقوة بلاغته

المطلب الثاني: انسجام الكلمات وتناغمها في أداء المعاني

المطلب الثالث: الدلائل من القرآن الكريم على صدق نبوة محمد ﷺ

المطلب الأول: إعجاز لغة القرآن الكريم وقوة بلاغته

لا يمكن لكتاب أن يستمر عطاؤه المعرفي كلياً في الزمان والمكان دون أن يطرأ عليه الخطأ أو التجاوز إلا هذا القرآن الكريم الذي يمتلك من قوة لوازم الخاتمية المتمثلة في استمرار قيمه الصحيحة وحراستها بالقيام بالحق ليكون التكليف صحيحاً، ثم امتلاكها القدرة المعرفية أو النظام المعرفي على استمرار التجديد والتوليد والامتداد في ضوء معطيات الوحي التي تشكل الإطار المعرفي والضابط المنهجي ومركزية الرؤية ودليل العمل لاجتهادات العقل^(١)، لأن الله تعالى تكفل بحفظه من التحريف والتبديل بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّ لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، «لتستمر معجزة القرآن الكريم في القيام بدورها الخطير في تغيير الأفراد في أي زمان ومكان»^(٣).

إن هذا القرآن يملك من القوة التأثيرية على المستوى الروحي والمستوى المعرفي والمادي، وكثيرة هي الأحداث التاريخية التي أدت بالكثير ممن أراد مُحاجَّة بلاغة القرآن الكريم وانتهوا إلى الاستسلام إلى قوته البلاغية والمعرفية، وخلوه من كل عيب، مما يُظهر عجز الإنس والجن والضعف على مر الأزمنة والأمكنة أن يأتوا بمثله، بالرغم من توفر البلاغة والبيان لديهم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٤). «لقد تحدى القرآن الكريم في عبارات قارعة لاذعة، ولهجة واخزة مرغمة على أن يأتوا بمثله فما فعلوا، ولو قدروا أو استطاعوا ما تأخروا، لشدًا حرصهم على تكذيبه ومعارضته بكل ما ملكت أيانهم، واتسع له بإمكانهم هذا العجز الوضع بعد ذلك التحدي الصارخ، هو أثرُ تلك القدرة الفائقة وهذا السكوت الدليل بعد ذلك الاستقزاز الشامخ، هو أثرُ ذلك الكلام العزيز»^(٥).

امتاز القرآن الكريم بأسلوبه على اللغة المتداولة بين فصحاء العرب، وأعلن تحديه

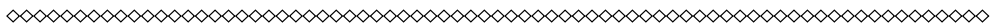
(١) الشاكلة الثقافية، مساهمة في إعادة البناء، عمر عبيد حسنه، ص: ٨، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م

(٢) سورة الحجر الآية ٩

(٣) إنه القرآن سر نهضتنا، د، مجدي الهلالي ص: ٤٠، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٦م

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٨

(٥) إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي، ص: ١٩، كلمة سعد باشا زغلول، دار النقوى، مصر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م



للعالمين، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، «كأن ربيهم في القرآن الكريم مستضعف الوقوع، ووجه ذلك أن القرآن الكريم قد اشتطت ألفاظه ومعانيه على ما لو تدبره العقل السليم بحزم بكونه من عند الله تعالى، فإنه جاء على فصاحة وبلاغة ما عهدوا مثلها من فحول بلغاتهم، وهو فيهم متوافرون حتى لقد سجد بعضهم لبلاغته واعترف بعضهم بأنه ليس بكلام بشري، وقد اشتمل من المعاني على ما لم يطرقة شعراؤهم وخطباؤهم وحكماؤهم، بل وعلى ما لم يبلغ إلى بعضه علماء الأمم...»^(٢). لقد جذب الخطاب القرآني أفئدة الناس جذبا، فشمّرت أقلام المناوئين للتشكيك في بلاغته وأسلوبه قديما وحديثا، فلم يستطيعوا أن يدانوه أو يقاربهه لدقة تجانس ألفاظه وكلماته، وجندوا القاصي والداني فتبخرت جهودهم سُدى، وأصيبوا بالضعف أمامه، ولما علموا استحالة مقاومته نعمتوا ما جاء به نعوثا لا تليق بأصحاب العقول، ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ ۚ أَكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٣)، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٤)، إلى غير ذلك من الآيات، ولما لم يجدوا إلى ذلك سبيلا، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٥). وردَّ الله تعالى دعاوى المكذبين على اختلافها وتحداهم بأن يأتوا من جنس ما جاء به إن كان من أساطير الأولين، أو أنه من علم البشر، أو أنه من عند محمد ﷺ نفسه، وبقي التحدي بمماثلة القرآن الكريم من حيث ألفاظه وتراكيبه وكل ما أخبر به من أخبار الماضي والمستقبل وما يتعلق بعالم الغيب وعالم الشهادة مستمرا، ولهذا قال الله تعالى ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦).

إن دليل نبوة محمد ﷺ كما من في جوهر القرآن الكريم وبلاغته التي تدل على أنه كلام الله المتعال المطلق وليس بكلام بشري وإن كان نبيا مرسلا، وأنه كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب أحكمت آياته، معجز، تختلف جوانب إعجازه بمعارفه وعلومه، ونظمه ولغته وأسلوبه. ولا يوجد كتاب منتظم في بلاغته وأسلوبه على الإطلاق. «إن هذا القرآن الكريم يحمل من الصفات والخصائص ما يجعله كتابا متحديا معجزا لا يدانيه في أي خواصه وصفته

(١) سورة البقرة الآية ٢٣

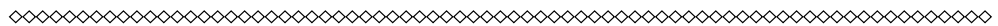
(٢) التحرير والتنوير، تأليف الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور/١/٢٣٦، دار سحنون، تونس ١٩٩٧م

(٣) سورة الفرقان الآية ٥

(٤) سورة الزخرف الآية ٣١

(٥) سورة النمل الآية ١٣

(٦) سورة البقرة الآية ٢٣



ومزاياه أي كتاب، ولا يقاربه أي خطاب»^(١). فهو «معجزة الرسالة الخاتمة معجزة عقلية فكرية مجردة خالدة، دافعة للتفكير والاجتهاد والتوليد في كل زمان ومكان.. ربّت عقل الإنسان، وزودته بأدوات البحث العلمي، وحرصته على النظر والاعتبار، ووحدت أبجديات القراءة بالمؤاممة بين علوم الحياة وعلوم المادة، وجعلت علم الأنفس (علم الإنسان)، والآفاق (علم الكون بكل مكوناته) ميدان هذا الكسب المعرفي، وميدان النظر والاستبصار والكشف العلمي للسنن والأسباب والقوانين الناظمة لحركة الحياة والأحياء وتحصيل البراهين والآيات الدالة على الحقائق من خلال الملاحظة والاختبار، قال الله تعالى: ﴿سَرِيهِمْ أَيَّتَنَافِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢). وهو كتاب متراس بناؤه معجز في أسلوبه، ينفرد بقوة لغته وفضاحة أسلوبه. فموضع الكلمة ما يلائمها من المعنى والسياق وتتجلى عظمتها في طبيعة خطابه، خطاب معجز، يبيّن في نفسه، لا يحتاج إلى من يقويه ويعضده.

لقد تميز القرآن الكريم بأسلوبه البديع المختلف عن كل فنون الكلام الذي أتت به العرب، «وهم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتمييزاً للمعاني، جمعاً ورفقاً...»^(٤)، ومع ذلك حارت أفهامهم في وصف القرآن الكريم، ودويت الأفلام في مدحه، لأن كل شيء في القرآن الكريم يوحي بالتحدي لأن الله تعالى جمع فيه الدقة في تطريز الكلمات بعضها إلى بعض ونسج صورتها الجمالية من حيث مخارج الحروف وصفاتها ما يجعل من يلقي جوارحه إليه يصاب بالذهول وإن لم يكن حافظاً له. ولم يستطع فحول اللغة في معانيها وأسلوبها وقوة بيانها وتناسق حروفها الإتيان بمثل لغة القرآن، مهما بلغت قوتهم في البيان وفضاحة اللسان وقوة الفهم أن يأتي بشيء من مثل القرآن الكريم من الجن والإنس، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٥). وهذا «التحدي عام لهم كلهم مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عدوتهم له وبغضهم لدينه، ومع هذا عجزوا عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾^(٦) ولن: لنفي التأييد أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً. وهذه -أيضا- معجزة أخرى، وهو أنه أخبر أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبداً وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا

(١) أفلا يتدبرون القرآن، معالم منهجية في التدبر والتدبير، طه جابر العلواني، ص: ٢١

(٢) سورة فصلت الآية ٥٢

(٣) رؤية في عوامل النهوض، عمر عبيد حسنه، ص: ٩٢، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٦م

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد عبد الحليم لابن تيمية الحراني (ت١٧٢٨هـ)، ص: ٢٢٩ تحقيق د، ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد الرياض،

(٥) سورة فصلت الآية ٤٢

ولا يمكن، وأنى يتأتى ذلك لأحد، والقرآن كلام الله خالق كل شيء؟ وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين؟!

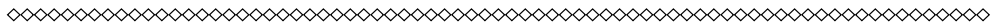
إن وجه الإعجاز البلاغي الذي جاء به القرآن الكريم لم يتجاوز مستوى طاقة العرب البيانية، وهم الذين كانوا مأخوذين بكل فصيح بليغ متنافسين في حفظ أجود المنظوم والمنثور، فأما الذين آمنوا به هبوا يحفظونه ويتدارسونه، لإدراكهم فنون كلامه وبديع تصويره البلاغي، ومنهم من كان يسترق السمع للقرآن الكريم رغم عداوتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم رغم أخذهم القرار بعدم الاستماع إلى القرآن الكريم لقوة تأثيره في قلوب سامعيه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، لكنهم وجدوا في القرآن الكريم عذوبة المنطق وبديع صناعة الكلام، وأما الذين غلبهم الجهل بعلوم اللغة العربية لا يهتدون إلى كنوز القرآن الكريم سبيلاً ولا ينهلون من معين فيوضاته. فالقرآن الكريم غير كلام البشر الذي يجري عليه النقد أو التقويم والتصويب، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال تغيير كلمة عن موضعها، لأنه القرآن الكريم، وُضع بكمال العناية الإلهية كلمة إلى أختها وجملةً جملةً منسجماً في المعاني والمباني، لا عيب فيه، ومتراص في الوزن والنطق. وأوضح الحق، ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهومٌ كلامهم، أنهم إن لم يَلْغُوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلبون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يَعْرِفُ هذا، أصحاب الحق وأعداؤه^(٢). لقد وَرَدَ في إسلام أبي ذر الغفاري، أنه قال: «ما سمعت بأشْرٍ من أخي أنيس، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية، وأنا أحدهم، وقد انطلق إلى مكة، وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي ﷺ، فقال أبو ذر ما يقول الناس؟ قال يقولون شاعر كاهن ساحر، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد أوضعتة على أوزان الشعر فلم يلتئم، وما يلتئم على لسان أحد، وإنه لصادق وإنهم لكاذبون»^(٣).

إن ما يدل على صدق نبوة محمد ﷺ ما جاء به القرآن الكريم من براعة الإعجاز اللغوي والبلاغي إلى حدٍ تطرّيز آياته تطرّيزاً دقيقاً بحيث لا يمكن تغيير الحرف عن موضعه أو الكلمة عن موضعها، فقد نسجت بمداد الوحي الإلهي الذي أقام الكلمات، ونطق بها النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم. والقرآن الكريم لا يفضل بعضه على بعض في البلاغة، والأمثلة

(١) سورة فصلت الآية ٢٦

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) ص: ٧٥٨-٧٥٩، منتدى الثقافة، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

(٣) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، لعبد العزيز بن حمد آل معمر، ٢٩/٢، تحقيق محمد بن عبد الله بن حمد بن السكاكر، الأمانة العامة، المملكة السعودية، ١٤١٤هـ ١٩٩٩م



البلاغية مشهورة، ففي قول الله حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، فالمراد، وإن تغفر لهم فإنك أنت القوي الغالب، الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة، ولا يصح الوقف إلا على قوله ﴿الْحَكِيمُ﴾، وليس مراده الاستشفاع لهم، حتى يقول: فإنك أنت الغفور الرحيم، كما توهمه بعضهم، وجعل الوقف على قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، وجعل قوله ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ مستأنفاً، وهذا الوجه من وجوه الإعجاز لا يدركه إلا من عرف بلاغة اللغة العربية. لقد كانت العرب أخص بالبلاغة والبيان والحكم بما لم يخصص به غيرهم من الأمم، ورغم أميتهم كانوا يتذوقون معنى الكلام ويتخيرون خيره، فقد أوتوا من دراية اللسان ما لم يؤت إنسان، فقد كانت جاهليتهم بالدين وليس جهلاً في البيان ومعرفة أسرار البلاغة يدركونه بلحظ الحال.. فقد خاطبهم القرآن ابتداءً من النزاع الذي يحسنون، فجاء القرآن في أعلى درجات البيان من حيث لفظه ومن حيث نغماته، ومغازيه ومن حيث الصور البيانية حتى إن كل عبارة تلقى في الفكر والخيال بصورة بيانية كاملة في روعتها، ودقة تصويرها، بل إن كل كلمة لها صورة بيانية تبتثق منها منفردة، وبتأخيها مع أخواتها في العبارة تكون صورة بيانية أخرى..^(٢)

يتذوق المستمع بلاغة القرآن الكريم فتقع في نفسه ويدركها بقلبه ويترنم بإيقاعاتها يُرطب بها لسانه، فينجذب إليها فكره، ويجد لها توازناً في الكلمات وتناسقاً في المعاني، بحيث يمكنه أن يكتشف الخطأ بفطرته إن حدث من لدن القارئ، كما هو الحال بالنسبة للأعرابي الذي سمع الأصمعي يقرأ من سورة المائدة قول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)، فوقع الخطأ من الأصمعي، فقال في آخر الآية ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فسأل الأعرابي الأصمعي فقال: كلام من هذا؟ فرد الأصمعي: إنه كلام الله تعالى، فقال الأعرابي: هذا ليس كلام الله، فقال الأصمعي أت حفظ القرآن، فرد الأعرابي: لا، فقال الأصمعي: فكيف عرفت أن هذه الآية ليست كلام الله، فقال الأعرابي: لعدم استقامة المعنى في آخر الآية ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فقال الأصمعي كيف عرفت ذلك؟ فقال يا أصمعي: سبحان من عزَّ فحكمم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع. وحكي عن الأصمعي وهو أحد بلغاء اللغة سمع جارية، فقال لها قاتلك الله ما أفصحك! فقالت أو يُعدُّ هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي

(١) سورة المائدة الآية ١١٨

(٢) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ٦٦-٦٧ بتصرف دار الفكر العربي

(٣) سورة المائدة الآية ٣٨

وَلَا تَحْرَفِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾، فجمع الله في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنوناً ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، قال الله تعالى: ﴿الر، كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ، ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(١)، فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يجارى ولا يدانى، فقد أخبر عن مغيبات ماضية وآتية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(٢)، أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، فكله حق وصدق وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها، كما قيل في الشعر: إن أعذبه أكذبه...»^(٤).

من جملة الأحداث التي وقعت على عهد رسول الله ﷺ، أن اجتمعت قريش للوقوف أمام انتشار دعوة محمد ﷺ، فأرسلوا إليه عتبة بن المغيرة يكلمه وعرض عليه أموراً تتعلق بالمال والسيادة والملك وأخرى تتعلق بالاستشفاء مما يأتيه من الوحي، حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني؛ قال: أفعل؛ فقرأ عليه رسول الله ﷺ من سورة فصلت. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. حتى إذا انتهى ﷺ إلى قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فأمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم، فما كان من عتبة الذي سمع جمال الآيات تتلى عليه في نسقٍ متزنٍ خالٍ من كل أوصاف الشعر والنثر، وأنه لا يمكن لمحمد أو غيره أن يأتي بمثله، فرجع بغير الوجه الذي ذهب به إلى محمد ﷺ فقال يا قريش: «أتيتهم وقصصت عليه ما قصصت، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فأمسكت بفيه، وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا:

(١) سورة القصص الآية ٧

(٢) سورة هود الآية ١

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٥

(٤) تفسير القرآن العظيم، للشيخ أبي الفداء الحافظ ابن كثير دمشقي (ت ٥٧٤هـ)، ١/٩٢-٩٣، دار الرشد الحديثة، البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم»^(١).

إن القرآن الكريم لا يعيبه اختلاف الزمان والمكان أو تطور أفهام الناس وطبائعهم وتوسع أفكارهم، فهو ثابت بما جاء به من تشريعات وعلوم روحية ومادية، صالح يحمل دليله معه، نُسج بمداد الوحي ليبقى خالداً ببقاء الوجود الإنساني، وخاتماً لكل الرسالات، وكلما تقدم الإنسان فهماً لعلوم اللغة العربية وأسرارها خضع لسلطان بلاغة القرآن الكريم» فهو مشغلة العقل البياني العربي في كل الأزمنة، يأتي الجيل من الناس ويمضي وهو باقٍ بحقائقه ينتظر الجيل الذي يخلفه، كما أنه مشغلة الفكر الإنساني إذا أريد درس أسمى نظام للإنسانية في حرامها وحلالها مما تجله مصلحة الاجتماع أو تحرمه»^(٢).

لقد تعددت أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم التي يمتلكها القرآن الكريم وتتفرد بها المفردة القرآنية، التي تُعبر بمنتهى الدقة بما يدركه اللغوي بحسب الزمان والمكان، وتجعله يستمتع برؤيته الشمولية للقضايا المطروحة على الإنسان والكون، لا «تقطع فيه الرؤية الشاملة، بل هو يعرض الكون وهو بيني العقيدة.. ويعرض الكون وهو يربي الخلق.. ويمزج بين الجميع بطريقة مدهشة»^(٣). فالذي يفقه معاني اللغة يرتوي بحلاوة أسلوبه، ويقتطف من ثماره، ويغدق من كنوز معارفه، حُكي أن أحد الأعراب لما سمع قول الله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٤) سَجَدَ، فلما سُئِلَ عن سبب سجوده قال: «سجدتُ لفصاحة هذا الكلام»^(٥)، وكثيرة هي الآيات التي لم تترك مجالاً لمن يفقه علوم اللغة العربية أن يلجأ إلى كتاب غير القرآن الكريم ليعيش في بحر معانيه المتدفقة والمتألثة، كمثل هذه الآية من سورة النمل التي جمعت بين النداء، والتنبيه، والأمر، والنهي، والتحذير، والتخصيص، والعموم، والإشارة، والاعتذار، في قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٦). فجمال بلاغة القرآن الكريم وفصاحة أسلوبه أقوى من اللغة العربية المتداولة بين الناس، ذلك أن «اللغة المتداولة بين الناس قد يطرأ عليها بعض الضعف من حيث التواصل أو فهم بعض المعاني، لكن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، لا يصاب بالعجز من حيث فهم معانيه، إذ

(١) تفسير القرآن العظيم، للشيخ أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ١٢٨/٧، وسيرة النبوية لابن هشام ٢٩٣/١-٢٩٤ بتصرف يسير

(٢) إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، الصفحة: ٢٢

(٣) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، في دراسة مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، عمر عبيد حسنة ص: ٥٢، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

(٤) سورة الحجر الآية ٩٤

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١/٦٤

(٦) سورة النمل الآية ١٨

تظل لغته تحمل قوة البلاغة في فهم مراد الله تعالى وكمال فصاحته باختلاف الأمكنة والأزمنة، «وهو ما بلغ في القرآن الكريم درجة الإعجاب»^(١).

إذا ما تأملنا القرآن وجدناه في غاية البلاغة من حيث فنون اللغة وعلومها، قال ابن كثير رحمه الله: «وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَجَمِيعُهُ فَصِيحٌ فِي غَايَةِ نَهَائِيَاتِ الْبَلَاغَةِ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ تَفْصِيلاً وَاجْمَالاً مِمَّنْ فَهِمَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَتَصَارِيْفَ التَّعْبِيرِ، فَإِنَّهُ إِنْ تَأَمَّلْتَ أَخْبَارَهُ وَجَدْتَهَا فِي غَايَةِ الْحَلَاوَةِ، سَوَاءً كَانَتْ مَبْسُوطَةً أَوْ وَجِيزَةً، وَسَوَاءً تَكَرَّرَتْ أَمْ لَا وَكَلَّمَا تَكَرَّرَ حَلَا وَعَلَا لَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا يَمَلُّ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَإِنْ أَخَذَ فِي الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ جَاءَ مِنْهُ مَا تَقَشَّرُ مِنْهُ الْجِبَالُ الصُّمُّ الرَّأْسِيَّاتِ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْقُلُوبِ الْفَاهِمَاتِ، وَإِنْ وَعَدَ أَتَى بِمَا يَفْتَحُ الْقُلُوبَ وَالْأَذَانَ، وَيَشْوِقُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَمَجَاوِرَةِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ»^(٢)، لذلك يعتبر فقه اللغة العربية المفتاح الأساس لفهم النص القرآني.

المطلب الثاني: انسجام ألفاظ القرآن الكريم وحروفه وتناغمها في أداء المعاني: مما يثير دهشة قارئ القرآن الكريم اختياره للكلمة وموقعها من التي قبلها والتي بعدها، فيجد مناسبة قوية في انسجام الكلمات بعضها من بعض، وتناغماً من حيث انتقاؤها، وتعبيراً عن المعنى المقصود من الآية، كقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)، وقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبًا مِثْلُ مَا سَمِعُوا لَهُ﴾^(٤)، وقول الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا﴾^(٥)، فكلمة الضرب في الآية الأولى: تعني السير في الأرض، وفي الآية الثانية تعني إعطاء المثل، وتعني في الآية الثالثة، الستر. وفي قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾^(٦)، أي افرق لهم بين الماء طريقاً. وقول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾^(٧)، أي مباعدة وسفراً. وقول الله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ ضَرِيْبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾

(١) فقه التدين فهما وتنزيلا، للدكتور عبد المجيد النجار، ص: ٦٠، الزيتونة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، بتصرف جد يسير

(٢) تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٥٧٤هـ) ٩٢/١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، ٥٤١٠

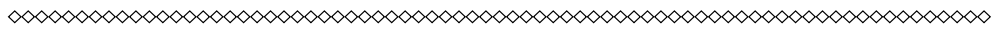
(٣) سورة النساء الآية ١٠١

(٤) سورة الحج الآية ٧٣

(٥) سورة آل عمران الآية ١١٢

(٦) سورة طه الآية ٧٧

(٧) سورة البقرة الآية ٢٧٢



وَزَهْرُهُ، مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١﴾ أي فُصِّلَ بينهم بسور، وقول الله تعالى الذي وقع الالتباس فيه عند الكثير: ﴿فَعَطَّوْهُنَّ وَأَهْجَرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضَرُّوهُنَّ﴾^(٢)، والآية تحضُّ على الهجر في المضجع والاعتزال في الفراش أي لا يجمع بين الزوجين فراش واحد وإن لم يُجدِّ ذلك فهو (الضرب) بمعنى المباحدة، والهجران، والتجاهل، إلى غير ذلك من معاني الضرب في القرآن الكريم. ولو أخذنا تعداد الكلمات القرآنية فهي تؤدي المعنى الدقيق بحسب موقعها من الآية من دون ترادف أو تكرار للمعنى، أو أن نجد فيه ما يعاب من الكلمات، بل كل الألفاظ والكلمات نُسجت بإحكام وفي منتهى البلاغة.

تميزت حروف القرآن الكريم بالجمال والدقة والإحكام، وتألقت كل كلمة مع أخواتها وجاراتها من صور بيانية لكل واحدة منفردة، وما اشتملت عليه مجتمعةً من معنى، يرى الجرجاني أن اللفظ والحروف ليس لهما أثر في كون الكلام بليغاً أو غير بليغ، إنما الأثر في مجموع ما يدل عليه النظم، وشكل النظم ليس هو المؤثر وحده، إنما تساوق المعاني وتلاقي الألفاظ وتأخيها في تكوين هذا المعنى المؤثر، يقول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَ لِكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفِي الْأَمْرِ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، «تجلى لك منها الإعجاز، وبهرتك الذي ترى وتسمع، إنك لم تجد ما وجدت من المزية والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلام ببعضه ببعض، وإنه لم يعرض لها الشرف إلا من حيث لاقت الأولى الثانية، والثالثة والرابعة وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل نتائج ما بينها، وحصل من مجموعها... وإن شككت فتأمل هل ترى لفظاً منها، بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه، وهي في مكانها من الآية، وقل ﴿ابْلَعِي﴾ واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك اعتبر سائر ما يليها... ومعلوم أن مبدأ العظمة في الآية: أن نوديت الأرض ثم أمرت، ثم كان النداء بيباً دون أي... ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال ابلي الماء... إلى آخر ما قال»^(٤).

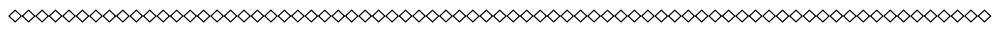
ويحصل الإعجاز في القرآن الكريم بتلاؤم الحروف والكلمات وعدم مجافاتها في مخارجها ولا يكون فيها تكرار، والحروف والكلمات القرآنية لها فصاحة في ذاتها، فجمال الكلمة من

(١) سورة الحديد الآية ١٣

(٢) سورة النساء الآية ٣٤

(٣) سورة هود الآية ٤٤

(٤) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ٢٢، تحقيق أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الخامسة



القرآن في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جبينه، وواسطة عقده، والمنادى بنفسه على تميزه وتخصصه، برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه^(١)، كما أن الإعجاز البلاغي للكلمة القرآنية يتجلى في مداها وغنتها، وفي أصواتها الموسيقية، وبنغماتها الحلوة.. فترتيل القرآن له ميزة في كل كلمة لا في مجموعها فقط.. ولا شك أن الكلمة وحدها من غير أن تكون في مجموعة ليس لها بلاغة، إذ لا بد أن تكون إلى جوار أخواتها في الكلام، فلا بد للكلمة من كلمات أخرى من أن تكون متلاقية في لحن القول والمراد منه وتحقيقه، فهي وحدها لا تؤدي منفردة ولكن بضمها إلى أخرى يكون المعنى أقوى.

وتبين الآية الكريمة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢)، أن كل لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته، ويساعد بعضه بعضاً في المعاني العامة للأسلوب والعبارات الجامعة، وإذا قرأنا ورددنا البصر كرتين، وجدنا كل كلمة في حيزها لا تفارقه، ولو فارقته لوجدناه فارغاً لا يملؤه غيرها، ولنبتدئ بالإشارة إلى ما في كل كلمة مما اختصت به.

الأولى: كلمة ﴿ءَامِنَةً﴾ فالأمن معناه عدم الخوف من مغير يغير عليهم، أو عدو يساورهم، ولعل ذلك إشارة إلى مكة، أو أن هذه القرية هي هي، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا ءَامِنًا وَيُنْخِطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾^(٣)، فتجد في هذه الكلمة إشارة إلى نعمة ليست لغيرهم، واختصوا بها دون الناس أجمعين.

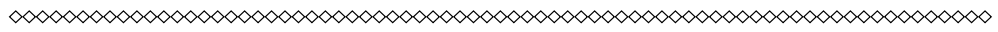
الثانية: كلمة ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ والاطمئنان يتصل بالنفس، فهي قد منحها الله تعالى القرار والسكون والدعة من غير ضعف، ومع هذه الدعة كان هو يقويها ويثبتها، مع ما أعطاهم الله من سلطان أدبي على العرب، وهم ملتقى اجتماعهم ومستقر شعائرهم الدينية ومقامهم الكريم الطيب، فكل هذا يشع من كلمة مطمئنة.

الثالثة: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ فإن هذا يشير إلى سهولة الحياة، وأنه لا يأتيهم كسائر العرب بانتجاع الكلا، والتنقل في الصحراء، لا ينالون الحياة إلا بشق الأنفس، وبذوقهم في طلبهم الرزق حر الحياة وقرها.

(١) المعجزة الكبرى ص: ١٠٥

(٢) سورة النحل الآية ١١٢

(٣) سورة العنكبوت الآية ٧٦



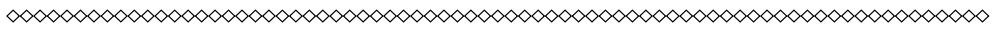
الرابعة: كلمة ﴿رَغَدًا﴾ فالرغد هو الرزق الطيب المذاق المريء غير الوبيء، وهو الواسع الكثير، فهُمْ في رزق يأتيهم سهلاً طيباً، واسعاً مريئاً لا وباء فيه. ولكنهم كفروا بهذه الأنعم كلها، فأى صورة بيانية أروع من هذه الصورة، وتجد الكلمات الأربع متأخية في معانيها، متلاقية في ألقانها، منسجمة في نغماتها، وكل كلمة منها تعطي صورةً بيانيةً، ف﴿أَمَنَةً﴾ فيها صورة البلد الذي لا يساوره عدو في وسط موطن فيه يتخطف الناس، و﴿مُطْمِئِنَةً﴾ يشير إلى الاطمئنان النفسي الساكن القار كالماء الساكن الذي لا تعبت به الرياح، ويأتيها رزقها طيباً من كل مكان، تشير إلى المكانة التجارية التي يأتيها الخير من كل بلدٍ قاصٍ ودانٍ، وأن لهم رحلة الشتاء والصيف.

إن مجموع الكلمات مع ما تشعه كل واحدة من معانٍ وصورٍ يصور حال جماعة من الناس على هذه الأمور المجتمعة غير المفترقة، وكلها فيوض من أنعم الله تعالى، ومع ذلك تكفر هذه النعم فلا تشكر بل تجحد الحق ولا تؤمن، وهنا تجيء الصورة الثانية من عقاب ومؤاخذة على ما ارتكبوا من كفر بأنعم الله، ونجد أن كلمة ﴿أَنعَم﴾ فيها فصاحة وصورة بيانية؛ إذ إنهم لم يكفروا بواحدة، بل كفروا بها كلها، فكان الجحود أشد والضلal أبعد، ولكلمة أنعم نعمة هادئة مع سعة المعنى في الكلمة؛ إذ إنها نعم متضافرة وفيوض خير من الله تعالى متكاثرة. هذه حال ما أفاض الله تعالى به عليهم، كانت فيها صور النعم واضحة كلاً وجزءاً في كل كلمة سيقت لذلك.

أشار أبو زهرة أنّ اللفظ المفرد له بلاغة خاصة في ضمن الأسلوب، وأن كل كلمة في جملة من الكلام تدل بمفردها على معانٍ تتساق مع المعنى الجملي للكلام، وأن كل كلمة تكون بمفردها صورةً بيانيةً تكون جزءاً من الصورة العامة للقول، وقال: إن ذلك ليس معناه أن الكلمة لو جردت من الكلام تعطي وحدها ذلك الإشراق، ولكن ينبثق نورها بالتضام مع غيرها من غير أن يفنى ضوءها في ضوءه، ولا تتمحي صورتها البيانية التي أشرقت بهذا التضام. قال: إن ذلك لم ينكره أحد حتى الجرجاني الذي تشدد في اعتبار الأسلوب وحده هو سر الإعجاز، من غير التفات إلى معاني المفردات. وإذا أردنا أن نحزر القول الذي رآه الأكثرون، وخالف فيه الجرجاني ومن لفّ لفته، نقول: إن كلمات القرآن لها في تناسق حروفها وتلاقي مخارجها إشراق بلاغي، ولكن لا ينكشف ذلك الإشراق إلا بالتضام، أي: إن الإشراق ذاتي، وهو الأصل، ولكن شرط ظهوره تضام الكلمة مع غيرها^(١).

من الإعجاز في أسلوب القرآن الكريم التألف في الألفاظ والمعاني، بالأ تكون بينها نفرة في المخارج، ولا نفرة في النغم، بل يتلاقى نغمها، وتسهل مخارجها، فلا تكون واحدة نابية عن

(١) المعجزة الكبرى القرآن، لمحمد أبو زهرة، ص: ٩٢، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م



أختها، بل تتألف وتتأخى في نسق واحد، وإن التأليف ليس فقط في نسق الألفاظ ونغمها، بل إنه يشتمل التأخى في المعاني كالتأخى في المباني، فلا يكون معنى لفظ نافرًا من المعنى الذي يجاوره، ويتألف من الألفاظ والمعاني وما توعره من أخيلة، وما تثيره من معانٍ متداعية يدعو بعضها بعضًا، ويتألف منها علم زاخر، كثير خصب، وقد عبّر عن هذا المعنى الوليد بن المغيرة بقوله: (إن أعلاه لمتنمر، وإن أسفله لمغدق). وقصة الأعرابي التي أسلفنا ذكرها، الذي سمع قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١) فأخطأ القارئ وقال: غفور رحيم، فقال الأعرابي: إنه يقطع الأيدي نكالًا فلا يتفق القول، فراجع القارئ نفسه وأدرك المعنى.

إن التأخى في المعاني والألفاظ ونسقتها ونغمها ومعانيها واضح في كل آيات القرآن، لا في آية دون أخرى، ولا في سورة دون سورة، فلا تجد في لفظ معنى يوجه الخاطر إلى ناحية، ويليه آخر يوجهه إلى ناحية أخرى، بل تجد النواحي متحدة إمامًا بالتقابل وإما بالتلاصق والمجاورة، وفي كلتا الحالتين تجد معنى كل لفظ يمهد لمعنى اللفظ الآخر، فلا تتافر في المعاني، كما أنه لا تتافر في الألفاظ، وهما في مجموعها يناسبان في النفس غذاء رطيبًا مريئًا، ونميرًا عذبًا سلسبيلًا.

٣- بعض الدلائل من القرآن الكريم على صدق نبوة محمد ﷺ

لما بلغ النبي محمد ﷺ الأربعين من عمره بعثه الله تعالى بالقرآن الكريم ولم يكن له أي دخل في تأليفه أو الإتيان بشيء من عنده، ولو كان يعرف الكتابة والقراءة لما اتخذ كتابًا للوحي منهمم الخلفاء الأربعة ومعاوية وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وخالد بن الوليد وثابت بن قيس، كان يأمرهم بكتابة كل ما ينزل من القرآن في المكان المناسب من الآية والسورة، ولو كان لمحمد ﷺ دخل في تأليف القرآن الكريم لما انتظر الوحي عند انقطاعه عليه، أو عند احتياجه إليه في الأوقات الحرجة عند تلقيه الأسئلة من قومه، أو أن يتصرف من تلقاء نفسه في تشريع القوانين، ولماذا انتظر مدة التنزيل حبس الوقائع والأحداث طيلة ثلاث وعشرين سنة.

٣-١- أول دلائل القرآن الكريم على صدق نبوة محمد ﷺ كونه أمي: مهما بلغ النبي محمد ﷺ من بلاغة في اللغة العربية وأوتي من جوامع الكلم، إلا أن أسلوبه لا يصل إلى درجة القرآن الكريم، فألفاظ النبوة يعمها قلب متصل بجلال خالقه ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي لكنها جاءت من سبيله، وإن لم تكن لها منه دليل فقد كانت من دليله، محكمة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفصول، حتى ليس فيها كلمة مفصولة،

(١) سورة المائدة الآية ٣٨

وكانها هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواتمه ﷺ^(١)، ومما يدل على صدق نبوة محمد ﷺ:

٢-٢- المفاصلة الواضحة بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب النبي محمد ﷺ، فالعارف بفنون كلام الله يمكنه تذوق الفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث النبوي الشريف من خلال الحاسة البيانية، فأسلوب التنزيل أعلى وأجل من أسلوب الأحاديث النبوية علواً خارقاً للعادة خارجاً عن محيط الطاقة البشرية وإن بلغ كلام الرسول ﷺ في جودته وروعته وجلالته ما جعله خيراً بيان لخير إنسان. ولقد كان العرب يعرفون نبي الإسلام ويعرفون مقدرته الكلامية من قبل أن يوحى إليه فلم يخطر ببال مُنصف منهم أن يقول إن هذا القرآن كلام محمد وذلك لما يرى من المفاصلات الواضحة بين لغة القرآن ولغة الرسول ﷺ. يضاف إلى هذا أنه لم يُعرف في نشأته بينهم بالخطابة ولا بالكتابة ولا بالشعر ولم يؤثر أنه شاركهم في معارضهم وأسواقهم العامة التي كانوا يقيمونها للتسابق في البيان، بل كان مقبلاً على شأنه زاهداً في الظهور ميالاً إلى العزلة، وكل ما اشتهر به قبل النبوة أنه كان صادقاً؛ لم يجربوا عليه كذباً، أميناً، ما خان أبداً، ميمون النقيبة عالي الأخلاق علواً ممتازاً، فهل يُعقل أن رجلاً سلخ عهد شبابه وكهولته على هذا النمط يجيء في سن الشيخوخة فينافس العالم كله ويتحداه بشيء من لدنه وهو الذي ما نافس أحداً قبل ذلك ولا تحداه، بل كان من خلقه الحياء والتواضع وعدم الاستطالة على خلق الله، ثم هل يتصور أن هذا الإنسان الكامل يتورع عن الكذب على الناس في صباه وشبابه وكهولته ثم يجيء في سن الشيخوخة فيكذب أفضح الكذب على الله؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(٢).

٣-٢- عجز النبي محمد وضعفه بين يدي الله: يصور القرآن الكريم حالة النبي محمد ﷺ، وضعفه بين يدي الله حيث يطلب من الله العون، ويستغديه ويستغفره، ويصدق بما يأمره به وأحياناً يتلقى العتاب الشديد، فهو بمثابة العبد المطيع، يتلقى الوحي ويتبعه، لا دخل له فيه ولا يصوغه، والذي يخاف عذاب ربه إن عصاه، فيلتزم حدوده ويرجو رحمته، ويعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله: ﴿وَإِذَا تَتَلَّي عَلَيْهِمْ أَيَّانَا بَيَّنَّتْ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتَ بِقِرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلُهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ

(١) إعجاز القرآن مصطفى الرافعي ص: ٣٧٤

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٣

(٣) مناهل العرفان، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ٢/٣٢٨، دار الفكر، ١٩٤٢هـ/١٩٤٢م

ويأتي عتاب يؤدب الله فيه نبيه محمداً ﷺ في قصة الأعمى عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه «عندما جاءه وهو يدعو أكابر رجال قريش يريد إسلامهم، وكأنه لم يرد في تلك اللحظة دخول عبد الله بن أم مكتوم، فتولى عنه وتلهى، قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ وَتُوَىٰ ۙ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَكِّيٰ ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۚ ۝٤ أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَىٰ ۙ فَآنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۚ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِيٰ ۚ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۙ ۝٨ وَهُوَ يُخْشَىٰ ۙ ۝٩ فَآنتَ عَنْهُ تُلَهَّىٰ ۙ ۝١٠ كَلَّا ۚ إِنَّمَا نَذْرٌ ۙ ۝١١﴾^(١). ولولم يكن يتلقى الخطاب من عند الله لما بقيت هذه الآية تتلى، بل كان النبي ﷺ يقول لابن أم مكتوم عند لقائه مرحباً بالذي عاتبني الله فيه.

من خلال هذه الآيات المتوعدة المنذرة، وتلك العاتبة المؤدبة، يبدو لنا رسول الله ﷺ مخلوقاً ضعيفاً لا حول له ولا قوة في تأليف القرآن الكريم، بل هو بشر يتلقى الأمر من الله تعالى، كما تبين الآيات حالته عند تلقيه الوحي من ربه أنه في كامل وعيه، كما تواترت الأحاديث عن نهيه في كتابة الأحاديث إلى جنب القرآن الكريم حتى لا تختلط بالكلام الرباني، فقال ﷺ: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

٣-٥- استقلالية الوحي عن ذاته ﷺ وعجزه عن الإتيان بالقرآن الكريم: إن النبي محمد ﷺ لما جاءه ملك الوحي رداً ثلاثاً قال: «ما أنا بقارئ»، ولم يكن ليملك القدرة على القراءة حتى قال له ملك الوحي في الثالثة ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^(٣) بأمر من الله تعالى، فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»^(٤).

عندما كان ينزل عليه الوحي «تتمحي إرادته الشخصية، ولا يبقى له عليه الصلاة والسلام اختيار فيما ينزل إليه أو ينقطع عنه، فقد يتتابع الوحي، ويحمي حتى يكثُر عليه، وقد يفتر عنه أحوج ما يكون إليه! فالوحي ينزل على قلبه عليه السلام في كل لحظة: إنه ليأوي إلى فراشه»^(٥).

(١) سورة عبس الآية ١-١١

(٢) علوم الحديث ومصطلحه» صبحي الصالح، ص ٨، دار الملايين، الطبعة ١٥، ٢٠١٢م

(٣) سورة العلق الآية ١

(٤) صحيح البخاري ١/٧

(٥) الإقنان ١/ ٢٨

وإنه ليكون وادعاً في بيته وقد بقي من الليل ثلثه، فتنزل عليه آية التوبة ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا﴾^(١). وقد ينزل عليه «في الليل الدامس والنهار، وفي البرد القارس أو لظى الهجير، وفي استجمام الحضر أو أثناء السفر، وفي هدأة السوق أو وطيس الحرب، وحتى في الإسراء إلى المسجد الأقصى، والعروج إلى السموات العلى»^(٢).

٢-٦- انقطاع الوحي عنه ﷺ: قد ينقطع عن النبي وهو أشد ما يكون إليه شوقاً، وله طلباً: فبعد أن نزل عليه جبريل بأوائل سورة العلق ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ «فتر الوحي، وبيننا هو ماش ذات يوم إذ سمع صوتاً من السماء فرفع بصره، فإذا الملك الذي جاءه بحراء، فرعب منه فرجع إلى زوجته الوفية خديجة يقول: «زملوني»، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٣)، ثم تتابع الوحي.

٣-٧- حادثة الإفك: حيث أبطأ الوحي شهراً كاملاً بعد «حديث الإفك»^(٤) الذي رمى به المنافقون بنت الصديق بالفاحشة، وأثاروا به حولها الفضيحة، حتى عصفت بقلب الرسول الربية.. فقال لزوجها أم المؤمنين: «يا عائشة، أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت أئمت بذنب فاستغفري الله»، فلو كان النبي محمد ﷺ له دخل في تأليف القرآن لما انتظر شهراً كاملاً، إذ وجد المنافقون الفرصة في النيل من شخصه ﷺ وكان فريسة للشك والقلق، حتى نزلت آيات النور تبرئ أم المؤمنين؟

٣-٨- تحويل القبلة: كان النبي يتحرق شوقاً إلى تحويل القبلة إلى الكعبة، وظل يقبل وجهه في السماء ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً^(٥)، لعل الوحي ينزل عليه بتحويل القبلة قبل البيت، ولكن رب القرآن لم ينزل في هذا التحويل قرآناً رغم تلهف رسوله الكريم إلا بعد قرابة عام ونصف العام، فلماذا انتظر محمد ﷺ هذه المدة ولم يعجل لتحقيق ما يريده؟

٣-٩- رجفة فؤاده عليه الصلاة والسلام عند نزول الوحي والتماسه الدثار من خديجة بقوله: «زملوني» ليستجم تحت الدثار ويستريح من أثر المشهد الغيبي المخيف، والقول الثقيل العنيف، ولذلك أمره الله بعد رجعة الوحي إثر انقطاعه بالوثوب والنهوض لحمل أعباء الدعوة إلى الله فقال ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ثم قال بعدها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ، قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(١) سورة التوبة الآية ١١٨

(٢) البرهان ١ / ١٩٨

(٣) سورة المدثر الآية ١-٢

(٤) صحيح البخاري ٦ / ١٠١.

(٥) البخاري ٦ / ٢١

١٠-٣- معرفته بأخبار الأنبياء قبله: ومن الأدلة القوية على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إخباره ﷺ بحقيقة الأنبياء ودعوتهم، كإخبار اليهود بدعوة موسى عليه السلام وإخبار النصراري بدعوة عيسى عليه السلام، فما كان لمحمد ﷺ معرفة قصص الأنبياء ولا تاريخهم، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تتحدث عن موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء.

١١-٢- عجز البشرية على الإتيان بمثل القرآن الكريم: يحرص القرآن الكريم ويعلن، ويتحدى الله بها الأولين والآخرين، ودعاهم للإتيان بمثله حين زعموا أن القرآن من كلامه ﷺ، فقال الله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(١). فلم يستطيعوا له سبيلاً بأن يأتوا بعشر سور مثله، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)، فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله كسورة الكوثر أو سورة الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣)، ثم انتهى الأمر بالتحدي في أعلى درجاته الذي يبين عجزهم المستمر في الزمان والمكان، الذي دانت له أفتدتهم وذلت له رقابهم، فقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٤)، فالتحدي جاء على التأييد. وقد شهد بالعجز كل من أراد أو حاول ارتداء لباس المقاومة، فانتهى به الأمر إلى التسليم بعظمة القرآن الكريم، وقد اعترف الداني والقاصي من الأعداء بالهزيمة أمام القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٥).

وتوالت الأزمان واستمر الطعن في نبوة محمد ﷺ، لكن بلاغة القرآن الكريم وتآلف ألفاظه وحروفه وقوة لغته جعلت المنصفين من أهل اللغة والبيان والعلم والفكر يشهدون لعظمة القرآن الكريم وأنه لا يمكن لبشر أي كان أن يأتي بشيء من عنده بماثل القرآن الكريم.

خاتمة: لو تتبعنا ما جادت به أقلام أهل اللغة في حق القرآن الكريم من حيث جمال فصاحته وبلاغة أسلوبه، نجد أنها تتفق على أنه بالرغم من كونه من جنس لغة ما يتكلم به الناس

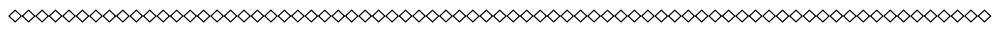
(١) سورة الطور الآية ٢٣-٢٤

(٢) سورة هود الآية ١٣

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤

(٥) سورة الإسراء الآية ٨٨



ومن نظم ما يأتون به من أشعار ونثر وحكم، لا يمكن لمحمد أن يأتي بمثل القرآن الكريم وعلى أنه نبي يوحى إليه. والقرآن الكريم يحمل الإعجاز في خطابه للعالمين، وأنه «المعجزة الباقية على وجه الدوام إلى يوم القيامة لبلوغه أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الإعجاز، فلا يتأتي لأحد أن يأتي بأقصر سورة منه لجزالة تركيبه، وفخامة ترتيبه الخارج عن طوق البشر... ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون يدل على صحة دعواه ﷺ، ولهذا قال: «وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»^(١)، ويقول عز من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢). فقليل من القرآن أو كثيره يدل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، له قوة بلاغية في المعاني والمباني في تضام كلماتها وعبارات نظمها، وهكذا جاء القرآن الكريم على صورة تتناغم فيه الحروف وتتناسب فيه الكلمات نسجت بمداد الوحي ﴿أَحْكَمَتْ أَيْنُتُهُ، ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(٣).

هذا غيظ من فيض، فكل كلمة في القرآن الكريم تحمل معها المعاني الكثيرة وموقعها من الآية، ومن التقديم والتأخير، ومن الصور البيانية من التشبيه والاستعارة والكناية... ومن المجاز وما يكون من صور بيانية والتصريف في القول والمعاني، والنظم وفواصل الكلم، والإيجاز المعجز والحكم والأمثال والإخبار عن الغيب وأخيراً جدل القرآن^(٤)، إلى غير ذلك من فنون اللغة العربية وعلومها الذي يدل على إعجاز القرآن الكريم بكامله، وكل ذلك يدل على صدق نبوة

محمد ﷺ.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، دار

الرسالة، ٢٠١٠م

٣- إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي، كلمة سعد باشا زغلول، دار التقوى، مصر،

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ﷺ، محمد بن يوسف الصالحى الشامى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد - وآخرون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

(٢) سورة النساء الآية ٢

(٣) سورة هود الآية ١

(٤) المعجزة الكبرى أبو زهرة، ص: ١٠١

٤- إنه القرآن سر نهضتنا، د، مجدي الهلالي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الطبعة الأولى،
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٦م

٥- أفلا يتدبرون القرآن؛ معالم منهجية في التدبر والتدبير، أ.د، طه جابر العلواني، دار
السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م

٦- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد عبد الحليم لابن تيمية
الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق د، ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد الرياض،

٧- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر، ١٤٠٧هـ
١٩٨٦م

٨- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، دار
الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م

٩- التحرير والتنوير، للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس ١٩٩٧م
١٠- تفسير القرآن العظيم، للشيخ أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار

الرشاد الحديثة، البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م،
١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر

السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) منتدى الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م
١٢- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة

الخانجي القاهرة، الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م
١٣- الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، الطبعة السابعة عشر،

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
١٤- رؤية في عوامل النهوض، عمر عبيد حسنه، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان،

الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٦م
١٥- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وسلم، محمد بن يوسف

الصالح الشامي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد - وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

١٦- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الجميد،
دار الفكر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- ١٧- الشاكلة الثقافية، مساهمة في إعادة البناء، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
- ١٧٨- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م
- ١٩- علوم الحديث ومصطلحه» صبحي الصالح، دار الملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠١٢م
- ٢٠- فقه التدين فهما وتنزيلا، للدكتور عبد المجيد النجار، الزيتونة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م،
- ٢١- كيف نتعامل مع القرآن الكريم، في دراسة مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي،، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
- ٢٢- مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٦٥م
- ٢٣- المعجزة الكبرى القرآن، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م
- ٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
- ٢٥- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، لعبد العزيز بن حمد آل معمر، تحقيق محمد بن عبد الله بن حمد بن السكاكر، الأمانة العامة، المملكة السعودية، ١٤١٤هـ-١٩٩٩م
- ٢٦- مناهل العرفان، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م
- ٢٧- الوحي المحمدي، للسيد محمد رشيد رضا، مؤسسة العز الدين، ١٤٠٦هـ.

د. عبد القادر محمد أحمد
جامعة الخرطوم - السودان

دلالة إعجاز القرآن الكريم على صدق نبوة محمد ﷺ

ملخص

اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون معجزات الرسل السابقين حسيّة من جنس ما اشتهر به أقوامهم. فلما كان العرب قد بلغوا شأنًا عظيمًا في الفصاحة والبيان، كانت معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - الذي بُعث من بين ظهرانيهم معجزةً عقلية، هي القرآن الكريم. تحدّى القرآن العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة واحدة، ولكنهم لم يستطيعوا. لقد سحرهم القرآن منذ اللحظة الأولى بنظمه وورصانته، سواء منهم من شرح الله صدره للإسلام كعمر بن الخطاب رضى الله عنه، أو من جعل على قلبه غشاوة كالوليد بن المغيرة. وقد اعترف الوليد بجمال وروعة القرآن في قوله: «إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأنه ليحطّم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه. فكان القرآن الكريم بذلك هو أول دلائل النبوة وأعظمها أثرًا، وأكثرها برهاناً على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

Abstract

God's Wisdom necessitates that the Miracles of His previous Messengers were physical, from the same kind that their people were famous for. As for the Arabs, since they attained high rank in the Arabic rhetoric, the Miracle of the Prophet Mohamed peace be upon Him - who was one of them - was an intellectual one. The Quran challenged the Arabs to create similar to it, or to produce 10 Surahs, or, even one Surah. However, they were unable. The Quran astonished the Arabs from the very begging by its eloquence and sobriety. Either those who impressed Islam, such as Omar Ibn al-Khattab, or the disbelievers, such as A-Waleed Ibn al-Mugheerah. Al-Waleed confessed that the Quran has sweetness, and is charming. It supercedes upon all statements. It exalts, and is never low-graded. Therefore, the Quran was the first sign of the Prophecy, and the most great impact for the truthness of the Mission of Mohamed-peace be upon Him.

مقدمة

احتوت هذه الدراسة على ثلاثة مباحث : المبحث الأول يوضح المعنى اللغوي والإصطلاحى لكلمتي «قرآن» و «إعجاز». وكيف أن المولى عز وجل اختار أن تكون معجزة محمد ﷺ عقلية، وهى القرآن الكريم، لتناسب ما نبغ فيه قومه من قوة البيان. المبحث الثاني يسلط الضوء على تحدى القرآن للعرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة واحدة منه فقط. ولكنهم وقفوا عاجزين أمام بلاغة القرآن وسحره. المبحث الثالث يتحدث عن أثر الاستماع للقرآن في نفوس سامعيه. فقد كان هذا الاستماع سبباً في إيمان بعضهم، وحتى الذين لم يؤمنوا، اعترفوا بصدق القرآن، ولكن صدهم عنادهم واستكبارهم عن الدخول في دين الله. وبذا يكون القرآن أعظم آية على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحى لكلمتي «قرآن» و «إعجاز»

المعنى اللغوي للفظ «قرآن»:

يورد ابن منظور في مادة «قرأ»: القرآن: التنزيل العزيز، وإنما قدّم على ما هو أبسط منه لشرفه.

قَرَأَهُ يَقْرُؤُهُ وَيَقْرُؤُهُ، الأَخيرة عن الزَجَّاج، قَرَأَ أَوْ قَرَأَهُ أَوْ قَرَأْنَا، الأولى عن اللحياني، فهو مقروء.

أبو اسحاق النحوى: يُسَمَّى كلام الله تعالى الذى أنزله على نبيّه محمد ﷺ كِتَاباً وَقَرَأْنَا وَقُرْأْنَا. ومعنى القرآن معنى الجمع. وسُمِّي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْأَنَهُ﴾ سورة القيامة، آية ١٧، أى جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَانْبَعِثْهُ﴾، سورة القيامة، آية ١٨، أى اتبع قراءته، قال ابن عباس رضى الله عنهما: فإذا بيّناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيّناه لك.

وقرأتُ الشئ قرآناً: جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: «ما قرأت هذه الناقة سلّى قطُّ و» ما قرأت جنيناً قطُّ»، أى لم يَضَطِّمَ رحمها على ولد^(٢). وأنشد بيت عمرو بن كلثوم:

ذِرَاعَى عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَكْرٍ هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِيناً^(٣)

(١) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، حققه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م، الجزء الأول، ص ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٣) عمرو بن كلثوم بن مالك، ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ٥٤.



وقال: قال أكثر الناس: معناه لم تجمع جنينا، أى لم يضطّم رحمها على الجنين. قال: وفيه قولٌ آخر: «لم تقرأ جنيناً» أى لم تُلَقِّه^(١). ومعنى «قرأت القرآن»: لفظتُ به مجموعاً أى ألقيته. وروي عن الشافعي -رضى الله عنه- أنه قرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين. وكان يقول: القرآن اسمٌ، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم كتاب الله مثل التوراة والإنجيل، ويهمز «قرأت» ولا يهمز «القرآن»، كما تقول: اذا قرأت القرآن^(٢).

معنى القرآن اصطلاحاً:

المراد بلفظ القرآن اصطلاحاً هو علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد^(٣).

المعنى اللغوي للفظ «إعجاز»:

يقول ابن منظور: العَجَزُ: نقيض الحزم. والعجز: الضعف، يقول: عَجَزَ (وعَجَزَ) عن الأمر يَعَجِزُ عَجْزاً.

وأعجزه الشيءُ: عَجَزَ عنه.

والتعجيز: التثبيط

وعَجَزَ الرجلُ وعَاجَزَ: ذهب فلم يُوصَلْ إليه^(٤). وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٍ﴾ سورة سبأ، آية ٥. قال الزجاج: معناه ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يُبعثون، وأنه لا جنّة ولا نار. وقيل في التفسير^(٥): معاجزين: أى سعوا في الصّدّ عن سبيل الله وتكذيب رسله^(٦).

وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ سورة العنكبوت، آية ٢٢. قال القراء: يقول القائل: كيف وصفهم بأنه لا يعجزون في الأرض ولا في السماء، وليسوا في أهل السماء؟ فالمعنى: ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا من في السماء بمعجز. ويضيف ابن منظور: معنى الإعجاز: الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان: أى فاتني. ومنه قول الأعشى:

(١) ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، ص ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(٣) د. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، ص ٩٦٣.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، ص ٣٦٩.

فذاك ولم يعجز من الموت ربّه ولكن أتاه الموت لا يتأبّق^(١).

والإيقاق: هرب العبد من سيده، كما جاء في قصة سيدنا يونس عليه السلام: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ سورة الصافات، آية ١٤٠.

يورد مناع القطان في كتابه «مباحث في علوم القرآن» الإعجاز: إثبات العجز. والعجز في التعارف: اسم للقصور عند فعل الشئ، وهو ضد القدرة، فإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز^(٢).

معنى «إعجاز القرآن» اصطلاحاً:

المراد بإعجاز القرآن: اصطلاحاً إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة - وهى القرآن الكريم - وعجز الأجيال بعدهم^(٣).

ويعرّف الزرقاني «إعجاز القرآن» في الاصطلاح بقوله: هو مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به^(٤).

وتعريف «المعجزة» اصطلاحاً: هى أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدى، سالمٌ عن المعارضة^(٥).

معجزات الأنبياء السابقين:

كان تأييد المولى جلّ وعلا لأنبيائه السابقين بآيات كونية تبهر الأبصار، ولا سبيل للعقل في معارضتها. فكانت معجزة سيدنا صالح عليه السلام هى الناقة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ سورة الأعراف، آية ٧٣. وكانت معجزة إبراهيم عليه السلام أن أنجاه الله من النار التى ألقاه فيها قومه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قلنا ينارُكوفي برداً وسلاماً على إبراهيم سورة الأنبياء، الآيات ٦٨-٦٩. أما سيدنا موسى عليه سلام فكانت معجزته العصا واليد، كما

(١) الأعرشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعرشى، دار صادر، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٢) د. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

(٤) الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، طبعة جديدة منضدة منقحة بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (د.ت) ن ص ٢٢٨.

(٥) د. القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥٠.

في قوله تعالى: ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ وَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِ ﴿٣٤﴾﴾،
سورة الشعراء الآيات ٣٢ - ٣٣. ومعجزة إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى لسيدنا عيسى
عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ
رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ مَا تَحْسِبُونَ فَآتَيْنَاهُمْ فِي ذَٰلِكُمْ مَا كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ
وَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ الْأَكْمَهَةِ وَأَبْرَئِيلَ إِلَىٰ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ سورة آل عمران، الآية ٤٩.

كانت معجزة محمد ﷺ في عصرٍ مشرفٍ على العلم معجزةً عقليةً تحتاج العقل البشري
وتتحداه إلى الأبد، وهي معجزة القرآن بعلومه ومعارفه، وأخباره الماضية والمستقبلية. فالعقل
الإنساني على تقدمه لا يعجز عن معارضته، لأنه آية كونية لا قبل له بها. ولكن عجزه لقصوره
الذاتي، فيكون هذا اعترافٌ منه بأنه وحى الله إلى رسوله، وأن حاجته إلى الاهتداء به ماسة
ليستقيم عوجه، وترقى مواهبه^(١). وهذا المعنى هو ما يشير إليه رسول الله ﷺ بقوله: «ما من
الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى، فأرجو
أن أكون أكثرهم تابعاً»^(٢). وهكذا كتب الله تعالى لمعجزة الإسلام الخلود، فضعفت القدرة الإنسانية
مع تراخي الزمن وتقدم العلم عن معارضتها.

والحديث عن إعجاز القرآن ضربٌ من الإعجاز، لا يصل الباحث فيه إلى سرِّ جانب منه حتى
يجد وراءه جوانب أخرى يكشف عن سرِّ إعجازها الزمن. فهو كما يقول الرافعي: «ما أشبه القرآن
الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء
من كل جهة وتعاوروه من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثاً وتفتيشاً، ثم هو بعد لا يزال عندهم خلقاً
جديداً، ومراماً بعيداً»^(٣).

المبحث الثاني: تحدى القرآن للعرب:

نزل القرآن الكريم وكان العرب حينها في قمة الفصاحة والبيان، ومع ذلك لم يستطيعوا
أن يجاروه أو يحاكوه. يقول الجاحظ في ذلك: «بعث الله محمداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً

(١) الجرجاني، أوبكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، دلائل الأعجاز، قرأه وعلق عليه أبوفهر، محمود محمد
شاكر، الناشر: مطبعة المدني - المؤسسة السعودية بمصر، ودار المدنى بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص ٥٨٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى،
١٤٠٠هـ. حديث رقم ٤٩٨١.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي
الحلي وشركاؤه، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، حديث رقم ٣٠٧٧، ص ١٥٢.

(٣) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٤٢٢-٢٠١١م.

وخطيباً؛ وأحكم ما كانت لغةً، وأشد ما كانت عدّة. فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة. فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعونهم من الإقرار والحمية، دون الجهل والحيرة، حملهم على حظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب، ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو بآيات يسيرة»^(١).

لقد ثبت أن النبي ﷺ تحدى العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

أولاً: تحدّاهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحدياً يظهر على طاقتهم مجتمعين بقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ سورة الإسراء، آية ٨٨.

ثانياً: ثم نزل بالتحدي أن يأتوا بعشر سور مثله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴿١٣﴾ فَإِلَآءُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ سورة هود، الآيتان ١٣ - ١٤.

ثالثاً: وأخيراً نزل بالتحدي إلى أن يأتوا بسورة واحدة منه فقط، كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيْنَ ﴾ سورة يونس، الآيتان ٣٨ - ٣٩.

وكرر ذات التحدي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ ﴾ سورة البقرة، الآيتان ٢٣-٢٤.

هذا والعرب هم الفصحاء اللد، قد كانوا أحرص شئ على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة، ولم يُنقل عن أحد منهم أنه حدت نفسه بشئ ومن ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر، وتارة

(١) الرافعي، إجاز القرآن والبلاغة النبوية،

قالوا: شعر، وتارة قالوا: أساطير الأولين. وكل ذلك من التحير والانقطاع^(١).

ويؤكد العلماء والباحثون على رصانة وسمو لغة القرآن، في ذات الوقت يقرون بطول باع العرب في الفصاحة والبيان. ورغم ذلك لم يستطيعوا مجازاة القرآن. يورد مناع القطان في ذلك قائلاً: «لقد مارس أهل العربية فنونها منذ نشأت لغتهم حتى شبت وترعرت، وأصبحت في عنفوان شبابها عملاقاً معطاءً، واستظهروا شعرها ونثرها، وحكمها وأمثالها، وطاوعهم البيان في أساليب ساحرة، حقيقةً ومجازاً، إيجازاً وإطناباً، حديثاً ومقالاً، وكلما ارتفعت اللغة وتسامت، وقفت على أعتاب لغة القرآن في إعجازه اللغوي كسيرة صاغرة، تتحنى أمام أسلوبه إجلالاً وخشية، وما عهد تاريخ العربية حقبة من أحقاب التاريخ، ازدهرت فيها اللغة إلا وتطامن أعلامها وأساذتها أمام البيان القرآني اعترافاً بسموه، وإدراكاً لأسراره. (ولا عجب فتلك سنة الله في آياته التي يصنعها بيديه، لا يزيدك العلم بها والوقوف على أسرارها إلا إذعانا لعظمتها، وثقة بالعجز عنها، ولا كذلك صناعات الخلق، فإن فضل العلم بها يمكنك منها ويفتح لك الطريق إلى الزيادة عليها، ومن هنا كان سحرة فرعون هم أول المؤمنين برب موسى وهارون)^(٢).

المبحث الثالث: أثر الاستماع للقرآن:

نقل الزركشي عن الخطابي قوله: «وقلت في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ في آحادهم، وهو صنيعة في القلوب، وتأثيره في النفوس: فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال أخرى ما يخلص منه إليه»^(٣).

ويستشهدون بقوة تأثير القرآن بجملة من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الحشر، آية ٢١.

يقول القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً»: حث على تأمل مواضع القرآن، وبيّن أنه لا عذر في ترك التدبر؛ فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها، لانقادت لمواضعه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة

(١) السيوطي، أبو الفضل، جلال الدين الأسيوطي، الإتيان في علوم القرآن، حققه عصام فارس الخريستاني، خرّج أحاديثه محمد أبو صعيبيك، دار الجيل، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، المجلد الثاني، ص ٢٢٥.

(٢) د. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥٧.

(٣) الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، خرّج حديثه، وقدم له، وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١١٣.

متصدعة، أى متشققة من خشية الله. والخاشع: الذليل. والمتصدع المُتَشَقِّقُ. وقيل: «خاشعا» لله بما كلفه من طاعته. «متصدعا» من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه. وقيل: هو على وجه المثل للكفار^(١).

ومنها أيضاً قوله أيضاً قوله جلّ وعلا: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنْبًا مَّتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَشِعُرٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ مِنْ هَادٍ﴾ سورة الزمر - آية ٢٣. في قوله تعالى: ﴿نَقَشِعُرٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يورد ابن كثير في تفسيرها: أى هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد. تنقشع منه جلودهم من الخشية والخوف، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه^(٢).

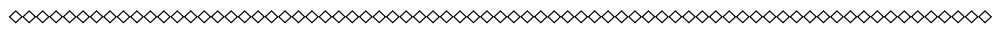
ومنها كذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ آية ٦. فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة. ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرْحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، سورة العنكبوت، آية ٥٠ - ٥١، فأخبر أن الكتاب آية من آياته، كافٍ في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الأنبياء^(٣).

وممن كان للقرآن الكريم أثر بليغ في نفسه عتبة بن ربيعة - أحد كبار مشركى قريش -، يورد الجرجاني في ذلك رواية محمد بن كعب القرظي الذي يقول: حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً حليماً - قال يوماً: ألا أقوم إلى محمد فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها بعضها، فنعطيه أيها شاء؟ - وذلك حين أسلم حمزة رضى الله عنه، ورأوا اصحاب النبي ﷺ يكثرُونَ - قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقام إليه، وهو صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده، فقال: يا ابن أخي! إنك منّا حيث علمت من السطة (الشرف والرفعة) في العشيرة، والمكان في النسب،

(١) القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، «الجامع لأحكام القرآن» - تحقيق سالم مصطفى البدرى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ج ١٨، ص ٣٠.

(٢) ابن كثير، الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، خرّج أحاديثه الأساتذة: محمود بن الجميل، وليد بن محمد بن سلامة، خالد بن محمد ابن عثمان، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الجزء السابع، ص ٦١.

(٣) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص ٣٢٥.



وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، ففرقت بين جماعتهم، وسفّهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنتظر فيها، لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل. فقال: إن كنت تريد المال بما جئت به من هذا القول، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي بك رثياً (تابعاً من الجن) لا تستطيع رده، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو لعل هذا شعراً جاش به صدرك، فأنتم لعمري بنى عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا تقدر عليه. حتى إذا فرغ عتبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوقد فرغت؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني^(١). قال: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿حَمْرٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ سورة فصلت، الآيات ١- ٤، حتى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝﴾ سورة فصلت آية ١٣.

ثم واصل النبي عليه السلام في قراءة فصلت، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت ما سمعت فأنت وذاك!

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس قالوا له: ما وراءك؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط، وما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة. يا معشر قريش: أطيعوني، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكون في لقله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهره على العرب به، فملكه ملككم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك بلسانه! قال عتبة: هذا رأي، فاصنعوا ما بدا لكم^(٢).

ومن الذين استمعوا للقرآن فأأنصفوا فيه القول - رغم كفرهم - الوليد بن المغيرة. فيروى ابن عباس قائلًا: إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقراً عليه صلى الله عليه وسلم القرآن، فكأنه (أى الوليد) رقق له. فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً فيعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من

(١) الجرجاني، دلائل الأعجاز، ص ٥٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨٤.

أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وأنه ليحطم ما تحته، قال أبو جهل: والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعنى حتى أفكر. فلما فكر الوليد قال: هذا سحرٌ يؤثر؛ يآثره عن غيره^(١). فنزل الوحي حينئذٍ بأيات سورة المدثر حيث يقول جلّ وعلا واصفاً موقف الوليد: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۙ (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۙ (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا ۙ (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۙ (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۙ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۙ (١٦) سَازِجَهُهُ صَعْدُونَ ۙ (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۙ (١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۙ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۙ (٢٠) ثُمَّ نَبَّأُ ۙ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۙ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۙ (٢٣) فَقالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۙ (٢٤)

أيضاً من الذين أثر سماع القرآن في نفوسهم، بل كان سماعه سبباً مباشراً في إسلامهم عمر ابن الخطاب رضی اللہ عنہ - لما سمع سورة طه من أخته وزوجها. وفي أثر آخر أن جبير بن مطعم أسلم لما سمع قراءة النبي ﷺ لسورة الطور، حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعُ ۙ﴾، سورة الطور، آية ٧، قال: خشيت أن يدركني العذاب. وفي لفظ «كاد قلبي يطير فأسلم»^(٢).

كذلك من الذين كان سماع آيات الله سبباً في إسلامهم أبوذر الغفاري رضی اللہ عنہ. فقد جاء في حديث أبي ذر عن سبب إسلامه: روى أنه قال: قال لي أخي أنيس: إن لي حاجة إلى مكة، فانطلق فرات (أى أبطأ). فقلت: ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً يقول: إن الله تعالى أرسله. فقلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، ساحر، كاهن. قال أبوذر: وكان أنيس أحد الشعراء، قال: والله لقد وضعت قوله على أقراء الشعر (يعنى طرائقه) فلم يلتئم على لسان أحد، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، والله إنه لصادقٌ وأنهم لكاذبون»^(٣).

لقد كان مشركو مكة بفطرتهم وبذوقهم الأدبي يعلمون سمو نظم القرآن وعلو لغته، ولكنهم استكباراً وتعالياً رفضوا الايمان به، يقول محمد أبو زهرة في كتابه «المعجزة الكبرى.. القرآن»: «أنهم كانوا مع شركهم، واستكراه نفوسهم لعدم الاقرار به ينجذبون إليه، ويريدون أن يسمعوه،

(١) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والنشر، مكة المكرمة (د.ت)، المجلد الرابع والعشرون، ص ٢٣-٢٦.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١١٤.

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٨٤.

استطاباً لما فيه من لفظ ذي نغم يجذب، وعبارات مشرقة، ونظم منفرد أجمل من سمط اللأئي، ولأنهم عرفوا ميلهم إلى استماعه، وأثره في نفوسهم، تواصلوا ألا يسمعه، وأن يلغوا عند سماعه، ولكن الذين تواصلوا ذلك التواصل ذهب كل واحد منهم منفرداً، ولكن الاستخفاء استعلن عندما التقوا جميعاً، ورأوا أنفسهم مجتمعين وليس كل واحد منهم منفرداً. وقد علموا أن التواصل على عدم الاستماع لا جدوى فيه، فتواصلوا على الجحود والإنكار، فلم يكن تواصلهم على الحق، ولكن كان على الباطل»^(١).

وعن تأثير سماع القرآن في النفوس، يروى أن يهودياً تكلم في مجلس الخليفة المتوكل فأحسن الكلام، وناظر فعلم أنه من جملة الأعلام، وناضل فتحققوا أنه مُسَدَّد السهام. فدعاه المتوكل إلى الإسلام فأبى، بعد أن بذل له ضرباً من الإنعام وصنوفاً من الرفعة والإكرام، فلم يزد ذلك إلا طغياناً وكفراً. فغاب اليهودى مدة ثم عاد وهو يعلن إسلامه. فقال له المتوكل: أسلمت؟ قال: نعم. قال: ما سبب إسلامك؟ قال: «نظرتُ في الأديان، فأخذت التوراة فنظرت فيها، وتدبرت معانيها، وكتبتها بخطي، وزدت فيها ونقصت، ودخلت السوق وبعيتها، فلم ينكر أحد من اليهود منها شيئاً. وأخذت الإنجيل، وزدت فيه ونقصت، ودخلت به السوق وبعته، فلم ينكر أحد من النصارى منها شيئاً»^(٢).

وأخذت القرآن وقرأته وتأملته، فإذا فيه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، سورة الحجر، آية ٩. كتبت وزدت فيه ونقصت، ودخلت به السوق فبعته. فنظر فيه المسلمون، فعرفوا المواضع التي زدت فيها ونقصت، وردوا كل كلمة إلى موضعها، وكل حرف إلى مكانه، فعلمت أنه الحق، لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فأمنت به وصدقت ما جاء به»^(٣).

خاتمة

لقد اختار المولى عز وجل اللغة العربية لنزول كتابه الكريم. فأظهرت هذه اللغة بثرائها وفخامتها بلاغة القرآن وسموه ورفعته. وعجز العرب أهل الفصاحة والبيان عن مجازاة القرآن بل حتى عن محاكاته. فكان هذا الإعجاز دليلاً على أنه من لدن حكيم خبير، وأن المبعوث به هو الصادق الأمين.

(١) ابوزهرة، محمد، المعجزة الكبرى .. القرآن، ملتزم الطبع، دار الفكر العربي، القاهرة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، طبعة ١٤١٨-١٩٩٨م، ص ٢٦.

(٢) د. ياهاذق، عمر محمد عمر، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، دار المأمون للتراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ - ١٩٩٤م، ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨.



ولتأكيد دلالة إعجاز القرآن الكريم على صدق نبوة محمد ﷺ، يورد الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان» قائلاً: «ومتى سلم الدليل على أن القرآن كلام الله وحده، سلمت نبوة نبي الإسلام، وسلم كل ما جاء به القرآن، وسلم الإسلام كله، بل سلمت الأديان الصحيحة والكتب الألهية كلها، لأنه لم يبق على وجه الأرض شاهدٌ مقبول الشهادة إلا هذا الكتاب الذي أنزله الله مقررًا لنبوة الأنبياء السابقين ومصححاً لأغلاط اللاغطين فيها والمحرفين لها. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ..﴾، سورة المائدة، آية ٤٨.

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أهدى وأقوم قِيلاً
لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفيئ القنديلاً^(١).

وللتأكيد على بقاء القرآن شامخاً وعظيماً منذ نزوله وحتى اليوم، نختم هذا البحث بكلمات الزرقاني الجامعة، حيث يقول في ذلك: «وها قد مرت على اللغة العربية من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوارٌ مختلفة بين علوٍ ونزول، واتساع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبدوابة. والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه، يطلُّ على الجميع من سمائه، وهو يشع نوراً وهداية، ويفيض عذوبة وجلالة، ويسيل رقةً وجزالةً، ويرفّ جدّةً وطلاوةً، ولا يزال كما كان غضّاً طرياً يحمل راية الإعجاز ويتحدى أمم العالم في يقين وثقة»^(٢).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

د.باحاذق، عمر محمد عمر، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، دار المأمون للتراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

الباقلاني، أبوبكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، إعجاز القرآن، بهامش الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، ١٩٧٣م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة

(١) الزرقاني، مناهل العرفان، ج.١، ص ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

الجرجاني، أبوبكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز، الناشر: مطبعة المدنى، المؤسسة السعودية بمصر، دار المدنى بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

د. الذهبى، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

الرافعى، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠١١م.

الزرقانى، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان فى علوم القرآن، طبعة جديدة منقحة بإشراف مكتب البحوث فى دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان (د.ت).

الزركشى، بدرالدين، محمد بن عبد الله، البرهان فى علوم القرآن، خرّج أحاديثه، وقدم له، وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

السيوطى، أبو الفضل، جلال الدين عبد الرحمن الأسيوطى، الإتيقان فى علوم القرآن، حققه عصام فارس الحرستانى، خرّج أحاديثه محمد أبوصعيليك، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

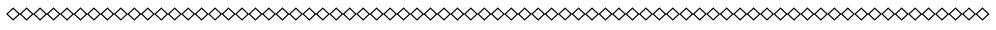
الطبرى، أبوجعفر، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (د.ت).

عمرو، بن كلثوم بن مالك، ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

القرطبى، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى البدرى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.

د. القطان، مناع بن خليل، مباحث فى علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى، تفسير القرآن العظيم، خرّج أحاديثه الأساتذة: محمود بن الجميل، وليد بن محمد سلام، خالد بن محمد بن عثمان، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.



نسخة أخرى، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ-
٢٠٠٧م.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد
عبدالباقى. الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة
الأولى، ١٣٤٧هـ.

ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، حققه عامر أحمد
حيدر، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.

أ. عبد الإله الغريبي
طالب باحث في سلك الدكتوراه

علامات نبوة محمد ﷺ من خلال كتب التفسير - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي أنموذجا -

ملخص البحث:

إن من أجل النعم التي حباها الله بها سبحانه عز وجل، أن تعبدنا بشريعة غراء كاملة متكاملة، وخصّ بتبليغها أحب الخلق إليه وخاتم أنبيائه محمد بن عبد الله النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وكان مؤيدا في ذلك بنصر الله، وتأييده له بمعجزات ودلائل وبراهين دلت ولا تزال بشكل صريح على صدق رسالة ربه وشريعته.

وهذا البحث الذي وسمته ب: علامات نبوة محمد ﷺ من خلال كتب التفسير:

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي أنموذجا - الهدف منه: عرض الآيات والدلائل الباهرة التي دلت على صدق نبوته ﷺ، وذلك من خلال ربطها بتفسيرها، خاصة تفسير القرطبي الموسوم بـ «الجامع لأحكام القرآن»، في محاولة لإبراز هذا الجانب، وإضفاء فائدة للبحث للعلمي.

One of the best blessings Allah Almighty has granted us is this distinguished and perfect religion (Charia). He assigned his beloved and last of the Prophets Muhammad son of Abdullah, the noble Prophet peace be upon him, to convey its message and supported him with miracles and evidence that clearly demonstrated, and still do, the validity of the message of his Lord and his law

This research paper, which I titled «The Signs Of The Profecy Of Muhammad Peace Be Upon Him Through Tafsir Books: Al-Qurtubi as a sample» aims at presenting the verses and evidence that proved His prophecy peace be upon him, and link them to their interpretation especially Al-Qurtubi's tafsir book named : «The Whole rules of the Quran» to highlight this side for this research to be beneficial.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

إن من نعم الله علينا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أن تعبدنا بكتاب محكم الآيات معجز اللفظ والكلمات، وهو معجزة النبي الخالدة، الذي من تمسك به نجى، ومن اعتصم به هُدي، إنه القرآن الكريم الذي أنزل بلغة العرب ليعجزهم بما حواه وبما جاء به، وهو الدليل الساطع والحجة البارزة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، به تحداهم وأبهرهم، وبسببه وبسبب إعجازه دخل في الإسلام خلق كثير، حيث حوى أوامر ونواه، وأخبارا للأمم السابقة، وأمورا غيبية لا يعلمها إلا الله سبحانه، وأحداثا واقعة ومتوقعة، كل هذا ليعلم أنه تنزيل من حكيم حميد ذي القوة والعرش المجيد، ولفهم هذا الكتاب العزيز وتدبر معانيه وسبر أغواره كان لزاما علينا تعرف تفسيره وتدارسه ليتأتى لنا بلوغ القصد والسبيل.

وهذه الورقات ما هي إلا بادرة للنبي في كتب التفاسير والبحث فيها عن تجليات علامات نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، خاصة تفسير القرطبي رحمه الله المسمى بالجامع لأحكام القرآن، وذلك قصد إبراز قيمة هذه التفسيرات من جهة، ومن جهة أخرى تتبع بعض الآيات التي دلت بشكل صريح أو ضمني على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وسيتم الحديث عن هذا لموضوع في مدخل عام ومحورين وخاتمة، سيخصص المدخل للتعريف بالإمام القرطبي رحمه الله وبكتابه الجامع لأحكام القرآن، في حين سيخصص المحور الأول لعرض الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقول القرطبي رحمه الله فيها مع تعريزها بأقوال مفسرين آخرين أمثال الطبري رحمه الله، أما المحور الثاني فسيخصص لتدوين أهم الوقفات والخلاصات من هذه الآيات، وذلك لبيان عظمة هذا النبي الأمين.

إذن كيف فسر القرطبي رحمه الله وغيره من المفسرين الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وما هي الدلالات المستنبطة منها؟ وكيف تسهم هذه التفاسير في فهم الآيات وبيان مكانة وعظمة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم؟

مدخل عام؛

التعريف بالإمام القرطبي وكتابه الجامع.

أثرت أن أجعل المدخل العام لهذا البحث مفردا للتعريف بالإمام القرطبي رحمه الله وكتابه الجامع لأحكام القرآن، وقد قسمته إلى فرعين وهما كالتالي:

الفرع الأول: التعريف بالإمام القرطبي.

اسمه ونشأته:

هو «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح بإسكان الرءاء والحاء المهملة الشيخ الإمام أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف»^(١).

قال عنه صاحب الشجرة: «العالم الإمام الجليل الفاضل الفقيه المفسر المحصل المحدث المتفنن الكامل كان من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين»^(٢).

وقد نقل التلمساني (ت: ٥١٠٤١) في نفع الطيب قول الذهبي (ت: ٥٧٤٨) عنه: «رحل وكتب وسمع، وكان يقظاً فهماً حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظاً»^(٣)، كما وصفه بأنه «إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله»^(٤). وإذا ما طالعنا كتب التراجم التي عنت به رحمه الله وترجمت له، نجد ما يدل على تواضعه وسمته، حيث كان «قد أطرح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقيه»^(٥).

أ - شيوخه وتلامذته:

وفق سبحانه عز وجل الإمام القرطبي للأخذ عن مجموعة من المشايخ والتلمذ على أيديهم، مما كان سبباً في أن يُذاع صيته في الآفاق، حيث قال صاحب طبقات المفسرين: «سمع من ابن رواج، ومن الجميزي وعدة»^(٦).

كما سمع من «الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت: ٥٦٥٦) صاحب المفهم في شرح مسلم بعض هذا الشرح، وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي (ت: ٦٥١هـ)، وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري (ت: ٦٥٦) وغيرهما»^(٧).

أما تلامذته ومن روى عنه، نذكر هاهنا «ولده شهاب الدين أحمد» وغيره^(٨).

(١) الديباج المذهب، ج ٢/ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) شجرة النور، ج ١/ص ٢٨٢.

(٣) نفع الطيب، ج ٢/ص ٢١٠-٢١٢.

(٤) المصدر السابق، ج ٢/ص ٢١٠-٢١٢.

(٥) الديباج المذهب، ج ٢/ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٦) طبقات المفسرين، ج ١/ص ٩٢.

(٧) نفع الطيب، ج ٢/ص ٢١٠-٢١٢، وشجرة النور، ج ١/ص ٢٨٢.

(٨) طبقات المفسرين، ج ١/ص ٩٢.

ب - وفاته:

توفي بمنية ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١، ودفن بها، رحمه الله تعالى.^(١)

ج - آثاره العلمية:

خلف القرطبي وراءه آثارا جمّة وكتبا مهمة تدل على نبوغه في العلم وفضله فيه بمختلف مشاربه قرآنا وحديثا ولغة، ومن التصانيف والكتب التي ألفها على تنوعها: «التفسير الجامع لأحكام القرآن»، والذي نحن بصدد الحديث عنه. كتاب «الأسنى في أسماء الله الحسنى».

كتاب «التذكرة بأمور الآخرة». وصفه مخلوف بأنه: «كتاب ليس له مثل في بابيه».^(٢) «التذكار في أفضل الأذكار»، وضعه على طريقة التبيان للنووي (ت: ٥٦٧٦هـ) ولكن هذا أتم منه وأكثر علما.

«التقريب لكتاب التمهيد».

«شرح التقصي».

كتاب «قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة»، الذي قال عنه ابن فرحون: «لم أقف على تأليف أحسن منه في بابيه».^(٣) أرجوزة جمع فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم.^(٤) الفرع الثاني: التعريف بكتاب «الجامع».

هو كتاب: «الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان»، الذي بلغ صيته أرجاء المعمورة وكتب الله له شهرة ذاعت وانتشرت انتشار النار في الهشيم، لما ضم من نفع عظيم وفائدة كبرى، قال صاحب الديباج لما عرف بصاحب الكتاب: «جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً سماه كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام

(١) نفع الطيب، ج ٢/ص ٢١٠-٢١٢.

(٢) شجرة النور، ج ١/ص ٢٨٢.

(٣) الديباج المذهب، ج ٢/ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) الوافي بالوفيات، ج ٢/ص ٨٧، والأعلام، ج ٥/ص ٣٢٢.

القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ»^(١).

كما وصفه مؤلف الشذرات بأنه «حكى مذاهب السلف كلها، وما أكثر فوائده»^(٢)، ولا عجب إن وجدنا كثرة الباحثين والدارسين الذين أسهبوا في دراسة هذا التفسير العظيم، وإنجاز بحوث جمة حوله عقيدة وفقها ولغة.. حيث سارت به الركبان وهو تفسير عظيم في بابه كما نص على ذلك السيوطي رحمه الله.^(٣)

قال عنه البردوني^(٤) واصفا أهمية هذا التفسير الجليل والعظيم الشأن: «ولقد رأى القراء حين طلع عليهم تفسير القرطبي مبلغ ما بذله مؤلفه فيه من جهد كبير، وعناية فائقة، يدلان على عمقه في البحث، ومقدرته على فهم كتاب الله، وإلمامه بأصول علوم الشريعة وفروعها، من لغة وأدب وبلاغة. يتجلى كل ذلك في استنباطه الأحكام الشرعية من نصوص الآيات الكريمة، حتى ليكاد يستغني به القارئ عن دراسة كتب الفقه، ثم في استشهاده بكثير من النصوص الأدبية من لغة العرب شعرها ونثرها، مما يشهد له بطول الباع وسعة الأفق»^(٥).

وقد أضاف القرطبي رحمه الله بحق، لبنة متينة بمؤلفه هذا «للمدرسة الإسلامية التي أنجبت كبار العلماء وجهابذة المفكرين وأساطين العلم والمعرفة الذين أسهموا بدور عظيم في تقدم الإنسانية وازدهارها»^(٦).

المطلب الأول: الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

خصصت هذا المطلب للحديث عن الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ، ولست هنا بصدد تتبع وعرض جميع الآيات التي تجلي ذلك، وإنما اكتفيت بعرض البعض منها، وإردافها بما قاله القرطبي رحمه الله والمفسرون فيها، ليتسنى لنا فهمها، ومعرفة ما يتصل بها.

- أولا: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)

فمعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد تحدى الخلق على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو عشر سور مثله أو سورة مثله، ففجزوا عن ذلك أيما عجز، لأن كلام الله عز وجل لا يمكن أن يشبهه كلام

(١) الديباج المذهب، ج٢/ص٣٠٨-٣٠٩

(٢) المصدر السابق، ج٧/ص٥٨٤.

(٣) تطبيقات المفسرين، ج١/ص٩٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، مقدمة الطبعة الثانية/ص٢.

(٥) محقق كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي رحمه الله.

(٦) القرطبي: حياته وأثاره العلمية ومنهجه في التفسير، ص٢٨٩.

أو لفظ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، قال ابن كثير رحمه الله مردفا بعد تعريف دلائل النبوة: «ومثل هذا التحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن البشر معارضته ولا الإتيان بمثله، ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف أن يعارض، فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له، ومعلوم لكل ذي لب أن محمدا ﷺ من أعقل خلق الله، بل أعقلهم وأكملهم على الإطلاق في نفس الأمر، فما كان ليقدم على هذا إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته، وهكذا وقع، فإن من لدن رسول الله ﷺ، وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبدا»^(١)، وقال القرطبي في تفسير الآية: «قوله تعالى: (وإن كنتم في ريب) أي في شك، (مما نزلنا) يعني القرآن، والمراد المشركون الذين تحدوا، فإنهم لما سمعوا القرآن قالوا: ما يشبه هذا كلام الله، وإنا لفي شك منه، فنزلت الآية. ووجه اتصالها بما قبلها أن الله سبحانه لما ذكر في الآية الأولى الدلالة على وحدانيته وقدرته ذكر بعدها الدلالة على نبوة نبيه، وأن ما جاء به ليس مفترى من عنده. قوله: (على عبدنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم»^(٢).

وفي هذا حجة وبرهان لنبينا الكريم، أظهره الله سبحانه على المشركين ومن شاكلهم، كما نص على ذلك الطبري رحمه الله قائلًا: «وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين، في شك - وهو الريب - مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان: أنه من عندي، وأني الذي أنزلته إليه، فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول، فأتوا بحجة تدفع حجته، لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة: أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق. ومن حجة محمد ﷺ على صدقه، وبرهانه على حقيقة نبوته، وأن ما جاء به من عندي - عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم، عن أن تأتوا بسورة من مثله. وإذا عجزتم عن ذلك - وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والذراية - فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز. كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدقه، وحجته على نبوته من الآيات، ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي. فيتقرر حينئذ عندكم أن محمدا لم يتقوله ولم يخترقه، لأن ذلك لو كان منه اختلاقا وتقولا لم تعجزوا وجميع خلقي عن الإتيان بمثله»^(٣).

فدلالت الآية الكريمة إذن صريحة على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك النبي الأمي، إذ لا سبيل لبشر أن يكون تركيب كلامه ككلام رب العالمين المنزل على نبينا الكريم، إذ

(١) البداية والنهاية، ج/٨، ص/٥٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج/١، ص/٢٢١.

(٣) جامع البيان، ج/١، ص/٢٧٢.

وقول ما لا يمكن أن يكون، وبأنه جاء بما لم يعهدوه ويألفوه، وذكر الطبري رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الروم ستغلب فارسا»، فقال المشركون: هذا مما يتخرص محمد، فقال أبو بكر: تاحبونني؟ -والمناحية: المجاعة- قالوا: نعم. فتأحبهم أبو بكر، فجعل السنين أربعاً أو خمساً، ثم جاء إلى النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن البضع فيما بين الثلاث إلى التسع، فارجع إلى القوم، فزد في المناحية»، فرجع إليهم. قالوا: فتأحبهم فزاد. قال: فغلبت الروم فارساً، فذلك قول الله: (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء).^(١)

— رابعا: قال عز وجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ (الفتح: ٢٧)

إذ قد خص سبحانه وتعالى أنبياءه الكرام بزمرة من الخصال ومجموعة من المناقب منها أن رؤياهم حق ووحى، وليست أضغاث أحلام، وهذه الرؤيا كانت نوعاً من أنواع الوحي الذي أنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم، فقد نقل الإمام مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»^(٢)، والآية التي بين أيدينا الكريمة نصت على رؤيا لبينا الكريم، كما أخبرنا بذلك قتادة رحمه الله حيث قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يدخل مكة على هذه الصفة، فلما صالح قريشا بالحديبية ارتاب المنافقون حتى قال رسول الله ﷺ إنه يدخل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾، فأعلمهم أنهم سيدخلون في غير ذلك العام، وأن رؤياه صلى الله عليه وسلم حق. وقيل: إن أبا بكر هو الذي قال إن المنام لم يكن مؤقثاً بوقت، وأنه سيدخل»^(٣).

هذا وقد ارتاب المبطلون والمنافقون حين لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك العام، وبدأوا في تشكيك غيرهم كعادتهم، «فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله ﷻ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ إني لم أره يدخلها هذا العام، وليكون ذلك»^(٤).

وأما قوله تعالى إن شاء الله في الآية هو تأكيد وتحقيق للخبر، وليس هذا من الاستثناء في

(١) جامع البيان، ج ٢٠/ص ٧٢.

(٢) أخرجه مسلم (ت: ٥٢٦) في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح: ٢٥٢. ج ١/ص ١٣٩، والبخاري (ت: ٥٢٥٦) في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح: ٢٠٣. ج ١/ص ٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦/ص ٢٩٠.

(٤) جامع البيان، ج ٢٢/ص ٢٥٨.

شيء، وهو ما ذكره ابن كثير^(١).

– خامسا: قال عز وجل: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٢)

ومن دلائل نبوته أيضا في القرآن الكريم هذه الآية التي عني بها «وقعة يوم أحد عند الجمهور، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي، وغير واحد»^(٢)، حيث كادت طائفتان من المسلمين أن ترجعا التهقري لولا أن ربط الله على قلوبهم وبصرهم وثبت أقدامهم، وهما «بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج اللتان همتا بالانصراف، ورأوا كثافة المشركين وقلة المسلمين، وكادوا أن يجبنوا ويفشلوا فعصمهم الله تعالى، وذم بعضهم بعضا، ونهضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فمضى رسول الله ﷺ حتى أطل على المشركين»^(٣).

وبالرغم من أن الله عز وجل كشف بالآية شيئا لم يطلع عليه إلا هو سبحانه، لأنه شيء مر على خاطر وبال الطائفتين ولم يصرحا أو يخبرا به أحدا، إلا أن ذلك لم ينقص من قيمتهما لأن الله تعالى قد تولاهم، فعن جابر قال كما في البخاري: «فيما نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب أنها لم تنزل، لقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾، وقيل: كان ذلك حديث نفس منهم خطر ببالهم فأطلع الله نبيه عليه السلام عليه فازدادوا بصيرة، ولم يكن ذلك الخور مكتسبا لهم فعصمهم الله، وذم بعضهم بعضا، ونهضوا مع النبي ﷺ فمضى رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى أطل على المشركين»^(٤).

فكانت هذه الواقعة وما رافقها من أحداث، دليلا عظيما على نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام من خلال الإخبار بأمر غيبي لم يطلع عليه إلا رب العالمين، فأوحى به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون له حجة ودليلا، وبه ازداد يقين المؤمنين الصادقين.

المطلب الثاني: وقفات وخلاصات.

بعد عرض الآيات التي تدل على صدق نبوة نبينا الكريم ﷺ، وتعرف أقوال المفسرين فيها،

يمكن تحديد مضامينها وما دارت حوله في نقاط ثلاث:

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٧/ص٢٥٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج٢/ص١٠٩.

(٣) المحرر الوجيز، ج١/ص٥٠٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٤/ص١٨٦.

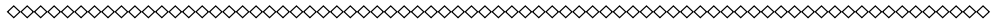
إعجاز المشركين:

ولا شك أن القرآن الكريم المنزل من رب العالمين كان أكبر معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم، وأعظم منن الله عليه وعلى أمته، إذ به انتظمت حياة المسلمين وصلحت أمورهم، إذ هو بمثابة دستور ينير دربهم، ويحوي إجابات لكل ما يشكل عليهم، كما أن الله تعالى قد تحدى به على لسان نبيه المشركين الذين أبوا إلا الاعتراض عليه وإنكار كل ما جاء به، بل واتهموا الرسول عليه الصلاة والسلام بأوصاف ما أنزل الله بها من سلطان، جحودا منهم وتكبيرا، وليزيدهم الله تعجيزا تحداهم الله سبحانه - وهو العالم بأنهم لن تكون لهم القدرة على ذلك - بأن يأتوا بمثله: ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

فلما عجزوا تحداهم بعشر سور ثم بسورة من مثله، فاستمر عجزهم وخاب مسعاهم رغم ضلالتهم لغة وجاها وشعرا، إلا أنه بالرغم من ذلك كان بمثابة سبب هداية للبعض منهم، في حين كتب الله لآخرين الاستمرار على غيهم وضلالهم، وكان ذلك أيضا دلالة عظيمة لنبينا الكريم الذي قارعهم بالحجة والبرهان.

الإخبار عن أمور ماضية:

ولقد احتوى كتاب الله العزيز الحكيم أيضا آيات تسرد أخبارا عن أمم سابقة، وعن قصصهم والأحداث التي مرت فيهم، وهي أمور لا يعلمها إلا عالم الغيب والشهادة سبحانه، المنفرد بذلك انفراد علمه بالجهر والسر، أوحى بها إلى رسوله صلى الله عليه وسلم حيث كانت بمثابة تسلية له وتحفيز من جانب، إذ بعد معرفة ما مر بالأنبياء من بلاء وعداء من طرف قومهم وما ذاقوه في سبيل الدعوة إلى توحيد الواحد الأحد الفرد الصمد، يهون بعده الأذى الذي قد يتلقاه من قومه عليه الصلاة والسلام وتنقص حدته، مما يزيده قوة وإصرارا وثباتا على تبليغ رسالة الله الخالدة، وكذا تبشيره بأن ما عند الله خير وأبقى وأن العاقبة لمن سار على درب التقوى، ثم كانت علامة على نبوته صلى الله عليه وسلم من جانب آخر، إذ كيف لبشر ومخلوق ضعيف أن يحيط ولو بأمر من هذه الأمور الغيبية، قال تعالى ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (الأنعام: ٥٠)، فذاك غيب لم يطلع عليه سبحانه إلا من ارتضى من رسول، قال ابن كثير مفسرا الآية: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ أي ولا أقول لكم إنني أعلم الغيب، إنما ذاك من علم الله عز وجل، ولا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه، ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ أي ولا أدعي أنني ملك، إنما أنا بشر من البشر، يوحى إلي من الله عز



وجل، شرفني بذلك وأنعم علي به، ولهذا قال إن أتبع إلا ما يوحى إلي أي لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه»^(١)، فالله عز وجل إذ يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم ببعض علمه الغيبي، إنما تلك خصيصة ومنقبة له، وكذا دليلاً وعلامة على نبوته، قال البغوي: «لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة التي تخبر عن الغيب»^(٢).

الإخبار عن أمور مستقبلية:

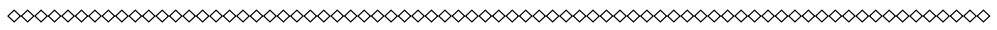
إذ كما خص ربنا سبحانه نبيه ﷺ بمعرفة بعض الأخبار الغيبية السابقة، شرفه تعالى بأن ألقى إليه مجموعة من الأمور، وأنبأه بها، فحدثت بعد أن أخبر بها عليه الصلاة والسلام مثل انتصار الروم على فارس، ودخول النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه مكة المكرمة، وهي وغيرها من الأشياء الخارقة للعادة التي لا يمكن أن يدركها وأن يحيط بها بشر إلا أن يوحى إليه من رب العالمين، وهؤلاء هم أنبياءه ورسله، وخاتمهم نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

قال ابن خلدون في مقدمته: «واعلم أن خبرهم في ذلك، من خاصيته وضرورته الصدق، لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة»^(٣)، أي أن ما جاؤوا به وأخبروا عنه يحتم تصديقه والإيمان به جزماً، لأنه صدق منهم لا محالة، وما يزيد ذلك المؤمن الإيقين وثباتاً على دين ربه، وتمسكاً بما جاء به النبي الكريم، لأنه سبيل النجاة والفلاح وبه يسير على درب وخطى الرقي والازدهار، فحري بالمسلمين اليوم «أن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف، وأن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم حتى يأخذوا بيدها إلى شاطئ السلام. وكما كانت لهم الدولة بالقرآن في الماضي. فإنها كذلك لن تكون لهم إلا به في الحاضر»^(٤).

خاتمة

بعد هذه الجولة العلمية الزاخرة في تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، وبعض التفاسير الأخرى، وهذه الوقفات مع الآيات الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كان لابد من التأكيد مجدداً على قوة إعجاز كتاب الله بما حواه، من ألفاظ ومعان ودلائل، خاصة الدالة على نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وقد انتهت إلى تسجيل مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها في ما يلي:

(١) تفسير القرآن العظيم، ج ٢/ص ٢٣١.
 (٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٥/ص ١٦٣.
 (٣) مقدمة ابن خلدون، ص ١١٠.
 (٤) مباحث في علوم القرآن، ص ١٥.



عظم قدر الشريعة الإسلامية التي خصنا بها سبحانه وتعالى، والذي يتأكد يوماً بعد يوم خاصة لدى المخالفين لنا.

ضرورة التمسك بالقرآن الكريم معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الباهرة قراءة وفهما وتدبراً وعملاً.

تظافر الدلائل والبراهين على صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، مما حبا بالكثير من المفكرين الغربيين إلى الاعتراف بذلك علناً.

تنوع هذه الدلائل والحجج مضموناً، مما يؤكد صدق دعوة ورسالة نبينا الكريم. لا بد من إبراز هذه الدلائل والبشارات عبر وسائل مختلفة ومتنوعة في آن واحد ليبلغ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار.

أن كتب التفاسير خزان نفيس ينبغي على الباحثين الالتفات إليه ببحوث ودراسات فقهية وفكرية..

الاهتمام بكتب التفاسير والعمل على إنجاز بحوث في مجالات متنوعة تربوياً وفكرياً. بذل المزيد من الجهود لإبراز هذه الدلائل والبشارات وتبليغ رسالة الله الخالدة. أن البحث في مثل هذه المواضيع يتيح للباحث الاطلاع على مصادر جديدة وفوائد عظيمة ويمهد بصيرته لمواضيع وبحوث أخرى. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.
البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

جامع البيان في تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي،

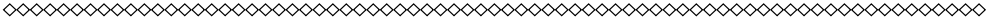
- أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين البيعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لابن سالم محمد مخلوف، دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة الأولى: ١٤٢٤/٥/٢٠٠٣ م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- طبقات المفسرين العشرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ هـ.
- القرطبي: حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، للدكتور مفتاح السنوسي بلعم، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الأولى: ١٩٩٨ م.
- مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء

التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ)، اعتنى به
هيثم جمعة هلال، دار مكتبة المعارف - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

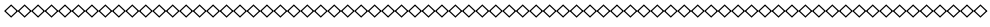
نسخ الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب
الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر:
دار صادر، بيروت - لبنان.

الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)،
المحقق: أحمد الأرنبوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



المحور الثاني:

علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية
(علامات النبوة في كتب السنة والسيرة النبوية)



أ.د. محمد عبدالرزاق الرعود
جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

علامات النبوة في كتب السنة والسيره النبوية

ملخص

النبى محمد ﷺ آخر الأنبياء والرسول ، جاء رسولا للعالمين ، وخاتما للرسالات على فترة من الرسل ، واقتضت حكمة الله تعالى أن يُبعث في جزيرة العرب ، في أمة أمية ، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ (الجمعة ، آية ٢) ، وأيده الله تعالى بمعجزات كثيرة ، أهمها وأعظمها القرآن الكريم ، كما سجلت له كتب السنة والسيره المطهرة العديد من علامات النبوة ، قبل البعثة وبعدها ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على علامات النبوة في كتب السنة والسيره المطهرة ، لتكون حلقة في سلسلة الدلائل والبشارات للراغبين والطامعين في المزيد من المعرفة والتوسع فيها ، والمزيد من الاستيثاق والتثبيت لغير المسلمين.

Abstract

Prophet Mohammad, peace be upon him, the last of the prophets and messengers, he came as a messenger to the worlds, and sealed the messages over a period of messengers. The wisdom of God Almighty required that he was sent in the Arabian island, in an illiterate nation. God almighty says: «It is He who has raised among the illiterate (Arabs), a Messenger from themselves» (Aljumuaa - Verse 2), and God Almighty supported him with many miracles, the most important and greatest of which is the Qur'an. The books of the Sunnah and the purified biography recorded for him many signs of prophecy, before and after the mission, hence this study came to shed light on the signs of prophecy in the books of the Sunnah and the purified biography, to be an episode in the series of guides and good news for those who wish and aspire to more knowledge and expansion of it, and more authentication and confirmation for non-Muslims.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .. وبعد
فإن الله تعالى بعث النبيين مبشرين ومنذرين ، وكان آخرهم النبي محمد ﷺ ، ختم الله
تعالى به الرسالات ، وجاء على فترة من الرسل ، وكان الناس يغطون في جاهلية عمياء : أهل
الجزيرة يعبدون الأصنام ، ويشربون الخمر ، ويقتتلون لأتفه الأسباب ، لا يحكمهم قانون ، ولا
يعرفون إلا الفخر بالآباء وأمجادهم التي لا تساوي شيئاً في نظر الإسلام ، وكذلك فارس والروم
، وهم من يجاورون جزيرة العرب من شمالها وشرقها ، فالروم أهل كتاب لكنهم ضلوا الطريق
، وحرفوا كتبهم ، وعبدوا الله تعالى على جهل ، وأما فارس فأصحاب وثنية متطرفة ، آلهتهم
مخلوقات أوجدها الله تعالى لخدمة البشرية ، كالنار والشمس والقمر ونحو ذلك .

في هذه الأجواء بعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً ، وأرسل معه القرآن
الكريم معجزة خالدة إلى يوم الدين ، وأيده الله تعالى بدلائل كثيرة ومتنوعة شاهدة على نبوته ،
فأمن من آمن ، وصد من صد ، ونحن في دراستنا هذه سنسلط الضوء ما أمكن على دلائل النبوة
في كتب السنّة والسيرة النبوية ، - وهي كثيرة - ، للمشاركة في المؤتمر الدولي الرابع : «دلائل
نبوة محمد ﷺ في ضوء القرآن والسنّة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه» ، والذي تنظمه
مشكورة مأجورة أكاديمية الإمام البخاري الدولية ، بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بمنيسوتا ،
وسيعقد في مدينة استانبول بتاريخ ٥-٧/١١/٢٠٢١ .

وجاء بحثي بعنوان: «علامات النبوة في كتب السنة والسيرة النبوية»، حيث حاولت جاهداً
النظر في كتب السيرة والسنّة المطهرة واستقراء ما ورد فيها حول ذلك ، والاستدلال بنصوصها
لمباحث ومطالب ومفردات هذه الدراسة ، وذلك باختصار نظراً لمحدودية صفحات البحث .

أما عن أهمية هذا الموضوع ، فلا شك أنه غاية في الأهمية ، واختياره في هذا التوقيت موفق
جداً ، حيث استعرت نار العداوة للنبي ﷺ مجدداً في أنحاء كثيرة من العالم ، وتعالّت أصوات من
هنا وهناك تشكيكاً واتهاماً للإسلام ونبيه ﷺ ، والتي تأتي في إطار الحرب التاريخية الممنهجة
ضد الإسلام والمسلمين ، لكن ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، كما تأتي أهمية هذه
الدراسة لتكون حلقة في سلسلة الدلائل والبشارات للراغبين والطامعين في المزيد من المعرفة
والتوسع فيها ، وكذلك المزيد من الاستيثاق والتثبت لغير المسلمين». وأما عن إشكالية الدراسة
فتبدو في ضوء الإجابة على هذه الأسئلة :

ما مفهوم علامات النبوة لغة واصطلاحاً ؟

ما هو الفرق بين علامات النبوة والمعجزات ؟

ما أهم ما ذكر في كتب السنّة والسيرة النبوية من علامات النبوة ؟

ما هو أثر دراسة علامات النبوة في الوقت المعاصر ؟

وأما عن الدراسات السابقة ، فهناك العديد من العلماء قديماً ، والدارسين حديثاً ، ممن كتبوا حول علامات النبوة ودلائلها بصفة عامة ، لا يتسع المقام لذكر أسماء هذه المؤلفات ، وسيأتي معظمها في مصادر ومراجع هذا البحث ، لكن ديباجة مؤتمرننا هذا له خصوصية واضحة ، تفرد في وضع منهجية علمية هادفة ومقتضية ، نرجو أن تتحقق أهدافه بإذنه تعالى .

وجاء بحثي في مقدمة ، وثلاثة مباحث وخاتمة ، على النحو التالي :

المقدمة : وتشتمل على أهمية دراسة هذا الموضوع ، وإشكالية البحث ، والدراسات السابقة ، وخطة ومنهجية البحث .

المبحث الأول : مفهوم علامات النبوة لغة واصطلاحاً ، وفيه ثلاثة مطالب .

المبحث الثاني : بعض علامات النبوة في كتب السنّة والسيرة المطهرة ، وفيه خمسة مطالب .

المبحث الثالث : أثر دراسة دلائل النبوة في الوقت المعاصر .

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث .

المبحث الأول : مفهوم علامات النبوة لغة واصطلاحاً ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم علامات النبوة لغة : أولاً : علامات لغة : علامات وعلام جمع ، ومفردها : علامة ، وهي : السمّة ، والشئ ينصب في الفلوات تهدي به الضالة ، وكذلك الفصل يكون بين الأرضين . ومنه العَلَمُ ، أي العلامة والأثر والمنارة ، وأعلَمَ الثوب ، جعل فيه علامة ، ومعلم الطريق : دلالته^(١) .

ثانياً : النبوة لغة : من النبأ أي الخبر ، والجمع : أنباء ، والنبى : المخبر عن الله عز وجل . وتنبأ الرجل : أي ادعى النبوة ، والنبى : الطريق الواضح ، والنبوة ، والنبوة : الارتقاء عن الأرض ، أي أنه أشرف على سائر الخلق^(٢) .

ثالثاً : النبوة اصطلاحاً : للعلماء كلام كثير في تعريف النبي اصطلاحاً ، وسأسوق ما أراه

(١) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، ٤١٩/١٢ ، دار صادر ، بيروت ، وتاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي ، ١٢٧/٢٢ - ١٢٨ ، تحقيق إبراهيم التريزي ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، ط١/٢٠٠٠ م .

(٢) لسان العرب ، ١٦٢-١٦٣/١ ، مرجع سابق .



راجحاً في هذه المسألة ، فالنبي هو: « من أوحى إليه، ويبعث في قوم مؤمنين، يحكم بشريعة سابقة له يدعو إليها ويحييها، ويؤمر بالتبليغ والإنذار، وقد يكون معه كتاب»^(١) .

والرسول هو: «من أرسل إلى قوم مخالفين، يُجَدِّد لهم أمر التوحيد، ويكذِّب بعض قومه فيخاصمونه، وهو مأمور بالتبليغ والإنذار»^(٢) . وباختصار: الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله»^(٣) .

المطلب الثاني: علامات النبوة اصطلاحاً: وهي دلائل النبوة وأماراتها، فهي مسميات لمعنى واحد، وعليه نستطيع القول بأن علامات النبوة هي: «ما أكرم الله عز وجل به نبيه محمد ﷺ مما يدل على صدق نبوته»^(٤) . قال ابن تيمية: «وآيات الأنبياء: هي شهادة من الله سبحانه وتعالى، وإخبار منه بنبوتهم»^(٥) .

المطلب الثالث: الفرق بين علامات «دلائل» النبوة والمعجزات: سبق بيان معنى

علامات النبوة أو دلائل النبوة، وحتى يتضح الفرق بين الدلائل والمعجزات، ينبغي تعريف المعجزة أولاً ثم بيان الفرق بعد ذلك:

أولاً: المعجزة لغة: من العَجَز، أي الضعف وعدم القدرة، تقول: أعجزه الشيء، أي عجز عن فعله»^(٦) .

ثانياً: المعجزة اصطلاحاً: هي: «أمر خارق للعادة، يدعو إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله»^(٧) . وعرفها السيوطي بقوله: هي: «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة»^(٨) . وكل من عرّف المعجزة لا يخرج عن هذا المعنى، إلا بإضافات بسيطة كما فعل السيوطي هنا بقول: سالم عن المعارضة، فهي إضافة توضيحية، لمعنى التحدي الذي ذكر في التعريف .

(١) انظر: كتاب النبوات، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، ص ٦٨٧-٦٩٠، أضواء السلف، ط١/٢٠٠٠م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، ص ١٦، مكتبة الفلاح ودار النفائس، ط ٤/١٩٨٩م .

(٤) من مصادر السيرة النبوية: كتب دلائل النبوة، أحمد بن محمد فكير / كلية الآداب / أكادير، موقع: الأجرى، تاريخ ٢٠١١/٦/٢٦

(٥) كتاب النبوات، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، ص ٩٨٤، مرجع سابق .

(٦) لسان العرب، ابن منظور، ٣٦٩/٥، مرجع سابق .

(٧) معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص ١٨٤، تحقيق محمد صديق المشاوي، دار الفضيلة .

(٨) الدلائل المحمدية الواقعة في مدينة طابة النبوية، لولوة بنت راشد الورثان، ص ٢٨٩، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مجلد ٤، العدد ٢٣ .

ثالثاً : الفرق بين العلامات «الدلائل» والمعجزات :

يظهر ابتداءً أنه لافرق بينهما ، وكثير ممن صنّف في الدلائل لم يشيروا إلى هذا الفرق ، وفي الحقيقة هناك فرق بين المصطلحين ، وقد أشار بعض أهل العلم إلى هذا الفرق ، منهم السهيلي ، حيث عرض لبعض دلائل النبوة ، ثم قال بعد ذلك : «وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها ، فيها علمٌ على نبوته ﷺ ، غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق ، فمعجزوا عن معارضته»^(١) . وهذا معناه أن التحدي والعجز عن المعارضة شرطان في تسمية المعجزة ، وليس كذلك في الدلائل أو العلامات»^(٢) .

ومن أهل العلم الذين أشاروا إلى هذا الفرق ابن حجر العسقلاني حيث قال: العلامات جمع علامة وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة ، والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي ﷺ من يكذبه بأن يقول إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق ؟ أو يقول من يتحداه : لا أصدقك حتى تفعل كذا ، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة ، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن ، وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها»^(٣) .

وممن جعل الدلائل والعلامات والمعجزات شيئاً واحداً ابن تيمية ، حيث قال : «والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة ، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ، ويسمونها من يسميها من النظار (معجزات) ، وتسمى (دلائل النبوة) ، (وأعلام النبوة)^(٤) بهذا نلاحظ أن الدلائل أو العلامات عامة واسعة لا يشترط فيها التحدي ، وأن المعجزات أخص منها ، ويشترط فيها التحدي . أما بخصوص الخوارق التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لغير الأنبياء وهي التي يطلق عليها «كرامات» ، فإنها كذلك لا تسمى معجزات بالمعنى الاصطلاحي»^(٥) .

(١) الروض الأنف ، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، ٣٩٩/١ ، تحقيق مجدي الشوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١/ بدون ذكر السنة .

(٢) انظر : من مصادر السيرة النبوية : كتب دلائل النبوة ، أحمد بن محمد فكير ، مرجع سابق .

(٣) فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ٥٨١/٦ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١/١٣٧٩ هـ .

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، ٤١٢/٥ ، تحقيق علي بن حسن بن ناصر ورقيقاه ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١/١٩٩٩ م .

(٥) انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، محمد بن أحمد السفاريني ، ٢٩١/٢ ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، ١٩٨٢ م .

المبحث الثاني :

بعض علامات النبوة التي ذكرت في كتب السنة والسيرة المطهرة :

علامات النبوة التي ذكرها العلماء في مؤلفاتهم تزيد عن ألف علامة ودليل^(١)، ونظراً لمحدودية صفحات هذا البحث فإنني سأقتصر على ذكر أهمها وأبرزها ، وأصحها رواية ، وفق التالي :

المطلب الأول : أبرز علامات النبوة التي حصلت للنبي ﷺ قبل البعثة :

سأسوق تالياً روايات صحيحة لبعض علامات النبوة التي حصلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة باعتبار أن لها ارتباطاً ببعثته صلى الله عليه وسلم ، وسأكتفي بثلاث علامات للاختصار :

أولاً : خروج نور حين ولادته ﷺ ، أضاءت له قصور الشام :

عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم عن ذلك: دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأته ، وكذلك أمهات النبيين يرين» ، وإن أم رسول الله ﷺ رأته حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام»^(٢) .

الشاهد هنا : آخر الحديث وكيف أضاءت له قصور الشام عند ولادته ﷺ ، وقد روي ذلك من طرق أخرى أيضاً ، منها : عن أبي أمامة رضي الله عنه قال :قلت : يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام»^(٣) .

وعن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا :يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ فقال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت

(١) انظر : شرح النووي على مسلم ، يحيى بن شرف النووي ، ٢/١ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط٢ / ١٣٩٢ هـ ، وفتح الباري ، ابن حجر ، ٥٨٢/٦ ، مرجع سابق .

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ، حديث رقم ١٧٢٠٢ ، مؤسسة قرطبة ، مصر .والحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري ، في المستدرک ، حديث رقم ٤١٧٥ ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ / ١٩٩٠ م ، وقال : حديث صحيح الاسناد ، والبيهقي ، أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان / حديث رقم ١٢٨٥ ، تحقيق بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ / ١٤١٠ هـ .والطبراني ، سليمان بن أحمد ، مسند الشاميين ، حديث رقم ١٤٥٥ ، تحقيق حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ / ١٩٨٤ م .

وأحمد بن الحسين البيهقي ، في دلائل النبوة ، ١٢٠/٢ ، تحقيق عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، الريان للتراث ، القاهرة ، ط١ / ١٩٨٨ م .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ، حديث رقم ٢٢٢١٥ ، مرجع سابق ، والحديث صحيح .

له بصرى وبصرى من أرض الشام»^(١).

في هذه الروايات الصحيحة تأكيد لعلامة من علامات النبوة المبكرة لرسول الله ﷺ، لكن في الرواية الأولى أن النور كان حين الولادة، وفي الأخرى أثناء الحمل، ويمكن الجمع بينهما أن ذلك حصل مرتين، مرة أثناء الحمل، ومرة عند الولادة. أو بحمل حديث الحمل على أن المراد منه الولادة، والله اعلم.

ثانياً : حادثة شق الصدر وهو في صحراء بني سعد عند مرضعته حليلة السعدية :

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعني ظئره^(٢) فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»^(٣).

يُعد هذا الحديث من علامات النبوة المبكرة أيضاً، لكن قد يشكك على البعض ذكر غدة الشر التي تم استئصالها من صدر الرسول ﷺ، فلو كان الشر غدة في الجسم لأمكن لأي شخص أن يقوم بإجراء عملية جراحية ويستأصل هذه الغدة وينتهي الشر منه، لكن الأمر غير هذا، وقد أحسن البوطي حين عرض لهذا الموضوع فقال : «تعد حادثة شق الصدر من إرهاصات النبوة، ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل، وليست الحكمة من هذه الحادثة - والله

أعلم استئصال غدة الشر في جسم رسول الله ﷺ، إذ لو كان الشر منبعه غدة في الجسم، أو علقة في بعض أنحاءه، لأمكن أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة هي إعلان أمر الرسول ﷺ، وتهيؤة للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به، وتصديقهم برسالته، إنها إذا عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم»^(٤).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ، حديث رقم ٤١٧٤ ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، مرجع سابق .

(٢) الطثر : مرضعة غير ولدها ، لسان العرب ، ابن منظور ، ٥١٥/٤ ، مرجع سابق .

(٣) أخرجه مسلم بن الحجاج ، في صحيحه ، حديث رقم ١٦٢ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، بيروت . وقد تكررت حادثة شق الصدر وهو ابن عشر سنين كما أخرجه أحمد في المسند ، حديث رقم ٢١٢٦١ . وهو حديث حسن ، قال الهيثمي : رواه عبد الله ورجاله ثقات وتقدم ابن حبان مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، ٢٢٢/٨ ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، بيروت ١٤٠٧ هـ . وتكررت ليلة الإسراء ، كما في حديث أنس عند البخاري ، والذي سيأتي في علامات النبوة في الفترة المكية .

(٤) فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٧١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٠/١٩٩١ م .

ثالثا : قصة النبي ﷺ مع بحيرا الراهب وهو غلام : وكيف كانت علامة استدلال بها على نبوة الرسول ﷺ :

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال : هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين ، بيعته الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ، ولا يسجدان إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ، ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هوفي رعية الإبل قال : أرسلوا إليه ؟ فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه قال : فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونهم ، فألتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا إنما اخترنا خيرة لك لطريقك هذا ، قال : أفرايتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا قال : فبايعوه ؟ وأقاموا معه ، قال : أشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت»^(١) .

في ضوء هذا الحديث نقف على عدد من علامات النبوة التي وردت فيه ، منها :

معرفة الراهب بحيرا قدوم النبي ﷺ قبل وصوله له ، ومعرفته أنه يرافق القافلة .

قول بحيرا بعد أن أمسك بيد الرسول ﷺ : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، بيعته الله رحمة للعالمين .

(١) أخرجه محمد بن عيسى الترمذي ، في السنن ، حديث رقم ٣٦٢٠ ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت . وقال : حديث حسن غريب ، والحاكم في المستدرک ، حديث رقم ٤٢٢٩ ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، مرجع سابق ، وعبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، في المصنف ، حديث رقم ٣٦٥٤١ ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط ١٤٠٩ هـ . وإسماعيل بن محمد الأصبهاني ، في دلائل النبوة ، حديث رقم ١٩ ، تحقيق محمد الحداد ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١٤٠٩ هـ . أقول : الحديث صحيح ، لكن في الحديث كلام لا يضر ، وضحه العجلوني ، حيث قال : لكن هذا حديث ضعفه الذهبي لقوله في آخره : وبعث معه أبو بكر بلالا ، فإن أبا بكر لم يكن إذ ذاك اشترى بلالا ، وقال الحافظ ابن حجر : الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة ، فيحمل على أنها مدرجة مقطعة من حديث آخر ، وقال البيهقي هذه قصة مشهورة عند أهل المغازي ، وذكر الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى لها شواهد « كشف الخفاء » ، إسماعيل بن محمد العجلوني ، ١٥٨/١ ، تحقيق أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٤٠٥ هـ . أقول : كذلك بلال كان في ذلك الوقت لم يتجاوز عمره أربع سنوات ، فقد توفي سنة ٢٠ هـ ، وعمره حوالي ٦٥ سنة .

قول بحيرا: حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ، ولا يسجدان إلا لنبي خاتم النبوة أسفل من غضروف كتف النبي ﷺ مثل التفاحة .

إضلال الغمامة للرسول ﷺ .

مال فيء الشجرة على الرسول ﷺ ، إذ لم يكن الفيء عليه ابتداءً .

المطلب الثاني : بعض علامات النبوة في الفترة المكية قبل الهجرة :

حصل لرسول الله ﷺ علامات ودلائل كثيرة وهو في مكة قبل أن يهاجر ، وكتب الدلائل والسيرة مليئة بذكر ذلك ، لكن للاختصار سأذكر ثلاثة أمثلة فقط :

أولا : الإسراء والمعراج : وهذه من أعظم الدلائل والعلامات ، حيث ذكرها القرآن الكريم ، وورد ذكرها في كثير من الأحاديث الشريفة ، أما القرآن فقولته تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (سورة الإسراء، آية: 1)

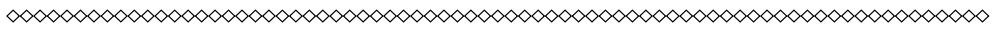
وأما من السنة فما رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به : بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني أت فقد قال وسمعتة يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعتة يقول من قصه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا... وذكر الحديث بطوله^(١) . وقد جاء فيه ذكر حادثة شق الصدر التي ذكرتها فيما مضى ، والتي تؤكد تكرارها أكثر من مرة ، وتعد من أبرز دلائل النبوة التي حصلت للرسول ﷺ قبل بعثته ، وبعدها .

ثانيا : حادثة انشقاق القمر : حصلت هذه الحادثة في مكة حين طلب المشركون من الرسول ﷺ أن يريهم آية دالة على صدقه ، ففعل ، جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما^(٢) . كما جاء في رواية ابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقال رسول الله ﷺ : أشهدوا^(٣) وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : انشق القمر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٢٦٧٤ ، مرجع سابق . ومسلم في صحيحه ، حديث رقم ١٦٤ ، مرجع سابق ، وقد جاء حديث الإسراء والمعراج من روايات وطرق كثيرة لا مجال لسردها .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٢٦٥٥ ، مرجع سابق ، ومسلم في صحيحه ، حديث رقم ٢٨٠٢ ، مرجع سابق .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٤٥٨٢ ، و ٤٥٨٤ ، مرجع سابق .



على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم»^(١).

هذه الأحاديث وغيرها تؤكد بما لا شك فيه أن حادثة انشقاق القمر آية ودلالة عظيمة حصلت زمن الرسول ﷺ، بعيداً عن المشككين والنافين ومن ليس لديهم حجة إلا الطعن بلا دليل ولا برهان. وهذا سبيل المنكرين والحاquدين على الدوام، فهؤلاء المشركون رأوا الآية أمام أعينهم، فقالوا: هذا سحر، يعني إنكار مهما كان الواقع.

قال ابن كثير: «وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات»^(٢).

قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك انه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر، وقد أنكر ذلك بعضهم فقال: لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس، لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رؤية كل غريب، ونقل ما لم يعهد فلو كان لذلك أصل لخلد في كتب أهل التسيير والتنجيم إذ لا يجوز إطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره. والجواب عن ذلك: أن هذه القصة خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها لأنه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلاً لأن القمر لا سلطان له بالنهار، ومن شأن الليل أن يكون أكثر الناس فيه نياماً، ومستكنين بالأبنية، والبارز بالصحراء منهم إذا كان يقظان يحتمل أنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بما يلهيه من سمر وغيره، ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه، فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس وإنما رأى من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه، ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر ثم أبدى حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن»^(٣).

وقال ابن حجر: ذكر أبو نعيم في الدلائل نحو ما ذكره الخطابي وزاد: ولا سيما إذا وقعت الآية في بلدة كان عامة أهلها يومئذ الكفار الذين يعتقدون أنها سحر ويجتهدون في إطفاء نور الله»^(٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٦٧٩٦، مرجع سابق، والحديث صحيح.

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير، ٢٦٢/٤، تفسير سورة القمر، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ١٨٥/٧، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق.

ثالثاً : المستهزؤون بمكة ، وما حصل معهم من أحداث تُعد دلالات وعلامات نبوة :

المستهزؤون هم جماعة من كفار مكة دأبوا على الاستهزاء برسول الله ﷺ وتكذيبه ، طوال فترة دعوته بمكة ، إلا أن الله تعالى أظهر صدق نبيه على الدوام ، والروايات في ذلك كثيرة ، سأكتفي بذكر رواية صحيحة منها :

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً من قريش اجتمعوا في الحجر ، ثم تعاقبوا باللوات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة ويساف أن لو قد رأوا محمداً لقد قمنا إليه مقام رجل واحد فقتلناه قبل أن نفارقه ، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي ﷺ فقالت : هؤلاء الملاء من قومك لقد تعاهدوا لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل واحد إلا قد عرف نصيبه من دمك ، فقال : يا بنية إيتيني بوضوء ، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : هاهو ذا وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم ، فلم يرفعوا إليه بصراً ولم يقيم منهم إليه رجل فأقبل النبي ﷺ حتى قام على رؤوسهم وأخذ قبضة من التراب ثم قال : شأهت الوجوه ، ثم حبسبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصا حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً^(١) .

هذا موقف واحد من عدة مواقف أيد الله تعالى بها نبيه ﷺ وهو يدعو إلى الله تعالى بمكة ، ويجاهد الكفار بكلمة الحق ، فمنهم من اهتدى ، ومنهم من أخذته العزة بالإثم ، فظل معانداً مستكبراً حتى غادر الحياة مؤكداً صدق الرسول ﷺ بما قال وفعل . وذكرت كتب الدلائل عشرات الأحاديث الدالة على آيات ودلائل ومعجزات حصلت لرسول الله ﷺ في مكة ، كسلام الحجر والشجر عليه ، ونحو ذلك لا مجال لذكرها هنا .

المطلب الثالث :

بعض علامات النبوة ودلائلها التي حصلت في طريق الهجرة إلى المدينة :

حصلت في هجرة النبي ﷺ دلائل وعلامات حسية ، هي من أعلام نبوته ، تؤكد فضله ومنزلته ، وحفظ الله تعالى له من كل مكروه ، أذكر منها على سبيل المثال حديث سراقبة بن مالك وماذا حصل له حين لحق بالنبي ﷺ :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر ،

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، حديث رقم ٢٧٦٢ ، مرجع سابق ، وإسماعيل بن محمد الأصبهاني في دلائل النبوة ، ٦٥-٦٦ ، مرجع سابق . ومحمد بن عبد الواحد المقدسي ، في الأحاديث المختارة ، تحقيق عبد الملك بن دهاش ، مكتبة النهضة الحديث ، مكة المكرمة ، ط ١٠/١٤١٠ هـ . ٢١٨/١٠ ، حديث رقم ٢٣٠ ، ومحمد بن حبان البستي في صحيحه ، حديث رقم ٦٥٠٢ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢/١٩٩٢ م ، والحاكم في المستدرک ، حديث رقم ٥٨٢ ، وقال : هذا حديث صحيح ، مرجع سابق ، وقال الهيثمي في المجمع ٢٢٨/٨ : رواه أحمد بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح .

وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف ، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، قال : فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير ، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم اصصره ، فصصره الفرس ثم قامت تحمحم ، فقال: يا نبي الله مرني بما شئت؟ قال: فقفف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا... وذكر الحديث بطوله»^(١) .

المطلب الرابع : بعض علامات النبوة في الفترة المدنية بعد الهجرة :

كما حصلت علامات في مكة ، فالحال نفسه في المدينة المنورة ، بل تكاد تكون أكثر ، وقد عجت كتب دلائل النبوة وكتب السنة والسيرة بروايتها ، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

أولاً : ما حصل من علامات ودلائل مع الجمادات :

أكثر من حديث ورد في ذلك ، منها : عن أنس رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء^(٢) ، فوضع يده في الإناء ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة^(٣) .

هذه الآية لم تحدث لنبي قبله ﷺ ، قال السيوطي : قال العلماء : نبع الماء من بين أصابعه لم يقع مثله لأحد من الانبياء ، وهو أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر ، حيث ضربه موسى بالعصا ، لأن خروج الماء من الحجارة معهود ، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم^(٤) . وفي نبع الماء هذا قال النووي: وفي كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي وغيره: أحدهما ونقله القاضي عن المزني وأكثر العلماء : أن معناه أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه صلى الله عليه وسلم ، وينبع من ذاتها ، قالوا : وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر ، ويؤيد هذا أنه جاء في رواية: فرأيت الماء ينبع من أصابعه . والثاني : يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه لا من نفسها ، وكلاهما معجزة ظاهرة وآية باهرة^(٥)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٣٦٩٩ ، مرجع سابق .

(٢) الزوراء : موضع بالسوق بالمدينة عمدة القاري ، بدر الدين العيني ، ٢١٢/٦ ، دار إحياء التراث ، بيروت

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٢٣٧٩ ، تحت باب : علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم في صحيحه ، رقم ٢٢٧٩ ، مرجع سابق .

(٤) التوشيح شرح الجامع الصحيح ، جلال الدين السيوطي ، ٢٢٧٩/٥ ، تحت شرح حديث رقم ٢٥٧٢ ، تحقيق رضوان جامع رضوان ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط١/١٩٩٨ م .

(٥) مسلم بشرح النووي ، ٣٩-٣٨/١٥ ، تحت باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق ، وانظر : الدلائل المحمدية الواقعة في مدينة طابة ، لولوة بنت راشد ، ص٢٠٢ ، مرجع سابق .



وقد تكرر مثل هذا الموقف أكثر من مرة ، كما في حديث البراء رضي الله عنه قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فتزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم على شفير البئر فدعا بماء ، فمضمض ومج في البئر ، فمكثنا غير بعيد ثم استقمينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا»^(١) .

ومما حصل من دلائل مع الجمادات : حنين جذع النخلة : هذه قصة مشهورة في كتب الدلائل والسيرة ، رويت عن أكثر من صحابي ، منهم جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه فإن لي غلاماً نجاراً ؟ قال : إن شئت قال : فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع ، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تتشق ، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تن أنين الصبي»^(٢) .

وممن رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مختصراً : قال : كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحن^(٣) الجذع فأثاء فمسح يده عليه»^(٤) .

قال ابن حجر: وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكا كالحيوان بل كأشرف الحيوان^(٥) . وقال عمرو بن سواد السرحي^(٦) : قال الشافعي : « مَا أَعْطَى اللَّهُ نَبِيًّا مَا أَعْطَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ : أَعْطَى عَيْسَى إْحْيَاءَ الْمَوْتَى ، فَقَالَ : « أَعْطَى مُحَمَّدًا حَيْنَ الْجَذَعِ الَّذِي كَانَ يَقِفُ يَخْطُبُ إِلَى جَنْبِهِ ، حَتَّى هَيَّئَ لَهُ الْمَنْبِرَ ، فَلَمَّا هَيَّئَ لَهُ الْمَنْبِرَ ، حَنَّ الْجَذَعُ حَتَّى سَمِعَ صَوْتَهُ ، فَهَذَا أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ »^(٧) .

ثانيا : ما حصل من دلائل وعلامات داخلية في أخبار الغيب :

كثيرة هي الأخبار في هذا الباب ، سواء ما يتعلق بأخبار الماضي ، أو الحاضر ، أو المستقبل ، « فإذا ما أخبر النبي ﷺ عن شيء من الغيوب؛ فإنما يخبر بشيء من علم الله الذي خصه به

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٢٢٨٤ ، مرجع سابق .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ١٩٨٩ ، مرجع سابق .

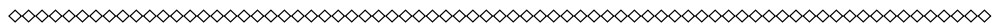
(٣) أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها ، « تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي ، محمد عبدالرحمن المباركفوري ، ٧١/١٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٢٢٩٠ ، مرجع سابق .

(٥) فتح الباري ، ابن حجر ، ٦٠٢/٦ ، مرجع سابق .

(٦) ثقة ، روى عن الشافعي ، مات سنة ٢٤٥ هـ ، تقريب التهذيب ، أحمد بن حجر العسقلاني ، ترجمة رقم ٥٠٤٦ ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، ط١/١٩٨٦ م .

(٧) آداب الشافعي ومناقبه ، عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي ، ص ٦٢ ، تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط١/ ٢٠٠٣ م ، وأبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، في حلية الأولياء ، ١١٦/٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤/١٤٠٥ هـ .



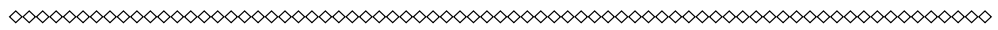
وأطلعاه عليه، ليكون برهان نبوته ودليل رسالته. ولقد أخبر النبي ﷺ عن زهاء ألف أمر غيبي، بعضها في القرآن، وبعضها في السنة وكل منها دليل على نبوته ورسالته^(١). وسأكتفي تالياً بذكر بعضها للتدليل على ذلك:

عن أبي حميد قال خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، إلى أن قال: حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله ﷺ: «ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقيم فيها أحد منكم، فمن كان له بغير فليشد عقاله، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء»^(٢). «فمن الذي أخبر النبي ﷺ بهبوب هذه الريح في زمن ما كان الناس قادرين على التنبؤ بالطقس، وحركات الرياح، إنه الله تعالى»^(٣).

وقال النووي: هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من أخباره ﷺ بالمغيب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح. وفيه: ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والرحمة لهم والاعتناء بمصالحهم وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا، وإنما أمر بشد عقل الجمال لئلا ينفلت منها شيء فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه فيلحقه ضرر الريح^(٤) ومن دلائل إخباره ﷺ بالمغيب، حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام، وكلنا فارس قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ»^(٥) فان بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدرناها تسير على بغير لها حيث قال رسول الله ﷺ، فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معنا كتاب، فأخذناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأته الجذ أهوت إلى حجرتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ.... إلى أن قال رسول الله ﷺ: فقال لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم^(٦).

بالتأكيد أن الذي أطلع النبي ﷺ على سر هذه المرأة هو الله سبحانه وتعالى علام الغيوب،

(١) دلائل النبوة، د. منقذ بن محمود السقار، ص ٥، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم ١٣٩٢، مرجع سابق. كما أخرجه الأصبهاني في دلائل النبوة، حديث رقم ٢١٢، مرجع سابق.
(٣) دلائل النبوة، د. منقذ بن محمود السقار، ص ٥، مرجع سابق.
(٤) مسلم بشرح النووي، ٤٢/١٥، مرجع سابق.
(٥) منطقة بين مكة والمدينة، أقرب إلى المدينة «فتح الباري»، ابن حجر، ٢٠٦/١٢، مرجع سابق.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، بالأرقام: ٢٧٦٢، ٢٨٤٥، و ٤٠٢٥، ٤٦٠٨، ٥٩٠٤، ومسلم في صحيحه، حديث رقم ٢٤٩٤، مرجع سابق.



فليس هناك أحد جاء وأخبر النبي ﷺ بذلك لعدم ورود الدليل، وذكر النووي مجموعة فوائد لهذا الحديث ، قال : وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، وفيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم سواء كان رجلاً أو امرأة، وفيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة ، أو كان في الستر مفسدة، وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة ولا يفوت به مصلحة^(١). وذكر ابن حجر نحوه، وزاد : وفيه من أعلام النبوة إطلاع الله نبيه على قصة حاطب مع المرأة^(٢) .

المطلب الخامس : دلائل وعلامات علمية دالة على نبوة الرسول ﷺ

ورد في كتب السنّة المطهرة ، عشرات الأحاديث التي تتحدث عن قضايا علمية يمكن وصفها بانها سبق علمي لما قرره العلم اليوم ، وبالأدلة والبراهين القاطعة ، وسأذكر منها ما يلي :

أولاً : حديث جزيرة العرب وكيف ستعود مروجاً وأنهاراً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»^(٣) .

يؤكد النبي ﷺ في هذا الحديث أن الساعة لن تقوم حتى تصبح أرض العرب - ويبدو أن المراد جزيرة العرب - أرضاً خصبة ، وربوعاً خضراء ممتدة ، وأنهاراً تجري، وهذا خلاف ما هي عليه الآن ، كما نفهم من سياق الحديث أنها كانت في زمن سابق كما ستصبح لاحقاً ، وهذا يقيناً ليس من عند رسول الله ﷺ ذاته، إنما هو وحي من الله تعالى، ودليل من دلائل نبوته ﷺ، وإلا فمن أخبره بما حصل قبل ألوف السنين ، وما سيأتي بعد ذلك أيضا ؟؟ إنه الله تعالى . وهل اكتشف العلم اليوم شيئاً مما أخبر عنه ﷺ؟؟ نعم، وإليك بعضاً من ذلك:

إن هذه المنطقة كانت ذات يوم مغطاة بالأنهار والبحيرات والنباتات والمروج، وكانت في ذلك اليوم أي الماضي أشبه بأوربا اليوم يعني كانت تماماً تشبه أوربا في أنهارها ومروجها وأشجارها.

يقول الدكتور مكلور في أطروحته للدكتوراه عام ١٩٨٤ في لندن: «إن منطقة الربع الخالي تشكلت قبل حوالي مليوني سنة ، ولكن هذه الصحراء لا تبقى على حالها بل تتبع نظاماً جيولوجياً مدهشاً، حيث نلاحظ أن الأنهار والغابات تغطي هذه المنطقة كل فترة من الزمن. يتابع الدكتور مكلور قبل ٣٧٠٠٠ وحتى ١٧٠٠٠ سنة كانت مغطاة بالمروج والأنهار العذبة، ثم بعد ذلك

(١) مسلم بشرح النووي ، ١٦/٥٥ ، مرجع سابق .

(٢) فتح الباري ، ابن حجر ، ٢١٠/١٢ ، مرجع سابق .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، حديث رقم ١٥٧ ، مرجع سابق .

حدث تغير في المناخ، وتشكلت الصحراء من جديد، وبعد ذلك أي قبل حوالي ١٠٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ سنة عادت وغطيت بالمروج والغابات والبحيرات والأنهار. وهكذا وفق دورة عجيبة! وقد عثرنا في منطقة الربع الخالي على أسنان لفرس النهر، وكانت بحالة جيدة، وعثرنا على آثار لمخلوقات نهريّة عديدة وحيوانات مثل الجمال والخراف والغزلان كانت ترعى ذات يوم . ويرجح الدكتور مكسور أن تعود الأمطار وتعود البحيرات والمروج إلى هذه المنطقة في وقت ما في المستقبل (مع أنه لم يطلع على الحديث النبوي .

كما وجد الدكتور فاروق الباز مدير مركز الاستشعار عن بعد في جامعة بوسطن الأمريكية، أن نهراً يمتد لمسافة طويلة دفتته رمال الصحراء في الربع الخالي ، وهذا النهر كان موجوداً قبل ستة آلاف سنة و يبلغ عرضه ٨ كيلومتر وطوله ٨٠٠ كيلومتر، وكان يعبر قلب الجزيرة العربية حتى يصب في الخليج العربي قام الدكتور راون بلوم من وكالة ناسا ببحث على الصحراء في جزيرة العرب ووجد أن هذه الصحراء كانت ذات يوم مليئة بالأنهار والمروج وحيوانات كثيرة كانت ترعى، وهي أشبه بأوروبا اليوم! ووجد أن نفس الحقيقة تنطبق على الصحراء العربية جنوب ليبيا.

ويقول الدكتور بلوم إن أول مرة في التاريخ يعلم فيها الناس أن الجزيرة العربية كانت ذات يوم مغطاة بالأنهار في عام ١٩٧٢ من خلال الصور الملتقطة بالأشعة الكهرطيسية بواسطة القمر الصناعي Landsat-1 حيث مكنتنا هذه التقنية من رؤية ما لم يره أحد من قبل! ثم في عام ١٩٨١ التقطت بعض الصور التي أكدت وجود آثار لمجاري أنهار في الصحراء، وفي عام ١٩٩٤ تأكدت هذه الحقيقة أكثر^(١) .

ثانيا : حديث خلق الإنسان ومتى تنفخ فيه الروح :

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ... »^(٢) . وفي لفظ آخر : « أن ملكا موكلا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئا بإذن الله لبضع وأربعين ليلة ثم ذكر نحوه »^(٣) . ومثله حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح

(١) انظر : الإعجاز في السنّة / أنهار الربع الخالي ، عبد الدائم الكحيل، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وانظر للمزيد : عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا ، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، جمال عبدالمنعم الكومي ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم ٢٦٤٤ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق ، حديث رقم ٢٦٤٥ .

، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»^(١) .

تؤكد هذه الأحاديث ونحوها أن خلق الجنين ونفخ الروح فيه يكتمل بعد الأربعين الأولى ، وليس كما فهم كثيرون بعد الأربعون الثالثة كالنووي^(٢) ، وابن القيم^(٣) ، وابن حجر^(٤) ، وغيرهم .

فالراجح في هذه المسألة أن الروح تنفخ بعد الأربعين الأولى ، وذلك لأمرين :

ورود أكثر من حديث صحيح ينص على ذلك كما سبق ذكره .

ما نص عليه علم الطب الحديث ، كثبوت الحركة للجنين قبل أربعة أشهر بكثير ، وظهور العظام في الصور الشعاعية قبل أربعة أشهر بكثير أيضاً^(٥) .

ويؤكد أهل العلم والطب اليوم على ذلك ، فهذا الدكتور الشوكي يعرض مراحل خلق الجنين في دراسة له ، فيقول في مرحلة الأسبوع السادس « ٤٢ » يوم : طول الجنين ١١-١٧ مم ، وتظهر منطقة الكوع ، وصفحة لوح اليد ، والتي تقسم إلى ما يشبه الأصابع ، ويزداد وضوح العينين ، ومن أهم ما يظهر في هذا الأسبوع : حركات تلقائية مثل : اختلاجات الجذع والأطراف ، وظهور استجابة حركة عند اللمس ، والأطباء يؤكدون أنها تفاعلات على مستوى الحياة العضوية^(٦) .

سبحان من أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الحقائق العلمية قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة ، في زمن لم يكن أحد يعرف شيئاً عن هذه الدقائق العلمية المدهشة ، مما يجعل ذلك علامة ودليلاً من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : أثر دراسة دلائل النبوة في الوقت المعاصر :

لا شك أن لدراسة علامات النبوة أثر كبير في حياة الناس ، وفي كل الأوساط الثقافية ، والدينية ، والمؤسسات التربوية ، بمختلف مستوياتها ، وسيوضح ذلك في ضوء النقاط التالية :

تثبيت لقلوب المؤمنين ، وتحقيق للطمأنينة ، وبعث للفرح والسرور ، كما ترسي في نفوسهم معنى الاعتزاز بدينهم الحنيف ، فأمر يخبر عنه رسولنا الكريم ﷺ منذ أربعة عشر قرن يقع

(١) المرجع السابق ، حديث رقم ٢٦٤٣ .

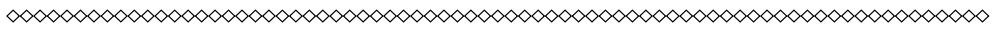
(٢) مسلم بشرح النووي ، ٩١/١٦ ، مرجع سابق .

(٣) تحفة المودود بأحكام المولود ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق عثمان ضميرية ، ص ٣٧٢ وما بعدها ، دار عالم الفوائد .

(٤) فتح الباري ، ٤٨١/١١ ، مرجع سابق .

(٥) متى تنفخ الروح في الجنين ، د. شرف القضاة ، ص ٨٥ ، دار الفرقان ، عمان ، ط ١/١٩٩٠ م . وانظر للمزيد : نفخ الروح في الجنين ، بين إعجاز القرآن والسنة ، وبين الدراسات الطبية الحديثة ، د. محمد علي الشوكي ، جامعة الأزهر ، مجلة كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية ، العدد ٣٩ ، مجلد ١ ، ٢٠٢٠ .

(٦) نفخ الروح في الجنين ، بين إعجاز القرآن والسنة ، وبين الدراسات الطبية الحديثة ، د. محمد علي الشوكي ، ص ٢٢٠٢١ ، مرجع سابق .



الآن، ويتحقق ويراه كل صاحب عقل ، فهذا مدعاة للاعتزاز ، والإيمان والتصديق والثبات ، وتؤكد على أن السنة النبوية وحى محفوظ من الله تبارك وتعالى رغم أنف الجاحدين»^(١).

وضعت لنا النقاط على الحروف في كثير من الممارسات الخاطئة التي يقع فيها بعض الناس، وحذرتنا منها، وبينت لنا مواطن الضعف ومواطن القوة في الأمة كي نتلافى السلبيات ، ونغذي الإيجابيات، كحديث القصة: «تداعى عليكم الأمم»^(٢)، فهو يصف حالة الأمة اليوم في ضعفها، وتسلط الأمم عليها من كل جانب ، يسلبون خيراتها، وينهبون أموالها ومقدراتها ، كحال الجالسين على الطعام ، فالكل يأخذ منه ولا يعطيه .

تدفع شبه بعض القائلين بأن الشريعة إنما كانت لزمن الصحابة فقط ، ولا تصلح لزماننا ، ويريدون تحية شرع الله، والحق أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وهو كفيلاً بإذن الله تعالى بإسعاد البشرية كلها، وأنه الدين الذي لا يزيده الزمن إلا جِدَّةً ، فلقد بينَّ وعالج كلَّ شيء»

ترد على من ينكر عقلاً بعض الأحاديث الصحيحة ، والحق أنه يجب الإيمان بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكم من أناس أنكروا أحاديث ، لأنهم أعملوا فيها عقولهم الضعيفة كالفلاسفة وغيرهم ، ومنهم من أنكر بعض علامات النبوة ودلائلها ، كانشقاق القمر، متمسكين بأن الأجرام العلوية لا يتهبأ فيها الانخراق والالتئام، مع أن انشقاق القمر ثابت شرعاً ، كما أنها ترد على بعض الفرق المبتدعة ممن ينكرون السنة النبوية، ولا يرون العمل بها»^(٣).

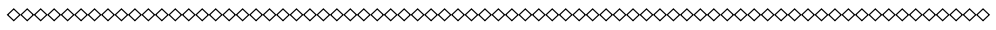
ربط حاضر الأمة بماضيها ، واستحضار واقع أصالتها ، واستلهام القوة الفكرية ، والدعوية ، والعلمية ، من كنوز تاريخها ، وجهود علمائها ، ومواطن العزة والكرامة والنصر عبر مراحل سيادتها وازدهارها ، ليكون ذلك منارة وهداية للأجيال أثناء تلقيهم العلم في المدارس والجامعات والمساجد ، وبهذا تبقى سنة رسول الله ﷺ حاضرة بيننا مهما كان العهد قديماً .

تكوين مادة علمية صحيحة ، دسمة وكافية ، مشتملة على تفسيرات منطقية وسليمة عن دلائل النبوة وعلاماتها ، وذلك عندما نربط النصوص بالأبحاث العلمية ، وندلل عليها من الواقع العلمي المعاصر ، أو الأحداث المعاصرة ، لتكون حافزاً وباعثاً أكثر عمقاً وفهماً للإيمان والتصديق ، لا سيما عند المتقنين والمتعلمين ، فهم أكثر الناس حاجة للدليل والبرهان. وحتى لا نضع أحاديث

(١) انظر : المعجزات النبوية التي ظهرت في زماننا في ضوء السنة النبوية ، د عبد المهدي عبد القادر ، رابطة الشبكة العالمية لدراسة الحديث ، «إحسان» .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ثوبان ، حديث رقم ٢٢٤٥٠ ، وأبو داود في سننه ، حديث رقم ٤٢٩٧ ، مرجع سابق ، والحديث صحيح .

(٣) المعجزات النبوية التي ظهرت في زماننا في ضوء السنة النبوية ، د عبد المهدي عبد القادر ، مرجع سابق .



الرسول ﷺ في موضع نقد وتشكيك لدى ضعاف الإيمان أو المتربصين بالإسلام.
إن وجود مادة علمية منقحة وموثقة عن دلائل النبوة وعلاماتها ، من قبل الباحثين وأصحاب
الاختصاص، تساعد المدرسين ، والمحاضرين في الجامعات والمؤسسات العلمية ،
وأئمة المساجد، والوعاظ والدعاة، وهم يمارسون دعوتهم وتعليمهم ، ولكي يكونوا في مأمن من
الأحاديث الضعيفة، والقصص التي لا أصل لها ، فبهذا نكون أداة حفظ وحماية للسنة .

الخاتمة : في نهاية هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية :

علامات النبوة ودلائلها ، تعني شيئاً واحداً .
هناك فرق بين دلائل النبوة وعلاماتها ، وبين المعجزات .
حصلت للنبي ﷺ دلائل وعلامات قبل الولادة ، وبعد الولادة وهو غلام ، وكذلك قبل البعثة .
حصلت للنبي ﷺ دلائل وعلامات في مكة قبل الهجرة .
حصلت للنبي ﷺ دلائل وعلامات في طريقه إلى المدينة إبان الهجرة ، وفي المدينة بعد
الهجرة .
كتب السنّة والسيرة المطهرة مليئة بالأحاديث الصحيحة التي تصنّف دلائل وعلامات نبوة.
مما يغني عن الضعيفة والموضوعة .
لدلائل النبوة وعلاماتها أثر إيجابي كبير اليوم ، سواء على مستوى التعليم المدرسي ، أو
الجامعي، أو المجتمع بشكل عام، أو حتى غير المسلمين في إطار الدعوة إلى الإسلام ، وتعريف
الناس بحقيقة الإسلام ، وأنه دين الحق لكل زمان ومكان .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .
آداب الشافعي ومناقبه ، عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تحقيق عبد الغني
عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط ١/ ٢٠٠٣ م ،
الأحاديث المختارة ،محمد بن عبد الواحد المقدسي ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، مكتبة
النهضة الحديث، مكة المكرمة، ط ١/ ١٤١٠ هـ .
الإعجاز في السنّة / أنهار الربع الخالي ، عبد الدائم الكحيل، موسوعة الإعجاز العلمي في
القرآن الكريم .

- تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق إبراهيم التريزي ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، ط ١/ ٢٠٠٠ م .
- تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى ، محمد عبدالرحمن المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تحفة المودود بأحكام المولود ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق عثمان ضميرية ، وما بعدها ، دار عالم الفوائد .
- تفسير ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ
- تقريب التهذيب ، أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، ط ١/ ١٩٨٦ م .
- التوشيح شرح الجامع الصحيح ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق رضوان جامع رضوان ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط ١/ ١٩٩٨ م .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق علي بن حسن بن ناصر ورفيقاه ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢/ ١٩٩٩ م .
- حلية الأولياء ، أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤/ ١٤٠٥ هـ .
- الدلائل المحمدية الواقعة في مدينة طابة النبوة ، لولوة بنت راشد الورثان ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ، مجلد ٤ ، العدد ٢٣ .
- دلائل النبوة ، أحمد بن الحسين البيهقي ، ت عبد المعطي قلنجي ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، ط ١/ ١٩٨٨ م .
- دلائل النبوة ، إسماعيل بن محمد الأصبهاني ، تحقيق محمد الحداد ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١/ ١٤٠٩ هـ .
- دلائل النبوة ، د. منقذ بن محمود السقار ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- الرسل والرسالات ، د. عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ودار النفائس ، ط ٤/ ١٩٨٩ م .
- الروض الأنف ، عبدالرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق مجدي الشوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١/ .
- سنن الترمذى ، محمد بن عيسى الترمذى ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث ، بيروت .

- شرح النووي على مسلم ، يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ٢ / ١٣٩٢ هـ
شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، ط ١ / ١٤١٠ هـ .
- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق د . مصطفى البغا ، دار ابن كثير ،
بيروت ، ط ٢ / ١٩٨٧ م .
- صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان البستي ، ت شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
ط ٢ / ١٩٩٣ م
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء
التراث ، بيروت .
- عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً ، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ،
جمال عبد المنعم الكومي ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب
الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ط / ١٣٧٩ هـ .
- فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط ١٠ /
١٩٩١ م .
- كتاب النبوات ، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان ،
أضواء السلف ، ط ١ / ٢٠٠٠ م .
- كشف الخفاء ، إسماعيل بن محمد العجلوني ، تحقيق أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت .
- لواعب الأنوار البهية ، محمد بن أحمد السفاريني ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، ١٩٨٢ م .
- متى تنفخ الروح في الجنين ، د . شرف القضاة ، دار الفرقان ، عمان ، ط ١ / ١٩٩٠ م .
- مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، بيروت ١٤٠٧ هـ .
- المستدرک على الصحيحين ، محمد بن عبد الله النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر
عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ / ١٩٩٠ م .
- مسند أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، مصر .



مسند الشاميين ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١/١٩٨٤م .

مصنف ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط١/١٤٠٩هـ .

المعجزات النبوية التي ظهرت في زماننا في ضوء السنة النبوية ، د عبد المهدي عبد القادر، رابطة الشبكة العالمية لدراسة الحديث ، «إحسان».

معجم التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة.
من مصادر السيرة النبوية : كتب دلائل النبوة ، أحمد بن محمد فكير / كلية الآداب / أكادير،
موقع : الأجرى ، تاريخ ٢٦/٦/٢٠١١

نفخ الروح في الجنين ، بين إعجاز القرآن والسنة ، وبين الدراسات الطبية الحديثة ، د.
محمد علي الشوكي، جامعة الأزهر ، مجلة كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية، العدد
٣٩ . مجلد ١ ، ٢٠٢٠.

أ. د. زكريا صبحي زين الدين

تحري الصحابة عن دلائل النبوة في الأخبار الغيبية الواقعة في زمانهم

دراسة موضوعية تأصيلية

**The Companions investigation of the evidence for
prophecy in the unseen news of their time**
authentic objective study

ملخص البحث

يوضح هذا البحث صنيع الصحابة رضي الله عنهم في تحريهم عن دلائل النبوة في الأخبار الغيبية التي وقعت في زمانهم؛ في أربعة مباحث قسمت على أساس موضوع التحري وزمنه، فكان المبحث الأول عن تحري الصحابة عن دلائل النبوة في أخبار غيبية وقعت في زمن النبي ﷺ، وكان المبحث الثاني حول تحريهم عن دلائل النبوة في أخبار الفتن الواقعة في زمانهم، وكان المبحث الثالث عن تحريهم عن دلائل النبوة في أخبار التبشير بالفتوحات الواقعة في زمانهم، وكان المبحث الرابع حول تحريهم عن دلائل النبوة في أخبار لأعيان مخصوصين وقعت في زمانهم، وسجل البحث نتائج هامة أبرزها؛ إثبات دلائل النبوة في وقوع الأخبار الغيبية كما أخبر بها صلى الله عليه وسلم، وأن صنيع العديد من الصحابة في تحريهم عن وقوعها يؤصل للمسلمين تحريهم عن وقوع الأخبار الغيبية المستقبلية في أزمنتهم، على أن يلتزموا ضوابط تنزيل الأحاديث الغيبية على الواقع؛ والتي أبرزها أن تكون الأحاديث صالحة للاحتجاج، وأن يقع الأمر مطابقا للخبر النبوي، والتزام الدقة في ألفاظ الجزم من عدمها.

الكلمات المفتاحية: دلائل النبوة - الأخبار الغيبية - الصحابة - تأصيلية - موضوعية.

Abstract

This research explains the behavior of the Companions, may God be pleased with them, in their investigation of the evidence of prophethood in the unseen news that occurred in their time; In four sections divided on the basis of the subject of investigation and its time, the first topic was about the companions' investigation of evidence of prophecy in metaphysical news



that occurred in the time of the Prophet PBUH, and the second topic was about their investigation of evidence of prophecy in the news of the seditions that occurred in their time, and the third topic was about their investigation of evidence Prophecy in the news of the good news of the conquests that occurred in their time, and the fourth topic was about their investigation of the evidence of prophecy in the news of particular notables that occurred in their time. The research recorded important results, most notably; Proving the evidence of prophethood in the occurrence of unseen news as he was told by him, peace be upon him, and that the behavior of many companions in their investigation of their occurrence leads Muslims to investigate the occurrence of future unseen news in their times, provided that they adhere to the controls of considering unseen hadiths to reality; The most prominent of which is that the hadiths are valid for protest, and that the matter is in accordance with the prophetic news, and the commitment to accuracy in the words of assertiveness or not.

Keywords: Evidence of prophecy - metaphysical news - companions - authenticity - objective.

مقدمة :

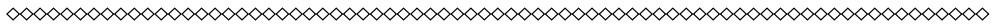
إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، والصلاة والسلام على سيد وخير الأنام، أما بعد .

لقد أيد الله عز وجل أنبياءه ورسله بالمعجزات الدالة على رسالتهم ونبوتهم، ولقد تميز كل نبي بمعجزة أو ببعض معجزات، ومعظم هذه المعجزات كانت مادية حسية، بينما كان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الدالة على نبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن كثيرًا من المعجزات الحسية والمادية كانت في حياة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المعجزات النبوية الدالة على نبوته؛ إخباره صلى الله عليه وسلم بأخبار غيبية لا يمكنه معرفتها إلا عن طريق الوحي، والأخبار الغيبية منها أخبار عن الماضي الذي لم يشهده النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها أخبار تتحدث عن وقوعها في المستقبل سواء كان المستقبل القريب أو البعيد، ووقوع هذه الأخبار كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزة دالة على نبوته، وإثبات ذلك يحتاج إلى تحررٍ وتنزيل الخبر الغيبي المستقبلي على الواقع لإثبات المعجزة ودلالة النبوة فيها، وحيث أن الأخبار الغيبية كثيرة ومتنوعة في موضوعها، وفي زمن وقوعها؛ فهي تشمل سائر الأزمان،

فكانت فكرة هذا البحث بجمع الأحاديث الدالة على تحري الصحابة رضي الله عنهم عن وقوع هذه الأخبار النبوية الغيبية المستقبلية في حياتهم وزمانهم كما وصفها النبي ﷺ، وباستنباط منهجهم وضوابط تنزيلهم لهذه الأحاديث الغيبية على واقعهم، واستدلالهم بهذا التحري والتنزيل للأحاديث على زمانهم على صدق نبوة ورسالة النبي محمد ﷺ.

أهمية الموضوع وأسباب الاختيار: تتلخص أهمية الموضوع وأسباب اختياره في الأمور التالية:

- ١- كون الموضوع على نهج علماء الحديث الذين صنفوا في دلائل وأعلام النبوة.
 - ٢- الموضوع أحد موضوعات السيرة النبوية من حيث إثبات دلائل النبوة.
 - ٣- الموضوع يكشف صنيع ومنهج أفضل من فهم الإسلام وطبقوه وهم الصحابة رضي الله عنهم.
 - ٤- اعتبار الدراسة موضوعية على نهج وسمت الحديث الموضوعي، وتأصيلية تؤصل لتنزيل الأحاديث الغيبية على الواقع المعاصر.
 - ٥- إضافة مؤلف للمكتبة الحديثية يخدم الدراسة الموضوعية والتأصيلية، وعلم السيرة النبوية، وسيرة ومنهج الصحابة، وأحد أفرع علم العقيدة في معرفة الأخبار الغيبية.
 - ٦- تلبية ومشاركة في المؤتمر الدولي الرابع والموسوم بدلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ضوء القرآن والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه، وخدمته للمحور الخامس من المؤتمر في إعجاز السنة في الإخبار عن أمور غيبية.
- أهداف البحث: تتلخص أهداف البحث فيما يلي:
- ١- إبراز دلائل النبوة من خلال إثبات وقوع الأخبار الغيبية المستقبلية مطابقة للوصف النبوي.
 - ٢- بيان جهود الصحابة رضي الله عنهم في تحري وإثبات الأخبار الغيبية الواقعة في زمانهم.
 - ٣- استنباط منهج الصحابة في التحري عن الأخبار الغيبية وضوابط تنزيلها على واقعهم.
 - ٤- خدمة علم دلائل النبوة، والسيرة النبوية، وسيرة الصحابة، والعقائد، والتأصيل، وعلوم السنة وخاصة الحديث الموضوعي.
 - ٥- توضيح سعة السنة النبوية ومصنفاتها ودور علمائها في إثبات دلائل النبوة



مشكلة البحث: يجيب هذا البحث عن إشكاليات الدراسة والتي تتمثل في الآتي:

١- هل بمقدور السنة ومصنفاتها بيان جهود الصحابة في تحريمهم عن وقوع الأخبار الغيبية في زمانهم؟

٢- ما مدى جواز تنزيل الأحاديث الغيبية على الواقع؟

٣- ما هو منهج الصحابة في إثبات دلائل النبوة من خلال تنزيل الأحاديث الغيبية على واقعهم؟ وما هي ضوابط هذا التنزيل؟

منهج البحث: يتمثل منهج البحث في الأمور التالية:

١- استخدام المنهج الاستقرائي الجزئي في جمع الأحاديث الدالة على موضوع وفكرة البحث.

٢- استخدام المنهج الاستنباطي التحليلي في فهم النصوص وبيان دلالتها سواء كانت ظاهرة أو خافية.

٣- الالتزام بمنهج الحديث الموضوعي في تصنيف وتبويب الأحاديث وتشكيل خطة البحث، وصياغة البحث بالتقديم للمباحث والمطالب، والتقديم للحديث والتعليق عليه، وسبك البحث في حلة متناسقة يحقق أهداف البحث، ويبرز أهميته، ويجيب على إشكاليات الدراسة.

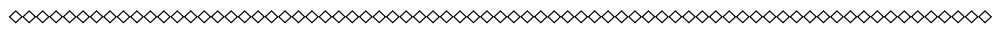
٤- الاستدلال بالأحاديث المقبولة فقط وتوثيقها، وبيان حكم العلماء والنقاد على أسانيدها إذا كانت من غير الصحيحين.

الدراسات السابقة:

لم أعر على دراسة تجمع جهود الصحابة في التحري عن دلائل النبوة وإثباتها من خلال الأخبار الغيبية المستقبلية، فالبحث غير مسبق، ولكن هناك دراسات ذات علاقة بالموضوع وتتمثل في الآتي:

١- دلائل النبوة الغيبية المستقبلية في السنة النبوية: دراسة تأصيلية، لزينب إسماعيل أحمد مباركي، وهو بحث منشور في المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، ج٤/ ٢٢٤، سنة ٢٠٢٠م.

٢- دلائل النبوة فيما تحقق من الأخبار عن غيب المستقبل في الكتاب والسنة: دراسة عقدية، لعبد الله بن علي الجودة، وهو بحث منشور في مجلة المدونة بالهند، مج٥/٢٠٤، ١٩، سنة ٢٠١٩. خطة البحث وتقسيم الموضوع: يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.



المقدمة: وتشمل كلاماً تمهيدياً عن فكرة الموضوع، ثم أهميته وأسباب اختياره، ثم أهداف البحث، ثم مشكلته، ثم منهجه، ثم الدراسات السابقة، ثم تقسيم الموضوع وخطة البحث. المبحث الأول: تحري الصحابة عن دلائل النبوة في أخبار غيبية وقعت في زمن النبوة؛ وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تحري أنس بن مالك عن خبر مصارع قتلى بدر.

المطلب الثاني: تحري أبي هريرة رضي الله عنه في خبر عودة السارق في قصته مع الشيطان.

المطلب الثالث: تحري علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خبر الرسالة في قصة حاطب.

المطلب الرابع: تحري أكنم بن أبي الجون رضي الله عنه عن قتل نفسه.

المبحث الثاني: تحري الصحابة رضي الله عنهم عن دلائل النبوة في أخبار الفتن الواقعة في زمانهم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن الواقعة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المطلب الثاني: تحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن الواقعة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المطلب الثالث: تحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن الواقعة في الخلافة الأموية.

المبحث الثالث: تحري الصحابة عن دلائل النبوة في أخبار التبشير بالفتوحات الواقعة في زمانهم؛ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحري عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عن خبر فتح كنوز كسرى وتحقق الأمن.

المطلب الثاني: تحري أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن خبر فتح مصر.

المطلب الثالث: تحري أنس بن مالك رضي الله عنه عن خبر ركوب البحر في الغزو.

المبحث الرابع: تحري الصحابة رضي الله عنهم عن دلائل النبوة في أخبار أعيان مخصوصين واقعة في زمانهم؛ وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تحري زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنهم عن الأنماط تكون لهم.

المطلب الثاني: تحري عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أخبار النبي ﷺ في شأن أويس القرني، والشهيدة أم ورقة.

المطلب الثالث: تحري أبي ذري الغفاري وزوجته رضي الله عنهما خبر من يموت بفلاة.

المطلب الرابع: تحري أبي هريرة وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن أخبار فكرية وسلوكية.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

تحري الصحابة عن دلائل النبوة في أخبار غيبية وقعت في زمن النبوة

لقد أخبر النبي ﷺ أخباراً غيبية ستحدث في المستقبل، وقد تحقق وقوعها في زمنه ﷺ، مما يدل على نبوته ﷺ، ولقد شهد الصحابة رضي الله عنهم هذه الأخبار، بل وتحروا عن وقوعها، ونطقوا بصدق النبي ﷺ، وهذه الأخبار كثيرة في كتب السنة والسيرة، وهذا المبحث يعرض في أربعة مطالب: تحري كل من أنس بن مالك رضي الله عنه عن مصارع قتلي بدر، وتحري أبي هريرة رضي الله عنه خير النبي ﷺ في عودة الشيطان لسرقة أبي هريرة، وتحري علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الرسالة التي أرسلها حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لأهل مكة، وتحري أكنم بن أبي الجون رضي الله عنه عن قتل نفسه.

المطلب الأول: تحري أنس بن مالك رضي الله عنه عن خبر مصارع قتلي بدر

يتضح تحري أنس بن مالك رضي الله عنه في حديثه عن غزوة بدر، والذي جاء فيه: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا مُصْرَعُ فُلَانٍ»، قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ «هَاهُنَا، هَاهُنَا»، قَالَ: «فَمَا مَاطَ (١) أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (٢).

والحديث فيه معجزة من أعلام النبوة وهي: إخباره ﷺ بمصرع جبارتهم، فلم يجاوز أحد منهم مصرعه الذي حدّه له النبي ﷺ (٣).

أما تحري أنس رضي الله عنه فواضح من قوله في الحديث: «فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

(١) أي ما مال ولا تباعد (منة المنعم في شرح صحيح مسلم: للمباركفوري (٢٠٦/٣)).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، (١٤٠٤/٣)، رقم: ١٧٧٩.

(٣) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج؛ للأثويبي (١٤١/٣١).

المطلب الثاني:

تحري أبي هريرة رضي الله عنه في خبر عودة السارق في قصته مع الشيطان

لقد أخبر النبي ﷺ أبا هريرة عن عودة السارق للسرقة في قصته مع الشيطان الذي تمثل في صورة رجل يسرق من طعام الزكاة، وهذا الخبر النبوي لأبي هريرة خبر غيبي مستقبلي، وإيماناً من أبي هريرة بصدق النبي ﷺ تحرى وقوعه وعوده السارق، وقد جاء ذلك فيما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: وَكُنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٌ فَجَعَلَ يَحْتُمُ مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتَهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتَهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْتُمُ مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتَهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتَهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتَهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتَهُ الثَّلَاثَةَ، فَجَاءَ يَحْتُمُ مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتَهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنْتَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تَصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يَعْلَمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوْلَاهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تَصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تَخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ» (١).

قال ابن حجر: «في الحديث من الفوائد، منها: اطلاع النبي ﷺ على المغيبات» (٢).

ويتضح تحري أبي هريرة رضي الله عنه في قوله في الحديث: «فعرفت أنه سيعود لقول

(١) صحيح البخاري كتاب الوكالة - باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً، فأجازه الموكل فهو جائز، ح (٢٣١١).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٠٢/٦).

رسول الله ﷺ إنه سيعود فرصدته». فقد تتبع الخبر الغيبي عن النبي ﷺ من أجل أن يتحقق ذلك واقعاً.

المطلب الثالث: تحري علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خبر الرسالة في قصة حاطب

كلف النبي ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه؛ بأن يأتي برسالة أرسلها الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى قريش سراً مع امرأة، وعلم النبي ﷺ بأمر هذه الرسالة عن طريق الوحي، فيعتبر هذا الخبر الغيبي معجزة نبوية تدل على صدق نبوته، وقام علي رضي الله عنه ومن معه في المهمة بالتحري عن الرسالة رغم انكار المرأة، وقاموا بتهديدها بتجريدتها من الثياب إن لم تخرج الرسالة، وذلك لتصديقهم خبر النبي صلى الله عليه وسلم الغيبي، وتفاصيل هذه المهمة فيما أخرجه البخاري من حديث علي رضي الله عنه، قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا مَرْثَدَ الْغَنَوِيِّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَكُلْنَا فَارِسَ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ (١)، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ» فَادْرَكْنَاهَا تَسِيرٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: الْكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنْخَأَهَا (٢) فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَتُخْرَجَنَّ الْكِتَابُ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهَوَتْ إِلَى حُجْرَتِهَا (٣)، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتْهُ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعَنِي فَلَاضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ» قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَن أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَن أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا» فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعَنِي فَلَاضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: «لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ (٤).

قال ابن حجر: «في الحديث من أعلام النبوة إطلاع الله نبيه ﷺ على قصة حاطب مع المرأة» (٥).

(١) موضع بين الحرمين، ويقال له روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة (معجم البلدان: للحموي (٢/ ٢٢٥)).
 (٢) (نوخ) كلمة واحدة، وهي أنخت الجمل، فقالوا: أنخته فبرك، والمعنى جعلنا الجمل الذي تركبه ببرك. (انظر: معجم مقاييس اللغة (٢٦٨/٥)).
 (٣) أصلُ الحُجْزَةِ: مَوْضِعُ شَدِّ الإِزَارِ، ثُمَّ قِيلَ لِلإِزَارِ حُجْزَةٌ لِلْمُجَاوِرَةِ (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٢٤٤)).
 (٤) صحيح البخاري كتاب المغازي. باب فضل من شهد بدرًا، (٥/ ٧٧-٧٨) رقم: ٣٩٨٣.
 (٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (٢٠٩/١٦).

ويظهر تحري علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخبر الغيبي للنبي ﷺ بشأن الكتاب الذي بجوزة المرأة من خلال قوله في الحديث: «فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ: «فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْرَتِهَا، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتْهُ».

المطلب الرابع: تحري أكتم بن أبي الجون رضي الله عنه عمّن قتل نفسه.

يسمع الصحابي الجليل أكتم بن أبي الجون النبي ﷺ يخبر عن رجل أنه من أهل النار، رغم شدة بلائه في القتال أثناء المعركة، فيصر على أن يصاحب هذا الرجل ويتحرى عن كيفية موته، ليجده قتل نفسه، وتفاصيل الحكاية أخرجها البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: التقي النبي ﷺ والمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدْعُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً^(١) إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضْرِبَهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالُوا: أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: لِاتَّبِعْنَهُ، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ، حَتَّى جُرْحٌ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوُضِعَ نَصَابٌ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، وَذُبَابُهُ^(٢) بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ». فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣)

«فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: لِاتَّبِعْنَهُ...» وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَكْتَمُ بْنُ أَبِي الْجَوْنِ كَمَا سَيُظْهِرُ مِنْ سِيَاقِ حَدِيثِهِ^(٤)

وَفِي الْحَدِيثِ إِخْبَارُهُ ﷺ بِالْمَغِيْبَاتِ وَذَلِكَ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَفِيهِ جَوَازُ إِعْلَامِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ بِفَضِيلَةٍ تَكُونُ فِيهِ^(٥). وصنيع الصحابي الجليل أكتم بن أبي الجون رضي الله عنه دليل صريح على تحريه وتعرفه كيف سيكون الرجل من أهل النار، رغم أنه أبلى بلاء حسناً في

(١) قَوْلُهُ: «شَاذَةٌ وَلَا فَاذَةٌ» الشَّاذَّةُ بِتَشْدِيدِ الْمُجْمَعَةِ مَا انْفَرَدَ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَبِإِنْفَاءِ مِثْلِهِ مَا لَمْ يَخْتَلَطْ بِهِمْ، ثُمَّ هُمَا صِفَةٌ لِمَحْدُوفِ أَيْ نُسْمَةٍ وَالْهَاءُ فِيهِمَا لِلْمَبَالِغَةِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَلْقَى شَيْئًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالشَّاذِّ وَالْفَاذِّ مَا كَبُرَ وَصَغُرَ، وَقِيلَ الشَّاذُّ الْخَارِجُ وَالْفَاذُّ الْمُنْفَرِدُ، وَقِيلَ هُمَا بِمَعْنَى وَقِيلَ الثَّانِي إِتْبَاعُ (المرجع السابق (٧/ ٤٧٢))

(٢) نصاب السيف مقبضه، فكانه وضع حديدة المقبض على الأرض، وطرف السيف المدبب في تجويف صدره بين ثديه (فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين (١/ ٣٦٨))

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزو خيبر، (٥/ ١٣٤) رقم: ٤٢٠٧.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (٧/ ٤٧٢)، وحديثه أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٦) رقم: ٨٧٢. وقد حسن إسناده كل من الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٢٣٢)، والهيتمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٢١٤)، وابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٥٩).

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (٧/ ٤٧٤)

القتال، فهو رضي الله عنه تحرى وراقب حتى عرف ثم ذهب ليجدد تصديقه وشهادته أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله.

المبحث الثاني: تحري الصحابة رضي الله عنهم عن دلائل النبوة في أخبار الفتن الواقعة في زمانهم

أحاديث الفتن في السنة النبوية تشغل مساحة ليست بالهينة، وجل المصنفات الحديثية التي صنفت على طريقة الأبواب، فيها كتاب خاص بالفتن، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما كان ممن اختص بأحاديث الفتن، وهذه الأخبار النبوية عن الفتن منها ما وقع كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في زمن الصحابة الذي بدأ بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وامتد إلى زمن الخلافة الأموية، وهذا المبحث يتعرض لتحري الصحابة رضي الله عنهم عن وقوع هذه الفتن التي سمعوا أخبارها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعاصروا وشاهدوا وقوعها كما وصف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعرض ذلك في ثلاثة مطالب؛ حيث يظهر المطلب الأول؛ تحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن التي وقعت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما يبين المطلب الثاني؛ تحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن الواقعة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وفي المطلب الثالث؛ بيان لتحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن الواقعة في الخلافة الأموية.

المطلب الأول: تحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن الواقعة في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

في هذا المطلب وفي حوار دار بين عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان في جمع من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، يتضح التحري عن وقوع الفتن؛ فقد أخرج البخاري حديث حذيفة، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حَذِيفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ، إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ، وَلَكِنَّ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مَغْلَقٌ، قَالَ: يَفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يَكْسِرُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ يَكْسِرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يَفْلُقَ، قُلْنَا: عَلِمَ عُمَرُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدِ اللَّيْلَةِ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنْ الْبَابُ؟، قَالَ: عُمَرُ ^(١).

وهذا الحديث من «علامات النبوة؛ لإخباره فيها عمّا لا يقع فوقه كما قال» ^(٢).

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (١٩٦/٤) حديث رقم: ٣٥٨٦.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٦٠٧/٦)

قال ابن حجر: «حَدِيثُ حُذَيْفَةَ وَهَلَمْ جَرًّا يَتَعَلَّقُ بِإِخْبَارِهِ ﷺ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي بَعْدَهُ فَوَقَعَتْ عَلَى وَفْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ وَالْيَسِيرُ مِنْهَا وَقَعَ فِي زَمَانِهِ»^(١)

وسؤال عمر وجواب حذيفة والحوار الذي دار بينه، ثم استفسار الصحابة هل علم عمر من الباب؟ كله يدل على تحري الصحابة رضي الله عنهم عن وقوع الأخبار الغيبية المستقبلية في زمانهم.

المطلب الثاني: تحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن الواقعة في خلافة علي

ابن أبي طالب رضي الله عنه

في زمن علي تتسع الفتن وتكاثر؛ فكان في خلافته فتنة الخوارج والجمل ومقتله رضي الله عنه، وتكثر أحاديث النبي ﷺ في الفتن التي وقعت في زمن خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا المطلب يوضح عدة أحاديث توضح تحري علي بن أبي طالب في خبر نبوي عن الخوارج، وتحري عائشة رضي الله عنها عن خبر النبي ﷺ في خبر نباح كلاب الحوآب^(٢)، وجزم علي رضي الله عنه بعدم موته في مرضه الذي ظن أنه سيموت فيه لما سمعه من النبي ﷺ عن كيفية موته بالقتل والشهادة.

أما تحريه رضي الله عنه في خبر الخوارج فقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، آتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدَلْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدَلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخُسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدَلْ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَذُنُّ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَّهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْكُمُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ»^(٣)، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٤)، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوْجَدُ

(١) المرجع السابق.

(٢) الحوآب: موضع بئر من مياه العرب على طريق البصرة، والحوآب والعتاب والحزير: جبال سود أظنها في ديار عوف ابن عبد بن أبي بكر بن كلاب أخي قريط بن عبد، وقيل: سمي الحوآب بالحوآب بنت كلب بن وبرة، وهي أم تميم (انظر: معجم البلدان (٢/ ٢١٤)).

(٣) «التراقي»: جمع تَرْقُوءَ، وهي عظام أعالي الصدر، وهي العظم الذي بين ثَغْرَةِ النَّخْرِ والعتاق من الجانبين، والمعنى لا يجاوز حناجرهم ليصل إلى قلوبهم، فليس حظهم منه إلا مروره على ألسنتهم، وهو كناية عن عدم الفهم (انظر: البحر المحيط النجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، للأثيوبي (١٦/ ٥٢٢)).

(٤) (يمرقون منه) أي يخرجون من القرآن وسبيله ويتعدون حدوده ولا يعملون به، (كما يمرق) ويخرج (السهم من الرمية) أي من الصيد المرمي أي يمرقون منه مروقًا كمروق السهم من الرمية وهي الدابة المرمية في الصيد. (انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٤٣)). (كما يمرق) ويخرج (السهم من الرمية) أي من الصيد المرمي أي يمرقون منه مروقًا

اللَّهُ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ» (١).

قال النووي: «إنما استحلّفه ليؤكد الأمر عند السامعين، ولتظهر معجزة النبي ﷺ، وأنَّ

عليًا رضي الله

عنه ومن معه على الحق» (٢).

وأخرج أبو يعلى من طريق أبي كثير، مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتل أهل النهر فقال علي رضي الله عنه: «يا أيها الناس إن نبي الله ﷺ قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فلا يرجعون فيه حتى يرجع السهم على قومه، وآية ذلك أن فيهم رجلاً مخدج اليد، إحدى يديه كئدي المرأة لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، إن بها سبع هلبات» (٣) فالتمسوه، فإني أراه فيهم، فالتمسوه فوجدوه على شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه فكبر علي وقال: الله أكبر صدق الله ورسوله، وآية ذلك منقلد قوساً له عربية فأخذها بيده، ثم جعل يطعن بها في مخدجته ويقول: الله أكبر صدق الله ورسوله، صدق الله ورسوله، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون» (٤).

أما تحري أم المؤمنين عن وقوع الخبر النبوي في نباح كلاب الحوآب على إحدى نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان ذلك في معركة الجمل، وقد رجعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما وقع ما أخبر عنه النبي ﷺ فقد أخرج الإمام أحمد من طريق قيس بن أبي حازم، أن عائشة، قالت: لما أتت على الحوآب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «أيتكن تبج عليها كلاب الحوآب؟»، فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس» (٥).

وفي حديث ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لئنسائه: لئن شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب (٦)، تخرج كلاب حوآب، فيقتل عن يمينها، وعن يسارها قتلاً كثيراً، ثم تنجو بعد ما كادت (٧).

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، (٢/٧٤٨) رقم: ١٠٦٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٢/٧).

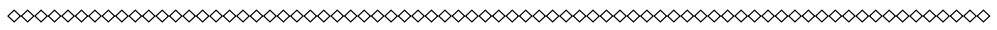
(٣) أي شعرات، أو خصلات من الشعر، وأحدثها: هلبة. والهلب: الشعر. وقيل: هو ما غلط من شعر الذئب وغيره (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/٢٦٩)).

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي، (١/٢٧٢)، رقم: ٤٧٨. وقال محقق الكتاب حسين سليم أسد: «إسناده حسن».

(٥) مسند أحمد (٤١/١٩٧) رقم: ٢٤٦٥٤.

(٦) أراد الأدب فأظهر الإدغام لأجل الحوآب. والأدب: الكثير وبر الوجه (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٩٦)).

(٧) مسند البزار (١١/٧٣)، رقم: ٤٧٧٧، وقال ابن حجر: «رجاله ثقات» (فتح الباري ١٣/٥٥)، وقال الألباني: «السند صحيح» (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/٨٥٢)).



وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يمرض مرضاً لا يخاف فيه أن يموت؛ كما تخوف عليه الآخرون لما أخبره النبي ﷺ عن تفاصيل استشهاده، وتحراه في مرضه فلم يجدها فعن زيد بن أسلم، أن أبا سنان الدؤلي حدثه، أنه عاد علياً رضي الله عنه في شكوى له أشكاها، قال: فقلت له: لقد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه، فقال: لكني والله ما تخوفت على نفسي منه، لأنني سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق، يقول: «إنك ستضرب ضربة هاهنا وضربة هاهنا - وأشار إلى صدغيه - فيسيل دمه حتى تختضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقراً الناقة أشقى ثمود» (١)

وفي الحديث نجد علياً بن أبي طالب رضي الله عنه بين لأصحابه أنه لا يتخوف من أن يهلكه المرض، لأنه عرف من الرسول ﷺ أنه سيموت قتلاً على يد أشقى قومه. والحديث يبين إنزال علي رضي الله عنه الخبر النبوي الغيبي المستقبلي على واقعه، فنفي عنه عدم الهلاك بأي مرض؛ لأجل حديث القتل الذي سمعه من النبي الكريم ﷺ، كما ويتضح التصديق المطلق من علي رضي الله عنه بما سمعه من النبي ﷺ، وأن الموت سيقع بالكيفية التي وصفها عليه السلام.

المطلب الثالث:

تحري الصحابة رضي الله عنهم عن أخبار الفتن الواقعة في الخلافة الأموية

هذا المطلب يوضح تحري أسماء بنت أبي بكر في شأن الكذاب والمببر من تقيف، وكذلك تحري أبي أمامة الباهلي في مقتل الخوارج كلاب أهل النار.

أما تحري أسماء رضي الله عنها كان لما أسرف الحجاج في القتل وقتل ابنها عبد الله بن الزبير، وصلبه، ثم أرادها أن تأتيه فأبت عزيزة صلبة، فاضطر أن يذهب إليها ودار بينهما حوار جريء أسكته وأفحمته، وتفاصيل الحكاية أخرجها مسلم من طريق أبي نوفل، رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة، قال: فجعلت فريش تمر عليه، والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه فقال: السلام عليك، أبا حبيب السلام عليك أبا حبيب عليك أبا حبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت، ما علمت، صواماً، قواماً، ووصولاً للرحم، أما والله لآمة أنت أشرها لآمة

(١) المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ١٢٢/٢ حديث رقم: ٤٥٩٠. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. وقال الهيثمي: «إسناده حسن» (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٣٧/٩)، وقال الألباني: «حسن في الشواهد» (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ٧٩/٣).

خَيْرٌ، ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفَ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ عَنْ جَدِّعِهِ، فَأَلْقَى فِي قُبُورِ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ: لَتَأْتِيَنِي أَوْ لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ، قَالَ: فَأَبَتْ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي، قَالَ: فَقَالَ: أَرُونِي سَبْتِي فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ^(١)، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِي صَنَعْتُ بَعْدَ اللَّهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَّغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ أَنَا، وَاللَّهِ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَا الْآخَرُ فَنَطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَعْفِنِي عَنْهُ، أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا، «أَنَّ فِي تَقْيِيفِ كَذَابًا وَمُيْبِرًا» فَأَمَّا الْكَذَابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُيْبِرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ، قَالَ: فَصَامَ عَنْهَا وَلَمْ يَرَا جَعْمَهَا^(٢).

قال النووي: «المببر» المهلك، وقولها في الكذاب «فرأيناه» تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب ومن أقبحه ادعى أن جبريل عليه السلام يأتيه، واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمببر الحجاج بن يوسف والله أعلم^(٣).

وقول أسماء رضي الله عنها يبين لنا ضابطاً مهماً في تنزيل الأحاديث الغيبية على الواقع؛ وهو أنه إذا لم يستكمل الأمر أوصافه وكان محتملاً لهذا الحدث وغيره فلا نقطع به، وأنه يجوز التنزيل على سبيل الظن، فقالت للحجاج: «فأما الكذاب فرأيناه، وأما المببر فلا إخالك إلا إياه»، فزارها جزم في الأول ولم تجزم في الثاني^(٤).

وأبو أمانة الباهلي رضي الله عنه تحرى خبر النبي ﷺ الغيبي المستقبلي في شأن كلاب النار وأنزله على واقع الأزارقة^(٥) من الخوارج لما رأى رؤوسهم منصوبة على درج دمشق فقد أخرج الترمذي من طريق أبي غالب^(٦)، قال: رأى أبو أمانة رؤوساً منصوبة على درج دمشق، فقال

(١) التَّوَدَّفُ: مُقَارَبَةُ الْخَطِّوِ وَالنَّجْحُ فِي الْمَشْيِ. وَقِيلَ: الْإِسْرَاعُ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٧١/٥)).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب ذكر كذابٍ مُيْبِرٍهَا (١٩٧١/٤) رقم: ٢٥٤٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٠/١٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ (٨٠/٢)، رقم: ١٢٨٩.

(٥) الْأَزَارِقَةُ مِنَ الْخَوَارِجِ نُسِبُوا إِلَى نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ (تحفة الأحوذى (٢٨٠/٨))، وتم قتلهم سنة ثنتين وسبعين في وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاف، مكثوا نحواً من ثمانين شهر متواقفين، وجرت بينهم حروب يطول بسطها، وقد استقصاها ابن جرير، وقتل في أثناء ذلك من هذه المدة مصعب بن الزبير، ثم إن عبد الملك أقر المهلب بن أبي صفرة على الأهواز وما معها، وشكر سعيه وأثنى عليه ثناءً كثيراً (انظر: البداية والنهاية (٢٢٤/٨))، وفي رواية لأحمد: «جاء برؤوس من قبل العراق فنصبت عند باب المسجد، وجاء أبو أمانة فدخل المسجد فركع ركعتين...» (مسند أحمد (٤٧٠/٣٦) رقم: ٢٢١٥١، وقال الأرئوط: «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن»).

(٦) اسمه: سعيد بن الخزور، صاحب أبي أمانة الباهلي. (الطبقات الكبرى لابن سعد (١٧٧/٧)).

الغفاري رضي الله عنه عن خبر فتح مصر. وفي المطلب الثالث بيان لتحري أنس بن مالك رضي الله عنه عن خبر ركوب البحر في الغزو.

المطلب الأول:

تحري عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عن خبر فتح كنوز كسرى وتحقق الأمان

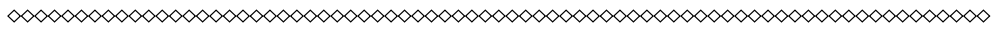
لقد عاش المسلمون سنوات خوف ومحنة وفقر، وكان النبي ﷺ يبعث على التفاؤل ويبشر الصحابة بتبدل الأحوال وباستبدال الخوف أمنًا، والمحنة نصرًا، والفقر غنى، وكان الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، ممن سمع مثل هذه البشارات، ولقد تحرى عدي بن حاتم عن وقوعها في الزمن الذي عاش فيه؛ ويتضح هذا فيما أخرج البخاري من حديث عدي بن حاتم، قال: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِي، هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ^(١)؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أَنْبَأْتُ عَنْهَا، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الطَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَارُ طَيْئِ^(٢) الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ -، وَلَتُنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كَسْرَى»، قُلْتُ: كَسْرَى بَنَ هُرْمَزَ؟ قَالَ: «كَسْرَى بَنَ هُرْمَزَ، وَلَتُنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مَلَأَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْفَيْنَ اللَّهُ أَحَدَكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتَرَجَّمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغُكَ؟ فَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرَنَّ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرَنَّ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ» قَالَ عَدِي: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقْمَةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقْمَةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةِ طَيْبَةٍ» قَالَ عَدِي: «فَرَأَيْتَ الطَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتَ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كَسْرَى بَنِ هُرْمَزَ وَلَتُنَّ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرُونَنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: يُخْرِجُ مَلَأَ كَفِّهِ»^(٣).

لقد أخبر النبي ﷺ عن أمور مستقبلية، فوفقت كما أخبر بها قبل وقوعها، وأكد ذلك الصحابي الجليل عدي بن حاتم رضي الله عنه، وأنزل الحديث على الواقع. فالحديث من أعلام النبوة الدالة على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم.

(١) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النَّجْفُ زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، وبالبحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام (معجم البلدان، للحموي ٢٢٨/٢).

(٢) قوله: (دُعَارُ طَيْئِ): الدعار جمع داعر، وهو الشاطر الخبيث المنفسد، والمراد قُطَاعُ الطَّرِيقِ، وطَيْئٌ قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز، وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جواز (فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٢٧٥/٨).

(٣) صحيح البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (١٩٨-١٩٧/٤) رقم: ٣٥٩٥.



وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فلا يجد أحدا يقبله منه» أي لعدم الفقراء في ذلك الزمان، هناك من قال: إن ذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز وبذلك جزم البيهقي وأخرج في «الدلائل» من طريق يعقوب بن سفيان بسنده إلى عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال «إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرا، ألا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده، قد أغنى عمر الناس» قال البيهقي: فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم^(١).

ولا شك في رجحان هذا الاحتمال على الأول (أنه زمن عيسى) لقوله في الحديث «ولئن طال بك حياة». «والذي نفسي بيده لتكون الثالثة» لأن النبي ﷺ قد قالها» وقد وقع ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به عدي^(٢).

وتتضح من خلال حديث عدي رضي الله عنه، ضوابط تنزيل الحديث الغيبي على الواقع، والتي تتمثل بشهود الأمر مطابقا للحديث، وبالدقة المتناهية حيث شهد عدي بأمرين من أمور ثلاثة، أما الثالث فلم يره لكنه أكد تصديق وقوعه كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: تحري أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن خبر فتح مصر.

لقد بشر النبي ﷺ بفتح المسلمين لأرض مصر، وسمع ذلك منه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، ولقد شهد أبو ذر فتح مصر ووجد صدق ما قال النبي ﷺ فقد أخرج مسلم أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَبْرَاطُ^(٣)، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا^(٤)، أَوْ قَالَ «ذِمَّةٌ وَصَهْرًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ، فَأَخْرُجْ مِنْهَا». قَالَ: «فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ شَرْحَبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعٍ لَبَنَةٍ فَخَرَجْتُ مِنْهَا»^(٥).

قال النووي: «وَفِيهِ مُعْجَزَاتٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا: إِخْبَارُهُ بِأَنَّ الْأُمَّةَ تَكُونُ لَهُمْ قُوَّةٌ وَشَوْكَةٌ بَعْدَهُ بِحَيْثُ يَقْهَرُونَ الْعَجَمَ وَالْجَبَابِرَةَ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَمِنْهَا

(١) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، (٢٢٣/٦).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٦١٢/٦).

(٣) القبراط: جزء من أجزاء الدينار، (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤٢/٤)).

(٤) مَعْنَى قَوْلِهِ (فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا): أَي أَنَّ هَاجِرَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ قِبْطِيَّةً مِنْ أَهْلِ مِصْرَ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، لِابْنِ الْأَثِيرِ (٤٢/٤).

(٥) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي بأهل مصر، (١٩٧٠/٤) رقم: ٢٥٤٣.

تَنَازُعُ الرَّجُلَيْنِ فِي مَوْضِعِ اللَّبْنَةِ، وَوَقَعَ كُلُّ ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»^(١)

وقوله: فإذا رأيتم رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فاخرج منها (يعني بذلك: كثرة أهلها، ومشاحتهم في أرضها، واشتغالهم بالزراعة والغرس عن الجهاد، وإظهار الدين، ولذلك أمره بالخروج منها إلى مواضع الجهاد، ويحتمل أن يكون ذلك لأن الناس إذا ازدحموا على الأرض، وتنافسوا في ذلك كثرت خصومتهم وشروورهم، وفشا فيهم البخل والشر، فيتعين الفرار من محل يكون كذلك، إن وجد محلاً آخر خلياً عن ذلك، وهيهات كان هذا في الصدر الأول، وأما اليوم، فوجود ذلك في غاية البعد، إذ في كل واد بنو سعد. واللبنة: الطوية، وتجمع لبن. وفيه من الفقه: الأمر بالرفق بأهل أرياف مصر، وصعيدها، والإحسان إليهم، وخصوصاً أهل تينك القريتين، لما ذكر من تينك الخصوصيتين»^(٢).

المطلب الثالث:

تحري أنس بن مالك رضي الله عنه عن خبر ركوب البحر في الغزو

يبشر النبي ﷺ أم حرام رضي الله عنها بأن أمته ستركب البحر في غزوها وفتحها للبلاد ونشر الإسلام، كما ويبشرها أنها ستكون معهم في ركوبها البحر، ويروي أنس بن مالك هذا الحديث ويتحرى وقوعه كما وصف النبي ﷺ، فقد أخرج البخاري حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَةِ مَلْحَانَ فَاتَكَأَ عِنْدَهَا، ثُمَّ ضَحَكَ فَقَالَتْ لِمَ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرَكِبُونَ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ»^(٣) فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِثْلَهُمْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ» فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ»، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مِنْهُمْ»، ثُمَّ عَادَ فَضَحَكَ، فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ»، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَلَسْتَ مِنَ الْآخِرِينَ». قَالَ أَنَسٌ: «فَتَزَوَّجَتْ عِبَادَةَ بَنَ الصَّامِتِ؛ فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ مَعَ بِنْتِ فَرْطَةَ فَلَمَّا قَفَلَتْ، رَكِبَتْ ذَابْتَهَا فَوَقَصَتْ بِهَا فَسَقَطَتْ عَنْهَا فَمَاتَتْ»^(٤).

وقوله: (فركبت البحر في زمن معاوية)؛ ظاهره: في زمان خلافة معاوية. وقال به بعض أهل التاريخ. والأشهر من أقوالهم: إن ذلك إنما كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفيها

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٩٧/١٦).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: للقرطبي (٥٠١/٦).

(٣) «الأخضر» صفة لازمة للبحر، لا مخصصة، ويحتمل أن تكون مخصصة، لأن البحر يطلق على الملح والعذب، فجاء لفظ «الأخضر» لتخصيص الملح بالمراد، والماء في الأصل لا لون له، وإنما تنعكس الخضرة من انعكاس الهواء وسائر مقابلاته إليه، وقيل: إن الذي يقابله السماء، وقد أطلقوا عليها الخضراء، لحديث «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء» والعرب تطلق الأخضر على كل لون ليس بأبيض ولا أحمر. (انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين (٥٨٠/٧))

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب مَنْ أَنْتَظَرَ حَتَّى تُدْفَنَ، (٣٣/٤)، رقم: ٢٨٧٨.

كان معاوية قد غزا قبرص سنة ثمان وعشرين، ومعه زوجته فاخنة بنت قرظلة من بني عبد مناف، قاله خليفة بن خياط وغيره. وفيها ركبت أم حرام البحر مع زوجها إلى قبرص، وبها توفيت حين صرعتها دابتها، ودفنت بها. وفيه دليل: على صحة نبوة النبي ﷺ، وعلى صدقه، فإنه قد وقع ما أخبر عنه من الغيب على نحو ما أخبر عنه^(١).

المبحث الرابع:

تحري الصحابة رضي الله عنهم عن دلائل النبوة في أخبار أعيان مخصوصين واقعة في زمانهم

وأخبار النبي ﷺ الغيبية المستقبلية شملت أخبارًا خاصة لأعيان، وقد وقعت هذه الأخبار كما وصفها النبي ﷺ، وهذا المبحث يوضح تحري الصحابة رضي الله عنهم عن وقوع هذه الأخبار، وذلك حينما شاهدوا وقوعها مطابقة لما سمعوه من النبي ﷺ، وفي هذا المبحث بيان لتحري زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنهم عن خبر الأنماط تكون لهم؛ وذلك في المطلب الأول، وفي المطلب الثاني؛ بيان تحري عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم في شأن أويس القرني، والشهيدة أم ورقة، وفي المطلب الثالث بيان تحري أبي ذر الغفاري وزوجته رضي الله عنهما خبر النبي فيمن يموت بفلاة، وفي المطلب الرابع بيان لتحري كل من أبي هريرة وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما في أخبار فكرية وسلوكية.

المطلب الأول: تحري زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنهم عن الأنماط تكون لهم

فقد أخرج البخاري حديث جابر رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْمَاطٍ^(٢)؟» قُلْتُ: وَأَنْتَى يَكُونُ لَنَا الْأَنْمَاطُ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكُمْ الْأَنْمَاطُ» فَأَنَا أَقُولُ لَهَا - يَعْنِي امْرَأَتَهُ^(٣) - أَخْرَجِي عَنِّي أَنْمَاطَكَ، فَتَقُولُ: أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ الْأَنْمَاطُ» فَادْعُهَا^(٤).

قال القرطبي: «وقول رسول الله ﷺ: (أما إنها ستكون) دلالة من دلائل صدقه، فإنها إخبار عن غيب، وجدت كما أخبر عنه»^(٥).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي (٢/ ٧٥٤)

(٢) أنماط: هي ضربٌ من البسط له حمل رقيق، واحدا: نَمَطٌ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١١٩/٥)).

(٣) امرأة جابر سُهَيْمَةُ بنت مسعود بن أوس الظَفْرِيَّة، بايعت، وولدت لجابر بن عبد الله عبد الرحمن (البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٢٤/ ٦٧٠))

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠٥) رقم: ٣٦٣١.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي (٥/ ٤٠٣)

وقول امرأة جابر رضي الله عنهما: (أما إنها ستكون): «هو استدلالٌ بتقرير النبي ﷺ على اتِّخاذ الأنماط؛ لأنَّه لما أُخبر: بأنها ستكون، ولم ينه عن اتِّخاذها؛ دلَّ ذلك على جواز الاتِّخاذ»^(١).

وقول امرأة جابر هذا، وقبول جابر لقولها الواضح من قوله: فأدعها، يدل على تحريمها رضي الله عنهما وقوع البشارة لهما من النبي صلى الله عليه وسلم كما أُخبر.

المطلب الثاني: تحري عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أخبار النبي ﷺ في شأن أويس القرني، والشهيدة أم ورقة

أخبر النبي ﷺ عن رجل يماني يدعى أويس صالح ورغب صحابته أن يلقوه ويستغفر لهم، ولقد تحرى عمر رضي الله عنه وبحث عنه حتى وجده واستغفر له، أخرج الحكاية مسلم من طريق أسير بن جابر، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُويُسَ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُويُسٌ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»^(٢)

فيه فضيلة أويس القرني، ومعجزة للنبي ﷺ، واستحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح، وإن كان الطالب أفضل منهم، وفيه أن أويس أفضل التابعين، ولا يتعارض هذا مع قول أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، إذ مرادهم أن سعيد بن المسيب أفضل في العلوم الشرعية، وأويس أفضل في الصلاح والصلة بالله^(٣).

والحديث واضح الدلالة على تحري عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الخبر النبوي الغيبي المستقبلي، وتحقق وقوعه كما وصف النبي ﷺ.

ولقد تحرى رضي الله عنه ما بشر به النبي ﷺ أم ورقة رضي الله عنها بالشهادة، وشهد شهادتها في خلافته، بل استدل على الحكاية بصدق النبي ﷺ فقد أخرج ابن راهويه حديث أمِّ وَرَقَةَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَتْ قَدْ جَمَعَتِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ غَزَا بَدْرًا قَالَتْ لَهُ: أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ أَدَاوِي جَرْحَاكُمْ وَأَمْرَضَ مَرْضَاكُمْ، لَعَلَّ أَنْ تَهْدِيَ لِي شَهَادَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ مَهْدٌ لَكَ شَهَادَةٌ»، فَكَانَ يُسَمِّيهَا الشَّهِيدَةَ، وَكَانَ أَمْرَهَا أَنْ تُؤْمَّ أَهْلَ دَارِهَا، فَكَانَ لَهَا مُؤَدِّنٌ، فَكَانَتْ تُؤْمُّ أَهْلَ دَارِهَا حَتَّى غَمَّتْهَا جَارِيَةٌ لَهَا وَغُلَامٌ لَهَا، كَانَتْ قَدْ

(١) المرجع السابق (٤٠٤ / ٥)

(٢) صحيح مسلم، كتاب المناقب، باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه، (٤ / ١٦٨)، رقم: ٢٥٤٢.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين (٩ / ٥٩٥).

دَبَّرْتَهُمَا^(١) فَقَتَلَاهَا فِي إِمَارَةِ عُمَرَ، فَقِيلَ إِنَّ أُمَّ وَرَقَةَ قَتَلَتْهَا غُلَامُهَا وَجَارِيَتُهَا، فَقَامَ عُمَرُ فِي النَّاسِ فَقَالَ: إِنَّ أُمَّ وَرَقَةَ غَمَّتْهَا جَارِيَتُهَا وَغُلَامُهَا حَتَّى قَتَلَاهَا، وَإِنَّهُمَا هَرَبَا، فَأَتَى بِهِمَا، فَصَلَبَهُمَا، فَكَانَا أَوَّلَ مَصْلُوبَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «انْطَلِقُوا بِنَا نَزُورُ الشَّهِيدَةَ»^(٢).

المطلب الثالث: تحري أبي ذر الغفاري وزوجته رضي الله عنهما خبر من يموت بفلاة

لقد أخبر النبي ﷺ لنفر من الصحابة فيهم أبو ذر رضي الله عنه عن موت رجل منهم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، ولقد تحرى أبو ذر رضي الله عنه وقوع هذا الخبر فيه لما مات جميع من كان معه في سماعه للخبر الغيبي ولم يتحقق فيهم، بل طمأن زوجته وأذهب حزنها وحملها على تحري وصول عصابة المؤمنين ليكفونوه، فقد أخرج ابن حبان حديثاً أم ذر، قالت: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍّ الْوَفَاةُ بَكَيْتُ، فَقَالَ: مَا بِيَكِيكَ؟ فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوتُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُكَ كَفْنَا، وَلَا يَدَانِ لِي فِي تَغْيِيكِ، قَالَ: أَبْشِرِي وَلَا تَبْكِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَمُوتُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مُسْلِمِينَ وَلِدَانٍ أَوْ ثَلَاثٍ، فَيَصْبِرَانِ وَيَحْتَسِبَانِ فَيَرِيَانِ النَّارَ أَبَدًا»، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَمَّا فِيهِمْ: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدَ مَاتَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ، فَأَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَاللَّهُ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، فَأَبْصِرِي الطَّرِيقَ، فَقُلْتُ: أَنَى وَقَدَ ذَهَبَتِ الْحَاجُّ وَتَقَطَّعَتِ الطُّرُقُ، فَقَالَ: اذْهَبِي فِتْبَصْرِي، قَالَتْ: فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إِلَى الْكُتَيْبِ أَنْبَصِرُ، ثُمَّ أَرَجَعُ فَأَمْرُضُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ وَأَنَا كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِرَجَالٍ عَلَى رَحْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ الرَّحْمُ تَخَبُّ بِهِمْ رَوَاحِلَهُمْ، قَالَتْ: فَاسْرِعُوا إِلَيَّ حِينَ وَقَفُوا عَلَيَّ، فَقَالُوا: يَا أُمَّةَ اللَّهِ، مَا لَكَ؟ قُلْتُ: أَمْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُوتُ فَتَكْفُونُوهُ؟ قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَتْ: أَبُو ذَرٍّ، قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَفَدَوْهُ بِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، وَاسْرِعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَبْشِرُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَمَّا فِيهِمْ: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَشْهَدُهُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدَ هَلَكَ فِي جَمَاعَةٍ، فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ إِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُنِي كَفْنَا لِي أَوْ لَأَمْرَأَتِي، لَمْ أَكْفَسَنَّ إِلَّا فِي ثَوْبٍ هَوَّلِي أَوْ لَهَا، إِنِّي أَشْدُّكُمْ اللَّهُ أَنْ لَا يَكْفِنَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيبًا، فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدَ قَارَفَ بَعْضٌ مَا، قَالَ لِإِهْتِي مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ:

(١) دَبَّرْتُ الْعَبْدَ إِذَا عَلَقْتَ عَقَبَهُ بِمَوْتِكَ، وَهُوَ التَّدْبِيرُ: أَيُّ أَنَّهُ يَعْتَقُ بَعْدَ مَا يُدَبِّرُهُ سَيِّدُهُ وَيَمُوتُ (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٩٨/٢)).

(٢) مسند إسحاق بن راهويه (٢٣٥/٥) رقم: ٢٣٨١، قال الألباني: «إسناده حسن» (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥٤٨/٦)).

أَنَا أَكْفَنُكَ يَا عَمُّ، أَكْفَنُكَ فِي رِدَائِي هَذَا، وَفِي تَوْبِينِي فِي عَيْبَتِي مِنْ غَزَلِ أُمِّي، قَالَ: أَنْتَ فَكْفَنْتَنِي، فَكْفَنَهُ الْأَنْصَارِيُّ فِي النَّفْرِ الَّذِينَ حَضَرُوا، وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي نَفْرِ كُلِّهِمْ يَمَانٍ^(١).

يتضح من خلال الحديث أن أبا ذر رضي الله عنه أنزل الحديث على نفسه؛ عندما تأكد أن جميع الحاضرين عند النبي ﷺ وقت ما قال الحديث قد ماتوا بين أهلهم، ولم يبق إلا هو، فعلم أنه المقصود من حديث النبي ﷺ، وكذلك يدل على مشاركة زوجته أم ذر رضي الله عنها في التحري والتصديق فقد ذهبت تتحري وصول عصابة المؤمنين.

المطلب الرابع:

تحري أبي هريرة وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن أخبار فكرية وسلوكية

وأخبار النبي ﷺ المستقبلية تناولت انحراف الفكر والاعتقاد، والسلوك، ففي هذا المطلب بيان لتحري أبي هريرة رضي الله عنه لخبر نبوي مستقبلي في انحراف الفكر والمعتقد، وكذلك تحري عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لخبر نبوي في السلوك.

أما تحري أبي هريرة في خبر انحراف الفكر فيتضح فيما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟» قَالَ: «وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ، فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّلَاثُ»، أَوْ قَالَ: «سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي»^(٢).

قوله: (قَالَ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ) فاعل «قال» ضمير أبي هريرة - رضي الله عنه -، وجملة «وهو آخذ... الخ» في محل نصب على الحال، أي حال كونه آخذاً بيد رجل، وقوله: (فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ) أي فيما أوحاه إلى رسوله ﷺ بما سيكون في أمته بعده من هذه التساؤلات، وقوله: (وَرَسُولُهُ) أي وصدق رسوله ﷺ فيما أخبر به من المغيبات،

فوقع كما أخبر به؛ لأنه وحي من الله تعالى^(٣).

قال العراقي: «وَفِيهِ الْإِخْبَارُ عَنْ مَغِيبٍ قَدْ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ»^(٤).

أما ابن مسعود فقد تحرى وقوع خبر النبي ﷺ في سلوك رجل في إلقاءه التحية لما وجد وصف النبي ﷺ تطابق مع سلوكه، فقد أخرج الإمام أحمد من طريق الأسود بن يزيد، قَالَ:

(١) صحيح ابن حبان، ابن حبان، ذَكَرَ الْإِخْبَارَ عَنْ وَصْفِ مَوْتِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، (٦٠ / ١٥) رقم الحديث ٦٦٧١. وقال الأرنؤوط: «إسناده جيد».

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (١٢٠ / ١) رقم: ١٣٥.

(٣) البحر المحيط النجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٦٤٧ / ٣).

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي (١٦٥ / ٨)

أَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَثْنَا نَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا رَكَعَ النَّاسُ، رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَكَعْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ نَمْشِي، فَمَرَّ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ رَاكِعٌ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، سَأَلَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لِمَ قَلَّتْ حِينَ سَلَّمَ عَلَيْكَ الرَّجُلُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِذَا كَانَتِ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ»^(١).

والظاهر ان هذه الواقعة كانت قبل النهى عن المشى في الصلاة والكلام فيها، ومعناه لا يسلم الرجل الا على من يعرفه^(٢).

وفي الحديث نجد أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه استهجن أن يسلم الرجل على شخص بعينه، خلافاً لما أمرنا به ديننا الحنيف من أن نسلم على من نعرف ومن لم نعرف، قال ﷺ: لما سأله رجل أي الإسلام خير؟ قال: «تَطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٣).

وقد أنزل ابن مسعود رضي الله عنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يذكر فيه أن من أشراط الساعة أن تكون التحية للمعارف فقط على سلوك ذلك الشخص الوارد في الحديث، وضابط التنزيل هو حدوث الموقف مطابقاً بدقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم، وعبر ابن مسعود رضي الله عنه عن إيمانه بصدق كلامه صلى الله عليه وسلم بقوله: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

الخاتمة

تم البحث بفضل الله ومنته، ويسجل في هذه الخاتمة أبرز النتائج، وأهم التوصيات.

أولاً: النتائج:

تتمثل أبرز النتائج في الأمور التالية:

١- للصحابة رضي الله عنهم جهود واضحة في التحري عن دلائل النبوة وإثباتها عن طريق التحقق من وقوع الأخبار الغيبية في زمانهم.

٢- تنوعت هذه الجهود في موضوعها وزمانها فمنها ما كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما كان في أخبار الفتن سواء ما كان منها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنها ما كان في خلافة علي رضي الله عنه، ومنها ما كان في الخلافة الأموية، ومنها ما كان في

(١) مسند أحمد، ١٧٩/٦ حديث رقم: ٢٦٦٤. قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(٢) بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، للساعاتي (٧١/٢٢٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، ١٢/١ حديث رقم: ١٢.

التبشير والفتوحات، ومنها ما كان في أعيان مخصوصين.

٣- كذلك تنوعت هذه الجهود من العديد من الصحابة رضي الله عنهم مما يمثل منهجًا بارزًا في جهودهم.

٤- جل أحاديث البحث علق عليها شراح الأحاديث في مصنفاتهم بأنها أخبار غيبية وقعت كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم، وعدوها من معجزات ودلائل النبوة.

٥- جواز التحري عن وقوع الأخبار الغيبية الواقعة في الزمن المعاصر، وكذلك تنزيل هذه الأحاديث على الواقع، ويعتبر هذا الأمر سيرا على نهج الصحابة، فجهود الصحابة رضي الله عنهم في هذا البحث كافية لتأصيل هذا الأمر.

٦- يستنبط من تحري الصحابة وجهودهم في تنزيل الأحاديث الغيبية على واقعهم أهم الضوابط الملزمة عند تنزيل الأحاديث الغيبية على الواقع المعاصر؛ وهي أن يقع الأمر مطابقا للخبر النبوي، والتزام الدقة في ألفاظ الجزم من عدمها، يضاف إليها أن يكون الحديث مقبولا صالح للاحتجاج حيث أنها من باب العقائد التي لا يقبل فيها ضعف الأحاديث، وكذلك عموم ضوابط فهم السنة.

ثانياً: التوصيات:

وتتمثل بالأمور التالية:

١- التوسع في الكتابة والتأليف في الموضوع حيث أن الأحاديث في هذا البحث على سبيل الذكر لا الحصر، فالسنة زاخرة بالأحاديث التي تكفي لتكون أطروحة ماجستير.

٢- الكتابة والتأليف على مستوى بحوث المجالات، وأطروحة الماجستير والدكتوراه، في الأحاديث الغيبية الواقعة في الزمن المعاصر، لبيان دلائل ومعجزات النبوة فيها، فالسنة زاخرة بمثل هذه الأحاديث التي تشمل كافة جوانب الحياة.

٣- تعليم المسلمين هذه الدلائل والمعجزات كأحد مواضيع السيرة والسنة النبوية، وهي مادة دسمة للوعظ والخطابة والمحاضرة، وتمثل منهجًا تربويًا يمكن استنباط الكثير من الفوائد التربوية، والقضايا العقدية، والأحكام الشرعية.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأحاديث المختارة، وهو: المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري

ومسلم في صحيحهما، الضياء، محمد بن عبد الواحد، أبو عبد الله المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ٣، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر؛ أحمد بن علي بن محمد، أبو الفضل العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/ ١١٨٦ م)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ م.

٤- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر العتكي (ت: ٥٢٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، و مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (١٤٠٩هـ- ١٩٨٨ م).

٥- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، ط ١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

٦- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م.

٧- بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، وهو مطبوع مع الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (١٣٧٨هـ)، ط ٢، دار إحياء التراث العربي.

٨- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوِجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين أبو عبد الرحمن الألباني، ط ١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢ م.

١٠- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، وماجة اسم أبيه يزيد، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠٩٩ م.

١١- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥ م.

- ۱۲- شرح النووي على صحيح مسلم المسمى؛ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي؛ أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٢٩ م.
- ١٣- صحيح ابن حبان، المعروف بالإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، محمد بن حبان أبو حاتم، التميمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ١٤- صحيح البخاري المسمى بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، البخاري؛ محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ٢٠٠١ م.
- ١٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.
- ١٦- صحيح مسلم؛ المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٧- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠ م.
- ١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرين، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ١٩- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين؛ موسى شاهين لاشين، ط، دار الشروق، ٢٠٠٢ م.
- ٢٠- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمى: الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، محمد الأمين بن عبد الله الأزمي الهَرَرِي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، ط، دار المنهاج - دار طوق النجاة، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٩ م.
- ٢١- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي (ت: ٩٨٦هـ)، ط، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧ م.
- ٢٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، أبو الحسن (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤ م.

د. أحمد إبراهيم الحاج

أستاذ علوم الحديث المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

أكاديمية الإمام البخاري الدولية

المكتب التمثيلي للجامعة الإسلامية بمينسوتا / لبنان

من دلائل النبوة في القرآن والسنة

ملخص البحث:

تناول البحث بيان جملة من دلائل نبوة محمد ﷺ، من خلال بيان إعجاز وبلاغة وفصاحة القرآن الذي أنزل على النبي محمد ﷺ، بحيث يعجز مخلوق عن الإتيان بمثل آياته، وبيان ما أخبر به القرآن من أخبار الغيب الماضي والمستقبل مما لا يعلمه رسول الله ﷺ إلا بما أعلمه ربه تبارك وتعالى، وذكر عدد من مواضع الإعجاز العلمي في القرآن التي ثبتت عند أهل العلم والاختصاص. ثم بيان فصاحة وبلاغة النبي ﷺ وجوامع كلمه، وما أخبر به من أنباء وأحداث الغيب الماضي والمستقبل، مما لم يكن يعلمه بنفسه، مع ذكر عدد من مواضع الإعجاز العلمي في الأحاديث التي أخبر عنها النبي ﷺ، وشهد البحث العلمي والواقع العملي بصدقها ووقوعها. كل هذا البيان لمعرفة كيفية التعامل مع نبوة محمد ﷺ، وتأكيد ضرورة تصديقه والإيمان به، واتباعه، نظراً لما يصيب البعض من الشك أو الجحود والإنكار، وصولاً إلى سوء الأدب والطعن ومحاولة النيل من شخص ومكانة النبي محمد ﷺ.

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وأهمها: حث المسلمين على الاهتمام بعرض سيرة النبي ﷺ وأحاديثه ومدارسها والبحث فيها دائماً، وأن لا يقتصر ذلك عند ردات الفعل على بعض التصرفات الحمقاء، والمواقف الخرقاء. ثم دعوة العقلاء من غير المسلمين إلى التعرف على شخصية النبي محمد ﷺ من المصادر الإسلامية للوصول إلى الإنصاف والكف عن النيل والأذى، إن لم يحصل الإيمان به والاتباع له.

الكلمات المفتاحية: محمد ﷺ - القرآن - السنة - الحديث - دلائل - النبوة.

Research summary:

The research dealt with a statement of a number of signs of Muhammad's prophecy, through a statement of miracles, eloquence and rhetoric of the Qur'an that was revealed to the Prophet Muhammad, So that a creature can't come up with his verses, and the statement of what the Qur'an told of the news of the past and the future unseen from what the Messenger of God doesn't know except what his Lord has taught him, blessed and exalted, and mentioning a number of places of scientific miracle in the Qur'an that were proven by the scholars and specialists. Then a statement of the eloquence and rhetoric of the Prophet and his "Jawami-al-Kalim" (the shortest expression with the widest meaning), and what he told of the news and events of the past and the future unseen, from what he didn't know for himself, with mentioning a number of places of scientific miracle in the hadiths that the Prophet told about, Scientific research and practical reality witnessed its sincerity and occurrence. All this statement to learn how to deal with the prophecy of Muhammad, and to emphasize the need to believe him and believe in him, and follow him, due to the suspicion or ingratitude and denial that afflicts some people, down to bad manners and stabbing and trying to undermine the person and status of the Prophet Muhammad.

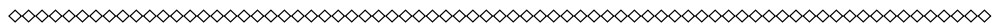
The research concluded with a set of findings and recommendations, the most important of which are: urging Muslims to pay attention to the presentation of the prophet's biography, hadiths, and always studying them and researching in them, and not only in reactions to some foolish behaviors, and clumsy attitudes. Then inviting non-Muslim reasonable people to identify the prophet Muhammad's personality from Islamic sources to reach fairness and stop compromising harming, if faith and follow him does not happen.

Keywords: Muhammad - Qur'an - Sunnah - Hadith - Proofs - Prophecy.

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: بعث الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ برسالة الحق، وأمره بتبليغ هذه الرسالة، فإذا بالمشركين يعاندونه ويحاربونه، ويؤذونه ويعترضون عليه، ويحذرون الناس منه، ويفترون عليه،



لا بد لنا أن نعرف سيرة وحياة وشمائل هذا النبي الكريم ﷺ، وأن نؤكد دلائل نبوته ﷺ التي لا تخفى إلا على كل حاقد معاند، أعمى البصر والبصيرة، حتى نحقق إيماننا بهذه النبوة، ونعرف قدر ومكانة نبينا محمد ﷺ، ويعلم أعداء الإسلام صدق نبوة محمد رسول الله ﷺ.

ضمن عناية واهتمام أكاديمية الإمام البخاري بنشر العلوم، وترسيخ المفاهيم، ووضع البرامج في مواجهة التحديات، عقدت المؤتمر الرابع بعنوان: (دلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء القرآن والسنة، وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه)، غايته إبراز وإظهار مكانة النبي ﷺ، وبيان صدق نبوته، والدفاع عنه ونصرته... وكان لي شرف المشاركة في هذا المؤتمر من خلال تقديم هذا البحث ضمن المحور الثاني من محاور المؤتمر: (علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية).

وتظهر أهمية البحث في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

١- الوقوف على مكانة ومنزلة النبي محمد ﷺ، وتأکید صدق نبوته، لدعوة الناس إلى اتّباعه، والسّير على نهجه.

٢- المساعدة على معرفة عوامل ووسائل المواجهة في الحرب المعلنة على الإسلام من أغبياء الغرب وأتباعهم، الحاقدين على هذا الدين، وهذه الرسالة.

٣- الدعوة إلى التزام الوسطية والاعتدال في مواجهة الحملات المسعورة التي تُحاول النيل من ديننا الحنيف، ونبينا محمد ﷺ، لضبط الآثار السلبية الناتجة عن ذلك، للعمل على الحذر منها، وصولاً إلى حماية الأفراد، وحفظ واستقرار المجتمع، وصيانة الأمة.

وقد جعلت هذا البحث بعنوان: (من دلائل النبوة في القرآن والسنة)، فكان في مقدمة ومبحثين، في كل منهما ثلاثة مطالب، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتحتوي على الاستفتاحية، وسبب وأهمية البحث، وبيان خطته ومنهجه.

المبحث الأول: دلائل النبوة من القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إعجاز وبلاغة وفصاحة القرآن الكريم.

المطلب الثاني: إخبار الغيب الماضي والمستقبل.

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دلائل النبوة من الأحاديث النبوية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البلاغة والفصاحة وجوامع الكلم.

المطلب الثاني: إخبار الغيب الماضي والمستقبل.

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي في الحديث النبوي.

الخاتمة: وتحتوي على خلاصة موجزة عن أهم نقاط البحث، وعدد من التوصيات والمقترحات.

مع تقديم خالص الشكر والعرفان بالفضل لكل من أقام ورعى وشارك في هذا المؤتمر وبذل فيه جهداً، وساهم في إنجاحه، ووصله إلى غايته.

أسأل الله سبحانه وتعالى الإخلاص في القول والعمل، والسداد ومعرفة الحق واتباع الهدى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: دلائل النبوة من القرآن الكريم

أرسل الله تعالى رسوله عليهم السلام إلى أقوامهم، وأيدهم بالمعجزات التي تدل على صدقهم، وكانت معجزة كل رسول من جنس ما نبغت به أمته واشتهرت، فموسى عليه السلام كانت من معجزاته العصا التي انقلبت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون لأنهم كانوا أهل سحر. وعيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، وقد كان قومه أهل طب، ومحمد رسول الله ﷺ أيده الله بالقرآن الكريم، فقد كان قومه أهل فصاحة وبلاغة وبيان.

إن معجزات الأنبياء عليهم السلام كانت آنية يراها الناس في زمانهم، فيؤمن من آمن، ويكفر من كفر، وتزول المعجزة ويبقى خبرها، لكن معجزة النبي ﷺ الباقية هي القرآن الكريم، الذي تميز بالبقاء مع الزمن، فكان برهاناً ساطعاً على صدق النبوة إلى يوم القيامة. ويمكن لنا أن نستدل على أن القرآن وحي من الله، ودليل على صدق نبوة النبي ﷺ من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: إعجاز وبلاغة وفصاحة القرآن الكريم

القرآن هو كلام الله عز وجل، غير مخلوق، المنزل وحياً من الله على محمد رسول الله ﷺ، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

لقد وصف الله القرآن بالعديد من الأوصاف فقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ (البروج: ٢١). وقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٧). وقال: ﴿وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ﴾ (يس: ٢).

أنزل الله عز وجل القرآن الكريم ليكون دستور هذه الأمة، ومنهج حياتها، وفيه الخير للبشرية كلها:

فالقرآن هداية وبُشْرَى: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيرًا آية ﴿ (الإسراء: ٩) . وقال: ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان خيرًا ﴾ (البقرة: ١٨٥) .

والقرآن شفاء ورحمة: قال الله تعالى: ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢) .

والقرآن مُنذر: قال الله تعالى: ﴿ وأوحى إلى هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ يؤمنون ﴾ (الأنعام: ١٩) .

والقرآن عظة وعبرة: قال الله تعالى: ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ (ق: ٤٥) . وقال: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ (القمر: ١٧) .

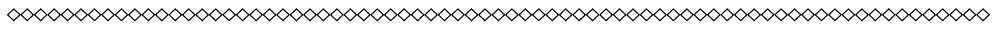
والقرآن جامع لكل شيء: قال الله تعالى: ﴿ ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فآبى أكثر الناس إلا كفورًا ﴾ (الإسراء: ٨٩) .

والقرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحرّيف: قال الله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر: ٩) .

والقرآن مُعجز، لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، ولقد أنزل القرآن إلى قوم فصحاء بلغاء، ونزل بلغتهم، قال تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون ﴾ (يوسف: ٢) . وقد تحدّاهم الله أن يأتيوا بمثله فقال: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨) . لكنهم عجزوا. ثم تحدّاهم أن يأتوا بعشر سور فقال: ﴿ أم يقولون اقتربه قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفترّياتٍ وأدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صديقين ﴾ (هود: ١٣) . لكنهم ما استطاعوا. ثم تحدّاهم أن يأتوا بسورة واحدة فقال: ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صديقين ﴾ (البقرة: ٢٣) لكنهم خابوا وخسروا.

نفى الله عز وجل أن يكون هذا القرآن شعرًا أو كهانة فقال تعالى: ﴿ إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٠-٤٣) .

قال البيهقي رحمه الله: (والمقصود من تلك الآية تكذيب المشركين فيما كانوا يزعمون من وضع النبي ﷺ هذا القرآن، ثم قد أخبر الله عز وجل أنه هو الذي نزل به الروح الأمين عليه



السَّلامَ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ جِبْرِيْلَ نَزَلَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ... وَالْإِعْجَازُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا يَقَعُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَتَنْظُمُ حُرُوفِهِ وَدَلَالَاتِهِ فِي عَيْنِ كَلَامِهِ الْقَدِيمِ، وَلَمَّا كَانَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ عَاجِزَيْنِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ أَيْضًا عَاجِزُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ لِأَنَّهُ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ نُظُومِ كَلَامِ النَّاسِ، وَلَا يَهْتَدَى إِلَى وَجْهِهِ لِيَحْتَدَى، وَيُمَثَّلُ^(١).

وجوه إعجاز القرآن كثيرة تحتاج إلى شرح وبيان، ولكن تكفي الإشارة إلى بعض هذه الوجوه (وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَعْجَزٌ بِكُلِّ مَا يَتَحَمَّلُهُ هَذَا اللَّفْظُ مِنْ مَعْنَى: فَهُوَ مَعْجَزٌ فِي الْفَاضِلِ وَأُسْلُوبِهِ، وَالْحَرْفِ الْوَاحِدِ مِنْهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْإِعْجَازِ الَّذِي لَا يَعْني عَنْهُ غَيْرُهُ فِي تَمَاسُكِ الْكَلِمَةِ، وَالْكَلِمَةِ فِي مَوْضِعِهَا مِنَ الْإِعْجَازِ فِي تَمَاسُكِ الْجُمْلَةِ، وَالْجُمْلَةِ فِي مَوْضِعِهَا مِنَ الْإِعْجَازِ فِي تَمَاسُكِ الْآيَةِ. وَهُوَ مَعْجَزٌ فِي بَيَانِهِ وَنَظْمِهِ... وَهُوَ مَعْجَزٌ بِعُلُومِهِ وَمَعَارِفِهِ... وَهُوَ مَعْجَزٌ فِي تَشْرِيعِهِ وَصِيَانَتِهِ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَتَكْوِينِ مُجْتَمَعٍ مِثَالِي...)^(٢).

المطلب الثاني: إخبار الغيب الماضي والمستقبل

إنَّ ما تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ - الَّتِي عَرَفَهَا أَهْلُ الْكِتَابِ - دَلِيلٌ عَلَى نَبْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَلَيْسَتْ لَهُ مَجَالِسَةٌ لِلْكَهَّانِ أَوْ الْأَحْبَارِ، فَمَنْ أَيْنَ أَتَى بِكُلِّ هَذِهِ الْأَخْبَارِ؟

ويمكن تقسيم ما تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

القسم الأول: تحدَّثَ عَنْ خَلْقِ آدَمَ وَدُخُولِهِ الْجَنَّةَ وَإِخْرَاجِهِ مِنْهَا، وَوَسُوسَةَ الشَّيْطَانِ لَهُ، وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْإِهْبَاطِ إِلَى الْأَرْضِ (سورة البقرة: ٣٠-٣٩)، وَمَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ ابْنَيْهِ فِي الْقُرْبَانِ، وَقَتْلِ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ (سورة المائدة: ٢٧-٣١).

وذكر أخبار قوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب (سورة الأعراف: ٥٩-٩٣).

وأنبأ بقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه (سورة الأنبياء: ٥١-٧٣)، وقصته في ذبح ولده إسماعيل (سورة الصافات: ٨٣-١١٢). وبقصة يوسف عليه السلام مع إخوته وما كان من شأنه... (سورة يوسف: ٣-١٠٢).

وقصص قصة موسى عليه السلام مع فرعون (سورة القصص: ٢-٤٦)، ثم مع بني إسرائيل

(١) الجامع لشعب الإيمان، الإمام الحافظ أبو بكر بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ)، حققه: د. عبدعلي عبدالحميد حامد، إصدار إدارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الدار السلفية - بومباي/الهند، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، (٢٣٧-٢٣٦/١)، حديث رقم (١٦٨).

(٢) مباحث في علوم الحديث، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة والعشرون، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م، (٢٦٣-٢٦٢).

﴿سورة البقرة: ٤٧-٧٤﴾. ثم مع العبد الصالح (سورة الكهف: ٦٠-٨٢)، وقصة قارون (سورة القصص: ٧٦-٨٢).

ويبين قصة مريم وحملها بغيبي عليه السلام وولادته ودعوته (سورة مريم: ١٦-٣٦).
وأخبر عن أصحاب الكهف (سورة الكهف: ٩-٢٦)، وصاحب الجنين (سورة الكهف: ٣٢-٤٣)،
وذي القرنين (سورة الكهف: ٨٣-٩٨)، وطالوت وجالوت (سورة البقرة: ٢٤٦-٢٥١)، وأصحاب
القرية (سورة يس: ١٢-٢٩)، وأصحاب الجنة (سورة القلم: ١٧-٣٣)، وغيرها من الأحداث التي لم
يشهدها النبي ﷺ ولا قرأ عنها ولا سمع بها. فمن الذي أخبره بها؟ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف: ١٠٢). وقال:
﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ
الْعُقُوبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ (هود: ٤٩). وقال: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا
كُنْتَ نَاطِقًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٤٥) وما
كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ
مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٦) (القصص: ٤٥-٤٦).

القسم الثاني: أخبر النبي ﷺ بما كان يدور بين الناس بعيداً عنه، وما كان من مكنون
ضماثرهم، ومنه:

١- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ التَّجْوِي مُمَّ يَعُدُّونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْجُبُونَ
بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي
أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ (المجادلة: ٨).

عن عائشة قالت: (أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ:
«وَعَلَيْكُمْ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ «لَا تَكُونِي
فَاحِشَةً»، فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتُ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: «أَوْلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ».
وفي رواية: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية^(١).
٢- قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً

(١) رواه البخاري (الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله ﷺ وسننه وآيامه)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
بردزبه البخاري (٢٥٦هـ)، تخريج وضبط: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة: الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥ م. كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ص (٧١٧) رقم (٢٩٣٥). ومسلم
(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
(٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل
الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (١٧٠٦/٤-١٧٠٧) رقم (٢١٦٥)، واللفظ له.

مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ (آل عمران: ١٥٤).

قال ابن كثير: (فَسَرَّ مَا أَحْفَوْهُ فِي أَنفُسِهِمْ بِقَوْلِهِ ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا﴾ أَي يَسْرُونَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (١).

٣- قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٧) يَقُولُونَ لِيَنَّ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿المنافقون: ٧-٨﴾.

عن زيد بن أرقم قال: كُنْتُ مَعَ عَمِّي، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بِنِ سُلُوقٍ يَقُولُ: «لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا»، وَقَالَ أَيضًا: «لَثَنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ»، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَصَدَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبَنِي، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصْبِنِي مِثْلَهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزِّي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ (المنافقون: ١) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (المنافقون: ٧) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (المنافقون: ٨) فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ» (٢).

القسم الثالث: أخبر عن الأمور الغيبية المستقبلية التي شاهد الناس بعضها وما زالوا ينتظرون البقية، ومنه:

١- قوله تعالى: ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ (٢) فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

(١) تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (١٥٤/٢).

(٢) رواه البخاري كتاب تفسير القرآن، سورة المنافقين، باب ﴿أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾، ص (١٢٤٨) رقم (٤٩٠١).

(الرُّوم: ٢-٥). عن ابن عباس قال: (غَلِبَتْ وَغَلِبَتْ، قَالَ: كَانَ الْمَشْرُكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسٌ عَلَى الرُّومِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ الْمَسْلُومُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسٍ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ». قَالَ: فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجْلاً، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجْلاً خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَا جَعَلْتَهَا إِلَى دُونَ»، قَالَ: أَرَاهُ قَالَ: الْعَشْرُ؟ - قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْبَضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ - ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿الْمَآءَ ۝١ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝﴾ (الرُّوم: ١) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ (الرُّوم: ٤) قَالَ: يَفْرَحُونَ ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ (الرُّوم: ٥)) (١).

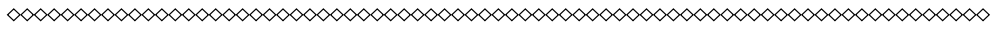
٢- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧). وبالفعل لم يتأخر الوعد، ودخل المسلمون المسجد الحرام عام عمرة القضاء (٧ هـ)، ثم دخلوه فاتحين يوم فتح مكة (٨ هـ).

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْوَهْدُ﴾ (آل عمران: ١٢). عن ابن عباس قال: (لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوْقِ بَنِي قَيْنِقَاعَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسَلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا»، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَفْرُنَاكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْكَ قَتَلْتَ نَفْرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَنَا أَنَا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنْكَ لَمْ تَلَقْ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ (٢). وقد غلب الكفار، وأجلي اليهود عن المدينة.

٤- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧). عن

(١) رواه أحمد (٢٩٦/٤-٢٩٧)، رقم (٢٤٩٥). مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م. والترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرُّوم (٢٤٢/٥)، رقم (٢١٩٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩ هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر (٢٠١)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (٢)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (٥٤ هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٢٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة (٦١٦/٤)، رقم (٣٠٠١). سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (٢٧٥ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. قال الأرنؤوط: (إسناده ضعيف). وضعفه الألباني.



عائشة قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَاللَّهُ يَعَصَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْصِرُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ» (١). ولقد عصم الله رسوله ﷺ وحماه في كثير من المواطن، منها: ليلة الهجرة، وفي الغار، ويوم أُحُد، ومن السحر والشاة المسمومة... (٢).

٥- قوله تعالى: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨). فيها دلالة على أن الله سيجعل وسائل أخرى للركوب، وها هو الإنسان يخترع السيارة والقطار والطائرة والمكوك الفضائي، وغير ذلك لا يعلمه إلا الله.

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

إن آيات القرآن تنطق بالحق، والقرآن مليء بالمعجزات الطيبة والكونية وغيرها، مما يدل على أن هذا القرآن وحي من الله القائل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

ونذكر هنا بعض هذا الإعجاز الذي ذكر في القرآن الكريم:

١/ حقيقة خلق الكون وبيان سر الحياة: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

قال ابن كثير: (أَي: كَانَ الْجَمِيعُ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ مُتَلَاصِقٌ مُتَرَكَمٌ، بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ، فَفَتَقَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ. فَجَعَلَ السَّمَوَاتِ سَبْعًا، وَالْأَرْضَ سَبْعًا، وَفَصَلَ بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْضِ بِالْهَوَاءِ، فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَنْبَتَتِ الْأَرْضُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: وَهُمْ يُشَاهِدُونَ الْمَخْلُوقَاتِ تَحْدُثُ شَيْئًا فَشَيْئًا عِيَانًا، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ الْقَادِرِ عَلَى مَا يَشَاءُ: فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ... وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، كَانَا جَمِيعًا، فَفَصَلَ بَيْنَهُمَا بِهَذَا الْهَوَاءِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أَي: أَصْلُ كُلِّ الْأَحْيَاءِ مِنْهُ (٣).

فهذه الآية تدل على أن السموات والأرض كانتا شيئًا واحدًا ثم انفصلتا، وقد تحدث العلم

(١) رواه الترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة (٢٥١/٥)، رقم (٣٠٤٦)، وقال: حديث غريب. وحسنه الألباني.
(٢) انظر: صحيح البخاري، رقم (٢٩٠٢) و٢١٦٩ و٢٢٦٨ و٣٦٥٣ و٢٩٠٦ و٢٩١١ و٤٦٦٣. وصحيح مسلم، رقم (١٧٩٠) و٢٠٠٩ و٢١٨٩ و٢٢٨١.
(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٩/٥-٢٤٠).

مؤخرًا عن هذه الحقيقة. وتدلل على أن الماء هو العنصر الأساسي لحياة جميع الكائنات، وهذا ما توصل إليه العلماء حديثًا.

٢ / تمدد الكون واتساعه: قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧).

قال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ﴾ لَمَّا بَيَّنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ قَالَ: وَفِي السَّمَاءِ آيَاتٌ وَعَبَّرَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّانِعَ قَادِرٌ عَلَى الْكَمَالِ، فَعَطَفَ أَمْرَ السَّمَاءِ عَلَى قِصَّةِ قَوْمِ نُوحٍ لِأَنَّهَا آيَاتَانِ... ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِقَادِرُونَ. وَقِيلَ: أَيُّ وَإِنَّا لَدُو سَعَةٍ، وَبِخَلْقِهَا وَخَلْقِ غَيْرِهَا لَا يَضِيقُ عَلَيْنَا شَيْءٌ نُرِيدُهُ. وَقِيلَ: أَيُّ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ الرَّزْقَ عَلَى خَلْقِنَا. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا. الْحَسَنُ: وَإِنَّا لَمَطْبِقُونَ. وَعَنْهُ أَيْضًا: وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ الرَّزْقَ بِالْمَطَرِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَغْنَيْنَاكُمْ، دَلِيلُهُ: ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ﴾. وَقَالَ الْقَتِّبِيُّ: دُو سَعَةٍ عَلَى خَلْقِنَا. وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. وَقِيلَ: جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ سَعَةً^(١). فهذه الآية تدل على سعة السماء، واتساع أرجائها، وقد لاحظ علماء الفلك في أقصى ما يدركه المنظار أن الجزر الكونية تتباعد عن بعضها البعض، وأكدوا أن الكون ليس ساكنًا، بل يتمدد ويتسع مع محافظة الأجسام فيه على أحجامها^(٢).

٣ / تحركات الشمس والأرض والقمر: قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ (٣٩) ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٢٨-٤٠). فحركة الشمس مع مجموعتها، وخضوعها للجاذبية التي تجعلها تدور في مسارات منتظمة، وحركة الأرض التي ينتج عنها الليل والنهار، كلها حقائق علمية ثابتة^(٣).

٤ / نقص الأوكسجين في الارتفاعات: قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥). فقد ثبت بالتجربة والدليل أنه كلما ارتفع الإنسان شعر بصعوبة التنفس وأحس بالضيق، وهو بسبب نقص الأوكسجين كما أثبت العلم اليوم^(٤).

(١) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٧/٣٥-٣٦).

(٢) للمزيد حول هذه المسألة: <http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-01-0002>

(٣) للمزيد: <https://ar.islamway.net/article/1860>

(٤) للمزيد:

<https://ejaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences/104-Tight-chest-and-Altassad-in-the-sky>

٥ / إمكانية تقسيم الذرة: قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس: ٦١). وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ (سبأ: ٣).

قال الطبري: (وقوله: ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ يعني: زنة ذرة في السموات ولا في الأرض؛ يقول تعالى ذكره: لا يغيب عنه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها، أين كان في السموات ولا في الأرض ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ منه ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يقول: هو مثبت في كتاب يبين للنظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبت وأحصاه وعلمه، فلم يعزب عن علمه^(١).

في الآية بيان لإعجاز علمي بليغ، فقد كان المعروف إلى زمن قريب أن الذرة هي أصغر الأجسام، فبين القرآن أن هناك ما هو أصغر منها، فكلمة أصغر في الآية دليل على إمكان تجزئة الذرة، وهذا ما توصل إليه العلم الحديث بعد تقسيم الذرة إلى جزئيات^(٢).

٦ / وصف أمواج البحار الداخلية والسطحية: قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ كُدُّهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ (النور: ٤٠).

قال الطبري: (وهذا مثل آخر ضرب به الله لأعمال الكفار، يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عملها فيها، وعلى غير هدى، مثل ظلمات في بحر لجي. ونسب البحر إلى اللجة، وصفا له بأنه عميق كثير الماء. ولجة البحر: معظمه. ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ يقول: يغشى البحر موج، ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه، ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب. فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، والبحر اللجّي مثلا لقلب الكافر، يقول: عمل بنية قلب قد عمّره الجهل، وتغشاه الضلالة والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجّي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله

(١) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (٢١٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (٢١١/١٩).

(٢) للمزيد: <https://www.ibelieveinsci.com/?p=65425>

خَتَمَ عَلَيْهِ ، فَلَا يَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ ، وَعَلَى سَمْعِهِ ، فَلَا يَسْمَعُ مَوَاعِظَ اللَّهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَلَا يَبْصُرُ بِهِ حُجَجَ اللَّهِ ، فَتِلْكَ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ (١) .

وقد ثبت وجود أمواج داخلية تحت سطح الماء غير الأمواج السطحية الظاهرة، إضافة إلى شدة الظلام كلما ازداد عمق البحار، حيث أن أشعة الشمس لا تخترق كل هذه الأمواج (٢) .

٧/ السَّحْبُ الرَّكَامِيَّةُ ونزول الأمطار: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سُنْبُقُهُ بِإِلْبَاصٍ ﴾ (النور: ٤٣) .

قال ابن كثير: (يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ بِقُدْرَتِهِ يُسَوِّقُ السَّحَابَ أَوَّلَ مَا يُنْشِئُهَا وَهِيَ ضَعِيفَةٌ، وَهُوَ الْإِزْجَاءُ ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: يَجْمَعُهُ بَعْدَ تَفْرِقِهِ، ﴿ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا﴾ أَي: مُتْرَاكِمًا، أَي: يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أَي: مِنْ خِلَلِهِ. وَكَذَا قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ. قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ اللَّيْثِيُّ: يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَثِيرَةَ فَتَقْسَمُ الْأَرْضُ قِسْمًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ النَّاشِئَةَ فَتَنْشِئُ السَّحَابَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمُؤَلِّفَةَ فَتُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ الْوَاقِحَ فَتَلْقَحُ السَّحَابَ) (٣) .

فالسَّحْبُ الرَّكَامِيَّةُ هي عبارة عن طبقات بعضها فوق بعض وتصل إلى علو كبير كالجبال الشَّامخة، ومن المعروف علمياً أن السَّحْبُ الرَّكَامِيَّةَ تَمْتَلِيءُ بِالْبَرَدِ، وهذه السَّحْبُ الرَّكَامِيَّةُ هي وحدها التي يمكن أن يتولد منها البرق. وهذا المطر والبرد لا ينزل بمجرد تكوُّنه، فالهواء يحول دون نزوله في مكان معين، فإذا ضعف تيار الهواء نزل المطر أو البرد على شكل زخات متفرقة (٤) .

٨/ اختلاف بصمات الإنسان: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَخْسِبُ الْإِنْسَانَ الْإِنْسَانَ لِنَفْسِهِ إِذِ ابْتَلَى بَنِي إِدْرِيصَ إِذْ أَخَذَ مِنْ بَنِي إِدْرِيصَ عَهْدَ أَنْ يَكْفُرُوا فَقَالُوا وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ فَسَلَوْنَ كَيْدَهُمْ فَوَقَفُوا بِأَنفُسِهِمْ فَوُضِعَ الْعَهْدُ فِي حَقِّهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ إِلاَّ شَاقِقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١) . فلماذا اختص الله سبحانه بنان الإنسان بالذكر ؟ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ مَعْظَمَ أَعْضَاءِ جِسْمِ الْإِنْسَانَ قَدْ تَشَابَهَ بَيْنَ إِنْسَانٍ وَآخَرَ، أَمَّا الْأَصَابِعُ فَلَهَا مِيزَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ خَاصَّةٌ بِكُلِّ إِنْسَانٍ، فِيهَا خَطُوطٌ وَرَسُومٌ وَلَا تَشَابَهَ فِيهَا بَيْنَهَا، وَهِيَ ثَابِتَةٌ لَا تَتَغَيَّرُ، فَفِي عَامِ ١٨٨٤ مِ اسْتَعْلِمَتْ فِي انْكَتِرَا طَرِيقَةَ التَّعَرُّفِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِوِاسِطَةِ بَصْمَاتِ الْأَصَابِعِ، وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مَعْتَمَدَةً الْيَوْمَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِجْرَاءَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ (٥) .

٩/ خلق الذباب: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ آيَاتِ اللَّهِ لَتُؤْتِي النَّاسَ حُكْمًا وَيُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ مِنْهَا رِزْقًا غَيْرَ مُقَدَّرٍ لَكُمْ﴾ (الأنعام: ١١٠) .

(١) تفسير الطبري (١٧/٢٢٩-٢٣٠) .

(٢) للمزيد: أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج [/https://quran-m.com](https://quran-m.com)

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٧٢) .

(٤) للمزيد: وينشئ السحاب النقال [/https://quran-m.com](https://quran-m.com)

(٥) للمزيد: <http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-03-0025>

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ (الحج: ٧٣).

قال ابن كثير: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك. هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال: ﴿ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (١).

اكتشف العلم الحديث أن الذبابة ليس لها جهاز هضمي، فهي تفرز عصارات هاضمة، ثم تدخل المواد المهضومة إلى الأنبوب الهضمي، حتى يتم امتصاصها، لتسير في الدورة الدموية إلى خلاياها، ويتحول جزء منها إلى طاقة تمكنها من الطيران، وجزء آخر إلى خلايا وأنسجة ومكونات عضوية، وجزء أخير إلى مخلفات يتخلص منها جسم الذباب (٢).

١٠- الجبال الرواسي: قال تعالى: ﴿وَالْتَقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبَلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ (النحل: ١٥). وقال: ﴿أَشَدُّ وَالْجِبَالِ أَرْسَهَا ﴿٣٢﴾﴾ (النازعات: ٣٢). وقال: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ (النبا:).

قال ابن كثير: ﴿وَالْتَقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾ يعني: الجبال أرست الأرض وثقلتها لثلاً تضطرب بأهلها على وجه الماء، ولهذا قال: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: لثلاً تميد بكم (٣). وقال الطبري: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾ يقول: والجبال للأرض أوتاداً أن تميد بكم (٤). وقال القرطبي: ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَهَا﴾ ... أي وأرسي الجبال أرساها، يعني: أثبتتها فيها أوتاداً لها (٥).

وقد ثبت علمياً أن الجبال تثبت الأرض وتسكنها حتى لا تميد أو تضطرب، وأن الجزء المختفي من الجبال تحت السطح يعادل أضعاف الجزء البارز فوق السطح (٦).

هذه بعض الحقائق العلمية التي نزل بها القرآن الكريم من الله على قلب النبي الأمي محمد ﷺ، في زمن لم تكن فيه علوم ولا معارف ولا مدارس ولا اختراعات ولا اختبارات، فهل تكون آيات هذا القرآن من كلام بشر، أم هو وحي أوحاه الله إلى سيد البشر ﷺ؟

(١) تفسير ابن كثير (٥/٤٥٤).

(٢) للمزيد: <http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-04-0012>

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٣٢٢).

(٤) تفسير الطبري (٩/٢٤).

(٥) تفسير القرطبي (١٩/٢٠٥).

(٦) للمزيد: الجبال الرواسي [/https://quran-m.com](https://quran-m.com)

المبحث الثاني: دلائل النبوة من الأحاديث النبوية

الحديث في اصطلاح علماء الحديث هو: ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية قبل البعثة أو بعدها. والسنة عندهم توافق هذا المعنى. ويمكن لنا أن نستدل على نبوة النبي محمد ﷺ من خلال أحاديثه التي صحّت عنه ﷺ، وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: البلاغة والفصاحة وجوامع الكلم

كان النبي ﷺ من أفصح الناس، وكان حديثه واضح الدلالة، جزيل المفردات، بعيداً عن التكلّف، فيه من التجدد ودقة الوصف والتصوير والحوار والأصالة مما جعله مميّزاً عن قول سائر البشر.

ولم تكن فصاحته ﷺ مقصورة على جودة الأسلوب وعمق المعاني، بل تجاوزت ذلك حتى إلى الأداء، فعن عائشة قالت: (كَانَ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ فَصْلًا يَفْقَهُهُ كُلُّ أَحَدٍ، لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُهُ سَرْدًا)^(١). وعن عائشة رضي الله عنها (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ)^(٢). وعن عائشة أنها قالت: (.. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ)^(٣).

ولقد أُوتِيَ النبي ﷺ جوامع الكلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَتَيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي»^(٤).

قال الإمام البخاري: (وَبَلَّغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ: أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ، فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ، وَالْأَمْرَيْنِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ)^(٥).

وقال الهروي: (يَعْنِي بِهِ الْقُرْآنَ، جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ مِنْهُ الْمَعَانِيَ الْكَثِيرَةَ، وَكَلَامَهُ ﷺ كَانَ بِالْجَوَامِعِ قَلِيلِ اللَّفْظِ كَثِيرِ الْمَعَانِي)^(٦).

(١) رواه أحمد في المسند (٥٢٠/٤١)، رقم (٢٥٠٧٧). وأبو داود، كتاب الأدب، باب الهدى في الكلام (٢٠٨/٧)، رقم (٤٨٣٩). والترمذي كتاب المناقب، باب في كلام النبي ﷺ (٦٠٠/٥)، رقم (٣٦٣٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. قال الأرنؤوط: (إسناده حسن). وحسنه الألباني.

(٢) رواه البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ص (٨٧٢)، رقم (٣٥٦٧).

(٣) رواه البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ص (٨٧٢)، رقم (٣٥٦٨). ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة (١٩٤٠/٤)، رقم (٢٤٩٣).

(٤) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»، ص (٧٢٧)، رقم (٢٩٧٧). ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٧١/١)، رقم (٥٢٢).

(٥) صحيح البخاري كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، ص (١٧٦٢)، رقم (٧٠١٢).

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٥). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

فكلام النبي ﷺ ليس من نفسه، إنما هو وحي من الله تعالى القائل: ﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٣) **إِنَّ هُوَ إِلَّا وحيُّ يوحىٰ** ﴿٤﴾ (النجم: ٣-٤). وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلَهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

المطلب الثاني: إخبار الغيب الماضي والمستقبل

أخبر النبي ﷺ عن الأحداث الماضية: من ذلك حديثه عن قصة موسى مع الخضر، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الغار، وقاتل مائة نفس، وجريج الزاهد^(٢)، وغيرها من الأخبار الماضية التي يعلمها أهل الكتاب، ولم يسبق له ﷺ أن جلس إليهم أو تعلم منهم، أو قرأ كتبهم وأخبارهم.

كما أخبر ﷺ عن الأمور التي ستأتي، فمنها ما وقع، ومنها ما زلنا ننتظر وقوعه، ومن ذلك: ١- عن عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبّة من آدم فقال: «أَعِدُّ سَنًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتَفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيُظَلُّ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هِدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»^(٣).

قال العيني: (وهذه الست المذكورة ظهرت منها الخمس: مَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْمَوْتَانِ كَانَ فِي طَاعُونَ عَمَّوَسَ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، مَاتَ فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفًا فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَاسْتَفَاضَةُ الْمَالِ كَانَتْ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عِنْدَ تِلْكَ الْفُتُوحِ الْعَظِيمَةِ، وَالْفِتْنَةُ اسْتَمَرَّتْ بَعْدَهُ، وَالسَّادِسَةُ لَمْ تَجِئْ بَعْدُ)^(٤).

٢- عن عدي بن حاتم رضي الله عنهما قال: (بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الظُّعِينَةَ تَرْتَجِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا

(١) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ص (١٢٨٢)، رقم (٤٩٨١). ومسلم كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١٣٤/١)، رقم (١٥٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري، رقم (٢٢١٥ و ٢٤٨٢ و ٣٤٧٠ و ٤٧٢٥). وصحيح مسلم، رقم (٢٢٨٠ و ٢٥٥٠ و ٢٧٤٣ و ٢٧٦٦ و ٣٠٥٥).

(٣) رواه البخاري كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ص (٧٧٩)، رقم (٢١٧٦).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (١٠٠/١٥).

تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دَعَا رُطَبِي الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ -، وَلَيْسَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لِنَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بِنِ هُرْمَزٍ؟ قَالَ: «كِسْرَى بِنِ هُرْمَزٍ، وَلَيْسَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرِيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلَّةً كَفَّهُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلِيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتْرَجَمُ لَهُ، فليقولن له: أَلَمْ أبعث إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبلِّغُكَ؟ فيقول: بلى، فيقول: أَلَمْ أعطك مَالًا وَأفضلَ عَلَيْكَ؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ». قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الطَّعِينَةَ تَرْتَجُلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكَنتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بِنِ هُرْمَزٍ، وَلَيْسَ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرُونَ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ يُخْرِجُ مِلَّةً كَفَّهُ» (١).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتَلَ فِتْنَانٍ دَعَاهُمَا وَاحِدَةً» (٢).

قال النووي: (قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتَلَ فِتْنَانٍ عَظِيمَتَانِ» هَذَا مِنَ الْمَعْجَزَاتِ، وَقَدْ جَرَى هَذَا فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ) (٣).

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتَلَ فِتْنَانٍ فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعَاهُمَا وَاحِدَةً. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ» (٤).

قال ابن حجر: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا، مِنْهُمْ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ صَاحِبُ صَنَعَاءَ، وَصَاحِبُ الْيَمَامَةِ يَعْنِي مُسَيْلِمَةَ. قُلْتُ: وَخَرَجَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ طَلِيحَةُ بِالتَّصْغِيرِ ابْنُ خُوَيْلِدٍ، وَادَّعَى النَّبُوَّةَ ثُمَّ تَابَ وَرَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَبَّاتَ أَيْضًا سَجَاحٌ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا مُسَيْلِمَةَ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَعْدَهُ) (٥).

٥- عن خباب رضي الله عنه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ، فَتَقْعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌ وَجْهَهُ، فَقَالَ:

(١) رواه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٨٧٩-٨٨٠)، رقم (٢٥٩٥).

(٢) رواه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٨٨٢)، رقم (٢٦٠٨). ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجها المسلمان بسيفيهما (٢٢١٤/٤)، رقم (١٥٧).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/١٨).

(٤) رواه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٨٨٢)، رقم (٢٦٠٩). ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٢٢٣٩/٤-٢٢٤٠)، رقم (١٥٧).

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، قام بشرحه وتصحيحه وتحقيقه: = محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ هـ - ١٤٠٧ م، (٩٣/١٣).

آخرًا وباء كورونا..) وغيرها الكثير لا يعلمه إلا الله إذا استمرّ ظهور وانتشار الفاحشة بين الناس -نسأل الله العافية والسلامة-.

٨- عن علي رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حَدَنَاءُ الْأَسْنَانِ، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَجَاوِزُ إِيمَانَهُمْ حَنَا جِرَّهُمْ، فَأَيَّمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وقد وقع ما أخبر به ﷺ، فظهرت فرق الخوارج، وما زالت سلالة هذه الفرق تظهر وتنتشر في المجتمعات، وتجرّ النكبات، وتجلّب عليهم الويلات.

٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْتُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مَرُوجًا وَأَنْهَارًا»^(٢). وها نحن نرى ما تنعم به أرض العرب اليوم من كثرة المياه، ونزول الأمطار والثلوج، وظهور الخضرة، وكثرة الزرع والنبات.

١٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْتُرُ الْهَرَجُ» قالوا: وَمَا الْهَرَجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ»^(٣).

ها نحن نرى تقارب الزمن من خلال سرعة انقضاء الأيام، وتسارع الأحداث، وسرعة وصول الأشياء، فمن تقارب الزمان آلات الركوب والسفر التي تختصر الزمن، كالسيارة والقطار والطائرة، وظهور وسائل الإعلام والتواصل، والتعليم عن بعد... كما نعيش اليوم كثرة قبض وموت العلماء، ونرى كثرة الفتن التي تعصف وتلطم، وانتشار القتل الذي يحصد الأرواح، كل هذا تصديق من الله تعالى لقول رسوله الكريم ﷺ.

(١) رواه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٨٨٢)، رقم (٣٦١١). ومسلم كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج (٧٤٦/٢)، رقم (١٠٦٦).

(٢) رواه مسلم كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها (٧٠١/٢)، رقم (١٥٧).

(٣) رواه البخاري كتاب الكسوف، باب ما قيل في الزلازل والآيات، ص (٢٤٤) رقم (١٠٢٦). ومسلم كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٧/٤) رقم (١٥٧)، واللفظ له.

المطلب الثالث: الإعجاز العلمي في الحديث النبوي

أحاديث النبي ﷺ مليئة بالمعجزات الطبيّة والكونيّة وغيرها ممّا أكده العلم الحديث اليوم، وهذا بعض ما يؤكّد نبوة النبي محمد ﷺ، لأنّ كلامه وحي ممّن أوحى إليه، من ذلك:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْآخَرَى شِفَاءٌ»^(١).

قال ابن حجر: (قَوْلُهُ «فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ»: أَمْرٌ إِرْشَادٌ لِمُقَابَلَةِ الدَّاءِ بِالِدَوَاءِ، وَفِي قَوْلِهِ «كُلَّهُ» رَفَعٌ تَوْهَمُ الْمَجَازِ فِي الْاِكْتِفَاءِ بِغَمْسِ بَعْضِهِ... وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ عَمِّهِ ثَمَامَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَنَسٍ فَوْقَ ذُبَابٍ فِي إِنَاءٍ، فَقَالَ أَنَسٌ بِإِصْبَعِهِ فَعَمَسَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ. وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ... قَوْلُهُ «فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ»... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَّهُ يَتَّقِي بِجَنَاحِهِ الَّذِي فِيهِ الدَّاءُ. وَلَمْ يَقَعْ لِي فِي شَيْءٍ مِنَ الطَّرِيقِ تَعْيِينُ الْجَنَاحِ الَّذِي فِيهِ الشِّفَاءُ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنْ ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ تَأَمَّلَهُ فَوَجَدَهُ يَتَّقِي بِجَنَاحِهِ الْأَيْسَرِ، فَعُرِفَ أَنَّ الْأَيْمَنَ هُوَ الَّذِي فِيهِ الشِّفَاءُ. وَالْمُنَاسِبَةُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرَةٌ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ يَقْدُمُ السَّمَّ وَيُؤَخِّرُ الشِّفَاءَ)^(٢).

نشر العالمان المصريان الدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين مقالة في مجلة الأزهر (القاهرة) تحت عنوان: «كلمة الطب في حديث الذبابة»، وذكرنا فيها أنّ الذبابة ينقل أمراضاً كثيرة، وذلك بواسطة أطراف أرجله، أو في برازه. وإذا وقعت الذبابة على الأكل فإنها تلمسه بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية، وإذا تبرزت على غذاء الإنسان فإنها ستلوته أيضاً بأرجلها. أمّا الفطور (الفطريات) التي تفرز المواد الحيوية المضادة فإنها توجد على بطن الذبابة، ولا تنطلق مع سوائل الخلايا المستطيلة لهذه الفطور (والتي تحتوي المواد الحيوية المضادة) إلا بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد الضغط الداخلي لسائل الخلية، ويسبب انفجار الخلايا المستطيلة، واندفاع البذور والسائل إلى خارج جسم الذبابة^(٣).

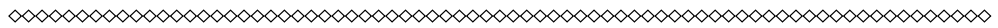
٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طَهْرُ إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ، أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أَوْلَاهُنَّ بِالتُّرَابِ»^(٤).

(١) رواه البخاري كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه...، ص (٨٠٩)، رقم (٢٣٢٠).

(٢) فتح الباري (١٠/٢٦١-٢٦٢).

(٣) مجلة الأزهر، المجلد الثلاثون، الجزء السابع، عدد شهر رجب ١٤٢٧هـ/يناير-كانون الثاني-١٩٥٩ صفحة (٥٧٨) على الرابط التالي: https://books.com.library-muslim.com/library-muslim/ar/majallat_ar/volume_Azhar_Al/pdf.7_issue_30

(٤) رواه البخاري كتاب الوضوء، باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً، ص (٦١)، رقم (١٧٢). ومسلم كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب (١/٢٣٤)، رقم (٢٧٩)، واللفظ له.



ثبت مؤخرًا أنّ الكلب ينقل الأمراض الخطرة، التي تنتقل من داخله إلى الأواني والصّحون وأيدي من يلامسه، ومنها تدخل إلى أمعائهم، وتنتقل إلى جميع أنحاء الجسم، وبخاصّة إلى الكبد، وتتسبّب بعدد من الأمراض، إضافة إلى داء آخر خطر ينقله الكلب وهو داء الكلب الذي تسببه حمّة راشحة يصاب بها الكلب أولاً، ثم تنتقل منه إلى الإنسان عن طريق لعاب الكلب بالعضّ أو بلحسه جرحًا في جسم الإنسان... وقام العلماء في العصر الحديث بتحليل التراب، واستنتجوا أنّ للتراب خاصيّة قتل الجراثيم الضّارة، - خصوصًا النّاتجة عن الكلاب- وقد سبقهم النبي ﷺ إلى بيان هذا الأمر من خلال الأحاديث النبوية الشريفة^(١).

٣- عن عبد الله رضي الله عنه حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغًا مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ووزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنّة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنّة»^(٢).

وها هو العلم الحديث اليوم يثبت ما أخبر به النبي ﷺ من مراحل نمو الإنسان في رحم أمه، وينقل ذلك بالصّور الدّقيقة، فمن الذي أخبره وعلمه؟!

٤- عن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدّم رسول الله ﷺ المدينة فاتاه، فقال: إنني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنّة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: «خبرني بهنّ أنفاً جبريل». قال: فقال عبد الله ذلك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فتأثر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنّة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله...^(٣).

قال ابن حجر: (قوله «فإذا سبق ماء الرجل» وفي رواية الفزاري «فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه». قوله «نزع الولد» بالنصب على المفعولية أي جذبه إليه، وفي رواية الفزاري

(١) لمزيد من التفاصيل انظر الرابط التالي: <http://www.bayanelislam.net/Suspicion/04-04-0007>

(٢) رواه البخاري كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص (٧٨٨)، رقم (٢٢٠٨). ومسلم كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه... (٢٠٢٦/٤)، رقم (٢٦٤٣).

(٣) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته...، ص (٨١٢)، رقم (٣٢٢٩).

«كَانَ الشَّبَهُ لَهُ»، وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ «إِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ أَحْوَالَهُ» وَنَحْوَهُ لِلْبَرَّازِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَفِيهِ «مَاءُ الرَّجُلِ أَيْضٌ غَلِيظٌ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَفِيقٌ، فَابْتَدَأَ أَعْلَى كَأَنَّ الشَّبَهُ لَهُ»، وَالْمَرَادُ بِالْعُلُوِّ هُنَا السَّبْقُ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ سَبَقَ فَقَدْ عَلَا شَأْنَهُ فَهُوَ عُلُوٌّ مَعْنَوِيٌّ^(١).

فكل ما أخبر به النبي ﷺ عن كيفية خلق الإنسان وهو في بطن أمه، وما ينزع الولد إلى أبيه أو أمه إنما هو مما أطلع الله عليه، إذ لم يكن ﷺ طبيباً، ولا عنده من أجهزة الكشف ما عند الأطباء اليوم الذين أكدوا صدق قول الصادق المصدوق ﷺ فيما تحدّث عنه^(٢).

الخاتمة: في ختام هذا البحث، أذكر أبرز ما توصّلت إليه من النتائج:

بيان مكانة ومنزلة النبي محمد ﷺ، وتأكيده صدق نبوته، وضرورة مواجهة الحرب المعلنة عليه.

وجوب معرفة كيفية التعامل مع نبوة محمد ﷺ، وتأكيده ضرورة تصديقه والإيمان به، وأتباعه، نظراً لما يصيب البعض من الشك أو الجحود والإنكار، وصولاً إلى الطعن ومحاولة النيل.

نبوة محمد ﷺ لا يُمارى أو يجادل بها، أو يشكّ فيها إلاّ كلّ من فقد العقل وأتبع الهوى. كثرة واستمرار حملات الطعن والتكذيب والتلبيس وسوء الأدب ومحاولة النيل من شخص ومكانة النبي محمد ﷺ وصرف الناس عنه.

العناد والتكبر عن قبول الحقّ وأتباع الهوى هو الدافع لفريق من المتقدّمين والمتأخرين الذين كذبوا النبي محمد ﷺ ورفضوا دعوته، وحاولوا إيذائه والنيل منه جسدياً ومعنويّاً. تأييد الله تعالى لرسوله الكرام بالمعجزات التي تدلّ على صدقهم، وهي من جنس ما اشتهر به أقوامهم، لكنّها معجزات آنيّة.

تأييد الله لنبيه محمد ﷺ بمعجزة باقية هي القرآن الكريم، لأنّ قومه كانوا أهل فصاحة وبلاغة.

إعجاز وبلاغة وفصاحة آيات القرآن، بحيث يعجز الخلق عن الإتيان بمثل آياته. تحدّث القرآن عن الكثير من أخبار الأمم السّابقة، وأخبر النبي محمد ﷺ بما كان يدور

(١) فتح الباري (٧/٢٢٠).

(٢) للمزيد: أقوال العلماء والأطباء في مسئولية ماء الرجل وماء المرأة في تحديد جنس الجنين

<https://islamqa.info/ar/answers>

بين النَّاس بعيداً عنه، وما يدور في مكنون أنفسهم، إضافة إلى الأمور الغيبية المستقبلية التي شاهد النَّاس بعضها، وما زالوا ينتظرون الباقي.

كثرة المعجزات الطَّبيَّة والكونيَّة التي ذكرها القرآن وأثبتها العلم الحديث، كبيان حقيقة خلق الكون وسرَّ الحياة، وتمدُّد الكون واتساعه، وبيان تحرُّكات الشَّمس والأرض والقمر، ونقص الأوكسجين في الارتفاعات، وإمكانية تقسيم الذَّرة، ووصف أمواج البحار الدَّاخِلية والسَّطحية، والسَّحب الرِّكامية ونزول الأمطار، واختلاف بصمات الإنسان، وخلق الدَّباب، والجبال الرَّوَّاسي... فصاحة وبلاغة النَّبي مُحَمَّد ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، وما ينطق عن الهوى. تضمَّنت أحاديث النَّبي مُحَمَّد ﷺ الكثير من قصص السَّابقين، وأخبار الغيب الماضي والمستقبل التي منها ما وقع، ومنها ما زلنا ننتظر وقوعه.

كثرة الإعجاز العلميِّ الوارد في أقوال النَّبي مُحَمَّد ﷺ، كما في حديث الذَّبابة، وولوغ الكلب، ومراحل خلق الإنسان، وتحديد جنس المولود...

التَّوصيات والاقتراحات:

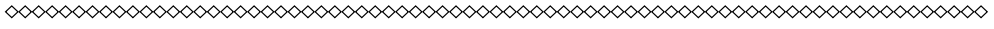
ونحن اليوم نواجه محاولات النَّيل من دين الله عموماً، ومن شخص رسول الله مُحَمَّد ﷺ خصوصاً، ولمواجهة هذه الحملات المسعورة.. أوصي بما يلي على كافة المستويات الرِّسمية والفكرية والشَّعبية:

دعوة العقلاء من غير المسلمين إلى إعمال العقل وتوجيه العلم والعمل من أجل التَّعرف على شخصية النَّبي مُحَمَّد ﷺ من المصادر الموثوقة للوصول إلى الإنصاف، والكف عن النَّيل والأذى، إن لم يحصل الإيمان به والاتباع له.

تكثيف اهتمام المسلمين بعرض سيرة النَّبي مُحَمَّد ﷺ وأحاديثه ومدارسها والبحث فيها دائماً، وأن لا يقتصر ذلك عند ردَّات الفعل على بعض التَّصرفات الحمقاء، والمواقف الخرقاء. ترجمة الأحاديث النَّبويَّة، والأبحاث العلميَّة المتعلِّقة بها -ومنها أبحاث هذا المؤتمر خصوصاً- إلى اللِّغات الأخرى، وتيسير وجودها لدى غير المسلمين للاطِّلاع عليها ودراستها والإفادة منها.

التَّأكيد على دور الدَّعاة من المسلمين -خصوصاً في بلاد الغرب- في إظهار محاسن الدِّين، والدُّود عنه بالكلمة الطَّيبة، والموعظة الحسنة، والقُدوة الصَّالحة.

ضرورة وجود مؤسسات إسلامية متخصصة في دراسة شخصية النَّبي مُحَمَّد ﷺ وأحاديثه،



خصوصًا ما يتعلّق منها بالنّواحي العلميّة.

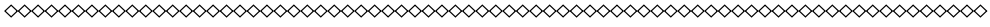
توجيه محطات إعلامية فضائية أو الكترونية ناطقة بلغات العالم توضّح حقيقة الإسلام، وتشرح تعاليمه، وتبيّن مكانة النبي محمد ﷺ.

الإكثار من المحاضرات والندوات والمؤتمرات التي تتناول هذا الجانب.

إقامة المسابقات بين الطلاب في المدارس والجامعات والباحثين لتشجيعهم على الاهتمام بسيرة النبي ﷺ، ومعرفة شمائله، وبيان فضائله..

فتح مجالات البحث العلميّ المتعلّق بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبويّة، ودعم الباحثين في ذلك.

ضرورة قيام الحكومات في الدّول الإسلاميّة بما يجب عليهم من الدّفاع عن النبي ﷺ ونصرتة، ونشر شريعته السّمحاء، وسنته الغراء.



الدكتورة نجاح محمّد حسين العزام
أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه
جامعة اليرموك / كلية الشريعة والدراسات الإسلامية / قسم أصول الدين

علامات النبوة بعد البعثة في ضوء أحاديث الصحيحين دراسة حديثية تحليلية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد: فإنّ هذا البحث يتناول موضوعاً هاماً من الموضوعات المتعلقة بسيرة

المصطفى ﷺ ألا وهو: علامات نبوّته بعد البعثة ودلائلها في ضوء أحاديث الصحيحين، حيث سيتمّ معالجته بالنظر في هذين المصدرين الرئيسين من مصادر السنّة النبوية؛ للوقوف على جملة من الأحاديث الواردة بشأن هذه العلامات، هذا بالإضافة إلى دراستها وتحليلها بالنظر في المصادر الأخرى المتخصصة والمعنيّة بها ككتب السيرة النبويّة، وكتب الشروح الحديثيّة بما يتفق وموضوع الدراسة.

أهميّة الدراسة: تتبع أهميّة الدراسة من حيث كونها تركّز على إبراز علامات النبوة ودلائلها بعد البعثة الشريفة وتمييزها عن غيرها ممّا كان قبلها وفي حال صباه ﷺ، من خلال طائفة من الأحاديث النبويّة الشريفة، ومن ثمّ دراستها دراسة حديثية تحليلية بما يخدم أطراف الموضوع وخطوطه، ويميط اللثام عن حقيقة التعامل مع هذه النصوص الشرعيّة وفهمها فهماً صحيحاً يتوافق ومقصد الشارع منها.

مشكلة الدراسة: يتوقع من هذه الدراسة أن تُجيب عن السؤال الرئيس التالي:

× ما أبرز علامات النبوة ودلائلها بعد البعثة الشريفة في ضوء أحاديث الصحيحين؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما هي الأحاديث النبويّة الواردة بخصوص علامات النبوة ودلائلها بعد البعثة الشريفة؟

٢. ما أبرز علامات النبوة بعد البعثة ودلائلها الحسيّة في الصحيحين؟

٣. ما أبرز علامات النبوة بعد البعثة ودلائلها الغيبيّة في الصحيحين؟

أهداف الدراسة: وتبرز أهميتها من حيث كونها تقوم على:

أولاً: إبراز علامات النبوة بعد البعثة ودلائلها بالوقوف على مظانها الأصيلّة من مصادر السنّة النبويّة.

ثانياً: الوقوف على الأحاديث النبويّة الواردة بخصوص علامات النبوة بعد البعثة ودلائلها في صحيحي البخاري ومسلم -رحمهما الله-.

ثالثاً: تمييز علامات النبوة بعد البعثة الشريفة عمّا كان قبلها وفي حال صباه ﷺ.

رابعاً: إحصاء علامات النبوة بعد البعثة الشريفة وضبطها في الصحيحين.

خامساً: التأكيد على أهميّة مصادر السنّة الأصيلّة التي من أهمّها أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى في حفظ علامات نبوته ﷺ.

الدراسات السابقة :

بعد البحث والتفتيش في الكتب والدراسات ذات العلاقة بالموضوع لم أقف على دراسة متخصصة تناولت الحديث عن: «علامات النبوة بعد البعثة في ضوء أحاديث الصحيحين دراسة حديثة تحليليّة»، وإن كانت مصادر السيرة النبويّة الأصيلّة بشكل عام تزخر بهذه العلامات والدلائل، وكذا الحال ما تولد منها من المصادر الحديثيّة.

منهجية الدراسة: اتبعت الدراسة المناهج العلميّة الآتي ذكرها:

أولاً: المنهج الجمعي، القائم على تخريج النصوص النبويّة موضع الدراسة التي تمّ جمعها وانتقاؤها من الصحيحين (صحيحي البخاري ومسلم) باعتبارها أهمّ مدونات السنّة النبويّة المعتمدة.

ثانياً: المنهج التحليلي الاستنباطي: المتمثل بدراسة الأحاديث النبوية الواردة بشأن علامات النبوة بعد البعثة الشريفة وتحليلها، ببيان غريبها، والتوفيق بين ما ظاهره التعارض والاختلاف في النصوص النبويّة الواردة بخصوصها، والوقوف على الدلالات اللغويّة، والبلاغيّة، والبيانيّة المستوحاة من مضامينها، هذا بالإضافة إلى استنباط الإشارات النبويّة الدقيقة في معالجة أطراف هذا الموضوع القيم، وذلك من خلال الاطلاع على مذاهب علماء الحديث وشرّاحه المعتمدين في تناول المسائل التي عالجتها تلك الأحاديث وما يتفرع عنها من المسائل والفروع،

على أنِّي سأركز في التفصيل والشرح وسأقتصر على ثلاث علامات من جملة علامات النبوة الحسيّة والغيبية، والباقي أشير إليه إشارة على سبيل الإحصاء لعددها في الصحيحين؛ خشية الإطالة.

هيكلية الدراسة: تمّ تقسيمها إلى مبحثين، وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: علامات النبوة الحسيّة بعد البعثة الشريفة ودلائلها

المطلب الأول: معجزة انشقاق القمر

المطلب الثاني: نبع الماء من بين أصابعه الشريفة وتحتها

المطلب الثالث: حنين الجذع إليه وأنيته

المبحث الثاني: علامات النبوة الغيبية بعد البعثة الشريفة ودلائلها

المطلب الأول: إخباره ﷺ بهبوب ريح شديدة في غزوة العسرة (غياب الحاضر)

المطلب الثاني: إخباره ﷺ بالفتن التي تموج موج البحر وتقع خلال بيوتهم مواقع القطر

(غياب المستقبل القريب)

المطلب الثالث: إخباره ﷺ عن الطائفة المنصورة في نهاية الزمان (غياب المستقبل

البعيد)

الخاتمة: ويسجل فيها أهمّ النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة إضافة إلى التوصيات

المبحث الأول: علامات النبوة الحسيّة بعد البعثة الشريفة ودلائلها

تنوعت الأحاديث النبوية الشريفة الواردة بخصوص علامات النبوة الحسيّة بعد البعثة الشريفة، فمنها ما جاء بخصوص تأكيد أهميّتها وبيان فضلها، وأنّ خيريّة الأمة الإسلاميّة وتميّزها عن غيرها من باقي الأمم إنّما كان باختصاص نبيّها بهذه الخصائص دون غيره من سائر الأنبياء والمرسلين ممّن سبقوه في حمل لواء الرسالة والدعوة إلى الله جلّ شأنه، ومنها ما جاء ببيان أنواعها الدالة على شموليّتها لجوانب كثيرة أساسها الحس والمشاهدة، حيث لحظها كلّ من كان بصحبة النبي ﷺ وشاهدها فكانت ماثلة أمام عينيه، وقد أفرد البخاري باباً كاملاً في كتاب المناقب لهذه العلامات ولغيرها من العلامات الغيبية سمّاه بـ (باب علامات النبوة)، هذا بالإضافة إلى تخريجها في كتب أخرى من كتب صحيحه؛ لتعلقها بها، ككتاب الوضوء، والصلاة، والجمعة، والجهاد والسير، والتفسير، والمغازي، كما بلغ مجموع هذه العلامات في هذه الكتب ثمانية عشر علامة، وكذلك فعل مسلم، إذ أفرد باباً كاملاً في كتاب الفضائل سمّاه بـ (باب في

معجزات النبي ﷺ، حيث بلغ مجموع ما أخرجه من هذه العلامات تحته تسع علامات، وسأتناول في هذا المبحث ثلاث علامات من جملة هذه العلامات من حيث: تعريفها وبيان معناها، وزمن حدوثها، ودليلها من السنة النبوية مع التنويه إلى أهم الإشارات النبوية الدالة على أهمية هذه العلامات، وموقف المشركين منها، وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: معجزة انشقاق القمر

تعريفها: ويقصد بهذه المعجزة: أن القمر انطلق وافترق نصفين على جبلين من جبال مكة نصف على جبل أبي قُبَيْسٍ والنصف الآخر على السويداء، وقيل: انفطر نصفين نصف على جبل الصفا ونصف على جبل المروة.

وهي معجزة خارقة للعادة وآية عظيمة لا يعادلها شيء من آيات الأنبياء؛ لأنه ظهر في ملكوت السمّاء، والخطب فيه أعظم والبرهان به أظهر؛ لأنه خارج عن جملة طباع ما في هذا العالم من العناصر كما قال الإمام الخطابي^(١).

زمن حدوثها: وقعت هذه المعجزة الحسية بمكة في السنة التاسعة من البعثة النبوية قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بنحو خمس سنوات على ما ذكر بعض أصحاب السير والشروح الحديثية في كتبهم^(٢)، وكان ممن حضرها وشاهدها مع النبي ﷺ بأمر عينيه الصحابي الجليل ابن مسعود ومعه غيره من الصحابة، فقد صرح بذلك، كما جاء في بعض الروايات عنه، حيث قال: «انشقَّ القمرُ ونحنُ معَ النبيِّ ﷺ فَصَارَ فَرَقَتَيْنِ فَقَالَ لَنَا: «أشْهَدُوا أَشْهَدُوا»^(٣). وكذا فيما رواه مسلم عنه، حيث قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فَلَاقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فَلَاقَةً وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفَلَاقَةً دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أشْهَدُوا»^(٤).

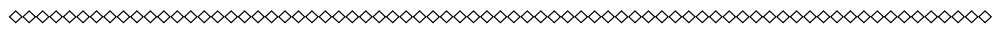
دليلها من الكتاب والسنة: سأل المشركون النبي ﷺ آيات كثيرة تكون أمارة على نبوته وعلامة دالة على صدق دعواه وذلك من باب التعنّت والتكبر لا من باب الإذعان لنداء الإيمان والاستجابة لصوت الحق، وقد كان من ضمن ما سألوا من الأمارات وطلبوا أن يُشقَّ لهم القمر وينفطر نصفين، فانشقَّ وانفطر، ومما يؤكد ذلك: ما جاء في كتاب الله العزيز حيث قال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، (القمر، ١) وبوّب البخاري في صحيحه بسؤال المشركين هذا

(١) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٦٢/١٦).

(٢) أبو نعيم، دلائل النبوة، (٢٧٩/١)، وانظر: القسطلاني، المواهب اللدنية في المنح النبوية، (٢٥٤/٢).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا، (٤٨٦٥)، (١٤٢/٦).

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، (٤٤)، (٢١٥٨/٤).



ومطلبهم، فقال تحت كتاب المناقب: «باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر»، ثم أخرج تحته حديث ابن مسعود، وأنس، وابن عباس، فجاء في رواية ابن مسعود وابن عباس: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: أشهدوا»^(١)، أي اضبطوا هذا القدر بالمشاهدة^(٢)، وخلصت رواية ابن عباس من قوله: «شقين»، وجاء في رواية أنس: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر»^(٣)، وبوب في كتاب التفسير أيضاً، بنص الآية الكريمة السالفة فقال: «وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا»، ثم أخرج تحته حديث ابن مسعود السابق، لكن بلفظ: «فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه»، فقال رسول الله ﷺ: «أشهدوا»^(٤)، وبوب مسلم أيضاً بعنوان الحادثة نفسها تحت كتاب صفة القيامة والجنة والنار^(٥)، وأخرج تحته حديث ابن مسعود، وأنس المشار إليهما سابقاً.

موقف المشركين منها: كان موقفهم التكذيب والمهاترة، والعناد والمكابرة، فوصفوها بأنها سحر مستمر، وهذا هو ديدنهم في كل ما طلبوه من الآيات، وردهم لها دليل كيدهم ودحضهم في الوقت ذاته، فعجزهم عن المجابهة والمواجهة هو من كان يدفعهم إلى الصدود والإدبار والمناكرة، وقد سجل موقفهم هذا منها في كتاب الله وسطر، فقال جل شأنه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (القمر، ٢)، وجاء في رواية عن ابن مسعود أيضاً ما يؤكد وصفهم لها بالسحر لهم من قبل محمد ﷺ، حيث قال: «انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار أهل مكة هذا سحر يسحركم به ابن أبي كبشة، انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر يسحركم به. قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل وجه فقالوا رأينا»^(٦). ومما ينبغي التأكيد عليه أنه قد حصل خلاف في مكان وقوع هذه الحادثة، وفق الاختلاف الحاصل بين الروايات التي رويت بشأنها، وقد نبه إلى ذلك بعض شراح الحديث:

قال العيني: «اختلفت الروايات في مكان الانشقاق، فجاء عن ابن عباس أنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ باثنتين شطره على السويداء وشرطه على الخندمة، وجاء عن أنس، ﷺ، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر بشقتين حتى رأوا حراء

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر، حديث رقم (٢٨٦٨)، (٤٩/٥)

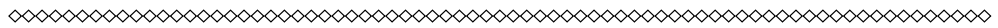
(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٨٤/٧).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر، حديث رقم (٢٨٦٨)، (٤٩/٥).

(٤) المصدر السابق، كتاب التفسير، باب وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا، حديث رقم (٤٨٦٤)، (١٤٢/٦).

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، حديث رقم (٢٨٠٠)، (٢٨٠٢)، (٢١٥٨/٤) - (٢١٨٩).

(٦) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (٢٦٦/٢).



بينهما، وفي تفسير أبي عبد الله. قال المشركون للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فاشقق لنا القمر. فقال: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة الجمعة، فسأل الله تعالى فانشق فرقتين: نصف على الصفا ونصف على قعيقعان. الحديث، وروى البيهقي من حديث أبي معمر عن عبد الله. قال: «رأيت القمر منشقاً بشقتين مرتين: بمكة شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «كان يرى نصفه على قعيقعان والنصف الآخر على أبي قبيس. وعند مسلم من حديث شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر، قال: «انشق القمر فلتقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل»^(١).

وكان ممن جمع بينها ابن حجر، حيث قال: «والذي يقتضيه غالب الروايات أن الانشقاق كان قرب غروبهِ ويؤيد ذلك إسنادهم الرؤية إلى جهة الجبل، ويحتمل أن يكون الانشقاق وقع أول طلوعه، فإن في بعض الروايات أن ذلك كان ليلة البدر أو التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة؛ لأنَّ الغرض ثبوت رؤيته منشقاً إحدى الشقتين على جبل والأخرى على جبل آخر، ولا يغير ذلك قول الراوي الآخر: رأيت الجبل بينهما أي بين الفرقتين؛ لأنه إذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره مثلاً صدق أنه بينهما، وأي جبل آخر كان من جهة يمينه أو يساره صدق أنها عليه أيضاً وسيأتي في تفسير سورة القمر من وجه آخر عن مجاهد بلفظ آخر، وهو قوله انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ فقال اشهدوا اشهدوا «وليس فيه تعيين مكان»^(٢).

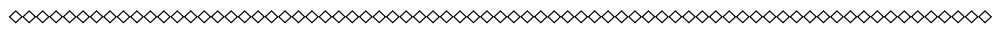
وهذه المعجزة تُعدُّ من أعظم المعجزات التي أوتيتها النبي ﷺ للأسباب التالية:

أولاً: حدثت المعجزة بناء على طلب من الكفار، والآية التي تكون على طلب المتحدي أبلغ في إظهار قوة المتحدِّي وألزم للخصم.

ثانياً: حدثت المعجزة في آية من أعظم الآيات الكونية وهي القمر، الذي يتعلق به قلوب الناس وأبصارهم كل ليلة، خاصة في مثل هذا الزمن، فكون المعجزة في القمر نفسه هذا يعني أنها معجزة عامة لا يسع أحداً أن ينكرها فقد شاهدها المسلم والكافر، والكبير والصغير، والحاضر والبادي، فهي بذلك تختلف عن بقية معجزات النبي ﷺ التي غالباً ما تقتصر رؤيتها على أصحابه -رضي الله عنهم-، كتكثير الطعام، كما يجمع أصحاب العقول السليمة والفطر السوية أنها معجزة لا يقدر عليها إلا الذي خلق الشمس والقمر، وهو الله تبارك وتعالى، ويجمعون أيضاً على أنها معجزة لا تأتي عن طريق السحر والشعوذة والإيحاء، وهل قدر السحرة من قبل ومن بعد على مثلها؟

(١) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٢٠٦/١٩).

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٨٤/٧).



ثالثاً: هذه المعجزة هي المعجزة الحسيّة الوحيدة القائمة بأمر الله إلى الآن، ذلك أنّ علماء الفلك في عصرنا هذا قد ضبطوا أثر الانشقاق في جسم القمر؛ لأنّ القمر بعد الانشقاق لم يلتئم تماماً، فقد ترك الانشقاق أثراً فيه كالشرخ، والذي أفاد بذلك هو أحد علماء الفلك الأمريكيين الذي أعلن إسلامه بعد رؤيته لهذا الأثر في جسم القمر وقد أسس هذا العالم جميعه للدعوة إلى الإسلام على إثر ذلك، فالله عزّ وجل أراد أن تبقى هذه المعجزة ظاهرة للعيان أبد الدهر، ولو شاء الله لالتأم القمر تماماً بعد الانشقاق.

رابعاً. أثبت القرآن الكريم تلك المعجزة الحسيّة للنبي ﷺ دون بقية المعجزات^(١).

المطلب الثاني: نُبْعُ الماء من بين أصابعه الشريفة وتحتها

تعريفها: هي معجزة حسيّة وقعت في مواطن عدّة ومواقف شتى وشاهدها الجَمّ الغفير من الصحابة ممّا يؤكد تواترها، فقد نقلها غير واحد من الصحابة الكرام ممّن حضرها مع رسول الله ﷺ، كأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رضي الله عنهم جميعاً-، وتعني: خروج الماء وبروزه من ذات أصابعه الشريفة ومن تحتها كما يخرج الماء من منابعه الرئيسيّة، وهي العيون، بل أشدّ وأقوى.

وممّا يؤكد ذلك تفسير النووي -رحمه الله-، حيث قال: «وأكثر العلماء أنّ معناه أنّ الماء كان يخرج من نفس أصابعه ﷺ وينبع من ذاتها. قالوا: وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر، ويؤيد هذا أنّه جاء في رواية فرأيت الماء ينبع من أصابعه، والثاني: يحتمل أنّ الله كثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه لا من نفسها وكلاهما معجزة ظاهرة وآية باهرة»^(٢). وتوضيح الحافظ ابن حجر في معرض تعقبه على القرطبي في بيان وجه الإعجاز لهذه العلامة الحسيّة، حيث قال: «وظاهر كلامه أنّ الماء نبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع ويؤيده قوله في حديث جابر الآتي: «فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه»، وأوضح منه ما وقع في حديث ابن عباس عند الطبراني: «فجاؤوا بشن فوضع رسول الله ﷺ يده عليه ثمّ فرق أصابعه فنبع الماء من أصابع رسول الله ﷺ مثل عصا موسى، فإنّ الماء تفجر من نفس العصا فتمسكه به يقتضي أنّ الماء تفجر من بين أصابعه، ويحتمل أن يكون المراد أنّ الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة إلى رؤية الرائي، وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه ﷺ في الماء فرآه الرائي نابحاً

(١) زواوي، شمائل الرسول ﷺ، (١١٥/١-١١٦)، بتصرف.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٣٩/١٥).

من بين أصابعه، والأول أبلغ في المعجزة وليس في الأخبار ما يرده وهو أولى»^(١).

زمن حدوثها ودليلها من السنّة النبويّة: وقعت هذه الحادثة الحسيّة بعد الهجرة النبويّة في أزمنة متفرقة وذلك بحسب المواطن التي حصلت فيها واحتاج الصحابة لهذه النعمة العظيمة (نعمة الماء)، إمّا للوضوء فيه، أو للشرب منه في حال عطشهم عطشاً شديداً، ومن ذلك:

أولاً. نبع الماء من بين يديه الشريفة حال حاجتهم للوضوء فيه: ووقع ذلك في موضع من مواضع المدينة المنورة يقال له الزوراء ما بين السوق والمسجد، وقد كان عدة من توضع بفضل بركة الماء الذي وضع ﷺ يده الشريفة فيه زهاء ثلاث مائة نفس على ما رواه الشيخان من حديث أنس -رضي الله عنه-، حيث قال: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِإِنَاءٍ، وَهُوَ بِالزُّورَاءِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ». قَالَ فَتَادَةُ: «قُلْتُ لِأَنْسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثَ مِائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ ثَلَاثَ مِائَةٍ»^(٢). وجاء عنه في رواية أخرى في الصحيحين أيضاً أنهم كانوا ما بين السبعين والثمانين، ممّا يرجح أنّهما حادثتان مستقلتان جرتا في وقتين مختلفين ورواهما جميعاً أنس^(٣)، فعن أنس أن النبي ﷺ: «دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَتَى بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ»^(٤)، فيه شيء من ماء، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ»، قَالَ أَنْسُ: فَجَعَلَتْ أَنْظَرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، قَالَ أَنْسُ: فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ، مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ»^(٥).

ويبدو أنّ ذلك إنّما كان في بعض مخارجه ﷺ وأسفاره وكان ذلك تزامناً مع صلاة العصر على ما في روايتي أنس الأخرين، الأولى: من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ»^(٦). والثانية: من طريق الحسن عنه قال: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَعْضِ مَخَارِجِهِ، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَانْطَلَقُوا يَسِيرُونَ،

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥٨٥/٦).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٥٧٢)، (١٩٢/٤)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٩)، (١٧٨٢/٤).

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٢٩/١٥)، بتصرف، وانظر أيضاً: ابن حجر، فتح الباري، (٥٨٤/٦).

(٤) الرجحان هو: «الإناء الواسع الصحن القريب القعر ومثله لا يسع الماء الكثير، فهو أدل على عظم المعجزة»، انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢٠٤/١).

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء من التور، حديث رقم (٢٠٠)، (٥١/١)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٩)، (١٧٨٢/٤).

(٦) المصدران السابقان: البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٥٣٧)، (١٩٢/٤)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٩)، (١٧٨٢/٤).

فَحَضْرَتِ الصَّلَاةِ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً يَتَوَضَّؤْنَ، فَانطَلَقَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِقَدْحٍ مِنْ مَاءٍ يَسِيرٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَدَّ أَصَابِعَهُ الأَرْبَعِ عَلَى الْقَدْحِ ثُمَّ قَالَ: «قَوْمُوا فَنَتَوَضَّؤُوا، فَنَتَوَضَّأُ الْقَوْمُ حَتَّى بَلَغُوا فِيمَا يَرِيدُونَ مِنَ الوُضْوءِ، وَكَانُوا سَبْعِينَ أَوْ نَحْوَهُ»^(٧)، ويؤكد ذلك رواية أنس السابقة التي أخرجها الشيخان من طريق ثابت، عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَتَيْتِي بِقَدْحٍ رَحْرَاحٍ، فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ، قَالَ أَنَسٌ: فَجَعَلَتْ أَنْظُرُ إِلَى المَاءِ يُتَبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، قَالَ أَنَسٌ: فَحَزِرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ، مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ»^(٨).

ثانياً. نبع الماء من بين يديه الشريفة حال حاجتهم للشرب منه والوضوء فيه أيضاً، وقد كان ذلك يوم الحديبية، أي في السنة السادسة من الهجرة، وقد عطش الناس يوماً عطشاً شديداً، ولم يكن بين أيديهم سوى رُكوة للنبي ﷺ توضع منها، فلما أقبل الناس نحوه وشكوا له حالهم وضع يده الشريفة فيها فزار من بين أصابعه الماء كأمثال العيون، فشربوا منه وتوضَّؤوا على ما جاء في رواية البراء بن عازب -رضي الله عنهم-، أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَع مِائَةٌ أَوْ أَكْثَرَ، فَنَزَلُوا عَلَى بئرِ فَنَزَحُوا^(٩)، فَأَتَوْا رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ، فَأَتَى البئرَ وَقَعَدَ عَلَى شَفِيرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَتُونِي بَدَلُوا مِنْ مَائِهَا، فَأَتَيْتِي بِهِ، فَبَصَّقْتُ فَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: دَعْوَاهَا سَاعَةً. فَأَرَوُوا أَنفُسَهُمْ وَرَكَبَهُمْ حَتَّى ارْتَحَلُوا»^(١٠). وجاء في رواية جابر بن عبد الله -رضي الله عنهم-، حيث قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه رُكوة^(١١) فتوضَّأَ، فَجَهَشَ^(١٢)، النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرُّكوةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يُتَوَرُّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَأَمثالِ العيونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكُنَّا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً»^(١٣).

وهذا مفاير لحديث البراء أنه صبَّ ماء وضوئه في البئر فكثر الماء في البئر، وجمع ابن

(٧) المصدران نفسهما: البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٥٢٧)، (١٩٢/٤)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٩)، (١٧٨٢/٤).

(٨) المصدران نفسهما: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء من التور، حديث رقم (٢٠٠)، (٥١/١)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٩)، (١٧٨٢/٤).

(٩) النزح: هو أخذ الماء شيئاً بعد شيء إلى أن لا يبقى منه شيء، انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٤٤٢/٧).

(١٠) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم (٤١٥٠)، (١٢٢/٥).

(١١) الركوة بفتح الراء وهي: «إناء صغير من جلد يشرب منها الماء، والجمع: ركا»، انظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٢٠/١٦).

(١٢) جهش الناس: «بفتح الجيم والهاء بعدها معجزة أي أسرعوا لأخذ الماء»، انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥٨٦/٦).

(١٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٥٧٦)، (١٩٢/٤)، وأخرجه أيضاً في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم (٤١٥٢)، (١٢٢/٥).



حبان بينهما بأن ذلك وقع مرتين، ووجه آخر للجمع بينهما وهو أن يقال: بأن حديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعمّ من ذلك، ويحتمل أن يكون الماء لما تقجر من أصابعه ويده في الركوة وتوضؤوا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصبّ الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها^(١).

وهذه الشواهد العمليّة الواردة بخصوص هذه المعجزة الحسيّة إن دلّت على شيء، فإنّما تدل على بركة النبي ﷺ من جهة، ومن جهة أخرى على عظم منزلته وكبير مقداره في ميزان الله جلّ جلاله؛ إذ خصّه بها وبغيرها - ممّا سبق وسيأتي - دون سائر الأنبياء والمرسلين، يقول القرطبي: «ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه»، وعن المزني أنّه قال «نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتجرت منه المياه؛ لأنّ خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم»^(٢).

كما أنّها تدل على أهميّة نعمة الماء في حياة بني الإنسان وغيره من الكائنات الحيّة، فهو لا غنى له عنه لا في أكله ولا في شربه ولا في أداء عبادته بحال من الأحوال، فهي نعمة عظيمة من نعم الله التي تستوجب شكره، وذكره، وحسن عبادته.

موقف المشركين منها: لم تكن هذه المعجزة الحسيّة بأسعد حظاً من سابقاتها ولا أوفره في أعين الجاحدين من عليّة المشركين وصناديدهم، فكيف بمن تابعهم من صفار القوم على غير تفهم وروية، وكذا الحال بمن شايعهم وروّج لهم من اليهود والأعراب ومن هم على شاكلتهم، فالطيور على أشكالها تقع وتتبع، فالجحود لهذه العلامة التي حضرها الجسم الغفير من الناس والإنكار عنوانهم، والسخرية والاستهزاء ديدنهم وإشهارهم.

المطلب الثالث: حنين الجذع إليه وأنيته

تعريفها: هي معجزة من المعجزات الحسيّة التي تواترت بها الأحاديث والأخبار، وتناقلتها الأجيال واشتهرت بها الآثار، وهي من أعظم ما أوتيه النبي ﷺ ومن أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوته، وممّا يؤكّد ذلك قول الإمام الشافعي - رحمه الله -: «إنّها أكبر ممّا أعطيه عيسى عليه السلام، يعني من إحياء الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص»^(٣).

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٤٤٢/٧).

(٢) المصدر السابق، (٥٨٥/٦).

(٣) النيسابوري، شرف المصطفى، (٣٩٤/٣)، بتصرف.

والمقصود بحنين الجذع: الصوت الدال على شوقه إلى رسول الله ﷺ، وانعطافه إليه، وبكائه لديه، والأصل في الحنين أنه: صوت المتألم المشتاق عند الفراق، وإنما يشترك إلى بركة الرسول ﷺ ويتأسف على مفارقتة أعقل العقلاء، والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة، وهذا يدل على أن الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا حنّ وأنّ، والجذع: واحد جذوع النخل، وهو أصل النخلة، والمراد به هنا: ما كان من عمد المسجد وكان يتكى عليه حال الخطبة^(١).

زمن حدوثها ودليلها من السنة النبوية:

أمّا عن زمن حدوثها، فالظاهر من جملة النصوص النبوية الواردة بشأنها أنها وقعت بعد اتّخاذ المنبر في المسجد النبوي، وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يتكى على جذع نخلة حال الخطبة، وقد كان المسجد آنذاك مسقوفاً بجذوع النخل التي كانت له بمثابة الأعمدة وبمنزلتها، فلمّا تركه والتزم المنبر حنّ إليه ذلك الجذع وأنّ، بل خار كما يخور الثور كما جاء في بعض الروايات، وفي بعضها صاحت النخلة كما يصيح الصبي، فأتاه النبي ﷺ فمسح عليه وضمه إليه، فسكن وسكت، وممّا يؤكد ذلك:

ما جاء عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلمّا اتّخذ المنبر تحوّل إليه فحنّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه^(٢)، وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-، أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «إن شئتم، فجعلوا له منبراً، فلمّا كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، تئنّ أنين الصبي الذي يسكن». قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها^(٣)، وعنه أيضاً قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلمّا صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار^(٤)، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت»^(٥).

(١) القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (٢/٢٧٠)، بتصرف.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٥٨٣)، (٤/١٩٥).

(٣) المصدر السابق، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٥٨٤)، (٤/١٩٥).

(٤) صوت العشار: «بكسر المهملة بعدها معجمة خفيفة جمع عشار، والعشراء الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر، انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦/٦٠٢).

(٥) المصدر نفسه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٥٨٥)، (٤/١٩٥).

ليس هذا فحسب، بل رويت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ روايات عديدة بشأن هذه العلامة الحسيّة من جملة من حضرها من الجَمِّ الغفير من الصحابة وشاهدها بأَمِّ عينيه، حتى بلغت حدَّ اليقين والتواتر، يقول القاضي عياض: «حديث حنين الجذع مشهور منتشر، والخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر، منهم: أبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، وبريدة، وأمّ سلمة، والمطلب بن أبي وداعة»^(١).

ويقول البيهقي: «هذه الأحاديث التي ذكرناها في أمر الحنانة كلها صحيحة، وأمر الحنانة من الأمور الظاهرة والأعلام النيرة التي أخذها الخلف عن السلف، ورواية الأحاديث فيه كالتكليف»^(٢)، وأكد قولهما الحافظ في الفتح، حيث قال: «حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كلٍ منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك»^(٣).

ويستفاد من جملة ما ورد بشأن حنين الجذع وأنيبه من نصوص نبويّة: فضيلة الذكر، ومعجزة ظاهرة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والردّ على القدرية؛ لأنّ الصياح ضرب من الكلام، وهم لا يجوزون الكلام إلا من ذي فم ولسان، كأنّهم لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت، ٢١)، وأنّ الأشياء التي لا روح لها تعقل إلا أنّها لا تتكلم حتى يؤذن لها^(٤)؛ لذا كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول: «يا معشر المسلمين الخشبة تحنّ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شوقاً إلى لقائه، فأنتم أحق أن تشاقوا إليه»^(٥).

موقف المشركين منها: هذه العلامة الحسيّة وإن كانت رؤيتها في الغالب مقتصرة على

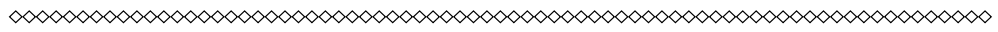
(١) اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (٥٨١/١)، ففي حديث أبي الزبير عن جابر عند النسائي في الكبرى: «اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلو، وفي حديث أنس عند ابن خزيمة: "فحنت الخشبة حنين الولد"، وفي روايته الأخرى عند الدارمي: «خار ذلك الجذع كخوار الثور»، وفي حديث أبي بن كعب عند أحمد والدارمي وابن ماجه: «فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق»، وفي حديثه فأخذ أبي بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلي وعاد رفاتا، وهذا لا ينالني من أنه دفن كما جاء في إحدى الروايات: لاحتمال أن يكون ظهر بعد الهدم عند التطييف فأخذه أبي بن كعب، وفي حديث بريدة عند الدارمي: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت يعني قبل أن تصير جذعاً، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل منك أولياء الله فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختار أن أغرسه في الجنة»، انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦٠٢/٦)، بتصرف.

(٢) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (٥٦٣/٢).

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥٩٢/٦).

(٤) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٢١٢/١١)، بتصرف.

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦٠٢/٢)، بتصرف.



الصحابه الذين حضروا صلاة الجمعة مع الخطبة بعد اتّخاذ المنبر بطبيعة الحال وبحضرة النبي ﷺ، إلا أنّ خبرها قد عمّ الآفاق وانتشر، ومع هذا لم يكن للمشركين سبيل للهداية والإذعان بسماع هذا الخبر، فهم لم يذعنوا لما شاهدوه بأنّ أعينهم، فكيف بما اقتصرت آذانهم بسماعه دون مشاهدته؟

المبحث الثاني:

علامات النبوة الغيبية ودلائلها بعد البعثة الشريفة

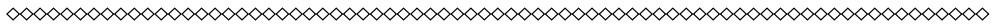
تنوعت الأحاديث الواردة بشأن علامات النبوة الغيبية بعد البعثة الشريفة، فمنها ما جاء بخصوص غياب الحاضر، أي الذي أخبر عنه النبي ﷺ، وحصل في زمانه وفي حال حياته، ومنها ما جاء بخصوص غياب المستقبل، أي الذي أخبر عنه ﷺ بأنه سيقع في المستقبل، وتحقق وسيحقق وقوعه بعد وفاته، وقد أفرد البخاري باباً كاملاً في كتاب المناقب لهذه العلامات ولغيرها من العلامات الحسية سمّاه بـ (باب علامات النبوة)، كما عقد كتاباً آخر من كتب صحيحه، وهو كتاب الفتن، أخرج فيه جلّ هذه العلامات خاصة تلك التي تتعلق بأحداث آخر الزمان، والفتن التي تظهر فيه وتنتشر كقطع الليل المظلم، وما يكون قرب قيام الساعة، وقد بلغ مجموعها في هذين الكتابين واحد وخمسون علامة، وكذلك فعل مسلم، فقد أفرد لهذه الأحداث كتاباً كاملاً سمّاه بـ (كتاب الفتن وأشراف الساعة)، أخرج فيه أربعون علامة تحت أبواب متفرقة منه عنونها بعناوين تناسبها، كما أخرج بعضها الآخر في كتاب الإمارة من كتب صحيحه، وسأتناول في هذا المبحث ثلاث علامات من جملة هذه العلامات من حيث: تعريفها، وزمن حدوثها، ودليلها من السنة النبوية، هذا بالإضافة إلى التنويه بأهمّ الإشارات النبوية المستوحاة من مضامينها، وفق المطالب التالية:

المطلب الأول: إخباره ﷺ بهبوب ريح شديدة في غزوة العسرة (غياب الحاضر)

تعريفها: الإخبار: هو الإعلام بالشيء على جهة التنويه بأهميته، يقول ابن فارس: «خبر: الخبر: العلم بالشيء، يقال: خبرت الشيء أخبره خبراً وخبرة، ومن أين خبرت هذا؟ أي: من أين علمته؟^(١). والهبوب: مصدر الفعل الثلاثي هبّ، يقال: هبّ الريح هبباً وهبباً: ثارت وهاجّت، والهبوبة: الريح التي تثير الغبرة، وكذلك الهبوب والهبيب^(٢)، والريح الشديدة هي: الإحصار التي تهب من الأرض وتثير الغبار فتترنّع كالعمود إلى نحو السماء، وهي التي تسميها

(١) ابن فارس، مجمل اللغة، (٢١٠/١).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (٧٧٨/١).



النَّاسُ الزُّبُعَةَ، وَهِيَ لَا يُقَالُ لَهَا إِعْصَارٌ حَتَّى تَهْبَّ كَذَلِكَ بِشِدَّةٍ^(١)، وَغَزْوَةُ الْعَسْرَةِ: هِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِبَعْدِ الشَّقَةِ، وَلِحَالِ الضَّنْكِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بِالْمُسْلِمِينَ آنَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَقِلَّةِ الْمَالِ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ.

زمن حدوثها ودليلها من السنة النبوية:

أَمَّا عَنْ زَمَنِ حَدُوثِهَا، فَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْعَلَامَةُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهَذِهِ الْعَلَامَةُ تُعَدُّ مِنْ غَيْبِ الْحَاضِرِ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِوُقُوعِهِ فِي زَمَانِهِ وَبَيْنَ ظَهْرَانِهِ، وَقَدْ تَمَّ وَقُوعُهُ كَمَا أَخْبَرَ، وَمِمَّا يُوَكِّدُ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي حَمِيدٍ، قَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَأَتَيْنَا وَادِيَ الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةِ لَامْرَأَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْرُصُوهَا»^(٢)، فَخَرَّصْنَاهَا^(٣) وَخَرَّصَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ^(٤)، وَقَالَ: «أَحْصِيهَا»^(٥) حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَنْطَلَقْنَا، حَتَّى قَدَمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَهَبُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدِّ عِقَالَهُ»، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلْتَهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طِيءٍ^(٦)، وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعَلَمَاءِ، صَاحِبُ آيَةَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكِتَابٍ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدَمْنَا وَادِيَ الْقُرَى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْأَةَ عَنْ حَدِيقَتِهَا كَمْ بَلَّغَ ثَمْرُهَا؟ فَقَالَتْ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ»^(٧).

ففي هذا الأثر أخبر النبي ﷺ من ذهب معه من الصحابة لقتال الروم في أرض تبوك بحصول هذه العلامة ووقوعها حال وصولهم تلك الليلة، وأمرهم بالمكوث بذات المكان وعدم القيام، كي لا يصابوا بضر من شدة هبوبها، كما أمر من كان له بغير بشد عقال بغيره كي لا يتفلت منه، فالتزموا أمره ﷺ سوى رجل منهم خالف، فقام فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء، وهما جبلان معروفان بأرض نجد.

وهذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والرحمة لهم والاعتناء بمصالحهم،

(١) المصدر السابق، (٥٧٨/٤).

(٢) اخْرُصُوهَا: قَدَرُوا وَخَمِنُوا ثَمْرَهَا، انظر: القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٢٨١٤/٩).

(٣) فخرصناها: أي: مختلفين في قدرها، انظر: المصدر السابق، (٢٨١٤/٩).

(٤) الوسق: ستون صاعاً، انظر: القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٢٨١٤/٩).

(٥) احصيتها: اضبطيها واحفظي عددها كم يبلغ ثمرها، انظر: المصدر السابق، (٢٨١٤/٩).

(٦) جبلي طيء: أحدهما أجأ بفتح الهمزة والجيم وبالهمز، والآخر سلمى بفتح السين، وهما بأرض نجد، ويقال: إنهما سميا باسم رجل وامرأة من العماليق، وطفء بياء مشددة بعدها همزة على وزن سيد: وهو أبو قبيلة من اليمن وهو طيء بن أدر بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حمير، انظر: القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٢٨١٤/٩)، والنووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٤٢/١٥).

(٧) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ حديث رقم (١٣٩٢)، (١٧٨٥/٤).

وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا، وإنما أمر بشدّ عقل الجمال؛ لئلا ينفلت منها شيء فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه، واستحباب امتحان العالم أصحابه بمثل هذا التمرين^(١).

كما أنّ فيه معجزة أخرى، وهي طلبه ﷺ من أصحابه بإحصاء ما في حائط المرأة التي مرّوا عليها بوادي القرى من الثمر، فاختلفوا في خرصها، أي عدّها وإحصائها، فخرصها النبي ﷺ فبلغت عشرة أوسق، ثمّ طلب منها ﷺ أن تحصيها لحين عودتهم، فلمّا عادوا ومرّوا بها ثانية حصل التطابق، فكانت معجزة أخرى بادية للعيان، يقول القاري: «ولعله ﷺ أراد بهذه المعجزات إظهار نبوّته للذين كانوا معه من أهل النفاق ولزيادة إتيان إيمان أهل العرفان»^(٢).

المطلب الثاني: إخباره ﷺ بالفتن التي تموج موج البحر وتقع خلال بيوتهم مواقع القطر (غيب المستقبل القريب)

تعريفها: الإخبار: هو الإعلام بالشيء على جهة التنويه بأهميته - كما ذكر سابقاً -، فكيف إذا كان المُخَبَّرُ به الفتن التي تموج موج البحر؟

وأما الفتن: فهي ما يفتتن به الإنسان، أي ما يبئلى به ويمتنح في أمور الدين والدنيا على حدّ سواء، وهي مصدر الفعل الثلاثي (فَتَنَ)، يقال: «فَتَنَ الْمَالُ النَّاسَ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ فُتُونًا اسْتَمَالَهُمْ، وَفَتِنَ فِي دِينِهِ وَافْتِنَ أَيْضًا بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مَالَ عَنْهُ، وَالْفِتْنَةُ: الْمِحْنَةُ وَالْإِبْتِلَاءُ، وَالْجَمْعُ فِتْنٌ»^(٣)، ويقول الأزهري: «جماع معنى الفتنّة الإبتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد، ويقول ابن الأعرابي: «الفتنة الاختبار، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالأراء»^(٤)، وموج البحر معروف، أي اضطرابه وهيجانه، ومواقع القطر: القطر: مصدر الفعل الثلاثي: (فَطَرَ)، يقول ابن فارس: «القَافُ، وَالطَّاءُ، وَالرَّاءُ هَذَا بَابٌ غَيْرٌ مَوْضُوعٌ عَلَى قِيَاسٍ، وَكَلِمَةٌ مَبْنِيَةٌ الْأَصُولُ، فَالْقَطْرُ: النَّاحِيَةُ. وَالْأَقْطَارُ: الْجَوَانِبُ، وَالْقَطْرُ: قَطْرُ الْمَاءِ وَغَيْرِهِ»^(٥).

وهذا يعني أنّ النبي ﷺ قد أخبر بالابتلاءات والمحن التي من شدتها، فكأنّها تضطرب وتهيج اضطراب البحر وهيجانه، فتقع خلال بيوتهم كما يقع المطر وينتشر، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدل على عظمها وشدتها في افتتان مَنْ وقعت به وحلت خلال قطره وفي داره، كما يدل على أنّ الفتنة

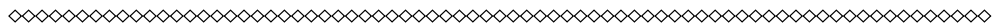
(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٤٢/١٥).

(٢) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٢٨١٥/٩).

(٣) الفيومي، المصباح المنير في غريب النثر الكبير، (٤٦٢/٢).

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (٢١٧/١٢).

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (١٠٦-١٠٥/٥).



لفظ من ألفاظ العموم، فهي تشمل ألوان كثيرة ومتنوعة مما قد يصيب الإنسان ويبتلى به، فقد يفتتن بأعزّ النَّاس وأقربهم إليه كاهتتانه بأهله، وبأولاده، وقد يفتتن بماله، وأعظم من ذلك وأشدّ أن يفتتن من جهة دينه، فيقع في الكفر والضلال والمعصية أجازنا الله من ذلك كله.

زمن حدوثها ودليلها من السنة النبوية:

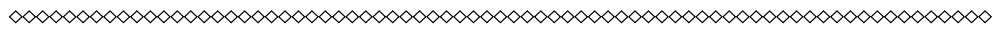
أمّا عن زمن حدوثها، فهذه العلامة تُعدُّ من غيب المستقبل القريب الذي أخبر النبي ﷺ بوقوعه بعد وفاته، وقد تحقّق وقوعه كما أخبر، ومما يؤكد ذلك: ما جاء عن أسامة بن زيد، قال: أشرف^(١) النبي ﷺ على أطم^(٢) من الأطام، فقال: «هل ترون ما أرى؟ إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر»^(٣)، ففي هذا الأثر أخبر النبي ﷺ الصحابة بالفتن التي ستقع خلال بيوتهم، أي: بينها ونواحيها، وقد كشفت له من ربّ العزة فأبصرها عياناً أو مثلت له حتى نظر إليها كما مثلت له الجنة والنار في القبله فرأهما وهو يصلي، وتشبيهه لها ﷺ بمواقع القطر إشارة إلى الكثرة والعموم، أي إنّها كثيرة وتعمّ النَّاس لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل، وصفين، والحرّة، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين -رضي الله عنهما-، وغير ذلك.

وإنما اختصت المدينة بذلك؛ لأنّ قتل عثمان ﷺ كان بها ثمّ انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبعصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بعصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنّما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه، ثمّ إنّ قتل عثمان كان أشدّ أسبابه الطعن على أمرائه ثمّ عليه بتوليته لهم، وأول ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق، وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم؛ لأنّه إذا وقع في أرض معينة عمّها ولو في بعض جهاتها، فشبّه سقوط الفتن وكثرتها بالمدينة بسقوط كثرة القطر وعمومه، قال ابن بطال: «...»، وأخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال البيوت ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرّها»، وفسر المهلب الرؤية هنا بالعلم، وهذا من علامات النبوة؛ لإخباره بما سيكون، وقد ظهر مصداق ذلك من قتل عثمان، -رضي الله تعالى عنه-، وهلمّ جرا، ولا سيما يوم الحرّة^(٤).

(١) أشرف: «أي أطلع من علوه»، انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٢/١٢)

(٢) الأطم: بضمّ الهمزة والطاء هو: «القصر والحصن وجمعه أطام»، انظر: النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، (٧/١٨).
(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٢٥٩٧)، (١٩٨/٤)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، حديث رقم (٢٨٨٥)، (٢٢١١/٤)، بلفظ: «إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القطر».

(٤) النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، (٧/١٨)، وانظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٢/١٢)، والعيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٢٤٢/١٠)، بتصرف.



كما أخبر النبي ﷺ بالفتن التي ستقع بعد وفاته، وتموج كموج البحر، ويكون الباب في وجهها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعن حذيفة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال، قال: هات، إنك لجريء، قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره، تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»، قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر، قال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلقتاً، قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر، قال: ذاك أحرى أن لا يغلقت، قلنا: علم عمر الباب؟ قال: نعم، كما أن دون غد الليلة، إنني حدثته حديثاً ليس بالأغليط، فهبنا أن نسأله، وأمرنا مسروراً فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر^(١).

والمراد بالفتنة هنا ما يعرض للإنسان مع من ذكر من البشر أو الالتقاء بهم، أو أن يأتي لأجلهم بما لا يحل له، أو يخل بما يجب عليه، قال الزين بن المنير: «الفتنة بالأهل تقع بالميل إليهن، أو عليهن في القسمة والإيثار حتى في أولادهن، ومن جهة التفريط في الحقوق الواجبة لهن، وبالمال يقع الاشتغال به عن العبادة، أو بحبسه عن إخراج حق الله، والفتنة بالأولاد تقع بالميل الطبيعي إلى الولد وإيثاره على كل أحد، والفتنة بالجار تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق وإهمال التعاهد، وهذه الأسباب المذكورة من أسباب الفتنة بمن ذكر من باب التمثيل لا الحصر.

وأما تخصيص الصلاة وما ذكر معها بالتكفير دون سائر العبادات ففيه إشارة إلى تعظيم قدرها لا نفي أن غيرها من الحسنات ليس فيها صلاحية التكفير، والتكفير المذكور يحتمل أن يقع بنفس فعل الحسنات المذكورة ويحتمل أن يقع بالموازنة والأول أظهر والله أعلم، وخص الرجل بالذكر؛ لأنه في الغالب صاحب الحكم في داره وأهله، وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم، كما أن التكفير لا يختص بالأربع المذكورات، بل نبه بها على ما عداها، والضابط أن كل ما يشغل صاحبه عن الله فهو فتنة له، وكذلك المكفرات لا تختص بما ذكر، بل للتبويه به على ما عداها، فذكر من عبادة الأفعال الصلاة والصيام ومن عبادة المال الصدقة، ومن عبادة الأقوال الأمر بالمعروف.

فلما أخبر حذيفة عمر بذلك استدرك عليه قائلاً: «ولكن التي تموج موج البحر»، أي مرادي الفتنة التي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه، أو يدفع بعضها بعضاً لعظمتها، وكنى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة، وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة، فما كان

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٥٨٦)، (١٩٦/٤)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في الفتنة التي تموج موج البحر، حديث رقم (١٤٤)، (٢٢١٨/٤).

من حذيفة إلا أن أخبره بأن بينه وبينها باباً مغلقاً لا يخرج منها شيء في حياته، وكأنه مثل الفتن بدار، ومثل حياة عمر بياب لها مغلق، ومثل موته بفتح ذلك الباب، فما دامت حياة عمر موجودة فهي الباب المغلق لا يخرج ممّا هو داخل تلك الدار شيء، فإذا مات فقد انفتح ذلك الباب فخرج ما في تلك الدار، قال ابن المنير: «أثر حذيفة الحرص على حفظ السرّ ولم يصرح لعمر بما سأل عنه، وإنّما كنى عنه كناية، وكأنّه كان مأذوناً له في مثل ذلك»، وقال النووي: «يحتمل أن يكون حذيفة علم أنّ عمر يقتل، ولكنّه كره أن يخاطبه بالقتل؛ لأنّ عمر كان يعلم أنّه الباب، فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل»، وقال ابن بطال: «إنّما قال ذلك لأنّ العادة أنّ الغلق إنّما يقع في الصحيح، فأما إذا انكسر فلا يتصور غلقه حتى يجبر»، ويحتمل أن يكون كنى عن الموت بالفتح وعن القتل بالكسر؛ ولهذا قال عمر: «ذلك أحرى أن لا يغلق»، وإنّما قال ذلك اعتماداً على ما عنده من النصوص الصريحة في وقوع الفتن في هذه الأمة ووقوع البأس بينهم إلى يوم القيامة. والأغاليط جمع أغلوطه وهو: ما يغالط به، أي حدثته حديثاً صدقاً محققاً من حديث النبي ﷺ لا عن اجتهاد ولا رأي^(١).

المطلب الثاني:

إخباره ﷺ عن الطائفة المنصورة في نهاية الزمان (غيب المستقبل)

تعريفها: أي، إعلامه ﷺ عن التلة المؤمنة ومواصفاتها التي ستنتصر في آخر الزمان على أعدائها ممن يكيد للإسلام وأهله.

زمن حدوثها ودليلها من السنة النبوية:

تعدّ هذه العلامة من علامات غيب المستقبل الذي أخبر النبي ﷺ بوقوعه في المستقبل، وسيتحقّق بإذن الله وحوله وقوّته، وما يحصل الآن في بيت المقدس وأكنافه، وفي الشام، لهو خير شاهد على صدقه وصدق ما أخبر به ﷺ، وممّا يؤكد ذلك:

ما جاء عن حميد بن عبد الرحمن، سمعت معاوية، خطيباً يقول سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنّما أنا قاسمٌ والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»^(٢)، وهذا الحديث أخرجه البخاري في ثلاثة

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦/٦٠٥)، وانظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٥/٩)، بتصرف.

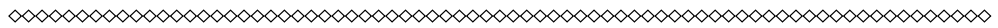
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم (٧١)، (١/٢٥)، مسلم، صحيح، كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، حديث رقم .. (١٠٣٧)، (٣/١٥٢٤).

مواضع من صحيحه؛ وذلك لمناسبته لهذه الأبواب، وهذا الموضع أولها، وأعاد تخريجه في كتاب فرض الخمس بزيادة: (وَهُمْ ظَاهِرُونَ)^(١)، ثم أعاد تخريجه مرّةً ثالثة في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ميّياً بالجملة الأخيرة موطن الشاهد على نصرة هذه الطائفة وميزتها العلم بالآثار، ولفظ: (مُسْتَقِيمًا) بدل (قَائِمَةً)^(٢)، أمّا مسلم فقد أخرجه بطرقه المتعددة في ذات الموطن من صحيحه وبألفاظ متعددة أيضاً من طريق غير واحد من صحابة رسول الله ﷺ، وهم: معاوية بلفظ: «... وَلَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣)، وثوبان، وفي حديثه زيادة (وَهُمْ كَذَلِكَ)^(٤)، والمغيرة بن شعبة بلفظ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ»^(٥)، وجابر بن سمرة بلفظ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٦)، وعقبة بن عامر بزيادة: (قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ)^(٧)، وسعد بن أبي وقاص بتحديد مكان الطائفة المنصورة: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٨)، ممّا يؤكد تواتر هذا الخبر عن رسول الله ﷺ.

من هي الطائفة المنصورة، وما هي ميزاتها:

اختلف العلماء في تحديد وصف الطائفة المنصورة التي أخبر عنها النبي ﷺ في الأحاديث المشار إليها سابقاً على النحو التالي: قال الإمام أحمد: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم»، وذهب البخاري إلى أنهم: «أهل العلم»، وأمّا القاضي عياض فقد فسّر مراد أحمد، حيث قال: «إنما أراد الإمام أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»^(٩)، وعمم

-
- (١) المصدر السابق، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنْ لِّلَّ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، حديث رقم (٣١١٦)، (٨٥/٤).
- (٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ»، حديث رقم (٧٣١١)، (١٠١/٩).
- (٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، حديث رقم (١٠٢٧)، (١٥٢٤/٣).
- (٤) المصدر السابق، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، حديث رقم (١٩٢٠)، (١٥٢٣/٣).
- (٥) المصدر نفسه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، حديث رقم (١٩٢١)، (١٥٢٣/٣).
- (٦) المصدر نفسه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، حديث رقم (١٩٢٢)، (١٥٢٤/٣).
- (٧) المصدر نفسه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، حديث رقم (١٩٢٤)، (١٥٢٤/٣).
- (٨) المصدر نفسه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، حديث رقم (١٩٢٥)، (١٥٢٥/٣).
- (٩) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢٩٥/١٣)، وانظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٥٢/٢).



النووي القول فيهم، فلم يقصره على طائفة أو فرقة بعينها، بل يشمل أنواع المؤمنين كلهم، كما أنه لم يخصها بموضع دون موضع، بل هي متفرقة بأقطار الأرض كلها، حيث قال: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم: شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»^(١)، وأيده ابن حجر بقوله: «ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فاولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقضوا جاء أمر الله، ونظير ما نبه عليه ما حمل عليه بعض الأئمة حديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»^(٢) أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها»^(٣).

مكان الطائفة المنصورة:

وأما عن مكان الطائفة المنصورة، فقد جاء في حديث سعد بن أبي وقاص سابق الذكر أن مكانها الغرب، حينما قال: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ...»، وفسر علي بن المديني (الغرب) بالدلو، أي العرب؛ لأنهم أصحابها لا يستقي بها أحد غيرهم، لكن جاء في حديث معاذ «وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ»^(٤)، فالظاهر أن المراد بالغرب بالبلد؛ لأن الشام غربي الحجاز، ووقع في بعض طرق الحديث (لَا يَزَالُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ)^(٥)، وهذا يرد تأويل الغرب بالعرب، لكن يحتمل أن يكون بعض رواته نقله بالمعنى الذي فهمه أن المراد الإقليم لا صفة بعض أهله، وقيل: المراد بالغرب أهل القوة والاجتهاد في الجهاد يقال: في لسانه غرّب بفتح ثم سكون، أي حدة، ووقع في حديث أبي أمامة عند أحمد: «بَيِّتِ الْمَقْدِسَ وَأَكْنُفِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»^(٦) وللطبراني من حديث الحضرمي نحوه^(٧)، وفي حديث أبي هريرة في الأوسط للطبراني: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٦٧/١٢).

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢٩٥/١٣)، وانظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٥٢/٢).

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم (٤٢٩١). (١٠٩/٤).

(٤) أحمد، مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم (١٦٩٢٢)، (١٢٨-١٢٩)، قال المحقق: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الوهّاب بن أبي بكر: وهو المدني، فقد روى له أبو داود والنسائي، وهو ثقة».

(٥) أبو عوانة، مستخرج أبي عوانة، حديث رقم (٧٥١٠)، (٥٠٨/٤).

(٦) أحمد، مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم (٢٢٢٢٠)، (٦٥٧-٦٥٦/٣٦).

(٧) الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم (٧٦٤٣)، (١٤٥/٨).

حَوْلَهُ، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ، لَا يَضُرُّهُمْ خِذْلَانٌ مِّنْ خِذْلِهِمْ، ظَاهِرِينَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١)، ويمكن الجمع بين هذه الأخبار: بأنَّ المراد قوم يكونون ببيت المقدس وهي شاميّة، ويستقون بالدلو، وتكون لهم قوّة في جهاد العدو وحده وجدّ^(٢).

ما يستفاد من هذه الأخبار التي جاءت بشأن الطائفة المنصورة:

الأول: فيه دلالة على حجّيّة الإجماع؛ لأنّ مفهومه أنّ الحق لا يعدو الأمّة، والثاني: استدل به البعض على امتناع خلو العصر عن المجتهد، والثالث: فيه فضل العلماء على سائر الناس، والرابع: فيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنّما ثبت فضله؛ لأنّه يقود إلى خشية الله تعالى والتزام طاعته، والخامس: فيه

إخباره، ﷺ، بالمغيبات، وقد وقع ما أخبر به، ولله الحمد، فلم تزل هذه الطائفة من زمنه وهلمّ جرا، ولا تزول حتى يأتي أمر الله تعالى^(٣).

الخاتمة والتوصيات: وأسجل فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة وأسطر

توصياتها

أولاً: أهميّة مصادر السنّة النبوّية، وعلى رأسها الصحيحان في حفظ علامات النبوة بعد البعثة الشريفة.

ثانياً: تنوّع علامات النبوة بعد البعثة الشريفة، فكان منها الحسيّة التي لحظها مَنْ كان بصحبته ﷺ، وكان منها الغيبيّة (غيب الحاضر، وغيب المستقبل القريب والبعيد).

ثالثاً: تنوّع علامات النبوة الحسيّة إلى أنواع شتى، فكان منها انشقاق القمر، وهي من أهم هذه العلامات وأبرزها، وكان منها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ومن تحتها، وتكثير الطعام على يديه، وحنين الجذع وأنيته إليه...

رابعاً: كان لهذه العلامات بشقيها (الحسيّة، والغيبيّة) دور بارز وأثر بالغ في إيقان إيمان أهل العرفان، وصدود أهل الجحود والنكران من المشركين وأهل النفاق.

خامساً: دلالة هذه العلامات بنوعها على نبوة سيدنا محمد ﷺ وصدقه دلالة قاطعة لا يختلف فيها اثنان.

كما وتوصي هذه الدراسة: بإيلاء علامات النبوة بعد العثة الشريفة، بل وقبلها وفي حال صباه

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم (٤٧)، (١٩/١).

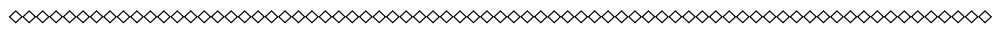
(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢٩٥/١٢).

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٦٧/١٢)، وانظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٥٢/٢).

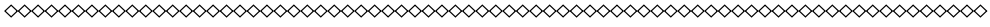
مزيداً من الدراسات المتأنية التي تقوم على إبراز الجوانب التربوية المشرقة فيها والمضيئة، وأثرها في معالجة قضايا الأمة وسبل تحقق رقيها ورفعها.

جريدة المصادر والمراجع:

١. أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(١)، ١٤٢١هـ.
٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط(١)، ١٤٢٢هـ.
٣. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٠٥هـ.
٤. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ط، ١٣٧٩.
٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط.
٦. زاوي، أحمد عبد الفتاح، شمائل الرسول ﷺ، دار القمة، الإسكندرية، د. ط.
٧. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط(٢).
٨. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د. ط.
٩. أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، مستخرج أبي عوانة، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط(١)، ١٤١٩هـ.
١٠. العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط.
١١. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط، ١٣٩٩هـ.
١٢. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، مجمل اللغة، ت: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٦هـ.



١٣. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط.
١٤. القاري، علي بن سلطان محمّد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط(١)، ١٤٢٢هـ.
١٥. القسطلاني، أحمد بن محمّد، المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
١٦. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط.
١٧. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط(٢)، ١٤١٤هـ.
١٨. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، ت: محمّد رواس قلعه جي و عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٦هـ.
١٩. النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(٢)، ١٣٩٢هـ.
٢٠. النيسابوري، عبد الملك بن محمد، شرف المصطفى، دار البشائر الإسلامية، مكة، ط(١)، ١٤٢٤هـ.
٢١. اليحصبي، عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمّان، ط(٢)، ١٤٠٧هـ.



علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية

مقدمة البحث

الحمد لله الربّ الواحد الأحد الفرد الصمد لا شريك له ولا ولد، الخبير الحكيم، يجعل رسالته حيث تقتضي حكمته وعلمه، فهو الأعلم بمن يصلح لهذه المهمة الجليلة؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤)؛ والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله، الصادق المصدوق، جاء من ربه بالوحي والبيّنات لهداية الناس أجمعين، وأيده ربه بالآيات الدالات على صدقه، وأنه مرسل منه غير مُدَّعٍ باطل، فرأى تلك البراهين الجليات من أعطي بصراً وبصيرة، كما رآها أعمى العين مبصر الفؤاد ممن تواضع للحق غير مستكبر ولا متجبر، أولئك الذين أضاء الله قلوبهم بنور الهداية جزاءً على صدقهم في طلب الحق وتأييده: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧).

أما بعد؛

ورغبة مني في المشاركة بهذا الجهد المتميز الذي تنظمه أكاديمية البخاري الدولية بالتعاون مع الجامعة الإسلامية بمنيسوتا، والذي يعتني بإظهار دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، في جانبها التشريعي والعقلي، وإظهار تأثير الكثير من عقلاء أهل الكتاب والغرب بهذه الرسالة وأتباعهم لها، بعد أن تيقنوا من صدق من جاء بها؛ رسول الله ﷺ؛ فقد اخترت أحد المحاور المقررة في المؤتمر وهو المحور الثاني بعنوان: «علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية»؛ وموضوع هذا المحور هو الأصل الذي تأثر به من تأثر ممن دخل في الإسلام، لأن العاقل لا يصدق مقالة غيبية لا يراها بعينه ولا يلمسها بيده إلا بعد أن يعتقد أن قائلها صادق وأمين في نقله، ولذا كانت حكمة الله العظيمة في إقامة الحجج البيّنة والدلائل الواضحة على صدق قول محمد بن عبد الله أنه رسول الله ومبلّغ وحيه ﷺ.

وسيكون جهدي المتواضع في هذا البحث هو استخراج ما يسر الله تعالى لي بفضلته من الآيات والإشارات القرآنية والسنة النبوية التي تُقنع كل ذي عقل وقلب سليم بأن محمد بن عبد الله ﷺ نبي الله حقاً وصدقاً.



سائلاً ربي في علاه أن يكون هذا البحث المتواضع وسواه من الأبحاث والكتابات التي يتسابق إليها أولو الهمم، والتي تهدف إلى نشر الإسلام وتقريبه لشعوب الغرب؛ من جهد القول والحجة لإعلاء كلمته ونصرة دينه، وأن يتقبله بفضلله وجوده إنه السميع المجيب.

الفصل الأول: الدلائل القرآنية على صدق محمد ﷺ بدعوى النبوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الإعجاز اللفظي في القرآن على صدق النبوة.

المبحث الثاني: دلالة الإعجاز الخبري التاريخي في القرآن على أنه نبي الله ﷺ

المبحث الثالث: دلالة الإعجاز الخبري التنبؤي في القرآن على أنه ﷺ يبلغ وحي السماء.

الفصل الثاني صدق نبوته ﷺ كما دلت عليه السيرة والسنة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالات شخصيته على صدق مقالته ﷺ

المبحث الثاني: دلالة الوقائع الظاهرة التي فوق الأسباب على أنها لا تكون إلا لبشري مؤيد من الله.

المبحث الثالث: الإعجاز الخبري النبوي ودلالته على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

ملخص البحث وأهم نتائجه

خاتمة وتوصية

فهرس

الفصل الأول: الدلائل القرآنية على صدق محمد ﷺ بدعوى النبوة

المبحث الأول: دلالة الإعجاز اللفظي في القرآن على صدق النبوة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإعجاز لغة واصطلاحاً

الإعجاز لغة: (الفَوْتُ والسَّبْقُ، يُقَالُ: أَعَجَزَنِي فُلَانٌ أَي فَاتَنِي؛ وَقَالَ اللَّيْثُ: أَعَجَزَنِي فُلَانٌ إِذَا

عَجَزْتَ عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ، وَيُقَالُ: عَجَزَ يَعْجِزُ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا قَصَرَ عَنْهُ) (١).

(١) «لسان العرب»، ابن منظور، (ج ٥/ ص ٣٧٠) الناشر: دار صادر-بيروت.

اصطلاحاً: (أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مقرون بالتحدي سالم عن المَعَارَضَةِ) (١) (الخوارق والمعجزات)، أفعالٌ يعجز البشر عن مثلها، فسُمِّيت بذلك معجزة، وليست من جنس مقدور العباد) (٢).

المطلب الثاني: وجه إعجاز القرآن بمنطوقه أهل الصنعة - العرب الأحقاف -

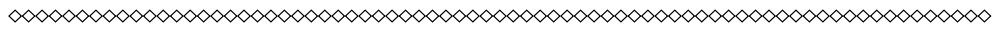
ربطاً بتعريف الإعجاز لغةً واصطلاحاً، والذي يمكن تلخيصه بأنه: عجز المتحدّي عن الإتيان بمثل ما تُحدّي به مع براعته وإتقانه أسبابه الطبيعية؛ وبعد النظر في حال مَنْ بُعث فيهم محمدٌ ﷺ، والاطلاع على أعظم ما برعوا فيه وأتقنوه، والذي يتجلّى في فنّ الفصاحة والبلاغة شعراً ونشراً، وقد أقاموا النوادي والأسواق يأتي إليها مهرةُ الصنعة. يعرضون بضاعتهم من الأشعار ودواوين البلاغة يتبارزون فيها، ومنها تطير شهرتهم في الآفاق؛ جاء التحدي في جنس ما أجمعوا على تفوقهم فيه؛ وهنا يظهر وجه إعجاز القرآن لهم، وحال التحدي يقول لهم: قد زعمتم أن ما يتلوه عليكم محمدٌ ﷺ كلام بشر، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة قد برعتم وسبقتم في مجده بين العرب، فأتوا بمثل بلاغته وفصاحته وتركيبه ونسقه، فيكون ذلك شاهداً لكم على صدق مقالكم، وإن عجزتم مجتمعين متحدين فيما بينكم مستعينين بمن شئتم من الإنس والجن، فلا مناص إلا أن يلزمكم هذا العجز بالإقرار أن ما جاء به محمدٌ ﷺ، يستحيل أن يكون قول بشر، وإنما هو ممن يعجز الخلق كلهم أن يأتوا بأية من مثله، وهو الله تعالى الذي أرسل رسوله به يتلوه ناقلاً ومبلغاً.

المطلب الثالث: تدرج التحدي، والاستخفاف بالمتحدّيين؛ ذروة الإعجاز

جاء التدرج في تحدي الله تعالى للمعاندين المستكبرين، الذين زعموا أن القرآن ما هو إلا قول بشر، وأنّ محمداً ﷺ يفتره على الله - حاشاه- من مطالبتهم بأن يأتوا بمثله كله، مجيزاً لهم أن يستعينوا بمن شاؤوا دون شرط في ذلك ولا قيد، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: ٨٨)؛ فأثبتوا عجزهم، ولم يفلحوا قيد أنملة، فخفف عنهم لعلهم يراجعون أنفسهم إذا رأوا عجزهم رغم ذلك التخفيف، كما في قوله جلّ وعلا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ

(١) «الإتقان في علوم القرآن»، السيوطي، (ج ٤/ ص ٢)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) «المقدمة»، ابن خلدون، (ج ١/ ص ٢٠٤)، تحقيق: محمد درويش، الناشر: دار العرب، دمشق.



﴿مُسْلِمُونَ﴾ (هود: ١٤، ١٣)، فلم يبلفوا في ذلك شيئاً، وصاحبهم العجز كذلك مع أن التحدي اقتصر على عشر سور ثم تدرج تعالى في تحديهم إلى ما لا يمكن من أقله؛ إلى سورة واحدة، ولو جاءوا بمثل أقصر سورة من القرآن لصدقوا، وجاء هذا التحدي مقروناً بالجزم بأنهم لا يستطيعون ذلك لا حاضراً ولا مستقبلاً، ففتح سبحانه وتعالى باب التحدي لمن نزل فيهم القرآن بأعيانهم ولكل من مائلهم باستكبارهم إلى يوم القيامة، بعبارات تضمنت الاستخفاف بهم واحتقار قولهم ومزاعمهم، وتكذيبهم، وكذلك تصديقاً لرسوله وتأييداً، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (البقرة: ٢٣، ٢٤).

فأى إعجاز أعظم وأبلغ من ذلك؟ أن تجاري من تتحداه بأن تقبل منه شيئاً يسيراً قليلاً جداً من جنس ما تتحداه به، وأن تفتح له ولمن مثله باب التحدي إلى كل زمان، وتجزم له بأنه لن يستطيع إلى ذلك سبيلاً!!.

المطلب الرابع: إذعان العقلاء أهل الفصاحة من المشركين بالاعجاز البلاغي للقرآن

لقد جذب القرآن الكريم بإعجازه وروعة بيانه رؤوساً من المشركين المعاندين، يأتون خفية يستمعون تلاوة النبي ﷺ ليلاً وهو يصلي في بيته، كما روت السيرة عن أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريف كان كل واحد منهم يأتي من ناحية على غير موعد إلى حيث يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق وتلاوموا، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلورآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية فوقع منهم ما وقع في التي قبلها، وكانت الليلة الثالثة كذلك حتى صرخوا باستكبارهم الذي يمنعهم من متابعة رسول الله ﷺ فقال أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ فوالله لا نؤمن به، ولا نصدقها! (١).

وهالك الوليد بن المغيرة من أكثر المشركين عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم يسمعه يتلو من القرآن فيسأله القوم أن يُنكره ويهجو، فقال: (وَمَاذَا أَقُولُ؟ فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشَّعَارِ

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام، (ج١/ ص٢١٥).

مَنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجَنِّ، وَاللَّهُ مَا يُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللَّهُ إِنْ لَقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَاوَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُتَمَرٌّ أَعْلَاهُ، مُعَدَّقٌ أَسْفَلَهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يِعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطُمُ مَا تَحْتَهُ، قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعَنِي حَتَّى أَفَكِّرَ فِيهِ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ، يَأْتِرُهُ^(١).

المبحث الثاني: دلالة الإعجاز الخبري التاريخي في القرآن على أنه نبيُّ الله ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: توطئة في تعريف المقصود «بالخبري التاريخي»

لقد جاء القرآن برسالة متكاملة، اشتمل على جوانب عديدة من الإخبار التي تصبُّ في المقصد الأعظم وهو الإخبار عن تفرّد الله جلَّ وعلا بحق الألوهية، فلا إله إلا الله؛ فذكر الله تعالى في كتابه أخبار العديد من الأمم الغابرة والأحداث المتعلقة باستجاباتهم للرسول؛ وهو ما لم يعاصره النبي ﷺ ولا أحدٌ ممن في زمانه، وقد كان خبر الكثير من قصص الأمم السالفة محفوظاً في كتب أهل الكتاب، وقد دخل عليها التحريف والزيادة والنقصان، فجاءت قصص القرآن تبين تلك الأحداث التاريخية بتفصيل مهيب جمع بين السرد البلاغي البديع، ودقة الخبر، وتجلية الهدف من قص القصة؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران: ٤٤)، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْعَافِلِينَ﴾ (يوسف: ٣)

المطلب الثاني: إقرار أهل الكتاب بصدق ما أخبر به القرآن من قصص الأمم السابقة

لا يجروء مؤلف قصص من نسج خياله وهو يدعي أنها حقائق تاريخية؛ أن يذكر تفاصيل دقيقة، وأحداثاً تفصيلية، وحوادث ومناقشات بين أفرادها، وهو يعلم أن في الناس من يعلم تلك الأحداث التاريخية ويعلم تفاصيلها بما معه من الوحي الذي جاءت به الرسل، فإن فعل وهو غير مطلع على حقيقة تلك الوقائع فسيكون من السهولة تكذيبه وبيان تلفيقه.

ولكن الذي جرى من أهل الكتاب مع إخبار القرآن عن قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ أنهم لم ينكروا، ولم يغالطوه، ولم يدعوا أنه يكذب فيما يخبر، فكان سكوتهم في أكثر الأحوال إقراراً على صدقه لأن مصلحتهم تقتضي فضح كذبه لو كان كاذباً حقاً، بل تعدى الأمر في كثير من المواقف

(١) رواه البيهقي في «الاعتقاد»، (٣١٠)، الذهبي في «تاريخ الإسلام»، (ج ١/ ص ١٥٤) وقال: روي مرسلًا.

إلى التصريح بصدق خبره، وحَمَلَ البعض على الإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بانَ صدق ما جاء به.

ومن أولئك: ملك الحبشة، النجاشي، وقد اشتهرت مقولته العظيمة حين عُرض عليه ما يخبر به القرآن عن مريم وعيسى عليهما السلام؛ حين بكى وبكى الأساقفة من حوله، ثم قال: (إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة)^(١).

المطلب الثالث: وجه الدلالة من قصص القرآن على صدق محمد ﷺ في نبوته

حين يقص رسول الله محمد ﷺ أخباراً وأحداثاً وقعت في الأمم السابقة، ويتعمق في كثير منها إلى تفاصيل دقيقة، وينقل حوار أفرادها فيما بينهم مع أنّ بينه وبينهم مئات وألاف السنين، وهو ﷺ بين أظهر أهل الكتاب وعندهم من علم ذلك ما عندهم فلا يكذبوه؛ فإنما يدلُّ دلالة صريحة على صدقه فيما يخبر به، بل يخبر عن أمور مقررة في كتبهم قد أخفوها عن عامة الناس ويتحداهم؛ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَاءَ يَلْ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَاءُ يَلْ عَلَيَّ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ٩٣)، وأخبر عن قصص لم يبلغ أهل الكتاب علمها ولا غيرهم، كانت في علم الغيب لم تُنقل أخبارها، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (إبراهيم: ٩).

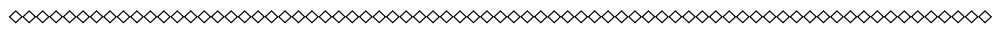
فالإعجاز التاريخي - كما ذكره السيوطي - هو ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده على وجهه ﷺ ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب^(٢).

ومن الأمثلة الواضحة على الإعجاز التاريخي في القرآن ذكر اسم هامان متصلاً باسم فرعون وموسى، وكشخص من المقربين إلى فرعون، وتُخالف صورة هامان في القرآن الكريم الصورة التي ظهر بها في أحد كتب العهد القديم^(٣)؛ حيث ظهر كمساعد لملك بابل (في العراق)، وقد حدث هذا بعد موسى عليه السلام بحوالي ألف ومائة سنة، وقد أثبتت الاكتشافات الفرعونية صحّة ما جاء به القرآن، فمن خلال الكتابات والنقوش الهيروغليفية ورد اسمه في الكتابات

(١) رواه أحمد (١٧٤٠)، وقال الألباني في «شرح الطحاوية» (١٥٣): حسن.

(٢) «الإتقان في علوم القرآن»، السيوطي، (٤ج/ ص ١٩)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) انظر: «تأملات في القرآن»، محمد الغزالي (ص ٩٥-٩٨).



المصرية القديمة، وقد نُقش على حجر موجود حالياً في متحف هوف بفيينا، وظهرت وظيفته من خلال الألواح والأحجار المصرية أنه كان مسؤولاً عن عمال مقالع الأحجار^(١).

(إِنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ دَالَّةٌ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أُمِّيًّا وَمَا طَالَعَ كِتَابًا وَلَا تَلَمَذَ اسْتَاذًا فَإِذَا ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَصَ عَلَى الْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا خَطَأٍ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا عَرَفَهَا بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ^(٢)).

المبحث الثالث:

دلالة الإعجاز الخبري التنبؤي في القرآن على أنه ﷺ يبلغ وحي السماء.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنواع الأخبار التنبؤية في القرآن الكريم

المقصود بالأخبار التنبؤية: أي التي يُخبر فيها المُحدِّث عن وقائع وأحداث ستقع مستقبلاً؛ والمتتبع لكلام الله تعالى في كتابه يجد هذا الإخبار بكثرة ومتنوعة:

١- التنبؤ القريب: الذي يخبر فيه الله تعالى عن أحداث ستقع في زمن قريب مُشاهد لرسوله صلى الله عليه وسلم ولغالب من نزل عليهم هذا القرآن؛

ومن أمثلته: واقعة انتصار الروم وغلبتهم على عدوهم بعد انهزامهم، كما في قوله تعالى: ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ (الروم: ٢، ٣، ٤)؛

(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ﴾ قَالَ: غَلِبَتْ وَغَلِبَتْ. قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسٌ عَلَى الرُّومِ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسٍ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ» فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجْلاً فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا. فَجَعَلَ أَجْلاً خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا جَعَلْتَهَا إِلَى دُونَ» أَرَاهُ قَالَ: «الْعَشْرَ». قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: الْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ. ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ^(٣).

(١) «المعجزات القرآنية»، هارون يحيى (ص ٧١-٧٢)، وانظر: «القرآن والعلم المعاصر»، موريس بوكاي (ص ٩٠-٩١).

(٢) «مفاتيح الغيب»، الفخر الرازي، (ج ١٤ / ص ٢٩٢).

(٣) «تفسير ابن كثير»، (ج ٦ / ص ٢٩٧)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ومثله: إخبار النبي ﷺ المؤمنين - وهم في وقت استيلاء المشركين وهيمنتهم - أنهم سيدخلون المسجد الحرام معتمرين ومحلّقين؛ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧).

قال ابن كثير رحمه الله: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا سَارُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ لَمْ يَشْكَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا تَتَّفَسَّرُ هَذَا الْعَامَ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الصُّلْحِ وَرَجَعُوا عَامَهُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابِلٍ، وَقَعَ فِي نَفُوسِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، حَتَّى سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ: أَلَمْ تَكُنْ تَخْبِرُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتِ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامُكَ هَذَا» قَالَ: لَا قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطُوفٌ بِهِ»^(١)، ووقع الأمر كما أخبر به ﷺ.

٢- الإخبار بدخول مكة، مع كونهم في وقته مستضعفين خائفين مطاردين من عدوهم؛ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح: ١)، وقوله جلّ وعلا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨)، (قوله: ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: وَهُوَ مَا أَجْرَى اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الصُّلْحِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ، وَمَا حَصَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الْعَامِّ الْمُسْتَمِرِّ الْمُتَّصِلِ بِفَتْحِ خَيْبَرَ وَفَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ فَتْحِ سَائِرِ الْبِلَادِ وَالْأَقَالِيمِ عَلَيْهِمْ، وَمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْعِزِّ وَالنُّصْرِ وَالرَّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^(٢)).

٣- الإخبار بهلاك معينين على الكفر، وأنهم لن يؤمنوا؛ مثل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (المسد: ١-٥)، وقد هلك أبو لهب وامراته على الكفر كما تنبأ به القرآن.

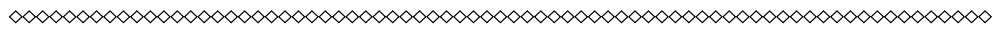
المطلب الثاني: وجه دلالة الأخبار التنبؤية في القرآن الكريم على صدق نبوته ﷺ

• الدلالة الحسيّة:

١: مُشَاهِدَةٌ مِنْ عَاصِرِ زَمَنِ الْوَحْيِ وَقُوعِ مَا أَنْبَأَ بِهِ الْقُرْآنُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي وَصَفَهَا: كَغَلْبَةِ الرُّومِ، وَفَتْحِ مَكَّةَ، وَمَصْرَعِ مَنْ جَزَمَ الْقُرْآنُ بِمَوْتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ.

(١) «تفسير ابن كثير»، (ج٧/ص٢٥٦)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) «تفسير ابن كثير»، (ج٧/ص٢٣٦)، دار طيبة للنشر والتوزيع.



٢: تحقيق نبؤات القرآن بأحداث مستقبلية بعد موت النبي ﷺ، وقد كانت تبدو حين الإخبار بها كضرب من الأوهام؛ مثل إخباره عن إيجاد وسائل للنقل غير التي اعتادها، وكمثل ظهور الدين وغلخته وامتداده إلى مشارق الأرض ومغاربها.

• الدلالة العقلية أو الاستنتاجية:

يأبى العقل السليم أن يفترض بأن رجلاً يدعي النبوة ويدعو الناس إلى تصديقه والإيمان بما جاء به، ثم يخبرهم عن أحداث ستقع مستقبلاً وليس له يد في وقوعها أو عدمها، ثم تقع تلك الأحداث كما أخبر؛ إلا أن يكون هذا المخبر قد أتى بخبره ممن يعلم مسبقاً بما سيكون؛ فدل ذلك دلالة قطعية أنه ناقل للخبر المستقبلي - الذي وقع مثلما أخبر - عن عالمه وهو الله تعالى، وبالتالي فإنه مبلغ عنه - أي رسول منه - صادق غير كاذب.

المطلب الثالث: نماذج من الأخبار التنبؤية في القرآن الكريم:

١- تنبأ القرآن بمعركة تلي هزيمة الروم ببضع سنين يكون فيها النصر والغلبة للروم:

قول الله تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ (الروم: ٢-٤)؛

وقد نزلت هذه الآيات عندما هُزمت الروم في حربها ضد الفرس وكان ذلك في أوائل عصر النبوة، وقد خسرت الروم في هذه المعركة خسائر فادحة جعلت معاصريهم يتوقعون دماراً كاملاً لإمبراطوريتهم، ولم يكن متوقفاً أبداً في منظور البشر أن تنقلب الموازين وينتصر الروم المهزومون، والإعجاز الآخر في هذه النبوءة؛ أن الآيات قد حددت زمن حدوث هذا الانتصار: (في بضع سنين)؛ والبضع عند العرب هو العدد من الثلاثة إلى التسعة، فجاءت الغلبة للروم بعد سبع سنوات من الهزيمة.

٢- نبوءة القرآن بنتيجة معركة بدر قبل بدءها:

أنزل تعالى على المؤمنين وعده: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾﴾ (الأنفال: ٧)، وهذا الوعد المباشر قبل المعركة وفي واقع التباين الشاسع في ميزان القوى بين المسلمين والمشركين عدداً وعدة، ثم يتحقق النصر المؤزر الذي وعد الله عز وجل به المسلمين في تلك الحرب غير المتكافئة، وقد أخبرهم قبلها بقوله: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ (القمر: ٤٥).

٣- نبوءة القرآن بموت أبي لهب وزوجته على الكفر:

فقد نزلت سورة المسد في مكة في عم النبي ﷺ أبي لهب وزوجته أم جميل، وكان هذا قبل موتها بأكثر من عشر سنوات، وتحدثت السورة عن كفرهما وعذابهما الذي أعدّه الله لهما في جهنم، وهو ما يحتم أنهما سيموتان على الكفر؛ وهذا أمر غيبي لا يجزم بوقوعه ويثبتته في كتاب يُتلى إلا عالم موثق به، ومن لهذا إلا الله تعالى؟

وقد مرّ في تاريخ الدعوة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الذين حاربوا الإسلام ونكّلوا بالمسلمين ودارت الأيام ثم يهدي الله تعالى قلوبهم للإيمان فيدخلوا فيه! مما يؤكد أن ما يؤول إليه حال الإنسان من الهداية أو الكفر أمر غيبي لا يعلمه يقينياً إلا الله تعالى وإن قال به غير الله فإنما تخمين قد يقع وقد لا يقع وليس من باب العلم^(١).

٤- التنبؤ بأن رسول الله ﷺ لن يقتل وسيموت ميتة طبيعية:

وهذا المعنى تجده جلياً في عهد الله عز وجل لنبيه ﷺ أن يمنع كل أحد من قتله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)؛ مع وجود المتربصين به، وعلى الرغم من عشرات الحيل والمكائد والدسائس التي حاكها أعداؤه لقتله، وبرغم أن قاد بنفسه ٢٨ غزوة ضد أعدائه، وكان في مقدمة جيشه.

٥- تنبؤ القرآن الكريم باستحداث وسائل نقل مستقبلاً لا يعرفها عصر من نزل فيهم.

كما في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨)؛ ففي قوله جلّ وعلا: (ويخلق ما لا تعلمون) إشارة جليّة أنه سيكون مستقبلاً مما لا يعلمه أولئك العصر من الوسائل المشابهة لتلك الأنعام والدواب - أي لجهة ركوبها والتنقل فيها وكونها زينة-، وهذا ما ألهمه الله للناس من تصنيع آلات الركوب بصور وأنواع كثيرة كالسيارات والطائرات والدراجات وغيرها، ونوقن أنه مفتوح بإذن الله ومشيتته لا يحده العقل البشري المعاصر، لأنه تحت مشيئة الله وقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(١) هذه الفقرة وما قبلها في هذا المطلب قد نقلت معظمها من بحث بعنوان «المستقبل الآن»، إعداد الدكتور أحمد محمد زين المناوي، موقع (quranway.com)، بتصرف.

الفصل الثاني صدق نبوته ﷺ كما دلت عليه السيرة والسنة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالات شخصيته على صدق مقالته ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياته ﷺ قبل البعثة

كره النبي ﷺ قبل بعثته عبادة الأصنام، والتمسح بها منذ نعومة أظفاره، ولم يسجد لصنم أو يذهب لعراف أو كاهن، ولم يستسلم لثرهات الجاهلية، وكان يبغض اللات والعزى، ولم يكن يحب الشعر، ولم يقله يوماً لأنه يعدُّ للنبوة فلا يقال بعد: كان شاعراً، وهو ما أظهره الله حجةً على من نسب الوحي الذي جاء به للشعر فقال عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٩)، وكان يتذوق الشعر ويتعلم منه الحكمة، وكان يكره الخمر ولم يشربه، بالرغم ما كان عليه من الشرف والنسب والفتوة، وحتى الأمور التي يتسامح بها في الطفولة ككشف العورات قد عصمه الله منها^(١)؛ وكل هذه الفضائل والشخصية المحفوظة من كل رذيلة وشين ما كانت إلا لحكمة عظيمة وهدف جليل؛ وهي إعداد نبي عظيم.

المطلب الثاني: إقرار قريش لمناقب النبي ﷺ وصفاته المحمودة

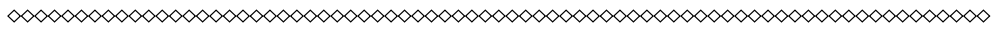
- أمانته: لقد اشتهرت صفة الأمانة في رسول الله ﷺ قبل بعثته، وكان قومه يودعون عنده من الأمانات ما يخشون ضياعه، وما هو إلا إقرار منهم وتجربتهم لأمانته التي اطمأنوا لها، بل كانوا يقبونه بالأمين، ولذلك ارتضوا به حكماً بينهم لما تنازعوا في وضع الحجر الأسود، وقالوا: (هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه، قال هلمَّ إليّ ثوباً، فأتي به، فأخذ الركن -يعني الحجر الأسود- فوضعه بيده...)^(٢)، ولشدة أمانته ﷺ فقد أرجأ هجرة علي رضي الله عنه وأمره أن يؤدي لأهل مكة الذين قاتلوه وصدوه وكادوا له ما عنده من وديعة وأمانة^(٣).
- صدقه: فقد شهد له قومه بالصدق لما استشهدهم عندما أمره ربُّه بإنذار عشيرته الأقربين صعد على جبل الصفا، وقال: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا^(٤).

(١) أنظر لهذا وما قبله: «السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة»، محمد أبو شهبة، (ج ١/ص ٢٢٥-٢٤٠) بتصرف.

(٢) رواه أحمد شاكر في «عمدة التفسير» (ج ١/ص ١٨٢)، وأشار في المقدمة إلى صحته.

(٣) روى الأثر: الطبري في «تاريخه» (ج ٢/٢٧٢)، وانظر: «الكامل» لابن الأثير (ج ٢/ص ٧٢).

(٤) رواه البخاري «كتاب التفسير» ٤٤٩٢، ومسلم كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٠٨).



كما شهد بصدقه أكثر الناس عداء له وهو النضر بن الحارث الذي قام خطيباً في سادة قريش قائلاً لهم: (يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حدثاً^(١)، أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثاً، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً...)^(٢).

وهذا أبو سفيان قبل إسلامه يسأله هرقل عن محمد ﷺ: (فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟) قال أبو سفيان: لا.

فاستدل هرقل بذلك على صدق نبوته ﷺ إذ قال: (وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرَفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ)^(٣).

• الحكمة والبصيرة وبعد النظر: فإن أهل القريش المتخاصمين في من يضع الحجر الأسود مكانه، وقد بلغ الخلاف أشده وكادوا يتقاتلون لأجله؛ رضوا بلا منازع ولا اعتراض أو حتى تحفظ من أحد منهم بمحمد ﷺ حكماً بينهم بمجرد أن خرج إليهم؛ وفي هذا دلالة جلية على معرفتهم لرجاحة عقله وحكمته وبعد نظره.

هذه بعض الصفات الفاضلة التي عُرف بها النبي ﷺ قبل بعثته وزاده الله معها صفاتاً عظيمة بعد البعثة، ولعلَّ أجمع من وصفه ﷺ خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، تستدل بمناقبه العظيمة على رعاية الله وحفظه له فتقول: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)^(٤).

المبحث الثاني:

دلالة الوقائع الظاهرة التي فوق الأسباب على أنها لا تكون إلا لبشري مؤيد من الله

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج آيات ظهرت على يد النبي ﷺ حجةً بوجه المكذبين

فقد جاوزت معجزات النبي ﷺ الألف، كما صرَّح بذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان»^(٥)، منها ما حصل وانتهى، ومنها ما هو باقٍ إلى أن يشاء الله تعالى.

١- معجزة الإسراء والمعراج: وربما يقول قائل: كيف تكون هذه المعجزة آيةً وحجةً على

(١) غلاماً حدثاً: أي فتياً، ورَجُلٌ حَدَّثَ أَي شَاب، انظر: ابن منظور: «لسان العرب»، مادة حدث (ج ٢/ص ١٢١).

(٢) «السيرة النبوية»، ابن هشام (ج ١/ص ٢٩٩، ٣٠٠).

(٣) رواه البخاري (٤٥٥٣).

(٤) رواه البخاري (٢)، مسلم (١٦٠).

(٥) ص (٢/٦٩١).

المشركين، ومن البديهي أن يكذبوا قول النبي ﷺ؛ وهذا الافتراض محتمل وقد حصل فعلاً،
وَلِيُظْهِرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْعَظِيمَةَ الدَّالَّةَ عَلَى نُبُوَّتِهِ ﷺ.

أظهر له بيت المقدس كصحن بين يديه يصفه لقومه أدق وصف، وهم يوقنون أنه لم يره
قبل النبوة. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَنِي
قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحَجَرِ فَجَلَى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ، فَطَفَقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»^(١)،
وَأَخْبَرَهُمْ بِعَيْرِ لُقْرَيْشٍ: «لَمَّا كَانَ فِي مَصْعَدِي رَأَيْتُهَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، وَأَنَّهَا نَفَرَتْ فَلَمَّا رَجَعْتُ
رَأَيْتُهَا عِنْدَ الْعُقْبَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِكُلِّ رَجُلٍ وَيَعْبِرُهُ كَذَا وَكَذَا وَمَتَاعَهُ كَذَا وَكَذَا»^(٢).

٢- انشقاق القمر: قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (القمر: ١)؛

قد كان انشقاق القمر في زمن رسول الله ﷺ كما ثبت بالأحاديث المتواترة بالأسانيد
الصحيحة^(٣).

وحدث ذلك بعد معاندة المشركين وتحديهم للنبي ﷺ أن يأتيهم بأية أي معجزة يرونها
بأعينهم، كما في الحديث عن أنس بن مالك قال: (سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة
مرتين فنزلت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(٤))، وفي رواية البخاري: (فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقَّتَيْنِ،
حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا)^(٥)؛ فما كان منهم إلا المزيد من الاستكبار والتكذيب مع أنهم رأوا المعجزة
بأنفسهم، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ،
فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد)^(٦).

المطلب الثاني: نماذج من آيات النبوة ظهرت للمؤمنين

معجزات عديدة نذكرها من غير تفصيل: (حين الجذع الذي كان يخاطب عليه النبي ﷺ
وقد سمع الصحابة صوته^(٧))، تفجر الماء بين أصابعه الشريفة على رأى ونظر الجمع الكبير من
الصحابة^(٨))، تكثير الطعام القليل بين يديه والبركة فيه^(٩)؛ إلى غير ذلك من المعجزات الكثيرة

(١) رواه البخاري (٤٧١٠)، مسلم (١٧٠).

(٢) رواه البيهقي «دلائل النبوة» (ج ٢/ص ٢٩٠).

(٣) تفسير ابن كثير.

(٤) «صحيح الترمذي» (٣٢٨٦).

(٥) رواه البخاري (٢٨٦٨).

(٦) «صحيح دلائل النبوة»، الوادعي (٢١٨).

(٧) انظر الحديث في «صحيح الجامع» (٥٣٠٠).

(٨) انظر الحديث في «صحيح البخاري» (٢٥٧٢).

(٩) وقد وقع ذلك مرات عديدة، ومنها ما كان في غزوة تبوك، انظر الحديث في «صحيح مسلم» (٢٧).

التي لا يتسع المقام لحصرها، والشاهد إثبات نوع المعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ أمام المشركين وأمام المؤمنين والتي تدل كل ذي عقل على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: الإعجاز الخبيري النبوي ودلالته على صدق نبوته ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

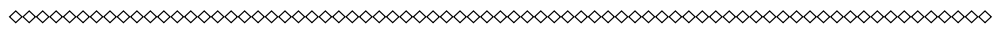
المطلب الأول: عهد النبي ﷺ لسراقة؛ خبر غيبي يحمل صدق نبوته ﷺ:

عن سراقة بن مالك قال: (فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنفَا أَسْوَدَةَ بِالسَّاحِلِ، أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فَلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وِزَاءِ أَكْمَةَ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِرُجْهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتَهَا تَقَرُّبَ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَغَثَرْتُ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقَسَمْتُ بِهَا: أَضْرَهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ، تَقَرُّبَ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَمِئُ، وَأَبُو بَكْرٍ يَكْثُرُ الْإِلْتِمَاتَ، سَاحَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَلَغْنَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَهَضَمَتْ، فَلَمْ تَكُدْ تُخْرُجْ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلَ الدُّخَانِ، فَاسْتَقَسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَتَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتَهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرِزَانِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفَ عَنَّا». فَسَأَلْتَهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (١)

والشاهد في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قد كتب لسراقة كتاب أمن؛ ولا مبرر لهذا الكتاب لو لم يكن ﷺ متيقناً من ظهوره وغلبته، التي يحتاج معها سراقة إلى هذا العهد من الأمن، مع أنه وقت كتابة هذا العهد يختبئ من قومه ويتوارى عنهم، والمؤمنون في ضعف وقلة.

وفي بعض روايات الحديث -وقد ضعفها كثير من أهل العلم- أن النبي ﷺ قد وعد سراقة:

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦).



«كيف بك إذا لبست سوارى كسرى وتاجه»، ثم بعد خمس عشرة سنة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تفتح فارس والمدائن ويغنم المسلمون كنوز كسرى، فيرسل عمر رضي الله عنه لسراقة فيأتي ويلبسه سوارى كسرى وتاجه وفاءً لعهد رسول الله ﷺ ويقول له: (ارفع يديك وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي)^(١).

المطلب الثاني: تنبؤ النبي ﷺ بانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها

من الأمور الغيبية الدالة بتحققها على نبوة نبينا ﷺ: ما أخبر من انتشار الإسلام وظهور أمره، وهذا أمر غيب لا مدخل فيه للتوقع والظنون، فعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»^(٢).

قال النووي: (وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ، قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكى العراق الشام فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب وهكذا وقع وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى)^(٣).

المطلب الثالث: إخباره ﷺ عن فتح بلاد بعينها بعده

- فتح مصر: بشر النبي ﷺ أصحابه بأنهم سيفتحون مصر، وقد تحقق ذلك على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ بخمس سنوات، فعن أبي ذر، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة، فآخرج منها»^(٤).

قال النووي: (وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يهرون العجم والجبابرة ومنها أنهم يفتحون مصر ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبنة ووقع كل ذلك ولله الحمد)^(٥).

(١) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢١٥٨١)، والحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٤١/٢)، وهو من مراسيل الحسن؛ قال الذهبي في «الموقظة» (ص ١٧): (ومن أوهى المراسيل عندهم: مراسيل الحسن).

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٣) «شرح النووي على مسلم»، (ج ١٨/ص ٣٤٠).

(٤) رواه مسلم، (٢٥٤٢).

(٥) «شرح النووي على مسلم»، (ج ١٦/ص ٧٥).

فتح القسطنطينية: الإخبار بفتح مدن وبلاد، بعد موته ﷺ، ووقع الأمر كما أنبأ؛ ففي الحديث: «لَتُفْتَحَنَّ القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»^(١)، (وعن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي وسئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولا أفسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تفتح أولا. يعني قسطنطينية»^(٢)).

ملخص البحث وأهم نتائجه

ناقش البحث -والذي اعتنى بـ «علامات النبوة في ضوء المصادر الإسلامية»- الإعجاز القرآني والنبوي، وما فيهما من النصوص الثابتة الصريحة والوقائع الدافعة الدالة بلا أدنى تشكيك عقلي أو نقلي بأن من نقل هذا الكلام القرآني لا يمكن أن يكون مصدره بشري، كونه تحدى في نظمه البشر أن يأتوا بسورة من مثله وعجزوا، وأنبأهم بما سيقع من وقائع الغيب فوق كما أخبر؛ فتعيّن بذلك أن يكون مصدر هذا القرآن ممن يعجز الخلق عن تحديّهِ، ويعلم ما سيكون من الغيب كما سيكون، فدلّ على أنّه مقدّرهُ ومجريه؛

وكذلك الكلام والسيرة النبوية: فإنّ السيرة الشخصية لمحمد ﷺ -التي شهد لها أعداؤه- لا يمكن أن تدلّ على شخصية تكذب أو تخون على البشر أمثالها، فكيف تكذب وتخون رباً كان محمد ﷺ يعتزل الأيام والليالي في «حراء» يتفكر في ملكوته؟! وفي الكلام النبوي تنبؤات غيبية تفصيلية، يستحيل على فرد بشري أن يقولها وأن يضبطها تخرساً وظناً، وهذه التنبؤات -التي ذكرنا بعضاً منها- لو أنها لم تقع لكان ذلك تكذيباً لقائلها -حاشاه-، فلم يغامر غير الصادق الواتق من قوله ويجازف؟

بل أن هذه التنبؤات بمجموعها وأفرادها تثبت لكل عاقل متجرد بأنه لا ينطق بها ويجزم بها إلا مطلع عليها كأنه يراها، وهذا يثبت بأن محمداً يخبر بما يخبر بوحى يوحى إليه ممن عنده علم الغيب، وهو الله تبارك وتعالى، وحصيلة ذلك الترابط والاستنتاج العقلي والنقلي بأن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق في دعوى النبوة لا ريب.

إضافة إلى ما ظهر على يديه ﷺ من المعجزات الخارقة للأسباب الطبيعية، وقد شاهدها وشهد لها من رآها من أعدائه قبل أتباعه، فأى تفسير لهذه المعجزات، وهو يدعي أنه رسول من

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (ج ٢/ص ٨١).

(٢) السلسلة الصحيحة، الألباني، (٤).

اللَّهُ، فهل يهمله الله عز وجل يضلُّ الناس ويكذب في دعواه - حاشاه - وتظهر على يديه تلك الآيات، ومن ثم يُظهر دينه الذي جاء به، ويعلمو أتباعه بعد ضعف وهوان؟ ولا يفرضه إن كان يكذب عليه جلُّ وعلا؟!

فدلُّ كما ذلك أنه رسول الله حقاً، وأنَّ تأييد الله تعالى له في تنزيل القرآن وما فيه من الإعجاز من وجوه متعددة، والوحي إليه بأخبار غيبية تتع كما أخبر، ووعد له - وهو في ضعف ومطاردة من الناس - بأنه سيعلو بما معه من الحق، وأنَّ أتباعه سيغلبون، ثم يقع كل ذلك دون أن يتخلف منه شيء؛ كحجَّة ظاهرة ظهور الشمس في ربيعة النهار: أنَّ الله أرسله وأيده، ولا يجانب ذلك وينكره إلا مكابر، أو أعمى البصر والبصيرة.

خاتمة وتوصية

إن الباحث المتجرد من الهوى، والأحكام المسبقة، والأباطيل المضلَّة، إذا تتبَّع ما مضى بيانه من دلالات صدق نبوة محمد ﷺ في القرآن والسنة، واستتار بعقلٍ راجح ليناقد تلك الدلالات، ويمخض منها استنتاجات توافق العقل المعافى؛ لخرج بنتيجة واحدة، وحقيقة لا ريب فيها، بأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم صادقٌ في نبوته؛

ولهذا فإنَّ من الواجب على الباحثين والدعاة في هذه الأمة إبراز هذه الدلالات بالثوب الذي يحاكي عقول العقلاء من غير المسلمين ونشرها بكل وسائل النشر المتاحة، وإعداد دعاة متخصصين في هذا الجانب متمكنين فيه ليكونوا سفراء للإسلام في تلك المجتمعات، وهو ما سيحقق بإذن الله فتحاً للقلوب التي بقيت على فطرتها - وهي كثيرة ولله الحمد -، وإنما هذا من جنس الجهاد في سبيل الله، فنسأله جلُّ في علاه أن يهيئ لهذا الجهاد من الأفراد والمؤسسات والجماعات من يقوم به إعلاءً لدينه.

والحمد لله على نعمة الإسلام فما فوقها من نعمة، والحمد لله على نعمة الدعوة إلى الإسلام فإنما هي أعظم الأعمال المتعدي نفعها، كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٢٣).

فهرس المصادر و المراجع

القرآن الكريم

تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض.



صحيح الجامع، الألباني، المكتب الإسلامي.

لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر-بيروت.

«الإتقان في علوم القرآن»، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ الهيئة المصرية

العامّة للكتاب.

«المقدمة»، ابن خلدون، تحقيق: محمد درويش، الناشر: دار العرب، دمشق.

«السيرة النبوية» لابن هشام.

البيهقي في «الاعتقاد».

الذهبي في «تاريخ الإسلام».

مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية

«شرح الطحاوية»، الألباني.

«تأملات في القرآن»، محمد الغزالي.

«المعجزات القرآنية»، هارون يحيى.

«القرآن والعلم المعاصر»، مورييس بوكاي.

«مفاتيح الغيب»، الفخر الرازي.

موقع إلكتروني: (quranway.com)، بحث بعنوان «المستقبل الآن»، إعداد الدكتور أحمد

محمد زين المناوي.

«السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة»، محمد أبو شهبه.

أحمد شاکر في «عمدة التفسير».

الطبري في «تاريخه».

«الكامل» لابن الأثير.

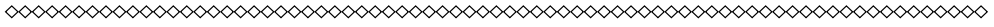
صحيح البخاري.

صحيح مسلم.

«إغاثة اللهفان».

البيهقي «دلائل النبوة».

«صحيح الترمذي».



ابن عبد البر في «الاستيعاب».

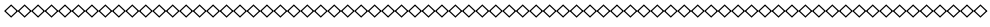
الحافظ ابن حجر في «الإصابة».

الذهبي في «الموقظة».

«شرح النووي على مسلم».

البخاري في التاريخ الكبير.

السلسلة الصحيحة، الألباني.



د. خالد مُدرِك

أستاذ جامعي، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط

مُدُونَات المغاربة في السيرة النبوية وتأصيل الاعتقاد في النبوة بين خصوصية المنهج ومنهجية التدوين

Moroccan studies in the Biography of the Prophet And Deepening Belief in the Muhammadan Prophecy the Specificity Methodology

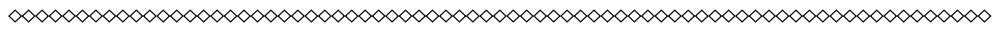
استفتاحُ ورقة البحث

تُصنَّف «السيرة النبوية» ضمن مصادر المعرفة الإسلامية؛ بل هي المصدر الثالث لقضاياها بعد الأصل الأول نصوص الكتاب العزيز وما بني عليها من تفاسير، ثم الأصل الثاني متون أخبار السنة النبوية وشروحها المضمَّنة فقه السنة.

وليس يوجد في عظماء العالم من الأنبياء أو قادة العلم والفكر من حُفظت سيرة حياته على وجه من التفصيل والإحاطة لدقيق اليوميات فضلا عن الأحداث الكبرى، مثل نبي الإسلام الخاتم محمد ﷺ^(١) بحيث يصح اعتباره صنفاً من الإعجاز الديني، إذ يعتني المسلمون بشؤون حياة نبيهم وبحفظ تفاصيل تاريخه الشريف؛ تعلقاً بمقامه على تمام ما ينبغي من العناية والحفظ.

وإنه لم يخل عصر من العصور من محاولات التناول على المقام النبوي الشريف بقصد أو جهل في سياق إنساني ليس يَسلم من تدافع العقائد والفلسفات. وحيث تتجدد ظاهرة الاستطالة في العصر الحديث، باتت المعرفة الإسلام الحديثة في وضعية تحدي بذل جهد التعريف بالنبوة المحمدية في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية، والاستفادة من الإمكانيات الرقمية المهمة التي يتيحها العالم الافتراضي الحديث، والحضور الفاعل في وسائط الاجتماع المتنوعة، وتعميق التواصل الفكري والديني في هذا الغرض مع مراكز البحث المؤثرة في المشهد الثقافي والاجتماعي للشعوب الغربية.

(١) من الذين ذكروا هذا الملحظ التاريخي: المحدث محمد عبد الحي الكتاني في مقدمة كتابه التأليف المولدية: ١٢.



ولقد أسهمت جهود العلماء المغاربة على امتداد الحضارة الإسلامية بجهات الغرب الإسلامي في دراسة السيرة النبوية بمناهج علمية مُقَدَّدة، وبتنوع مفاهيمي غني أسهم في إنتاج حمولة معرفية متميزة لدراسة قضايا النبوات عموماً والنبوة المحمدية خصوصاً، اعتُبرت مادة البحث في المفاهيم العقديّة للنبوة في سياق التكامل بين العلوم الإسلامية.

وتأسيساً عليه تهدف هذه الورقة البحثية المختصرة في دراسة مناهج المغاربة في تقرير اعتقاد النبوة، إلى الوقوف على نمط مختلف من خدمة وجوب النبوة المحمدية إن على مستوى التصنيف أو على مستوى المناقشة والتحرير. فاخترت تساؤل المعالجة حول مدى نجاح مدونات المغاربة في قضايا السيرة النبوية من جهتي المنهج والموضوع في خدمة منزلة «قضية النبوة» في المعرفة الإسلامية، بحيث يمكن استثمارها كجزء من مرجعيات الحوار مع عقلاء المؤثرين في أهل الأديان السماوية ؟ وهل أمكن العلماء المغاربة باعتبار خصوصية ما يُتيح لهم الموقع الجغرافي منذ تاريخ الإسلام القديم، بالانفتاح على ثقافات وفلسفات الشعوب الغربية، أن يُصيروا وبما اشتهروا أيضاً من قريحة عقلية نزاعة للتفكير المنطقي، عرضهم ذا إضافة منهجية وعلمية، وذا تنوع في أغراض الدرس لمفاهيم السيرة النبوية من جانب الاعتقاد في النبوة ؟

ولأجل مناقشة هذه التساؤلات اختطت ورقة البحث لمعالجة الموضوع مطلبين: اعتنى الأول باستعراض تاريخي بمنهجية مُقْتَضِبة، ترمي لتصورٍ وضعيّة مناهج التصنيف في السيرة النبوية عند المغاربة بحسب تعدد الأغراض والمقاصد، مكتفياً بالوقوف عند المصادر الأمهات المشهورة، ومتجنباً التوسع في استقراء مدوناتهم عند المتأخرين بعد القرن السابع الهجري.

ثم المطلب الثاني في انتقاء المادة الاعتقادية الموثقة في أصولهم بالتركيز على التي اهتمت بمزيد بحث مفاهيم النبوة المحمدية، بطريقة موضوعية تخدم غرض الورقة البحثية، بعيداً عن مادة السرد التاريخي. فاشتغل الفرع الأول بمعالجة مفهوم «العصمة النبوية» وأهميتها في بناء الاعتقاد الإسلامي في النبوات عموماً وفي النبوة المحمدية خصوصاً، من خلال ثلاث فقرات تبين ثلاثة أنواع من العصمة لسببها بما يُصنّف لأساسيات وجودها، عن الذي هو مُكْمَل لا تُبنى عليه العصمة النبوية.

والفرع الثاني في مفهوم «المعجزة وتثبيت الصّدق النبوي» بما يُبرز العلاقة بين مفهوم المعجزة الإلهية كمسلك منهجي في تأكيد الصدق النبوي، ثم الفرع الثالث في مفهوم «التنزيه النبوي» وما يكتنفه من معاني تخدم اعتقادياً أصل تعظيم النبوة في الإسلام. وختمت الورقة بوقفات مختصرة، نتائج لا تلخص ولكن تستنتج.

Research paper summary

The issues of the Prophet's biography are among the topics of Islamic Knowledge. Where she was alone in recording the details of the prophetic life, which is unparalleled in the prophets of the heavenly religions.

In order to weaken the campaigns of insulting the position of the Prophet Muhammad, especially in some media, the wise people of Islamic Knowledge in our time must strengthen their positive presence in the various social media, and take advantage of the means and capabilities offered by the digital world to present the truth of the prophetic mercy to the universe and man.

Proceeding from the value of the efforts of Moroccan scholars in the service of the Prophets's biography by writings that were characterized by the methodology in the diversity of objectives, and in building scientific issues, this research paper intended to study their methodology in examining the issue of Muhammadan prophecy in the context of issues of the Prophet's biography.

The subject is dealt with in two main issues: The first concerned with presenting a brief depiction of the most famous books on the Prophet's Biography in the Moroccan Islamic Library before the 7th century AH/12AD, and the second issue with the objective discussion of the concept of «prophetic infallibility» with its conceptual types, and the concept of «prophetic miracle» and its impact on establishing the purpose of prophetic truthfulness, then the concept of «prophetic exaltation». The research paper concluded with suggested results.

المطلب الأول: منهجية تدوين السيرة النبوية عند علماء الغرب الإسلامي قبل ق. ٧هـ

لقد تنوعت مقاصد التصنيف في السيرة النبوية لدى علماء الغرب الإسلامي باتساعه الجغرافي؛ بلاد الأندلس، ودول المغرب الكبير بشمال وجنوب إفريقيا،^(١) وبامتداده الزمني منذ بدايات التدوين في المعرفة الإسلامية (ق. ١هـ/ ٦م) تقريباً إلى عصرنا، بحيث لا تتسع دراسة

(١) يُنظر في الموضوع مثلاً: «المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها»: د. محمد بسّف، و«منظومات السيرة النبوية في الغرب الإسلامي»: مصطفى بن مبارك عكلي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ط. دار الأمان بالرباط، ومجلة الشفاء: ١، ١٨/٥١٤٤٠م، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة النبوية بالعرائش، كلاهما تابع للرابطة المحمدية للعلماء، الرباط-المغرب.



واحدة لجمع هذه التصانيف^(١) فضلا عن ورقة بحث مختصرة الغرض، غير أنه يهّمها تقديم تعريف مختصر بأصول المدونات عندهم في الفترة قبل ق. ١٢/٥٧م تقريبا، مع تصنيفها حسب مناهجهم في التدوين بما يعطي تصورا حسنا عن حركية التصنيف في هذا الفن لديهم، قبل انتقال الورقة لانتقاء الضروري من مسائلها خدمة لموضوع النبوة.

وتعد مدونات السيرة النبوية إلى جانب كونها تؤرخ لتفاصيل أخبار حياة النبي ﷺ بتتبع جزئيات ما يتطلب العلم بتاريخ حياة الإنسان، وبأدق ما يمكن معرفته حول شخصيات الأنبياء أو العظماء في التاريخ القديم، أيضا في عداد مصادر المعرفة الإسلامية التي تؤصل للمعاني الاعتقادية في تقرير أصل الإيمان بالنبوة المحمدية في سياق مباحث النبوات في مدونات العقائد الإسلامية.

وقد اعتنى علماء المعرفة الإسلامية وضمنهم العلماء المغاربة بتتبع سيرة النبي ﷺ بأخلاقه وشمائله الشريفة بما تتضمن من ترسيخ معاني القيم الإنسانية المشتركة، القائمة على التسامح والوسطية والرحمة، والرفق بالحياة والبيئة بل حتى الجماد. ولقيت مدوناتهم القبول في المحيط العلمي بالمشرق الإسلامي حيث أسبقية التدوين لمسائل السيرة النبوية.

ويمكن ملاحظة خاصية التنوع المنهجي لدى المغاربة في تدوين السيرة النبوية إلى مستوى الإبداع في منهجيات عرض المعاني النبوية، ولم يكتفوا بطريقة واحدة فقط.

ف هناك «منهج المصادر العامة» من خلال المطولات التي تتبّع تفاصيل الوقائع المكونة للمحطات الكبرى والصغرى في حياة النبوة والصحابة سواء كانت دينية أو اجتماعية، ومن جهة أخرى الوقوف عند مناقشة القضايا الموضوعية خدمة لمادة السيرة سواء تعلق الأمر بالنواحي اللغوية، أو الاعتقادية، أو الفقهية، أو التاريخية الإخبارية، أو القيمة الخلقية. وهنا يذكر أشهر الشروح المغربية المطولة التي صارت معتمدة في المغرب والمشرق عند دارسي مادة السيرة النبوية، وهو كتاب ((الروض الأنف))^(٢) لأبي القاسم السهيلي (ت. ٥٨١هـ) شرح به قضايا السيرة الواردة في كتاب ((السيرة النبوية)) لابن هشام (ت. ٢١٨هـ)^(٣) والتي تشبه في شهرتها عند المشتغلين بعلم السير كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري في علم متون الأخبار

(١) إطلاق وصف المغاربة في القديم قبل تقسيم الدول الحديث كان يشمل أقطار المغرب الكبير: المغرب الأقصى ((المملكة المغربية حديثا))، والمغرب الأوسط ((الجزائر حديثا))، والمغرب الأدنى ((تونس وليبيا حديثا)).

(٢) اختصره جماعة من علماء المشرق مع توثيق وتخريج أخباره، ينظر: السخاوي: «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ: ١٥٨. وقد نشر كتاب «الروض الأنف» قديما بعناية سلطان المغرب وقتها مولاي عبد الحفيظ العلوي، ط. الجمالية بالقاهرة ١٢٢٢هـ- ١٩١٤م، ثم توالى عنها الطبوعات. ينظر: «الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم» د. محمود محمد الطناحي: حاشية: ٤، ص: ٤٥-٤٦؛ ذكر تقويما مفيدا حول طباعات الكتاب وشيئا من نسخته المخطوطة التي وقف عليها.

(٣) طبع لأول مرة في عصرنا بعناية المستشرق الألماني فرديناند وستفيلد، في جوتنجن عن المكتبة الجامعية Dieterichsche Universitatas Buchhandlung 1858، ثم في ليبسك ألمانيا أيضا ١٨٩٩، ثم ط. مطبعة الجمالية بالقاهرة ١٢٥٩-١٨٤٣م، ثم توالى النشرت بعد ذلك؛ ينظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع: د. محمد عيسى صالحية ٢٠٢٥-٢٠٤.



النبوية مع فارق المنهج بينهما، وتشرح سيرة ابن هشام بدورها سيرة محمد بن إسحاق بن يسار (ت. ١٥١هـ) المسمى «كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي»^(١). فاشتغل السهيلي في روضه على ضبط غريب لغتها وألفاظها وبيان فقهاها. ومن أمثلة هذا الفرع كتاب ابن سيد الناس اليعمري (ت. ٧٢٤هـ) ((عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير))^(٢).

ومن هذه المصادر العامة فرع آخر اعتنى بالبحث في مجال معرفي محدد لتكون مصدرا في الموضوع، مثل مجال دراسة غريب اللغة الوارد في مادة السيرة النبوية ككتاب ((الإملاء المختصر في شرح غريب السير))^(٣) لأبي ذر مصعب بن أبي بكر الخشني (ت. ٦٠٤هـ).

ومنها فرع المختصرات في مباحث السيرة مثل ((جوامع السيرة))^(٤) لأبي محمد بن حزم (ت. ٤٥٦هـ)، و ((الدرر في اختصار المغازي والسير)) لأبي عمر بن عبد البر (ت. ٤٦٣هـ)، و ((بلغة المستعجل)) لأبي عبد الله الحميدي (ت. ٤٨٨هـ)^(٥).

ثم النوع الثاني من مناهج تصنيف المغاربة في السيرة النبوية وهو «منهج التأليف المولدية» نمط من الكتابة في السيرة يرتبط بتاريخ المولد النبوي الذي اعتبره المغاربة منذ القديم مناسبة لاستذكار مقام النبوة المحمدية بفضائلها وإحياء معانيها الإيمانية، ولم يختصوا بالالتفات إلى دراسة مناسبة المولد النبوي دون العلماء المشاركة،^(٦) لكنهم تميزوا في تصانيفهم المولدية بمنهجيتهم، ووجدوا رعاية خاصة للتصنيف في هذا الغرض من طرف السلاطين المغاربة كلما اقتربت مناسبة المولد الشريف، وحيث سجل لنا التاريخ المغربي أعمالا خاصة للاستعداد بالاحتفال المولدي في معظم الأقطار المغربية.^(٧) وقد خدم هذا المنهج في التصنيف «خصائص

(١) نشرت بتحقيق: محمد حميد الله، ط. معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، بتقديم: الأستاذ محمد الفاسي الرباط ١٩٧٦ م .

(٢) مشهور طبع عدة مرات .

(٣) من طبعاته: ط. المكتبة الإسلامية، إستانبول-تركيا .

(٤) طبع لأول مرة مع مجموعة من رسائل ابن حزم، تحقيق: د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد، ومراجعة: أحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة، ثم توالى الطباعات بعد ذلك، ينظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، د. محمد عيسى صالحية ١٨٦/٢-١٨٧ .

(٥) نسخة مصورة عن مخطوط مكتبة بلدية الإسكندرية، ينظر: تعريف مختصر بموضوع الكتاب وبمنهج المؤلف: مقال: «جهود علماء الأمة في اختصار السيرة النبوية جمع وتقديم مخطوطة بلغة المستعجل للإمام الحميدي» . د. طارق طاطمي ١٧٢-١٧٦، مج: الشفا، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة، بالعرش، عدد: ١٠١٤٤٠/١٨م، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط-المغرب.

(٦) نبه المؤرخون المشاركة مثل شمس الدين السخاوي عند ترجمته لشيخه ابن حجر في الجواهر والدرر، وبلديه جلال الدين السيوطي إلى اهتمام مصر والشام المحدثين خاصة من المتأخرين بالتصنيف في المولد النبوي، ومنهم الحفاظ المحدثون العراقي وابن حجر والبلقيني وجماعة غيرهم.

(٧) يُنظر في عناية المغاربة بالتأليف المولدية: محمد عبد الحي الكتاني: «التأليف المولدية في التعريف بما أُفرد بالتصنيف في المولد الشريف»، عناية: خالد بن محمد المختار السباعي، ط. الأولى ١٤٢٢-٢٠١١م دار الحديث الكتانية، طنجة، ومحمد المنوني: «المولديات في الأدب المغربي» ضمن قيس من عطاء المخطوط المغربي: ١٠٢٢-١٠٢٨، ط. الأولى ١٩٩٩ دار الغرب الإسلامي ببورتو، وله أيضا «المولد النبوي الشريف في المغرب المريني»: مجلة دعوة الحق، العدد الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ومحمد الطاهر ابن عاشور: «السيرة النبوية قصة المولد»، بتحقيق: د. نجم الدين خلف

النبوّة المحمديّة» وفضائلها كمصدر من مصادر التعريف بالنبوّة.

ومن مشاهير المصنّفات المولديّة ننتقي كتابين في العصر الموحدّي من تاريخ المغرب الوسيط،^(١) عدداً بواكير التصنيف في هذا الفرع عند المغاربة، ومن ثمرات الحركة العلميّة بثغر سبتة. أما الكتاب الأوّل فهو ((الدر المنظّم في مولد المعظّم)) بدأ تأليفه المحدث أبو العباس العزّفي السبتي^(٢) ولكنه لم يفرغ منه، فأتمه بعده ولده المحدث اللغوي وحاكم ثغر سبتة أبو القاسم العزّفي (ت. ٦٧٧هـ)^(٣) وهو معدود عند المؤرّخين المغاربة من أكبر الموالد وأوسعها رواية وإفادة.^(٤)

قرّر أبو القاسم العزّفي في هذا المصنّف أن إهمال العناية بمعرفة المولد الشريف معدود في الجفاء عن استكمال المعرفة بالنبوّة، وذكر أنّ هذه العادة التي رسّمها والده أبو العباس لأهل المغرب واستحسنها سلاطين المغرب بعد ذلك،^(٥) اقتضت تعطيل الدراسة بمناسبة المولد النبوي لمزيد من تركيز المعرفة بالنبوّة في نفوس المتعلّمين الناشئة.^(٦) ونستحضر ما أورده حاكم سبتة الحافظ أبو القاسم العزّفي أن سبتة كانت تشهد ولا تزال، مُساكنة متديّنين يملل غير الإسلام ومنهم المسيحيون الذين عرف عنهم الاحتفال بميلاد عيسى عليه السلام، ولعل هذا الاحتفال كان يؤثّر على المسلمين، في غياب احتفال خاص بمولد نبي الإسلام قبل أن يقرر ترسيم احتفال خاص لأهل سبتة المسلمين بالمولد الشريف.^(٧)

وأما الكتاب الثاني المشهور للعلم الثاني من أعلام ثغر سبتة السليبيّة فهو ((التنوير في مولد السراج المنير))^(٨) للمحدث السبتي أبي الخطاب ابن دحية (ت. ٦٣٣هـ)، صنّفه بإربل بالعراق عام ٦٠٤هـ وهو في طريقه إلى خراسان، وقدمه لسلطانها مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري، ونال

الله، الناشر: دار سحنون بتونس، ودار السلام بالقاهرة ١٤٢٧-٢٠١٦م.

(١) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: محمد المنوني: ٦٥.

(٢) أزهار الرياض: المقرّي ١/٣٩.

(٣) أورده المقرّي في أخبار هذه الأسرة العزّفية التي اشتغلت إلى جانب العلم بالسياسة لثغر سبتة - السليبيّة -: أزهار الرياض: ٣٧٤-٣٧٧.

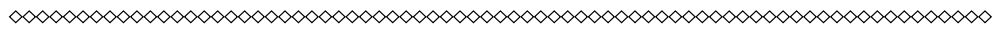
(٤) التّأليف المولديّة: محمد عبد الحي الكتّاني: ٣٨.

(٥) أزهار الرياض: المقرّي ١/٣٩، ٢٤٣.

(٦) التّأليف المولديّة: ٣٩: نقل عن أبي القاسم العزّفي أن أهل مكة في زمنه كانوا أيضا يعطلون العمل والتجارة والدراسة يوم المولد النبوي.

(٧) أزهار الرياض: المقرّي ٢/٣٧٦، والتّأليف المولديّة: محمد عبد الحي الكتّاني: ٤١.

(٨) ينظر: حول النسخة المخطوطة للكتاب ووصف مضمونه وبيان قيمته العلميّة: «قيس من التنوير في مولد السراج المنير»: د. أنس وكالك، مقال: مجلة الواضحة العدد الرابع، نسخة رقميّة edhh.org/wadiha/index.php، وقد طبع الكتاب بتحقيق: د. نور الدين الحميدي الإدريسي، ود. محمد العسري، ط. ١٤٤٢هـ دار فارس لبعث التراث وتأميل الفكر.



عليه جائزة ونوالا أسعده كما نقله بعض مترجميه.^(١) واستمر احتفال هذا السلطان بكتاب التنوير بعد ذلك وبمجالس إقرائه في مناسبات المولد الشريف، ما يفيد أن ابن دحية السبتي نجح في بصم المجتمع العلمي الإربلي بأثر مغربي حسن. وقد جعله في أربعة أبواب متنوعة، موسومة بالاستطراد المنهجي الذي عرف عن ابن دحية في سائر تصانيفه.^(٢)

ثم النوع الثالث وهو «منهج التدليل على صدق النبوة بالمعجزات الشريفة» وتقتصر في هذه الإطلالة التاريخية على ذكر نموذجين: أولهما كتاب «شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول» لأبي الربيع سليمان بن سبع السبتي (ت. ٥٢٠ هـ)، وهو كتاب ضخّم وُصف بأنه يقع في خمسة عشر ١٥ مجلدا.^(٣) والكتاب الثاني من النماذج المختارة أيضا لأبي الخطاب ابن دحية (ت. ٦٣٢ هـ) سماه «الآيات البيّنات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات»^(٤) درس فيه فقه الأخبار المرورية في وصف الجسد الشريف للنبي ﷺ، وتناول أيضا الأخبار في خلقه العظيم وهو مصدر قيميّ مهم في المعرفة الإسلامية. ثم بحث موضوع الخصائص والمعجزات النبوية،^(٥) وختم بالحديث عن المدينة المنورة موطن الإنسان الشريف في الحياة، ومسكن الجسد الشريف بعد الممات. يقول ابن دحية في مقدمة كتابه حول مادة الكتاب العلمية: ((وقد رأيت الآن أن أختم ذلك بما خص الله به أعضاء رسوله، وما مدحها به في محكم تنزيهه، وما ظهر لها من المعجزات، المسندة الطرق والروايات، مما استندته شرقا وغربا من ذوي الدرايات)).^(٦)

ونختم هذا المدخل التعريفي بنوع رابع من مناهج التصنيف وهو «منهج تعظيم قدر النبوة» تصدى له أعلام بارزون بالغرب الإسلامي، وتضمن معاني ذات قيمة علمية تُصنّف ضمن القسم الإجمالي الثاني من المباحث الاعتقادية، حيث يمكن اعتبارها مصدرا من مصادر الكتب العقديّة غير المظان، وفيها تقرير الإيمان بالنبوة المحمدية ببيان منزلته في الإيمان لدى المسلمين، وتفرد العصمة والتنزيه عن النقائص مهما صغرت، وهي ضمن منهج الدفاع عن قدر النبوة في الإسلام.

(١) التآليف المولدية: ٣٧.

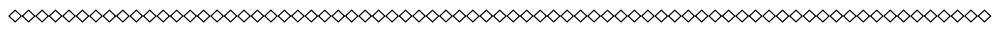
(٢) مقدمة دراسة كتاب الآيات البيّنات لابن دحية: د. جمال عزون: ٩٦-١٠٥، و«قبس من التنوير في مولد السراج المنير»: د. أنس وكالك: ٢-١.

(٣) توجد منه نسخ مخطوطة موزعة بين الخزائن الوطنية، والخزانة الحسنية بالرباط، ينظر: فهارس الخزانين، ومقال الأستاذ أعراب بمجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف بالمغرب، عدد: ٨، ٩، عن طريق إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن ١٥/١٥م: ٢٥٧/١.

(٤) ط. بتحقيق: د. جمال عزون، عن دار مكتبة العمرين العلمية، الشارقة-الإمارات ط ١٤٢٠م-٢٠٠٠م.

(٥) ولابن دحية أيضا كتاب خاص في موضوع الخصائص النبوية: «نهاية السؤل في خصائص الرسول»، ت. د. عبد الله عبد القادر الفاداني، ط. ١٤١٦ هـ وزارة الأوقاف دولة قطر.

(٦) الآيات البيّنات: لابن دحية: ١٩٩-٢٠٠.



وحفظت لنا المكتبة الإسلامية هذه التصانيف حيث لا يستغرب أن البيئة المغربية والأندلسية منذ القديم بحكم قربها من العالم الغربي، واحتكاك المغاربة بالثقافات والفلسفات الغربية، جعلها في حوار وتدافع ثقافي، كان ينتج عنه اطلاعهم على ما شطط به غير العقلاء عن الجادة من حين لآخر بالتطاول على مقام النبوة المحمدية بدافع حنق ديني قديم متجدد، غير أنه يمكن استغلال وقّعتة كفضاء للحوار بين أتباع الديانات يضعف ويتراجع .

إن منهج المغاربة في الدفاع عن المعتقد في النبوة بمصنفات تناظرية مع الذين اختاروا طريق قلة العقل في مناقشة المسلمين ، يهدف إلى مقصدين: الأول تأصيل المعتقد السامي في «تصرفات النبوة المحمدية» حيث لم تكن بشرية النبي كسائر البشر في عموم الأمة فاستحق معاني التنزيه بعد مقام تنزيه الإلهية ، والثاني المناظرة بالحجة والبيان مع المنتقصين لاعتقادات المسلمين.

ولقد انفتح العلماء المغاربة في بيئة ثقافية واسعة غير منغلقة على ما يجري في محيطهم الثقافي والحضاري من خلال هذه المدونات التعظيمية لقدرة النبوة، حتى لا يظل انشغالهم العلمي مقصورا على القضايا العلمية التصورية داخل المؤسسات التعليمية بعيدا عن واقع الحياة والناس. فصنّف القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري (ت. ٥٤٢ هـ.) كتابا وإن لم يكن معنيا بسرد أحداث النبوة، لكنه مندرج في مادة هذا الفرع المنهجي «منهج تعظيم قدر النبوة»، وهي من أعظم القضايا الاعتقادية في الإسلام بعد مباحث الإلهيات، وسماه ((كتاب تنبيه الغبي على مقدار النبي ﷺ))^(١) وذكر في مقدمته أنه صنّفه استجابة لطلب بعض محبيه من رواده، وتحقيقا لمطلوبه إذ ((يقتضي تنزيه النبي ﷺ عما لا يليق بصفته، ويحيل سخيمة الريب عن فؤاد سرك به))^(٢).

ووصف ابن العربي البحث في تعظيم النبوة بمفهوم قوي، أنه: ((ذرّوة البحث عن الإله وصفاته، والنبي وأحكامه))^(٣). فهو تدوين محدد الهدف والمقصود: التعريف بمقدار النبوة.

وعلى نفس سنن المغاربة سار كتاب ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) للقاضي المؤرخ المحدث عياض بن موسى السبّتي (ت. ٥٤٤ هـ.) ، قد لقي من القبول والشهرة ما لم يجده غيره من المصنفات في فنه بالمغرب والمشرق.^(٤) ثم كتاب ابن خمير السبّتي (ت. ٦١٤ هـ.) ((تنزيه

(١) طبع بتحقيق: د. عبد الله التوراتي، ط ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م دار الحديث الكتانية بطنجة .

(٢) كتاب تنبيه الغبي: ٦١ .

(٣) م.ن: ٦٢ .

(٤) شرح كتاب الشفا جماعة من علماء المشرق منهم: شرح الملا علي القاري (ت. ١٠١٤هـ) ط. عدة مرات ، وشرح الشهاب الخفاجي (ت. ١٠٦٩هـ) «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» . ولكتاب الشفا كثير من النسخ المخطوطة في مكنتات العالم، وطبع عدة مرات؛ منها نشرة: علي محمد البجاوي، ط. عيسى الباي الحلبي بالقاهرة ١٣٩٨هـ-١٩٧٧م ،

الأنبيا عما نسب إليهم حثالة الأغبياء) (١).

المطلب الثاني: الإجرائية المنهجية في تقرير منزلة النبوة

الفرع الأول: بحث العصمة النبوية

الاعتقاد في النبوات بعموم وفي النبوة المحمدية بخصوص من أبواب مباحث الإيمان العظيمة في العقيدة الدينية للمسلمين، ولهذا اعتنى علماء النظر الكلامي المغاربة بالتدوين فيها وبيحت مسائلها بالأدلة وبالمناقشة، انطلاقاً من أصول منهجية في التأصيل وبمصادر معتمدة لدى المحققين فاشتغلوا منهجياً ببحث مفهوم «العصمة النبوية» سواء من خلال مدونات السيرة النبوية أو من مصادر الاعتقاد الإسلامي لاعتبار قضية النبوة واقعة في ذروة البحث عن أحكام أصول الديانة في الإسلام بعد تحقيق البحث في مباحث الإلهيات.

واهتمت مدونات المغاربة في السيرة ببيان دلالة العصمة فنجد مثلاً القاضي أبا بكر ابن العربي (ت. ٥٤٣ هـ.) أجمل هذه الدلالة بتلخيص جامع لمعنيين كليين: الإنبأ بالغيب، والتنزيه عن العيب. (٢) ثم أضاف احترازاً معنوياً مهماً في مفهوم النبوة وهو كونها عطاءً إلهياً بصفات مكتسبة من الخالق، وليست صفات مكتسبة ذاتية فيهم.

قال ابن العربي: ((وإذا قلنا فيه: إنه نبي؛ بمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وشرفه، لم يعد ذلك إلى وصف قائم به، وإنما هو بمنزلة قولنا في رجل: مخاطبٌ ومتكلم)). (٣)

وتبحث مدونات الاعتقاد مفهوم العصمة النبوية من خلال مستويات ثلاثة تتوزع بين تقرير ما يجب في حق النبوة المحمدية من حقوق قائمة على التقدير والإجلال، وما يجوز من صفات البشرية الطبيعية كحاجة البدن الشريف إلى الطعام والشراب والنكاح والبؤنة والأرحام، ثم ما يستحيل من جميع الصفات التي تنزل عن مقام التنزيه النبوي.

قال القاضي ابن العربي: ((النبي ﷺ وإن كان في الأصلية من البشر؛ فإنه نال الرقي في درج النبوة، واستوى على ذروة الرسالة، تميز على الخلق بفضائل دنياوية وأخروية. وأعني بالدنياوية ما يتعلق بالجسدية، وعادة البشر. وبالأخروية ما يوجد في الآخرة، أو ينفع بالأصل.

ونشر كتاب الشفا مصوراً بتقنية SCAN عن مخطوط أصلي مكي نادر، عليه سماعات جماعة من الحفاظ المحدثين المكين قرابة مائة وتسعين ١٩٠ عالماً، ينظر: مقدمة التعريف: د. أحمد خان: ٩-١٦، وتقريظ: الشيخ محمد ناصر العجمي، ضمن وقف مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، ط. ١. دار البشائر ببيروت ١٤٣٦-١٥-٢٠ م.

(١) طبع بتحقيق: د. محمد رضوان الداية، ١٤١٠-١٩٩٠ م دار الفكر المعاصر بيروت.

(٢) كتاب تنبيه الغبي على مقدار النبي ﷺ ٦٥.

(٣) م: ٦٦.

ويجب له أحوال، ويجوز عليه أحوال، ويمتنع عليه أحوال، والكلام في ذلك يطول حتى يخرج عن المقصد^(١).

وتتضمن هذه الدرجات في الحكم العقلي من واجب وجائز ومستحيل المسلك السديد الذي يجعل من العقيدة الإسلامية حافظة لصحة الرأي فيما يصح به الخطاب مع صفوة الخالق الذين اختارهم لرسالته، درءا لما ينالهم من الحطُّ أو التقليل من القدر اللائق بهم، فصار للنبوة المحمدية في الإسلام أحكام إيمانية تخصهم بمعاني ومبادئ لا تفتق بهم^(٢).

ويمنح دوام القدرة على فعل الطاعة في صفات عصمة النبوة اتصال عمل العبادة بعيدا عن المعاصي، وهي قدرة خلقية إلهية لا تكتسب بالجهد الذاتي، دون أن يمنع من جواز الغفلة والفترة على النبوة^(٣)؛ لكنها تقع بمشاهدة الخلق من المجتمع المحيط، ثم ترجع النبوة إلى المعرفة الكاملة المتصلة بشهود الملوك.

وقد ذكر القاضي عياض في تأكيد هذا المعنى عند مناقشته لحالة «غَيْن القلب» التي وصف بها النبي ﷺ نفسه، تعتريه في بعض الأوقات كما في لفظ الخبر الصحيح: ((إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)).^(٤) فقال في تأويله: ((فيكون المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه، وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق، بما كان ﷺ دُفع إليه من مقاساة البشر، وسياسة الأمة، ومعاناة الأهل، ومقاومة الولي والعدو، ومصالحة النفس، وكلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة. وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه.

ولكن لما كان ﷺ أرفع الخلق عند الله مكانةً، وأعلامهم درجةً، وأتمهم به معرفةً. وكان حاله عند خلوص قلبه، وخلقوه لله وتقرُّده بربه، وإقباله بكلِّيته عليه، ومقامه هنالك أرفع حاله. رأى النبي ﷺ حال فترته عنها، وشُغله بسواها غضا من عليّ حاله، وخفضا من رفيع مقامه، فاستغفر الله من ذلك. هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها)).^(٥)

وبينما يضيف ابن العربي^(٦) معنى لطيفا في فقه هذا الخبر النبوي حيث ذكر أن حالة الغين عند النبي ﷺ هي لسائر الناس كمال، حيث يرتاح المتعبد فترةً يتروَّح بها عن نفسه، من

(١) م: ٨١.

(٢) ينظر: مقدمات المرشد في علم العقائد: ٢١٢ وغيرها.

(٣) كذا وصفها ابن العربي: كتاب تنبيه الغيبي: ٨٢.

(٤) مسلم في صحيحه: (٢٧٠٢) رواية أبي مالك الأغر المزني.

(٥) الشفا: ٢٧٦ القسم الثالث: الباب الأول: ((فيما يختص بالأمور الدينية...)) ط. مخطوطة. وقف مكتبة نظام يعقوبي الخاصة.

(٦) قانون التأويل: ٥٦٤-٥٦٦ ت. د. محمد السليمان، ط. دار القبلة، جدة.

بأب مراعاة قوانين الشريعة لحالة الضعف عن قدر المعرفة الواجب في حق النبوة، بل اعتبرت هذا الغين لغير النبوة طاعة وعبادة يتبلغ بها المتدين إلى حين انتقاله إلى وضعية عبادة جديدة، بالنظر إلى ضعفه الطبيعي عن مواصلة التعبد بلا انقطاع.

ويمكننا مناقشة ثلاثة أنواع من العصمة بما يكشف عن المفهوم الاعتقادي على وضع من الاقتصار المناسب لهذه الورقة البحثية:

الفقرة الأولى: العصمة الذاتية من الأذى البشري، والآفات الطبيعية

تشمل هذه الحماية الإلهية للنبوة المحمدية جميع صنوف الأذى البشرية سواء المقصود من المعارضين لرسالة الإسلام بإلحاق الأذى الجسدية والنفسية بحياة النبي ﷺ، أو غير المقصود من الأمراض التي تفتك بالجسد الإنساني وتعيقه عن الحركة الطبيعية بنفسه فتدخل في وضعية الاضطراب في الحياة، فجميع هذا الفتك بالطبيعة البشرية تشمله هذه العصمة الذاتية.

وقد خصص القاضي عياض عدة فصول^(١) لمناقشة مفهوم العصمة النبوية عموماً لجميع الأنبياء وخصوصاً للنبي ﷺ، في العهد الذي كان قبل اصطفاء النبي ثم بعد تكليفه الإلهي بالرسالة، وفسر العصمة بالحماية الإلهية للنبوة المحمدية من تطاول الشائئين عليه وبالكفاية من الأذى، واستدل على هذا المعنى في دلالة العصمة النبوية بنصوص من الكتاب العزيز؛ منها الآيات: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ((المائدة: ٦٧))، و﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ((الطور: ٤٨))، و﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ((الحجر: ٩٥)). تدل جميع هذه الآيات بدلالات ظاهرة على اعتبار النبوة في منزلة الرعاية الإلهية من أذى المعارضين لأداء الرسالة وانتشار معانيها بين الناس في حياة النبي ﷺ.

ثم أورد عياض^(٢) أخباراً نبوية في تأكيد المعنى بعد الآيات؛ ومنها رواية جابر رضي الله عنه وهي مخرجة في الصحيحين^(٣) أن النبي ﷺ بينما كان يقيل تحت شجرة يستظل بها جاء أعرابي يهدده، وتصف لنا الرواية فعل هذا الرجل بأنه قام «فاخترط سيفه» أي استل سيف النبي ﷺ قبل أن ينتبه إليه بسبب كونه نائماً. ثم أخبر النبي ﷺ صحابته بعد اقترابهم منه بقصة

(١) ينظر: الشفا: ٨٨١-٢٩١ القسم الأول: الباب الرابع: ((في عصمة الله تعالى له من الناس))، و٨٦٢-٢٢ القسم الثالث: الباب الأول: ((فيما يختص بالأمر الدينية والكلام في عصمة نبينا ﷺ)).

(٢) م: ١٨٩-١٩٢ أورد عياض عدة أخبار حديثة بين المرفوع وغيره متفاوتة الدرجة في الثبوت، تجتمع في دلالتها على هذا النوع من العصمة الإلهية للنبي من الأذى في حياته ﷺ.

(٣) البخاري (٤١٢٩)، ومسلم (٨٤٢) بلفظ مقارب.



هذا التهديد وأن صاحب التهديد تراجع عن تهديده، و«شام سيفه» أي أرجع السيف إلى غمده وجراجه، وكان السبب في تراجعته عن التهديد هو تذكير النبي ﷺ إياه بكفاية الله له وبحمانيته تعالى للنبي في حياته من أذى المتطاولين، وأن النبي ﷺ الرحمة لم يعاقبه وعفا عن ترويعه إياه. وتطرق عياض أيضا إلى عصمة النبوة المحمدية من الأمراض التي تفتك بالإنسان الطبيعي وأنها لا تعتريه صيانة لواجب الرسالة والنبوة، ونقل الإجماع المعتبر على تقرير هذا المعنى في العصمة النبوية، فقال: ((والنبي ﷺ وإن كان من البشر ويجوز على جيلته ما يجوز على جيلة البشر، فقد قامت البراهين القاطعة، وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم، وتزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار))^(١).

الفقرة الثانية: عصمة الإيمان

قررت مدونات المغاربة هذا النوع من العصمة الإيمانية عن سلوك ما يتوهم أن تشابه فيه النبوة سائر البشر من احتمال أن يعتري الإنسان غير النبي سواء كان مؤمنا في بعض فترات ارتباك نفسي، أو كان معارضا للإيمان، بينما يكون النبي معصوما من وضعية الشك في الإيمان، ومن ضعف اليقين الإلهي. فقررروا أن النبي ﷺ منذ أن عرف النبوة وخطب بالوحي الإلهي لم يسلك غير طريق اليقين الاعتقادي في الخالق القادر، وفي الوحي الذي خوطب به بواسطة الملك جبريل عليه السلام، وكل هذا على تمام الغاية من اليقين اللائق بمقام النبوة المحمدية بما لا يعتريه أي وجه من الجهل بشيء من أعمال الإيمان القلبية والعملية، أو يخالف كمال المعرفة الإلهية.

ونقل عياض الإجماع^(٢) على تقرير هذا النوع من العصمة الإيمانية، وبيّن أن هذا المعتقد واجب في حق جميع الأنبياء بدلالة الشرع. ونقد بمنهجية أصولية بعض الروايات التفسيرية الواهية التي أوردتها غير المعتمدين من المفسرين، والتي نسبت لبعض الأنبياء ما يضعف هذا التحقيق، مثل ما وقع من نسبة الشك إلى معرفة نبي الله إبراهيم عليه السلام عند جوابه في سياق المحاوراة الإلهية ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ بِمَا قَالَتْ بَلَىٰ وَ لَكِن لَّيُظْمِنَنَّ قَلْبِي ﴾ ((البقرة: بعض الآية ٢٥٩)). وأورد عياض خمسة أوجه نقدية^(٣) في بيان ضعف الروايات التي تنسب ما يفهم منه ضعف المعرفة اليقينية لجميع النبوات.

(١) الشفا: ٢٦٩ القسم الثالث: الباب الأول: ((فيما يختص بالأمر الدينية...)).

(٢) م.ن.

(٣) م.ن: ٢٦٩-٢٧٠.



ومدار النقد التأويلي عند عياض في هذه الأوجه أن نبي الله إبراهيم عليه السلام إنما كان يطمع في اختبار منزلته النبوية بطلب معاينة الخلق من الخالق بعيدا عن الشك في القدرة الإلهية ، ورغب في الانتقال من المعرفة اليقينية العامة إلى المعرفة اليقينية الكاملة ، أو بما عبر عنه عياض بالانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين. وهذه المعرفة اليقينية التامة هي التي لا يمكن للخلق بلوغها كونها الحقيقة الكاملة للمعرفة الاعتقادية، وحيث لا مجال فيها للشك في المعرفة الإيمانية الذي لا يناسب مقام النبوات.

فالأنبياء عموما والنبوة المحمدية بخصوص لم تخلق لهم القدرة على فعل المعصية، وهي منتفية في الأصل وفي الذات النبوية جِبَلَةً، مادام صدور الكذب عن النبوة مخالف للعصمة في بلاغ الوحي التام بدون تبديل ولا كتمان، حيث جُعِلَ مسلك المعجزة لتأكيد صدق النبوة، ويستمد الأنبياء وجوب العصمة من إرادة وشرف الاصطفاء الإلهي.^(١)

وناقش عياض أيضا ما أثير حول روايات تفسيرية واهية عن عصمة النبوة المحمدية في مثل الآية ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ((يونس: بعض الآية: ٩٥)) وبنفس المنهجية أورد نماذج من الروايات الواهية التي فسرتها بنسبة الشك إلى النبوة المحمدية في هذا السياق.^(٢)

وانتقد عياض هذا المسلك الضعيف نقلا وعقلا، وأجمل التأويلات العقلية الموافقة لأصول الوحي في تنزيه النبوة المحمدية عن رتبة الشك في المعرفة الإيمانية، وهي تأويلات تتجه إلى أن المراد بالخطاب القرآني غير النبي ﷺ وهم الجاهلون بمعرفة الإيمان، إذ لا يستقيم عقلا وشرعا أن يخاطب النبي ﷺ بضمه إليهم في سياق سلب المعرفة الإلهية، بينما هو جزء من هذه المعرفة الإيمانية وهو عنصر من عناصر موضوع التكذيب بالإيمان، فكيف يُكذَّب النبي ﷺ بما هو مُكذَّب به من قضايا التوحيد والشريعة؟ فهذا لا يستقيم في مسالك التأويل السديد.

الفقرة الثالثة: العصمة والمعرفة الحياتية المادية

وهنا يثار البحث في تناول العصمة النبوية لمجريات الحياة العادية الدنيوية، وهل هذه الأعمال الطبيعية اليومية المتعلقة بالاقتصاد والزراعة والصناعة هي أيضا مما يدخل تحت العصمة النبوية والتحصين الإلهي؟

وملخص بحث المغاربة في مدونات السيرة لهذه القضية أن عصمة الأنبياء لا تشمل

(١) مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص: الحسن اليوسي: ٢٢٦/٢ .

(٢) الشفا: ٢٧٠-٢٧١ .



الإحاطة بمعرفة تفاصيل الشؤون الحياتية، بحيث يقدر أن يتصور منهم عدم معرفة الجزئيات التي تتطلب خبرة التفرغ لتدبير تفاصيلها من سائر طبيعة ما يقوم عليه اقتصاد الناس في زمان الأنبياء كتدبير شأن التجارة والبيع والشراء، وما يستدعيه من خبرة الحضور إلى سوق البيع المتخصص للاطلاع على تفاصيل سير العرض والطلب وإلى غير ما هنالك مما يخبره أهل هذا الشأن، وقل مثله في سائر ما يقوم عليه الاقتصاد البشري. بينما يشتغل الأنبياء بقضايا وجودية كليات لا تتيح لهم فرصة الحضور التفصيلي والاطلاع على الدقائق.

ولكن هذا البعد عن معرفة تفاصيل شؤون الحياة المعاشية في وضعية الأنبياء الدنيوية بسبب تفرغهم لشؤون الشريعة وسير قوانينها، لا يعني جهلهم التام بأحوال الحياة الطبيعية والمادية التي يعيشها الناس، وإلا صاروا كما يقول القاضي عياض^(١) موصوفين بالغفلة والبله بين الناس، وهذا محال في حقهم ولا يتناسب مع كمال الاصطفاء الإلهي المقتضي قوة العقل والتفكير.

ومعلوم أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يسوسون أممهم في شؤون السلم والحرب، وأحوال السياسة والإدارة، فاقتضى منهم هذا التكليف الإلهي المعرفة والتنزيه عن الجهل بما يدبرونه، ولكنهم ليسوا معصومين فيه كعصمتهم في المعرفة الدينية المتضمنة كمال العلم اليقيني في الخالق وفي حقيقة الوجود. قال عياض: ((بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم، والنظر في مصالح دينهم ودنياهم، وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمر الدنيا بالكلية))^(٢).

ويلاحظ في هذه المناقشات أن العلماء المغاربة تميزوا في معالجة قضايا السيرة النبوية بمنهجية نقدية لا تسلم بجميع الروايات المخالفة لتقرير هذا النوع من العصمة الذاتية، والتي تساهلت بإقحامها بعض مدونات التفسير القرآني أو الكتابات الوعظية، وهم يجرون التدقيق التأويلي المبني على أصول النظر الصحيحة التي تستحضر قواعد التحقيق والنقد الواجب إعمالها في بحث مثل هذه القضايا الدينية العظيمة، بعيدا عن استقبال جميع المروري في المصادر بدون فقه ولا نظر مما يسيء للاعتقاد.

لقد أكدت أصول المعرفة بالنبوة في عدة نصوص من الكتاب العزيز على مسلمة «التثبيت القلبي» للنبوة المحمدية بحفظ إلهي مقدس كونه مضمونا لا يعتريه الريب أو الشك، وأن الإله القادر متكفل للنبوة بالحجة والدليل السليم في مناظرة كل نقض يورده المعارضون حتى يتحقق

(١) م.ن: ٢٨٣ .

(٢) م.ن: ٢٨٤ .

اكتمال الوعد الإلهي بحفظ الوحي، كما في الآية ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ ((الفرقان: بعض الآية: ٣٢)) ، وذكر بعدها ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ((الفرقان: بعض الآية: ٣٣)).

قال ابن دحية السبتي (ت. ٦٢٣ هـ) في تأويل هذا السياق: ((وفي هذه الآية من تثبيت فؤاد النبي ﷺ ما يشهد بأنه الممتقى المكرم، فكانت فيه إشارة إلى تطهيره، والشق الذي فرغنا من تفسيره، فإن التثبيت لا يكون إلا بعد التطهير بالإكرام)).^(١)

إن البحث في مفهوم العصمة النبوية من شأنه أن ينتج معاني الرفع من قيمة النبوة في الاعتقادات الدينية ، وهو قاعدة تحصينها من أثر تطاول غير العقلاء على النبوة سواء كان تطاولا نابعا عن قصد ومعرفة وبحث في معاني غير محققة، أو من ذوي العبث الخاطلين بين الجد والهزل بعيدا عن استحضار المقامات الثلاثة.^(٢)

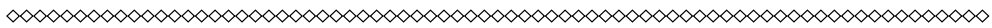
وعندما تقرر العقائد الإسلامية منزلة النبوة المحمدية بالتميز عن النقائص، فهي لا تقصرها على نبي الإسلام، لو كان واقعا جدلا لفهم منه عنصرية الدين الإسلامي وبعده عن مفهوم الدين العالمي الشامل، وليس كذلك.

وإنما العصمة النبوية في العقائد الإسلامية مفهوم تنزيهي شامل لجميع الأنبياء والرسل منذ عهد النبي آدم أب البشرية وإلى عهد النبي الخاتم، إذ يقوم مبدأ تعظيم الأنبياء على النظر إليهم بمنزلة المسالك التي تبلغ هداية السماء إلى البشر، فلا نجد أحدا من المتدينين في الإسلام مهما بلغ مستوى تدينه صعودا أو نزولا يتناول أحدا من أنبياء الديانات السماوية بشيء من التطاول أو الإزراء! وكيف يكون هذا والكتاب العزيز يوجه أصول الدين إلى تقدير جميع الأنبياء السابقين ، بل الإيمان بأسبقية رسالاتهم إلى الأمم التي بعثوا فيها كما قرره القاضي عياض في استدلاله على هذا المعنى^(٣) بالآيات: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا

(١) الآيات البيئات: ٢١٧ .

(٢) ولا تزال بعض وسائل الإعلام الغربية تمنع في التجاوز على منزلة النبوة المحمدية بخصوص والتبوت في الديانات السماوية بعموم ، في سياق خلط عجيب بين مفهوم حرية التعبير الذي يلتزم بحدود حمراء عن التطاول على بعض رؤساء الحكم الغربيين، وعلى قضايا معاداة السامية ونحوها، بينما يتهورون بانتهاك مشاعر المؤمنين في العالم في تجاوز خطير لحرريات الآخرين داخل المجتمع ، وحول أنحاء العالم ، ما يتسبب في تهور بعض الشباب المتدينين بأفعال عنف - هي بلا شك مرفوضة لدى العقلاء المسلمين - تزيد من جذوة نار الحقد والكرهية على الأقليات المسلمة التي تعيش في الغرب ، ولا تخدم قضية التعريف بالنبوة بحال ، وعلى صعيد آخر تعطي الفرصة للاتجاهات اليمينية الغربية المتطرفة لتبرير أعمالهم الإقصائية المستمرة في حق الأقليات المسلمة بالدرجة الأولى أكثر من غيرهم .

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٤٣٣ الباب الثالث: ((في حكم من سب الأنبياء)) ، وأيضا تبويبه في موضع آخر من الشفا: ٢٦٨ لتقرير هذا الأصل: ((فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)) .



سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿ (البقرة: ٢٨٥-رواية ورش-) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابًا مُّهِينًا ﴿ (النساء: ١٥٠-١٥١) ، ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى
إِبْرٰهٖمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ (البقرة: ١٣٦) .

الفرع الثاني: تثبيت الصدق النبوي بمسلك المعجزة

يقترن تجويز بعثة الرسل في المعرفة الإسلامية بوجوب حصول الرسالة النبوية على قرينة تدل على صدق تحمل النبي للتبليغ ليميز المتحقق بالنبوة من المدعي الكاذب في صفة النبوة. وقد اهتمت أصول الإسلام بأدلة صحة النبوة، إما بأن يحصل ما يطلق عليه «العلم الضروري» عند الناس فيعلمون من أوصاف النبي صدقه وتصديقه، أو أن يشهد الناس الوحي بالنبوة الذي لا يمكن مشابهته لكلام البشر مثل إثبات النبوة المحمدية بالمعجزة الكبرى المستمرة، الوحي بالكتاب العزيز المحفوظ بحماية الشارع ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحٰفِظُونَ ﴿ (الحجر: ٩) ، والمقترن بتحدي الفصاحة والجزالة مع قوة النظم المعجز لمناهج اللسان العربي. قال أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): ((فإذا لا يمكن إنكار تحديه بالقرآن، ولا يمكن إنكار اقتدار العرب على طريق الفصاحة، ولا يمكن إنكار حرصهم على دفع نبوته بكل ممكن حماية لدينهم ودمهم ومالهم، وتخلصا من سطوة المسلمين وقهرهم، ولا يمكن إنكار عجزهم، لأنهم لو قدروا لفعلوا؛ فإن العادة قاضية بالضرورة بأن القادر على دفع الهلاك عن نفسه يشغل بدفعه، ولو فعلوا لظهر ذلك ونقل)) (١).

وبينت مصادر الاعتقاد (٢) أن إثبات النبوة المحمدية حصل بنصب طريق المعجزة المؤسسة على كلام النبوة في المغيبيات المقترنة بالوحي النبوي، (٣) وهي دلالة على صدق دعوى النبوة من خلال صفات؛ تلخص في الاقتران بقريضة تحدي وإعجاز المخاطبين من الناس عن المعارضة بمثلها أو بأفضل منها، وحيث تتأسس المعجزة على الأفعال الخارقة للعادة المشاهدة، التي لا يخرقها الخالق القادر إلا في زمن الأنبياء، (٤) وأجراها تأييدا لدعوى النبوة، واعتبر الإيمان

(١) الاقتصاد في الاعتقاد: ٤٨٢-٢٦٧ .

(٢) ينظر: م: ن: ٤٨٤-٤٨٥ ، وكتاب تنبيه الغبي على مقدار النبي: ابن العربي: ٧٧-٧٨ .

(٣) الآيات البيئات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات: ابن دحية: ٣٢٢ .

(٤) الآيات البيئات: ابن دحية: ٢٥٧ نقلا عن القاضي أبي بكر الباقلاني، وينظر: مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص:

الحسن اليوسي: ٢/٣٠٩-٣١٢ .

بالمعجزة إيماناً بالله ولهذا تنزلت منزلة الوحي الإلهي فهي دالة على صدق صدورها عن مصدر سماوي وعنه ورود الوحي أيضاً.^(١)

ويتعلق مسلك المعجزة في مادة السيرة النبوية بالدلالة على جميع وجوه البلاغ النبوي بالصدق في تبليغ الوحي الإلهي، وتصحيح ما يصدر من قول أو بيان أو اجتهاد عن النبي المعصوم.^(٢) وقد انتظم الوضع الإلهي في النبوة المحمدية أن ترافق المعجزات وجود النبي ﷺ في حياته، الذي تضمن في كل عضو من جسده الشريف آية ومعجزة منذ مولده^(٣) وبعد موته، حيث وردت الأخبار ببعض المعجزات التي صاحبت تفصيل الجسد الشريف، والعزاء في موته المفجع.^(٤)

وتضمنت أحوال المعجزة حفظ النبوة في فترة الشباب النبوي من الأفعال التي تنتهك جناب المروءة وإن كانت مقبولة من عامة البشر ولا يلتفت إليها لكونها توافق الطبيعة الإنسانية في مثل هذا العمر. فقد روي في الخبر الثابت^(٥) في قصة بناء الكعبة أن النبي بينما كان يعين قومه في نقل الحجارة ويضعها على عاتقه، وإزاره الشريف مشدود عليه، اقترح عليه عمه العباس أن يغير وضع إزاره فيجعله على عاتقه، ليسهل عليه العمل - كما يظهر - فعمل بتوجيهه فسقط مغشياً عليه.

وذكر السهيلي^(٦) أنه جاء في رواية أخرى توجيه ما جرى، أن النبي ﷺ سمع منادياً من السماء يناديه باسمه - يا محمد - ويأمره بأن يشد عليه إزاره. وروي عند ابن إسحاق^(٧) تكرار الواقعة المعجزة حينما كان صغيراً يلعب مع الغلمان فتعرى «فلكمه لاكم» كما في لفظ الخبر، وأمره بشد إزاره عليه .

ويناسب إيجاد المعجزة الاستعانة بها على «أثقال النبوة» وما جرت عليه من أعباء وتضمنته من أحمال ثقيلة لا يطبق حملها سوى أشداء الأنبياء، وهي مجتمعة في تصرفاته ﷺ المتعددة الأغراض والمنافع لقوانين رسالة شريعة الإسلام، بحسب خاصية كل من المناصب الدينية التي

(١) المنتقى من عصمة الأنبياء: الصابوني: ٢٢، ومشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص: الحسن اليوسي: ٢١٧/٢ .

(٢) كتاب الموافقات: الشاطبي: ٤/١٠٢٧-١٠٢٨ ط.ت.د. الحسين آيت سعيد .

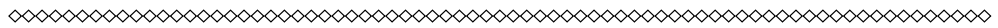
(٣) ينظر: تتبع المعجزات في جسده الشريف: الآيات البيئات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات: ابن دحية: ٢٣٧ وما بعدها .

(٤) الروض الأنف: ٤/٢٧١ .

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: ١٦٠٢ حديث جابر بن عبد الله. وفي الرواية: ((لما بنيت الكعبة ذهب النبي والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتيك ففعل، فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم قام فقال: إزاري إزاري، فشد عليه إزاره)).

(٦) الروض الأنف: ١/٢٠٨ .

(٧) سيرة ابن إسحاق: فقرة: ٥٥ ط.ت.د. محمد حميد الله .



كان يحمل عبء تديريها في ماجزيات النبوة الشريفة بتفويض إلهي مقدس، وإذ كان غالب هذه التصرفات النبوية قائماً على وصف الرسالة النبوية التي يتأسس جوهرها على الأمر الإلهي بتبليغ الشريعة إلى الأمة. وقد كانت تقتصر النبوة قبل الإسلام على مجرد تبليغ الرسالة لإقامة الحججة على المرسلين فيهم، بينما كلف غيرهم من الأنبياء مع النبوة المحمدية بتدبير المصالح العامة أيضاً إلى جانب مهمة الرسالة الدينية.^(١)

قال السهيلي: ((والنبوءة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرسل))^(٢). وهذا يؤيد ما جاء في وصف تحمل النبوة المحمدية للوحي الإلهي ﴿ إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ((المزمّل: ٥ - رواية ورش -)) .

وقد اعتنى علماء المغاربة بجمع وإحصاء معجزات النبوة المحمدية فبلغت ألف معجزة في إحصاء القاضي ابن العربي،^(٣) ولكنها تظل مع ذلك كثرة يصعب إحاطة أحد من العلماء بها، وأعظمها معجزة الوحي بالكتاب العزيز في نظم كلامه وفصاحة وبيان أحكامه وقوانينه، وقد تنزل بين أرباب الفصاحة ورؤساء البلاغة، ومكث بينهم مدة طويلة من الزمن تزيد على عشرين سنة يتحداهم حتى عجزوا عن معارضته.

وهذه المعجزات النبوية وإن كانت نقلت بطريق رواية الأحاد لكن توارد وتكاثر النقل والرواية يفيد بمجموعه التواتر القطعي، وتحقيق معنى خرق العادة الذي يبني عليه بعض عناصر المعجزة.^(٤)

وقد اعتمد أبو حامد الغزالي في سياق مناظرته للملح حول إثبات المعجزة لصدق النبوة المحمدية،^(٥) جواباً عن اعتراض بعضهم، على نوع طريق ورود المعجزة بنقل الأحاد، وعلى إيرادهم كونها لم تبلغ بطريق التواتر لا في الجملة ولا في الأحاد، فذكر في جوابه إياهم أن اشتهاً النقل يرفع درجته إلى اعتبار التواتر.

ونقف عند بعض علماء المغاربة المشتغلين بتدوين العقائد على تدقيق مزيد في مفهوم المعجزة النبوية، أنها إخبار عن امتناع المعارضة، وليس عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة الذي يقابل القدرة. فوصف من تتحداهم بالنبوة بالعجز هو من قبيل التجوز في العبارة، لأنهم

(١) ينظر بحث التصرفات النبوية وخصائصها عند القرائي: الفروق: ١/٤٢٦-٤٢٢، الفرق: ٣٦، والإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام له أيضاً: ٩٩-١٢٠ السؤال: ٢٥ .

(٢) الروض الأنف: ١/٢٦٦ .

(٣) في كتابه الحافل في علوم القرآن: «أنوار الفجر بمجالس الذكر»، نقلنا عن وسيلة الإسلام بالنبي ﷺ: ابن قنفذ القسنطيني: ١٢٧، وينظر: في إحصاء المعجزات: «مقدمات المرشد إلى علم العقائد» ابن خمير السبتي: ٣٠٦ .

(٤) مقدمات المرشد إلى علم العقائد: ٣٠٦ .

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد: ٤٨٥ .

عاجزون عن معارضة النبي في الحقيقة عجزاً ذاتياً يحول بينهم وبين معارضة المعجزة.

قال ابن خمير السبتي (ت. ٦١٤هـ - ١٢١٧م): ((تسمية ما ينخرق من العوائد في الأفعال عند ادعاء الأنبياء النبوة «معجزة»، عبارة مجازية شائعة على التوسع والاستعارة، فإن المعجز على التحقيق خالق العجز، فتسميتها معجزة تجوزا في انتساب الإعجاز، وكذلك تسمية المتحدين لهم عاجزين، فإنهم لا يعجزون عن معارضة النبي حقيقة))^(١).

الفرع الثالث: التنزيه النبوي

نبه بعض العلماء المغاربة على مفهوم التنزيه النبوي^(٢) بمعنى النظر في المعاني التي يتحقق بها التنزيه في اتصاف النبوة، وفي تأويل معاني التنزيه حينما يتضمن مساعداً لمسلك التأويل.

ويرتبط مفهوم «التنزيه النبوي» بمفهوم «العصمة النبوية»، من حيث الدلالة على معاني التقديس المستحق بفعل الاصطفاء الإلهي، فإن الاصطفاء والعصمة ثابتة للنبوة من الله، مما اختص ذوات الأنبياء بها، فاستحقوا بهما المدح والحمد.^(٣)

ويختص التنزيه ببحث ترفع النبوة عن جميع المعاييب والنقائص البشرية المعيقة عن أداء واجب بلاغ الرسالة، والالتزام بتقديم حق الإجلال والاعتبار لمقام النبوة. قال ابن العربي: ((فتنزيه النبي ﷺ عما لا يليق به واجبٌ، وظن الباطل به هلكة))^(٤).

ويدخل في مضامين التنزيه النبوي الترفع عن وصف الجهل بالمعرفة في حق النبوات كالجهل بمعرفة الله القادر، فتتنزه عنه النبوة، وما يتعلق بتبليغ قوانين الشريعة والأحكام فإن النبي لا يعلمه قبل الوحي، وليس هذا من وضع الجهل المطلق بل هو معدود في أن النبي لا يتصرف في الديانة والشريعة إلا بتوجيه إلهي ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ((النجم: ٣-٤ - رواية ورش -)).

وإذا كان شأن دليل الإثبات على درجة عالية من الاعتناء في البحث العقدي في تنزيه النبوة، فقد بحث علماء المغاربة إلى جانب الدليل النقلية الذي تنقل به المعجزة كما تقدم في الفقرة السابقة، الدليل العقلي المفيد لصحة المعجزة أيضاً، وهو يقوم على النظر في سلامة مفهوم

(١) مقدمات المرشد إلى علم العقائد: ٢٦٢ .

(٢) م.ن: ٣٠٨ .

(٣) المنتقى من عصمة الأنبياء: الصابوني: ٢٧ .

(٤) كتاب تنبيه الغبي على مقدار النبي: ٧٩ .



التزيه في النبوة من جميع الصفات المناقضة لمدلولها، كالتزيه عن صفة الكذب في التبليغ النبوي عن الخالق مصدر التشريع الإلهي، إذ المعجزة بنفسها دالة على صدق النبوة، فاستقر ثبوت مفهوم التزيه في النبوة بهذا المسلك العقلي.^(١)

يتوجه الخطاب الإيماني لأهل الإسلام باستحضار معاني التزيه النبوي بعد وفاة النبي ﷺ كما كان الصحابة المرافقون يمتثلون بها في حياته، فإن معاني المحبة الدينية لا تنحصر في وقت مضيق تزول بزواله أو تخفت بأفوله، وفي هذا السياق أورد القاضي عياض^(٢) عن المغاربة حرص علماءهم على الامتثال بالمحبة والتقدير كعنصر من عناصر تحقيق التزيه النبوي، وأسند نقولا عن شيوخه منها أن مالك (ت ١٧٩هـ - ٧٩٥م) وهو إمام مذهب المغاربة في التشريع، ناظره الخليفة أبو جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ) في بعض المسائل داخل المسجد النبوي حيث كان مقام المجالس العلمية للآخذين عن الأئمة في القضايا الدينية، ولما شرع في رفع صوته بالمناقشة والحوار مع الإمام، نهه مالك في توجيه طويل، مختصر مستفاده أن مقام التزيه والاحترام بجوار مقام النبي ﷺ يفرض سلوكا يكتنفه السكون والهدوء كما لو كان النبي ﷺ حيا يجتمعون حوله .

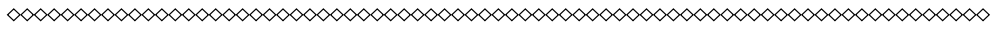
ويتوسع علماء المغاربة^(٣) في تقرير التزيه النبوي إلى تخصيص المشاهد النبوية والآثار الدينية التي تشرفت بتنقل النبي بينها بالتعظيم والاحترام ولو كانت من الجماد، إذ ارتفعت ببركة النبوة من مجرد مادة إلى محل عظم بمعاني الشهود، وقد كان من فقههم أن المعاهد والمدن؛ وفي مقدمها مكة والمدينة المعظمتان بوجود النبوة، وجميع التراب والأراضي التي تشرفت بسير النبي عليها، فهي مستحقة التنقل بينها بإجلال، للمعاني التي شهدتها وليس تقديساً مجرداً لذاتها - كما يقصر فهم البعض - .

وفي تثبيت معاني هذا السياق يوجه اهتبال الرعيل الأول ممن عاصر النبوة المحمدية ومن لقي هذا الرعيل بما حفظوه من أجزاء لباس أو أثر جسم النبي ﷺ، ورفضهم التفریط في شيء منه. وتروي المدونات التي ترجمت لمالك إمام المعرفة الدينية بمدينة النبي في وقته أنه لم يكن يركب دابة في تنقلاته بدروب المدينة المنورة وطرقها، وكان يوجه هذا الإجلال والتزيه للنبوة بأنه لا يطيق أن تطأ دابته تربة مشى فيها النبي ﷺ، وذكر هذا الجواب للشافعي (ت ٢٠٤هـ)

(١) مقدمات المرشد إلى علم العقائد: ٣٠٨ .

(٢) الشفا: ٢٢٠ وما بعدها القسم الثالث: الباب الثالث: ((في تعظيم النبي ﷺ بعد موته، وعند ذكره...)).

(٣) ينظر تقرير هذا الفقه في التزيه النبوي عند القاضي عياض وما نقله عن شيوخه إلى جماعة من أئمة السلف ومنهم إمام المذهب مالك في الشفا: مثلاً ٢٢٩ وما بعدها القسم الثالث: الباب الثالث: ((ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه، وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمس عليه السلام أو عرف به)).



في بعض زيارته لمالك بالمدينة^(١) بل كان يفتي^(٢) بتأديب من وصف تربة المدينة المنورة بأنها رديئة وغير صالحة لغرض من الأغراض الحياتية أو المعاشية، احتراماً للمكان الذي شهد حياة النبوة، في إطار مفهوم التنزيه النبوي وليس تقديساً ذاتياً للمكان باعتقاد ذاتي في النفع أو الضرر. قال عياض:^(٣) ((وجديراً لمواطن عُمِّرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجَّت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومُتَّبِعاً خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها، وموطن مهبط الرسالة، وأول أرض مسَّ جلد المصطفى ترابها. أن تُعظَّم عرصاتها وتتسم نفحاتها)) .

فتضمَّن فقه القاضي عياض الذي تعتبر مدُوناته في المكتبة المغربية معتمدةً بالنظر إلى بضاعته المحقَّقة في الصناعة الحديثية الفقهية ما انعكس على بحثه مبادئ تعظيم النبوة وضمناها التنزيه النبوي، من حرارة المشاعر تجاه مرافق النبوة، ومن صدق المحبة الإيمانية للنبوة ولجميع ما تشرف بالإحاطة بها من بيئة. وظهر في كلامه أن تنزيه النبوة لا يقتصر على الرسالة والوحي الإلهيين، بل يتوسع ليشمل بلغة عصرنا بيئة ومجتمع النبوة .

خاتمة البحث

تهيء المصادر المغربية في السيرة النبوية مادة علمية غنية لدراسة اعتقادية ذات إضافات علمية لموضوع النبوات عموماً والنبوة المحمدية خصوصاً، حيث الانطلاق من مقدمات صحيحة لنتائج قابلة لمزيد من البحث والمدارسة، تجمل في:

ثراء المصنفات المغربية في السيرة النبوية بأغراض متنوعة ومقاصد متعددة، وبمعالجات منهجية منتظمة القواعد، تستحق التتبع منذ بداية العهد بها إلى عصرنا، حيث الاختلاف المنهجي يبرز المعاني العلمية المهمة في البحث العلمي.

وفرة مادة علمية ثرية في مدونات السيرة المغربية بما يسهم في تجسير العلوم الدينية؛ ومنها البحث الاعتقادي في صلة مع دراسات التاريخ والسير، بحيث يمكن استقراء المادة العقدية في قضايا النبوات مع اطلاع على مناهج البحث التاريخي، من تعميق دراسة المادة العقدية في شقها الثاني المتصل بالنبوات، فيتحصل إثراء بحث العقائد الإسلامية.

(١) الشفا: ٢٤٠ القسم الثالث: الباب الثالث: ((ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه...)).

(٢) م.ن.

(٣) كتاب تنبيه الغبي على مقدار النبي: ٧٩ .



المادة العلمية الموجودة عند مصنفى السير المغاربة في موضوع العصمة النبوية وتعلقها المفاهيمي من المعجزة والتنزيه النبوي، تتطلب مزيداً من التفتيش والاستخراج، ومن التعميش والنخل، في سبيل تنمية مناهج البحث العقدي.

المعالجة المنهجية لقضايا النبوة المحمدية بخاصة من جوانب متعددة وبرصيد متنوع في استقراء المادة العلمية من متنوع مصادر المعرفة الإسلامية هو سبيل إبراز مفهوم الرحمة النبوية في عصرنا لمناظرة ومحاوره الحملات المتهورة التي لم تنقطع في عصر من العصور عن النيل من جلال النبوة الخاتمة الرحمة.

مسرد مراجع ورقة البحث

أولاً: المصادر والمراجع

إبراهيم حركات: «مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن ١٥/٥٩م» الجزء الأول: العلوم الإنسانية والعقلية، ط. الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء .

ابن إسحاق محمد بن يسار (ت. ١٥١هـ): «سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي» تحقيق وتعليق: د. محمد حميد الله، تقديم: الأستاذ محمد الفاسي، ط. معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م، الرباط- المملكة المغربية.

ابن العربي أبو بكر المعافري (ت. ٥٤٣هـ): «قانون التأويل» دراسة وتحقيق: د. محمد السليمانى، ط ١ ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة السعودية، ومؤسسة علوم القرآن بيروت لبنان .

وله أيضاً: «كتاب تنبيه الغبي على مقدار النبي ﷺ» ت: د. عبد الله التوراتي، ط ١ ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م دار الحديث الكتانية بطنجة .

ابن خمير السبتي (ت. ٦١٤هـ- ١٢١٧م): «مقدمات المرشد إلى علم العقائد» حققه وقدم له: د. جمال علال البختي، ط ١. ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م ط ١. مطبعة الخليج العربي، تطوان- المملكة المغربية.

ابن دحية أبو الخطاب الكلبي السبتي (ت. ٦٣٣هـ): «الآيات البيئات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات» ت. د. جمال عزون، ط. مكتبة العمرين العلمية، الشارقة- الإمارات ط ١ ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن الخطيب (ت. ٨١٠هـ): «وسيلة الإسلام

بالنبي ﷺ» تقديم وتعليق: سليمان الصيد المحامي، ط ١. ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م دار الغرب الإسلامي تونس، بيروت.

السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت. ٩٠٢هـ): «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ»، ت. بالإنجليزية فرانز روزنثال، ترجمة التعليقات والمقدمة: د. صالح أحمد العلي، تصوير دار الكتب العلمية ببيروت.

السهيلي أبو القاسم الخثعمي (ت. ٥٨١هـ): «الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام»، قدم له وعلق عليه: طع عبد الرؤوف سعد، ط. مؤسسة مختار، ومكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .

الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت. ٧٩٠هـ): «كتاب الموافقات» ت. د. الحسين أيت سعيد، ط. منشورات البشير بنعطية، بفاس-المملكة المغربية ط ١. ١٤٣٨-٥١٤٢٨-٢٠١٧م .

الصابوني نور الدين أحمد بن محمود (ت. ٥٨٠هـ-١١٨٤م): «المنتقى من عصمة الأنبياء» ت. د. محمد بولوط، ط ١. دار ابن حزم، بيروت ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م .

عياض القاضي أبو الفضل اليحصبى السبتي (ت. ٥٤٤هـ): «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» ط. مخطوطة مصورة SCAN عن مخطوط أصلي مكى نادر، عليه سماعات جماعة من الحفاظ المحدثين المكيين، ضمن وقف مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، الناشر: دار البشائر ببيروت ط ١. ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م .

الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت. ٥٠٥هـ): «الاقتصاد في الاعتقاد»، مع دراسة وتقديم وتعليق: العلامة د. مصطفى عبد الجواد عمران، ط. ١. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م الناشر: دار البصائر بالقاهرة .

القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت. ٦٨٤هـ): «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام»، اعتنى به: العلامة عبد الفتاح أبو غدة، ط. ١٦٢هـ-١٩٩٥م الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، دار البشائر الإسلامية ببيروت .

وله أيضاً: «الفروق»، تحقيق: عمر حسن القيام، ط. ١. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م الناشر: مؤسسة الرسالة ببيروت .

محمد المنوني: «العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين»، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط. الثانية مصورة على الأوفسط، الرباط ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

- محمد عبد الحي الكتاني: «التأليف المولدية في التعريف بما أُفرد بالتصنيف في المولد الشريف»، عناية: خالد بن محمد المختار السباعي، ط. الأولى ١٤٣٢هـ-٢٠١١م دار الحديث الكتانية، طنجة .
- محمد عيسى صالحية: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع: ط.معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٥م.
- محمود محمد الطناحي: «الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم»، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م .
- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت.١٠٤١هـ): «أزهار الرياض في أخبار عياض»، ت.مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط.مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م، أعيد طبعه تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة ١٩٧٨م ، ط.مطبعة فضالة بالمحمدية بالمغرب.
- اليوسي الحسن بن مسعود (ت.١١٠٢هـ): «مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص» تقديم وتحقيق وفهرسة: د.حميد حمانى اليوسي، ط.دار الرشاد الحديثة، بالدار البيضاء- المملكة المغربية ط١٤٤٠هـ-٢٠١٩م .
- ثانيا: المقالات وأوراق البحث
- «جهود علماء الأمة في اختصار السيرة النبوية جمع وتقديم مخطوطة بلغة المستعجل للإمام الحميدي»: د.طارق طاظمي مجلة: الشفا، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة، بالعرانش، التابع للرابطة المحمدية للعلماء، عدد: ١/١٤٤٠هـ/٢٠١٨م الرباط-المغرب.
- «قبس من التنوير في مولد السراج المنير»: د.أنس وكاك: مجلة الواضحة العدد الرابع.
- «نماذج من إسهامات أهل المغرب في السيرة النبوية»: د.رشيد كهوس، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، عدد: ٢٥، تشرين أول ٢٠١٧م .

شهادة الجمادات والبهائم على نبوة محمد ﷺ

Testimony of inanimate objects and animals on the prophethood of the Prophet, may God bless him and grant him peace

ملخص البحث

تناول هذا البحث جملة من شهادة البهائم والجمادات على صدق نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، المنقولة من كتب السنة النبوية المروية بسند صحيح.

Research Summary

This research is about a collection of the testimony of animals and inanimate objects on the truthfulness of the prophethood of our Prophet, may God's prayers and peace be upon him, which transmitted from the books of the Prophet's Sunnah narrated with a valid chain of narration.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث بالسناء الساطع، والشفاء النافع، الذي استضاء به السعداء، واشتقى به الشهداء، واستوصل دونه البعداء.

ويعد:

فمن البديهي أنه إذا ادعى إنسان ما أنه وساطة بين الله، وبين خلقه في التبليغ، يأمرهم باتباعه، وينهاهم عن عصيانه أن يطالبه الناس ببرهان على صدقه، وقد قال قوم صالح عليه السلام لنبیهم: ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ (الشعراء: ١٥٤)، وقالت عاد لنبیهم: ﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هٰٓهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (هود: ٥٣)، وقال موسى عليه السلام لفرعون وملائته: ﴿ قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَارْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرٰٓءِيْلَ ﴾ (١٥٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ لَقِيَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظَرِيْنَ ﴿١٥٨﴾ (الأعراف: ١٥٥-١٥٨)

حتى أصبح هذا الأمر مشهوراً عند كل أمة، ولذا قال الله عن أهل مكة ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ (الأنبياء: ٥)

ومن هنا أبرز الأنبياء ما يدل على صدقهم بما منحهم الله تعالى من الدلائل الحسية، والمعنوية، وتعد هذه الدلائل من جنس دلائل الربوبية، ومن أهم الوسائل التي أنزلها الله سبحانه على رسله؛ ليوقن المدعوون بنبوتهم ورسالتهم، فهي شهادات ناطقة أن هؤلاء رسل الله، وأن ما أتوا به هو الحق المبين.

فمن الناس من آمن، وصدق الرسل، وعلم أن هذه البيّنات حق، ودلالات على نبوتهم، كما حصل مع سحرة فرعون حينما ألقى موسى عليه السلام عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، فهنا أيقنوا أن هذا ليس من صنيع البشر، وأنها آية حق توجب الإيمان بمن أتى بها، فلذا ما كان منهم إلا خروا ساجدين قالوا: آمنا برب العالمين.

﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ (١٢٠) ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١) ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٠ - ١٢٢)، ولما عاتبهم فرعون على هذا الإيمان وهددهم بالقتل قالوا: ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَارِبْنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦، ١٢٧).

ومن الناس من طبع الله على قلبه، فكذبوا بها، وأعرضوا عنها، ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَعَيْنَانَا تَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء: ٥٩)، وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (النمل: ١٣) ﴿وَحَدِّدُوا بِهَا وَأَسْتَقِمْتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤).

فالحج والابتعاد، ورد الحق بالشبهة الزائفة صار سحياً القوم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (سبأ: ٤٣).

وما حصل للأنبياء من الآيات حصل لنبينا مثلها، وأعظم منها، وأكثر، قال الشافعي: «ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً، فقال له عمرو بن سواد: أعطى عيسى إحياء الموتى! قال: أعطى محمداً حينئذ الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك».

وقد تنوعت الدلائل في إثبات نبوته، فمنها ما كان سببها تحدٍ من معارضيه، ومنها ما لم تكن كذلك، ومنها ما يجوز دخول نوع منها تحت مقدرنا على وجه، ومنها ما لا يدخل.

ومعجزات الرسول ﷺ أكثر من أن يحصرها عدد، وأشهر من أن ينصرها سند، فأعظم

معجزاته القرآن الذي هو أم المعجزات الذي لا يدفعه الإنكار ولا الجحد.

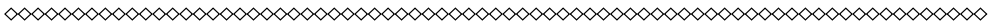
ومن المعلوم أنه قد شهد للنبي بالرسالة مؤمنوا الثقلين، لكن هل اقتصرنا الشهادة على البشر فقط، أم هناك مخلوقات أخرى شهدت له؟ وهل حفظت لنا المصادر الإسلامية من هذه الشهادات؟ ومن هنا جاء البحث جواباً عن هذه الإشكالية، مقتصراً على شهادة الجماد والبهايم، منتقياً صحيح ما ثبت في كتب السنة.

وقد يستنكر بعض الناس هذه القصص بحجة أن العقل لا يقبل ذلك، والحقيقة أن العقل لا يمنع وقوع هذه الدلائل والمعجزات، إذ هي من الجائز العقلي لا المستحيل، ولكن حقيقة من أنكر ذلك هو الذوق، فالذوق المنكوس يعطي الحكم المنكوس، فيظن صاحبه أن العقل هو الذي حكم فرضي بذلك. أما صاحب الذوق السليم فحالته كحال أبي بكر الصديق رضي الله عنه حينما أتى إليه كفار قريش طامعين في اعتراضه على النبي ﷺ في حادثة الإسراء، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، فقال: «أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدق فيما هو أبعد من ذلك أصدق به خبير السماء في غدوة أو روحة».

فالمؤمن المعتقد أن الكون هو خلق لله، وله، وعبد له، ومسير بأمره، يحركه كيف شاء، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠)، ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت: ٢١)، يعلم علم اليقين أنه هو الذي ينطق الجماد، ويتصرف فيه كيف شاء، ويسخره لمن يشاء.

ويهدف البحث إلى:

- ١- التعريف بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم.
 - ٢- إبراز هذه الشهادات ليعلمها الجاهل بها.
 - ٣- تثبيت الإيمان للمؤمنين، والخروج به من التقليد إلى البرهان والدليل.
 - ٤- غرس حب النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب أتباعه.
- وتبرز أهمية الكتابة في هذا الموضوع:
- ١- كونه يبرز جانباً من دلالة نبوته صلى الله عليه وسلم.
 - ٢- أن هذه الدلائل أكبر دليل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.



٣- أن دراسة هذه الدلائل مما يزيد الإيمان، ويوجب التصديق به.
وهذه الدراسة وصفية بالأساس؛ لأنها تهدف لاستقراء النصوص الشرعية.
وقد جعلت البحث على فصلين:

الفصل الأول: شهادة البهائم على نبوته ﷺ.

الفصل الثاني: شهادة الجمادات على نبوته ﷺ.

وقد اشتمل الفصل الأول على المباحث الآتية:

المبحث الأول: سجود الجمل له ﷺ.

المبحث الثاني: شكوى الجمل له ﷺ من صاحبه.

المبحث الثالث: شكوى الطير له ﷺ.

المبحث الرابع: شهادة الذئب للنبي ﷺ بالرسالة.

المبحث الخامس: أدب الوحش معه ﷺ.

واشتمل الفصل الثاني المباحث الآتية على:

المبحث الأول: حنين جذع النخلة له ﷺ.

المبحث الثاني: طاعة الشجرة له ﷺ.

المبحث الثالث: شهادة الشجر له ﷺ بالرسالة.

المبحث الرابع: تسبيح الحصاة بين يديه ﷺ.

المبحث الخامس: تسليم الشجر، والحجر عليه ﷺ.

المبحث السادس: طاعة جبل أحد له ﷺ.

واتبعت في كتابة هذه الدراسة المنهج الآتي:

١- عرضت ماصح من هذه الشهادات من خلال تتبع كتب السنة.

٢- عرضت هذه الدلائل، دون التعليق عليها.

٣- خرجت الأحاديث مبيناً حكمها حسب القواعد الحديثية.

وهذا الورقة تعد محاولة متواضعة أضعها بين يدي الباحثين، لا تخلو من القصور البشري الذي يرافق البشرية، فما كان صواباً فمن الله، وما كان خطأً فمني ومن الشيطان، والله المستعان وعليه التكلان. سائلاً ربي التوفيق والسداد، وأن يجعل لها القبول إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول

المبحث الأول: سجود الجمل للنبي صلى الله عليه وسلم.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم، فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا» فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، إنه قد صار مثل الكلب الكلب، وأنا نخاف عليك صولته، فقال: «ليس علي منه بأس». فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه، حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا نبي الله، هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصدید، ثم استقبلته تلحسه ما أدت حقه».

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر، حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه، قال: فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فجاء حتى أتى الحائط، فدعا البعير، فجاء واضعاً مشفره إلى الأرض، حتى برک بين يديه، قال: فقال النبي ﷺ: «هاتوا خطامه»، فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، قال: ثم التفت إلى الناس، قال: «إنه ليس شيء بين السماء والأرض، إلا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس».

المبحث الثاني: شكوى الجمل للنبي صلى الله عليه وسلم من صاحبه.

عن عبد الله بن جعفر -رضي الله عنه- قال: ركب رسول الله ﷺ بغلته، وأردفني خلفه، وكان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم إذا تبرّز كان أحب ما تبرّز فيه هدف يستتر به، أو حائش نخل، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه ناضح له. فلما رأى النبي ﷺ، حنَّ وذرفت عيناه، فنزل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم، فمسح ذفراه وسرته، فسكن فقال: «من رب هذا الجمل؟» فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا، فقال: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكاك إلي وزعم أنك تجيعه وتدئبه».

المبحث الثالث: شكوى الطير للنبي صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها».

المبحث الرابع: شهادة الذئب للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: «بينما راع يرعى غنماً له إذ جاء ذئب فأخذ منها شاة، فحال الراعي بينه وبين الشاة، فألقى الذئب على ذنبه ثم قال: يا راعي، اتق الله تحول بيني وبين رزق رزقتي الله؟» فقال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: أفلا أحدثك بأعجب من ذلك: رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالحرة يحدث الناس بأنباء ما قد سبق. فساق الراعي غنمه حتى أتى المدينة، فزواها ناحية ثم أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحدثه، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «صدقت»، ثم قال: «ألا إن من أشراط الساعة أن تكلم السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله».

المبحث الخامس: أدب الوحش مع النبي صلى الله عليه وسلم

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد، وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل، ربض، فلم يترمرم ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت، كراهية أن يؤذيه».

الفصل الثاني

المبحث الأول: حنين الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس -رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ، كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر، فلما اتخذ المنبر وتحول إليه، حن عليه، فأثاه فاحتضنه فسكن، قال: «لو لم أحتضنه، لحن إلى يوم القيامة».

المبحث الثاني: طاعة الشجرة للنبي صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ

بغصن من أغصانها ، فقال: «انقادي علي بإذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش، الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي علي بإذن الله» فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما - لأم بينهما - يعني جمعهما - فقال: «التثما علي بإذن الله» فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد - وقال محمد بن عباد - فيتبعد فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا، وإذا الشجرتان قد افتترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفه، فقال برأسه هكذا - وأشار أبو إسماعيل برأسه يميناً وشمالاً - ثم أقبل، فلما انتهى إلي قال: «يا جابر هل رأيت مقامي؟» قلت: نعم، يا رسول الله قال: «فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً، فأقبل بهما، حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك»، قال جابر: فقامت فأخذت حجراً فكسرتة وحسرتة، فاندلق لي، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ، أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري، ثم لحقته، فقلت: قد فعلت، يا رسول الله فعم ذاك؟ قال: «إني مررت بقبرين يعذبان، فأحببت، بشفاعتي، أن يرفه عنهما، ما دام الغصنان رطبين».

وعن ابن عباس، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من بني عامر، فقال: يا رسول الله، أرني الخاتم الذي بين كتفيك، فإني من أطب الناس. فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أريك آية؟» قال: بلى، قال: «فتنظر إلى نخلة»، فقال: «ادع ذلك العذق»، قال: فدعاه، فجاء ينقر، حتى قام بين يديه، فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع»، فرجع إلى مكانه، فقال العامري: يا آل بني عامر، ما رأيت كاليوم رجلاً أسحر».

المبحث الثالث: شهادة الشجر للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «كنا مع رسول الله ﷺ، في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه، قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي قال: «هل لك في خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله» فقال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه السلمة» فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدا حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن اتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت، فكنت معك».

المبحث الرابع: تسبيح الحصاء بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: «...فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات أو سبع

حصىات، فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن في يد أبي بكر فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، فوضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر، فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن، فوضعهن في يد عثمان فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن».

المبحث الخامس: تسليم الشجر، والحجر على النبي صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: «كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله».

المبحث السادس: طاعة جبل أحد للنبي صلى الله عليه وسلم.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - حدثهم «أن النبي ﷺ صعد أحداً، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق، وشهيدان».

الخاتمة:

- ١- دلت الأحاديث الصحيحة على المكانة التي يمتلكها النبي ﷺ عند الحيوان والجماد.
- ٢- ثبوت شهادة البهائم والجمادات للنبي ﷺ بالنبوة والرسالة بالسند الصحيح.
- ٣- هذه الدلائل من أكبر الأدلة على صدق نبوته ﷺ.
- ٤- إيمان هذه المخلوقات بالنبي ﷺ.
- ٥- ليس شيء بين السماء والأرض، إلا يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس.

التوصيات:

- ١- دراسة حياة النبي ﷺ دراسة حقيقية وجودية، وأنه تخطى القدرة الإنسانية.
- ٢- دراسة الأسباب التي جعلت هذه البهائم تعرف حق النبي ﷺ.
- ٣- غرس حبه صلى الله عليه وسلم في قلوب الناس.
- ٤- نشر هذه الشهادات في الملا.

٥- تقريب سيرته للعقول والنفوس، ولا يقتصر في دراسة سيرته مخاطبة نفس المسلم وتحريك وجدانه، بل يتخطى ذلك لمخاطبة العقل، وتوضيح ما يملكه صلى الله عليه وسلم من الصفات، والقدرات التي يشهد بها الحس.

والحمد لله التي تتم به الصالحات

الفهارس

- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الصديق، الرابعة، ١٤١٨ هـ.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- الثقات لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، دار المعارف العثمانية، الهند، الأولى، ١٣٩٣ هـ.
- الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار، صنعاء، الرابعة، ١٤٣٤ هـ.
- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١ هـ.
- دلائل النبوة، أحمد بن عبد الله بن أحمد، دار الفائس، بيروت، الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥ هـ.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، المكتبة العصرية، صيدا.
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدرامي، دار المغني، السعودية، ١٤١٢ هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مصطفى البابي، مصر، الثانية ١٣٩٥ هـ.
- السنة لابن أبي عاصم، أبوبكر أحمد بن عمرو بن الضحاك، المكتب الإسلامي، الأولى، ١٤٠٠ هـ.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن عثمان الذهبي، الرسالة، بيروت، الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة الإمبريالية، بولاق، ١٣١١ هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث، بيروت.
- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.



غرر الفوائد المجموعة، يحيى بن علي، المشهور بالرشيد العطار، مكتبة العلوم والحكم،
المدينة، الأولى، ١٤١٧هـ.

كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سبيمان الهيثمي، مؤسسة
الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

مستدرك الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،
الأولى، ١٤١١هـ.

مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى، دار الحديث القاهرة، الأولى، ١٤٣٤هـ.

مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٠٩هـ.

المراسيل لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أدريس، الرسالة، بيروت،
الأولى، ١٣٩٧هـ.

المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب، الطبراني، دار الحرمين، القاهرة.

موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، أحمد بن علي بن حجر، مكتبة الرشد،
الرياض، الثانية، ١٤١٤هـ.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدسي،
القاهرة، ١٤١٤هـ.

المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الثانية.

نصب الراية، جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، مؤسسة الريان، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ.

جهود المحدثين في تقرير علم دلائل النبوة

مقدمة البحث، وفيها ملخص البحث

أسباب اختياره وأهميته ومنهجي فيه.

خطة البحث: فيه مبحثان

المبحث الأول، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف علم دلائل النبوة، والثمرة منه

المطلب الثاني: الفرق بينها وبين المعجزات والكرامات

المبحث الثاني: جهود المحدثين في تقرير علم دلائل النبوة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مصنفات المحدثين المسندة في دلائل النبوة مجردة عن غيرها.

المطلب الثاني: إخراج المحدثين مروياتهم المسندة في دلائل النبوة في كتب السنة والسيرة

والشمائل والخصائص.

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات

ثبت المصادر والمراجع

المقدمة :

الحمد لله حمد الحامدين والصلاة والسلام على من حمد ربه بجميع محامد الخلق أجمعين

محمد صاحب الدلائل الشريفة، والآيات العظيمة، والبراهين القويمة، والشمائل والخصال

الجميلة، والخصائص الحميدة، وبعد:

فإني أحمد الله على أن وفقني للمشاركة في المؤتمر الدولي الرابع: (دلائل نبوة محمد ﷺ

في ضوء القرآن والسنة وموقف عقلاء أهل الكتاب والغرب منه) الذي تعقدته أكاديمية الإمام

البخاري الدولية لبنان باسطنبول، وأشكر أشياخي القيمين عليها أن رشحوني للمشاركة بهذا

المؤتمر ببحث مختصر يراعي الضوابط الأكاديمية العلمية من غير إخلال، وهذا:

ملخص البحث:

يُعدُّ ((علم دلائل النبوة)) من العلوم السلفية التي بذل فيها المحدثون قصارى جهدهم، فصنّفوا المصنّفات التي أخرجوا فيها مئات الأحاديث الدالة على ثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم، إما عن طريق العموم كالتي أخرجوها في الكتب التسعة الأصول، أو عن طريق التجريد، ككتاب دلائل النبوة للحافظ البيهقي، أو عن طريق كتبهم العقديّة المسندة التي قرروا فيها معتقدهم في النبوات وكيفية إثباتها عن طريق الوحي والسنة النبوية، والرد على مخالفيهم من المبتدعة الذين حاولوا إثبات النبوة بالطرق الكلامية، وعلى أهل الكتاب الذين أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته، وأنه للعرب خاصة، وعلى الفلاسفة المنكرين للرسالات.

وقد جاء هذا البحث الصغير ليلقي الضوء على شيء من جهود المحدثين في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من رب العالمين، مؤيد بعلامات ودلائل حسية ومعنوية، وأن العديد منها سبق ذكرها في كتب الأوائل من أهل الكتاب وغيرهم، ولا زالت موجودة عندهم شاهداً على صدق نبوته، وأنه مرسل رحمة وهداية لهم جميعاً.

Research Summary:

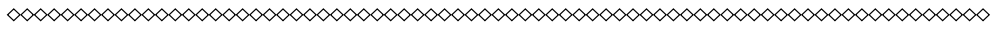
«The Science of Evidence for Prophecy» is one of the Salafi sciences in which the modernists exerted their best efforts. Prophecy by Al-Hafiz Al-Bayhaqi, or through their creedal books in which they established their belief in prophecies and how to prove it through revelation and the Prophetic Sunnah, and to respond to their opponents from the innovators of religion. Especially, and on philosophers who deny messages.

This small research came to shed light on some of the efforts of the hadiths, in proving the prophethood of Muhammad, may God bless him, and grant him peace, and that he was sent by the Lord of the worlds, supported by physical and moral signs and evidence, and that many of them were previously mentioned in the books of the early ones, from the People of the Book and others, and they still exist with them as witnesses. On the sincerity of his prophethood and that, he sent mercy and guidance to all of them.

مقدمة البحث، وفيها: أسباب اختياره وأهميته ومنهجي فيه

أسباب اختيار البحث:

للنبوة والرسالة أهمية كبيرة، فهي الواسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ الشريعة، وهي الرحمة والهداية. ومن كمال حكمته سبحانه أن جعل للبشر دلائل تدلهم على صدق النبي في ادعائه النبوة.



ولما اختلف الناس باختلاف مللهم ونحلهم بين مؤمن برسالة محمد ﷺ وكافر بها، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن القرآن المنزل عليه هو خاتم الكتب والمهيمن عليها، جاء هذا البحث ليتناول جهود أهل الحديث من خلال إخراجهم الأحاديث المسندة التي تناولت أعلام نبوته الدالة على صدقه، وأنه الخاتم والمهيمن.

أهمية البحث:

تكمن أهميته من خلال: بيان أن الله تعالى أيد نبيه صلى الله عليه وسلم بالبراهين الدامغة الدالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، ورسالته الخاتمة والمهيمنة، وأنه رسول رب العالمين إليهم أجمعين إنساً وجنباً، عربياً وعجمياً، أبيض وأحمر. وبيان جهود المحدثين أهل العلم والإيمان في تثبيت ما تقدم علمياً، وأنهم ساهموا مع بقية علماء الشريعة في نصرة نبيهم صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه. ثم إن هذا البحث جاء في وقت كثر فيه الكلام واللفظ بحق الإسلام ونبيه، وأن هذا الدين ليس حقاً.

منهجي في البحث:

اقتصرت في بحثي هذا على ذكر جهود أهل الحديث في علم دلائل النبوة في مصنفاتهم الحديثية المسندة دون غيرها، فأخرجت بهذا القيد ما صنفه المحدثون والمفسرون وأهل السير والمغازي ونحوهم من المصنفات غير الحديثية، وغير المسندة، وذلك لكثرتها، والتزاماً مني ومراعاة بشرط البحث وعنوانه، وعلماً مني أن المكتبة الإسلامية زاخرة بها، ولأن بحثي هذا هو عمل جماعي، لا بد من كل باحث من ذكر شيء ليس موجوداً عند غيره من الباحثين، فتجتمع بحوث هذا المؤتمر الدولي المبارك على الهدف المرجو.

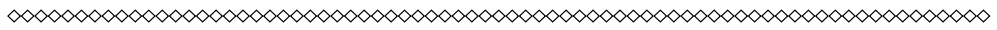
المبحث الأول، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف علم دلائل النبوة، والثمره منه

دلائل النبوة: هي الآيات والبراهين الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ، يعجز عن فعلها سائر البشر كونها من خوارق العادات.

وهي كثيرة متنوعة، ((يسمى من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة، وأعلام النبوة. وهذه الألفاظ إذا سُميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية والبيئة والبرهان)).^(١)

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/٥: ٤١٢



وهي قسمان: معنوية وحسّية، فالمعنوية كأخلاقه العظيمة، وسيرته الشريفة، وأقواله وأفعاله وشريعته، إلى غير ذلك.

أما الدلائل الحسّية، فهي كثيرة أيضاً، وأعظمها القرآن الكريم، وإخباره عن الكثير من المغيبات، سواء ما حدث منها قبل بعثته أم بعدها، ووقعت كما أخبر بها صلى الله عليه وسلم، كانشقاق القمر، ونبع الماء بين أصابعه، ...

والثمرة من علم دلائل النبوة: العلم بالعلامات والآيات والبراهين الدالة على صدق من أرسله الله للناس بشيراً ونذيراً، لتتم بها حجته على الناس، فيعبدونه على علم وبصيرة، ويزدادون إيماناً مع إيمانهم، وأيده الله بمعجزات تتحدى مخالفيه.

قال ابن تيمية: ((ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر البين لكل أحد، كالحوادث المشهودة، مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر، وغير ذلك. وفيها ما يختص به من عرفه مثل دقائق التشريح ومقادير الكواكب وحركاتها، وغير ذلك، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق، والإقرار برسله، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا، فإن الله يجود به على عباده جوداً عاماً ميسراً.

فلما كانت حاجتهم إلى النفس أكثر من حاجتهم إلى الماء، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل، كان سبحانه قد جاء بالهواء جوداً عاماً في كل مكان وزمان لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر، لأن الحاجة إليه أشد.

فكذلك دلائل الربوبية، حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة، فلهذا يسرها الله وسهلها...)).^(١)

المطلب الثاني: الفرق بينها وبين المعجزات والكرامات

المعجزة في اللغة اسم فاعل مأخوذ من العجز، الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير.^(٢)

واصطلاحاً: هي أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله.^(٣) وزاد السيوطي وغيره: موافقاً لدعواه عند التحدي مع عدم المعارضة.^(٤)

(١) (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/٥: ٤٢٧)

(٢) انظر: (معجم مقاييس اللغة/٤: ٢٣٢)

(٣) (التعريفات/٢١٩)

(٤) (معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم/٣٧٥)

الفرق بينها وبين دلائل النبوة والكرامة :

تحريير القول في ذلك أن يقال: المعجزة من أكبر البراهين على صدق النبي، لأن الله لا يؤيد الكاذب والمدعي، فهي بهذا الاعتبار من دلائل النبوة، بل من أعظمها، ولذلك سماها الله سبحانه آية وبرهان، يستدل به على صدق الرسول والنبي.

وأما الكرامة، فهي تجتمع مع المعجزة كونها فعلاً خارجاً عن العادة، يظهر على شخص من غير دعواه، برضا الله تعالى. (١) وتفترقان كون الأولى مختصة بالنبي، والثانية بالولي.

والفرق بين المعجزات ودلائل النبوة، أن المعجزة تقع عند التحدي، بينما دلائل النبوة لا تتطلب ذلك، كخاتم النبوة، ونبع الماء بين أصابعه لصحابته...

فكل معجزة دليل وآية وبرهان، فالمعجزة أخص. (٢)

لذلك كان من فقه البخاري أن عبّر عن دلائل النبوة بقوله: باب علامات النبوة في الإسلام. لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة. (٣)

المبحث الثاني: جهود المحدثين في تقرير علم دلائل النبوة، وفيه مطلبان

المطلب الأول: مصنفات المحدثين المسندة في دلائل النبوة مجردة عن غيرها

لم ينحصر دور المحدثين باتباع آثار النبي ﷺ وسننه وأيامه، والرحلة في طلبها، وكشف معالم شريعته، والتفقه فيها، ولم يقتصروا على نمط واحد في التأليف، بل تعددت طرقهم، وتوعدت مناهجهم فيه، واتضحت هذه الصورة في القرن الثالث الهجري، الذي يُعدّ العصر الذهبي للسنّة، (٤) فمنهم من صنّف في الجوامع على الكتب والأبواب، كالبخاري ومسلم، ومنهم من صنّف في الفقه المُسنَد، كأبي داود في سننه، ومنهم من صنّف في العقيدة المسندة كعبد الله بن أحمد بن حنبل في كتابه السنّة، ومنهم من صنّف في السيرة والمغازي المسندة، كمحمد بن إسحق، ومنهم من صنّف في دلائل النبوة محل البحث، مجردة دون غيرها.

وأقدم من صنّف فيها (٥) محمد بن يوسف بن واقد الفريابي، (٦) أسمى كتابه (دلائل النبوة مما

(١) (معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم/ ٢٨٩) وقيد السيوطي وقوع الكرامة برضا الله تعالى، ليخرج الأحوال الشيطانية الملازمة للسحرة والمشعوذين.

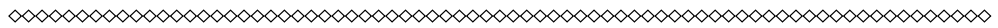
(٢) انظر: (فتح الباري/ ٦: ٥٨١)

(٣) انظر: (المصدر نفسه/ ٦: ٥٨١)

(٤) انظر: (تدوين السنّة/ ٨٦)

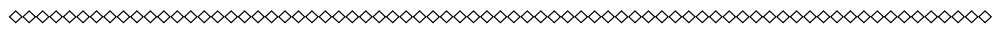
(٥) انظر: (السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية/ ١: ٥١)

(٦) هو ابن واقد الضبي مولا هم الفريابي - بكسر الفاء وسكون الراء - ثقة فاضل، مات سنة ٢١٢هـ. (تقريب التهذيب/ ١٥: ٥١٣ رقم ٦٤)



كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو في الشيء القليل من الطعام فيحصل فيه البركة. ^(١) ثم علي بن محمد المديني ^(٢) صنّف كتاب (آيات النبي). ^(٣) ثم داود بن علي الأصبهاني ^(٤) صنّف كتاب (أعلام النبوة)، ثم ابن قتيبة ^(٥) صنّف كتاب (أعلام النبوة)، ^(٦) ثم ابن أبي الدنيا ^(٧) صنّف كتاب (أعلام النبوة) ^(٨) ثم أبو بكر الفريابي ^(٩) صنّف كتاب (دلائل النبوة) وهو مطبوع، ^(١٠) ثم الطبراني ^(١١) صنّف كتاب (دلائل النبوة)، ^(١٢) ثم المستغفري ^(١٣) صنّف كتاب (دلائل النبوة) ^(١٤) ثم أبو نعيم الأصبهاني ^(١٥) صنّف كتاب (دلائل النبوة) ^(١٦) ثم أبو ذرّ الأنصاري الهروي، ^(١٧) فنصّف كتاب (دلائل النبوة) ^(١٨) ثم جاء ابن دُلهات ^(١٩) فنصّف كتاب (دلائل النبوة) ^(٢٠) ثم جاء الإمام البيهقي ^(٢١) فنصّف كتابه

- (١) انظر: (معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم/٥: ٢٢٨١)
- (٢) ابن عبد الله بن أبي سيف، ليس بالقوي في الحديث، مات سنة ٢٢٥هـ. انظر: (الكامل في الضعفاء/٦: ٢٨٦)
- (٣) انظر: (الوافي بالوفيات/٢٢: ٢٩)
- (٤) ابن خلف، أبو سليمان الفقيه الظاهري، في كتبه حديث كثير، إلا أن الرواية عنه عزيزة جداً، مات سنة ٢٧٠هـ. انظر: (تاريخ بغداد/٨: ٣٦٦)
- (٥) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، صاحب التصانيف، كان ثقة فاضلاً، مات سنة ٢٧٦هـ. انظر: (تاريخ بغداد/١١: ٤١١)
- (٦) انظر: (تاريخ الإسلام/٦: ٥٦٥)
- (٧) هو عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، صدوق. انظر: (الجرح والتعديل/ مات سنة ٢٨٢هـ. انظر: (الوافي بالوفيات/١٧: ٢٨١)
- (٨) قال الحافظ الذهبي: ((وقع لي من تصانيف ابن أبي الدنيا...أعلام النبوة)). (سير أعلام النبلاء/١٣: ٤٠١)
- (٩) ابن الحسن بن المُستفاض، ثقة، مات سنة ٣٠١هـ. انظر: (تاريخ الإسلام/٧: ٢١)
- (١٠) طبعته دار حراء - مكة المكرمة بتحقيق عامر حسن صبري
- (١١) هو سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم اللخمي الطبراني، الحافظ المشهور صاحب المعجم الثلاثة، مات سنة ٣٦٠هـ. (تاريخ الإسلام/٢٦: ٢٠٢)
- (١٢) انظر: (المصدر نفسه/٢٦: ٢٠٢)
- (١٣) هو جعفر بن محمد بن المعتز، الحافظ أبو العباس المستغفري النسفي، (تاريخ الإسلام/٢٩: ٢٣٦٤) مات سنة ٤٢٢هـ. انظر: (الوافي بالوفيات/١١: ١١٦)
- (١٤) انظر: (تاريخ الإسلام/٩: ٥١٦) (معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم/١: ٧٧٢)
- (١٥) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني، الإمام الحافظ، صاحب التصانيف النافعة مات سنة ٤٣٠هـ. (تاريخ الإسلام/٢٩: ٢٨٠)
- (١٦) مطبوع، طبعته دار النفاّس، بيروت، بتحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس.
- (١٧) هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عُفَيْر، أبو ذرّ الأنصاري الهروي المالكي الحافظ، (تاريخ الإسلام/٢٩: ٤٠٧) ثقة فاضل، مات سنة ٤٣٤هـ (تاريخ بغداد/١٢: ٤٥٦)
- (١٨) انظر: (تاريخ الإسلام/٢٩: ٤٠٧)
- (١٩) هو أحمد بن عمر بن أنس العذري، الحافظ الثقة، مات سنة ٤٧٨هـ. (تاريخ الإسلام/١٨: ٥٦٧)
- (٢٠) انظر: (المصدر نفسه/١٨: ٥٦٨)
- (٢١) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الإمام الحافظ صاحب التصانيف النافعة، مات سنة ٤٥٨هـ. (تاريخ الإسلام/٣٠: ٤٣٨)



العظيم (دلائل النبوة)، ثم جاء الطَّلْحِيّ،^(١) فنصّف كتاب (دلائل النبوة)،^(٢) ثم جاء أبو بكر الشَّاشِيّ،^(٣) فنصّف كتاب (دلائل النبوة)، وأبو سعد النُّيسَابُورِيّ^(٤) صنّف كتاب (دلائل النبوة)^(٥)

المطلب الثاني:

إخراج المحدثين مروياتهم المسندة في دلائل النبوة في كتب السنة والسيره والشمال (٦) والخصائص (٧)

وأصح هذه الكتب، صحيح الإمام البخاري، فقد عقد فيه تحت كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام،^(٨) خرّج جملة من الأحاديث، منها نبع الماء من بين أصابعه، واستسقاء الصحابة له، فمطروا جمعة كاملة، وحين جذع النخل له، والفتنة التي تموج موج البحر، وقتال الترك وقتال اليهود... وحديث الإسراء والمعراج.

وعقد الإمام مسلم في صحيحه^(٩) تحت كتاب الفضائل/باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، وباب في معجزات النبي ﷺ.

وعقد أبو داود في سننه^(١٠) تحت كتاب الفتن والملاحم، وكتاب المهدي، وكتاب الملاحم، أبواباً فيها أحاديث أشراط الساعة، والفتن، والغيوب، التي حدثت بعد وفاته، مما يدل على أنه مؤيد بالوحي من ربه، وكفى بذلك دليلاً على صدق نبوته.

وعقد الترمذي في سننه^(١١) تحت أبواب المناقب، باباً في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به، وباباً في خاتم النبوة.

(١) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، مات سنة ٥٢٥هـ. (تاريخ الإسلام/٣٦: ٣٦٧)

(٢) (المصدر نفسه/٣٦: ٢٧٢)

(٣) هو محمد بن علي بن إسماعيل، الإمام الفقيه المحدث الشافعي، المعروف بالقائل الكبير. (تاريخ الإسلام/٢٦: ٣٤٥)

(٤) هو عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم، أبو سعد النُّيسَابُورِيّ الثقة، الواعظ، الزاهد المعروف بالخرّكوشيّ، وخرّكوش: سكة بمدينة نيسابور. (تاريخ الإسلام/٢٨: ١٦٢)

(٥) انظر: (تاريخ الإسلام/٢٨: ١٦٢)

(٦) هي الخصال والصفات الخلقية والخُلُقَة للنبي ﷺ.

(٧) الخصائص في اللغة من خصّه بالشيء يَخْصُه خَصّاً وَخُصُوصاً وَخُصُوصِيَّةً وَخُصُوصِيَّةً: أفرد به دون غيره. (لسان العرب/٧: ٢٤) واصطلاحاً: هي الفضائل والأمر التي انفرد بها النبي ﷺ وامتاز بها، إما عن إخوانه الأنبياء، وإما عن سائر البشر. (خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام/٢٩٩) فهي بهذا الاعتبار أخص من الدلائل، إذ إن من الدلائل ما يشترك فيه النبي ﷺ مع سائر الأنبياء، أما الخصائص فلا.

(٨) انظر: (صحيح البخاري/٤: ١٩٢)

(٩) انظر: (صحيح مسلم/كتاب الفضائل/٤: ١٧٨٢) (باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم/٤: ١٧٨٢)

(١٠) انظر: (سنن أبي داود/٤: ١٠٦) (٤: ١٠٩)

(١١) انظر: (سنن الترمذي/٥: ٦٠٢)

وعقد ابن ماجه في سننه^(١) تحت كتاب الفتن: باب: ما يكون من الفتن، وباب: بدأ الإسلام غريباً، وباب: افتراق الأمم، وباب: أشراط الساعة، وباب: الآيات.^(٢)

ونلاحظ أن البخاري ومسلم رحمهما الله أدخلتا المعجزات في مفهوم الدلائل، لأنها جزء أساسي منها، كما تقدم، وأدخل أبو داود وابن ماجه أشراط الساعة والفتن في الدلائل. وكذلك عقد معمر بن راشد^(٣) باباً أسماه باب النبوة، أخرج تحته الأحاديث الدالة على علامات نبوته.

وكذلك عقد ابن أبي شيبة في المصنف^(٤) تحت كتاب الفضائل، باب: ما أعطى الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم.

وكذلك فعل الحارث بن محمد بن داهر في مسنده^(٥)، عقد فيه: كتاب علامات النبوة وابن حبان في صحيحه^(٦)، فقال: باب من صفته صلى الله عليه وسلم، وأخباره، وقال: باب المعجزات.

والبغوي في كتابه شرح السنة^(٧) عقد تحت كتاب الفضائل، باب علامات النبوة. وأبو عوانة في كتابه المستخرج على صحيح مسلم، عقد تحت كتاب المناقب فصلاً في بيان علامات نبوة النبي ﷺ في الماء، وطاعته له^(٨)، وباب: إلام النبي ﷺ بالشيء قبل كونه، وعلامة نبوته في الريح، وطاعته له، والحجارة وإيمانها به قبل أن يبعث^(٩)، وفصلاً في بيان علامة نبوة رسول الله ﷺ في الطعام وطاعته له، وفي الأدم، وطاعته له^(١٠). وعقد الحاكم في كتابه: المستدرک على الصحيحين، كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة.

(١) انظر: (سنن ابن ماجه/٢: ١٣٠٢) (٢: ١٢٩١) (٢: ١٣٢١) (٢: ١٣٤٠) (٢: ١٣٤٧)

(٢) المقصود بالآيات ما أخرجه عن حذيفة بن أسيد، قال: اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ((لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والداية، وأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام، وثلاث خسوف، خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن أبيض، تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم إذا قالوا .

(٣) انظر: (الجامع/باب النبوة/١١: ٢٧٦)

(٤) انظر: (المصنف/٦: ٣٠٣)

(٥) كما في (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث/٢: ٨٦٦)

(٦) انظر: (صحيح ابن حبان/٤: ١٤: ٤٠٢)

(٧) انظر: (شرح السنة/١٣: ٢٨٤)

(٨) انظر: (المستخرج على صحيح مسلم/١٨: ٣٩)

(٩) انظر: (المصدر نفسه/١٨: ٤٨)

(١٠) انظر: (المصدر نفسه/١٨: ٦١)

وكذلك فعل تلميذه الإمام البيهقي في كتابه: الاعتقاد، فقال: ((باب القول في إثبات نبوة محمد المصطفى ﷺ... سماه الله محمداً وأحمد ﷺ، وسماه أسماءً آخر، ذكرناها في كتاب الدلائل.

ودلائل النبوة كثيرة، والأخبار بظهور المعجزات ناطقة، وهي وإن كانت في آحاد أعيانها غير متواترة ففي جنسها متواترة متظاهرة من طريق المعنى؛ لأن كل شيء منها مشاكل لصاحبه في أنه أمر مزعج للخواطر ناقض للعادات. وهذا أحد وجوه التواتر الذي يثبت بها الحجة وينقطع بها العذر...)).^(١)

وغير ذلك من كتب السنّة التي خرّج فيها أهل الحديث مروياتهم في الدلائل النبوية مما تضيق أوراق البحث في استيعابها.

وأما كتب السيرة النبوية المسندة، فتعتبر من أهم مصادر علم دلائل النبوة، لأنها اشتملت على تفاصيل حياة النبي ﷺ بدقة، وشمائله وصفاته الخلقية والخلقية، والذي يهمننا من ذلك خصائصه التي خصّه الله بها عن غيره من المخلوقين، لأنها تُعد من أعظم دلائل نبوته، وكتب الخصائص كثيرة، منها: كتاب خصائص سيد العالمين، وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام^(٢) وجمال الدين السمرمري^(٣).

الخصائص الكبرى^(٤) للحافظ الكبير جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، قال في مقدمته:

((هذا كتاب مرقوم، يشهد بفضل المقربون، وسحاب مركوم يحيى بوابه الأقصون والأقربون. كتاب نفيس جليل، محله من الكتب محل الدرّة من الأكليل... مستوعب لما تناقلته أئمة الحديث بأسانيد المعتمدة، مشتمل على ما اختص به سيد المرسلين من المعجزات الباهرة، والخصائص التي أشرقت إشراق البدر السافرة... نزهته عن الأخبار الموضوعية وما يُرد، وتتبعُ الطرق والشواهد لما ضُعب من حيث السند، ورتبته أقساماً متناسقة وأبواباً متلاحقة، بحيث جاء بحمد الله كاملاً في فنه...)).^(٥)

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث/٢٥٥)

(٢) قال محقق الكتاب خالد بن منصور المطلق: ((مطبوع مع: منهج الإمام جمال الدين السمرمري في تقرير العقيدة)). ويبدو أنه يقصد رسالة علمية أعدها عن عقيدة المؤلف، أرفقها بكتاب خصائص سيد العالمين الذي حققه لنيل درجة العالمية الماجستير.

(٣) هو يوسف بن محمد بن مسعود العبادي الحنبلي، سنة ٧٧٦ هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/٦: ٢٤٧)

(٤) طبعته دار الكتب العلمية - بيروت

(٥) الخصائص الكبرى/١: ٤)

وهذان الكتابان ليسا مسندين بل من كتب العزو، إلا أني ذكرتهما كون السيوطي والسمرمري معدودين من المحدثين الحفاظ.

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات

النتائج

اهتم المحدثون بتخريج الأحاديث الدالة على نبوته ﷺ، وتوعدت مصنفاتهم فيه، واجتهدوا في إبرازها حتى صارت علماً مستقلاً له تعريفه وأقسامه، وقرروه تقريراً واضحاً، وبينوا فروقاته، فثمة فرق بينه وبين المعجزات، وبينه وبين الشمائل، وأن الخصائص منه، بل هي أعظم الدلائل.

التوصيات

يُعد علم دلائل النبوة من العلوم المهمة التي يجب على علماء المسلمين المعاصرين الاهتمام به تأليفاً واختصاراً في مراكز البحوث العلمية، وإلقاءً وتنظيراً في المؤتمرات الدولية والندوات العلمية، وتديراً كمادة مستقلة في المعاهد والكليات والمساجد والقنوات المتلفزة وقنوات اليوتيوب ووسائل التواصل الاجتماعي، خاصة وأن جهات مشبوهة تكاتفت واجتهدت في بث سموم الإلحاد والطعن في شخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والطعن في رسالته بكل ما يمتلكونه من وسائل إعلام وقنوات ترويج متطورة.

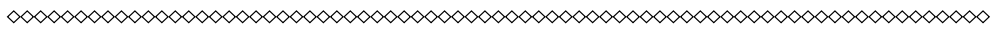
ثبت المصادر والمراجع

الكتاب: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث/ المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)

المحقق: أحمد عصام الكاتب/ الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت/ الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ

الكتاب: البعث والنشور/ المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (٢٨٤ - ٤٥٨هـ)/ حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري/ الناشر: مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية/ الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ

الكتاب: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث/ المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)/ المنتقى: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)/ المحقق:



د. حسين أحمد صالح الباكري/ الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة/
الطبعة: الأولى، ١٤١٣ - ١٩٩٢

تاريخ الإسلام/ المؤلف الكتاب: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ المؤلف: شمس
الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)/ المحقق:
عمر عبد السلام التدمري/ الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت
الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الكتاب: تاريخ بغداد/ المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب
البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)/ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ دراسة وتحقيق: مصطفى
عبد القادر عطا/ الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ

كتاب التعريفات/ المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى:
٨١٦هـ)/ المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر/ الناشر: دار الكتب
العلمية بيروت - لبنان/ الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م

الكتاب: الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)/ المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد
الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)/ المحقق: حبيب الرحمن
الأعظمي/ الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت/ الطبعة: الثانية،
١٤٠٣ هـ

الكتاب: الجرح والتعديل/ المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر
التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)/ الناشر: طبعة مجلس دائرة
المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند/ دار إحياء التراث العربي - بيروت/ الطبعة:
الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م

الكتاب: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/ المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن
عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي
الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)/ تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن
محمد/ الناشر: دار العاصمة، السعودية/ الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م

الكتاب: دلائل النبوة/ المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن
مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)/ حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس/
الناشر: دار النفائس، بيروت/ الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م



الكتاب: كتاب دلائل النبوة/ المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)/ المحقق: محمد محمد الحداد/ الناشر: دار طيبة - الرياض/ الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

الكتاب: دلائل النبوة/ المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)/ المحقق: د. عبد المعطي قلعجي/ الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث/ الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الكتاب: دلائل النبوة/ المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفَاضِ الفِرْيَابِيِّ (المتوفى: ٣٠١هـ)/ المحقق: عامر حسن صبري/ الناشر: دار حراء - مكة المكرمة/ الطبعة: الأولى، ١٤٠٦

الكتاب: سنن أبي داود/ المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)/ المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

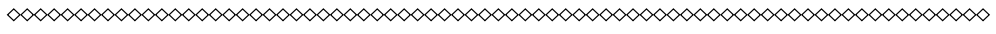
الكتاب: الجامع الكبير - سنن الترمذي/ المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)/ المحقق: بشار عواد معروف/ الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت

الكتاب: سنن ابن ماجه/ المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

الكتاب شرح السنة/ المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت/ الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م

الكتاب: صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه/ المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي/ المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر/ الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

الكتاب: صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:



٢٦١هـ)/المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي/الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

الكتاب: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان/المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٢٥٤هـ)/المحقق: شعيب الأرناؤوط/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت/الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣

الكتاب: فتح الباري شرح صحيح البخاري/المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩/رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي/قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب/عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الكتاب: المستدرك على الصحيحين/المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)/تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

الكتاب: المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم/المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)/المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

الكتاب: المصنف في الأحاديث والآثار/المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسطي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)/المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٠٩



أ. طارق محمد بش

كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة

علامات النبوة في كتب السنة والسيره النبوية

ملخص البحث: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فعلم الغيب اختص به الله عز وجل وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل ٦٥، فهو سر من أسراره تعالى، وكما جاءت الأدلة والآيات القرآنية تدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب، وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت آيات أخرى تفيد أنه سبحانه استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأوحى إليهم ما شاء تعالى إليهم ليكون دليلا على نبوتهم ومعجزة لهم كما في قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ﴾ الجن: ٢٦: ٢٧.

ومن علامات ودلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما ورد في نصوص السنة والسيره النبوية من إخباره عليه الصلاة والسلام عن الأحوال والأحداث الغيبية المتنوعة التي ستقع في المستقبل، سواء كانت في حياته أو بعد مماته، وقد وقعت بالفعل كما أخبرنا بها، وهذا يعتبر من أكبر الأدلة على أن الله هو الذي أوحى لنبيه من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، وجعله معجزة له، ودلالة على نبوته وصدقه، وبرهانا للبشرية المتطلعة لمعرفة حقيقة نبينا ﷺ، وردا على المنكرين لنبوته والمشككين في رسالته.

ونظرا لكون هذا البحث يراعى فيه الإيجاز مراعاة لشروط المشاركة في هذا المؤتمر المبارك، فسوف أستعرض في هذا البحث بعض دلائل النبوة في كتب السنة والسيره النبوية بإيجاز، مع تناول جملة من العناصر: مقدمة، وفيها أهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهج البحث فيه، وأهم عناصره.

المبحث الأول: ما ورد في السنة والسيره النبوية من الإخبار عن الأحوال والأحداث الغيبية.

المطلب الأول: في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: ما ورد في السنة والسيرة النبوية من المعجزات الحسية.

المطلب الأول: انشقاق القمر.

المطلب الثاني: نبع الماء بين أصابعه.

المطلب الثالث: تكثير الطعام.

المطلب الرابع: خطابه الأشجار والأحجار ﷺ.

خاتمة، تبين أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والموضوعات.

والله تعالى نسأل التوفيق والسداد.

Signs of Prophecy in the Books of the Sunnah and the Prophetic Biography

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the faithful Messenger, his family and all his companions. To proceed:

Knowledge of the unseen is only known by Allah Almighty alone, as the Almighty said: «Say: No one in the heavens and the earth knows the unseen except Allah, and they do not perceive when they will be resurrected.» [An-Naml: 65]. It is one of His secrets, as is shown with the evidence in both the Quran and Sunnah which prove that Allah alone has specific knowledge of the Unseen, and that He has kept it for Himself, excluding His creation. Other verses prove that He has exempted some of those who He approves from His messengers, revealing to them what He wills to them to be evidence of their prophethood and as a miracle for them, as is shown in the verse: «Knower of the Unseen, He does not reveal the unseen to anyone * Except those He is pleased with from a Messenger» [Al-Jinn: 27].

From among the signs and evidence of the prophecy of our Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, is what was mentioned in the texts of the Sunnah and the Prophet's biography of him informing us of various unseen events and circumstances that will occur in the future, whether they happened during his life or after his death, many of them have actually occurred as he told us, and this is considered one of the greatest evidences that Allah is the one who revealed to His Prophet the knowledge of the unseen that only He, Glorified and Exalted be He, knows, and made it a miracle for him, an indication of his prophethood and truthfulness, and evidence for humanity

looking forward to know the truth of our Prophet, may Allah's prayers and peace be upon him, in response to the deniers of his prophethood and the skeptics of his message.

It should be noted that this research paper is not exhaustive, and that it only seeks to shed light on the topic as conditions for the participation in this blessed conference, I will briefly review in this research some evidence of prophecy in the books of the Sunnah and the Prophet's biography, with the following layout:

Introduction: Comprising of the importance of the topic, its objectives, the research method, and general topics covered.

Chapter 1: What was mentioned in the Sunnah and the Prophet's biography of prophecies and about unseen conditions and events.

In the lifetime of the Prophet, may God bless him and grant him peace.

After his passing, may God bless him and grant him peace.

Chapter 2: The physical miracles mentioned in the Sunnah and the biography of the Prophet.

The splitting of the moon.

The water gushing from between his fingers.

The increase of food.

His speaking to inanimate objects like trees, and rocks, may God bless him and grant him peace.

Conclusion: showing the most important results and recommendations.

Index: Covering references and topics.

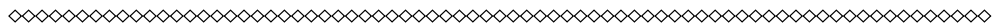
...and Allah Almighty we ask to grant us success and steadfastness.

توطئة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد.

إن مما لا شك فيه أن علم الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه، فهو سرٌّ من أسرار الله عز وجل، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل ٦٥، وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا



وَلَا حَبَّةَ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿ الأنعام ٥٩، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه المفاتيح بالأمور الخمسة التي وردت في سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الآية ٣٤، فقد روى البخاري في صحيحه من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير»^(١)، وبين تعالى كذلك في أكثر من موضع من القرآن أن نبينا صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، فقال سبحانه مقراً ذلك عن نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ الأنعام ٥٠، وقال تعالى عن نبيه ﷺ كذلك: ﴿..وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٨، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ الأحقاف: ٩، والنصوص الشرعية في هذا المعنى كثيرة، وتدل على أن رسول الله ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أوحى الله به إليه وعلمه إياه.

وقد تضافرت نصوص السنة والسير النبوية بكثير من الأحوال والأحداث الغيبية المتنوعة التي أخبرنا بها النبي ﷺ، وهذه الغيبات منها ما وقع في عهده عليه الصلاة والسلام، ومنها ما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وكلها من دلائل نبوته وصدق رسالته لتكون تشييراً لإيمان المؤمنين، ودعوة في التأمل في دلائل نبوته كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرِ النَّخْلِ ثُمَّ نُنْفِكُوكُم مِّن جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ سبأ: ٤٦، وحجة للمنكرين والملحدين، ونظراً لكون هذا البحث يراعى فيه الإيجاز، فسوف أقتصر الحديث عن بعض دلائل النبوة في كتب السنة والسير النبوية بإيجاز، وحسبي أني بذلت فيه جهدي، وأرجو من الله أن يوفقني فيه للحق والصواب بمنه وكرمه.

(١) صحيح البخاري: باب وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو رقم: ٤٦٢٧، ومسلم: باب الإيمان ما هو ببيان خصاله رقم: ٩

المبحث الأول:

ما ورد في السنة والسيرة النبوية من الإخبار عن الأحوال والأحداث الغيبية

يعتبر ما ورد في السنة والسيرة النبوية من الإخبار عن الأحوال والأحداث الغيبية من أكثر الأدلة على صدقه صلى الله عليه وسلم لأن فيها دلالة قاطعة أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى إليه بها كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ آل عمران: ٤٤، وسنقتصر في هذا المبحث بذكر بعض الأحاديث الدالة على نبوته ﷺ لأنه كما ذكرنا آنفاً أن مقام البحث لا يتسع لاستقصاء جميع الأحاديث الواردة في هذا المبحث.

المطلب الأول: ما ورد في السنة والسيرة النبوية من الإخبار عن الأحوال والأحداث

الغيبية في زمن النبي ﷺ:

إسلام وموت النجاشي:

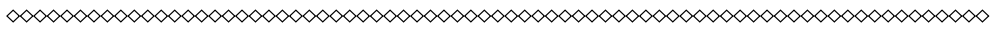
فعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خَرَجَ إِلَى الْمَصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا»^(١)، وقصة إسلام النجاشي ملك الحبشة لما قدم عليه المهاجرون فراراً من تعذيب واضطهاد الكفار في مكة، معروفة مشهورة، ولما قرأ عليه الصحابة الذي هاجروا إلى الحبشة القرآن بكى حتى اخضلت لحيته، وقال: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»، ولما سمع ما ورد في القرآن فيما يتعلق بعيسى - عليه السلام ، أخذ عوداً من الأرض وقال: «ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود»^(٢)، وإخبار النبي ﷺ بموت النجاشي قد وقع بالفعل وهو أكبر دليل على نبوته، وإلا كيف يتم نعي النجاشي في نفس اليوم الذي مات فيه مع بعد المسافة بين الحبشة والمدينة والتي عادة تستغرق أياماً وليالٍ لولم يكن هذا وحي من الله تعالى.

إخباره صلى الله عليه وسلم بانتصار الروم على الفرس:

عن ابن عباس، في قول الله تعالى: ﴿الْمَ ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الروم: ١-٤، قال: غلبت وغلبت، كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه (١١٨٨)، ومسلم: كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنائز (٩٥١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند وقال أحمد البنا: الحديث صحيح، (انظر الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأمانى)



فارس لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ قال: أما إنهم سيغلبون، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلا خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: ألا جعلته إلى دون، قال: أراه العشر، قال سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: ثم ظهرت الروم بعد. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿الْمَآءِ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾، إلى قوله: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر (١) فيا ترى من الذي أخبر النبي ﷺ بهذه الأمر الغيبي؟ إنه يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الله هو الذي أخبره بذلك، وهذا دليل على نبوته عليه الصلاة والسلام، ومما يؤكد ذلك ما ذكره الإمام السعدي في تفسيره، حيث قال رحمه الله: «وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين، لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته» (٢).

إخباره صلى الله عليه وسلم عن انتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ، وهو في قبة: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم» فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدَّبْرَ﴾ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿ القمر: ٤٥-٤٦ (٣)، وهذا الذي تحقق فقد انتصر المسلمون في بدر مع قلة عددهم وعتادهم وانهزم المشركون، وهذا الوعد بالنتيجة الذي ذكره نبينا صلى الله عليه وسلم دلالة على أن الله هو الذي أوحى الله به إليه، قال القرطبي رحمه الله: «وهذا من معجزات النبي ﷺ؛ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر» (٤).

إخباره صلى الله عليه وسلم بخبر كتاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه:

عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجني الكتاب، فقالت: ما معي من

(١) أخرجه الترمذي برقم ٣١٩٣، وقال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم: ٢٥٥١.

(٢) انظر: تفسير السعدي، عبد الرحمن السعدي، ص ٦٣٦.

(٣) صحيح البخاري، باب قوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) رقم: ٤٨٧٥

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٧ / ١٤٦.

كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إني كنت امرأً ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١). قال النووي في شرحه للحديث: «وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ»^(٢)، وقال ابن حجر: «وفيه من أعلام النبوة إطلاع الله نبيه على قصة حاطب مع المرأة»^(٣).

إخباره صلى الله عليه وسلم بموت أبي لهب، وأبي بن خلف على الكفر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» -لبطون قريش -حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبأ لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ المسد ١-٣^(٤). فمن دلائل نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام أنه أخبر في هذه السورة أن أبا لهب ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، ومن مقتضيات ذلك ومن لوازمه: أن يموت أبو لهب على الكفر، فكان من الممكن أن يسلم أبو لهب كما أسلم غيره من الكفار؛ ولكن مات أبو لهب على الكفر، فصدقت الآيات بعد موته على الكفر، فكان في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وتحقق ذلك بموت أبي لهب على الكفر علماً من

(١) أخرجه البخاري، باب الجاسوس (٣٠٧)، ومسلم، باب من فضائل حاطب بن أبي بلتعة وأهل بدر رضي الله عنهم رقم: ٢٤٩٤

(٢) انظر شرح النووي على مسلم (١٦/٥٥).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/٣١٠)

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري: باب أنذر عشيرتك الأقربين، رقم: ٤٧٧٠، ومسلم: باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) رقم: ٣٤٨.

أعلام نبوة رسول الله ﷺ، ودليلاً من أدلة نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام. (١)، وبنحوه ورد في قصة أبي بن خلف، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبي بن خلف الجمحي إلى رسول الله ﷺ بعظم نخر فقال: أتعدنا يا محمد إذا بليت عظامنا فكانت رميماً أن الله باعنا خلقاً جديداً ثم جعل يفت العظم ويذرّه في الريح فيقول: يا محمد من يحيي هذا فقال رسول الله ﷺ: نعم، يميتهك الله ثم يحييك ويجعلك في جهنم ونزل على رسول الله ﷺ ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ (٢) فمن الذي أخبر النبي ﷺ أن أبي بن خلف سيموت على الكفر ويدخل النار؟ إنه الله الذي يعلم السر وأخفى، وتحقق ذلك من أدلة نبوته عليه الصلاة والسلام.

إخباره صلى الله عليه وسلم بخبر الريح التي تنبأ بهبوبها وهو منطلق وأصحابه رضي الله عنهم إلى تبوك:

عن أبي حميد، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ: «أخرصوها، فخرصناها، وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق، وقال: «أحصيها حتى نرجع إليك، إن شاء الله» وانطلقنا، حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله ﷺ: «ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقيم فيها أحد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله، قال أبو حميد - رضي الله عنه - راوي الحديث فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئ...» الحديث (٣)، فأخبار النبي صلى الله عليه وسلم بهبوب هذه الرياح دليل على نبوته لأن الله خالق كل شيء الذي بيده ملكوت السماوات والأرض هو الذي أخبره بذلك؛ وإلا كيف حصل على هذا العلم الذي كان في زمان لا يقدر فيه الناس على التنبؤ بأحوال الجو والمتغيرات المناخية. قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة؛ من إخباره عليه الصلاة والسلام بالمغيّب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح...» (٤).

نعيه صلى الله عليه وسلم لقادة مؤتة الثلاثة:

فقد خاضوا المعركة في الشام، ورسول الله ﷺ كان في المدينة، يقول أنس رضي الله عنه: نعى النبي ﷺ زيداً وجعفرأً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تدرقان؛ حتى أخذ الراية

(١) أنظر سلسلة التفسير لمصطفى العدوي (٢/١٠٨)

(٢) أنظر تفسير الطبري، ت شاكر (٢٠/٥٥٤)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/٧٥)

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (١٢٩٢).

(٤) شرح صحيح مسلم، للنووي، ٤٢/١٥.

سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»^(١)، فأخبار النبي ﷺ بمقتلهم قبل أن يصل الخبر إلى المدينة أمر غيبي يدل على أن الله هو الذي أوحاه إليه وهذا دليل على نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام، قال العيني: «وفيه علمٌ ظاهر من أعلام النبوة»^(٢)

المطلب الثاني: ما ورد في السنة والسيرة النبوية من الإخبار عن الأحوال والأحداث الغيبية بعد وفاته ﷺ: يوجد العديد من الغيوب التي تحققت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وسنشير في هذا المطلب على بعض الأحوال والأحداث الغيبية؛ لأن المقام لا يتسع لأن نستقصي جميع الأحاديث الواردة في هذا الشأن، ومنها:

١. إخبار رسول الله بفتح بلد فارس:

فما أخبر به صلى الله عليه وسلم الله، وقد وقع بالفعل بعد وفاته فتح بلاد فارس، وانتشار الأمن والأمان في الجزيرة العربية، فعن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي، هل رأيت الحيرة»^(٣)؟ قلت: لم أرها، وقد أنبتت عنها، قال «فإن طالت بك حياة، لترين الطعينة»^(٤) ترحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، -قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء^(٥) الذين قد سعروا البلاد^(٦)، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى»، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولن له: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم» قال عدي: سمعت النبي ﷺ، يقول: «اتقوا النار ولو بشقعة تمرة فمن لم يجد شقعة تمرة فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الطعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة، لترون ما قال النبي أبو

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، بابُ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، برقم ٤٢٦٢

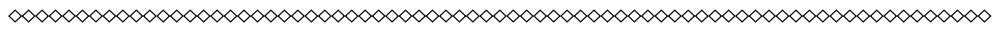
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٢٦٩)

(٣) الحيرة: بكسر الحاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الراء: بلد معروف قديما مجاور الكوفة، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٢٥)

(٤) الطعينة: المرأة في اليهود، وهو في الأصل اسم اليهود، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٢٥)

(٥) دُعَار: جمع داعر، وهو الشاطر الخبيث المفسد الفاسق، والمراد: قطاع الطريق، انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٢٥)

(٦) سعروا البلاد: أي أوقدوا نار الفتنة في البلاد. انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٢٥)



القاسم: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخرج ملء كفه»^(١)، وقد حدث في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما أخبر به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تنمة هذا الحديث، فقد كان عماله يطوفون على مَنْ يَقْبَلُ الصدقة فلا يقبلها أحد؛ فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، وعن ذلك يقول مهاجر بن يزيد: بعثنا عمر بن عبد العزيز فقسمنَا الصدقة، فلقد رأيتنا وإنا لناخذ الزكاة في العام القابل ممن يُتَصَدَّقُ عليه في العام الماضي^(٢).

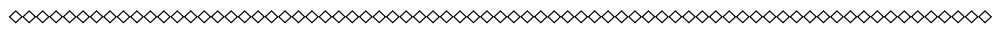
إخباره صلى الله عليه وسلم لسراقة بن مالك بأنه سيلبس سوارى كسرى، وتواجه:
في قصة الهجرة المشهورة قال أبو بكر رضي الله عنه: فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتبعنا سراقة بن مالك، فقلت: أتينا يا رسول الله، فقال: «لا تحزن إن الله معنا» فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فارتطمت به فرسه إلى بطنها - أرى - في جلد من الأرض، - شك زهير - فقال: إني أراكما قد دعوتما علي، فادعوا لي، فإله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتجا، فجعل لا يلقي أحدا إلا قال: قد كفيتم ما هنا، فلا يلقي أحدا إلا رده، قال: ووفى لنا، هكذا وردت في صحيح البخاري ومسلم^(٣)، ووردت قصة «سراقة» كاملة في مواضع أخرى من كتب الحديث، فعن الحسن أن رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لسراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سوارى كسرى قال فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتواجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما وكان سراقة رجلا أزب كثير شعر الساعدين وقال له ارفع يديك فقال الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى ابن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي رجل من بني مدلج ورفع بها عمر صوته^(٤). قال الشافعي: لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بما أصيب بالعراق قال له صاحب بيت المال ألا أدخله بيت المال قال لا ورب الكعبة لا يؤوي تحت سقف بيت حتى أقسمه فأمر به فوضع في المسجد، وقال اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني أسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الآية ثم قال أين سراقة بن جعشم فأني به أشعر الذراعين دقيقتها فأعطاها سوارى كسرى فقال ألبسهما ففعل فقال الله أكبر ثم قال الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن جعشم أعرابيا من بني مدلج وجعل يقلب بعض ذلك بعضا ثم قال إن الذي أدى هذا لأمين فقال له رجل أنا أخبرك أنت أمين الله وهم يؤدون إليك ما أديت إلى الله عز وجل فإذا رتعت رتعو قال صدقت ثم فرقه قال الشافعي رحمه الله تعالى وإنما ألبسهما سراقة لأن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه كأنه بك وقد لبست

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم: ٣٥٩٥.

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين النووي، ٢١/٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري كتاب الأشربة، باب شرب اللبن، برقم ٥٦٠٧، وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرجل رقم ٢٠٠٩.

(٤) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٥٨١/٢)، ترجمة: ٩١٦، الإصابة لابن حجر (٤١/٣)، ترجمة: ٣١١٧.



سوارى كسر»^(١)، وتوضيح الإمام الشافعي لفعل عمر رضي الله دليلا على صدق ما أخبر به النبي ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ وإلا فمن أخبر النبي ﷺ الذي كان في زمن اضطهاد وهجرة من مكة إلى المدينة هربا من القتل بأن أمته سوف تفتح بلاد فارس وتغنم كنوز كسرى، وهذا الخبر من أعظم دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام.

الإخبار بركوب البحر ومعهم «أم حرام» رضي الله عنها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه سمعه يقول: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه - وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت - فدخل عليها رسول الله ﷺ، فأطعمته وجعلت تقلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج^(٢) هذا البحر ملوكا على الأسرة، أو: مثل الملوك على الأسرة»، شك إسحاق، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله» - كما قال في الأول - قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين»، فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت^(٣). قال ابن حجر: «وفيه ضرور من إخبار النبي ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال، وذلك معدود من علامات نبوته: منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكة ونكاية في العدو، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون مع من يغزو البحر، وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية»^(٤).

إخباره صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية:

ومن الأخبار الغيبية التي أخبر بها النبي ﷺ ووقعت بعد وفاته، ما بشر به من فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، فعن عبد الله بن بشر الخثعمي، عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش». قال: فدعاني مسلمة بن عبد الملك فسألني، فحدثته، فغزا القسطنطينية^(٥)، وهذا الحديث من

(١) انظر: الشافعي في الأم (٤/ ١٥٧)، البيهقي في الكبرى (٦/ ٣٥٧، رقم: ١٢٨١٢)

(٢) ثبج البحر): وسطه ومعظمه وقيل ظهره، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢/ ٢٢٠.

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب مَنْ زار قوما فقال عندهم، ٨/ ٦٣ برقم ٦٢٨٢، وصحيح مسلم، باب فضل الغزوة في البحر، رقم ١٩١٢.

(٤) فتح الباري (١١/ ٨٠)

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير برقم: ١٧٦٠، وأحمد في المسند برقم: ١٨٩٥٧، والحاكم، برقم: ٨٣٠٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.



أعظم دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، وإلا كيف يُخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح الكبير، وقد كانوا مستضعفين في مكة، ويعيشون على حذر لما كانوا في المدينة، والقسطنطينية هي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية التي كانت من الدول العظمى لفترات طويلة.

إخباره صلى الله عليه وسلم بظهور النار في أرض الحجاز:

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»^(١). قال ابن تيمية رحمه الله: «وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمئة، ورأها الناس، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى، وكانت تحرق الحجر، ولا تنضج اللحم»^(٢)، وقال ابن كثير: «قد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمئة، قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبي شامة في تاريخه: إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمئة، وأنها استمرت شهرا»^(٣). وهذا الإخبار منه صلى الله عليه وسلم من الدلائل الواضحة الذي يدل على صدق نبوته.

إخباره صلى الله عليه وسلم بفتح مصر:

عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة، فاخرج منها» قال: فمر بريعة، وعبد الرحمن، ابني شرحبيل ابن حسنة، يتنازعان في موضع لبنة، فخرج منها^(٤). وهذه البشارة قد تحققت على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه في العام السادس عشر من الهجرة النبوية، قال الإمام النووي رحمه الله: «وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة ومنها أنهم يفتحون مصر ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبنة ووقع كل ذلك ولله الحمد»^(٥).

إخباره صلى الله عليه وسلم بانتشار الإسلام، وبلوغه الآفاق:

عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، رقم: ٧١١٨، ومسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، رقم: ٢٩٠٢.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٨٩ / ٦)

(٣) البداية والنهاية ط إحياء التراث (٢٨٤ / ٦)

(٤) صحيح مسلم، باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: ٢٥٤٢

(٥) شرح النووي على مسلم (٩٦/١٦)

لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا^(١). قال الإمام النووي: «هذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ قال العلماء المراد بالكنزین الذهب والفضة والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق الشام فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب وهكذا وقع وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى قوله ﷺ^(٢). من خلال ما سبق من الأمور الغيبية المستقبلية التي أخبرنا بها نبينا ﷺ قبل وقوعها، فإنه يتضح لنا أنها من عند الله؛ لأن نبينا كسائر البشر لا يعلم الغيب، فإذا أخبر عن شيء من الأمور الغيبية فهو دليل قاطع أنه من علم الله الذي علمه إياه ليكون برهانا ودليلا على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: ما ورد في السنة والسيره النبوية من المعجزات الحسية

مما لا شك فيه أن الله عز وجل قد أيد نبيه ﷺ بالقرآن الكريم الذي هو المعجزة الخالدة، والحجة البالغة المحفوظة في كل زمان ومكان، وما جاء فيه دلالات النبوة، تُغني عن أية معجزة أخرى، ومع هذا فقد وردت في السنة النبوية أحاديث لا تحصى عن المعجزات الحسية، قال ابن القيم بعد أن ذكر معجزات موسى وعيسى عليهما السلام: «وإذا كان هذا شأن معجزات هذين الرسولين، مع بُعد العهد وتشدت شمل أمتيها في الأرض، وانقطاع معجزاتهما، فما الظن بنبوة محمد ﷺ، ومعجزاته وآياته تزيد على الألف والعهد بها قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرناً بعد قرن؟»^(٣)، والتي سنذكر بعضا منها فيما يلي:

انشقاق القمر:

عن أنس رضي الله عنه، قال: سألت أهل مكة أن يريهم آية «فأراهم انشقاق القمر»^(٤)، وعن ابن مسعود، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»^(٥). ومع هذا الإعجاز الحسي فقد بلغ من مشركي مكة القمة في

(١) صحيح مسلم، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم: ٢٨٨٩

(٢) إغاثة اللهفان (٢/٢٤٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٨/١٣)

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، باب «وانشق القمر وإن يرو آية يعرضوا»، رقم: ٤٨٦٧، مسلم، باب انشقاق القمر، رقم: ٢٨٠٢

(٥) صحيح مسلم، باب «وانشق القمر وإن يرو آية يعرضوا»، رقم: ٤٨٦٤

إنكار نبوة النبي ﷺ حتى أنهم لما جاءتهم المعجزة البينة التي طلبوها من النبي صلى الله عليه وسلم استمروا في طغيانهم، وغيهم، قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾ القمر: ١ وإذا رأوا آية، أي خارق عادة أظهره الرسول ﷺ دالا على صدقه لأن الله تعالى لا يغير نظام خلقته في هذا العالم إلا إذا أراد تصديق الرسول لأن خرق العادة من خالق العادات وناظم سنن الأكوان قائم مقام قوله: صدق هذا الرسول فيما أخبر به عني. وقد رأوا انشقاق القمر، فقالوا: هذا سحر، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿ القمر: ١-٢. ويسخرون سخرية من محاجة النبي صلى الله عليه وسلم إياهم بالأدلة. والسخرية المذكورة هنا سخرية من ظهور الآيات المعجزات، أي يزيدون في السخرية بمن ظن منهم أن ظهور المعجزات يحول بهم عن كفرهم. (١) قال الخطابي: «انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جيلة طباع ما في هذا العالم، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فذلك صار البرهان به أظهر.» (٢).

نبي الماء بين أصابعه:

وقد وقع من تكثير الماء الشيء الكثير من الرسول ﷺ، نذكر منها: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعْدُونَهَا تَخْوِيفًا. كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَقُلَّ الْمَاءُ فَقَالَ: اطْلُبُوا فَضْلَةَ مِنْ مَاءٍ، فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَادْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الطُّهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ (٣)، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزُّورِاءِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبَعُ مِنْ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ، قَالَ وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةً أَوْ زَهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ (٤)، وَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحَدِيبَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رُكُوتَةً فَتَوَضَّأَ، فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ. فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرُّكُوتَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيْونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا. قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكُنَّا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً (٥)، وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحَدِيبَةِ أَرْبَعَةَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالْحَدِيبِيَّةُ بَرٌّ فَتَزَحْنَاهَا حَتَّى لَمْ نَتْرِكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ

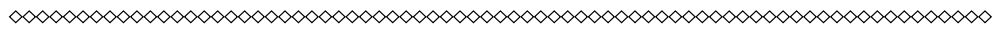
(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٩٨)

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٢٤).

(٣) صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٢٥٧٩

(٤) صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٢٥٧٢

(٥) صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٢٥٧٦



البئر فدعا بماء فمضمض ومجَّ في البئر فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا. (١) قال النووي: «وأكثر العلماء أن معناه: أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه - صلى الله عليه وسلم -، وينبع من ذاتها. قالوا: وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر... يُحتمل أن الله كثر الماء في ذاته، فصار يفور من بين أصابعه، لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة، وأية باهرة» (٢)

تكثير الطعام:

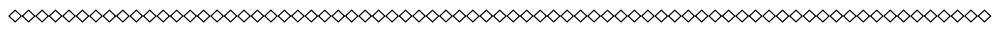
وقد وقع من هذا شيء كثير من الرسول ﷺ. قال النووي: «وقد تظاهرت أحاديثُ أحادٍ بمثل هذا، حتى زاد مجموعها على التواتر، وحصل العلم القطعي بالمعنى الذي اشتركت فيه هذه الأحاد، وهو انخراق العادة بما أتى به صلى الله عليه وسلم من تكثير الطعام القليل الكثرة الظاهرة، ونبع الماء وتكثيره، وتسبيح الطعام، وحنين الجذع وغيره...» (٣) منها: ما رواه لنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حيث قال: توفي أبي وعليه دين، فعرضت على غرمائه في الدين أن يأخذوا التمر بما عليه، فأبوا، ولم يروا أن فيه وفاءً. يقول جابر: فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إذا جددته فوضعتة في المربرد أذنت رسول الله ﷺ»، أي طلب منه إذا جمع التمر في مكانه أن يخبر النبي ﷺ، قال جابر: فجاء رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر، فجلس على المربرد، ودعا بالبركة، ثم قال ﷺ: «ادع غرماءك فأوفهم»، قال جابر: فما تركت أحداً له على أبي دين إلا قضيته، وفضل ثلاثة عشر وسقاً، فوافيت مع رسول الله ﷺ المغرب، فذكرت ذلك له، فضحك، وقال: «أئت أبا بكر وعمر فأخبرهما»، فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك. أي أن أبا بكر وعمر توقعوا أن يقضي التمر - مع قتلته - الدين، وذلك ليقينهما ببركة النبي ﷺ. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: توفي أبي وعليه دين، فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه، فأبوا ولم يروا أن فيه وفاءً، فأتيت النبي ﷺ، فذكرت ذلك له فقال: «إذا جددته فوضعتة في المربرد أذنت رسول الله ﷺ»، فجاء ومعه أبو بكر، وعمر، فجلس عليه، ودعا بالبركة، ثم قال: «ادع غرماءك، فأوفهم»، فما تركت أحداً له على أبي دين إلا قضيته، وفضل ثلاثة عشر، وسقاً سبعة عجوة، وستة لون - أو ستة عجوة، وسبعة لون - فوافيت مع رسول الله ﷺ المغرب، فذكرت ذلك له، فضحك، فقال: «أئت أبا بكر، وعمر، فأخبرهما»، فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك» (٤). قال ابن حجر: «وفيه

(١) صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٢٥٧٧

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٢٨ - ٢٩).

(٣) شرح النووي (١٢/٢١٥).

(٤) صحيح البخاري، باب الصلح بين الغرماء وأصحاب الميراث، رقم: ٢٧٠٩



عَلِمَ ظَاهِرٌ مِنْ أَعْلَامِ النَّبِوَةِ، لِتَكْثِيرِ الْقَلِيلِ إِلَى أَنْ حَصَلَ بِهِ وِفَاءُ الْكَثِيرِ، وَفَضَّلَ مِنْهُ»^(١). وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ لِجَابِرٍ أَنَّهُ دَعَا جَمِيعَ جَيْشِ يَوْمِ الْخَنْدَقِ لِيَتَنَاوَلُوا الطَّعَامَ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ بِبِرْكَةٍ وَمُعْجَزَةٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ الْجَمِيعُ حَتَّى شَبِعُوا، وَتَبَقِيَ طَعَامٌ لِأَهْلِ جَابِرٍ. فَعَنَّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: لَمَّا حَضَرَ الْخَنْدَقَ رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمْصًا، فَاذْكُفَّتْ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجْتَ لِي جَرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بَهِيمَةٌ دَاخِنٌ، قَالَ: فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنْتُ، وَفَرَعْتُ إِلَى فِرَاقِي، فَقَطَعْتُهَا فِي بَرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بَهِيمَةً لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفْسِ مَعِكَ، فَصَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنْ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا فَحِي هَلَا بِكُمْ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَنْزِلُنَّ بِرِمْتِكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتِكُمْ حَتَّى أَجِيءَ»، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ لِي، فَأَخْرَجْتَ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى بَرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعِي خَابِزَةَ فَلْتَخْبِزْ مَعَكَ، وَاقْدَحِي مِنْ بَرْمَتِكُمْ وَلَا تَنْزِلُوها» وَهَمَّ أَلْفٌ، فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لِأَكْلِهَا حَتَّى تَرْكُوهَا وَانْحَرْفُوا، وَإِنْ بَرْمَتِنَا لَتَغَطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنْ عَجِينَتُنَا - أَوْ كَمَا قَالَ الضَّحَّاكُ: - لَتَخْبِزْ كَمَا هُوَ.^(٢)

قَالَ النَّوَوِيُّ: «حَدِيثُ طَعَامِ جَابِرٍ فِيهِ أَنْوَاعٌ مِنْ فَوَائِدَ وَجُمَلٌ مِنَ الْقَوَاعِدِ: مِنْهَا: الدَّلِيلُ الظَّاهِرُ وَالْعِلْمُ الْبَاهِرُ مِنْ أَعْلَامِ نَبِوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... وَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ عُلَمَاءَ مِنْ أَعْلَامِ النَّبِوَةِ: أَحَدُهُمَا: تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ، وَالثَّانِي: عِلْمُهُ ﷺ بِأَنَّ هَذَا الطَّعَامَ الْقَلِيلَ الَّذِي يَكْفِي فِي الْعَادَةِ خَمْسَةَ أَنْفُسٍ أَوْ نَحْوَهُمْ سَيَكْفُرُ، فَيَكْفِي أَلْفًا وَزِيَادَةً، فَدَعَا لَهُ أَلْفًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ طَعَامَ جَابِرٍ صَاعٌ شَعِيرٍ وَبَهِيمَةٌ».^(٣)

خَطَابَةُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ ﷺ.

وسنذكر على ذلك ثلاثة نماذج على سبيل المثال لا الحصر:

حَنِينِ الْجِدْعِ: فَعَنَّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ جَذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وَضِعَ لَهُ الْمَنْبِرُ، سَمِعْنَا لِلْجِدْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ.^(٤)

تَسْلِيمِ الْحَجَرِ: وَعَنَّ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْرِفُ

(١) فتح الباري (٦/٦٨٨).

(٢) صحيح مسلم، باب جوا استباعه غيره، رقم ٢٠٣٩.

(٣) شرح النووي (١٣/٢١٧).

(٤) صحيح البخاري، باب الخطبة عبي المنبر، رقم: ٩١٨.

حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ».^(١)

امتثال الجبل لأمر رسول الله ﷺ: عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: أسكن أحد - أظنُّه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق، وشهيدان».^(٢)

قال الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً، فقال له عمرو بن سواد: أعطى عيسى إحياء الموتى قال: أعطى محمداً حينَ الجذعِ حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك».^(٣) قال ابن كثير: «وإنما قال: فهذا أكبر منه؛ لأن الجذع ليس محلاً للحياة، ومع هذا حصل له شعور ووجد لما تحوّل عنه إلى المنبر، فَأَنَّ وَحْنَ حَنِينِ الْعِشَارِ، حتى نزل إليه رسول الله ﷺ فاحتضنه...».^(٤)

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد .

يمكن إيجاز أهم ما توصل فيها الباحث في هذه الورقة فيما يأتي:

نبينا صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين لا يحتاج للاستدلال على نبوته ورسالته من خارج ما أنزله الله تعالى عليه من القرآن الكريم وما أجرى الله عليه من المعجزات البيّنات الذي يشهد بها البعيد قبل القريب.

تتبع ما اشتملت عليه السنة والسيرّة النبوية من الأحوال، والوقائع الغيبية التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم فوقعت كما قال عليه الصلاة والسلام، سواء كانت في حياته أو بعد مماته لتعتبر أكبر دليل على صدقه في دعوته؛ لأن فيها دلالة قاطعة أنها وحي من الله سبحانه وتعالى.

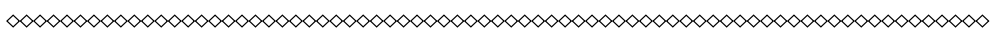
ما أيده الله به من المعجزات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم هي تشبيهاً لإيمان المؤمنين، ودعوة في التأمل في دلائل نبوته، وبرهاناً للبشرية المتطلعة لمعرفة حقيقة نبينا ﷺ. ما أخبر به ﷺ من الغيبيات، وكذا ما أعطاه الله من المعجزات تعتبر من أهم الأدلة للرد على المنكرين لنبوته والمشككين في رسالته.

(١) صحيح البخاري، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٢٢٧٧

(٢) صحيح البخاري، باب مناقب عثمان بن عفان، ٣٦٩٩

(٣) فتح الباري (٦/ ٦٩٨)

(٤) انظر: البداية والنهاية (٦/ ٢٧٦)



تواترت الأخبار عمن أسلم من أهل الكتاب، بوجود تلك الأخبار، والأوصاف لنبينا ﷺ. مما ورد في السنة والسيرة النبوية من الإخبار عن الأحوال والأحداث الغيبية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أكبر دليل على نبوته؛ وإلا كيف يتم التنبؤ بها، ووقوعها بنفس المواصفات التي ذكرها عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك: إسلام وموت النجاشي، إخباره صلى الله عليه وسلم بانتصار الروم على الفرس، إخباره صلى الله عليه وسلم عن انتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى، إخباره ﷺ بخبر كتاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، إخباره صلى الله عليه وسلم بموت أبي لهب، وأبي بن خلف على الكفر، إخباره صلى الله عليه وسلم بخبر الريح التي تتبأ بهبوبها وهو منطلق وأصحابه رضي الله عنهم إلى تبوك.

ما ورد في السنة والسيرة النبوية من الإخبار عن الأحوال والأحداث الغيبية بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، دليلاً على صدق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ وإلا فمن أخبر النبي ﷺ الذي كان في زمن اضطهاد وهجرة في مكة، وفي حالة دفاع وحذر من الأعداء لما كان في المدينة بكل الأحداث والوقائع الغيبية التي كانت تعتبر في ميزان العقول البشرية من المستحيلات كفتح بلاد فارس وغنيمة كنوز كسرى، وركوب البحر ومعهم أم حرام رضي الله عنها، وفتح القسطنطينية، وظهور النار في أرض الحجاز، وفتح مصر وإخباره صلى الله عليه وسلم بانتشار الإسلام، وبلوغه الآفاق.

ما ورد في السنة والسيرة النبوية من المعجزات الحسية هي من الله سبحانه وتعالى لتأييد نبيه في دعوته.

كما أن الله عز وجل قد أيد نبيه صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الكريم الذي هو المعجزة الخالدة، والحجة البالغة المحفوظة في كل زمان ومكان، وما جاء فيه من دلالات النبوة، تُغني عن أية معجزة أخرى، ومع هذا فقد وردت في السنة النبوية أحاديث لا تحصى عن المعجزات الحسية، كانشقاق القمر، نبع الماء بين أصابعه تكثير الطعام، خطابه الأشجار والأحجار ﷺ ليزداد بها يقين المؤمن بدعوته من جهة، وليقيم الحجج والبراهين على المنكرين من جهة.

ما ورد من البشارات الغيبية هي في الحقيقة تدفع للتفاؤل بنصرة هذا الدين، والجد والاجتهاد لخدمته والسعي في تبليغه للعالمين.

المراجع:

الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت،

ط ١، ١٤١٥ هـ

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، ت: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية
الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، دار المعرفة - بيروت ط: بدون طبعة: ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م
البداية والنهاية المؤلف، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ

تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط ٢، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، دار

سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، أبو عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية المصري،
مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتقريفها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>
السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجِردِي الخراساني، أبو بكر
البيهقي ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،
دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن
حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري
الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، ط: ٣ - ١٤١٤ هـ

المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه
بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد
القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١١ - ١٩٩٠.

مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد
الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن
التركي، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج
أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار
إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ٢، ١٣٩٢

أ.د. مبارك بلالي
كلية الآداب جامعة أدرار - الجزائر

تداولية اللغة وأثرها في الدلالة على صدق نبوة محمد ﷺ دراسة لسانية تداولية لنماذج مختارة من أحاديث صحيح مسلم

ملخص

يتناول هذا الموضوع دراسة ألفاظ الحديث الشريف في صحيح الإمام مسلم دراسة لغوية تداولية، بهدف تجلية الخصائص اللغوية المتفردة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم وأثر ذلك في صدق نبوته، وذلك من خلال دراسة توظيف السياق اللغوي والتداولي، وبيان دورهما في تعيين مفردات الحديث النبوي، انطلاقاً من واقع استعمالها في زمن الرسالة، وفي سائر الأزمنة من بعده.

Abstract

This paper deals with the pragmatic and linguistic study of the words of the Noble Hadith in the Sahih of Imam Muslim, with a view to clarifying the unique linguistic characteristic of the Prophet's (PBUH) Hadith and its impact on the truthfulness of His prophethood. This is achieved by studying the employment of the linguistic and pragmatic contexts, and clarifying their role in defining the vocabulary of the Prophet's Hadith, based on the reality of their use in the time of the Message and after it.

تمهيد.

تتعامل اللغة مع نص الحديث النبوي على أنه خطاب حافل بسلسلة من الدلالات السياقية والتداولية، وأن كل نص من نصوص الحديث إنما يحمل وظائف سياقية دلالية داخلية وخارجية. ومن ثم فإن من أهم عناصر بناء منهج الحديث النبوي، وتحقيق الفهم عن الرسول الأعظم هو الإلمام بمقاصد اللغة العربية وإتقان قواعدها.

ولعل القوانين والضوابط التداولية للنصوص والخطابات، وفقاً لما أسفر عنه الاجتهاد اللساني المعاصر، هي من أهم الوسائل المنهجية التي تساعد على فهم مقاصد الحديث النبوي،

حتى لا يؤول كلام الرسول الكريم بغير ما أَراده وقصد إليه.

نحاول من خلال السطور القادمة بحث بعض نصوص الحديث النبوي وتحليل مقاصدها في ضوء المقاربة التداولية، وبالتركيز على نظرية «أفعال الكلام» لدى كل من «أوستين» و«سيرل»، بما يسمح بتقديم إسهام جديد، يكشف عن كيفية اشتغال اللغة في ضبط منهج فهم الحديث، وصولاً إلى الاستدلال الصحيح والمناسب في توظيف الأحاديث النبوية في المقامات المختلفة.

المبحث الأول: تداولية اللغة (مفاهيم ومقدمات)

التداولية المفهوم والنشأة والتطور.

أ- لغة: جاء في لسان العرب في مادة (دول) «الدولة، والدولة: العُقبَة في المال والحرب سواء، وقيل: الدولة بالضم في المال، والدولة بالفتح في الحرب، وقيل: هما سواء فيهما، يضمن ويفتحان، وقيل: بالضم في الآخرة، وبالفتح في الدنيا، وقيل هما لغتان فيهما والجمع دُولٌ ودُولٌ.. وقال الجوهري: الدولة، بالفتح، في الحرب أن تُدَالَ إحدى الفئتين على الأخرى، يُقال: كانت لنا عليهم الدولة، والجمع: الدُول، والدولة بالضم، في المال؛ يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرّة لهذا ومرّة لهذا والجمع دُولات ودُول...»

وتداولنا الأمر أخذناه بالدُول. وقالوا: دواليك أي مداولة على الأمر؛ قال سيبويه: وإن شئت حملته على أنه وقع في هذه الحال.

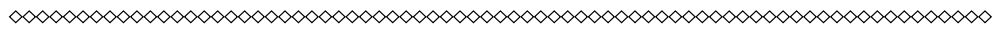
ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرّة وهذه مرّة. ودال الثوب يدول أي بلي. وقد جعل دُهُ يدول أي يبلى.^(١)

وجاء في أساس البلاغة: «دالت له الدولة. ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بين فلان من عدوّهم: جعل الكرة لهم عليه. وعن الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها. وفي مثل: «يدال من البقاع كما يدال من الرجال» وأدبل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبل المشركون على المسلمين يوم أُحد، واستدلت من فلان لأدال منه واستدل الأيام: استعطفها والله يداول الأيام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم. والدهر دُولٌ وَعُقَبٌ ونُوبٌ. وتداولوا الشيء بينهم. والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما.»^(٢)

وأما صاحب المصباح المنير فقد أورد مدخل «تداول» مباشرة وذكر تحته ما نصّه: «تداول

(١) لسان العرب، لابن منظور، تحقيق وتعليق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج ٦/٣٥٠ و٣٥١.

(٢) أساس البلاغة، للزمخشري، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٩٨.



القوم الشيء (تداولاً) وهو حصوله في يد هذا تارة وفي يد هذا تارة أخرى والاسم (الدولة) بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح (دول) بالكسر مثل قَصْعة وقِصْع. وجمع المضموم (دول) بالضم مثل غُرْفَة وغُرْف. ومنهم من يقول: (الدولة) بالضم في المال وبالفتح في الحرب و(دالت) الأيام (تدول) مثل دارت تدور وزناً ومعنى»^(١).

والملاحظ على ما سبق من تعاريف لغوية أنها لا تخرج في دلالتها في الجذر (دول) عن معاني التحول والتبدل والانتقال، مما يستلزم وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتبدل، وكذلك هو حال اللغة وتصرفاتها؛ فهي متحوّلة من حال عند الباث إلى حال أخرى عند المتقبل.

ب- اصطلاحاً:

تعرف التداولية بأنها العلم الذي يدرس ضروب التلفظ للقولات أو العبارات وكيف تكون لها دلالات في مواقف معينة.^(٢)

ويذكر الدارسون أن مصطلح التداولية يرجع مفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي «تشارلز موريس» «Charles Morris» صاحب التقسيم الثلاثي المشهور بين حقول علم العلامات (النحو والدلالة والتداولية)؛ فذكر أن علم النحو يدرس العلاقات بين العلامات اللغوية، وعلم الدلالة يدرس علاقاتها بالأشياء، والتداولية يدرس علاقة العلامات بمفسريها.

والعنصر المشترك الذي يتضمن العلاقة القائمة بين تلك الحقول الثلاثة، هو مفهوم العلامة، ويتعلق الأمر هنا بشكل أدق بشكل العلامة (بالمعنى الذي يعطيه سوسير لمفهوم الدال) .. وهذا المفهوم أساسي توضحه الأفكار التالية:^(٣)

أن علم النحو يتطلب مفهوم الدال Signifiant لأن هذا العلم يعالج مسألة ترتيب وتنظيم الدوال.

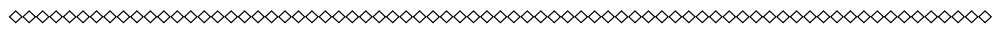
يتطلب علم الدلالة: أيضاً وجود هذا المفهوم، والحقيقة أن أية دلالة تحتاج إلى (سند ما) وهو هنا بالضبط الدال الذي تصبح بوساطته دلالة عامة.

أما التداولية فيلجأ إلى مفهوم الدال هذا لأنه ينبغي على المشاركين في عملية الاتصال

(١) المصباح المنير، للفيومى، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٢٠٣ و ٢٠٤.

(٢) ينظر: مبادئ التداولية لجيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، ٢٠١٣م، ص ٥.

(٣) ينظر: مقدمة إلى علم الدلالة الأسنى، لهربيرت بركلي، ترجمة: قاسم المقداد، وزارة الثقافة (دمشق)، سورية، ط ١، ١٩٨٧، ص ٣٠ و ٣١، وينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، لدومنيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص ١٠١.



بل وبكل أنواع التفاعل بين الأعضاء الحية، بينهما يراها فريق ثالث تعالج استعمال العلامات أساساً كما رأينا ذلك عند «شارلز موريس»، على حين ينظر آخرون إلى التداولية على أنها علم الاستعمال اللساني ضمن السياق بمفهومه الواسع، كما يرى ذلك ماكس بلاك (Max blak) وتسمى عنده بمصطلح السياقية»^(١).

درجات التداولية.

نتطلق هذا الموضوع مما قامت به «فرانسواز أرمغو» في كتابها «المقاربة التداولية» من تصنيف لدرجات التداولية تأسيساً على ما قام به هنسن (Hansson)، ودرجات التداولية بحسب برنامج هنسن (١٩٧٤) تنقسم إلى درجات ثلاث:^(٢)

تداولية الدرجة الأولى: وتتمثل في دراسة الرموز الإشارية، أي العبارات الغامضة نسقياً، عبارات معناها غامض ومرجعها يتنوع نسقياً حسب ظروف استعمالها، أي حسب سياق التلفظ. والسياق بالنسبة لهذه الدرجة يتمثل في الاهتمام بالمتخاطبين ومحددات المكان والزمان. تداولية الدرجة الثانية: وتهتم بدراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها، إذ في الحالات المهمة، ينبغي أن تتميز القضية المعبر عنها عن الدلالة الحرفية للجملة. والسياق هنا بمعناه الموسع كما عند ستالنيكر (Stalnaker)، إنه سياق معلومات ومعتقدات مشتركة وليس سياقاً (ذهنياً).

تداولية الدرجة الثالثة: وتتمثل في نظرية أفعال الكلام، ويتعلق الأمر هنا بمعرفة ما يتم إنجازه عبر استعمال بعض الأشكال اللسانية، ويعدّ مفهوم السياق في هذه الدرجة مفهوماً غنياً جداً.

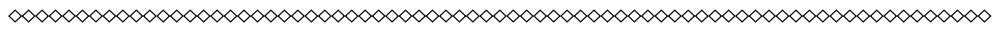
إن السياق هنا كما ذكر شنال Schnelle «هو الذي يحدّد ما إذا كان ملفوظ جاد قد تم إنجازه وليس مزحاً، أو إذا ما عرضنا مثلاً، هل إنه يشكل إنذاراً أو أنه يعطي أمراً، فإننا نرى أن مفهوم السياق هنا أشدّ ثراءً وأكثر إطلافاً منه في الحالات السابقة»^(٣).

ولما كان للسياق كل هذه الأهمية في التحليل التداولي أو المقاربة التداولية، فقد عالجت «فرانسواز أرمينكو» هذا المفهوم معالجة مستفيضة في الباب الرابع والأخير من كتابها حول

(١) ينظر: السياق والنص الشعري، ص ٥٧. وينظر: الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مقاربة تداولية، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، نادي أبها الأدبي/ الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ص ٦٥.

(٢) ينظر: السياق والنص الشعري، لعلي آيت أوشان، ص ٥٩. أيضاً: المدارس اللسانية المعاصرة، لنعمان بوقرة، ص ١٨٨ و ١٨٩.

(٣) ينظر: الأسلوبية والتداولية، مداخل لتحليل الخطاب، لصابر محمود الحباشة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ٥٧.



التداولية؛ فقد رأت أن مقارنة مفهوم السياق في اللسانيات التداولية يمكن أن يسفر عن محاولتين اثنتين من منظورين مختلفين:

المحاولة الأولى: تقوم على نظرة غير شكلية وكيفية نسبياً، وهي ذات أربعة أنماط من السياقات، وتسميها:

نمطية رباعية الأجزاء: (1)

وتقوم على تمييز:

السياق الظرفي والفعلية والوجودي والإحالي، وهو هوية مخاطبين ومحيطهم الفيزيقي، والمكان والزمان اللذان يتم بهما الغرض، وكل ما يندرج في الدراسة الإشارية، من هنا كان موضوع التداولية، عند «بارهيل» و«مونتاك»، هو السياق وما يحويه من أفراد موجودين في العالم الواقعي.

ملاحظة: نبحت هنا من داخل العمل ذاته (وليس كشخص يفحص العمل من خارج النص)، يمكن تحديد موضوع الإحالة، إذ تتدخل مظاهر أخرى للسياقية وخاصة (س) و(د) كما بين ذلك «جاك»، بمثال الحوار خلال تقصي الإحالة.

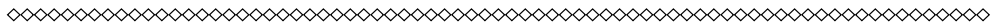
السياق الموقفى أو التداولي: ونعبر هنا من شيء فيزيقي خالص إلى شيء وسيط ثقافياً، ويتميز «الموقف» بالاعتراف به اجتماعياً كمتضمن لغاية أو غايات، وعلى معنى ملازم، تتقاسمه الشخصيات المنتمية إلى الثقافة نفسها، وبهذا تدرج الممارسات الخطابية في مواقف محددة ضمناً تارة، وتارة من خلال إعلان خاص، وتكون الأقوال المعلنة، غير لائقة فيما يظهر.

وكمثال على السياقات الموافقية: إحياء احتفال كنائسي، والمزايدة على أعمال، والمناقشة بين برلمانيين في جلسة علنية، والمغازلة، والمداعبات الرديئة بين الأصدقاء.. والمساومات الإفريقية، والتحدث بسر ما في الأذن.

السياق المتداخل الأفعال: ويقصد به تسلسل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات، إذ يتخذ المخاطبون أدواراً تداولية محضة، هي الاقتراح والاعتراض، والتطبيق، ويستدعى فعل لغة ما فعلاً آخر، إلا أنه يخصص بحسب بعض العوائق المقطعية، لأن تسلسل أفعال اللغة قضية منتهية.

السياق الاقتضائي: ويتكون من كل ما يحدس به المخاطبون من اقتضاءات، أي من اعتقادات، وانتظارات، ومقاصد.

(1) المقاربة التداولية، لفرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986م، ص 48 و 49.



ويكون السياق الاستيمولوجي للاعتقادات، بالمعنى الدقيق الذي يعرفه «ستالناكر»، ويأخذ عنه «فرانيس جاك» مشتركاً بين المخاطبين.

ملاحظة: يزود السياق الواقفي مقاييس الدقة الثقافية (ومن غير اللائق القول هنا عن طفل بأنه جميل، خوفاً من أن تصيبه العين الشريرة، كما أنه من غير اللائق المطالبة بتخفيضات، ومن غير اللائق القيام بمشترى ما، دون المطالبة بالتخفيض).

المحاولة الثانية: وتقوم هذه المحاولة على منظور موحد للسياق، ينضم إلى العوالم الممكنة انطلاقاً من معالجة شكلية وتوسيعية للتداولية.

المفهوم الموحد: مجموع السياق («ستالناكر» و«جاك»):^(١)

تبنى «ستالناكر» و«جاك» تعريفاً للتداولية مفاده أن التداولية هي دراسة خضوع القضايا للسياق، فالإقتضاء الأولي لهذه التداولية، هو وجود مفهوم بسيط ووحيد للسياق، لأن السياق الذي تخضع له الجمل هو الذي يستعمل في تحليل أفعال اللغة، والذي يعبر من خلاله عن قواعد منطق المحادثة.

من هنا يسمح المفهوم الموحد للسياق بنمو تداولية محضة، يكون موضوعها هو معالجة ما يعود في اللغات الطبيعية إلى الشروط العامة للتواصل.

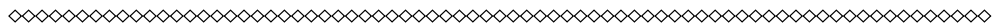
تطور السياق مع تطور الخطاب في الآن نفسه، يغير كل فعل لغة السياق، إذ تكلف المسألة المخاطب مثلاً بالجوانب، هذا الجواب الذي يستدعي الاعتراض، ويؤثر السياق في غرض القول بتعديله، لأن السياق هو أثر أفعال اللغة السابقة، وسبب أفعال اللغة اللاحقة.

دقة مفهوم السياق وقوته استناداً إلى مفهوم العالم الممكن.. فسيمائية العوالم الممكنة إطار يلائم التداولية ويتعلق الأمر هنا، بتوسيع تعاقب العوالم خارج العالم الواقعي.

وهكذا يكون في إمكاننا تطبيق قيم الحقيقة على الملفوظات الصيغية لـ: «من الضروري أن (ب) حقيقي في كل كذا...».

والشيء نفسه فيما يخص الاعتقادات، ويعتقد «فلوسي Flossie» بأن (ب) حقيقي في كل كذا... وينسجم مع اعتقادات «فلوسي»، ومن ثم تعرف القضية كمجموع خاص لكذا... إذ أن المضمون القضوي حقيقي مادامت القضية هي وظيفة، لها كمجموع لانطلاقها.. وكمجموع لوصولها قيم حقيقية. حقيقية وخاطئة تدفع إلى التطبيق.. وهذا يعني أنه للتعبير عن قضية من اللازم التمييز بين الإمكانات، وهذه القدرة أساسية عند المكلم لأن مجموع العوالم الممكنة الدقيقة في وضعية ما هي مجموع السياق.

(١) المقاربة التداولية، لفراسواز أرمينكو، ص ٤٩ و ٥٠.



ويظهر من خلال ما سبق أن العناية بالسياق والتنظير له بوصفه محدداً أساسياً من محددات المعنى، قد تبوأ مكانة مرموقة في المقاربات التداولية المختلفة انطلاقاً من تشغيلها لمصطلح السياق بمفهومه الواسع، وقد ساعد في ذلك تبلور مفهوم السياق في علم الدلالة الوصفي، الذي يتجاوز دراسة العناصر اللغوية إلى دراسة العناصر غير اللغوية أي يتناول أيضاً المقام المحيط للجملة، وحال المتكلم وحال المخاطب، وطبيعة الموضوع.. وغير ذلك.

نظرية أفعال الكلام.

تأسس الاتجاه التداولي في الدرس اللساني في السنوات الأولى من السبعينيات من القرن الماضي على ما يعرف بنظرية أفعال الكلام «Speechact Theory».

مفهوم أفعال الكلام:

إن الفكرة الأساسية لمفهوم أفعال الكلام نجدها في كتاب «أوستين» كتاب «كيف تنجز الأشياء بالكلام» «فالتلفظ بالصيغة الإنجازية يختلف أساساً عن التلفظ بالعبارة الخبرية (أو الوصفية). وبينما يمكن أن نقيم التلفظ بالعبارة الخبرية والوصفية، ونقدرها حق تقديرها بالنظر إلى الحدود التقليدية من الصدق والكذب فإن الصيغ الإنجازية لا تحتمل صدقاً ولا كذباً»^(١).

وأقام «أوستين» تميزاً بين الأقوال الخبرية والأقوال الإنشائية فالأقوال الخبرية هي أخبار تتمثل مهمتها في وصف الظواهر والمسارات أو حالة الأشياء في الكون، ولهذه الأقوال (أو القضايا التي تعبر عنها) خاصية تتمثل في كونها يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة. أما الأقوال الإنشائية، فليس لها قيمة الحقيقة إذ نستعملها لنصنع شيئاً ما لا لن نقول إن شيئاً ما صادق أو كاذب. فعمل من قبيل «أسمي هذه الباخرة الحرية» أو «أنصحك بالإقلاع عن التدخين» هي أقوال لإنجاز ضرب مخصوص من العمل لا يمكن أن ينجر بشكل آخر.. فالتمييز بين الملفوظ الخبري والملفوظ الإنشائي، مثلما تشكل في الأصل، ينهض على الاختلاف بين قول شيء ما وصنع شيء ما بواسطة اللغة.^(٢)

ويمكن تلخيص فكرة «أوستين» حول الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أفعال فرعية لكل فعل كلامي:^(٣)

أولاً: الفعل القول (فعل التلفظ): ويقصد به عملية النطق بالجملة المفيدة التي تتفق مع

(١) مبادئ التداولية، لجيوفري ليتش، ص ٢٣١. والمصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، لدومنيك مانغونو، ص ٧ وما بعدها.
(٢) لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، لصابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، اللاذقية، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٩٩ و ٢٠٠.
(٣) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، لمحمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٤ و ٣٥. والسياق والنص الشعري، لعللي آيت أوشان، ص ٦٧ وما بعدها.

قواعد اللغة، ويُقسمه «أوستين» إلى ثلاثة أفعال صغرى:

الفاعل الصوتي: وهو مجرد إنتاج أصوات.

الفاعل الانتباهي: وهو إنتاج لكلمات يكون لها رصيد في المعجم وتكون خاضعة لقواعد النحو والتركيب.

الفاعل الإحالي: وهو استعمال هذه الكلمات في معنى معين مع تحديد مراجعها باعتبار أن الدلالة هي المعنى والمرجع حسب «أوستين».

ثانياً: الفعل الإنجازي (غير اللفظي): ويراد به الحدث الذي يقصده المتكلم بالجملة، كالأمر والنصيحة، أي الذي يقوم به المتكلم ويرتبط بالقيمة التي تعطى للملفوظ، أو هو قصد المتكلم من التلفظ.

ثالثاً: الفعل التأثيري (الفعل المترتب عن النطق والتلفظ): وهو التأثير الذي يكون للحدث اللغوي في المتلقي؛ كطاعة الأمر، أو الاقتناع، أو التصديق، أو التكذيب.

وحتى تحقق الأفعال الكلامية نجاحاً في الاتصال اللغوي عمد «أوستين» إلى ربطها بمجموعة من الشروط، تقوم مقام القيمة الصدقية للملفوظ الكلام وجمع «سيرل» هذه الشروط في ثلاث مستويات: (١)

الشروط الأولية: وتتعلق بصلاحيّة وضعيّة المتكلم لأن يصدر ملفوظه، ذلك أنه يجب أن يتوفر على سلطة تخول له إنجاز الفعل، وأن يكون الملفوظ منتجاً في مقام ملائم لفعل التلفظ. الشروط الجدية: وتتعلق بصدق المتكلم في أقواله جاداً في التلفظ بها.

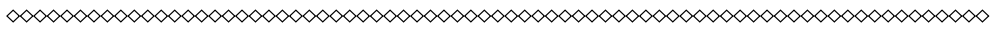
الشروط الأساسية: وهو أن الشخص الذي ينجز خطاباً ما يجب أن يكون مرتبطاً بوساطة خطاب ملفوظة بمقاصد وأفكار واعتقادات، وهو بذلك يكون ملتزماً فيما يقول أو فيما يتلفظ به معبراً عن مسؤولية تجاه صدق القضية التي يفصح عنها.

وأما «سيرل Searle» تلميذ «أوستين» فقد حصر أفعال الكلام في التواصل اللغوي عبر تصنيفه لها في خمسة أنماط أساسية: (٢)

الأفعال الإخبارية أو أفعال الإثبات أو التقرير: وغايتها تتمثل في أن يكون المتكلم مسؤولاً عن

(١) السياق والنص الشعري، لعلي آيت أوشان، ص ٧٢ و٧٣. والاستلزام الحوارية في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، للعايشي أدراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ٩٠.

(٢) مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ص ١٤١ وما بعدها. والمدارس اللسانية المعاصرة، لنعمان بوقرة، ص ١٩٥.



صدق القضية المتكلم عنها، ويكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم.. وتشمل التأكيد، التحديد، الوصف، التقرير.

الأفعال التوجيهية (الأمرات): وغايتها حمل الشخص على القيام بفعل معين، حيث يحاول المرسل أو المتكلم تحقيق هذا الهدف بأساليب الإغراء أو الاقتراح أو النصح، أو العنف والشدة وتشمل: الأمر، النهي، الطلب، السؤال.

الأفعال الالتزامية (الوعديات): وهدفها إلزام المرسل أو المتكلم بأفعال في المستقبل، ويدخل فيها الوعد والوصية.

الأفعال التعبيرية (البوحيات): وتتمثل في التعبير عن حالة نفسية مع عقد النية والقصد، ويشمل الاعتذار، والتهنئة، والشكر، والتعزية، والتأسف، والترحاب.

الأفعال الإعلانية: وهي الأفعال التي غايتها إحداث تغييرات فورية في نمط الأحداث العرفية، ومن أمثلتها أفعال الطرد والإعلام والإقالة من العمل وإعلان الحرب وطقوس الزواج وهكذا فإن نظرية الأفعال الكلامية تعنى بدراسة عناصر العملية التواصلية في أثناء الحديث مع مراعاة طرفيه الرئيسين (المتكلم والمخاطب) ومنزلة كل منهما، والظروف المحيطة بعملية التواصل اللغوي، وهي الظروف النفسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية.. كل ذلك يشكل سياقاً تداولياً متفاعلاً يحقق الهدف التواصلية الإبلاغي بين المتخاطبين.

المبحث الثاني: تداولية أفعال الكلام في صحيح مسلم

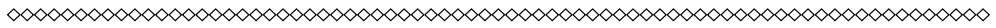
نتناول في هذا المبحث تداولية اللغة في الحديث النبوي من خلال تحليل أفعال الكلام الواردة في بعض الأحاديث في صحيح مسلم، وقد اخترنا هذه المدونة كنموذج لكتب الحديث النبوي الشريف دون غيرها، نظراً إلى اشتغالها على جميع أنواع أفعال الكلام في الخطاب النبوي، وهي إحدى كتب الحديث الأصلية الموثوقة.

الأفعال الإخبارية (التقريرات).

وهي الأفعال التي تصف الواقع الخارجي أو تخبر عنه وهي الأقوال التقريرية، وقد سماها العرب بالأسلوب الخبري أو الخبر^(١) لأنه يحتمل الصدق والكذب لذاته «ومرجع كونه صدقاً أو كذباً عند الجمهور إلى مطابقة ذلك الحكم للواقع أو غير مطابقتة له»^(٢).

(١) قال القزويني: «من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم كقولك زيد قائم لمن لا يعلم أنه قائم وسمى هذا فائدة الخبر وإما كون المخبر عالماً بالحكم كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك زيد عندك، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر»، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ص ١٢.

(٢) مفتاح العلوم، للسكاكس، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، د.ط، د.ت، ص ٩٤.



ومن الأحاديث النبوية التي اشتملت على الأفعال التقريرية الإخبارية حديث «إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

إن هذا الحديث يصنف ضمن الإخباريات والتي تستلزم استحضار المتكلم لشواهد وبراهين تصدق ما يقوله أو ما يرغب بتبليغه؛ فهذا هو النبي ﷺ يشبه الناس بالأرض، ويشبه العلم بالغيث، والناس يعرفون عمل الغيث إذا نزل على الأرض، وما من شك أن الفعل الكلامي للبني ﷺ يتوفر على الشروط الأولية ليكون فعلاً كلامياً ناجحاً من وجهة نظر «أوستين» و«سيرل»؛ فمستوى الشروط الأولية هو واحد من الشروط الواجب توفرها لمقام الصدقية لملفوظ الكلام^(٢). فالفعل الكلامي النبوي يصدر عن شخص له صلاحية وسلطة تخولانه إنجاز هذا الفعل؛ فهو هنا في مقام المعلم والمرشد، وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، كما أنه عالم بأحوال المدعويين من أفراد أمته ويتضح ذلك من خلال ما أورده صلى الله عليه وسلم من تصنيف للناس إلى ثلاث درجات في تقبلهم للعلم:

الدرجة الأولى: من تقبل ما جاء به النبي ﷺ من علم وعلمه غيره، فيكون الفعل الكلامي النبوي قد حقق أثره في المخاطبين.

الدرجة الثانية: من تقبل ما جاء به النبي ﷺ فانتفع به، لكنه لم يتفقه فيه، ومن ثم قل اجتهاده في العمل به.

الدرجة الثالثة: من لم يتقبل الهدى والعلم الذي جاء النبي ﷺ، فلم يعمل به ولم ينقله إلى غيره، وهؤلاء هم أسوأ الناس.

ومن الأحاديث النبوية التي اشتملت على الأفعال الإخبارية بشكل أكبر حديث حذيفة قال «حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: «ينام الرجل النوم فتقبض الأمانة منقلبه فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النوم فتقبض

(١) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم، دار الفد الجديد، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠١٢م، ص ٨٢٠ برقم ٢٢٨٢.

(٢) ينظر: السياق والنص الشعري، لعلي آيت أوشان، ص ٧٢.

الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المُجَلِّ كجمر دحرجته على رجلك فنفض فتراه منتبراً وليس فيه شيء» ثم أخذ حصى فدحرجه على رجليه «فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعتقه وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»^(١).

في هذا الحديث النبوي تقرير لحقيقة بالغة وهي نزول ثم رفع الأمانة من الأمة، وحذيفة راوي الحديث يذكر أنه رأى في واقع المؤمنين في زمن الرسالة والنبى بين ظهرانيهم.. رأى المشهد الأول وهو نزول الأمانة وقد تمثل ذلك في نزول القرآن والسنة. وأما المشهد الثاني وهو رفع الأمانة فقد أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما لم يشهده حذيفة رضي الله عنه في حياته.

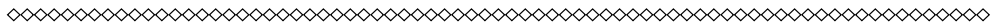
إن الغرض القصدي للنبي ﷺ من سرده لمشهد رفع الأمانة من الأمة هو التنبيه على عظمة القرآن والسنة، والإيمان بهما وتمثلهما على الوجه الحقيقي، والعمل بأحكامهما في سائر المعاملات بين الناس.

فالفعل الكلامي الإنجازي الاخباري النبوي «...يقال: إن في بين فلان رجلاً أميناً...» قد تحقق هنا على هيئة التقرير من خلال تثبيت حقيقة رفع الأمانة في معاملات الناس بعضهم بعضاً في آخر الزمان، فيصير من النادر الشاذ العثور على رجل أمين.

والفعل الكلامي النبوي مطابق للواقع، يصف بصدق ما سيؤول إليه حال الأمة في آخر الزمان، ومطابقتها للواقع شرط من شروط نجاحه بحسب قواعد «أوستين» و«سيرال».

ومن الأحاديث النبوية التي اشتملت على أفعال إنجازية تقريرية حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني، عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم

(١) صحيح مسلم، لإمام مسلم، ص ٦٧، برقم ١٤٢.



من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».^(١)

يتناول هذا الحديث شرحاً لمراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان؛ فمرتبة الإسلام تتعلق بالأعمال الظاهرة، ومرتبة الإيمان تتعلق بالأعمال الباطنة، وأما المرتبة الثالثة فتتعلق بإتقان المرتبتين على درجتين: عبادة الرغبة وعبادة الرهبة.

كما بين الحديث بعض الأحداث بين يدي قيام الساعة حيث يكثر الجهل ويعم المال ويستشري العقوق ويتناول الجهال بالبنيان.

اشتمل الحديث على جملة من الأفعال الإنجازية المباشرة منها الأفعال الإنجازية التي أخبر بها الصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب وتتمثل في جمل:

(إذ طلع علينا رجل)

(شديد بياض الثياب)

(شديد سواد الشعر)

(لا يرى عليه أثر السفر)

(لا يعرفه منا أحد)

(حتى جلس إلى النبي)

(فأسند ركبتيه إلى ركبتيه)

(وضع كفيه على فخذي).

وقد وظف المتكلم وهو سيدنا عمر بن الخطاب أفعالاً إنجازية قوية تمثلت في صيغ الماضي من أفعال (طلع، جلس، أسند، وضع، قال).

ومن الأفعال الإنجازية التقريرية المباشرة التي وظفها النبي صلى الله عليه وسلم، الأفعال

الدالة على التأكيد في عدة جمل:

(أن تشهد أن لا إله إلا الله)

(وأن محمداً رسول الله)

(تقيم الصلاة)

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ص ٢٧، برقم ٠٨.

تؤتي الزكاة)

(تصوم رمضان)

(تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً).

ثم ختم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بفعل كلامي ذي قوة إنجازية حرفية، تضمنت
توظيف الأداة التوكيدية «إن» في قوله (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).

لقد أضافت آلية التوكيد هنا قوة إنجازية تقريرية لقول النبي صلى الله عليه وسلم، الأمر
الذي تولد عنه فعل تأثيري حقق القصد من الخطاب وهو تعلم الصحابة وأخذهم مبادئ دينهم
عن رسولهم.

(الأفعال التوجيهية (الأمرية)).

وهي الأفعال التي يحاول من خلالها المتكلم توجيه المستمع إلى القيام بعمل ما، وهي أفعال
طلبية تهدف إلى إحداث التأثير عبر إستراتيجية التوجيه والتكليف لفعل شيء ما أو الكف عنه أو
التخير فيه.

فمن الأحاديث النبوية التي اشتملت على الأفعال التوجيهية حديث علي بن أبي طالب رضي
الله عنه قال: «إذا حدثتكم عن رسول الله فلا ن أحر من السماء أحب إلى من أن أقول عليه ما لم
يقُل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج في
آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقول من خير قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز
حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم
أجر لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»^(١).

في هذا الحديث بيان لصفات الخوارج وهم قوم يسعون في الأرض فساداً، في الحديث أيضاً
دليل على أن قتلهم فيه أجر لمن قتلهم يوم القيامة.

وظف النبي ﷺ الفعل الإنجازي التوجيهي «اقتلوهم» وهو فعل إنجازي توجيهي قوي، يستمد
قوته الإنجازية من تحقق عناصر محددة في الخطاب، تكوّن دلالاته وهي: العلو والاستعلاء والإرادة
وصيغته الأصلية في التركيب اللغوي هي فعل الأمر^(٢).

فالموقف اللغوي لتركيب الفعل التوجيهي في الحديث ينبي من عناصر:

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ص ٢٥٥، برقم ١٠٦٦.

(٢) يعرف البلاغيون الأمر على أنه: «طلب حدوث الفعل من المخاطب، مع استعلاء المتكلم» علم البيان بين النظريات والأصول،
لديزيرة سقال، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٥١.

الأمير: وهو النبي صلى الله عليه وسلم، مع ما هو معروف عنه من علو درجته فهو النبي المرسل من قبل ربه لهداية الناس.

المأمور: وهو الصحابة وسائر المؤمنين.

المأمور به: وهو الفعل الذي يُطلب حصوله وهو هنا فعل «القتل» للخوارج، وقد جاء مقروناً بوعده وهو قوله «فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم»؛ لقد جاء هذا الوعد مؤكداً «بإين» التوكيدية، وهو ما يعبر عن الرغبة النبوية الملحة بأن يكون الخطاب محققاً لهدفه، وأن إرادته صلى الله عليه وسلم التي انطوى عليها هذا الخطاب هي الدافع الحقيقي في تحقيق الفعل لإنجازيته وتأثيره لدى المخاطبين.

ومن الأحاديث النبوية التي حوت أفعالاً إنجازية توجيهية حديث أبي سعيد الحذري رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(١).

يأمر النبي ﷺ - في هذا الحديث - كل مسلم رأى منكراً فعلياً تغييره بما يستطيع تدرجاً من اليد مروراً باللسان، وانتهاءً بکراهية المنكر بالقلب وهو أضعف الإيمان؛ فإذا لم يستطع المسلم تغيير المنكر باليد أو باللسان، فليس عليه التخلي عن الإنكار والكراهية القلبيين.

إن الفعل التوجيهي المباشر (فليغيره) قد أفاد في هذا الحديث دلالة الفورية في تنفيذ التغيير، ولا مجال فيها للتراخي والانتظار أو الاستسلام، وقد دلت على ذلك القرينة اللفظية وهي «الفاء».

فحتى يتحقق الفعل التأثيري للفعل التوجيهي النبوي لا بد من استجابة المسلم بالتصرف الإيجابي في حال رؤية المنكر، وذلك بأن يسعى لتغييره باليد أو باللسان حفاظاً على المعروف من أن يُمس أو يُنتهك.

ولكن إذا لم يمكنه ذلك مخافة حصول منكر آخر أو إلحاق ضرر بنفسه أو بغيره.. فلا أقل في هذه الحال من أن ينكر ذلك المنكر بقلبه، «وليس هذا موقفاً سلبياً من المنكر - كما يلوح في بادئ الأمر - وتعبير الرسول ﷺ بأنه تغيير دليل على أنه عمل إيجابي في طبيعته؛ فإنكار المنكر بالقلب معناه احتفاظ هذا القلب بإيجابيته تجاه المنكر، إنه ينكره ويكرهه ولا يستسلم له، ولا يعتبره الوضع الشرعي، الذي يخضع له ويعترف به، وإنكار القلوب لوضع من الأوضاع قوة إيجابية لهدم هذا الوضع المنكر، ولإقامة الوضع «المعروف» في أول فرصة تسنح، وللتربص بالمنكر حتى

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ص ٤١، برقم ٤٩.



تواتي هذه الفرصة، وهذا كله عمل إيجابي في التغيير، وهو على كل حال أضعف الإيمان، فلا أقل من أن يحتفظ المسلم بأضعف الإيمان؛ أما الاستسلام للمنكر؛ لأنه واقع، ولأن له ضغطاً - قد يكون ساحقاً - فهو الخروج من آخر حلقة، والتخلي حتى عن أضعف الإيمان»^(١).

وحتى إن كان الفعل الإنجازي التوجيهي النبوي (فليغيره) - بصيغة الأمر - يهدف إلى تحقيق الفعل التأثيري ولو في أدنى مراتبه وهو الإنكار القلبي.. ولكنه من وجهة نظرنا يحمل قوة إنجازية أخرى مستلزمة وهي النهي^(٢) عن التفاضي عن رؤية المنكر.

الأفعال الالتزامية (الوعديات).

وهي الأفعال اللغوية الدالة على التعهد أو الوعد.. أي التي يتعهد فيها المتكلم بفعل شيء ما فليزِم نفسه به، وألفاظه مثل: أقسم، أتعهد، أعد.. وغيرها، وفي هذه الأفعال الإلزامية تتحقق الشروط التي حددها «سيرل» والتي تضمن للأفعال المتضمنة في الأقوال النجاح في الاتصال اللغوي وتجنبها الإخفاق وهي:^(٣)

الشروط الأولية: وتتعلق بصلاحيّة وضعيّة المتكلم لأن يصدر ملفوظه، ذلك أنه يجب أن يتوفر على سلطة تخول له إنجاز الفعل، وأن يكون الملفوظ منتجاً في مقام ملائم لفعل التلطف.

الشروط الجديّة: وتتعلق بصدق المتكلم في أقواله جاداً في التلطف بها.

الشروط الأساسية: وهو أن الشخص الذي ينجز خطاباً ما يجب أن يكون مرتبطاً بوساطة خطاب ملفوظة بمقاصد وأفكار واعتقادات، وهو بذلك يكون ملتزماً فيما يقول أو فيما يتلفظ به معبراً عن مسؤولية تجاه صدق القضية التي يفصح عنها.

ومن الأحاديث النبوية التي اشتملت على الأفعال الإلزامية حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنت الذي تقول ذلك؟» فقلت له: قد قلت يا رسول الله فقال رسول الله: «فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنه بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر» قال: قلت: فإنني أطيق أفضل من ذلك، قال: «صم يوماً وأفطر يومين» قال: قلت: فإنني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: «صم يوماً وأفطر يوماً ذلك صيام داوود عليه السلام وهو أعدل الصيام» قال: قلت فإنني أطيق أفضل من ذلك، قال رسول الله: «لا أفضل

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢/٩٥١.

(٢) النهي عند البلاغيين هو طلب الكف عن شيء، ممن هو أقل شأناً أي على وجه الاستعلاء ينظر: علم البيان بين النظريات والأصول، لديزيرة سقال، ص ٥٣.

(٣) السياق والنص الشعري، لعلي آيت أوشان، ص ٧٢ و٧٣.

من ذلك»^(١).

لقد وردت في الحديث الأفعال الإلزامية الوعدية في ملفوظات الجمل:

(لأقومن الليل).

(لأصومن النهار).

(إني أطيق أفضل من ذلك) تكررت ثلاث مرات

وهي أفعال ألزم الصحابي سيدنا عمرو بن العاص.. ألزم نفسه بها بأن يحققها طوال حياته، وتكمن القوة الإنجازية في هذه الأفعال في اشتغالها على:
القسم: (لأقومن) (لأصومن)، وهذا القسم دليل إنجاز هذا الفعل الإلزامي وتحقيقه في المستقبل.

التوكيد «بان»: (إني أطيق)، فقد أكد الصحابي عمرو بن العاص فعله الكلامي بمؤكّد (إني) فأضافت آلية التوكيد هذه مفهوماً دلاليّاً موسعاً للفظة (أطيق)، فأصبحت هذه الطاقة ومقدارها أمر لا يدركه سوى عمرو بن العاص وحده، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم هنا هو في مقام المعلم لدين ربه، الذي يحض على الاعتدال في العبادة وفي الحياة، فلا بد من إعطاء كل ذي حق حقه، دون إفراط أو تقريط

ومن الأحاديث النبوية التي حوت أفعالاً التزامية وعدية حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو كأنما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي»^(٢).

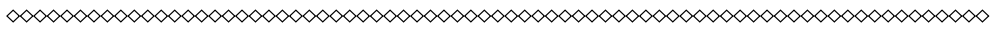
هذا الحديث يتضمن وعداً من الرسول ﷺ أن من رآه في المنام فسيراه في اليقظة أو كما قال كأنما رآه في اليقظة، وقد اختلف العلماء في معنى الحديث، جاء في شرح العلامة الزرقاني على كتاب المواهب اللدنية: «... وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة) بفتح القاف، رؤية خاصة بصفة القرب منه.

قال الدماميني: وهذه بشارة لرائيه بالموت مسلماً، لأنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة، باعتبار القرب منه إلا من تحقق موته على الإسلام»^(٣).

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ص ٢٨٨ برقم ١١٥٩.

(٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ص ٨٢٥، برقم ٢٢٦٦.

(٣) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية ببلانح المحمدية للقسطلاني، للإمام أبي عبد الله محمد الزرقاني، ضبط وتصحيح: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ٧/٢٧٧.



تلك الرؤية الخاصة -يوم القيامة- التي سيرها من رأى النبي ﷺ في منامه في الدنيا تمثل وعداً من النبي قطعه على نفسه لمن رآه في المنام ومات على الإسلام؛ فالوعد هو فعل كلامي غير مباشر (فسيراني)، والسين هنا كما يقول النحاة «...حرف يختص بالمضارع؛ ويخلصه للاستقبال.. يفيد الوعد بحصول الفعل؛ فدخلها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه، وقد أوماً إلى ذلك في سورة البقرة فقال: ﴿فسيكفيهم الله﴾ (الآية ١٣٧) ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين»^(١).

وباستعمال النبي صلى الله عليه وسلم للفعل القولي (فسيراني) الذي هو فعل إنجازي تضمن دلالة الوعد بالرؤية الخاصة، فقد أخذ على عاتقه تحقيق هذا الوعد، ليجعل العالم -في المستقبل- ملائماً لكلمات الفعل ومطابقاً لها.

الأفعال التعبيرية (البوحيات).

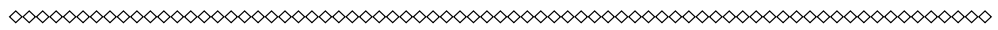
الأفعال التعبيرية هي إحدى أصناف الأفعال الكلامية التي تختص بالتعبير عن الحالة النفسية في مقامات معينة كالرضا والغضب والسرور والألم.. من تلك الأفعال: التهنئة، المواساة، الشكر، الاعتذار، الشوق، الغضب وغير ذلك.

ومن الأحاديث التي حوت أفعالاً تعبيرية حديث أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأطعمته ثم جلست تقلي رأسه فتنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة يشكُّ أيهما قال» قالت: فقلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم فدعا لها، ثم وضع رأسه فتنام، ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله، قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله» كما قال في الأولى قالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: «أنت من الأولين»^(٢).

إن الفعل الكلامي في الحديث يمكن تصنيفه ضمن التعبيرات، فقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بأمرين:

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: محمد الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة الصادق للمطبوعات، د.ط، د.ت، ج/١٢٨ و١٢٩. وأيضا الكشاف، للزمخشري، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢٨-١٤٢٩م/٢٠٠٨م، ج/١، ٢١٥.

(٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ص ٧٠٢، برقم ١٩١٢.



أولاً: الضحك وهو حركة جسمية مع إصدار صوت القهقهة الخفيفة تظهر معها الأسنان الأمامية، وهذا فعل لغوي غير مباشر يعبر عن انفعال نفسي بأمر سر النبي ﷺ.

ثانياً: فعل كلامي مباشر وهو مضمون الخير الذي أجاب به عن سؤال أم حرام وهو سؤالها له: ما يضحكك يا رسول الله؟

ومضمون الخبر الذي ذكره صلى الله عليه وسلم هو قوله: «ناس من أمتي عرضوا علي...». إننا نتصور أن هذا الإخبار كان بلا شك مصحوباً بانفعال نفسي وهو سروره صلى الله عليه وسلم بما رآه في منامه، وبعث على ارتياحه لمستقبل هذا الدين ونصرتة في المستقبل.

فالغرض الإنجازي للفعل الكلامي هنا هو سرور النبي صلى الله عليه وسلم بالرؤيا التي رآها، وقد تضمن فعلاً كلامياً آخر هو تهنئته لأم حرام وتبشيرها لها بأنها من جملة أولئك القوم وأنها من الأولين، وهو ما تم بالفعل.

ومن الأحاديث النبوية في هذا الباب حديث أنس بن مالك قال: «... قال: لقد رأيتُه^(١) وهو يكيّد بنفسه^(٢) بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله فقال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»^(٣).

يتمثل الفعل الكلامي هنا في عبارة «قدمت عينا رسول الله» وذلك حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل ابنه بين يديه وهو في النزع؛ فقد حققت تلك العبارة فعلاً إنجازياً تمثل في انفعالات الحزن التي ظهرت على ملامح النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يودع فلذة كبه إبراهيم.

الأفعال الإعلانية (الإيقاعات).

تعدُّ الأفعال الإعلانية واحدة من الأفعال الكلامية في الخطابات، والغرض منها إحداث تغيير ما في الوضع القائم بمجرد الإعلان والتصريح بها.

وقد وعى النبي ﷺ أهمية الإعلان في الاتصال اللغوي بينه وبين الناس، وبشكل عام بين الداعي إلى الله وبين المدعويين فقال في حديث حجة الوداع: «... فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعنَّ بعدي كفاراً، أو ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغنَّ الشاهد الغائب

(١) يقصد إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) يكيّد بنفسه أي: عند نزح روحه وموته، ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ج ٢/ ٧٦٤ (ك ي د).

(٣) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ص ٨٢٩، برقم ٢٣١٥.

فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال «ألا هل بلغت...»^(١).

فعبارة... ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه» دلت على أن إحداث التأثير والتغيير الذي يستهدفه دعاة الإسلام في دنيا الناس لا يمر إلا عبر قناة اللغة بوصفها نظاماً يعبر عما للإنسان من أفكار ومواقف، هذه الأفكار والمواقف تتضمن «حججاً ظنية إقناعية موجبة للتصديق بمقدمات مقبولة»^(٢).

فوظيفة الإعلان أو الأفعال الإعلانية في الأحاديث النبوية تكمن في الإخبار من خلال اللغة، وكذا التأثير والإقناع أيضاً من خلال اللغة، ولا شك أن ما ورد في الحديث السابق من كلام للنبي صلى الله عليه وسلم قبل خطاب الإعلان وكذا السياق العام للخطاب، بوصفه خطاب الحجّة الآخرة.. كل ذلك كان محملاً بشحنات عاطفية وانفعالية غاية في القوة أحدثت تأثيراً عميقاً في نفوس وأفئدة السامعين، وأدركوا معها أهمية تبليغ رسالة النبي إلى من يأتي بعده من المؤمنين.

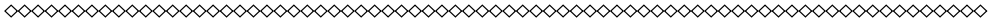
المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، للزمخشري، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الأسلوبية والتداولية - مدخل لتحليل الخطاب، لصابر محمود الحباشنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠١١م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
- الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية - مقارنة تداولية، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، نادي أبا الأدبي/ الانتشار العربي، السعودية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، للعياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠١١م.
- السياق والنص الشعري - من البنية إلى القراءة، لعلي آيت أوشان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٠م.
- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني، للإمام أبي عبد الله الزرقاني، ضبط وتصحيح: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ص ١١٢، برقم ١٦٧٩.

(٢) فتح القدير، للإمام الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج ٢/٢٥٥.

- صحیح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم، دار الغد الجديد، القاهرة، ط ١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- علم البيان بين النظريات والوصول، لذييزة سقال، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط ١٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- فتح القدير، للشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- الكشاف، للزمخشري، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق وتعليق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- لسانيات الخطاب - الأسلوبية والتلفظ والتداولية، لصابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، اللاذقية، ط ١، ٢٠١٠م.
- المصباح المنير، للفيومي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- مبادئ التداولية، لجيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، ٢٠١٣م.
- مقدمة إلى علم الدلالة الأسنني، لهريبرت بركلي، ترجمة: قاسم المقداد، وزارة الثقافة (دمشق) سورية، ط ١، ١٩٨٧م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، لدومنيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، د.ط، د.ت.
- المدارس اللسانية المعاصرة، لنعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- المقارنة التداولية، لفرانسواز ارمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرياض، ١٩٨٦م.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، لمحمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.
- مفتاح العلوم، للسكاكي، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، د.ط، د.ت.
- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة الصادق للمطبوعات، د.ط، د.ت.



د هاشم بن علي الأهدل
كلية الحرم المكي الشريف - مكة المكرمة

دلائل النبوة المستنبطة من رسائل النبي ﷺ للملوك والأمراء (في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين ﷺ.

أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى كثير من الدلائل والعلامات التي تبين صحة نبوة
رسول الهدى وخاتم النبيين، محمد بن عبد الله ﷺ، وكتب العلماء في القديم والحديث الكثير
والكثير عن هذا الموضوع، ومع ذلك تتجدد الحاجة لإبراز تلك الدلائل والعلامات، وخاصة في
هذا العصر الذي طغى فيه الجانب المادي، وانتفش الباطل، وظهرت الشكوك والشبهات، لدى ثلة
قليلة من أبناء الجيل.

وفي هذه الورقات نقف مع جانب من سيرته عليه الصلاة والسلام، يتصل بالمخاطبات
والرسائل التي أرسلها نبينا عليه الصلاة والسلام للملوك والأمراء في عصره، ومن خلال التأمل
فيها نستعرض شيئاً من تلك دلائل نبوته، في ضوء آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة المطهرة.

أهمية الموضوع

تعلقه بسيرة أشرف إنسان وأفضل نبي، هو نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

اعتماده على النصوص الثابتة من كتاب الله وسنة نبينا ﷺ.

حاجة البشرية اليوم، لمعرفة الأدلة والبراهين على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ.

أهداف الموضوع

إبراز الأدلة والبراهين على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ من خلال المخاطبات والرسائل

النبوية.

الرد على المشككين وناشري الشبهات والأراجيف عن نبوة نبينا محمد ﷺ.
ترسيخ اليقين وتثبيت العقيدة الصحيحة حول نبوته عليه الصلاة والسلام.
ويتكون البحث من عنصرين رئيسيين، هما:

المبحث الأول: الدلائل العامة المستنبطة من المكاتبات والرسائل النبوية.
المبحث الثاني: الدلائل الخاصة المستنبطة من المكاتبات والرسائل النبوية.

تمهيد

اقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل الرسل والأنبياء لشعوب الأرض، يدلونهم على الهدى ويبينون التوحيد. ولكل أمة نبي خاص بهم، ورسالة خاصة بهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ (النحل: ١٣٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)، قال ابن كثير: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذر، وأزاح عنهم العلل^(١).

أما نبينا محمد ﷺ فقد كانت رسالته عامة لكل الأرض، فهو خاتم الأنبياء، ولا نبي بعده، ورسالته خاتمة الرسالات، قال ﷺ: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْفَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ)^(٢). . وقد بذل نبينا عليه الصلاة والسلام غاية جهده لتبليغ الرسالة، لجميع الناس، وفي كل الأمكنة والمواقع، خلا سني حياته الشريفة، وبمختلف الوسائل والأساليب.

والله سبحانه وتعالى أيد رسله بدلائل ومعجزات تدل على صدقهم، وتبين عدم كذبهم. ولكل منهم دليل، فتبى الله إبراهيم جعلت له النار برداً وسلاما، وعصا موسى عليه السلام تلقف ما يأفك السحرة، وعيسى عليه السلام يحي الموتى بإذن الله. أما نبينا محمد ﷺ فدلائل نبوته متعددة ومتنوعة، فمنها المعجزات التي رآها أصحابه، ومنها أخبار الأمم السابقة، ومنها الأخبار

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة، عدد الأجزاء: ٨. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢٠١٤، ج ٦ ص ٥٤٢.

(٢) صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٥٠. بيروت: دار إحياء التراث العربي. رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم ٥٢٢.

الغيبية المستقبلية، لكن أعظم هذه الدلائل هو القرآن الكريم.

وفي سبيل تبليغ الدين، بذل عليه الصلاة والسلام أقصى ما يستطيع، واتخذ الوسائل والأساليب الممكنة، ولم يأل جهدا في ذلك. ومن ضمن تلك الوسائل الخطابات والمكاتبات التي أرسلها نبينا محمد ﷺ للملوك والرؤساء المعاصرين له، وكان ذلك أحد ثمار صلح الحديبية، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۗ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۗ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾ (الفتح: ١-٢) يقول ابن كثير: «نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. فلما نحر هديه حيث أحصر، ورجع، أنزل الله، عز وجل، هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم، وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه، كما روي عن ابن مسعود، رضي الله عنه، وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية»^(١).

وحيث إن إبراز تلك الدلائل والعلامات، أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، ومساهمة في نصره النبي ﷺ، وسنته، لذا كان من المهم استخدام هذا الأسلوب ونشره عبر الوسائل الثقافية والإعلامية المتنوعة.

ودلائل النبوة هي العلامات والشواهد التي أيد الله بها رسوله الكريم ﷺ، لتدل على صدق نبوته، وصحة ما جاء به، فينقاد له الناس ويؤمنون.

والدلائل متنوعة وكثيرة، فمنها إرهابات ومقدمات حدثت حين مولده وقبل بعثته، من خوارق الأمور وعجائب الأحداث، مثل حادثة أبرهة والفيل، ومنها ما يتعلق بالدول المجاورة قبل إرسال الرسل إليهم، فقد تصدع إيوان كسرى لمولده، وخمدت نار فارس من أجله. ورأت أمه حين ولدته، أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى في الشام. عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، قال: (... دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام)^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ٧ ص ٢٢٥.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٦٠٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني رقم (١٥٤٥).

المبحث الأول

الدلائل العامة المستنبطة من المكاتبات والرسائل النبوية

الدلائل العامة هي الدلائل المستنبطة من المكاتبات والرسائل النبوية: وهي دلائل يشترك فيها الملوك والرؤساء والأمراء المرسل إليهم، أو أغلبهم، ومنها: استشهاده صلى الله عليه وسلم بالمعجزة الخالدة، وبآيات من القرآن الكريم، ومنها قوة الاعتقاد واليقين بنبوته عليه الصلاة والسلام، لدى أتباعه الذين أوصلوا تلك الرسائل للملوك والأمراء. وتشترك كل هذه الرسائل في الدعوة إلى الدين الحق، وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وهو المضمون المحوري الأساس الذي جاءت به الرسل، وهو الدعوة إلى الإسلام، وهذه الدلائل هي:

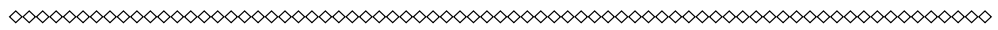
المطلب الأول: تضمينه للآيات القرآنية في تلك الخطابات المرسلة، فالقرآن هو المعجزة الخالدة، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكتاب الذي لا تناقض فيه، ولا شك ولا ارتياب، وقد أعجز الأولين والآخرين، والعرب والعجم، وتفوق على معجزات الأنبياء في مجالات عدة، منها البقاء والاستمرار بعد وفاة صاحب الرسالة، والأسلوب والبيان، والتحدي والإفحام، قال ابن القيم في سياق حديثه عن معجزات الأنبياء: «وأعظمها معجزة كتابٍ باقٍ غصُّ طريٍّ، لم يتغير ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن»^(١).

والاستشهاد بالآيات القرآنية في مخاطبة الكفار، هو من المجاهدة لهم بالقرآن، واثتمار بما أمره به ربه، الذي كلفه بإبلاغ الرسالة للعالمين، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾^(٥١) «فلا تطع الكافرين وجهدهم به جهاداً كبيراً» (الفرقان)، قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: «ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كل مصر ومدينة نذيراً يندرهم بأسنا على كفرهم بنا، فيخفّ عنك كثير من أعباء ما حملناك منه، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة، ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعد الله لك من الكرامة عنده، والمنازل الرفيعة قبّله، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، فتذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدكم بهذا القرآن جهاداً كبيراً، حتى يتقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويدعنوا للعمل بجميعة طوعاً وكرهاً»^(٢).

ومن ناحية أخرى فإن آيات القرآن هي من جنس الكلام الذي أرسله الله للأمم السابقة،

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). المحقق: محمد حامد الفقي. الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٢١٠هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠، ج ١٩، ص ٣٨٠.



فالقرآن والتوراة والإنجيل جميعها كلام الله تعالى، إلا أن نظم وأسلوب القرآن، وتأليفه العجيب يختلف كثيراً عن غيره من الكتب المنزلة، ولهذا أثره في الإيمان بنبوته محمد ﷺ، وذلك لأن «نظم القرآن وأسلوبه له تأثير عجيب على النفوس، فهتم معانيه أم لم تفهم، عربية كانت أم أعجمية، مؤمنة به أم كافرة، ليدرك كل قارئ له أو مستمع له أن هذا ليس من صنيع البشر البتة»^(١).

والقرآن الكريم هو أعظم معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام، وأبين دلائل نبوته، وأبهاها على وجه الأرض، وأدومها إلى آخر الزمان، وبالقرآن يتعرف الناس على الدين الحق، فيعرفون عظمتهم وإعجازه، ويظهر لهم صدق نبوة محمد ﷺ فيتبعونه، قال ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)^(٢).

المطلب الثاني: دعوته صلى الله عليه وسلم لذات الأصل الذي جاء به الأنبياء والرسل السابقون، فدينهم واحد، هو الإسلام، وعقيدتهم لا اختلاف فيها ولا تباين، وهي عقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبادة، وعدم الإشراك في عبادته.

وهم يدعون إلى أصول مشتركة وأسس ثابتة، لا تختلف في حقيقتها وجوهرها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِبين﴾ (النحل: ٣٦)، يقول ابن سعدي: «يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾»^(٣).

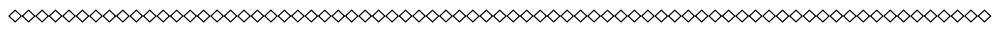
والأنبياء جميعهم كانوا يقولون بلسان واحد: ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٤)، وتفاوتت الأمم في الاستجابة والإذعان، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ (النحل: ٣٦).

(١) في الله شك؟! الدلائل العقلية والنقلية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، د سامية ياسين البديري. الرياض: مركز دلائل، ط١٤٢٧هـ، ص٢٥٧.

(٢) صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، عدد الأجزاء: ٩. القاهرة: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١٤٢٢هـ. رواه البخاري برقم ٤٩٨١، في كتاب بدء الوحي باب كيف نزل الوحي.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٢٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠هـ، ص٤٤٠.

(٤) الأعراف: ٧٢.



المطلب الثالث: شجاعته صلى الله عليه وسلم، وجرأته، حين مخاطبته ﷺ لجبابرة الأرض وعظماء ذلك العصر، بلا خوف ولا وجل، فلم يتردد في الكتابة إليهم، ولم يخش من ردة فعل أولئك الطغاة، أو انتقامهم أو بطشهم، أو إرسال الجيوش إليه لمحاربتة، لأنه كان واثقاً من ربه، ومعيته ونصرته له، يأوي إلى ركن شديد.

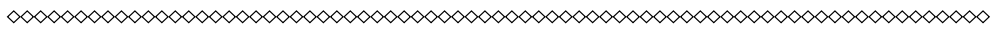
وقد كتب إلى الملوك والأمراء في عصره يدعوهم إلى الإسلام، روي أنس بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى)^(١). وتلك الشجاعة والجرأة من ثمار قوة يقينه بالله واعتماده على مولاه، الذي تكفل بحفظه، وحمايته من أذى الناس، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧)، قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ أي فسيكفي الله رسوله عدوه. فكان هذا وعدا من الله تعالى لنبيه عليه السلام أنه سيكفيه من عانده ومن خالفه من المتولين، بمن يهديه من المؤمنين، فأنجز له الوعد»^(٢).

وكان الملوك والرؤساء يمثلون قادة العالم في ذلك الوقت، «ولكي نشعر بأهمية هذه الرسائل التي وُجِّهت إلى دول وبلاد مختلفة، وملوكها، ومكانتها الصحيحة في التاريخ المعاصر، ووقعها في القلوب والنفوس، يجب أن نتعرّف بهؤلاء الأشخاص الأربعة: «هرقل»، و «كسرى»، و «النجاشي»، و «المقوقس»، وحجم الحكومات التي كانوا يحكمونها. فقد يتصوّر القارئ الذي لم يتسع وقته لدراسة التاريخ السياسي في القرن السابع المسيحي، ولم تتوفر عنده معلومات عن هذه الممالك التي كان يحكمها هؤلاء الملوك، أنّها رسائل وُجِّهت إلى أمراء، أو أقبال يكثر عددهم في كل زمان ومكان، أمّا من عرف مكانة هؤلاء الملوك في الخريطة السياسية في ذلك العصر، واطّلع على تاريخهم وسيرتهم وأخلاقهم، وما كان لهم من حول وطول، وسطوة ورهبة، عرف ضخامة هذا العمل الذي لا يقدم عليه إلا نبيّ مأمور من الله، مكلف بالدعوة، بعيد عن كلّ ظلّ من ظلال الخوف والضعف تجلّى عليه ملكوت السموات والأرض فترأى له هؤلاء الملوك دمي كسيت حلالا ملوكية فاخرة، أو تماثيل لا روح فيها ولا حياة»^(٣).

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، برقم ٧٥، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، ج ٣، ص ١٣٩٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات). القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٢٨٤هـ، ج ٢، ص ١٤٢.

(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ). دمشق: دار ابن كثير، ط: ١٤٢٥ هـ، ص: ٣٩٧.



وهذه الجراءة، تدل دلالة أكيدة على صدقه في دعواه، مع ثقته بنصر ربه، رغم قلة الأتباع، وقلة الإمكانيات المادية والعسكرية، مقارنة بما لدى ملوك فارس والروم.

ومضى عليه السلام قدماً يدعو الناس إلى الإسلام في الداخل الخارج، وقد عصمه ربه من أن يناله أحد بالسوء، ولا يستطيعون قتله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، يقول الماوردي: «فمن معجزاته ﷺ: عصمته من أعدائه وهم الجم الغفير والعدد الكثير، وعصمة الله تعالى له من أذى المشركين»^(١).

المطلب الرابع: موافقته في أصل الدعوة للأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام مما يؤكد نبوته عليه الصلاة والسلام أنه لم يأت لهم بشيء جديد، أو مستغرب عندهم، بل جاء بما يعرفونه من معلومات عن الأنبياء السابقين، مما يوافق الفطرة والأخلاق السليمة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُّ بِي إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله، عن الأنبياء عليهم السلام: «أنهم لا يخبرون إلا بحق، ولا يأمرون إلا بعدل، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويأمرون بمصالح العباد في المعاش والمعاد. لا يأمرون بالفواحش ولا الظلم، ولا الشرك ولا القول بغير علم، فهم بعثوا لتكميل الفطرة وتقريرها، لا تبديلها وتغييرها، فلا يأمرون إلا بما يوافق المعروف في العقول الذي تتلقاه القلوب السليمة بالقبول، فكما أنهم لا يختلفون فلا يناقض بعضهم بعضاً، بل دينهم وملتهم واحد، وإن تنوعت الشرائع فهم أيضاً موافقون لموجب الفطرة التي فطر الله عليها عباده، موافقون للأدلة العقلية لا يناقضونها، بل الأدلة العقلية الصحيحة كلها توافق الأنبياء ولا تخالفهم»^(٢).

والأنبياء شرائعهم متفقة من حيث الأصول، ومختلفة من حيث الفروع، بحسب قال ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات؛ دينهم واحد، وأمهاتهم شتى)^(٣)، قال ابن القيم: «أن النبي ﷺ شبه دين الأنبياء الذين اتفقوا عليه من التوحيد - وهو عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسوله ولقائه - بالأب الواحد لا شريك جميعهم فيه وهو الدين الذي شرعه الله للأنبياء»

(١) أعلام النبوة، الإمام أبي الحسن بن علي الماوردي (ت ٤٥٠هـ). ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الشيخ خالد عبد الرحمن العك. بيروت: دار التفائس، ط ١٤١٤هـ، ص ١٥٨.

(٢) النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، عدد الأجزاء: ٢. الرياض: أضواء السلف، ط ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص ١٠٩١.

(٣) صحيح البخاري، مصدر سابق، برقم ٢٤٤٢، باب قول الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم)، ج ٤، ص ١٦٧.

كلهم... وهذا هو دين الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله، من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ، فهو بمنزلة الأب الواحد، وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف فهي بمنزلة الأمهات الشتى، فإن لقاح تلك الأمهات من أب واحد، كما أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متفق عليه»^(١).

المبحث الثاني

الدلائل الخاصة المستنبطة من المكاتبات والرسائل النبوية

الدلائل الخاصة هي الدلائل المستنبطة من المكاتبات والرسائل النبوية لأولئك الملوك والرؤساء، وهي دلائل ظهرت من خلال الخطابات الخاصة التي أرسلت لكل منهم، ومنها: شهادة هرقل صراحة بصدق النبي محمد ﷺ، ونفي الكذب عنه، ومنها التذكير بعقيدة عيسى الموافقة لعقيدة نبينا ﷺ.

لم تكن خطابات النبي ﷺ للملوك والرؤساء، على صورة واحدة، فهي وإن كانت متشابهة المضمون، لكنها مختلفة العبارات والأساليب، وفي كل منها إشارات ودلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي كما يلي:

المطلب الأول: الخطاب المرسل لهرقل

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإنني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتلك الله أجره مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤))^(٢).

أ - أهم دلائل النبوة من ذات الخطاب المرسل إلى هرقل

١ - التأكيد على عبادة الله وتوحيده، باستشهاد ﷺ بالآية الكريمة، قال ابن كثير: « هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

(١) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). عدد الأجزاء: ٤. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت. ج ٢ ص ٢٠١.

(٢) صحيح البخاري، مصدر سابق، في كتاب الوحي باب كيف كان بدء الوحي، برقم ٧، ج ١ ص ٨.

اللَّهِ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ﴿١﴾: لا وثنا، ولا صنما، ولا صليبا ولا طاغوتا، ولا نارا، ولا شيئا بل نفرد
العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل»^(١).

وهذه الآية تخاطب هرقل باعتباره من النصارى، الذين يشركون بالله، ويعتبرون عيسى
ابن الله، وخالفوا بذلك أمر الله، «والحكمة في تخصيص هذه الآية بالإرسال إلى هرقل دون
غيرها من الآي أنه نصراني، والنصارى جمعت هذه الأمور الثلاثة عبدوا غير الله وهو عيسى،
وأشركوا بالله فقالوا إنه ثالث ثلاثة، واتخذوا الأبحار والرهبان أرباباً من دون الله، قال الله
تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ﴾ (التوبة: ٣١)»^(٢).

٢- علمه صلى الله عليه وسلم بالأريسيين، وكانت فرقة معتنقة للتوحيد الخالص
والأريسيون أو الأروسيين، «هم أتباع عبد الله بن أريس رجل في الزمن الأول بعث الله نبيا
فخالفه هو وأتباعه، وقيل هم الأروسيون وهم نصارى أتباع عبد الله بن أروس وهم الأروسية
متمسكون بدين عيسى عليه السلام، لا يقولون إنه ابن، ...، وقيل الملوك الذين يخالفون أنبياءهم،
وقيل الخدمة والأعوان، وقيل المتبخترون وفي مصنف ابن السكّن يعني اليهود والنصارى فسره
في الحديث.

ليس الفلاحون هنا الزارعون خاصة ولكن جميع أهل المملكة لأن كل من زرع هو عند العرب
فلاح تولى ذلك بنفسه أو تولى له ويدل على ما قلناه قوله أيضا في حديث آخر فإن أبيت فانا نهدم
القفور ونقتل الإريسيين وإني أجعل إثم ذلك في رقبتك الكفور القرى واحدا كفر فهذا المعنى
الذي تتسره الأحاديث وبعضه القرآن أولى ما قيل فيه»^(٣).

وقال أبو جعفر الطحاوي: «وقد ذكر بعض أهل المعرفة بهذه المعاني أن في رهط هرقل
فرقة تعرف بالأروسية، توحد الله عز وجل، وتتعرف بعبودية المسيح صلى الله عليه وسلم له عز
وجل، ولا تقول فيه شيئا مما تقوله النصارى في ربوبيته، ومن بنوة، وأنها متمسكة بدين المسيح
صلى الله عليه وسلم، مؤمنة بما في إنجيله، جاحدة لما تقوله النصارى سوى ذلك، وإذا كان

(١) تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ٢ ص ٥٦.

(٢) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري،
شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ). حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد
الرحمن، عدد الأجزاء: ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٥، ج ١ ص ٢٦٨.

(٣) المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، محمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن
عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة (ت ٧٨٢هـ). المحقق: محمد عظيم الدين، عدد
الأجزاء: ٢. بيروت: عالم الكتب. د.ت.، ج ٢ ص ٧٦.



ذلك كذلك جاز أن يقال لهذه الفرقة: الأريسيون، في الرفع ، والأريسيين في النصب والجر، كما ذهب إليه أصحاب الحديث ، وجاز بذلك أن تكون هذه الفرقة التي ذكرها رسول الله ﷺ في حديث عياض بن حمار الذي قد رواه في الباب الذي قبل هذا الباب من كتابنا هذا ، وجاز أن يكون قيصر كان حين كتب إليه النبي ﷺ بما كتب إليه على مثل ما هي عليه، فجاز بذلك إذا اتبع النبي ﷺ ودخل في دينه أن يؤتية الله أجره مرتين ، وجاز أن تكون هذه الفرقة علمت بمكان النبي ﷺ وبدينه قبل أن يعلمه قيصر فلم يتبعوه ولم يدخلوا فيه ، ولم يقرؤا بنبوته، وفي كتاب عيسى ﷺ بشارته به، كما قد حكى الله عز وجل في كتابه وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦) ، فخرجوا بذلك من دين عيسى ﷺ؛ لأن عيسى ﷺ الذي يؤمن به هو عيسى الذي بشر بأحمد لا عيسى سواه، فكتب النبي ﷺ إلى قيصر: «إنك إن توليت فعليك إثم الأريسيين الذين خرجوا من ملة عيسى ﷺ»^(١).

وفي الخطاب تحذيره ﷺ لهرقل من مغبة عدم الرضوخ للإسلام، من حيث تأثر أتباعه ورعاياه من الفلاحين والأريسيين وغيرهم، بأن يتحمل أوزارهم إذا لم يؤمنوا، ويصدهم عن الإسلام، ويتبعوه على كفره وجحوده، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ: ٣١).

وقد يكون صدور هرقل وعدم إسلامه، سبباً في خروج الأريسيين عن طاعته ويثروا على سلطانه، «والرسالة وإن كانت في لهجتها لطيفة، وأعطت هرقل وضعا ومكانا، إلا أنه لا يخفى على أحد التهديد غير المباشر الذي كان فيها، حين قال صلى الله عليه وسلم: (فإن عليك إثم الأريسيين) أي: الأتباع من الفلاحين، فلا يستبعد أبداً أن يسعى الدين الجديد لاكتساب الأتباع الرومانيين المقهورين على طاعة واتباع هرقل وحاشية هرقل»^(٢).

ب- أهم دلائل النبوة من موقف هرقل من الخطاب المرسل إليه

١ - التأكد من صدق النبي ﷺ حتى كاد يسلم.

كان هرقل رجلاً عاقلاً لبيباً، أعمل فكره وعقله، واستفاد من ثقافته وعلمه بأحوال الرسل

(١) شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٢٢١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ وجزء للفهارس). بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤١٥هـ. ج ٥ ص ٢٢.

(٢) السيرة النبوية، راغب الحنفي راغب السرجاني. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. المكتبة الشاملة، ج ٤٣ ص ٤٣.



السابقين وصفاتهم، وحاوور وقارن، وجادل وناقش، ثم تدبر واستتبط، واهتدى إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم مرسل من ربه، وهو صادق في دعواه، وليس بمتقول ولا كذاب. ورغم أن هرقل أوتي ذكاءً، إلا أنه لم يُعط زكاءً، وكانت له دراية وحنكة بالأمم والشعوب، ومع ذلك لم يوفق للصواب، فالرجل فضل ملكه وآثر الحياة الدنيا، ولم يؤمن ولم يستجب لداعي الفطرة والإيمان، حرصاً على منصبه، ورضاً بملكه.

ومن خلال سؤال هرقل لأبي سفيان عن حال النبي ﷺ، أثر ذلك على نظرة زعيم قريش للنبي الذي تعاديه قبيلته، حتى استقر في ذهنه مكانة النبي صلى الله عليه وسلم خارج الجزيرة العربية.

المطلب الثاني: الخطاب المرسل إلى النجاشي ملك الحبشة:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، سَلَّمَ أَنْتَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِهِ، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُؤَالَاةَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي، وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي؛ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) (١).

أهم دلائل النبوة من ذات الخطاب المرسل إلى النجاشي:

توافق خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع المآثور الفكري الموجود في كتب النصارى، فكلاهما يدعوان إلى التوحيد، لأنهما يخرجان من مشكاة واحدة، ومما اتفقا عليه: النظرة العقدية الصحيحة إلى مريم البتول عليها السلام، وابنها عيسى عليه السلام، فمما جاء في الخطاب أن (عيسى بن مريم، روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه، كما خلق آدم بيده)، وفي هذا تأكيد على أن محمداً ﷺ يصدر في دعوته من نفس المشكاة التي جاء بها عيسى عليه السلام، مما يظهر بجلاء صدقه في قوله، وأنه مرسل من رب العالمين.

وفي الصحيحين، من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته

(١) السيرة النبوية، راغب الحنفي راغب السرجاني. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. المكتبة الشاملة، ج ٢ ص ٣٠٩.

ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء^(١).

وكان موضوع الرسالة: الدعوة إلى التوحيد، ويبدو أن النصرانية التي كان يدين بها النجاشي لم تكن متأثرةً بالتحريف الذي أصاب النصرانية التي كان يدين بها الروم، وظهر من خلال رده على رسالة النبي ﷺ أنه كان قريباً من النصرانية الصحيحة غير المحرفة.

ب- أهم دلائل النبوة من موقف النجاشي من الخطاب المرسل إليه

اعتراف النجاشي بنبوته محمد ﷺ وإسلامه

لقد كان النجاشي رحمه الله متفاعلاً مع خطاب النبي ﷺ، ومتأثراً بالدعوة إلى التوحيد، وحاوِر الوفد الذي أرسله النبي ﷺ، فلما «دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ قالت: فقال له جعفر بن أبي طالب: تقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم. هو عبد الله ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً ثم قال: واللّه ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود»^(٢).

ولم يكتف النجاشي بالاعتراف بصدق نبينا ﷺ، كما فعل بعض الذين وصلتهم خطابات النبي ﷺ، بل آمن به واتبعه، وأرسل إليه خطاباً يظهر فيه إسلامه وتصديقه، ومضمونه التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة. سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروفاً، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين»^(٣).

نزول آيات قرآنية بعد إسلامه، مما يؤكد تأثره بخطاب النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢)، قال ابن جرير: «قيل: إنها نزلت في النجاشي ملك

(١) صحيح البخاري، مصدر سابق برقم ٣٤٣٥ ن في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، ج ٤ ص ١٦٥.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي، مصدر سابق، ص ٣٢.

(٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، مصدر سابق، ص ١٣٢.

الحبيشة وأصحاب له أسلموا معه»^(١). ولا شك أن هذا تشریف للنجاشي، ورفعة لقدره ومكانته.

المطلب الثالث: الخطاب المرسل إلى المتعجرف كسري ملك الفرس:

«(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي الأمي إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فأني أنا رسول الله إلى الناس كافة؛ لأتذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك)^(٢).

أ- أهم دلائل النبوة من ذات الخطاب المرسل إلى كسرى:

١- مخاطبته بأصل الفطرة وهي معرفة الله، في قوله (أدعوك بدعاية الله)، فهم مشركون بالله، ويعبدون النار، وبين له ألا إله إلا الله، وألا شريك له، والمجوس أتباع كسرى، وهم إخوان كفار قريش في الشرك بالله، يقول ابن القيم رحمه الله: «ولا فرق بين عباد النار، وعباد الأصنام بل أهل الأوثان أقرب حالا من عباد النار، وكان فيهم من التمسك بدين إبراهيم ما لم يكن في عباد النار، بل عباد النار أعداء إبراهيم الخليل، فإذا أخذت منهم الجزية فأخذها من عباد الأصنام أولى، وعلى ذلك تدل سنة رسول الله ﷺ»^(٣).

وفي الخطاب تأكيد أن رسالته للناس كافة، عربهم وعجمهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد، فإن في غير العرب خلقا كثيرا خيرا من أكثر العرب، وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش، وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم»^(٤).

ب- أهم دلائل النبوة من موقف كسرى من الخطاب المرسل إليه:

- استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كسرى، وزوال ملكه

ورد في السيرة أن «كسرى فمزق كتاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك:

(١) جامع البيان عن أي القرآن، مصدر سابق، ج ١٠ ص ٤٩٩.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ). حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، عدد الأجزاء: ٢. بيروت: بيروت، ط ٢: ١٩٨٦، ج ١ ص ٢٤٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). عدد الأجزاء: ٥. بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ط ٢٧: ١٤١٥، ج ٢ ص ١٢٩.

(٤) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٦: ١٤١٦هـ. ج ١٩ ص ٢٩.

«مزق الله ملكه، إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده»^(١).

وفى البخارى من حديث ابن عباس «أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يمزقوا كل ممزق»^(٢).

- إسلام أتباع كسرى بعد تأكدهم من الأخبار الغيبية التي أخبرهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوي إسلامهم، وأصبحوا حماة عن الدين، منافحين عنه، «فقد أترفي باذان الفارسي وغيره في اليمن من الأبناء تأثيراً مادياً ومعنوياً، فأسلم وأسلم من معه من الأبناء، وبقوا مسلمين في أيام ردة من ارتد من أهل اليمن، وقتلوا قتالاً شديداً»^(٣).

المطلب الثالث: الخطاب المرسل إلى المقوقس

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)^(٤).

وهناك رواية أخرى، هي: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى صاحب مصر أما بعد فإن الله أرسلني رسولا وأنزل علي قرآنا وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخل الناس في ملتي وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيته فإن فعلت سعدت وإن أنت أبيت شقيت والسلام»^(٥).

أ- أهم دلائل النبوة من ذات الخطاب المرسل إلى المقوقس

١- استشهاده صلى الله عليه وسلم بهذه الآية خاصة دون غيرها من الآيات، (قل يا أهل

(١) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبّد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت: ٢٥٤هـ)، عدد الأجزاء: ٢. صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء. بيروت: الكتب الثقافية، ط: ١٤١٧ هـ، ج ١ ص ٢٩٧.

(٢) صحيح البخاري، مصدر سابق، برقم ٦٤، في كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، ج ١ ص ٢٢.

(٣) السفارات النبوية، اللواء الركن محمود شيت خطاب، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط ١٤٠٩، ص ٩٠.

(٤) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، مصدر سابق، ج ٢ ص ١٤.

(٥) المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، مصدر سابق، ج ٢ ص ١٢٤.

الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله) ، لأنها تخاطب أهل الكتاب، من اليهود والنصارى.

وقد سبق أن قرأه النبي ﷺ هذه الآية، على اليهود والنصارى، قال ابن جرير: «عن ابن جريج قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ دعا يهود أهل المدينة إلى ذلك، فأبوا عليه، فجاهدهم، قال: دعاهم إلى قول الله عز وجل: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم»، الآية....، وعن ابن زيد قال قال: يعني جل ثناؤه: (إن هذا لهو القصص الحق) ، في عيسى،....، قال: فأبوا - يعني الوفد من نجران - فقال: ادعهم إلى أيسر من هذا، (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) ، فقرأ حتى بلغ: (أرباباً من دون الله) ، فأبوا أن يقبلوا هذا ولا الآخر»^(١).

ب- أهم دلائل النبوة من موقف المقوقس من الخطاب المرسل إليه

١ - تصديقه لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكن نأمرك به» قال المقوقس: «إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر يمزهود فيه، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة «١» النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى»^(٢).

المطلب الرابع: الخطاب المرسل إلي هودة بن علي الحنفي:

«ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ كتب إلى هودة مع سليط حين بعثه إليه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هودة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك)»^(٣).

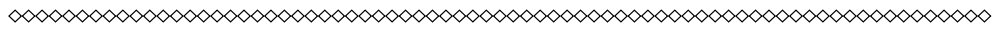
أ- أهم دلائل النبوة من ذات الخطاب المرسل إلى هودة الحنفي

١ - إخباره صلى الله عليه وسلم بظهور دين الإسلام في كل الأرض، بقوله (واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر)، وذلك كما أخبره ربنا سبحانه وتعالى في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

(١) جامع البيان لآي القرآن، مصدر سابق، ج ٦ ص ٤٨٥.

(٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ). عدد الأجزاء: ٧. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١٤١٢ هـ، ت الوكيل، ج ٧ ص ٥١٨.

(٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٠.



كِرَهُ الْمُشْرِكُونَ ﴿التوبة: ٣٢﴾، وقد حصل ذلك فعلاً، وانتشر الدين الإسلامي في كافة أرجاء الأرض، وقد كتب رسول الله ﷺ الخطاب الدعوي لهذا الملك، ولغيره من ملوك الأرض، بلسان الواثق من ربه، المتيقن بوعده.

ب- أهم دلائل النبوة من موقف هوزة الحنفي من الخطاب المرسل إليه

- إخبار النبي ﷺ بموت هوزة الحنفي بعد تكبره وعدم إسلامه، وكانت له أطماع غير مشروعة، حيث اشترط أن تكون له الإمارة، وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليه، ورد عليه بقوله: (لو سألتني سيابة^(١) من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه)^(٢)، وفي رواية أنه «أتاه سليط بن عمرو يدعوهم إلى الإسلام، وكان نصرانياً، أرسل إلى النبي ﷺ وفداً فيهم مجاعة بن مرارة والرجال بن عنفوة، يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، وإلا قصد حربه. فقال رسول الله ﷺ: (لا، ولا كرامة، اللهم اكفنيه!) فمات بعد قليل»^(٣).

وقد كانت لهوذة عنجهية وغطرسة، منعتة من قبول دعوة النبي ﷺ، رغم أنه أكرم مبعوث رسول الله ﷺ، ذكر الكلاعي الحميري أنه «لما قدم عليه سليط بكتاب النبي ﷺ مختوماً أنزله وحياه، واقتراً عليه الكتاب، فرد رداً دون رد، وكتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكانى فاجعل إلى بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه، وقال: (لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يده)، فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوزة مات»^(٤).

النتائج والتوصيات

أولاً - النتائج

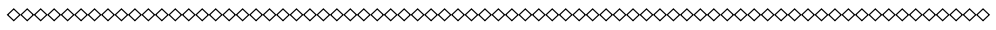
- دلائل النبوة هي العلامات والشواهد التي أيد الله بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، لتدل على صدق نبوته، وصحة ما جاء به، فينقاد له الناس ويؤمنون.

(١) معنى: سيابة من الأرض، أي ما لا فائدة فيه من الأرض

(٢) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: ٨. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤١٠ هـ، ج ١ ص ٢٠١.

(٣) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ١٠ أجزاء. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١٤١٧ هـ، ج ٢ ص ٩٥.

(٤) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٠.



- الدلائل العامة وهي الدلائل المستنبطة من المكاتبات والرسائل النبوية: وهي دلائل يشترك فيها الملوك والرؤساء والأمراء المرسل إليهم، أو أغلبهم، ومنها: تضمينه للآيات القرآنية في تلك الخطابات المرسله، ودعوته صلى الله عليه وسلم لذات الأصل الذي جاء به الأنبياء والرسل السابقون، فدينهم واحد، هو الإسلام، وعقيدتهم لا اختلاف فيها ولا تباين، وهي عقيدة التوحيد - شجاعته صلى الله عليه وسلم، وجرأته، حين مخاطبته صلى الله عليه وسلم لجبابرة الأرض وعظماء ذلك العصر، بلا خوف ولا وجل، فلم يتردد في الكتابة إليهم، ولم يخش من ردة فعل أولئك الطغاة، أو انتقامهم أو بطشهم، أو إرسال الجيوش إليه لمحاربهه، لأنه كان واثقاً من ربه، ومعيته ونصرته له، يأوي إلى ركن شديد.

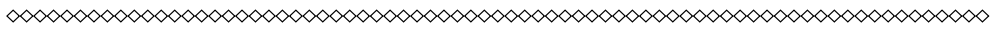
- الدلائل الخاصة: وهي الدلائل المستنبطة من المكاتبات والرسائل النبوية لأولئك الملوك والرؤساء، وهي دلائل ظهرت من خلال الخطابات الخاصة التي أرسلت لكل منهم، ومنها: شهادة هرقل صراحة بصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونفي الكذب عنه، ومنها التذكير بعقيدة عيسى الموافقة لعقيدة نبينا صلى الله عليه وسلم.

ثانياً - التوصيات

- التوسع في هذه الدراسة لتشمل الرسائل والمخاطبات التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم للملوك والرؤساء في داخل الجزيرة العربية وخارجها.
- استخراج دلائل النبوة من أحداث السيرة النبوية بصفة عامة.

المراجع:

أعلام النبوة، الإمام أبي الحسن بن علي الماوردي (ت ٤٥٠هـ). ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الشيخ خالد عبدالرحمن العك. بيروت: دار النفائس، ط ١٤١٤هـ.
إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). المحقق: محمد حامد الفقي. الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.
أفي الله شك؟ الدلائل العقلية والنقلية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، د سامية ياسين البدري. الرياض: مركز دلائل، ط ١٤٢٧هـ.
الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (ت ٦٣٤هـ)، عدد الأجزاء: ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ.



بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). عدد الأجزاء: ٤. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة، عدد الأجزاء: ٨. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢: ١٤٢٠.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٢١٠هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات). القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٤هـ.

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ). حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، عدد الأجزاء: ٢. بيروت: بيروت، ط ٢: ١٩٨٦.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، عدد الأجزاء: ٧. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٥ هـ.

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ). عدد الأجزاء: ٧. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١٤١٢ هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). عدد الأجزاء: ٥. بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ط ٢٧: ١٤١٥.

صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، عدد الأجزاء: ٩. القاهرة: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١٤٢٢.



السفارات النبوية، اللواء الركن محمود شيت خطاب، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط ١٤٠٩هـ.

السيرة النبوية، راغب الحنفي راغب السرجاني. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتقريفها موقع الشبكة الإسلامية. المكتبة الشاملة.

السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، عدد الأجزاء: ٢. صحَّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء. بيروت: الكتب الثقافية، ط ١٤١٧ هـ.

السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ). دمشق: دار ابن كثير، ط ١٤٢٥ هـ.

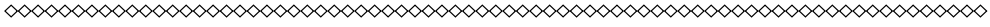
شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ وجزء للفهارس). بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤١٥هـ.

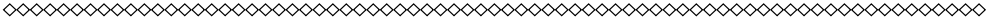
الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: ٨. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١٤١٠ هـ.

الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ١٠ أجزاء. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١٤١٧هـ.

المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، محمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة (ت ٧٨٣هـ). المحقق: محمد عظيم الدين، عدد الأجزاء: ٢. بيروت: عالم الكتب. د.ت. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤١٦هـ.

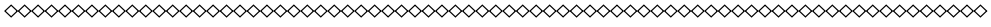
النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، عدد الأجزاء: ٢. الرياض: أضواء السلف، ط ١٤٢٠هـ.





المحور الثالث:

البشارات بالنبي محمد ﷺ في كتب وأخبار أهل الكتاب



الدكتورة جلوس بنت فرج بن شتوي القحطاني

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية - جامعة الملك سعود

البشارات بدعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في كتب أهل الكتاب

**The promises of Prophet Muhammad Message, (PBUH), in the
scriptures of non-Muslims (ABrahmic Religions)**

المستخلص

لعظم دعوة محمد عليه الصلاة والسلام أخبر الله به الأمم السابقة، وأنبأ بظهوره، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، فهذا إثبات صريح من الله سبحانه وتعالى ولكن اليهود والنصارى لم يؤمنوا بهذا وحرفوا التوراة والإنجيل ولم يسلموا لدعوة النبي عليه الصلاة والسلام لذلك كان عنوان هذا البحث: (البشارات بدعوة النبي عليه الصلاة والسلام في كتب أهل الكتاب)، ويهدف البحث إلى التعرف على أبرز البشارات بدعوة النبي عليه السلام في العهد القديم والجديد من التوراة والإنجيل، متبعة المنهج الاستقرائي الاستنباطي. وتوصلت الباحثة إلى نتائج من أهمها، إن ورود البشارات بدعوة محمد في كتب أهل الكتاب تدل على عالمية الدعوة وأنها هي الخاتمة.

الكلمات المفتاحية (التوراة، البشارات، الإنجيل، دعوة محمد عليه السلام).

Abstract

Because of the greatness of the Message of Prophet Muhammad, Allah's prayers and peace be upon him, Allah informed previous nations of Him, and predicted his foretold his appearance, Allah Almighty said: "Those who follow the Messenger, the unlettered prophet, whom they find him written in their scriptures" (Ahraaf:157). This is a final proof that Prophet Muhammed is mentioned in both old and new testament but jews and Christians didn't belief this and manipulated the holy texts of their scriptures and did not subjugate to the message of the Prophet Muhammed, peace be upon him, so the title of this research was (The promises of Prophet Muhammad' Message, (PBUH),

in the holy books of non-Muslims (Abrahmic Religions). The researcher followed the inductive deductive method.

The researcher reached to conclusions, the most important of which is that the promises of Muhammad's message in the scriptures of the people of Abrahmic it is the Allah's final call. religions indicates the universality of the message and that

Keywords: Old testament, promises, new testament, Prophet's Muhammed message)

المقدمة

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، الله اغفر لنا وارحمنا وارض عنا، وتقبل منا وأدخلنا الجنة ونجنا من النار، وأصلح لنا شأننا كله.
أما بعد:

إن الله سبحانه وتعالى قد من على عبادة بإرسال الرسل والأنبياء لتبليغ الناس دين الإسلام وإن من المعلوم عند المسلمين أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء وهو خاتم النبوة وأن دعوته عامة لجميع الناس وناسخة لديانات الأنبياء الذين سبقوه والقرآن ناسخ للتوراة والإنجيل ولعظم دعوة محمد ﷺ أخبر الله به الأمم السابقة وأنبا بظهوره وهذا يدل على أن الذي بعثهم واحد وهو الله الذي لا إله إلا هو قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، فهذا إثبات صريح من الله سبحانه وتعالى ولكن اليهود والنصارى لم يؤمنوا بهذا وحرفوا التوراة والإنجيل ولم يسلموا لدعوة النبي ﷺ وبعد أن حرف الكتاب المقدس في التوراة والإنجيل هل فيه بشارات عن النبي ﷺ أم هي حرفت؟ هذا ما سنبحث عنه تحت عنوان: «البشارات بدعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في كتب أهل الكتاب».

مشكلة البحث:

إن الإيمان بنبوة الرسول ﷺ أصل من أصول الدين، والبشارة به قد تمت على يد جميع

(١) الأعراف: ١٥٧.

الأنبيا قبله، وأخذ الله منهم ميثاقاً غليظاً لئن بُعث فيهم رسول الله ﷺ ليتبعنه ولينصرته؛ ومن هؤلاء الأنبياء موسى وعيسى عليهم السلام، فقد ذكر الله في كتبهم التوراة والإنجيل البشارة برسول الله ﷺ، وبناء على ذلك؛ كان لا بد من ذكر البشارات الواردة في كتبهم لإثبات النبوة وإقامة الحجة عليهم.

حدود البحث: يقتصر البحث على بشارة النبي ﷺ في الكتاب المقدس دون الأنبياء الآخرين.

مصطلحات البحث:

البشارات: هي الأخبار السارة.

أهل الكتاب: هم اليهود أتباع موسى عليه السلام وكتابتهم التوراة، والنصارى أتباع عيسى عليه السلام وكتابتهم الإنجيل.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أهمية الموضوع:

١- إن في إثبات هذه البشارات في كتب اليهود والنصارى دليل على إبطال حججهم ورد عليهم في إنكار نبوة محمد ﷺ وأنه ناسخ لدينهم.

٢- إن في هذه البشارات بدعوة النبي ﷺ تقوية لدين المؤمن وأنه على دين الحق.

٣- إن في إثبات هذه البشارات الإيمان التمام بعلم الله السابق الكامل الذي يعلم ما كان وما سيكون.

٤- إن في إثبات هذه البشارات إقامة الحجة على اليهود والنصارى وأن كتبهم التي يؤمنون بها أتت بدعوة النبي ﷺ وبيان خطئهم في عدم الإيمان به.

أسباب اختياره:

١- القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، ذلك لأن مجالات الدعوة تشمل المسلمين وغيرهم، ولا يتحقق ذلك إلا بالتعرف على ما وجد في كتب المخالفين، ومعرفة ما يمكن إلزامهم به.

٢- الفائدة العظيمة من هذا البحث وهي تثبيت قلب المؤمن في قراءة هذه البشارات وإنه على الدين الصحيح الناسخ لكل الأديان.

٣- بيان عموم دعوة النبي ﷺ وإثبات ذلك من كتبهم المقدسة.

الدراسات السابقة:

بعد التحقق من «مكتبة الملك فهد الوطنية»، و«مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات



الإسلامية»، و«المكتبة الشاملة الوقفية»، و«المكتبة الرقمية»، و«دار المنظومة» وغيرها من المواقع والصفحات وقواعد البيانات على الشبكة العنكبوتية وسؤال المختصين لم أجد من اختص في ذكر البشارات وإنما وجدت ما يشبه ذلك منها:

الرسائل الجامعية:

- (البشائر والإرهاصات لبعثة المصطفى ﷺ وردود على شبهات حولها) لحامد، يوسف محمد النور، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لنيل الدرجة العلمية في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في كلية الدراسات العليا في السودان نوقشت سنة ٢٠٠٥م.

الفرق بين هذه الرسالة وبين هذا البحث أن هذه الرسالة تناولت البشائر عند كل العقائد وهي بشائر عامة وذكرت دلائل النبوة والأرهاصات، أما هذا البحث فقد اختص في ذكر البشارات عند اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل واستخراج نصوصها من كتابهم المقدس والتفصيل فيها.

(مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية) لـ د. محمد بن عبد الله السحيم، وهي رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، كلية الدعوة والإعلام، ونوقشت هذه الرسالة تاريخ ١٤١٤هـ.

الفرق بين الرسالة وهذا البحث: أن هذه الرسالة تتناول موضوع مسلمي أهل الكتاب بشكل عام وذكر في مبحث واحد فقط بشارات الأنبياء السابقين بمحمد أما هذا البحث فقد اختص في استخراج البشارات من نصوص التوراة والإنجيل وعرضها مع الشرح.

الكتب المنشورة:

(محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) المؤلف: إبراهيم خليل أحمد: دار المنار، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

الفرق بين هذا الكتاب وبين هذا البحث أن هذا الكتاب تناول في الباب الأول جزءاً من التبشير بدعوة النبي ﷺ ومن ثم تناول الاختلافات عند أهل الكتاب وشم المسيحية تطورها وتعاليمها ثم تناول هداية القرآن ثم تناول الكتاب المقدس والعقيدة ثم العالم قبل وبعد الإسلام وختم في لمحة عن محمد صلى الله عليه وسلم. أما هذا البحث فقد اختص بذكر البشارات من الكتاب المقدس على وجه التفصيل فيه ولم يذكر عقيدة اليهود والنصارى إنما اقتصر على التعريف بالكتاب المقدس والبشارات التي وردت فيه.

أهداف البحث:

١- التعرف على مفهوم التوراة.

٢- إبراز ما يوجد في التوراة من بشارات بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- التعرف على مفهوم الإنجيل.

٤- إيضاح البشارات بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم التي وردت في الإنجيل.

أسئلة البحث:

١- ما هو مفهوم التوراة؟

٢- ما البشارات التي وردت في التوراة بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم؟

٣- ما هو مفهوم الإنجيل؟

٤- ما البشارات التي وردت في الإنجيل بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم؟

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

إجراءات البحث:

التزمت في هذا البحث بذكر نصوص البشارات من الكتاب المقدس في النسخة الحديثة ثم بعد ذلك ذكر ما وافق نص البشارة في كتب المتقدمين ثم شرح هذه البشارة.

عند الاقتباس من الكتاب المقدس فإني أحيل إلى الهامش كالتالي: (الكتاب المقدس، العهد القديم ويقصد به التوراة والعهد الجديد ويقصد به الإنجيل، الاصحاح ورقمه، ثم رقم النص).

عزو الآيات القرآنية في الحاشية بين معكوفتين وأذكر اسم السورة ورقم الآية.

تخريج الحديث النبوي من الصحيحين، أو أحدهما، فإن لم أجد أخرجه من كتب السنة المعتمدة مع ذكر أقوال العلماء في صحته وضعفه.

خطة البحث:

البحث يشمل على المقدمة وتمهيد ومبحثين والخاتمة، كما يلي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وحدوده، ومصطلحات الدراسة، وأهمية الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وأهدافه، وأسئلة الدراسة، والمنهج المتبع، وإجراءات البحث، وخطته.

التمهيد:

أولاً: تعريف البشارات.

ثانياً: تعريف أهل الكتاب.

ثالثاً: إثبات القرآن الكريم ببشارة محمد في التوراة والإنجيل.

المبحث الأول: البشارات بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف التوراة.

المطلب الثاني: البشارات بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة.

المبحث الثاني: البشارات بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف الإنجيل.

المطلب الثاني: البشارات بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

الخاتمة:

وفيها أبرز النتائج، والتوصيات.

تمهيد:

أولاً تعريف البشارات: جمع بشارة وأول خبر يرد على الإنسان بما يسره. وقيل: إنها بما يسر وما يغم، وتأتي بالخير والنشر إلا أن استعمالها في الخير أكثر^(١).

ثانياً تعريف أهل الكتاب: هم اليهود والنصارى سموا أهل الكتاب لأن الله أنزل عليهم كتابين، على بني إسرائيل، الأول على موسى وهو التوراة، والثاني على عيسى وهو الإنجيل.

ثالثاً: إثبات القرآن الكريم ببشارة محمد في التوراة والإنجيل.

إن رسولاً عظيماً كمحمد ﷺ في عموم بعثه، وخلود دينه وشريعته جدير بأن يعلم الله سبحانه وتعالى بمبعثه رسله وأنبياءه - عليهم السلام -، ويصفه لهم ببعض نعوته وعلاماته، ويعهد إليهم بأن يبشروا أقوامهم بظهوره، ويوصوهم بقبول دعوته وحسن طاعته والبشارة بالنبي عليه الصلاة والسلام واضحة في التوراة والإنجيل، وقد بين الله تعالى ذلك في القرآن الكريم، وبينه رسوله عليه الصلاة والسلام في السنة المطهرة في نصوص عديدة. نذكر منها: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ

(١) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١/ ٥٢٢) نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د. حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الأرياني - د. يوسف محمد عبد الله الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، التعريفات (ص: ٤٥) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ (٥).

فهذا يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن حيث المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بشرت به الأنبياء قبله، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك، ولكن أكثرهم يكتُمون ذلك ويخفونه (٦).

المبحث الأول

البشارات بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة

المطلب الأول: تعريف التوراة:

التوراة: في اللغة: كلمة عبرانية بمعنى الشريعة والتعليم، وتسمى بكتب موسى، أو الأسفار الخمسة، أو الناموس (ومعناه القانون)، أو البنتاتيكت Pentateuch (وهي الأسفار الخمسة) (٧)،

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) البقرة: ٨٩.

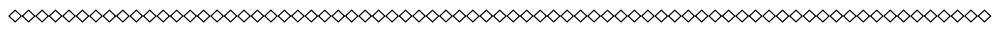
(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) الصف: ٦.

(٥) ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (١/٣ / ٥٥-٥٤)، الإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: ١٢٧٧هـ)، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح (ص: ١٢٩): زيادة بن يحيى النصب الراسي هو من علماء القرن الحادي عشر، المحقق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٦) البداية والنهاية ط هجر (٩/ ١٠٢): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٧) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لـ د. سعود بن عبدالعزيز الخلف (٢٢٣) الناشر: أضواء السلف الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ، وقاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص اللاهوتي، تحرير: بطرس، ألكسندر طمس،



وهو: يسمى (العهد القديم أو العتيق) Old Testament، ويحتوي على الأسفار المنسوبة إلى موسى والأنبياء من بعده الذين كانوا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام^(١).

وقد يطلق عليه الكتب المقدسة، أو كتب اليهود وهو يأتي بمعنى العهد القديم أيضاً، ويشتمل العهد القديم على الأسفار الخمسة^(٢).

وفي اصطلاح اليهود والنصارى: فالتوراة هي الأسفار الخمسة التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية) التي كتبها موسى عليه الصلاة والسلام^(٣).

أما في اصطلاح المسلمين: فالتوراة هي الكتاب الذي أنزله الله -عز وجل- على رسوله موسى عليه الصلاة والسلام فيه الهدى والنور للناس، ولك باليهود حرفوه وبدلوه، وقد نسخه الله بالقرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين^(٤).

والعهد القديم الخاص باليهود وقد قبله النصارى أيضاً كجزء من كتابهم المقدس، ويتكون من (٣٩) تسعة وثلاثين سفرًا وهي:

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| ١- سفر التكوين. | ٢- سفر الخروج. |
| ٣- سفر اللاويين. | ٤- سفر العدد. |
| ٥- سفر التثنية. | ٦- سفر يشوع. |
| ٧- سفر القضاة. | ٨- سفر راعوث. |
| ٩- سفر صموئيل الأول. | ١٠- سفر صموئيل الثاني. |
| ١١- سفر الملوك الأول. | ١٢- سفر الملوك الثاني. |
| ١٣- سفر أخبار الأيام الأول. | ١٤- سفر أخبار الأيام الثاني. |
| ١٥- سفر عزرا. | ١٦- سفر نحميا. |
| ١٧- سفر استير. | ١٨- سفر أيوب. |
| ١٩- سفر المزامير. | ٢٠- سفر أمثال سليمان. |

إبراهيم مطر، (حرف س ١٨٠)، لا يوجد ناشر وطبعة، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص: ٦٦٥)، تامر محمد محمود متولي، الناشر: دار ماجد عسيري، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ل. د. سعود بن عبدالعزيز الخلف (٢٣٠).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري (٢٧/١) الناشر: دار الشروق، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ل. د. سعود بن عبدالعزيز الخلف (٢٣٢).

(٤) المرجع السابق (٢٣٢).

- ٢١- سفر الجامعة. ٢٢- سفر نشيد الأنشاد.
- ٢٢- سفر إشعياء. ٢٤- سفر إرميا.
- ٢٥- سفر مراثي إرميا. ٢٦- سفر حزقيال.
- ٢٧- سفر دانيال. ٢٨- سفر هوشع.
- ٢٩- سفر يوثيل. ٣٠- سفر عاموس.
- ٣١- سفر عوبديا. ٣٢- سفر يونا.
- ٣٢- سفر ميخا. ٣٤- سفر ناحوم.
- ٣٥- سفر حبقوق. ٣٦- سفر صفيان.
- ٣٧- سفر حجي. ٣٨- سفر زكريا.
- ٣٩- سفر ملاخي^(١).

المطلب الثاني: البشارات بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة:

البشارة الأولى: «بِيرزُ كوكبٍ من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم طرفي مؤاب، ويهلك كل بني الوغى»^(٢).

قال المهتدي الإسكندراني: (ولم يظهر من نسل إسماعيل إلا محمد صلى الله عليه وسلم، وما تزلزلت الأرض إلا لظهوره صلى الله عليه وسلم. حقاً إنه كوكب آل إسماعيل، وهو الذي تغير الكون لمبعثه صلى الله عليه وسلم، فقد حرست السماء من استراق السمع، وانطفأت نيران فارس، وسقطت أصنام بابل، ودكت عروش الظلم على أيدي أتباعه^(٣)).

وقد حرف هذا النص في الطبقات المحدثثة إلى: (بيرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم مؤاب، ويهلك من الوغى)^(٤).

البشارة الثانية: بشارة في سفر التثنية بخروج النبي «فقال: «جاء الرب من سيناء، وأشرق

(١) ينظر: الكتاب المقدس، العهد القديم. ومحمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبد الأحد داود (٩)، ترجمة محمد فاروق الزين الناشر، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٢) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر العدد، الاصحاح ٢٤، ١٧).

(٣) بشارات العهد القديم بمحمد صلى الله عليه وسلم، د. محمد بن عبد الله السحيم (ص: ٦)، من مستودع الشاملة لا يوجد طبعة وناشر.

(٤) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر العدد، الاصحاح ٢٤، ١٧).

لَهُمْ مِنْ سَعِيرٍ، وَتَلَّأَ مِنْ جَبَلٍ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رَبَّوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارٌ شَرِيعَةٌ لَهُمْ»^(١)،
 فيتضح من التوراة إذن أن الذي سكن أرض فاران هو سيدنا إسماعيل -عليه السلام-، ولعل
 الله في حكمته سمح بهذه التيارات التي تقاعدت في بيت سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ليستقر
 إسماعيل في أرض يتميز بها، وتأتي النبوءة على لسان موسى عليه السلام بقوله: «تلاّأ من جبل
 فاران»^(٢).

وقد ورد هذا النص هذه البشارة في لفظ آخر في كتاب أبو البقاء الهاشمي وهو «قال
 موسى: أقبل الله من سينا. وتجلّى من ساعير. وظهر من جبال فاران. معه ربوات الأطهار عن
 يمينه»^(٣). وفيه أن في سينا الجبل الذي كلم الله فيه موسى. وساعير هو جبل الخليل بالشام.
 وكان المسيح يتعبد فيه ويناجي ربه. وفاران جبل بني هاشم الذي كان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يتحنث فيه ويتعبد^(٤).

وعلق ابن تيمية على هذه البشارة فقال: «وعلى هذا، فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقاً، جبل
 حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه، ومنه كان نزول أول الوحي على النبي ﷺ وحوله من
 الجبال جبال كثيرة، حتى قد قيل: إن بمكة اثني عشر ألف جبل. وذلك المكان يسمى: فاران، إلى
 هذا اليوم، وفيه كان ابتداء نزول القرآن.

والبرية التي بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران، ولا يمكن أحداً أن يدعي أنه -بعد
 المسيح- نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي. فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من
 جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ»^(٥).

البشارة الثالثة: ورد في التنبيه: «قَالَ لِي الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا أَقِيمْ لَهُمْ نَبِيًّا مِّنْ
 وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيَهُ بِهِ»^(٦).

(١) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التنبيه، الاصحاح ٢، ٣٢).

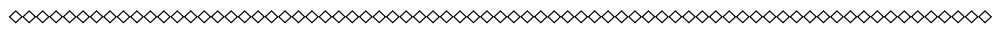
(٢) ينظر: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن (ص: ٦٥) إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى من الله عليه بالإسلام)،
 الناشر: دار المنار عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

(٣) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٥٤) صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (المتوفى: ٦٦٨ هـ)،
 المحقق: محمود عبدالرحمن قح الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ/
 ١٩٩٨ م.

(٤) المرجع السابق (٢/ ٦٥٤).

(٥) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٠٢)، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام
 بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: علي بن حسن -
 عبدالعزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م، تخجيل من
 حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي (٢/ ٦٥٥).

(٦) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التنبيه، الاصحاح ١٨، ١٧-١٨).



«يا موسى إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوانهم مثلك أجعل كلامي في فيه. ويقول لهم ما أمره به والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه»^(١).

وهذه البشارة صريحة في النبي ﷺ العربي الأمي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، لا يحتمل غيره، فإنها إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل، لا من بني إسرائيل أنفسهم، والمسيح من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح، لقال أقيم لهم نبياً من أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٢)، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يعقل في لغة أمة من الأمم أن بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه.

وقال: «نبياً مثلك»، وهذا يدل على أنه صاحب شريعة عامة مثل موسى^(٣).

البشارة الرابعة: «هللوا. غنوا للرب تربية جديدة، تسيبته في جماعة لتقياء. ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنوصهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص. بدف وعود ليرنموا له، لأن الرب راض عن شعبه. يجمل الودعاء بالخلاص. ليبتهج التقياء بمجد. ليرنموا على مضاجعهم. تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم. ليصنعوا نعمة في الأمم، وتاديبات في الشعوب»^(٤).

«سبحوا الله تسيحاً جديداً، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته، وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة. يسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه»^(٥).

(١) ورد لفظ هذا النص في كتب عدة منها تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٥٦)، والدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (١٢٧) - علي بن ربن الطبري (ت: ٢٤٧هـ)، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الأولى، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٢٩٢هـ، وهداية الحيارى (٢/ ١٠٩) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن زيدون، بيروت، لبنان الأولى: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب للقس أنسلم تور ميديا (١٢٨)، وهو شهير بعباد الله الترجمان الأندلسي تحقيق محمد حماية الناشر دار المعارف، الطبعة الثالثة لا يوجد تاريخ لطبعة. ما جاء في التوراة عن رسول الله ﷺ (ص: ٦) مجدى زكى هذا الكتاب من مستودع الشاملة، لا يوجد ناشر ولا طبعة، إظهار الحق (٤/ ١١١٦) محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: ١٢٠٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبدالقادر خليل ملكاوي - الرياض الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م. ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ لأحمد ديدات، تقديم عوض الله مجازي، الناشر: دار المنار لا يوجد طبعة.

(٢) (آل عمران: ١٦٤).

(٣) ينظر: هداية الحيارى ابن القيم (٢/ ٩٢)، وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، للقس أنسلم تور ميديا (١٢٨).

(٤) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزامير، الاصحاح ١٤٩، ١-٩).

(٥) ورد هذا النص في عدة كتب منها كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل أبو البقاء الهاشمي (٢/ ٦٥٩) الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ علي بن ربن الطبري (١٤٢)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٢٦)، هداية الحيارى ابن القيم (٢/ ١٢٧).

قوله: «يكبرون الله بأصوات مرتفعة» إشارة إلى ما يفعله الحجيج من التلبية وهذه كلها صفات النبي محمد وأمهته يكبرون أيضاً على قرايبتهم وضحاياهم، وعند رمي الجمار، وعلى الصفا والمروة، وعند محاذاة الحجر الأسود، وفي أدبار الصلوات الخمس، وليس هذا لأحد من الأمم لا أهل الكتاب ولا غيرهم سواهم، فإن اليهود يجمعون الناس بالبوق، والنصارى بالناقوس. وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة فشعار محمد بن عبد الله وأمهته^(١).

وقوله: «بأيديهم سيوف ذات شفرتين»، فهي السيوف العربية التي فتح الصحابة بها البلاد، وهي إلى اليوم معروفة لهم^(٢).

وقوله: «يسبحون على مضاجعهم» هونعت للمؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(٣)، ومعلوم قطعاً أن هذه البشارة لا تنطبق على النصارى ولا تناسبهم، فإنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين ينتقم الله بهم من الأمم، والنصارى تعيب من يقاتل الكفار بالسيوف^(٤).

البشارة الخامسة: «أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النُّعْمَةُ عَلَيَّ شَفْتَيْكَ، لِذَلِكَ بَارَكَكَ اللَّهُ إِلَى الْأَبَدِ. تَقَلَّدَ سَيْفَكَ عَلَيَّ فَخَذَكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلَالُكَ وَبَهَاءُكَ. وَبِجَلَالِكَ اقْتَحَمَ ارْكَبٌ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالِدُّعَاةِ وَالْبِرِّ، فَتَرِيكَ يَمِينِكَ مَخَافٍ. نَبَلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ»^(٥).

قال داود النبي عليه السلام: «من أجل هذه بارك الله عليك إلى الأبد. فتقلد أيها الجبار السيف؛ لأن البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك، اركب كلمة الحق وسمت التأله. فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيئة يمينك وسهامك مسنونة والأمم يخرون تحتك»^(٦) ليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود سوى نبيتنا عليه السلام وهو الذي خرت الأمم تحته وقرنت شرائعه بالهيبة. فإما القبول وإما الجزية وإما السيف. وتصديقه قوله صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب»^(٧).

(١) ينظر: هداية الحيارى ابن القيم (١٢٨ / ٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل أبو البقاء الهاشمي (٦٦٠ / ٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢٢٦ / ٥).

هداية الحيارى، ابن القيم (١٢٨ / ٣)

(٢) آل عمران: ١٩٢.

(٤) هداية الحيارى، ابن القيم (١٢٨ / ٣).

(٥) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزامير، الاصحاح ٤٥، ٢-٥).

(٦) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢٢٧ / ٥)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي (٦٦٠-٦٦١ / ٢)، هداية الحيارى، ابن القيم (١٢٩ / ٣).

(٧) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوصايا، باب: قوله النبي صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، (١ / ٧٤ برقم ٢٢١).



فإن قالوا: سماه المزمور جباراً. قلنا: لا يمتنع أن يكون النبي جباراً على الكافرين رحيماً بالمؤمنين. كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١). وقد شهد المزمور له بالنبوة صريحاً إذ أخبر أن له ناموساً وشرائع كناميس الأنبياء وشرائعهم. وقال: إن دينه يظهر على كل دين فلم يُخرم ما أخبر به.

أخبر داود أن له ناموساً وشرائع، وخاصبه بلفظ الجبار، إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف المقهور^(٢).

وهو -صلى الله عليه وسلم- نبي الرحمة، ونبي الملحمة. وأمه أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. بخلاف من كان ذليلاً لطائفتين من النصارى المقهورين مع الكفار، أو كان عزيزاً على المؤمنين من اليهود، بل كان مستكبراً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً، وقتلوا فريقاً^(٣).

البشارة السادسة: ورد في سفر التثنية: «هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلَهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَيْبِيَّةٍ أُغِيبُهُمْ»^(٤).

وفي لفظ آخر: (هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغضبهم)، والمراد بشعب جاهل العرب لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية^(٥)، فمقصود الآية أن بني إسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة فأغيرهم باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون، فأوفى بما وعد فبعث من العرب النبي ﷺ فهداهم إلى الصراط المستقيم كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنَفْسٍ صَلَّالٍ مُبِينٍ﴾^(٦).

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

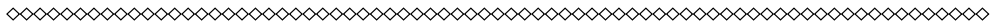
(٢) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٢٧)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي (٢/ ٦٦١-٦٦٠)، هداية الحيارى، ابن القيم (٢/ ١٢٩).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٢٨).

(٤) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح ٣٢، ٢١).

(٥) إظهار الحق (٤/ ١١٢٢)، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم (ص: ١٤١) منقذ بن محمود السقار، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الجامع الصحيح للسيرة النبوية (٢/ ٢١٠)، الأستاذ الدكتور سعد المرصفي، الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٩م، وجاء النبي المنتظر (ص: ٤٦) عبد الوهاب بن عبد السلام بن طويلة، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٦) الجمعة: ٢.



البشارة السابعة: «تُكُونُ حُفْنَةً بُرِّ فِي الْأَرْضِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ. تَتَمَّائِلُ مِثْلَ لُبْنَانَ ثَمَرْتُهَا، وَيَزْهَرُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ عَشْبِ الْأَرْضِ. يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قَدَامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَّةٍ الْأَرْضِ يَطُوبُونَهُ»^(١).

قال داود في مزموره تنبأ به على كثرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ودوام شرعه إلى الأبد ووجوب النبوة له قبل خلق العالم^(٢): هذا لفظ آخر في هذه البشارة « ثماره مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض كالذي يطلع من لبنان، ويدوم ذكره إلى الأبد. وإن اسمه لموجود قبل الشمس، وكل الأمم يتبركون به ويحمدونه»^(٣).

وهذه كلها صفاته وصفات أمته وقد أخبر داود بتأييد شرعه وتأييده، وأنه لا نبي بعده، وأنه خاتم الأنبياء^(٤).

البشارة الثامنة: ورد في سفر إشعياء: «لأنه هكذا قال لي السيد: «أذهب أقم الحارس. ليخبر بما يرى». فرأى ركاباً أزواج فرسان. ركاب حمير. ركاب جمال. فأصغى إصغاءً شديداً، وهوذا ركاب من الرجال. أزواج من الفرسان». فأجاب وقال: «سقطت، سقطت بابل، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض».

من نبوات نبي الله أشعيا قال أشعيا مبشراً برسول الله ﷺ: « قيل لي: قم نظاراً فانظر ماذا ترى؟ فقلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار والآخر على جمل. يقول أحدهم لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها للمنحر»^(٥).

فراكب الحمار هو المسيح ابن مريم. وراكب الجمل هو محمد ﷺ وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار. وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل^(٦).

البشارة التاسعة: ورد في إشعياء: «وَالآنَ قَالَ الرَّبُّ جَابِلِي مِنَ الْبَطْنِ عَبْدًا لَهُ، لِإِرْجَاعِ يَعْقُوبَ

(١) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزامير، الاصحاح ٧٢، ١٦-١٧).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٣).

(٣) ورد هذا اللفظ في كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٣)، والدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ علي بن ربن الطبري (١٤٢).

(٤) المرجع السابق.

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٥)، الإعلام بما في دين النصرى من الفساد والأوهام (ص: ٢٧٥)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٨٧١هـ)، المحقق: د. أحمد حجازي السقا الناشر: دار التراث العربي - القاهرة، لا يوجد طبعة.

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٦)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ت الألمي (١٥٧/٦)، جامع الآثار في السير ومولد المختار (١/ ٢١٩) ابن ناصر الدين الدمشقي (٨٤٢هـ)، المحقق: أبو يعقوب نشأت كمال الناشر: دار الفلاح الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠١٠م، هداية الحيارى ابن القيم (٣/ ١٣١).

إِلَيْهِ، فَيَنْضَمُّ إِلَيْهِ إِسْرَائِيلُ فَأَتَمَّجِدُ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَالْهِيَ يَصِيرُ قُوَّتِي»^(١).

قال أشعيا يخاطب الناس عن محمد رسول الله ﷺ: «تَهَمِّي آيَتَهَا الْأُمَمُ إِنْ الرَّبُّ أَهَابَ بِي مِنْ بَعِيدٍ. وَذَكَرَ اسْمِي وَأَنَا فِي الرَّحْمِ. وَجَعَلَ لِسَانِي كَالسَيْفِ الصَّارِمِ وَأَنَا فِي الْبَطْنِ. وَحَاطَنِي بِظِلِّ يَمِينِهِ. وَجَعَلَنِي كَالسَهْمِ الْمَخْتَارِ مِنْ كَنَانَتِهِ. وَخَزَنْتَنِي لِسَرِهِ وَقَالَ لِي: أَنْتَ عَبْدِي. فَصِرْتُ فِي وَعْدِ لِي حَقًّا قَدَامَ الرَّبِّ. وَأَعْمَالِي بَيْنَ يَدَيْ إِلَهِي. وَصَرْتُ مُحَمَّدًا^(٢) عِنْدَ الرَّبِّ. فَبِإِلَهِي حَوْلِي وَقُوَّتِي»^(٣).

نبي الله أشعيا قد صرح باسم نبيِّنا ولم يجمجم وأعرب عنه ولم يجمجم. فلا حاجة بنا مع بيان أشعيا عليه السلام إلى مترجم. وقوله: «إِنَّ الرَّبَّ أَهَابَ بِي مِنْ بَعِيدٍ». يريد أنه لم يكن من بني إسرائيل ولا من بلدهم بل من غيرهم. فليرونا آخر اسمه محمد جاء بشريعة جديدة داعية إلى الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب حتى تتصرف هذه البشارات إليه^(٤).

ويتفق أول هذه البشارة مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٥)، ورسول الله ﷺ هو الذي جاء بالحق مصداقاً لما معهم بدليل قوله تعالى عنه: (بل جاء بالحق وصدق المرسلين)^(٦)، وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٧)،^(٨).

البشارة العاشرة: ورد في إشعيا: «لأنه يولد لنا ولدٌ ونعطي ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام»^(٩).

قال أشعيا النبي - ونص على خاتم النبوة: «ولد لنا غلامٌ يكون عجيباً وبشيراً. والشامة على كتفه. أركون السلام. إله جبار. سلطانه سلطان السلامة. وهو ابن عالمه. يجلس على كرسي داود»^(١٠).

(١) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر إشعيا، الاصحاح ٤٩، ٥).

(٢) لم يذكر لفظ محمد في الكتاب المقدس الحديث وقال أبو البقاء الهاشمي: أنه حرف.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٨).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٩)، أعظم إنسان في القرآن والسنة (٢/ ٢٨)، المؤلف: عبدالرحمن بن عبد الله السحيم، لا يوجد ناشر ولا طبعة، وهو من مستوع الشاملة.

(٥) (آل عمران: ٨١).

(٦) الصافات: ٢٧.

(٧) آل عمران: ٣.

(٨) أعظم إنسان في القرآن والسنة (٢/ ٢٨).

(٩) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر إشعيا، الاصحاح ٦٠، ٩).

(١٠) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٧٥)، الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم علي ابن ربن الطبري (١٤٦ - ١٤٧).

ومعنى قوله هذا إن نبوته على كتفه، فهذا في كتب السريانية التي فسرها مارقوس، فأما في العبرانية فإنه يقول: إن على كتفه علامة النبوة، وهي التي يسميها أهل الإسلام خاتم النبوة، فهذا تصريح بصفة النبي عليه الصلاة والسلام وإشارة إلى صورته وشاماته^(١).

المبحث الثاني

البشارات بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل

المطلب الأول: تعريف الإنجيل.

تعريف الإنجيل عند المسلمين: هو الكتاب الذي أنزله الله - عز وجل - على عيسى عليه الصلاة والسلام هدى ونور. قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

تعريف الإنجيل عند النصارى: هي كلمة يونانية تعني الخبر الطيب أي البشارة، وأن الله أرسل ابنه الوحيد لخلاص المؤمنين^(٣).

يطلق مجازاً اسم الأناجيل Gospels على الأسفار الأربعة الأولى من العهد الجديد، وهي أسفار متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، والمفترض كما يبدو من أسمائها أنها كتبت من قبل حواربي عيسى المسيح عليه السلام، وهي من جملة عشرات الأسفار الأخرى التي كانت شائعة في العصر المسيحي الأول ثم أبطلها المجمع المسكوني الأول الشهير الذي انعقد فينيقية (الزنيق الحالية في آسيا الصغرى عام ٣٢٥ ميلادية) تحت رعاية الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الكبير حيث تقرر اعتماد هذه الأربعة فقط وإحراق الباقية، ولذا يطلق عليها لقب الأناجيل القانونية أو المعتمدة Canonical Gospels^(٤).

ويسمى العهد الجديد New Testament وهو خاص بالنصارى فقط، ولا يعترف به اليهود^(٥)، ويشتمل على سبعة وعشرين سفرًا هي:

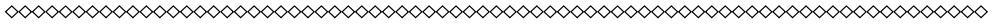
(١) الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ علي بن ربن الطبري (١٤٦- ١٤٧).

(٢) المائة: ٤٦.

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لـ د. سعود بن عبدالعزيز الخلف (١٣٥)، وقاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص اللاهوتي (٨٧).

(٤) محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبد الأحد داود (١٠).

(٥) محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبد الأحد داود (١٠).



- ١- سفر متى. ٢- سفر مرقس.
٣- سفر لوقا. ٤- سفر يوحنا.
٥- أعمال الرسل. ٦- رسالة رومية.
٧- رسالة بولس الأولى إلى كورنوس. ٨- رسالة بولس الثانية إلى كورنوس.
٩- رسالة بولس إلى غلاطية. ١٠- رسالة بولس إلى افسس.
١١- رسالة بولس إلى فيليبي. ١٢- رسالة بولس إلى كولوسي.
١٣- رسالة بولس الأولى إلى تيسالونيكى. ١٤- رسالة بولس الثانية إلى تيسالونيكى.
١٥- رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس. ١٦- رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس.
١٧- رسالة بولس إلى تيطس. ١٨- رسالة بولس إلى فليمون.
١٩- رسالة إلى العبرانيين. ٢٠- رسالة يعقوب.
٢١- رسالة بطرس الأولى. ٢٢- رسالة بطرس الثانية.
٢٣- رسالة يوحنا الأولى. ٢٤- رسالة يوحنا الثاني.
٢٥- رسالة يوحنا الثالثة. ٢٦- رسالة يهوذا.
٢٧- رؤيا يوحنا اللاهوتي^(١).

المطلب الثاني: البشارات بدعوة محمد ﷺ في الإنجيل

البشارة الأولى: ورد في يوحنا: «وَأَمَّا الْمَعْرِي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قَلْتَهُ لَكُمْ»^(٢).

قال يوحنا الإنجيلي: قال يسوع المسيح من إنجيله: «إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء»^(٣).

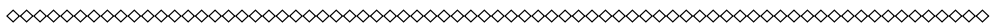
(فالفارقليط) هو: محمد رسول الله ﷺ الذي أرسله الله بعد المسيح، وهو الذي علم الناس كل شيء،... وقد سماه المسيح (روح الحق) وذلك غاية المدحة وأعلى درجات المنحة^(٤).

(١) ينظر: العهد الجديد في الكتاب المقدس.

(٢) (الكتاب المقدس، العهد الجديد. يوحنا، الاصحاح ١٤، ٢٦).

(٣) ورد هذا النص في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٨٤)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٧٠١)، هداية الحيارى، ابن القيم (٢/ ٩٩)، الوفا بتعريف فضائل المصطفى - ط المعرفة (ص: ٢١) ابن الجوزي، الناشر: دار المعرفة من مستودع الشاملة.

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٧٠٢).



واعلم أن النصارى اختلفوا في تفسير لفظة الفارقليط على أقوال: فقيل: إنه (الحماد)، وقيل: (الحامد)، وقيل: (المعز)، وأكثر النصارى على أنه (المخلص)، فإن فرعنا عليه فلا خفاء بكون محمد رسول الله ﷺ مخلصاً للناس من الكفر والمعاصي والجهل. ومنقذهم من دركات الهلاك بإرشادهم إلى توحيد الله وعبادته. وبذلك سمى المسيح نفسه في الإنجيل؛ إذ قال: «إني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم». والنصارى يقرؤون في صلاتهم: «يا والدة الإله لقد ولدت لنا مخلصاً». وإذا كان المسيح مخلصاً لا بد من مخلص آخر لأمتة^(١).

قد نقلنا تسييرهم (للفارقليط) وأنه على صحيح أقوالهم: (المخلص) وقد ذكر المسيح أنه لا بد من (فارقليط) آخر يثب إلى الأبد. وثبوت النبي إلى الأبد ممتنع. فلم يبق إلا حمل الكلام على الشريعة التي جاء بها النبي. وهذه شريعة نبينا ﷺ باقية على أسس قويم ومنهج من الحق مستقيم. لا تنقض بوفاقه ولا تنقض ولا يتخلل الخلل خلالها ولا يعترض. وذلك نظير^(٢) قوله تعالى: ﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٣).

البشارة الثانية: ورد في يوحنا: «أَبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسَجَدَ فِيهِ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ، صَدَّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلْأَبِ»^(٤).

قال المسيح فيما حكاه يوحنا التلميذ عنه: «قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح: يا سيد أبائنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم؟ فقال المسيح: يا هذه أمني فإنه ستأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم يسجدون للأب».

وهذا من المسيح عليه السلام إشارة إلى تغيير بيت المقدس إلى الكعبة. فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة التوجه إليها على يد محمد ﷺ نسخ ما عداها، وصار السجود لله تعالى لا في أورشليم ولا في غيرها بل إلى جهة الكعبة لا غير^(٥).

البشارة الثالثة: ورد في يوحنا الأولى: «أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الْأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللَّهِ؟ لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذِبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. بِهِذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللَّهِ: كُلُّ رُوحٍ

(١) المرجع السابق (٢/٧٠٢).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/٧٠٤).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٤) (الكتاب المقدس، العهد الجديد. يوحنا، الاصحاح ٤، ٢٠-٢١).

(٥) ينظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة (٤٢٩) للفراف في المتوفى سنة ٦٨٤هـ، الناشر دار النوادر للتراث، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/٧١٢/٧١٣).

يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ رُوحٌ ضِدُّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ»^(١).

قال يوحنا التلميذ في كتاب رسائل التلاميذ المسمّى فراكسيس: «يا أحبائي إياكم أن تؤمنوا بكلّ روح، ميّزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها. واعلموا أن كلّ روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدياً فهي من عند الله. وكلّ روح لا تؤمن بأن يسوع المسيح جاء، وكان جسدياً فليست من عند الله. بل من المسيح الكذاب الذي سمعتم به وهو الآن في العالم»^(٢).

فقد شهد الحواري بأن محمّداً من عند الله؛ لأن محمّداً قد آمن أن المسيح قد جاء وكان جسدياً. فأما اليهود فلم يؤمنوا بالمسيح ولا كثير من أهل ذلك الزمان. واليهود إلى الآن في انتظار مسيح آخر. ولا مسيح يأتي سوى المسيح الدجال الكذاب الذي حذرت منه الأنبياء عليهم السلام وأن اعتقادهم في المسيح هو الاعتقاد الحقّ، وقد أكذب النصارى بقوله هذا في دعوى ربوبية المسيح. إذ فرّق في قوله بين الله وبين المسيح. وشهد أن الله غيره وأنه غير الله^(٣).

البشارة الرابعة: ورد في انجيل متى: «قَدِمَ لَهُمْ مَثَلًا قَائِلًا: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتَ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبَقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنْ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَأَوَّى فِي أَغْصَانِهَا». قَالَ لَهُمْ مَثَلًا آخَرَ: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَحَبَّاتُهَا فِي ثَلَاثَةِ أَكْيَالٍ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ»^(٤).

في الباب الثالث عشر من إنجيل متى هكذا: (قدم لهم مثلاً آخر قائلاً يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله) (وهي أصغر جميع البذور ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتأتي وتأوي في أغصانها)^(٥).

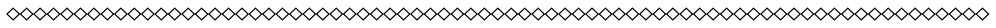
(١) (الكتاب المقدس، العهد الجديد. يوحنا، الاصحاح ٤، ١-٢-٣).

(٢) ورد هذا النص في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ت الألمي (١٨٢ / ٦)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٧١٧ / ٢)، الدين والدولة في إثبات نبوة محمّد ﷺ علي بن ربن الطبري (١٨٥)، هداية الحيارى (دار ابن زيدون) (٢ / ١٢٠).

(٣) ينظر: الأجوبة الفأخرة عن الأسئلة الفأخرة للقرايف (٤٦١)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٧١٧ / ٢)، الدين والدولة في إثبات نبوة محمّد صلى الله عليه وسلم علي بن ربن الطبري (١٨٥).

(٤) (الكتاب المقدس، العهد الجديد. متى، الاصحاح ١٣، ٣١-٣٢-٣٣).

(٥) ورد هذا النص في إظهار الحق (١١٧٦ / ٤)، منهاج المسلم (ص: ٢٩)، المؤلف: أبو بكر جابر الجزائري الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر. موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللثام (٦٢٨ / ٣) أحمد بن سليمان أيوب، ونسخة من الباحثين فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع الناشر: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع (دار وقفية دعوية) الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.



هذه العبارة في الإنجيل هي عين ما ذكره تعالى في القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزُرْعٍ أَخْرَجَ شَطْكُهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(١). المراد من ذلك: محمد ﷺ وأصحابه^(٢).

فملكوت السماء طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ، لأنه نشأ في قوم كانوا حقراء عند العالم لكونهم أهل البوادي غالباً، وغير واقفين على العلوم والصناعات، محرومين عن اللذات الجسمانية والتكلفات الدنيوية سيما عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر، فبعث الله منهم محمداً ﷺ فكانت شريعته في ابتداء الأمر بمنزلة حبة خردل أصغر الشرائع بحسب الظاهر، لكنها لعمومها نمت في مدة قليلة وصارت أكبرها وأحاطت شرقاً وغرباً، حتى أن الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبثوا بذيول شريعته^(٣).

البشارة الخامسة: ورد في إنجيل متى: «سَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «فَلِمَاذَا يَقُولُ لِكْتَبَةِ: إِنَّ إِبِلِيَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوْلَا؟». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ إِبِلِيَا يَأْتِي أَوْلَا وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ»»^(٤).

روى متى في الإصحاح السابع عشر ذلك الحوار الذي دار بين المسيح عليه السلام وتلاميذه وهو: (قولهم: لماذا يقول الكتبة: إن إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً؟. فأجاب وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولاً، ويرد كل شيء)، وأردف المهتدي النجار هذه البشارة بقوله: (وجد المحرفين يشيرون بأن هذا الكلام على يوحنا -أي: سيدي يحيى- مع أن سيدنا يحيى ليس له شرع ولا كتاب). وقد سبق القول في البشارة الثالثة من بشارات متى أن الأنجيل تضاربت في إطلاق اسم إيلياء على يوحنا نفية وإثباتا، كما أنها أوردت نفي يوحنا عن نفسه هذا اللقب، فتعين أن المبشر به في هذا النص هو نبي سوى يوحنا وهو محمد ﷺ^(٥).

البشارة السادسة: ورد في متى: «أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَبْتَكَئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصُرِيرُ الْأَسْنَانِ»^(٦).

في الإنجيل قال المسيح عليه السلام لمن حضره: «الحق أقول لكم إنه سيأتي قوم من

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) منهاج المسلم أبو بكر جابر (ص: ٢٩).

(٣) إظهار الحق (٤/ ١١٧٦).

(٤) (الكتاب المقدس، العهد الجديد، متى، الإصحاح ١٧، ١١-١٠).

(٥) مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية (٦١٨-٦١٩) لـ د. محمد السحيم، الناشر دار الفرقان، لا يوجد طبعة.

(٦) (الكتاب المقدس، العهد الجديد، متى، الإصحاح ٨، ١١-١٢).

المشرق إلى المغرب فيكون معهم إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، ويخرج بنو الملكوت إلى الظلمة البرانية خارجًا هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.»

فأشار المسيح عليه السلام إلى هذه الأمة فإن دعوة عيسى عليه السلام كانت خاصة بأولاد يعقوب عليه السلام، وهم بنو إسرائيل أولاد الأنبياء، ولذلك سماهم بني الملكوت، ودعوة نبينا عليه السلام عامة لأهل الأرض، فأمن به أهل المشرق والمغرب، وكان منهم العلماء والنجباء والصالحون، والأولياء، فكانوا مع الذين أنعم الله وهم بنو يعقوب عليه السلام، فكانوا في ظلمات الجهالات وحركات العقوبات، فلقد نصحهم المسيح عليه السلام غاية النصيحة وبالغ في إرشادهم غاية المبالغة^(١).

البشارة السابعة: ورد في يوحنا: « إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية يوحنا ذلك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»^(٢).

قال يوحنا في إنجيله إن المسيح قال: (إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو سيرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية، ذلك يمجدني). وهذه البشارة في معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْأُمُورِ ۗ۝۳۰ إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْيُوحَىٰ ۗ۝۳۱ ﴾^(٣)، والمسيح يبصر أمته بأن لديه أمور كثيرة تفوق طاقة احتمالهم، وأنه سيأتي الوقت المناسب لمجيء الرسول الذي يعنيه بالروح الحق. فتكون العقول قد فتحت، والقلوب قد ذهب عنها رينها، والنفوس قد أهتمت بعد فجورها تقواها، في اللحظة فقط- يكون الناس قد استعدت أفهامهم، واتسعت مداركهم؛ الاحتمال كل ما يلقي إليهم على لسان هذا النبي الذي لا يتكلم من نفسه؛ وإنما من وحي يوحى إليه من ربه بالقرآن^(٤).

البشارة الثامنة: ورد في يوحنا: « لكنني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم وممتي جاء ذلك بيئت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة: إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية»^(٥).

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة للقرلي (٤٣٠).

(٢) (الكتاب المقدس، العهد الجديد، يوحنا، الاصحاح ١٦، ١٢-١٣-١٤).

(٣) النجم: ٤، ٣.

(٤) مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، ل. د. محمد السحيم (٦٤٧).

(٥) (الكتاب المقدس، العهد الجديد، يوحنا، الاصحاح ١٤، ٧-٨-١١-١٢).



قال المسيح فيما رواه يوحنا: «إن خيراً لكم أن أنطلق لأنني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط؛ فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لي كلاماً كثيراً أريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحقّ ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحقّ. لأنه ليس ينطق من عنده؛ بل يتكلم بما يسمع. ويخبركم بكلّ ما يأتي. ويعرفكم جميع ما للآب»^(١).

وإذا تأملنا هذه الإشارات وجدناها مطابقة لصفات محمد ﷺ؛ لأنه لم يأت بعد المسيح من ادعى النبوة ومجد عيسى وبالغ في تمجيدته، وصدقه في نبوته، ووبخ العالم على خطية الكفر وقتل اليهود وغيرهم على تكذيب المسيح وعبادة الأوثان وأخبر بأن الناس يدانون يوم القيامة ويحاسبون، وعلم الناس محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق وظهر ناموسه، واشتهر في البدو والحضر كظهور نواميس الأنبياء قبله إلا محمد ﷺ^(٢).

البشارة التاسعة: ورد في يوحنا: « لا أَتَكَلَّمُ أَيضاً مَعَكُمْ كَثِيراً، لِأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ»^(٣).

قال يوحنا الحواري: «قال المسيح إن أركون العالم سيأتي وليس لي شيء»^(٤).

(الأركون) بلغته العظيم القدر، و(الأراكنة) هم العظماء.

وقد قال أشعيا في وصف محمد رسول الله ﷺ: «أركون السلام». يعني: عظيم الخير والبر. وقال المسيح عليه السلام: «إن أركون العالم يدان». يشير إلى السلطان الظالم، والإدانة هي شدة المحاسبة. فقول المسيح: «إن أركون العالم سيأتي وليس لي شيء». يريد أن: (الفارقليط) الذي قدمنا ذكره يأتي ويستولي على سائر الملك وينسخ كلّ شرع فلا يبقى مع شرعه شرع معتبر ولا حكم مقرر^(٥).

(١) ورد هذا النص في: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١ / ٢٨١) سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، المحقق: سالم بن محمد القرني الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢ / ٧١١)، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص: ٢٢) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، وذكر في لفظ مختلف في صياغته ولكن نفس المعنى في كتاب الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١ / ٥١٨) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، لا يوجد طبعة.

(٢) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية لنجم الدين (١ / ٢٨٢/٢٨١).

(٣) (الكتاب المقدس، العهد الجديد، يوحنا، الاصحاح ١٤، ٣٠).

(٤) ورد هذا النص في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ت الألمعي (٦ / ١٨٢)، هداية الحيارى، ابن القيم (٢ / ١٠٠)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي (٢ / ٧١٤).

(٥) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي (٢ / ٧١٤).

البشارة العاشرة: ورد في متى أن: « قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبِنَاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مَنْ قَبِلَ الرَّبَّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَلَكَوَتِ اللَّهُ يَنْزِعُ مِنْكُمْ وَيُعْطِي لَأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَعْمَارَهُ وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ يَتَرَضُّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ»^(١).

قال متى التلميذ: «قال المسيح: ألم تقرأوا أن الحجر الذي أرذله البنائون صار رأساً للزاوية من عند الله كان هذا. وهو عجيب في أعيننا ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ستؤخذ منكم وتدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر يتشدخ. وكل من سقط عليه يمحقه»^(٢).

فليت شعري من هذه الأمة التي دفعت لها ملكوت الله فأكلت ثمرتها بعد المسيح غير أمة محمد؟! ومن هو هذا الذي كل من غزاه انشدخ، وكل من تولى هو غزوه وقتاله محقه سوى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته^(٣).

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث الموجز أسأل الله الكريم أن يتقبل مني هذا الجهد، فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان.

ألخص ما توصلت إليه في هذا البحث من النتائج الآتية:

إن التوراة في اللغة معناها التعليم والشريعة، وتسمى أسفار موسى الخمسة، وأيضاً تسمى العهد القديم فيها (٣٩) سفرًا، وهو كتاب اليهود والنصارى.

إن الإنجيل معناه في اللغة البشارة، ويسمى العهد الجديد وهو كتاب النصارى واليهود لا يؤمنون به، وهو مكون من (٢٧) سفرًا.

إن البشارات في العهد القديم أكثر من العهد الجديد.

التنوع في البشارات وبدعوة محمد ﷺ، ومنها أنه خاتم النبوة.

إن المسيح أشار إلى تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة.

ورد في إنجيل متى أن الله سبحانه يبعث الرسول عليه الصلاة والسلام ليظهر الأرض ويقيم الدين ويظهر الحق.

(١) (الكتاب المقدس، العهد الجديد، متى، الاصحاح ٢١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤).

(٢) ورد هذا النص في الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقراي (٤٢٧)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل أبو البقاء الهاشمي (٧١٥ / ٢).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الهاشمي (٧١٥ / ٢).

تنبؤات إشعيا بمبعث الرسول ﷺ.

في سفر التثنية بشر صراحة في النبي محمد ﷺ حين ورد في «سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك».

بيان قدرة الله سبحانه وتعالى على حفظ هذه البشارات في كتبهم لتكون حجة عليهم،
وليظهر الحق وصدق الرسول ﷺ وعموم رسالته.
وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم التوصيات:

استخدام هذه البشارات في الرد عليهم من كتبهم وبيان فساد أقوالهم.
المقارنة بين البشارات في العهد القديم والعهد الجديد والصلة بين تلك البشارات.

فهرس المراجع والمصادر

القران الكريم.

الكتاب المقدس، العهد القديم، العهد الجديد.

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ، الناشر دار النوادر
للتراث الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

إظهار الحق محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي
(المتوفى: ١٣٠٨هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبدالقادر خليل ملكاوي
- الرياض الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية
الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

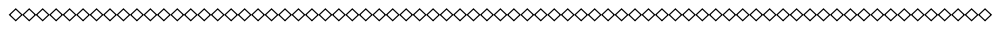
الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي
بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) المحقق: د. أحمد
حجازي السقا الناشر: دار التراث العربي - القاهرة لا يوجد طبعة.

البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، زيادة بن يحيى النصب الراسي (كان حيا:
ق ١١هـ)، المحقق: سعود بن عبدالعزيز الخلف الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية،
المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

البداية والنهاية، ط هجر أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة

- والنشر والتوزيع والإعلان سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- بشارات العهد القديم بمحمد صلى الله عليه وسلم، د. محمد بن عبدالله السحيم (ص: ٦)، من مستودع الشاملة لا يوجد طبعة وناشر.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، للقس أنسلم تور ميديا، وهو شهير بعبد الله الترجمان الأندلسي، تحقيق محمد حماية، الناشر دار المعارف، الطبعة الثالثة، لا يوجد تاريخ لطبعة.
- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي (المتوفى: ٦٦٨هـ) المحقق: محمود عبدالرحمن قدح الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الجامع الصحيح للسيرة النبوية، (٢ / ٣١٠)، الأستاذ الدكتور سعد المرصفي الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م. وجاء النبي المنتظر (ص: ٤٦) عبد الوهاب بن عبدالسلام بن طويلة الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن - عبدالعزيز بن إبراهيم حمدان بن محمد الناشر: دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لد. سعود بن عبدالعزيز الخلف الناشر: أضواء السلف الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.
- الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عنه وسلم، - علي بن ربن الطبري ت ٢٤٧هـ، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د. يوسف محمد عبد الله الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص اللاهوتي، تحرير: بطرس،

- أسكندر طمسن، إبراهيم مطر، (حرف س . ١٨) لا يوجد ناشر وطبعة.
- ما جاء في التوراة عن رسول الله ﷺ، مجدى زكى هذا الكتاب من مستودع الشاملة، لا يوجد ناشر ولا طبعة.
- ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ، لأحمد ديدات، تقديم: عوض الله مجازي، الناشر دار المنار، لا يوجد طبعة.
- محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، عبدالأحد داود، ترجمة محمد فاروق الزين، الناشر، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٨٤١٨هـ.
- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى مَنْ الله عليه بالإسلام) الناشر: دار المنار عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، ل. د. محمد السحيم، الناشر دار الفرقان، لا يوجد طبعة.
- منهاج المسلم، المؤلف أبو بكر جابر الجَزَائِرِي، الناشر دارُ السَّلَام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر.
- منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، الناشر دار ماجد عسيري الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- موسوعة الأعمال الكاملة، للإمام محمد الخضر حسين الإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللثام، أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع، الناشر دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع (دار وقضية دعوية) الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- هداية الحيارى، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر دار ابن زيدون، بيروت، لبنان الأولى: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم، منقذ بن محمود السقار، الناشر دار الإسلام للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الوفا بتعريف فضائل المصطفى، - ط المعرفة (ص: ٢١) ابن الجوزي، الناشر دار المعرفة من مستودع الشاملة.

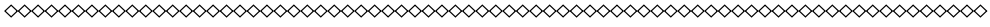


موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، الناشر دار الشروق الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.

الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، المحقق: سالم بن محمد القرني الناشر مكتبة العبيكان - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد ابن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، لا يوجد طبعة.



بشارات الكتاب المقدس برسول الله محمد ﷺ

Abstract

This paper clearly shows that the preaching of the Jewish and Christian books of the Prophet Muhammed, may God's prayers and peace be upon him, is an indisputable truth and this what the Noble Qur'an has told us. Rather, the interest of the Islamic scholars engaged in comparative religion or debated with Jewish rabbis and Christian priests is their desire to persuade the people of what they believe in and sanctify from the texts, not in recognition of the validity and inviolability of these texts from distortion. Although this does not prevent it from carrying with it the remnants of the divine right, according to the testimony of those who converted to Islam from among the Jewish and Christian scholars. What we need today is to reestablish the science of debate and argue with people using the texts of their books in order to convince them of the religion of truth and support the Prophet of Islam, peace and blessings be upon him, with knowledge rather than violence.

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل القرآن للعالمين بيانا، وجعله لكل شيء تبيانا، ونصبه بين الحق والباطل فرقانا، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره بكل لسان محمود، ونشهد أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك وهو على كل شيء قدير، ونشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، المبشر به من لدن آدم الى عيسى عليهم السلام رحمة ونورا للعالمين، وصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

كثر الحديث حول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا من يسبه وذلك من يرسمه وهناك من يتهمه في أزواجه وعرضه وأخلاقه، وتأتي هذه التصرفات في الغالب من أتباع الكتب السماوية، والغريب أن لا نجد أي رد فعل من أحبارهم ورهبانهم سوى الصمت المطبق وهم أهل

كتاب وأدرى بما في كتبهم من الحق، ولهم علم ودراية بصفات الأنبياء التي لا يرفضها عقل سليم ولا تجافىها فطرة نقية، وما كثرهم بالنبي الكريم إلا جحودا واستكبارا، «فجميع من خالف الإسلام إنما خالفوه لأربع علل: أولا من الشك في خبر النبي صلى الله عليه وسلم، والثانية الأنفة والعزة، والثالثة التقليد والألف، والرابعة البلادة والغباوة.. فلو ميزوا الخبر وعقلوه لقبولهم ولم يدفعوه، ولما طلبوا ما عند الله بمخالفة أمر الله.»^(١)

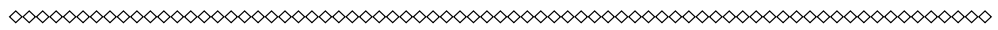
ولما كان عوام الغرب أبعد القوم عن دينهم وأخضعهم لآلة الإعلام وسمومها وجب علينا بيان حقائق دينهم والكشف عن أصول الحق في كتبهم، ونفي اللبس عن أذهانهم، ونبين لهم الأسباب التي من أجلها تتبع الأمم أنبياءهم بحجة العقل والنقل من القول المثبت عندهم حتى لا تبقى لهم حجة على أنفسهم ما داموا أهل كتاب وفلسفة ومنطق.

لأجل هذا جاءت هذه الأوراق مع قلتها تحاول الإجابة على سؤال قديم جديد وشائك أقيمت له مناظرات بين علماء دين أفاض وألفت حوله كتب ألا وهو: هل بشرت نصوص الكتاب المقدس الحالي بالنبي محمد ﷺ؟ ألا يمكن أن يكون اخبار القرآن الكريم بالبشارة بسيد الخلق في كتب الأولين اخبارا يقصد به الكتب الغير المحرفة؟ في هذه الحالة ألا يمكن أن تكون لهؤلاء الحججة على الله ورسوله في عدم الايمان بالدين الخاتم؟ ألا تدل أدلة العقل والمنطق على نبوة الرسول الأكرم عليه السلام الى جانب الأدلة النقلية؟ كل هذه إشكالات وتساؤلات تتطلب منا البحث والتمحيص لإيجاد إجابات شافية لها لعلها تكون سببا لفتح المجال للتركيز على المشترك الديني بدل الصراع والتجريح.

خطة البحث

في هذه الأسطر نحاول إثبات البشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل من خلال نصوص الكتاب المقدس التي تحمل في ثناياها هذه البشارات سواء تصريحاً أو تلميحاً، فنعرض تفاسير علماء الإسلام ومن أسلم من أهل الكتاب بسبب هذه النصوص، وقبل ذلك نعرض على آيات القرآن الكريم المخبرة بتبشير رسل أهل الكتاب برسول الإسلام عليه السلام، مع التركيز على المشترك الديني بيننا وبين أهل الكتاب، إذ لا تتقاضى بين شرائع الله ورسالاته ومن أحدث التفرقة أهواء الناس وتعصبهم لا غير. وسنقتصر على نماذج من نصوص الكتاب المقدس المبشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم تقاديا للإطالة مع الإحالة في الهامش على باقي النصوص لمن لأراد التوسع والاستزادة.

(١) علي بن ربّان الطبري، ساعده فيه الخليفة العباسي المتوكل على الله: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ ص ٣٦.



نعمد بعد هذا إلى تحليل هذه النصوص تحليلًا داخليًا حسب السياق الخاص والعام لها بين نصوص الكتاب المقدس، مع استحضار سياقها التاريخي والجغرافي لفهمها فهما سليما يوصلنا إلى المعنى الحقيقي لها بعيدا عن التعصب والتهمج أو التشنيع بالرأي المخالف، إذ الهدف تبصير الآخر بفحوى ما يؤمن به من النصوص، لا بصدد الصراع والجنوح إلى العنف، بعدها نستحضر الأدلة العقلية الدالة على نبوة الرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة والسلام والتي فيها تأييد صريح لما تحمله نصوص الكتاب المقدس من دلائل نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

فجاءت مراحل البحث كالآتي:

المبحث الأول: القرآن الكريم ينص على تبشير الرسل عليهم السلام بخاتم الأنبياء ﷺ في كتبهم.

المبحث الثاني: بشارات الكتاب المقدس بالرسول ﷺ.

المطلب الأول: التبشير بمحمد ﷺ في العهد القديم:

المطلب الثاني: التبشير بمحمد ﷺ في العهد الجديد:

المبحث الثالث: الأدلة العقلية على نبوة الرسول محمد ﷺ:

الخاتمة: وتضمن النتائج والتوصيات.

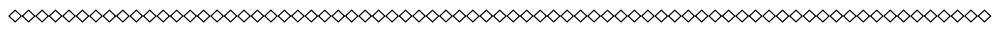
المبحث الأول: الآيات القرآنية المشيرة إلى سيد الخلق ﷺ في الكتاب المقدس.

انطلاقاً من قول الله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٥٧:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الصف: ٦) لا شك أن الذي حضز علماء الإسلام ممن اشتغلوا بعلم مقارنة الأديان للبحث بين طيات نصوص الكتاب المقدس عن التبشير^(١) ببعثة الرسول الأعظم خاتم النبيين محمد ﷺ،

(١) التبشير: بشره من البشري، وبابه نصر ودخل، ونقول «أبشر بالخير» ومنه قوله تعالى (وأبشروا بالجنة) فصلت: ٣٠.



هو ما تحمله معاني هذه الآيات القرآنية ومثيلاتها والتي أخبرنا الله فيها بشكل قطعي وجازم أن ما من نبي أو رسول إلا نبأ قومه بالنبي الخاتم ورسالته الجامعة المانعة، وهذا ما تؤكد روايات المؤرخين ورواة الأحاديث النبوية الشريفة. ونحن نؤمن بذلك ونؤيده فهو الحق. وقد جاء اكتشاف إنجيل برنابا^(١) - رغم إنكار الكنائس الرسمية له - وما فيه من تصريح باسم النبي ﷺ تأييدا حاسما يقطع كل شك لدى جميع الباحثين.^(٢)

فخصوص القرآن الكريم صريحة في الاخبار بالبشارة بالرسول الله ﷺ، وخبر التبشير به عليه السلام في الكتب المقدسة معلوم من الدين بالضرورة، ومن الأشياء المسلم بها لدى المسلمين.

ولو أن القرآن الكريم لم يذكر صراحة في عشرات الآيات الكريمة أن هذا النبي مبشّر به في التوراة والمزامير والإنجيل ما فكر أحد من المسلمين في أن يُجهد نفسه للبحث عن الأدلة على نبوة الرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة والسلام في نصوص الكتاب المقدس، ولو حذف البشارة به ﷺ في التوراة والإنجيل لكان ذلك لأهل الكتاب حجة للكفر بالقرآن الكريم والنبي ﷺ، والله تعالى ما جعل للناس عليه من حجة، قال سبحانه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء: ١٦٥)، فقله تعالى في الآية السابقة من سورة الأعراف: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) أن سر الإعجاز والتحدي في الكلمة «عندهم» وبوجود الكلمة «عندهم» ضمن الله تعالى حفظ البشارات بعبده ورسوله في كل الكتب التي في أيدي مختلف الطوائف اليهودية والنصرانية والتي كان لكل منها أسفاره القانونية الخاصة به، وهذا أبلغ في التحدي.^(٣)

لكن الملاحظ أن القرآن الكريم صرح بأن عيسى عليه السلام بشّر باسم «أحمد» تصريحاً بالقول؛ لكن البشارة المكتوبة التي وصلتنا بشّرت بصفاته وذلك بصريح القرآن. فالذكر الحكيم لم ينطق باسمه في البشارة المكتوبة إنما نطق بصفاته؛ إذ لم يقل: (الذي يجدونه مكتوبا عندهم

إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح الجزء الثاني ص ٥٩٠ - والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة كقوله تعالى: (فبشرهم بعداب أليم) التوبة: ٤٢. ابن منظور: لسان العرب المجلد ٤ ص ٦٤.

(١) للإطلاع على نصوص إنجيل برنابا المصرح فيها بالبشارة بسول الله ﷺ أنظر: عبد الحميد خالد سرحان: العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا ص ٥١ - محمد عبد الرحمن عوض: الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأنجيل الأربعة ص ١٢٢.

(٢) للإطلاع على نماذج تلك النبوءات أنظر: محمد عبد الرحمن عوض: الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأنجيل الأربعة، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع ص ١٢٢.

(٣) الشريف بن حمزة الجبوري الجزائري: البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاشكال والجحود: ص ٢٨.

اسمه أحمد) إنما قال: (يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (١).

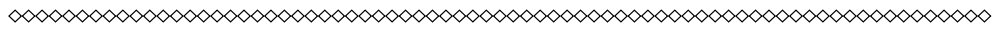
ولقد كان لهذه البشارات الأثر العظيم في نشر دعوة الإسلام، فقد جاء في سيرة ابن كثير أنه عليه الصلاة والسلام بقي ثلاثة عشر عاماً في مكة، لم ير من قومه إلا الإعراض والإيذاء. ولم يزد أتباعه عند جمّع من الباحثين عن مئة. فكيف نفسّر انتشار دعوته بين عشية وضحاها لمّا وصل إلى يثرب؟ لا سرّ في هذا سوى أن يثرب كانت أهلة باليهود. وكانوا يتوعّدون المشركين بقرب خروج نبي عظيم يقاتلونهم به ويبيدونهم إبادة عاد وارم، وهو ما حكاه عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩) وقد كان رجل من يثرب وهو سلمة بن سلامة يحكي عن هذا فقال: «كان لنا جار من يهود بني عبد الأشهل، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، فقالوا له: ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا، أن النَّاسُ يُبْعَثُونَ من بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزّون فيها بأعمالهم قال: نعم! والذي يُحلف به، وليؤدّ أي شخص أنّ له بحظه من تلك النار أعظم تورّ يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبّقونه عليه بأن ينجو من تلك النار غداً. فقالوا له: ويحك! وما آية ذلك، قال: نبيّ يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده إلى مكة واليمن قالوا: ومن يراه؟ فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً فقال: إن يستنفذ أي يستكمل هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: واللّه ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً ﷺ وهو أي اليهودي بين أظهرنا فأمنّا به وكفر بغيا وحسداً. فقلنا له: ويحك يا فلان! ألسنت الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى! ولكن ليس به» (٢) وروايات الأنصار رضوان الله عليهم كثيرة. وإسلام عبد الله بن سلام - وكان حبراً من أحبار اليهود - في اليوم الذي وصل فيه سيد الخلق ع إلى المدينة، وإسلام بيته أيضاً، آية على انتشار خبره بين أهل الكتاب قبل بعثته، وقصة إسلام سلمان الفارسي كذلك وغيرها.

لأجل كل هذا أجمع علماء الأمة ممن اشتغلوا بعلم مقارنة الأديان ومن أسلم من أحبار اليهود ورهبان النصارى على أن الكتاب المقدس بعهديه يضم في ثناياه نصوصاً تنبأت وبشرت بخاتم الأنبياء محمد ﷺ، فما من نبي أو رسول إلا نبأ قومه به ﷺ.

غير أن نصوص الكتاب المقدس وما لحقها من تحريف وتبديل من جهة، وكثرة المترجمين

(١) الشريف بن حمزة الجبوري الجزائري: البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاشكال والجحود: ص ٢٨.

(٢) سيرة ابن كثير دار المعرفة لبنان المجلد ١ ص ٢٩٢



لها واختلافهم البين في ترجمة معانيها من جهة أخرى، حال دون وجود نصوص صريحة حول البشارة بمحمد ﷺ، والوارد فيها نصوص تتحدث عن مخلص البشرية في آخر الزمان ومنقذها من الضلال والفتن، قائد حروب الرب ضد أعدائه، ملك مملكة الرب على الأرض..... غير أن هذه الصفات يعتبرها أتباع كل دين صفات ونعوت خاصة بمخلصهم لا بنبي آخر الزمان، فاعتبرها النصراني تتحدث عن السيد المسيح في مجيئه الثاني^(١)، واليهود اعتبروها نصوصا تبشر بمسياهم ونبیهم الذي وعدهم موسى عليه السلام بمجيئه لنصرتهم وإعلاء شأنهم بين الأمم، ليقیم لهم مملكته على الأرض من دجلة الى الفرات. النصوص واحدة إذن، غير أن تأويلاتها تختلف بسبب اختلاف المعتقد.

فما الذي جعل علماء الإسلام يلجؤون الى مثل هذه النصوص التي تحتمل تأويلات عدة ومتنازع حولها بين أتباع سائر أهل الكتاب وفرقهم، ومشكوك في صحتها، لإثبات نبوة محمد ﷺ وعندهم من الآيات والأدلة ما يغنيهم عنها؟ يقول القاضي عبد الجبار مجيبا على هذا التساؤل: ”فأما اشتمال التوراة والإنجيل على البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فمما عرفناه بالقرآن، وقد ذكر في ذلك ألفاظ كثيرة - ثم يروي بشارة سفر التكوين -... وإنما اقتصرنا على ما ذكرناه لأنه لا فائدة من ذكره، لأننا لا نستدل بما حل هذا المحل (أي التحريف) على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولأن القوم لو نازعونا في الذي ندعيه من هذه الألفاظ ومعانيها لم نرجع إلى ثقة فيما نورد. لأن هذا التفسير لم يثبت عندنا صحته، ولا المفسر ثبت عندنا نقله، وإنما نرجع فيه إلى ما يجري مجرى خبر الواحد، أو إلى اعتراف القوم بذلك، وأيهما كان فإنه يضعف عندنا التعلق به على طريقة الاحتجاج، وإن قوي التعلق به، إذا كان المقصد مدافعة القوم عما يحاولون الاحتجاج به علينا من ألفاظ التوراة.“^(٢)

لا شك إذن في أن أغلب من استشهد بنصوص الكتاب المقدس لإثبات نبوة الرسول ﷺ، هم من علماء الإسلام الذين وظفوا هذه النصوص من باب مقارعة الحجة بالحجة ومحاولة اقتناع القوم بما يؤمنون به من النصوص وما يتطلبه علم المناظرة من حجج قد تقنع المتناظر معه، أو من علماء اليهود أو النصراني الذين اعتنقوا الإسلام بسبب هاته النصوص وتعمق تأملهم فيها وفهمهم لمعانيها الدفينة مقارنة بما جاء به النبي ﷺ من الحق، يقول «أنسلم تورميذا الشهير

(١) مع ما بين هذه الفرق من اختلاف صارخ في تأويلها لهذه النبوءات خاصة بين الفرق الانجيلية المتأثرة بالفكر الصهيوني والفرق الأرثوذكسية الشيء الذي انعكس على اختلاف موقفهم من القضية الفلسطينية وإسرائيل، لكون كل حروب المخلص في آخر الزمان لها علاقة عند البعض بالأرض المقدسة وشعب إسرائيل. وهذا هو موضوع أطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه في علم الأديان من جامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال المغرب، والتي تمت مناقشتها سنة ٢٠١٩.

(٢) محمد توفيق صدقي: بشائر عيسى ومحمد في العهد القديم والعهد الجديد، دراسة وتحقيق خالد محمد عبده، مكتبة الناظرة، الطبعة الأولى ٦٠٠٢م، ص ٥.

بعبد الله الترجمان» حول ضرورة الاستشهاد بنصوص الكتاب المقدس لإقناع أهل الكتاب بنبوة الرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة والسلام : « وجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين رضي الله عنهم محتوية على ما لا مزيد عليه، إلا أنهم رحمهم الله قد سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات المعقول ... وأعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول، إلا في نادر من المسائل. فكنت شديد الحرص على أن أضع في الرد عليهم موضوعاً بطريق النقل وحقيقة الإنصاف، الذي يجمع بين النقل والقياس، وتتفق عليه العقول والحواس.»^(١)

وأعظم اثبات لأهل الكتاب حول التبشير بمحمد ﷺ هو ما تناقله علماءهم ممن أسلموا بسبب هذه النصوص، والذين قرن الله تعالى شهادتهم بشهادته سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد ٤٣). فطوى لعلماء أهل الكتاب الذين قرن الله عز وجل شهادته بشهادتهم. وطوى لهذا النبي الذي شهد بصدقه أعداؤه قبل أتباعه.

المبحث الثاني: بشارات الكتاب المقدس بالرسول ﷺ

المطلب الأول: التبشير بمحمد ﷺ في العهد القديم:

النص الأول: «جاء الربُّ من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نارٌ شريفة لهم.» (التثنية ٣٣: ٢)

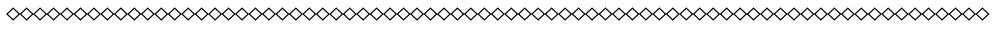
فاران وهي بركة شاسعة... يرجح كثيرون من العلماء أنها كانت تقع في الشمال من شبه جزيرة سيناء.»^(٢)

في هذا النص تنبأ موسى عليه السلام بأن الربُّ خرج من سيناء ثم سيخرج مرةً أخرى من جبل فاران ومن سعير، والمبشّر به هنا ناسخ للتوراة، والقادم من فاران هو نفسه القادم من سعير. فبرية فاران هي جزيرة العرب لأنها هي الواقعة شمال سيناء، وسعير هي إلى شمال فاران وهي اليوم جنوب الأردن. فكل من فاران وسعير إسمان لمكان واحد الذي هو شبه الجزيرة العربية.

وشهدت نصوص كثيرة من الكتاب المقدس على أن المراد ببرية فاران هي جزيرة العرب.

(١) أنسلم تورميديا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دار المعارف الطبعة الثالثة. القاهرة ص ٣١

(٢) دائرة المعارف الكتابية المجلد السادس ص ١.



ففي سفر التكوين جاءت برية فاران في سياق الحديث عن التحالف بين الملوك الذين ضربوا شعوباً في المشرق القديم أيام أبينا إبراهيم عليه السلام . قال السفر: «وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ أَتَى كَدْرَلَعُومَرُ وَالْمُلُوكُ الَّذِينَ مَعَهُ وَضَرَبُوا الرَّفَائِيَّيْنَ فِي عَشْتَارُوتَ قَرْنَائِمَ، وَالزُّوزِيِّيْنَ فِي هَامَ، وَالإِيمِيِّيْنَ فِي شَوَى قَرْنَائِمَ، وَالْحُورِيِّيْنَ فِي جَبَلِهِمْ سَعِيرَ إِلَى بَطْمَةَ فَارَانَ الَّتِي عِنْدَ الْبَرِّيَّةِ. ثُمَّ رَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى عَيْنِ مِشْفَاطِ الَّتِي هِيَ قَادِشُ. وَضَرَبُوا كُلَّ بِلَادِ الْعَمَالِقَةِ، وَأَيْضًا الْأُمُورِيِّيْنَ السَّاكِنِينَ فِي حِصُونِ تَامَارَ.» (التكوين ١٤: ٥ - ٧)

وكدر لاعومر هو ملك عيلام (في أرض إيران حالياً) ، و عشتروت قرنائيم في سوريا جنوب دمشق، وقرينائيم في مؤاب (الأردن حالياً) . وجبل سعير هو جنوب الأردن الحالي وشمال جزيرة العرب وقد سكنه عيسو أخو إسحاق عليه السلام . فترى من النص أن التحالف قدم من الشمال نحو الجنوب إلى غاية سعير إلى سهل فاران.^(١)

وتذكر التوراة برية فاران أنها مسكن أبينا إسماعيل عليه السلام أبو العرب المستعربة، جاء في سفر التكوين: «وَنَادَى مَلَاكُ اللَّهِ هَاجِرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكَ يَا هَاجِرُ؟ لَا تَخَافِي، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ لَصَوْتِ الْغَلَامِ حَيْثُ هُوَ. قَوْمِي أَحْمَلِي الْغَلَامَ وَشُدِّي يَدَكَ بِهِ، لِأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». وَفَتَحَ اللَّهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بَنَى مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلَأَتِ الْقَرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغَلَامَ. كَانَ اللَّهُ مَعَ الْغَلَامِ كَبِيرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَمُورَامِي قَوْسٍ. وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمَّةً زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.» (سفر التكوين ٢١: ١٧ - ٢٠)

والملاحظ هنا الترتيب في استعمال الألفاظ المناسبة لكل رسالة من الرسائل الثلاث، فأولاً كان «المجيء» (جاء الرب) بمعنى ظهور الرسالة، ثم الاشراف (وأشرق لهم) مرحلة أكثر من الظهور، كأن الشمس أشرقت بدين عيسى عليه السلام، ثم «التلاؤلؤ» (تلاً من جبال فاران) والتلاؤلؤ هو أقصى ما يكون الضوء في وجهه وإضاءته، وفي هذا إشارة الى الرسالة الخاتمة وهي أعم من رسالة موسى وعيسى عليهما السلام.^(٢)

النص الثاني:

«أَفِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكْلِمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيهِ بِهِ. يَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِبُهُ» (سفر التثنية ١٨: ١٨ - ١٩)

في هذا النص نجد أن «كلمة من وسطك» زائدة، ومن عادة التوراة حينما يتعلق الأمر بالفرز داخل شعب إسرائيل أن تستعمل الصيغ التالية: في وسطك، من وسطك، من وسط إسرائيل، من

(١) الشريف بن حمزة الجبوري الجزائري: البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاشكال والوجود: ص ١٨٠.

(٢) محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد الى التثليث، درا القلم - دمشق، الدر الشامية - بيروت الطبعة ١٩٩٢، ص ١٥٠ - ١٥٢.



وسط الشعب، من وسطكم، منكم، في بني إسرائيل. وقد كان بالإمكان أن تقول التوراة وتقطع الشك: يُقيم لكم الربُّ إلهكم نبياً من وَسَطِكِ أو فِي وَسَطِكِ أو منكم أو في بني إسرائيل أو عندك أو عندكم أو في الشعب. وهذه هي عادة التوراة لَمَّا يكون الفرزُ يعني شعب إسرائيل، لكنَّ التوراة أثرت أن تقول من وسط إخوتكم أو من وسط إخوتك. وكلمة «أخ» دار حولها نقاش بين اليهود والمسلمين والنصارى. فمن هم إخوة بني إسرائيل؟

بالتأمل في كلمات النص نجد أن النبي الذي يقيمه الله لبني إسرائيل في آخر الزمان ليس من نسلهم، ولكنه من بني إخوتهم، والنبي الذي جاء بعد موسى عليه السلام هو سيدنا عيسى عليه السلام وهو ليس من بني إسرائيل ولا من إخوتهم لأنه روح من الله وكلمته ألهاها الى مريم، لذا نجده في القرآن الكريم يخاطبهم بـ «يا بني إسرائيل»^(١) لا بـ «يا قوم» كما دأب على ذلك من سبقه من الأنبياء^(٢)، إذن فالمقصود هنا بلا شك سيدنا محمد ﷺ، والدليل على ذلك كلمة (مثلك) في النص، «والمراد بالمثلثة هنا يأتي بشرع خاص به تتبعه الأمم بعده، وهذه هي صفة نبينا محمد ﷺ لأنه من إخوتهم العرب بني إسماعيل وقد جاء بشرريعة ناسخة لجميع الشرائع التي تبعته.»^(٣)

وفي سفر التثية أيضا: «وَأَوْصِ الشَّعْبَ قَائِلًا: أَنْتُمْ مَارُونَ بِتُخَمِ إِخْوَتِكُمْ بَنِي عِيسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ، فَيَخَافُونَ مِنْكُمْ فَاحْتَرِزُوا جِدًّا. لَا تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ، لِأَنِّي لَا أُعْطِيكُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَا وَطْأَةً قَدَمٍ، لِأَنِّي لِعِيسُو قَدْ أَعْطَيْتُ جَبَلَ سَعِيرَ مِيرَانًا» (سفر التثية: ٢: ٤، ٥). وأيضا: «فَعَبَّرْنَا عَنْ إِخْوَتِنَا بَنِي عِيسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ عَلَى طَرِيقِ الْعَرَبَةِ» (التثية: ٢: ٨) وهذا النصان حاسمان في أن التوراة عندما تستعمل كلمة «إخوتهم» أو «إخوتك» في خطابها لكل الشعب فإنها تعني شعبا آخر غير إسرائيل.

واخوة بني إسرائيل هم العبرانيون (سفر التثية ١٥: ١٢)، وبنو إسماعيل سلالة عبرانية. وهم من يسكنون جبال فاران فلزم من ذلك أن المراد بالإخوة هنا هم أبناء إسماعيل وإليهم امتد نسب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. يقول رحمة الله الهندي: «هذه البشارة ليست بشارة يوشع عليه السلام كما يزعم الآن أحبار اليهود، ولا بشارة عيسى عليه السلام كما زعم علماء البروتستانت، بل هي بشارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.»^(٤)

(١) مثال قوله تعالى في سورة المائدة: ٧٢- والصف: ٦.

(٢) مثال قوله تعالى في سورة الأعراف: ٥٩ - هود: ٥٠، ٦١ وغيرها.

(٣) أنسلم تورميذا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دار المعارف الطبعة الثالثة - القاهرة، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٤) للمزيد من الأدلة حول هذه البشارة أنظر: رحمة الله بن خليل الهندي: إظهار الحق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى سنة ١٤١٠ هـ، ص ١١١٦.

المطلب الثاني: التبشير بمحمد ﷺ في العهد الجديد:

قال يوحنا في الفصل الرابع عشر من إنجيله: «إن عيسى قال: البارقليط الذي يرسله أبي في آخر الزمان هو الذي يعلمكم كل شيء.» (يوحنا ١٤: ٢٦)^(١)

وردت كلمة بارقليط خمس مرات في العهد الجديد، وجميعها كتابات الرسول يوحنا، ففي الانجيل (١٤: ١٦ - ٢٦ - ١٥: ٢٦ - ١٦: ٧) وفي رسالة يوحنا الأولى (٢: ١)

فإنجيل يوحنا هو وحده الذي يصف بالتحديد من سيكون المرشد الذي يتوجب على الناس اتباعه بعد اختفائه، وهو وحده الذي يعينه بوضوح بالاسم اليوناني «بارقليطس» الذي أصبح البارقليط باللغة الفرنسية.^(٢)

وكلمة بارقليط هي الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى العربية بكلمة «المعزي» أو «الشفيع»، وبارقليطس اسم مفعول تعني في أصولها اللغوية «المستعان به»^(٣) وكلمة «شفيع» تقترب أكثر إلى الفكرة الأصلية للكلمة فهي تنقل عنصرا جوهريا في المعنى.^(٤)

وقد أثير جدل كبير بين النصارى والمسلمين منذ أيام ابن هشام صاحب السيرة الشهيرة حول من هو البارقليطس الآخر الذي وعد به يسوع عليه السلام. والحقيقة أن صفات البارقليطس في إنجيل يوحنا لا تجمع ولا تأتلف. فحجج النصارى في أن البارقليطس هو الروح القدس لا تثبت أبدا أمام باقي أسفار يوحنا

أما حججتنا نحن فهي:

- ورد في كلام يسوع كلمة «آخر» ولا نقول آخر إلا إذا كان من نفس الجنس، فلا يصح إطلاق البارقليط على الروح القدس.

- البارقليطس يذكر التلاميذ بكل ما قاله يسوع. ولم يثبت أن الحواريين نسوا حتى ذكرهم الروح القدس.

- من شروط مجيء البارقليطس ذهاب يسوع عليه السلام. أما الروح القدس فكان ممتلاً

(١) هذه الصيغة جاء بها أنسليم تورميديا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي في كتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دار المعارف الطبعة الثالثة - القاهرة ص ١٤٠، ولنظله في الترجمة الحديثة: «وَأَمَّا الْمُعْزِي، الرُّوحُ الْقُدُّسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قَلْتَهُ لَكُمْ.»

(٢) موريس بوكاي: التوراة والأنجيل والقران الكريم بمقياس العلم الحديث، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي ط الثالثة سنة ١٩٩٠، ص ١٢٩

(٣) دائرة المعارف الكتابية المجلد الثاني ص ٥٠

(٤) دائرة المعارف الكتابية المجلد الثاني ص ٥١

منه يسوع ويحيى بن زكريا وكل الأنبياء السابقين. (يوحنا ١٦: ٧)

- وإذا قال يسوع: «يرشدكم إلى حق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به» يدلّ على أنّ

البارقليطس بشر. وأنه يتكلم و يسمع بأعضاء الكلام و السمع كما بين ذلك الدكتور موريس بوكاي،^(١) وأنه يخبر بأمور آتية ونبوءات مستقبلية (يوحنا ١٦: ١٣)

- «متى جاء البارقليطس يوبخ العالم على الخطية» (يوحنا ٨: ١٦). وما وبخ الروح القدس العالم. أما سيد الخلق فقد وبخ الذين كفروا من أهل الكتب والمشركين. ولبارقليطس يشهد ليسوع والتلاميذ يشهدون أيضا (يوحنا ٢٦: ١٥). ولقد نبه الشيخ رحمة الله الهندي على هذا المصطلح أيضا وبين بطلان ما ذهب إليه علماء النصارى في فهمهم له من عدة أوجه.^(٢)

المراد بالبارقليط، إذن هو سيدنا محمد ﷺ، يقول شوئييل الأورشليمي: «وقد وعد عيسى بمجيء محمد ﷺ، وأشار عنه بإشارات كثيرة. ومنها: أنه قد سماه «الفارقليط» وهي كلمة يونانية وترجمتها للعربي: الداعي. وهي - أي الداعي - من جملة أسمائه الشريفة. وقد نظرت هذه اللفظة مع جملة براهين مؤلفة من علماء النصارى وأخبار اليهود المهتدين. وهي بحق تصدق الدين المحمدي ومسندة على التوراة والانجيل والزبور. وهذه البراهين من هذه الكتب قد كان يتردد فيها بعض حاخاميم اليهود في زمن المصطفى ويتبعونه ويدخلون في دينه، والذين دخلوا، منهم عبد الله بن سلام، وكعب الأخبار وغيرهم كثير رضي الله عنهم.»^(٣)

المبحث الثالث: الأدلة العقلية على نبوة الرسول محمد ﷺ:

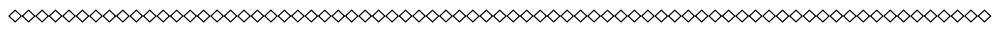
كانت هذه نماذج موجزة على بشارات الكتاب المقدس بالنبي محمد ﷺ، ولا ينقص من

(١) موريس بوكاي: التوراة والأنجيل والقران الكريم بمقياس العلم الحديث، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي ط الثالثة سنة ١٩٩٠، ص ١٣٠.

(٢) للمزيد من الأدلة حول هذه الإشارة أنظر: رحمة الله بن خليل الهندي: إظهار الحق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى سنة ١٤١٠ هـ، ص ١١٨٥.

(٣) إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبعية بإطال الديانة اليهودية، خرج نصوصها عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م، ص ٤٠.

(٤) للمزيد من النبوءات الكتابية حول سيدنا محمد ﷺ أنظر: ابن القيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى تحقيق محمد أحمد الحاج دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت ط الأولى ١٩٩٦م - علي بن ربن الطبري: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، حققه وقدم له عادل نويهض منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ط الأولى ١٩٧٣م - عبد الأحاد داوود: محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ترجمة محمد فاروق الزين مكتبة العبيكات الطبعة الأولى الرياض سنة ١٩٩٧م - قيس الكلبي: حقيقة محمد في التوراة والانجيل مؤسسة الثقافة الإسلامية الأمريكية سنة ٢٠٢٢م - سامح القليني: محمد والمسيح عليهما السلام والبحث عن الحقيقة سلسلة حديث النبوءات مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٨م ... وغيرها



ذلك طعن أهل الكتاب في هذه التأويلات وتكذيبهم لها، فكما ينكر اليهود عيسى بن مريم عليهما السلام، ويكذبونه، وليس عندهم رجل أشرف منه، وكذا ألوف من الحكماء والعلماء الذين هم من صنف القسيسيين ينكرونه ويستهزئون به وبملته، وألّفوا رسائل كثيرة لإثبات آرائهم... فكما أن إنكار اليهود وهؤلاء الحكماء والعلماء في حق عيسى عليه السلام غير مقبول عندهم، فكذا إنكار أهل التثليث في حق محمد ﷺ غير مقبول عندنا»^(١)

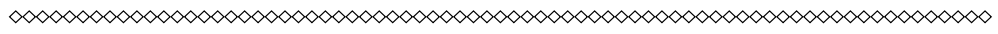
ثم إذا ما فرضنا جدلاً عدم صحة تأويلات علماء الإسلام للنصوص المبشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس كما يدعي هؤلاء، فنقول لهم بماذا تفسرون أقدام بعض علماء اللاهوت المسيحي واليهودي على اعتناق الإسلام وهم أعلم بنصوص الكتاب المقدس، سواء في العصر النبوي أو بعده.

ومثال ذلك ما رواه الإمام بن إسحاق فقال: قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة، أو قريب من ذلك من النصارى، حين ظهر خبره في أرض الحبشة، فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ورجال قريش في أنديةهم حول الكعبة. فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وأمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال: خيبكم الله من ركبنا بعنكم من وراءكم من أهل دينكم تترادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتهم وصدقتموه بما قال لكم. ما نعلم ركباً أحق منكم! أو كما قال. قالوا لهم: لاجاهلكم سلام عليكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لأننا لآلئون أنفسنا خيراً. وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يُنَادِي عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾^(٢)

إننا لا نجد الا تفسيراً واحداً لهذا، أن هؤلاء أدركوا ما في هذه النصوص من الحق فاتبعوه بعد طول بحث ودراسة، يقول عبد الله الترجمان الأندلسي متحدثاً عن سبب إسلامه: «...»
«بارقليط» وهذا الاسم الشريف هو باللسان اليوناني، وتفسيره بالعربية «أحمد» كما قال تعالى في

(١) رحمة الله بن خليل الهندي: إظهار الحق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى سنة ١٤١٠ هـ، ص ١٠٨٩.

(٢) عبد الملك ابن هشام: السيرة النبوية، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م، ص ٢٧٦.

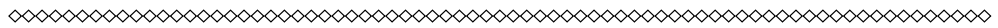


كتابه العزيز (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وهو في الانجيل باللطيني «براكتس» وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذي كان سبب إسلامي.»^(١) وبمثل هذا اعترف «إسرائيل ابن شموئيل» الذي اهتدى بدوره إلى الإسلام عن طريق ما في التوراة من بشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال: «أيا بني إسرائيل، يا أقربائي وبني جنسي: إنني أعلمكم بأن الذي أُلجأني إلى أن أترك ما عندكم وأدخل في دين الإسلام هو مركب من سبعة قضايا: أولها: أنني فحصت الفحص البليغ، وتركت الغرض والعناد القبيح، فوجدت كلام الأنبياء عليهم السلام وإشاراتهم عن هذا النبي العظيم محمد، الذي اتبعته، هي منطبقة عليه من كل الجهات، ثم هذه النبوءات التي رأيتها في كتب الأنبياء وسمعتها. فعلى ظني أن ليس عليها مرد مطلقا، ولا ناقض بوجه الحق، وهي من سيدنا موسى وأشعيا وداود وزكرياء وغيرهم. وثانيها: إن قبل مطالعتي لهذه البراهين كان دائما يخطر لفكري - كما يخطر لفكركم - وكنت أقول لذاتي بأن توراةنا وزبورنا ونبوات أنبيائنا لم يوجد فيها أدنى إشارة عن نبي المسلمين. ولكن بعد مدة مديدة من الزمان راجعت ذاتي وقلت في عقلي: وبه وبه كيف نبي مثل هذا الذي تبعته ألوف وكُرَّاتٌ ومليونات، وشعوبه وأمهت أكثر بكرات من شعوب موسى، وتبشيريه للناس وإنذاره بترك الكفر والحث على الإيمان بالله، ومجاهدته وغيرته الشهيرة، أيهمل ويترك، وينسى من الذكر عند أنبياء بني إسرائيل؟ فهذا القول بهذا الشكل الذي يعلمنا فيه أحبارنا والحاخاميم هو مضاىء لكل عقل سليم، بحيث إن أنبياء بني إسرائيل أنبأوا عن أشياء كثيرة كلية وجزئية، والإشارة عن هذا النبي هي من الأشياء الكلية اللازمة، فكيف يتركونها وينسونها؟ وبه وبه أنا لا يقبل عقلي كلام الحاخاميم الباطل وتأويلهم. فالتزمت عندما امتلأ فكري من هذا الميزان أن أفتش وأفحص بزيادة عما كنت أفحص من قبل، فوجدت كما قلت. وقلت: إن معاني وإشارات غزيرة موجودة في التوراة تشير إلى هذا النبي العظيم محمد، وهذه هي التي كانت من جملة الأسباب التي أحوجتني أن أترك الشريعة التوراتية، وأتبع الشريعة القرآنية المهنمة بغاية الهدام، والمنتظم إليها أخص ما يوجد في الشرائع السابقة.»^(٢)

ثم إن هذه النصوص المبشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى وإن سلمنا بصحة تأويلات أهل الكتاب لها فإن ذلك يتعارض وأدلة الواقع والعقل، فنبى مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيده الله تعالى ونصره وكثر من أتباعه ونشر دينه في كل مكان وعبر الأزمنة حتى وإن فارق الحياة بقي حيا في قلوب أتباعه... أفلا يدل هذا على صدق نبوته ﷺ؟ يقول الشيخ ابن تيمية: «إن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث، وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم،

(١) أنسلم تورميديا الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دار المعارف الطبعة الثالثة - القاهرة، ص ١٤٠.

(٢) إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبئية بإطال الديانة اليهودية، خرج نصوصها عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م، ص ١٠ - ٢٤.



فقبل المبعث: مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به ومثل الإهصاصات الدالة عليه. وأما حين المبعث فظاهر، وأما في حياته فمثل نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه. وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه، وإهلاك أعدائه، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (سورة غافر: ٥١) ^(١) « فأول مراتب النبوة أن تصحب الشخص معونة إلهية تحركه وتشطه لعمل صالح عظيم ذي قدر، مثل تخلص جماعة فضلاء من جماعة أشرار، أو تخلص فاضل كبير، أو إفاضة خير على قوم كثيرين. ويجد من نفسه لذلك محركا وداعيا للعمل وهذه تسمى روح الله: والشخص الذي تصحبه هذه الحالة يقال عنه إنه حلت عليه روح الرب. » ^(٢)

أظف الى ذلك تشابه حياة الأنبياء وزهدهم وورعهم وسمو أخلاقهم وكونهم قدوة لاتباعهم ثم عناية الله بهم وتربيته لهم فكانت هذه صفات استلزمت الايمان بنبي ما، فلم لا يصدق من جاء بعده ممن توفرت فيهم نفس الصفات. ^(٣)

فلا يمكن لمن صدق نبيا وقدم أدلة عقلية على صدقه عقلية ثم يعمد الى إبطال مثل هذه الأدلة في حق من سواه من الأنبياء، يقول السموءل بن يحيى بن عباس المغربي: « لا يسع عاقلا أن يكذب نبيا ذا دعوة شائعة، وكلمة قائمة، ويصدق غيره. لأنه لم ير أحدهما، ولا شاهد معجزاته. فإذا خص أحدهما بالتصديق، والآخر بالتكذيب، فقد تعين عليه الملامم والإزراء عقلا... وإذا كانوا قد آمنوا بموسى لشهادة التواتر بنبوته، فقد لزمهم التصديق بنبوته المسيح والمصطفى عليهما السلام... لأن المتواترات والمشهورات مما يجب قبولها في العقل. وموسى عليه السلام ومحمد وعيسى صلوات الله عليهم في هذا الأمر متساوون... ونقول تواتر الشهادات بنبوته موسى أضعف من تواتر الشهادات بنبوته عيسى ومحمد عليهما السلام. لأن شهادة المسلمين والنصارى بنبوته موسى ليست إلا بسبب أن كتابيهما يشهدان له بذلك، فتصديقهم بنبوته موسى فرع عن تصديقهم بكتابيهما. وأما معجزات القرآن فإنها باقية، وإذا كانت باقية فتلك فضيلة زائدة لا تحتاج إلى كونها سبب الإيمان. فأما من أعطى ذوق الفصاحة فإن إيمانه بإعجاز القرآن إيمان من شاهد المعجزات. » ^(٤)

(١) شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة الرياض ط الثانية سنة ١٩٩٩م، ج ٦ ص ٤٠٨.

(٢) موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي: دلالة الحائرين، ترجمة حسين أتابي، مكتبة الثقافة الدينية، ص ٤٢٣.

(٣) للاطلاع على بعض الصفات المشابهة بين الرسل انظر: خالد محمد خالد معا على الطريق محمد والمسيح المقطم للنشر والتوزيع القاهرة ص ٢٧.

(٤) السموءل بن يحيى بن عباس المغربي: بذل المجهود في افحام اليهود، مطبعة الفجالة الجديدة، ص ٢٣ - ٢٥ - ٢٠ - ٣١.

الخاتمة :

هكذا نثبت - لغير المسلمين - دائما صدق أخبار القرآن الكريم ونبوءاته فما من خير ساقه عن الأقدمين إلا وهو صادق لا يرقى إليه الشك، وما من نبوءة يضعها بين يدي قارئه إلا وقد تحققت أو ظهر ما يثبت أنها جديرة بالتحقق.. فحينما أخبر القرآن على لسان عيسى بن مريم قوله (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ..) كان هذا الإخبار عن حقيقة حدثت فعلا ونطق بها المسيح ورواها الحواريون عنه، وإن حاول البعض إغفالها.^(١)

تبشير كتب أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ حقيقة لا غبار عليها، وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم، وإنما يرجع اهتمام علماء الإسلام ممن اشتغلوا بعلم مقارنة الأديان أو مناظرة أحيار اليهود وقساوسة النصارى الى رغبتهم في اقتناع القوم بما يؤمنون به ويقدمونه من النصوص، لا اعترافا بصحة هاته النصوص وعصمتها من التحريف، وإن كان هذا لا يمنع من كونها تحمل في ثناياها بقايا الحق الرباني وذلك بشهادة من اعتنقوا الإسلام من علماء اليهود والنصارى. وما أحوجنا اليوم الى إحياء علم المناظرة ومحااجة القوم بنصوص كتابهم اقتناعا لهم بدين الحق ونصرة نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام بالعلم لا بالعنف، اخمادا لشرارة العنف المشتعلة بين الأمم.

قال تعالى: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَزَادُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ..﴾ (سورة المدثر: ٢١)

لائحة المصادر والمراجع :

القرآن الطريم برواية ورش عن نافع.

الكتاب المقدس بعهديه، ط الثانية ٢٠١١، دار الكتاب المقدس في مصر.

ابن القيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى تحقيق محمد أحمد الحاج

دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت ط الأولى ١٩٩٦م.

إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبعية بإطال الديانة اليهودية، خرج نصوصها

عبد الوهاب طويلة، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م.

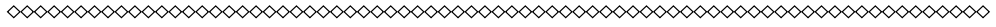
أنسليم تورميда الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي في كتابه تحفة الأريب في الرد على

أهل الصليب، دار المعارف الطبعة الثالثة - القاهرة.

(١) محمد عبد الرحمن عوض: الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأنجيل الأربعة، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع ص ١٢٢.



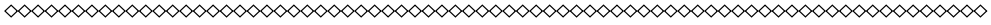
- خالد محمد خالد معا على الطريق محمد والمسيح المقطم للنشر والتوزيع القاهرة.
دائرة المعارف الكتابية المجلد السادس.
- رحمة الله بن خليل الهندي: إظهار الحق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى سنة ١٤١٠ هـ.
- سامح القليني: محمد والمسيح عليهما السلام والبحث عن الحقيقة سلسلة حديث النبوءات
مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م.
- السموئل بن يحيى بن عباس المغربي: بذل المجهود في افحام اليهود، مطبعة الفجالة
الجديدة.
- سيرة ابن كثير دار المعرفة لبنان.
- الشريف بن حمزة الجبوري الجزائري: البشارة برسول الله ﷺ بين الاشكال والوجود.
شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين ابن تيمية: الجواب الصحيح لمكن بدل دين المسيح،
تحقيق علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة الرياض ط الثانية سنة ١٩٩٩.
- عبد الأحاد داوود: محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ترجمة محمد فاروق
الزوين مكتبة العبيكات الطبعة الأولى الرياض سنة ١٩٩٧ م -
- عبد الحميد خالد سرحان: العقائد الإسلامية وانجيل برنابا، مكتبة الصحابة الإسلامية
السالمية - الكويت.
- عبد الملك ابن هشام: السيرة النبوية، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.
- علي بن ربن الطبري: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، ساعده فيه الخليفة
العباسي المتوكل على الله، حققه وقدم له عادل نويهض منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط
الأولى ١٩٧٢ م.
- قيس الكلبي: حقيقة محمد في التوراة والانجيل مؤسسة الثقافة الإسلامية الأمريكية سنة
٢٠٢٢ م -
- محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد الى التثليث، درا القلم - دمشق، الدر الشامية
- بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢.
- محمد توفيق صدقي: بشائر عيسى ومحمد في العهد القديم والعهد الجديد، دراسة
وتحقيق خالد محمد عبده، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م.



محمد عبد الرحمن عوض: الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأنجيل الأربعة، دار
البشير للطباعة والنشر والتوزيع.

موريس بوكاي: التوراة والأنجيل والقران الكريم بمقياس العلم الحديث، ترجمة الشيخ
حسن خالد، المكتب الإسلامي ط الثالثة سنة ١٩٩٠.

موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي: دلالة الحائرين، ترجمة حسين أتاى، مكتبة الثقافة
الدينية.



أ.د. خالد بن عبد الله القاسم

أستاذ العقيدة/ جامعة الملك سعود/ الرياض (سابقاً).

كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة

البشارات بالنبي محمد ﷺ الواردة في كتب أهل الكتاب

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

إن من أهم ما أكدت عليه النصوص من القرآن والسنة وجود البشارة بالنبي ﷺ في كتب

أهل الكتاب وخاصة التوراة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ الصف: ٦،
وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الأعراف ١٥٧

ومما لا شك فيه أن البشارات بالنبي ﷺ التي تضمنتها كتب وأخبار أهل الكتاب الموجودة

حاليا بين يدي أتباعها كثيرة وبينه بما يبرهن على صدق نبوته ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ونظرا لكون هذا البحث يراعى فيه الإيجاز مراعاة لشروط المشاركة في هذا المؤتمر

المبارك، فسوف أستعرض في هذا البحث بعض البشارات بالنبي محمد ﷺ الواردة في كتب أهل الكتاب بإيجاز، وذلك من خلال العناصر الآتية:

مقدمة، وتشمل أهمية الموضوع وأبرز أهدافه.

المبحث الأول: البشارات بالنبي محمد ﷺ الواردة في التوراة.

المبحث الثاني: البشارات بالنبي محمد ﷺ الواردة في الإنجيل.

خاتمة، تبين أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والموضوعات.

والله تعالى نسأل التوفيق والسداد.

توطئة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .
لقد بشرت الكتب السماوية الماضية وخاصة التوراة والإنجيل بظهور نبينا محمد ﷺ، ومما تجدر الإشارة إليه أن نبينا ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين لا يحتاج للاستدلال على نبوته ورسالته من خارج ما أنزله الله تعالى عليه من القرآن الكريم وما أجرى الله عليه من المعجزات البينات الذي يشهد بها البعيد قبل القريب، ولكننا نتحدث في هذه الورقة عن بعض البشارات التي وردت في التوراة والإنجيل؛ لأن:

أولاً: القرآن نص على أن الكتب السابقة بشرت بنبينا ﷺ، كما قال تعالى: ﴿الَّتِي الْأُمَمِ الْأَذَىٰ يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الأعراف: ١٥٧، وأخبر الله أن أهل الكتاب يعرفون النبي ﷺ حق المعرفة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٤٦ ونجد أن اليهود أنفسهم قبل بعثة النبي ﷺ كانوا يهددون العرب في المدينة ويقولون لهم: «إن نبيا الآن مبعوث قد أظلم زمانه، نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم»^(١)، ولكن مع ظهور النبي ﷺ في المدينة لم يعترفوا بنبوته وكفروا به وخالفوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم فأنزل الله في شأنهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٨٩

وفي هذه الآيات وأشباهاها الدليل الكافي على ثبوت ذلك في كتبهم من وجهين:

أن النبي ﷺ من أعقل الناس بشهادة خصومه، والعاقل لا يسعى لإظهار كذب نفسه، وقد كان النبي ﷺ يدعوهم إلى اتباعه وتصديقه، فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج، ثم يحيل ذلك إلى ما عندهم، وما في أيديهم، ويقول: من علامة نبوتي وصدقي أنكم تجدونني عندكم مكتوباً، وهم لا يجدونه كما ذكر، فلا يزيدهم ذلك عنه إلا بعداً، وقد كان غنياً أن يدعوهم بما ينفرهم، ويستميلهم بما يوحشهم؟^(٢).

أن النبي ﷺ يُسمعهم تلك الآيات بها دوماً وهم غير منكرين، مع شدة تلهفهم أن يجدوا عليه زلة واحدة.

(١) تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (٨٠ / ٧)

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن معمر، ص ١٠٠ بتصرف

قال القاضي عياض: ((وقد قرع - النبي ﷺ أسماع اليهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته، وصفة أصحابه، واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم، وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه، وليُّ ألسنتهم ببيان أمره، ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب، فما منهم إلا من نفر عن معارضته، وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره، ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال، وتخريب الديار، ونبذ القتال، وقد قال لهم: ﴿ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَآتَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة آل عمران: ٩٣^(١) .

ثانياً: تواتر تصديق ذلك عن أهل الكتاب:

تواترت الأخبار عمن أسلم من أهل الكتاب، ومن بقي على دينه بوجود تلك البشارات، والأوصاف لنبينا ﷺ في كتبهم، ومن تلك الأخبار:

١. لما نزل الوحي على النبي ﷺ قال له ورقة بن نوفل: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى^(٢) .

٢. ومن ذلك قصة إسلام النجاشي ملك الحبشة لما قدم عليه المهاجرون، وحين قرأوا عليه القرآن بكى حتى اخضلت لحيته، وقال: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»^(٣) . ولما قرئ عليه ما جاء في القرآن بشأن عيسى - عليه السلام -، وأنه عبد الله ورسوله، أخذ عوداً من الأرض وقال: «ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود»^(٤) .

وهذه القصة قال عنها ابن تيمية: «ذكرها جماعة من العلماء، والحفاظ كأحمد بن حنبل في المسند، وابن سعد في الطبقات، وأبي نعيم في الحلية وغيرهم، وذكرها أهل الحديث، والتفسير، والفقهاء، وهي متواترة عند العلماء»^(٥) . وإسلام النجاشي ثابت في الصحيحين، وقد صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب لما توفي^(٦) .

ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن سلام حبر يهود المدينة في زمن النبي ﷺ لما سئل: أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك؟ قال: «نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه

(١) الشفا بأحوال المصطفى، عياض بن موسى اليحصبي ١/٧٢٢.

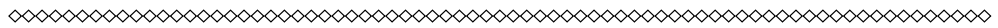
(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٧، وقال رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع، وأخرجه أحمد في المسند (ج٢٧/ ١٧٤).

(٣) البخاري في بدء الوحي، برقم (٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي برقم (١٦٠).

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٧، وقال رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع، وأخرجه أحمد في المسند (ج٢٧/ ١٧٤).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ١/ ٧٩.

(٦) البخاري، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنائز أربعا حديث رقم (١٢٢٣).



في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه»^(١). وكانت قصة إسلامه كما أخرجها البخاري: عن أنس -رضي الله عنه- قال: «بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أخبرني بهن أنفأ جبريل». قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

فقال رسول الله ﷺ: «أما أول أشراف الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه به، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قومٌ بَهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وخيرنا وابن خيرنا. فقال رسول الله ﷺ: «أفرايتم إن أسلم عبد الله». قالوا: أعاده الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه»^(٢).

ومن ذلك ما ذكره عامة أهل السير عن سلمان الفارسي وتصره، وتنقله بين علماء أهل الكتاب يتعلم منهم، حتى أشار إليه آخرهم بالإيمان بالنبي القادم، وذكر له ما يدل عليه، فلما بعث النبي ﷺ وهاجر أسلم سلمان -رضي الله عنه- وقد ذكر البخاري طرفاً منها^(٣).
ونصاري نجران لم يلاعنوا عندما دعاهم النبي ﷺ إلى المباشلة خوفاً من وقوع العقوبة عليهم^(٤)

كما عرف نبوته بـبحيرى^(٥)، وصفاطر^(٦)، وحيي بن أخطب وأخوه^(٧)، ويامين^(٨)، وكعب بن

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٢/٢ في تفسير البقرة الآية: ١٤٦.

(٢) البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٢٢٩)، وفي كتاب مناقب الأنصار برقم (٢٩٢٨).

(٣) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي الحديث برقم (٢٩٤٦)، وقال ابن حجر: إن البخاري لم يذكر كامل القصة؛ لأنها ليست على شرطه، وإن كان إسناد بعضها صالحاً. (انظر الفتح ٢٧٧/٧)

(٤) البخاري كتاب المغازي، باب: قصة أهل نجران، الحديث برقم (٤٢٨٠).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٨٠، وصححها الحاكم في المستدرک ٢/ ٦٧٢.

(٦) انظر: البداية والنهاية ٤/ ٣٠٤.

(٧) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٢٢.

(٨) انظر: الإصابة ٢/ ٣٨.

أسد^(١)، ومخيريقي^(٢)، وكعب الأحبار^(٣)، وغيرهم كثير مما يطول استقصاؤه.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة ومتواترة في علم أهل الكتاب بمبعث النبي، وانطباق الأوصاف عليه.

ثالثاً: للرد على المنكرين لنبوته والمشككين في رسالته من خارج هذا الدين، ولتقوية من قد يكون قد تأثر ببعض شبهات أهل الكتاب وتثبيته على دينه.

رابعاً: وأيضاً دعوة لغير المسلمين للتعرف على نبينا محمد ﷺ والإيمان به نبياً ورسولاً.

المبحث الأول: البشارات بالنبى محمد ﷺ الواردة في التوراة.

البشارة الأولى: ما ورد في سفر التثنية:

ورد في سفر التثنية: (لهذا أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما أمره به، فيكون أن كل من يعصي كلامي الذي يتكلم به باسمي فأنا أحاسبه)^(٤). يتبين لنا من خلال هذا النص أنها تنطبق على نبينا محمد ﷺ من كل الوجوه، فإنه من إخوتهم، وإخوتهم هم أبناء إسماعيل عليه السلام؛ لأنه أخو إسحاق الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل، وضمير الغائب في سفر التثنية (من وسط إخوتهم) يدل على أن النبي ليس من بني إسرائيل، وإلا لكانت العبارة: (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتكم) فيكون الضمير للمخاطب؛ أما عبارة (مثلك) فهي تعني أن النبي المنتظر سيكون مثل موسى (عليه السلام)، ونبينا صلى الله عليه وسلم يشبه موسى، فهو نبي ورسول، وموسى عليه السلام أوحى إليه بشريعة جديدة، وكذلك نبينا ﷺ. وكذلك في قوله: (أجعل كلامي في فمه). فهذا يشير إلى القرآن، الذي تلقاه نبينا صلى الله عليه وسلم مشافهة من جبريل عليه السلام، وحفظه في صدره، وقرأه من فمه عليه الصلاة والسلام بعد لأمته، مع أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب صلوات ربي وسلامه عليه. وقد وقفت على جواب كاف شاف من العلامة رحمت الله الكيرانوي على هذه البشارة، حيث قال: «هذه البشارة لا تنطبق إلا على النبي محمد ﷺ، وذلك من أوجه»^(٥).

(الوجه الأول) أن اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبياً آخر مبشراً

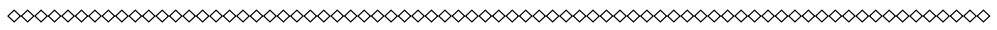
(١) انظر: الطبقات لابن سعد ١/ ١٢٠.

(٢) نفس المرجع ١/ ٢٨٩.

(٣) نفس المرجع ١/ ٢٧٠.

(٤) انظر: سفر التثنية (١٧/١٨).

(٥) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٦-١١٢٥) بتصرف.



به في هذا الباب، وكان هذا المبشر به عندهم غير المسيح، فلا يكون هذا المبشر به يوشع، ولا عيسى عليهما السلام.^(١)

(الوجه الثاني) أنه وقع في هذه البشارة لفظ مثلك ويوشع وعيسى عليهما السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام.

(الوجه الثالث) أنه وقع في هذه البشارة لفظ من بين إخوانهم، ولا شك أن الأسباب الاثني عشر كانوا موجودين في ذلك الوقت مع موسى عليه السلام حاضرين عنده، فلو كان المقصود كون النبي المبشر به منهم، قال منهم لا من بين إخوانهم.

البشارة الثانية: ما ورد في التوراة من التنصيص على الموضوع الذي استعلن الله منه وهو جبل مكة:

جاء في سفر التثنية: (أقبل الرب من سيناء، وأشرق عليهم من سعير، وتألّق في جبل فاران، جاء محاطاً بعشرات الألوف من الملائكة وعن يمينه يومض برق عليهم).^(٢)

فهذه إشارة إلى أن جبل فاران هو جبل مكة، والمراد أن إنزال القرآن على نبينا محمد ﷺ في جبال فاران وهي جبال مكة، لأن إبراهيم عليه السلام استوطن فيه هو وزوجه هاجر وولدهما إسماعيل (عليهم السلام).

قال ابن تيمية: «قال كثير من العلماء -واللفظ لأبي محمد بن قتيبة- ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض؛ لأن مجيء الله من طور سيناء: إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء، كالذي هو عند أهل الكتاب، وعندنا وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح، وكان المسيح من ساعير -أرض الخليل بقرية تدعى (ناصر) - وباسمها يسمى من اتبعه نصارى. وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران: إنزاله القرآن على محمد ﷺ وجبال فاران هي جبال مكة. قال: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم. قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن (هاجر) و (إسماعيل) فاران؟ وقلنا: دلونا على الموضوع الذي استعلن الله منه واسمه فاران، والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح وأوليس (استعلن) و (علن) وهما بمعنى واحد؟ وهو ما ظهر وانكشف

(١) ومما يدل على ذلك ما ورد في سفر التثنية الإصحاح (٢٤-٥: ١١): «ولم يبق بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والمعائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون، وبجميع عباده وكل أرضه».

التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٤١٧

(٢) انظر: سفر التثنية (١/٢٣)

فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟^(١)

والملاحظ أنه يوجد ربط بين هذا النص التوراتي وبين قوله تعالى في سورة التين: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّبْطُونَ﴾ ^(١) وَطُورِ سَيْنِينَ ^(٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿ سورة التين ١-٣ إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة، التي ظهر فيها نوره وهداه، وأنزل فيها الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن. كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله: «جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران»^(٢)

البشارة الثالثة: ما ورد في التوراة من ذكر إسماعيل عليه السلام:

فقالوا عن إسماعيل عليه السلام في سفر التكوين: (وسمع الله بكاء الصبي، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: «ما الذي يزعجك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى، قومي واحملي الصبي، وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة». ثم فتح عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي. وكان الله مع الصبي فكبر، وسكن في صحراء فاران، وبرع في رمي القوس. واتخذت له أمه زوجة من مصر.^(٣)

قال ابن تيمية: «وما ذكر ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين، من تربية إسماعيل في برية «فاران» فهكذا هو في التوراة قال فيها: (وغدا إبراهيم، فأخذ الغلام وأخذ خبزا وسقاء من ماء ودفعه إلى هاجر وحمله عليها، وقال لها: اذهبي، فانطلقت هاجر، فضلت في برية سبع، ونفذ الماء الذي كان معها، فطرح الغلام تحت شجرة، وجلست في مقابلته على مقدار رمية بسهم؛ لئلا تبصر الغلام حين يموت، ورفعت صوتها بالبكاء، وسمع الله صوت الغلام فدعا ملك الله هاجر، وقال لها: ما لك يا هاجر لا تخشي؛ فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو، فقومي فاحملي الغلام وشدي يدك به، فإني جاعله لأمة عظيمة، وفتح الله عينيها فبصرت بئر ماء فسقت الغلام وملأت سقاءها، وكان الله مع الغلام، فربى وسكن في برية «فاران»). فهذا خبر الله في التوراة: أن إسماعيل ربي وسكن في برية فاران بعد أن كاد يموت من العطش، وأن الله سقاه من بئر ماء. وقد علم بالتواتر، واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما ربي بمكة، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت، فعلم أن أرض مكة، فاران.^(٤)

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١٩٩-٢٠١)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (٢/٣٢٠)

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢٠٧/٥)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/٢٤٧)

(٣) انظر: سفر التكوين (١٧/٢١)

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/٢٠٩-٢١٠)

البشارة الرابعة: ما سيحصل في مكة:

جاء في سفر (إشعيا): لأنه هكذا قال الرب لي: اذهب وأقم رقيباً ليعلن ما يراه. وعندما يشاهد راكبين فرساناً أزواجاً أزواجاً، أو راكبين على حمير، وراكبين على جمال، فليصغ إصغاء شديداً.^(١)

قالوا: وقال أشعيا النبي عليه السلام متنبياً على مكة - شرفها الله - : «ارفعي إلى ما حولك بصرك، فستبتهجين وتفرحين من أجل أن يصير إليك ذخائر البحر، وتحج إليك عساكر الأمم، حتى يعم بك قطر الإبل الموبلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك، وتساق إليك كباش مدين، ويأتيك أهل سبأ، ويسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجال مأرب»، يريد سدنة الكعبة، وهم أولاد مأرب بن إسماعيل. قالوا: فهذه الصفات كلها حصلت بمكة، فحملت إليها ذخائر البحرين، وحج إليها عساكر الأمم، وسيقت إليها أغنام فاران (الهدايا، والأضاحي)، و(فاران) هي البرية الواسعة التي فيها مكة، وضاعت الأرض عن قطرات الإبل الموبلة الحاملة للناس وأزوادهم إليها، وأتاها أهل سبأ، وهم أهل اليمن.^(٢)

البشارة الخامسة: نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية:

وجاء كذلك في سفر (إشعيا): ستبيتين في صحاري بلاد العرب يا قوافل الددانيين، فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاريين بالخبز، لأنهم قد فروا من السيف المسلول، والقوس المتوتر، ومن وطيس المعركة. لأنه هذا ما قاله لي الربك في غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، وتكون بقية الرماة البطلان من أبناء قيدار، قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم.^(٣)

ولفظ قيدار أقوى إشارة إليه لأن محمداً ﷺ في أولاد قيدار بن إسماعيل^(٤)

قالوا: وقال أشعيا في وصف أمة محمد ﷺ: «ستمثل البادية والمدن من أولاد قيدار يسبحون، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويسبحونه في البر والبحر.^(٥)

وقيدار هو ابن إسماعيل باتفاق الناس، وربيعه ومضر من ولده، ومحمد ﷺ من مضر.

(١) انظر: سفر (إشعيا) (٦/٢١)

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٣) انظر: سفر (إشعيا) (١٣/٢١)

(٤) إظهار الحق (٤/ ١١٥٧)

(٥) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ١٤٢٧

وهذا الامتلاء والتسبيح لم يحصل لهم إلا بمبعث محمد ﷺ (١). وهذا النص بين في البشارة بظهور النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد نص على بلاد العرب وهي الديار التي سكنها قيدر بن إسماعيل.

البشارة السادسة: البشارة بكون النبي القادم لا يعرف الكتابة (أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة):

ورد في سفر أشعياء: «أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف الكتابة» (٢)، ويتضح من خلال هذه العبارة أنها تنطبق على نبينا محمد ﷺ؛ لأنه كان أمياً لا يعرف الكتابة، ولا القراءة، كما نص على ذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف: ١٥٧

وبقوله ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا» (٣).

ومما يدل على هذه البشارة كذلك ما ورد في الأثر المتفق عليه (٤) من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه - وهو التعبُد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوَّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: (ما أنا قارئ))، قال: ((فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق: ١ - ٥

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢٦٢ / ٥)

(٢) انظر: سفر أشعياء، الإصحاح (٢٩) الأعداد (١٢)

(٣) البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نكتب ولا نحسب، رقم (١٨١٤)، مسلم في باب جوب صوم رمضان لرؤية الهلال رقم (١٠٨٠)

(٤) البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم (١٧٨٠)، مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ٢٣١

المبحث الثاني: البشارات بالنبي محمد ﷺ الواردة في الإنجيل

البشارة الأولى^(١): ما ورد من البشارات في إنجيل متى:

في الباب الثالث من إنجيل متى: (وفي تلك الفترة من الزمان ظهر يوحنا المعمدان في بريّة اليهودية، يبشر قائلًا: «توبوا، فقد اقترب ملكوت السماوات»)^(٢). وفي الباب الرابع من إنجيل متى: (من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات)^(٣) (وكان يسوع ينتقل في منطقة كلها، يعلم في مجامع اليهود، وينادي ببشارة الملكوت الخ)^(٤). ولما أرسل الحواريين إلى البلاد الإسرائيلية للدعوة والوعظ، وصاهم بوصايا منها هذه الوصية أيضاً: (وفيما أنتم ذاهبون بشروا قائلين: قد اقترب ملكوت السماوات) كما هو مصرح به في الباب العاشر من إنجيل متى^(٥)، ووقع في الباب التاسع من إنجيل لوقا: (ثم جمع يسوع تلاميذه الاثني عشر ومنحهم قدرة وسلطة على جميع الشياطين وعلى الأمراض لشفائها، وأرسلهم ليشيروا بملكوت الله ويشفوا)^(٦). وفي الباب العاشر من إنجيل لوقا هكذا: (واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله)^(٧) فظهر أن كلاً من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت السماوات، وبشر عيسى عليه السلام بالألفاظ التي بشر بها يحيى عليه السلام، فعلم أن هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام فكذلك لم يظهر في عهد عيسى عليه السلام ولا في عهد الحواريين والسبعين بل كل منهم مبشر به ومخير عن فضله ومترجّ لمجيئه، فلا يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التي ظهرت بشرية عيسى عليه السلام، وإلا لما قاله عيسى عليه السلام والحواريون والسبعون أن ملكوت السماوات قد اقترب، ولما علم التلاميذ أن يقولوا في الصلاة وليأت ملكوتك لأن هذه طريقة التي ظهرت بشرية عيسى عليه السلام النبوة بشريعته، فهو عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشرية محمد ﷺ، فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الطريقة الجليلة، ولنفض ملكوت السماوات بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة، وأن المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله، وأن مبنى قوانينه لا بد أن يكون كتاباً سماوياً، وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية، وما قال

(١) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٧٣)

(٢) انظر: الباب الثالث من إنجيل متى ٢

(٣) انظر: الباب الرابع من إنجيل متى ١٧

(٤) انظر: الباب الرابع من إنجيل متى ١٧

(٥) انظر: الباب العاشر من إنجيل متى ١٠

(٦) انظر: الباب التاسع من إنجيل لوقا ٩

(٧) انظر: الباب العاشر من إنجيل لوقا ١٠

العلماء المسيحية أن المراد بهذا الملكوت، شيوع الملة المسيحية في جميع العالم وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول عيسى عليه السلام، فتأويل ضعيف خلاف الظاهر^(١).

البشارة الثانية: التمثيلات المنقولة عن عيسى عليه السلام: في الباب الثالث عشر من إنجيل متى، مثلاً قال: (يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله)^(٢).

ونجد في القرآن ما يدل على هذا الكلام من قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. (محمد، ٢٩)، قال مجاهد: يعني أن هذه صفتهم في التوراة والإنجيل، وقال قتادة: مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.^(٣) وقال مالك، رحمه الله: «بلغني أن النصراني كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: «والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا». وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة»^(٤).

ثم قال كما في «إنجيل متى»: (يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله)^(٥)، ثم قال: (يشبه ملكوت السماوات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة مقادير من الدقيق حتى اختمر العجين كله)^(٦). فشبه ملكوت السماوات بإنسان زارع لا بنمو الزراعة وحصادها، وكذلك شبه بحبة خردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة، وشبه بخميرة لا باختار جميع الدقيق. وكذا يرد هذا التأويل قول عيسى عليه السلام بعد بيان التمثيل المنقول في الباب الحادي والعشرين من إنجيل متى هكذا: (لذلك أقول أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) فإن هذا القول يدل على أن المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة نفسها لا شيوعها في جميع العالم وإحاطتها كل العالم، وإلا لا معنى لنزع الشيوخ والإحاطة من قوم وإعطائهما لقوم آخرين،

(١) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٧٥)

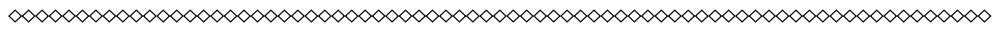
(٢) انظر: الباب الثالث عشر من إنجيل متى ١٣

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (٢٢/ ٢٦٨)، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٤-٢٩٥)

(٤) تفسير ابن كثير، ت سلامة (٧/ ٣٦٢)

(٥) نفس المصدر ص ١٩١٦

(٦) نفس المصدر ص ١٩١٦



فالحق أن المراد بهذا الملكوت هي المملكة التي أخبر عنها دانيال عليه السلام في الباب الثاني من كتابه^(١)، فمصادق هذا الملكوت، وتلك المملكة نبوة محمد ﷺ واللّه أعلم وعلمه أتم.^(٢)

البشارة الثالثة: ظهور شريعة محمد صلى الله عليه وسلم:

في الباب الثالث عشر من إنجيل متى: (وضرب لهم مثلاً آخر قائلاً يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتأوي في أغصانها)^(٣)، فملكوت السماء طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ، لأنه نشأ في قوم كانوا حقراء عند العالم لكونهم أهل البوادي غالباً، وغير واقفين على العلوم والصناعات، محرومين عن اللذات الجسمانية والتكلفات الدنيوية سيما عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر، فبعث الله منهم محمداً ﷺ فكانت شريعته في ابتداء الأمر بمنزلة حبة خردل أصغر الشرائع بحسب الظاهر، لكنها لعمومها نمت في مدة قليلة وصارت أكبرها وأحاطت شرقاً وغرباً، حتى أن الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبثوا بذيل شريعته.^(٤)

في الحقيقة هذه البشارة هي من المعجزات التي أجزاها الله تعالى على يدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تأييداً لدعوته وتصديقاً لوعده الله بأن هذا الدين سينتشر في مشارق الأرض ومغاربها؛ وهي يقينية بالنسبة لنا كمسلمين لأنه صدرت من الصادق المصدوق ﷺ، كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ التوبة: ٣٢. ونبينا ﷺ أخبر عن هذه الغيبات وتحققت تماماً فكانت من أكبر الدلائل على نبويته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ومن ذلك: قوله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها»^(٥)

وقال «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر».^(٦)

(١) نفس المصدر ص ١٦٨٤

(٢) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٧٥-١١٧٦)

(٣) انظر: الباب الثالث عشر من إنجيل متى ١٣

(٤) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٧٦)

(٥) صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٥)

(٦) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٥٥)

البشارة الرابعة: وصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالآخرين الأولين:

ورد في إنجيل متى: (فإن ملكوت السماوات يشبه رجلاً رب بيت خرج في الصباح الباكر ليستأجر عمالاً لكرمه، فاتفق مع العمال على أن يدفع لكل منهم ديناراً في اليوم، وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة التاسعة صباحاً، ورأى آخرين قياماً في السوق بلا عمل، فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً واعملوا في كرمي فأعطيكم ما يحق لكم فذهبوا، ثم خرج إلى الساحة أيضاً نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً، ثم نحو الثالثة بعد الظهر أرسل مزيداً من العمال إلى كرمه، ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر، خرج أيضاً فلقى عمالاً آخرين بلا عمل، فسألهم: لماذا تقفون هنا طول النهار بلا عمل؟ أجابوه: لأنه لم يستأجرنا أحد، فقال: اذهبوا أنتم أيضاً إلى كرمي وعندما حل المساء، قال رب الكرم لوكيله: ادع العمال وادفع الأجرة مبتدئاً بالآخرين، ومنتهياً إلى الأول، فجاء الذين عملوا من الخامسة، وأخذ كل منهم ديناراً، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم سيأخذون أكثر، ولكن كل واحد منهم نال ديناراً واحداً، وفيما هم يقبضون الدينار تدمروا على رب البيت، قائلين هؤلاء تحت حر الشمس، فأجاب واحد منهمك يا صاحبي أنا ما ظلمتك: ألم تتفق معي على دينار، خذ ما هولك وامض في سبيلك، فأنا أريد أعطي هذا الأخير مثلك، أما يحق لي أن اتصرف بمتالي كما أريد؟ أم أن عينك شريرة لأنني أنا صالح، فهكذا يصير الآخرون أولين والأولون آخرين).^(١)

وقد ورد في السنة بعض الأحاديث في معنى هذا المثل: نذكر منها: الأول: عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مثلكم ومثل أهل الكتابين، كمثل رجل استأجر أجراً، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم»، فغضبت اليهود، والنصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملاً، وأقل عطاء؟ قال: «هل نقصتكم من حقكم؟» قالوا: لا، قال: «فذلك، فضلي أوتيه من أشياء»^(٢)

الثاني: عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين، واليهود، والنصارى، كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل، على أجر معلوم، فعملوا له إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا، وتركوا، واستأجر أجيرين بعدهم، فقال

(١) انظر: الباب العشرين من إنجيل متى ٢٠

(٢) صحيح البخاري (٩٠/٣)



لهما: أكملًا بقية يومكما هذا ولكما الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال لهما: أكملًا بقية عملكما ما بقي من النهار شيء يسير، فأبيا، واستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم، ومثل ما قبلوا من هذا النور»^(١)

فالأخرون أمة محمد ﷺ فهم يقدمون في الأجر، وهم الآخرون الأولون كما قال النبي ﷺ: (نحن الآخرون السابقون)^(٢) قال الحافظ «ابن حجر رحمه الله» معلقًا على الحديث^(٣):

«وفي قول النبي ﷺ: «نحن الآخرون»؛ أي: الآخرون زمانًا، الأولون منزلة، والمراد: أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة»^(٤)

البشارة الخامسة: البشارة بظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

ورد في آخر أبواب إنجيل يوحنا: (إن كنتم تحبونني فاحفظوا بوصاياي وسوف أطلب من الأب أن يعطيكم معينا^(٥) آخر يبقى معكم إلى الأبد روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلته لكم والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون).^(٦) وفي الباب الخامس عشر من إنجيل يوحنا هكذا: (فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من الأب ينبثق هو يشهد لأجلي وأنتم تشهدون لأنكم معي من البداية^(٧)).

وفي الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا: (لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن انطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء ذلك فهو يوبخ العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة: أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي وأما على البر فلأنني عائد إلى الأب فلا تروني بعد؛ وأما على الدينونة، فلأن سيد هذا العالم قد صدر عليه حكم

(١) البخاري (٩٠ / ٢)

(٢) البخاري (٥٧ / ١)، ومسلم (٥٨٦ / ٢)

(٣) فتح الباري (٢٥٤ / ٢) هـ. بتصرف.

(٤) انظر: إظهار الحق (١١٧٨ / ٤)

(٥) ورد في آخر أبواب إنجيل يوحنا، عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٢١ وسنة ١٨٤٤ في بلدة لندن، مكان

«معينا» فارقليط»، انظر: إظهار الحق (١١٩١ / ٤)

(٦) انظر: إنجيل يوحنا ١٤

(٧) انظر: إنجيل يوحنا ١٥



الدينونة. ما زال عندي أمور كثيرة أقولها لكم، ولكنكم الآن تعجزون عن احتمالها، ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يقول شيئاً من عنده بل يخبركم بما يسمعه، ويطلعكم على ما سوف يحدث، وهو سيمجدني لأن كل ما سيحدثكم به صادر عني).^(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح، لا تنطبق على شيء في قلب بعض الناس، لا يراه أحد، ولا يسمع كلامه، وإنما تنطبق على من يراه الناس، ويسمعون كلامه، فيشهد للمسيح، ويعلمهم كل شيء، ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح، ويوبخ العالم على الخطيئة، ويرشد الناس إلى جميع الحق، وهو لا ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبرهم بكل ما يأتي، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين. وهذا لا يكون ملكاً لا يراه أحد، ولا يكون هدى، ولا علماً في قلب بعض الناس، بل لا يكون إلا إنساناً عظيم القدر يخاطب الناس بما أخبر به المسيح، وهذا لا يكون إلا بشراً رسولاً، بل يكون أعظم من المسيح، بين أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح، ويعلم ما لا يعلمه المسيح، ويخبر بكل ما يأتي، وبما يستحقه الرب حيث قال: (إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، ولكن إذا جاء روح الحق ذلك الذي يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب)^(٢). وهذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ، وذلك أن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات، وعن ملائكته، وعن ملكوته، و عما أعد الله في الجنة لأوليائه، وفي النار لأعدائه، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل؛ ولهذا قال علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله».^(٣)

وقال ابن مسعود: «ما من رجل يحدث قوماً بحدِيث لا يبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم».^(٤) وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ الطلاق: ١٢.^(٥) قال: «ما يؤمنك أن لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت؟ وكفرك بها تكذيبك بها».^(٦) فقال لهم المسيح عليه السلام: (إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله)^(٧)، وهو الصادق المصدوق في هذا؛ لهذا ليس في الإنجيل من صفات الله، وصفات

(١) انظر: إنجيل يوحنا ١٦

(٢) انظر: إنجيل يوحنا ١٦

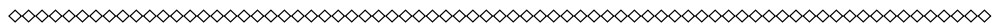
(٣) البخاري في كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقوموا في أشد منه، رقم (١٢٧).

(٤) مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (١١ / ١)

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢٩٥ / ٥)

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٤٧٠ / ٢٢)، العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢ / ٦٤٤)

(٧) انظر: إنجيل يوحنا ١٦



ملكوته، ومن صفات اليوم الآخر إلا أمور مجملة، وكذلك التوراة، ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة، مع أن موسى كان قد مهد الأمر للمسيح، ومع هذا فقد قال لهم المسيح: (إن لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله) ، ثم قال: (ولكن إذا جاء روح الحق ذلك الذي يرشدكم إلى جميع الحق)^(١)، وقال: (إنه يخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم بجميع ما للرب)^(٢). فدل هذا على أن هذا الفارقليط هو الذي يفعل هذا دون المسيح، وكذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم أرشد الناس إلى جميع الحق، حتى أكمل الله له الدين، وأتم به النعمة؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء، فإنه لم يبق شيء يأتي به غيره، وأخبر محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما يأتي من أشراط الساعة، والقيامة، والحساب، والصراط، ووزن الأعمال، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، ولهذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة، وذكر الجنة والنار، وما يأتي من ذلك أمور كثيرة لا توجد في التوراة، ولا في الإنجيل، وذلك تصديق قول المسيح: إنه يخبر بكل ما يأتي. ومحمد بعثه الله بين يدي الساعة كما قال صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بأصابعه السبابة، والوسطى»^(٣). وكان إذا ذكر الساعة علا صوته، واحمر وجهه، واشتد غضبه كأنه منذر جيش، وقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦. وقال ﷺ: (أنا النذير العريان)^(٤). وأيضا ورد في الإنجيل: (ويعرفكم جميع ما للرب)^(٥)، فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله، وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات، وما له من الحقوق، وما يجب من الإيمان به، وبملائكته وكتبه ورسله، بحيث يكون ما يأتي به جامعا لكل ما يستحقه الرب. وهذا لم يأت به أحد غير محمد حيث يتضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة.^(٦)

الخاتمة:

هذا ما تيسر جمعه من هذه الورقة، وحسبي أنني بذلت فيه جهدي، ويمكن إيجاز هذه الورقة فيما يأتي:

من أهم ما أكدت عليه النصوص من القرآن والسنة وجود البشارة بالنبي ﷺ في كتب أهل الكتاب وخاصة التوراة والإنجيل.

(١) انظر: إنجيل يوحنا ١٦

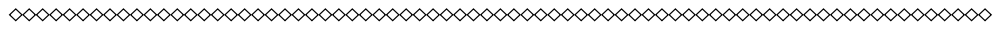
(٢) انظر: إنجيل يوحنا ١٦

(٣) البخاري، الرقائق، باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، رقم (٦٥٠٤)، مسلم، الفتى وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، رقم (٢٩٥١)

(٤) البخاري، الرقائق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقم (٧٢٨٢)، مسلم، الفضائل، باب: شفقتي ﷺ على أمته رقم (٢٢٨٢)

(٥) انظر: إنجيل يوحنا ١٦

(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥ / ٢٩٥)



البشارات بالنبي ﷺ التي تضمنتها كتب وأخبار أهل الكتاب الموجودة حالياً بين يدي أتباعها كثيرة وبينة بما يبرهن على صدق نبوته ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

نبينا صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين لا يحتاج للاستدلال على نبوته ورسالته من خارج ما أنزله الله تعالى عليه من القرآن الكريم وما أجرى الله عليه من المعجزات البينات الذي يشهد بها البعيد قبل القريب.

القرآن أصلاً نص على أن الكتب السابقة بشرت بنبينا صلى الله عليه وسلم. أهل الكتاب كتموا نبوة النبي ﷺ، ولم يعترفوا بنبوته وكفروا به وخالفوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم.

أن النبي ﷺ من أعقل الناس بشهادة خصومه، والعاقل لا يسعى لإظهار كذب نفسه، وقد كان النبي ﷺ يدعوهم إلى اتباعه وتصديقه، فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج، ثم يحيل ذلك إلى ما عندهم، وما في أيديهم.

أن النبي ﷺ يُسمعهم الآيات الدالة على نبوته المنصوص عليها في كتبهم دوماً وهم غير منكرين، مع شدة تلهفهم أن يجدوا عليه زلة واحدة.

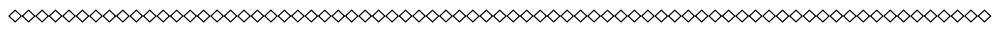
تواترت الأخبار عن أسلم من أهل الكتاب، ومن بقي على دينه بوجود تلك البشارات، والأوصاف لنبينا ﷺ في كتبهم.

مبشرات نبوة محمد ﷺ من بين أهم الأدلة للرد على المنكرين لنبوته والمشككين في رسالته من خارج هذا الدين.

البشارة الأولى التي وردت في سفر التثنية (١٧/١٨) تنطبق على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من كل الوجوه:

البشارة الثانية: ما ورد في التوراة في سفر التثنية (١٠/٣٣) من التنصيص على الموضع الذي استعلن الله منه وهو جبل مكة، ففيه إشارة إلى أن جبل فاران هو جبل مكة، ويكون المراد أن إنزال القرآن على نبينا محمد ﷺ في جبال فاران وهي جبال مكة، لأن إبراهيم عليه السلام استوطن فيه هو وزوجه هاجر وولدهما إسماعيل (عليهم السلام).

البشارة الثالثة: ما ورد في التوراة في سفر التكوين (١٧/٢١): من ذكر إسماعيل عليه السلام، أنه رُبي وسكن في برية فاران بعد أن كاد يموت من العطش، وأن الله سقاه من بئر ماء. وقد علم بالتواتر، واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما رُبي بمكة، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت، فعلم أن أرض مكة، فاران.



البشارة الرابعة: ما سيحصل في مكة كما جاء في سفر (أشعيا) (٦/٢١) فقد حملت إليها ذخائر البحرين، وحج إليها عساكر الأمم، وسيقت إليها أغنام فاران (الهدايا، والأضاحي)، وضافت الأرض عن قطرات الإبل الموبلة الحاملة للناس وأزوادهم إليها، وأتاها أهل سبأ، وهم أهل اليمن.

البشارة الخامسة: نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية، كما جاء في سفر (أشعيا) (١٣/٢١)، من التنصيص على لفظ «قيدار»، وهو أقوى إشارة إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم في أولاد قيदार بن إسماعيل، وكذلك ما ورد من البشارة بظهور النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد نص على بلاد العرب وهي الديار التي سكنها قيदार بن إسماعيل.

البشارة السادسة: ما جاء في سفر أشعيا، الإصحاح (٢٩) الأعداد (١٢) أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة، وهي تنطبق على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان أمياً لا يعرف الكتابة، ولا القراءة.

من البشارات بالنبي محمد ﷺ الواردة في الإنجيل، ما ورد في الباب الثالث، والرابع، والعاشر من إنجيل «متى» أن كلاً من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت السماوات، ولفظ ملكوت السماوات بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة، وأن المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله، وأن مبني قوانينه لا بد أن يكون كتاباً سماوياً، وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية.

من البشارات الواردة في الإنجيل كذلك، ما نقل عن عيسى عليه السلام: في الباب الثالث عشر من إنجيل متى، مثلاً قال: (يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله).

ما ورد من ظهور شريعة محمد ﷺ، كما في الباب الثالث عشر من إنجيل متى، وفي الحقيقة هذه البشارة هي من المعجزات التي أجراها الله تعالى على يدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تأييداً لدعوته وتصديقاً لوعده الله بأن هذا الدين سينتشر في مشارق الأرض ومغاربها؛ وهي يقينية بالنسبة لنا كمسلمين لأنها صدرت من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

ما ورد في الباب العشرين من إنجيل متى من وصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالآخرين الأولين، فالآخرون أمة محمد ﷺ فهم يقدمون في الأجر، فأمة الإسلام وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة.

البشارة بظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب إنجيل يوحنا، وردت في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا.

المراجع:

الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ

إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (ت: ١٣٠٨ هـ) ت: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، ط.١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

البداية والنهاية المؤلف، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا، عمارة برج الجزائر- طريق مصر حلوان الزراعي- المعادي، ص ب. ٩٤٩.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

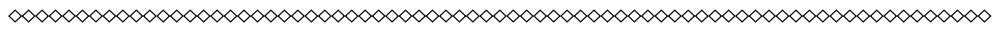
الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة المؤلف، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، ١٤٠٥



السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٢٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن أفاض الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، ط ١، ١٤٠٨

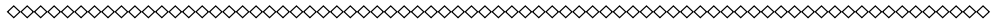
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤.

المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ - ١٩٩٠ م.

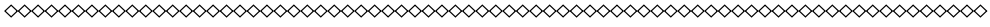
مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن معمر ص ١٠٠ بتصرف، دار ثقيف، الطائف، ط ٢ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.



هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس
الدين ابن قيم الجوزية، ت: محمد أحمد الحاج، دار القلم-دار الشامية، جدة - السعودية، ط:
١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.



الدكتور أحمد حسين الخلف

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بقسم القانون في كليات عناية الأهلية

دور مؤمني أهل الكتاب في إثبات نبوة محمد ﷺ

الملخص:

أرسل الله نبيه محمداً ﷺ للخلق كافة إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، أسودهم وأحمرهم، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وأرسله رحمة للعالمين.

إلا أننا في زمان من لا يعترف بعالمية هذا الدين، ولا يؤمن بهذا الدين فضلاً عن ذلك منهم من ينكر نبوة سيدنا محمد ﷺ، ومنهم من يقول: إنه أرسل إلى العرب خاصة، وهذا ليس بجديد بل هو على مر تاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نجد من يكذبهم وينكر نبوتهم ورسالتهم.

ولكن من سنن الله مع الأنبياء والمرسلين أن يؤيدهم بالمعجزات والدلالات التي تؤكد نبوتهم وتصدق رسالتهم، فكان من الأدلة التي تؤيد صدق ما جاؤوا به، ما جاء على لسان من بشر به من أهل الكتاب كبحيرة الراهب ونسطور، وكذلك موقف ورقة بن نوفل من نبوة سيدنا محمد ﷺ في بداية نزول الوحي، وأن ما نزل عليه هو الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام.

كذلك من آمن به من أهل الكتاب بعد مبعثه كعبد الله بن سلام الذي كان يهودياً ويعلم صفته التي جاءت في التوراة، وسلمان الفارسي الذي كان مجوسياً ثم انتقل من المجوسية إلى النصرانية، ولما سمع بمبعث النبي ﷺ آمن به بعد أن أشار إليه الرهبان بمبعث النبي ﷺ والالتحاق بنبي آخر الزمان فجاءه وآمن به وصدقته.

فكل ما ذكرنا من الأدلة التي قدمناها تبين لنا دور مؤمني أهل الكتاب في إثبات نبوة سيد المرسلين، وأن رسالته للعالمين تشمل الزمان والمكان منذ مبعثه إلى قيام الساعة.

إذا هذه نبذة مختصرة عن أهم الدلائل التي سبقت مبعث النبي ﷺ وبشرت بقدومه، وكذلك الأدلة التي جاءت على لسان أهل الكتاب ممن آمن به بعد بعثته.



Abstract

Allah sent His Prophet Muhammad to all creation, Arab and non-Arab, their disbelievers and their whites and black, made him the last of the prophets and messengers, and sent him as a mercy for the human beings.

However, at the time of those who do not recognize the universality of this religion, and do not believe in this religion, in addition to that, some of them deny the prophet hood of our master Muhammad peace upon him, and some of them say: He was sent to the Arabs in particular, and this is not new, rather it is throughout the history of the prophets, peace be upon them. And he denies their prophet hood and message.

But one of the Sunnahs of Allah with the prophets and messengers is to support them with miracles and indications that confirm their prophet hood and the truthfulness of their message, so it was among the evidences that support the truthfulness of what they brought, what came from the prophets of the people of the book such as Buhairah and Nestorius, as well as the position of Waraqa ibn Nawfal regarding the prophethood of our master Muhammad peace be upon him. At the beginning of the revelation, and that what was revealed to him is the mosquito that was revealed to Moses, peace be upon him.

As well as those who was among the People of the Book who believed in him after he was sent, such as Abdullah bin Salam, who is a Jew and knew his characteristics that came in the Torah, and Salman Al Farsi, who is the Magi, then moved from the Magi to Christianity. By the message of the Messenger. Moreover, he joined the prophet of the end of times, and he came and believed in him and believed him.

All that we have mentioned of the evidence that we have presented to you, brother the reader, shows us the role of the believers of the People of the Book in confirming the prophet hood of the Master of the Messengers, and that his universal message is that include time and place from its origin until the day of Resurrection.

If it was a brief summary of the most important evidence that preceded the Prophet and heralded his coming, as well as the case attached to the words of the People of the Book who believed in him after his mission.

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن

سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

من عادة الله في أنبيائه ورسله الذين يحملون أمانة الباري سبحانه وتعالى إلى خلقه أن يؤيدهم بالمعجزات البينات الواضحات، وهذه المعجزات إما أن تسبق ولادتهم كبشارته بالنبي محمد ﷺ، وإما أن تصاحبه قبل مبعثه وبعد بعثته، ومنها ما يكون دالاً على صدق نبوته حتى بعد وفاته، ولا أدل على ذلك من البشارات التي دلت على صدق نبينا محمد ﷺ والمعجزات التي أثبتت لكل عاقل أن ما جاء به رسول البشرية صدق من عند الله عز وجل.

فبشّر به الأنبياء السابقون في كتبهم ورسالاتهم كما جاء في قول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَبِّ ارْسُلْ إِلَيَّ آيَةً مِّنَ السَّمَاءِ مِمَّا بَيْنَ يَدَيَّْ مِنَ التَّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ (الصف، آية: ٦).

ومن أعظم المعجزات والبشارات التي دلت على نبوة سيدنا رسول الله قبل أن يرسله الله خاتماً للأنبياء والرسل كافة أن بشّر به على لسان الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء على لسان من آمن من أهل الكتاب من الملوك كالحبشي وغيره، والرهبان كبحيرة الراهب ونسطور وورقة بن نوفل وغيرهم، وكذلك من آمن به مثل: عبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي رضي الله عنهم لدليل على النبوة لسيد الأولين والآخرين. وهذا ما سأتكلم به في هذا البحث عن إثبات الدلالات النبوية التي جاءت على لسان مؤمني أهل الكتاب.

مشكلة البحث:

- ما هو موقف أهل الكتاب من نبوته ودعوته ﷺ.
- هل تتبأ علماء وملوك ومؤمنوا أهل الكتاب بدعوته ﷺ.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- ١- التأكيد على أهمية النبوة، وأنه آمن به غير المسلمين من أهل الكتاب.
- ٢- أننا في زمن فيه أناس يطعنون بصدق نبوة نبينا محمد ﷺ ومن واجبنا أن ندافع عن نبينا عليه الصلاة والسلام بالأدلة والبراهين.
- ٣- أن هناك من يشكك في عالمية هذه الرسالة، وبالتسامح والمحبة التي جاء بها رسول البشرية، ومن خلال هذا البحث، سوف تثبت عالمية هذا الدين وما يحمل في طياته من رحمة للبشرية.

أهداف البحث:

- ١- إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ بالأدلة التي جاءت على لسان أهل الكتاب في حياة النبي ﷺ قبل بعثته، كبحيرة ونسطور وورقة بن نوفل، ومن آمن به بعد بعثته ﷺ، كعبد الله بن سلام وزيد بن سعنة رضي الله عنهما، الذين كانا يهوديين قبل إسلامهما، وغيرهما ممن آمن به.
- ٢- بيان موقف بعض أهل الكتاب من دعوة النبي ﷺ كالنجاشي وهرقل، مما يؤكد أنهم آمنوا به أو أكدوا صدق نبوته.
- ٣- التأكيد على صدق النبي ﷺ عن طريق الأخبار الغيبية التي حدث بها الناس ووافقها بها من آمن به من أهل الكتاب، كحديث تميم الداري في قصة الجساسة.
- ٤- إظهار موقف أهل الكتاب الذين بشروا بظهور النبي ﷺ قبل مبعثه وأن صفته جاءت في التوراة والإنجيل.

منهج البحث:

- اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي من خلال بحث ونقل الأدلة من التي تدل على صدق رسالة النبي محمد ﷺ.
- وبالنسبة لآليات المنهج التفصيلية فأهمها:
- ١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية بعدها في النص.
 - ٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من الكتب المسندة، كالصحيحين وغيرهما، مع نقل الحكم على غير أحاديث الصحيحين، من المتقدمين أو المتأخرين.
 - ٣- اختصار سند الحديث على راوي الحديث الأول من الصحابة، مع اختصار الحديث الطويل أو الأثر، والإشارة إليه في الحاشية بكلمة (بتصرف).
 - ٤- ذكر الأدلة على صدق نبوته ﷺ من كتب الحديث والسير، ممن آمن من أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم بغض النظر عن الفترة الزمنية.
 - ٥- توثيق النصوص المنقولة بوضع النص بين علامتي تنصيص، وذكر مصدره في الحاشية.
 - ٦- بالنسبة للمصادر في الهامش أكتفي بذكر اسم المصدر واسم المؤلف أو الشهرة التي يشتهر بها، وأترك التفاصيل لفهرس المصادر.
 - ٧- إتباع الأسلوب العلمي في كتابة البحث بما يتفق مع المنهجية المتبعة في كتابة الرسائل الجامعية بحيث تشمل: التقسيم إلى مباحث ومطالب.

الدراسات السابقة :

-منهج أحمد ديدات في إثبات نبوة ﷺ للباحث: طلال مشافي النعيمات، أ.د إبراهيم محمد برقان، بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية الجامعة الأردنية، كلية الشريعة، عام ٢٠١٩م. حيث جاءت مضمون هذه الدراسة عن منهج الداعية: أحمد ديدات في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ من خلال كنب أهل الكتاب، وأما بحثي فيتقاطع مع هذه الدراسة في أن دراستي تتحدث عن دور مؤمني أهل الكتاب في إثبات نبوة النبي ﷺ والايمان بها.

حدود البحث: كانت حدود الدراسة للمرحلة الزمنية التي سبقت بعثته ممن آمن به، وكذلك من آمن به بعد بعثته، بالأدلة التي جاءت من خلال كتب السيرة وكتب السنة النبوية.

مصطلحات البحث: دلائل - نبوة - مؤمني أهل الكتاب.

خطة البحث: يتألف البحث من: المقدمة وتشتمل على: (مشكلة البحث-أهمية الموضوع وأسباب اختياره-أهداف البحث-منهج البحث-الدراسات السابقة-مصطلحات البحث- حدود البحث) . وتمهيد ويشتمل على مجموعة من الآيات والأحاديث والآثار في دلائل النبوة.

البحث ويشتمل على: (المطلب الأول: حديث بحيرة الراهب- المطلب الثاني: قصة نسطور- المطلب الثالث: دور ورقة بن نوفل في تأييد وتصديق النبي ﷺ-المطلب الرابع: دور النجاشي في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ-المطلب الخامس: تأكيد هرقل ملك الروم ودوره في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ- المطلب السادس: إسلام عبد الله بن سلام-المطلب السابع: إسلام تميم الداري وحديث الجساسة- المطلب الثامن: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه. الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد

حكى الله سبحانه في القرآن الكريم ما تتضمنه الكتب المنزلة والرسل المرسلة من التبشير بنبينا محمد ﷺ مما يؤكد تأكيداً ثابتاً لا يتطرق إليه شك في نبوة سيد الخلق، ومن هذه الأدلة التي حكى عنها القرآن التي تبين لمن لا يؤمن برسالة النبي ﷺ أن صفته كانت معلومة عند أهل الكتب السابقة، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩). وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).

عن حسان بن ثابت، قال: «والله إني لغلام يفعة ابن سبع أو ثمان سنين أعقل ما سمعت إذ

سمعت يهوديا، وهو على أظمة يثرب يصرخ: يا معشر اليهود، فلما اجتمعوا قالوا: ويلك ما لك؟ فقال: قد طلع نجم الذي يبعث الليلة»^(١).

قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (الأنعام: ١١٤).

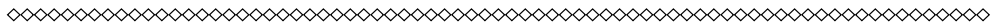
وعن أنس أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا يهودي! أشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة نعتي وصفتي ومخرجي؟ قال: لا. قال الفتى: يا رسول الله! إنا نجد لك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال النبي ﷺ لأصحابه: أقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم»^(٢).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِن يَجِئِلْ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

أخرج البيهقي في السنن بسنده من طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من قريظة أنه قال: هل تدري عم كان إسلام ثعلبة وأسيد ابني سعية، وأسد بن عبيد نفر من هدل لم يكونوا من بني قريظة ولا نضير كانوا فوق ذلك؟ فقلت: لا. قال: فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له (ابن الهييان) فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس خيرا منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنتين، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول له: يا ابن الهييان اخرج فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة، فنقول: كم نقدم؟ فيقول: صاعا من تمر أو مدين من شعير، ثم يخرج إلى ظاهرة حرتنا ونحن معه فيستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب، قد فعل ذلك غير مرة لا مرتين ولا ثلاثة، فحضرته الوفاة فاجتمعنا إليه، فقال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ فقلنا: أنت أعلم، فقال: إنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلاد مهاجرة، فأتبعه فلا تسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود، فإنه يسفك الدماء ويسبي الذراري والنساء ممن

(١) المستدرک علی الصحیحین، للإمام الحاكم، کتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب حسان بن ثابت رضي الله عنه، (٢/٥٥٤/رقم الحديث ٦٠٥٦).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي، الشمائل (٦/٢٧٢). ودلائل النبوة للأصبهاني، (١/٨١/٤٢).



خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. ثم مات، فلما كانت تلك الليلة التي افتتحت فيها قريظة قال أولئك الفتية الثلاثة، وكانوا شبانا أحداثاً: يا معشر يهود للذي كان ذكر لكم ابن الهيبان. قالوا: ما هو؟ قالوا: بلى والله لهوياً معشر اليهود، إنه والله لهو لصفته. ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم. قال: وكانت أموالهم في الحصن مع المشركين، فلما فتح رد ذلك عليهم^(١).
قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٤).

البحث:

دور مؤمني أهل الكتاب في إثبات نبوة محمد ﷺ

في هذا البحث سنقدم للقارئ والباحثين من المسلمين وغير المسلمين أدلة واضحة جلية على صدق رسالة النبي ﷺ، أقول مستعيناً بالله:

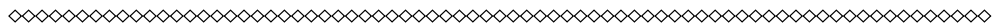
جاء عن ابن إسحاق ما نصه: (قال: وكانت الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه. أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى فيما وجدوا من صفته في كتبهم وصفة زمانه لما كان في عهد أنبيائهم اليهم فيه، وأما الكهان من العرب فتأنيهم به الشياطين من الجن فيما يسترقون من السمع إذ كانت لا تحجب عن ذلك بالقدف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يقع منهما ذكر بعض أمره لا تلقى العرب فيه بالأحاديث حتى بعثه الله عز وجل، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون، ففرغوها، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من الله عز وجل في العباد، يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام حين بعثه، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبا عن السمع، ففرغوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمَعَّ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾. (الجن، آية ١-١٠)^(٢).

المطلب الأول: حديث بحيرة الراهب

كان من أوائل الناس الذين بشروا قريش بمبعث النبي ﷺ بحيرة الراهب النصراني، عندما مرّت به عير قريشاً واستضافهم وصنع لهم طعاماً ليتأكد من الطفل الذي سيكون في آخر الزمان، مع أن بحيرة لم يكن يستضيف أحداً من قوافل التجار، حتى إذا قرب ظهور زمان النبي ﷺ فعل ما فعل، وهذا نص ما جاء في بعض كتب الحديث والسيرة.

(١) السنن الكبرى، للبيهقي، أبواب السير، (١٩٢/٩) رقم الحديث (١٨٢٦٣).

(٢) يُنظر: سيرة ابن إسحاق، (كتاب السير والمغازي)، (ص ١١١).



جاء في سنن الترمذي رحمه الله: عن أبي موسى الأشعري قال: «خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرافوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: «فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك، فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهاهم به وكان هو في رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه...»^(١).

وهذه هي الرحلة الأولى للنبي ﷺ إلى بلاد الشام، وهذه البشارة كانت قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: قصة نسطور.

في رحلة النبي ﷺ الثانية إلى بلاد الشام مع ميسرة غلام خديجة، عندما خرج في تجارة لخديجة رضي الله عنها، ووصله إلى بلاد الشام، يمثل كلام نسطور علامة على تأكيد نبوته ﷺ، وأن صفته موجودة في التوراة والإنجيل كما حكى عنها القرآن الكريم. فعن نفيسة بنت أمية أخت يعلى تقول: لما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأمين؛ فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدم الشام فنزل في سوق بصرى في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان يقال له نسطورا قال: فتطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه، فقال: يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال: من قريش من أهل الحرم قال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم قال: أفي عينيه حمرة؟ قال ميسرة: نعم لا تفارقه قط. قال الراهب: هذا هو وهو آخر الأنبياء ويا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج، فوعى ذلك ميسرة ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى فكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال له الرجل: احلف باللات والعزى فقال رسول الله ﷺ: ما حلفت بهما قط وإني لأمر بهما فأعرض عنهما، فقال الرجل: القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به: يا ميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده إنه لهو هو ويجده أحبارنا منعوتاً في

(١) ينظر: سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب ما جاء في بدء النبوة، (٥/٥٩٠/رقم الحديث ٣٦٢٠) بتصرف. قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وينظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (١٤٠/٢).

كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعاً وكان ميسرة يرى رسول الله ﷺ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلالانه من الشمس وهو على بعيره^(١).

ففعت صفة النبي ﷺ موجودة ومعلومة لدى الأبحار والرهبان، وتجد في هذا الزمان من ينكر ذلك من الأبحار والرهبان.

المطلب الثالث: دور ورقة بن نوفل في تأييد وتصديق النبي ﷺ

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: «اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (العلق: ١-٢) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي^(٢). فورقة بن نوفل بشر خديجة رضي الله عنها بأن الذي يحدث مع النبي ﷺ إن كان حقاً فهو الوحي الذي كان يأتي على موسى، وورقة كان قد تنصر في الجاهلية وعنده علم من الكتاب، وهذا إن دل على شيء يدل على دور النصاري في تأكيد ثبوت نبوته ﷺ.

(١) يُنظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، (١/١٧٢/١) رقم (١١٠) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، (١/٧٧) رقم الحديث (٢).

المطلب الرابع: دور النجاشي في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ

يتبين لنا موقف النجاشي من النبي ﷺ عندما جاءه عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص في الأثر الذي ذكرته أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ والحوار الذي دار بين النجاشي والصحابه ووفد قريش، وفيه قالت: (وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألتهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك. حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، قال: فعدد عليه أمور الإسلام فصدقتاه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا ففتونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه علي. فقرأ عليه صدرًا من كهيعص. قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخلصوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد. قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا أعييهم عنده، ثم أستأصل به خضراءهم والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد. قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه. قالت أم سلمة: فأرسل إليهم يسألهم عنه فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ قال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده على الأرض، فأخذ منها عوداً. ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود...^(١).

ولهذا جاء في الحديث: عن عبد الله بن الزبير، قال: «نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ

(١) يُنظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ (١٧٠/٢٧) رقم الحديث ٢٢٤٩٨ بتصريف.

الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿المائدة: ٨٣﴾^(١).

ومما يؤكد ما ذكرنا من قوة النجاشي ومنعته، ما أخبر به عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النجاشي منع الخراج الذي كان يدفعه له رقل بعدما أسلم ما ذكره ابن القيم رحمه الله في بيان قدوم عمرو بن العاص على ملك عمان بكتاب النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام: (سألني: أين كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ فقلت: أقروه واتبعوه، قال: والأساقمة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب، قلت: ما كذبت، وما نستحل في ديننا، ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت: بلى. قال: بأي شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشي يخرج له خرجاً، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ، قال: لا والله، لو سأني درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له يناق أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً، ويدين ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل رغب في دين فاختره لنفسه ما أصنع به؟ والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع، قال: انظر ما تقول يا عمرو، قلت: والله صدقتك^(٢).

فمن خلال النص يدل على أن الأساقمة تبعوا النجاشي في إسلامه، وهذا يمثل دور مؤمني أهل الكتاب سواء كانوا من الرهبان والأخبار وكذلك الملوك في إثبات نبوته وتأبيدها وتأكيدها، وأنه مرسل من الله.

ومن أكد الأدلة على إسلام النجاشي ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة، يوم الذي مات فيه، فقال: «استغفروا لأخيكم»^(٣). وفيه أيضاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات»^(٤).

فصلاة النبي ﷺ على النجاشي تدل على أن كثيراً ممن بلغه دعوة النبي ﷺ قبلها ودخل بهذا الدين، أو أنه أقره ولم يؤمن به كما فعل ملك عمان.

المطلب الخامس: تأكيد هرقل ملك الروم ودوره في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ

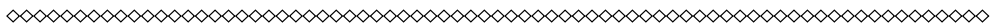
جاء في صحيح البخاري الحوار الذي دار بين أبي سفيان وملك الروم وبعد أن أخبره الخبر قال ملك الروم: فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم

(١) السنن الكبرى، للنسائي، كتاب التفسير، سورة المائدة، (١٠/٨٤/ رقم الحديث ١١٠٨٣)

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، (٦٠٦/٣). وعيون الأثر، ابن سيد الناس، (٣٣٥/٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز بالمصلى، (٨٨/٢/ رقم الحديث ١٣٢٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنائز أربعاً، (٨٩/٢/ رقم الحديث ١٣٢٣).



أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، وكان ابن الناظور، صاحب إيلياء وهرقل، سقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارفته: قد استكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إنني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خير رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نضرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إنني قلت مقالتي أنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل^(١).

يظهر لك أخي القارئ أن هرقل كان على دراية وعلم بصفة نبي آخر الزمان، إلا أنه بعد أن اطلع تأكد من صفته من خلال حديثه مع أبي سفيان، أقر بنبوته، إلا أن خوفه على عرشه وسلطانه وحبه للدنيا جعله بعيداً عن طريق الهدى، فالذي يهمننا أنه كان على علم بصفة سيدنا محمد ﷺ وهذا الذي نود تأكيده لغير المسلمين وخاصة اليهود والنصارى.

المطلب السادس: إسلام عبد الله بن سلام

جاء في سنن ابن ماجه عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، انجفل الناس قبله، وقيل: قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم رسول الله، قد قدم رسول الله ثلاثاً، فجئت في الناس، لأنظر، فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به، أن قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل، والناس

(١) يُنظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، (١/٨) رقم الحديث (٧) بتصرف.

﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١). قال تعالى: ﴿الشعراء: ١٩٧﴾.

وجاء في صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه، قال: «بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال: ما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: أخبرني بهن أنفاً جبريل، قال: فقال عبد الله ذلك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أول أشراف الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقتها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها» قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام، قالوا أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبد الله، قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شربنا، وابن شربنا، ووقعوا فيه»^(٢).

المطلب السابع: إسلام تميم الداري وحديث الجساسة:

جاء في عيون الأثر ما خلاصته: (أن راهباً في دير دلّ تميم الداري على مكان مبعث النبي ﷺ وأنه يخرج في وادي أرض الحرم فالتحق به وأسلم)^(٣).

عن فاطمة بنت قيس، قالت: سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي: أن الصلاة جامعة، فخرجت فصليت مع رسول الله ﷺ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك، قال: «ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: هل تدرّون لم جمعتمكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إني ما جمعتمكم لرهبة، ولا رغبة، ولكن جمعتمكم أن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي حدثتكم عن الدجال...» الحديث^(٤).

المطلب الثامن: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه:

الحديث عن إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه هو حديث طويل، ولكن الشاهد في قصة

(١) سنن ابن ماجه، باب إطعام الطعام، (١٠٨٢/٢) رقم الحديث (٢٢٥١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، (١٢٢/٤) رقم الحديث (٢٢٢٩).

(٣) يُنظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشامائل والسير، (٨٢/١) بتصرف.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة، (١١٨/٤) رقم الحديث (٤٢٢٦) بتصرف، وقال الألباني: صحيح. وجاءت الأحاديث في صحيح مسلم برواية أخرى، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قصة الجساسة، (٢٢٦٥/٤) رقم الحديث (٢٩٤٢).

إسلامه الطويلة أنه كان على الديانة المجوسية ثم انتقل إلى النصرانية ثم انتقل إلى الإسلام، وذلك بعد أن التقى عدة رهبان من رهبان النصارى، وكان آخرهم رجل صالح عنده علم عن نبي آخر الزمان، فنصح الراهب سلمان أن يذهب إلى بلاد العرب التي سيخرج فيها ووصفها له، فكانت هي مدينة النبي ﷺ.

فعند الاطلاع على قصة إسلام سلمان يظهر للقارئ أن آخر رجل قسيس من أهل بيت المقدس أشار عليه بالالتحاق بنبي آخر الزمان، وبعد أن وصل إلى المدينة والتقى بالنبي ﷺ وعلم قصته أمر أبا بكر بشرائه وإعتاقه، فأسلم وحسن إسلامه^(١). وفي البخاري: عن سلمان الفارسي رضي الله عنه (أنه تداوله بضعة عشر، من رب إلى رب)^(٢).

الخاتمة : وتشتمل على :

- أ- النتائج: من النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث المتواضع:
 - ١- أن من أهل الكتاب من آمن به قبل مبعثه وبشّر بقدومه.
 - ٢- أن اليهود كانوا من أهل الكتاب الذين يعلمون بصفة النبي ﷺ وأنهم آمنوا به قبل مبعثه وكانوا يتحدثون عن صفته ويعلمون نعته في التوراة، ولكن لما ظهر من بين العرب كضروا به.
 - ٣- أن دور مؤمني أهل الكتاب واضح في إثبات نبوته قبل بعثته والدليل على ذلك الأمثلة التي قدمناها.
 - ٤- أن دعوته عامة لكل الخلق، ولو لم تكن عامة لما آمن به كثير من اليهود والنصارى وغيرهم من الأمم.
 - ٥- أن كثيراً ممن آمن به، طابق بين علامات النبوة التي يعلمونها في كتبهم وبين النبي ﷺ فعملوا أنه هو رسول الله.
- ب- التوصيات: بعد عرض هذه الأدلة التي تبين دور مؤمني أهل الكتاب في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ نوصي بما يلي:
 - ١- أوصي بجمع الأدلة التي تحدثت عن بشارتنا سيدنا محمد ﷺ في الكتاب المقدس، وترجمتها لعدة لغات بهدف جعلها حجة عليهم من كتبهم.

(١) يُنظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب معرفة الصحابة، (٣/٦٩٢/ رقم الحديث ٦٥٤٢) قال عنه الإمام الحاكم: هذا حديث صحيح عالٍ في ذكر إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، ولم يخرجاه.
 (٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه (٧١/٥/ رقم الحديث ٣٩٤٦).

٢- التعريف بنبي الرحمة وإبراز صفاته وشمائله أمام الأمم الأخرى، وهذا واجب على المسلمين بشكل عام، والعلماء بشكل خاص.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- الجامع الكبير- سنن الترمذي، للمؤلف: محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٢٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

- السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي، (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.

- المستدرک علی الصحیحین، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.

- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- دلائل النبوة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

الخلفية العلمية لكعب الأخبار

ودورها في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ

ملخص البحث:

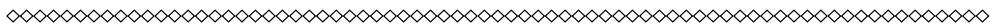
يُعتبر كعب الأخبار من أبرز الشخصيات التي تركت اليهودية ودخلت في الإسلام، وذلك لما يتمتع به من مكانة علمية بعلوم أهل الكتاب، فلقّب بالحبر أي العالم، فأضحى بذلك حجةً بما ينقله من علومهم، التي كان أبرز ما ورد فيها أوصاف للنبي ﷺ ذكرت في كتبهم، مما جعل كعب وما يُمثله من علم بالكتب السابقة، أحد أهم مؤمني أهل الكتاب المثبتين لنبوة النبي ﷺ والبشارة به في الكتب السابقة، ولذلك كان ما ورد عنه حجةً على أهل الكتاب من مصادرهم، ومن أحد أهم علمائهم الذين اعترفوا بعلمه من قبل، ولهذا حاولت الفوص في هذه الشخصية، فعرّفت بها، وتحدثت عن مكانتها العلمية، ثم عرضت لبعض الآثار الواردة عنه من علومه السابقة، المثبتة لنبوة النبي ﷺ، والمؤكدة على البشارة به في كتب أهل الكتاب، حيث توصلت بما عرضته من آثار عنه إلى أن خلفية كعب العلمية، خدمته في الوصول إلى إثبات نبوة النبي ﷺ، مبيناً أن تجربته نافعة لمن بعده من أهل الكتاب، وحجةً عليهم للإيمان بالنبي ﷺ والدخول في دينه.

Research summary:

Ka'ab al-Ahbar is considered one of the most prominent personalities who left Judaism and entered Islam. This is because he maintained a status of being someone who was well informed about the sciences of the People of the Book. He was also a well known scholar.

Because of his great knowledge, he became someone who's knowledge was trusted. He transmitted information from these science's, the most prominent being the descriptions of the Prophet (pbuh). Ka'b and his knowledge and representation of the previous scriptures made him one of the most important influencers of the People of the Book who spoke of the Prophet peace be upon him.

One of the most important contributions of Ka'b was how he proved the



characteristics and authenticity of the Prophet peace be upon him, by using evidence from their own scriptures and books. This was even more significant as he was recognised for being a scholar by the people of the book, before proving these characteristics.

I tried to dive into this character, so I introduced him and talked about his scientific status. Using that, he was able to have an effect on people from the people of the book, using their own beliefs and evidence, which was confirmed in their scriptures. I came to the conclusion from what I found about him that Kaab's scientific background served him in proving the prophethood of the Prophet (pbuh), becoming a beneficial outlook for those who came after him from among the People of the Book, giving them evidence and reasoning to believe in the Prophet, peace be upon him, and confidently enter the religion of Islam.

المقدمة

إن مما امتاز به كعب الأخبار هو الخلفية العلمية الكبيرة التي كان يتمتع بها، وخاصةً في الديانة اليهودية، فلقب الحبر الذي لقب به إنما هو في حقيقته دليل على مكانته العلمية، وبروزه في فهم النصوص التوراتية ومعرفة خلفياتها ودلالاتها المستقبلية، فكان ما يحمله من علم ومبشرات بالنبي ﷺ إستناداً إلى الميراث اليهودي الذي عنده، قد شكّل مستنداً قوياً في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، مما دفعه للدخول في الإسلام، ولذلك فقد قمت الكتابة حول هذه الجزئية، والتي وضعت لها عنوان (الخلفية العلمية لكعب الأخبار ودورها في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، محاولاً من خلالها إثبات أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم مثبتة في الكتب السابقة بشهادة شاهد منهم وهو كعب الأخبار أحد علمائهم السابقين، ومن جهة أخرى مبيناً أن العالم منهم لو أراد الحق لوصل إليه بما يمتلكه من معارف، إن تجرد من هواه، وأذعن للحقائق العلمية التي عنده، فعلم أهل الكتاب على الرغم من التحريف الذي طالها، إلا إن الحقيقة ما زالت ملاصقة لنصوصها وعبارتها، خطة البحث :

سنحاول من خلال هذا البحث التعريف بكعب الأخبار، ومكانته العلمية، ودور علومه السابقة في إثبات النبوة سأتناول هذا الموضوع من خلال المطالب التالية

المطلب الأول : التعريف بكعب الأخبار وتحليل لشخصيته

المطلب الثاني : دخوله للإسلام

المطلب الثالث : مكانته العلمية

المطلب الرابع : دور علومه السابقة في إثبات نبوة النبي ﷺ

المطلب الخامس : أثر تجربة كعب في دعوة أهل الكتاب .

وقد اشتمل البحث على وقد اشتمل البحث على خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع فهرس لمصادره ومراجعته وموضوعاته.

المطلب الأول : التعريف بكعب الأخبار وتحليل لشخصيته :

إن التعريف بكعب وفهم شخصيته من الضرورات الأساسية في أي بحث يتحدث عنه، حيث انتقلت المصادر المعروفة به على اسمه واسم أبيه^(١) فهو كعب بن ماتع^(٢)، ثم وقع الخلاف بعدهما، فقيل: كعب بن ماتع بن هيسوع^(٣)، ويقال: هلسوع^(٤)، وقيل: هينوع^(٥)، بن ذي هجري بن ميثم بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد^(٦)، إلى غير ذلك من الاختلافات في ذكر الاسم، حيث قد برز الخلاف في الاسم الثالث، فيقال: هيسوع، وهلسوع، وهينوع، وأيضاً وقع خلاف في ذي هجري، ومرة ذي هجران، ومرة ذي هجن، ووقع أيضاً، خلاف في ميثم، وميثم، وأغلب المصادر ميثم، والله أعلم^(٧).

وأما عن نسبه فهو يُنسب إلى قبيلة حمير، من آل ذي رعين^(٨)، ويقال: من ذي الكلاع^(٩) من بني ميثم^(١٠)، ولذلك فإنه يُعد من قبيلة حمير، وهي قبيلة عربية، فكعب إذاً عربي النسب، وليس إسرائيلي، وإن كان هناك احتمال أن تكون اليهودية تسلت لليمن من بعض أجداه العرب الذين

(١) مصادر ترجمته، انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٤٥/٧)، التاريخ الكبير، للبخاري (٢٢٣/٧)، المعارف لابن قتيبة (٤٣٠)، تاريخ الرسل والملوك، للطبري (٩٢٧/١١)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/١٩١)، الثقات لابن حبان (٥/٢٢٢)، تاريخ دمشق لابن عساکر (١٥١/٥٠)، اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير (٢/٢٩٢)، تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٢/٢٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي (٢٤/١٨٩)، تاريخ الإسلام للذهبي (٢/٢٩٧)، سير أعلام النبلاء (٣/٤٨٩)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥/٤٨١)، تهذيب التهذيب (٨/٤٢٨)، تقريب التهذيب (٤٦١)، الأعلام، للزركلي (٥/٢٢٨).

(٢) ماتع: بكسر المشاة من فوق، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٥/٤٨١).

(٣) تاريخ دمشق (١٥١/٥٠)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/٦٨)

(٤) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (٤٣٤)، تاريخ دمشق (١٥١/٥٠)

(٥) طبقات لخليفة بن خياط (٥٦٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/٦٨)

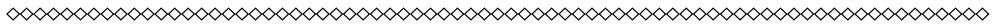
(٦) انظر: تاريخ دمشق (١٥١/٥٠)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/٦٨)

(٧) مرويات كعب الأخبار التاريخية لأحمد أبو هادي ص ٢١.

(٨) الطبقات الكبرى (٤٤٥/٧)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/١٦١)، تهذيب الكمال (٢٤/١٨٩)، الإصابة (٥/٤٨١)، تهذيب التهذيب (٨/٤٢٨).

(٩) تهذيب الكمال (٢٢/١٨٩)، الإصابة (٥/٤٨١)، تهذيب التهذيب (٨/٢٢٨)

(١٠) ميثم: يفتح الميم، وسكن الباء، وبعدها تاء مفتوحة، معجمة باثنتين من فوقها، في نسب حمير ميثم بن سعد بطن في ذي الكلاع، انظر: تاريخ دمشق (٥٠/١٥٦)



تهودوا، ويحتمل أنها جاءت من قبل الأمهات، أو من باب المصاهرة، ويحتمل غير ذلك^(١).
نيته، ولقبه: اتفقت المصادر على أن كنيته «أبو إسحاق»^(٢)، وأما لقبه فكان يلقب بـ «كعب
الأخبار»^(٣)، وهو الأشهر، فالأخبار كما بينها الطبري: «جمع حبر، وهو العالم المحكم للشيء»^(٤)،
وقال النووي: «كعب الحبر، بكسر الحاء، وفتحها؛ لكثرة علمه»^(٥)، وعليه فإن ما لقب به كعب، يدل
دلالة واضحة على سعة علمه، وعلو منزلته في أبواب العلم المختلفة.

ولادته ووفاته: اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته، ووفاته، إلا إنهم اتفقوا على أنه عاش مائة
سنة وأربع سنين، ما جعل هذا العمر نقطة مركزية وأساسية في تحديد سجل حياته الشخصي،
وبما إن المؤرخين عامة لم يذكروا على وجه التحديد تاريخاً محدداً لميلاده^(٦)، إلا إن أحد
الباحثين، ومن خلال الروايات التي تحدثت عن عمره عند وفاته، استطاع أن يستنتج بأنه إنه ولد
قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة وخمسين عاماً تقريباً^(٧)، وهناك من حدد مولده بأنه
كان قبل السنة الهجرية الأولى باثنتين وسبعين سنة، وبذلك حدد تاريخ ولادته بالتقويم الميلادي
في سنة ٥٤٨م^(٨).

وفي الوقت الذي لم يذكر فيه المؤرخون تاريخياً لولادته، فإنهم قد اختلفوا في سنة وفاته
على أقوال.

القول الأول: أنه توفي في سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله
عنه^(٩).

القول الثاني: أنه مات سنة ثلاث وثلاثين للهجرة وهذا القول صوبه ابن عساكر^(١٠) ونقله
ابن حجر^(١١)

-
- (١) كعب الأخبار بين الاتهام والإنصاف، لمحمود نصار، ص (١٤٠-١٤١)
 - (٢) انظر مصادر ترجمته عند التعريف باسمه في الصفحة الأولى من هذا البحث .
 - (٣) المصادر نفسها السابقة
 - (٤) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١٠ / ٣٤١).
 - (٥) تهذيب الأسماء واللغات (٦٩/٢).
 - (٦) حول تاريخ وفاته انظر الثقات لابن حبان (٥/٣٣٤)، تهذيب الكمال للمزي (٢٤/١٩٣) الأعلام للزركلي (٥/٢٢٨).
 - (٧) كعب الأخبار بين الاتهام والإنصاف، لمحمود نصار ص ١٤١.
 - (٨) كعب الأخبار وأثره في التفسير لخليل إسماعيل إلياس، ص ١٤١.
 - (٩) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٤٤٥)، المعارف لابن قتيبة، ص ٤٣٠، صفة الصفوة لابن الجوزي، (٤/٢٠٣) تهذيب الكمال للمزي (٢٤/١٩٠)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/٤٧١)، الوافي بالوفيات للصفدي (٢٤/٢٦٠).
 - (١٠) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٠/١٧٥)
 - (١١) فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٣٥).

القول الثالث : أنه مات سنة أربع وثلاثين قبل نهاية خلافة عثمان بن عفان بعام^(١).

القول الرابع : أنه مات سنة خمس وثلاثين للهجرة، وهو قول شاذ انفرد به ابن العماد^(٢).

فهذه الأقوال وإن اختلفت في سني وفاته إلا إنها أجمعت على أن وفاته كانت في خلافة عثمان رضي الله، وهذا ما يزيل كثير من اللبس الذي دار حول شخصه من اختلاق أحداث وأخبار افترى بها على كعب الأبحار رحمه الله، وألصقت به تهمة مشاركته بها.

وأما عن شخصيته، فالذي يظهر من قراءة ترجمته، بمراحلها التاريخية المختلفة، أن كعب الأبحار كان يتمتع بشخصية علمية قوية، وذلك لما التصق به من لقب الحبر، أضيف إلى نشأته والبيئة التي أحيط بها في بداية حياته، حيث إنه نشأ في رعاية والده الذي كان حبراً وعالماً من علماء اليهود، مما أسهم في توجيهه، وبناء شخصيته، وتعليمه وتشثته النشأة العلمية الصحيحة، القائمة على البحث عن الحق والحقيقة دون الالتفات إلى الصادئين والمغرضين، ولنتركه يحدثنا عن والده لندرك عوامل تكوين هذه الشخصية، وانعكاسها على مجريات الأحداث التي عايشها بعد ذلك فيقول عن نفسه: «وذلك أن ابي كان أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران وانه كان لي محباً وعلي مشفقاً ولم يكتم علي شيئاً إلا أعلمني إياه مما كان يعلم الناس فلما حضرته الوفاة دعاني إليه وقال لي يا بني إنك تعلم إنني ما ادخرت عنك شيئاً مما كنت أعلمه لاني خشيت أن يخرج بعض هؤلاء الكاذبين وتتبعهم وقد جعلت هاتين المورقتين في هذه الكرة التي ترى فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما إلى أن تسمع بخبر نبي يبعث في آخر الزمان اسمه محمد فإن يرد الله بك خيراً فأنت تتبعه ثم مات بعد وصيته اياي قال كعب فدفنته فما كان شيء أحب الي بعد انقضاء العزاء من النظر في الورقتين وقراءة ما فيهما ففتحتهما فإذا فيهما لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم النبيين»^(٣). فمن خلال هذه القصة التي يذكرها كعب تتبين لنا ملامح هذه الشخصية، إذ إن الأحداث المهمة، والأساليب التربوية الرفيعة، هي من أهم ما يُحدد ملامح شخصية الفرد، ويرسم صورةً لطبائعه النفسية مستقبلاً، فكون كعب كان قد نشأ في أسرة علمية وتربى على يد والده العالم الحبر، فإن هذا بلا شك سياتر أثره في تكوين شخصيته العلمية، كما إن توصية والده بضرورة اتباع الحق والبعد عن أهل الأهواء، سيجعله شخصية مستقلة علمياً تحرص على الدليل، وتحارب الهوى، وتصارع التقليد، وتتبع الدليل، لذلك نجده يحرص بمجرد

(١) الثقات لابن حبان (٣٢٤/٥)، تهذيب الكمال للمزي (١٩٣/٢٤)، الكامل لابن الأثير (٤٥/٣)، العبر في خبر من غير للذهبي (٣٥/١) الأعلام للزركلي (٢٢٨/٥).

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٤٠/١)

(٣) فتوح الشام للواقدي (٢٢٤/١). شرف المصطفى لأبي سعد النيسابوري، (٢٧٥-٢٧٧)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٦١-١٦٢/٥٠)، فهذه القصة وإن كان فيها ضعف، إلا إن استخدامها في التدليل على فهم هذه الشخصية من الأمور التي تصوغ روايتها، فهي تروى من باب أنها حدث تاريخي مؤثر في شخصية معروفة، ولا أحكام شرعية مترتبة عليها، للحكم على هذه القصة، انظر كعب الأبحار مروياته وأقواله في التفسير بالمأثور جمعاً ودراسة ليوسف العامري (١٦-١٧).

انتهاء عزاء والده يُسارع لفتح الرسالة التي كتبها والده، فيقرأها، ويضع عهداً على نفسه للعمل بها، خاصةً وأنها تتفق مع ما يعلمه من علم أهل الكتاب، مما أوجد في نفسه حب الجمع بين ما يمتلكه من علم، وبين ما يُعرض له في مسيرته العلمية، فتجده يتحرك وفق رؤية علمية رصينة، تقوم على فهم الدليل وتحريه، والتدقيق فيه حتى يصل للحق فيلتزمه، وإن خالف قومه وأهله، فكانت هذه الروايف التي غدّت شخصية كعب، قد انعكست على ممارساته وتصرفاته، وتعامله مع الأحداث التي واجهها في حياته. حيث تجده يسعى لبسط كل ما يعرض له من مسائل، ومقارنتها بما يمتلكه من علم، فنجده يعرض لصفات النبي صلى الله عليه وسلم الواردة عنده في التوراة، على ما كان عليه حاله صلى الله عليه وسلم في حياته، ولعل هذا الحرص منه على العلم، والنظر فيه، قد أوجد لديه فُراسةً قل نظيرها فتجده يتكلم بأحداث ووقائع لا يمكن أن تضعها إلا في خانة الفراسة التي يورثها العلم لصاحبه، وقد شهد له بذلك ابن الزبير بعد قتل المختار الثقفي حيث يقول: « ما شيء كان يحدثنا كعب إلا قد أتى على ما قال، إلا قوله: فتى ثقيف يقتلني، وهذا رأسه بين يدي -يعني: المختار الكذاب»^(١)، ثم يستطرد ابن حجر على قوله «وما دري أنّ الحجاج خبيء له»^(٢)، كما وأثبت ابن كثير ذلك له فقال: «وإنما كان كعب وغيره يحكون تنبؤات عما يستقبل من الأمور فيعلم الصدق أو الكذب بوقوعها وعدمه، والظاهر أنه كان عند كعب صحف فيها تنبؤات من غيره»^(٣).

وفي هذا تأكيد من ابن الزبير رضي الله عنه وابن كثير على فُراسة كعب، وأنه كان يتمتع بمكانة علمية عالية أهلته لأن يبرز بين أهل عصره، فيتبوأ مرتبة رفيعة جعلت الجميع يعترف له بها.

المطلب الثاني : دخوله للإسلام:

إن مما اتفق عليه أهل العلم أن قدوم كعب للمدينة المنورة كان في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، ولكنهم اختلفوا في تاريخ دخوله في الإسلام، وفي أي عهد تم ذلك، فبعضهم رأى أن إسلامه كان في عهد النبي ﷺ وإنما تأخر قدومه، وبعضهم قال بأن إسلامه كان في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجزم آخرون بأن إسلامه وقدمه إنما كانا في عهد الفاروق وخالف بعضهم وذهب إلى أن إسلامه كان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤)، ولما اختلفت الأقوال في هذه القضية، فإن هذا يستدعي منا عرض كل قول وأدلتها، ومن ثم ترجيح

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٢٧٨)

(٢) الإصابة لابن حجر (٥/٤٨٣).

(٣) الأنوار الكاشفة للمعلمي، ص ١٢٧.

(٤) كعب الأحبار وأثره في التفسير لخليل إسماعيل إلياس، ص ٢٩.

القول الأصح^(١) في هذه المسألة، حيث انقسمت أقوال أهل العلم على النحو التالي:

القول الأول: أن إسلامه كان في عهد النبي ﷺ، وهو قول ذكره ابن حجر رحمه الله (قيل إنه أسلم وهو باليمن في حياة النبي ﷺ على يد علي رضي الله عنه)^(٢)، وقد رجح أحد الباحثين هذا القول وأيده بعدد من الأدلة^(٣)، وإن كنت لأستبعد هذا القول لاعتبارات عديدة، منها عدم قدوم كعب للمدينة ومصاحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، فينال بذلك منزلة الصحبة، بدلاً من أن يكون تابعياً^(٤)، كما وإن المعلوم عنه حرصه على كل منزلة رفيعة، حتى أنه حرص في أواخر عمره، هو مريض على الجهاد والخروج في سبيل الله.

القول الثاني: أن إسلامه كان في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وممن ذكر هذا الرأي النووي فيما نقل عنه^(٥)، والمزي في تهذيب الكمال^(٦)، مع العلم بأن الخلاف في كونه أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر هو أمر يسير، لقصر خلافة أبي بكر وتوالي عهده وعهد عمر رضي الله عنهما، فلعلهُ بدأ رحلة الإسلام في خلافة الصديق، ثم أعلن التحاقه بالإسلام تماماً في خلافة الفاروق^(٧).

القول الثالث: إن إسلامه كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإلى هذا القول ذهب ابن سعد^(٨)، وهو قول الإمام أحمد^(٩)، وابن حبان^(١٠)، والسمعاني^(١١)، وابن الأثير^(١٢)، وهو مما رجحه ابن حجر^(١٣)، حتى أن أحد الباحثين جزم بأن إسلامه كان في عهد عمر رضي الله عنه مستنداً في ذلك إلى ترجيح ابن حجر وغيره من الباحثين وداعماً رأيه بعدد من الأدلة^(١٤).

(١) خاصة وأن إسلام كعب الأبحار رحمه الله قد شكك فيه بعض الباحثين استناداً على بعض الأقوال والروايات فأخذوا يشككون بصحة دخوله في الإسلام، ويطعنوا في صحة إسلامه. حول صحة إسلام كعب انظر كعب الأبحار موقفنا منه وأثره على السنة، عبد الله قويدر ومحمد النجار، ص ١٢٧-١٢٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر

(٣) كعب الأبحار وأثره في التفسير لخليل إسماعيل إلياس، ص ٢١-٣٢.

(٤) كعب الأبحار بين الاتهام والإنصاف، لمحمود نصار (١٤٧-١٤٨)

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، (٦٨/٢).

(٦) تهذيب الكمال للمزي (١٨٩/٢٤).

(٧) كعب الأبحار بين الاتهام والإنصاف، لمحمود نصار، ص ١٤٩.

(٨) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٤٦/٧).

(٩) اللع ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل (٥٢١/٢)

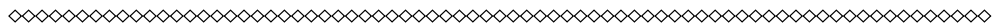
(١٠) الثقات لابن حبان (٢٣٤/٥)

(١١) الأنساب للسمعاني (٢٦٥/٤)

(١٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥٢٤/٢).

(١٣) الإصابة لابن حجر (٤٨٢/٥)

(١٤) كعب الأبحار بين الاتهام والإنصاف، لمحمود نصار، ص (١٤٦-١٤٩)



القول الرابع: أن إسلامه كان في عهد عثمان رضي الله عنه، وقد اعتبره خليل إسماعيل من الأقوال الشاذة، حيث نسبه إلى محمد فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين^(١)، وممن أيده في هذا الرأي محمد حسنين هيكل في كتابه الفاروق^(٢)، وقد بين أحد الباحثين ضعف هذا القول مؤكداً على شذوذه^(٣)، ولهذا فإن هذا القول مستبعد ولا يمكن الأخذ به، حيث إنه قد خالف كل علماء الأمة، وقائله معاصر لا يمكن الأخذ بقوله في هذه المسائل،

القول الخامس: أن إسلامه كان في عهد علي رضي الله عنه، وهو من أبعد الأقوال عن الصواب، وبهذا القول فخر الدين الطريحي^(٤) في مجمع البحرين^(٥)، وهذا القول غير مستغرب من شيعي، يسعى لأن يجعل كل حدث أو واقعة في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مع العلم بأن علماء الشيعة سعوا للانتقاص من مكانة كعب^(٦)، فالصقوا به الاتهام والأخبار الكاذبة، وقد أخرج أحدهم كتاباً للطعن فيه^(٧).

والذي أرجحه هو القول بأن إسلامه كان في عهد عمر الفاروق رضي الله عنه وذلك لكون أكثر المؤرخين نقلوا ذلك، ولوجود رواية في تاريخ دمشق تصرح بإسلامه في عهد عمر رضي الله عنه إذ تقول بأن: «كعب الأبحار في القوم وفي تلك السنة أسلم في إمارة عمر»^(٨) فهذه الرواية تُعد قولاً جازماً في هذه المسألة لتصريحها بتاريخ إسلامه، وكون الروايات الأخرى التي حددت تواريخ إسلامه لم تجزم بشيء.

ويبقى قضية ينبغي الإشارة إليها عند الحديث عن إسلام كعب، وهي تعسف البعض^(٩) ومحاولة الطعن بإسلامه بالرغم من أن أهل العلم قديماً أكدوا على دخوله في الإسلام يقول الذهبي رحمه: «وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء»^(١٠)، حتى إن ابن سيرين «كان يكره أن يقال كعب الحبر ويقول كعب المسلم» ولعل مقصده من ذلك أن لا يلصق به أي لفظ

(١) دائرة معارف القرن العشرين (١٥٩/٨-١٦٠).

(٢) الفاروق عمر محمد حسنين هيكل (٣٠٩/٢).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٦٨/٢).

(٤) فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الرماحي النجفي ولد سنة ٩٧٩-١٥٧١ هـ وتوفي سنة -١٠٨٥ هـ- ١٦٧٤ م من علماء الإمامية، له مؤلفات عديدة في خدمة مذهبه. انظر الأعلام للزركلي (١٢٨/٥).

(٥) مجمع البحرين ومطلع النيرين لفخر الدين الطريحي (٣٩٦/١).

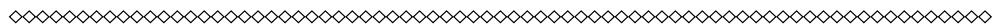
(٦) كره الشيعة لكعب الأبحار و طعن علماءهم في دينه وعلمه، والافتراء على أئمتهم في ذلك، مسألة تحتاج لبحث للوقوف على خلفية هذا الموقف.

(٧) انظر كتاب يهود بثوب الإسلام لنجاح عطا الطائي ص١٦-١٧-٥٩-٦٧-١٥٥.

(٨) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٨/٥٠).

(٩) المقصود بالبعث محمد رشيد رضا وعباس محمود العقاد ومحمود أبو رية وغيرهم راجع أقوالهم في مرويات كعب الأبحار التاريخية لأحمد أبو هادي، ص (٢٨-٤٠)، كعب الأبحار بين الاتهام والإنصاف، لمحمود نصار (١٥١-١٥٤).

(١٠) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩٠/٣).



يدل على ديانته السابقة، أو يفهم منه طعن في إسلامه، فهو قد ترك اليهودية بكل ما تحمله هذه الديانة من معتقدات ومصطلحات علمية ودينية.

المطلب الثالث : مكانته العلمية : لقد كانت لكعب الأحبار مكانة علمية رفيعة حتى لقب

بكعب الحبر أو كعب الأحبار لكثرة علمه. قال ابن حجر: (كعب الأحبار أي العالم)^(١)، حتى إن الصحابة والعلماء قد شهدوا له بالعلم، فقد نُقل عن العديد منهم أقوال تبين مكانته العلمية، وتفوقه في بعض الأبواب.

أما الصحابة فقد أثنوا على كعب وعلمه، ومن ذلك ما ذكره أبو الدرداء عن كعب، أنه قال: «إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً»^(٢)، وكان معاوية يقول: «ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء، ألا إن عمرو بن العاص أحد الحكماء، ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده علم كالنمار وإن كنا فيه لمفرضين»^(٣)، ففي هذين الأثرين، تأكيد من الصحابة على سعة علم كعب، حتى أنه كان متضلعا في العلوم الشرعية، حيث كان يُستفتى في بعض المسائل الشرعية بحضور الصحابة، كما نجده في بعض الآثار الواردة، حيث أورد مالك رحمه الله في موطنه عدداً من الآثار تُبين قوة فهمه، وسعة علمه، ومن ذلك فتواه بأكل الجراد للمحرمين معه من الصحابة وتأميره من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليهم^(٤)، ومجالسته لأبي هريرة رضي الله عنه، ومناقشته حول الساعة التي يُغفر فيها يوم الجمعة^(٥)، فتجد من خلال هذه الآثار أن الصحابة كانوا مدركين لسعة علم كعب، لذلك أمره عمر رضي الله عنه لما تبين له صوابية فتواه، أما أبو هريرة رضي الله عنه فقد كان يتحاور معه لإدراكه أنه يتمتع بعلم واسع.

وأما العلماء فقد أكدوا على مكانة كعب العلمية، فيقول النووي رحمه الله: «واتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه ومناقبه وأحواله وحكمه كثيرة مشهورة»^(٦)، وقال ابن عبد البر عن كعب الأحبار «هو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم وكان من أعلم الناس بأخبار التوراة وكان حبراً من أحبار اليهود ثم أسلم فحسن إسلامه وكان له فهم ودين وكان عمر يرضى عنه وربما سأله»^(٧)، أما الذهبي فقد ذكر عنه بأنه: «العلامة، الحبر»^(٨)، وهو من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل

(١) فتح الباري لابن حجر (١/١٠١).

(٢) الطبقات لابن سعد (٧/٣٠٩).

(٣) الطبقات لابن سعد (٢/٢٧٣) الإصابة لابن حجر (٥/٤٨٣).

(٤) الموطأ للإمام مالك (٢/٥١٢).

(٥) الموطأ (٢/١٥٠).

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٦٨-٦٩).

(٧) التمهيد لابن عبد البر (٢٣/٢٩).

(٨) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٤٨٩).

الكتاب»^(١)، وهذا ما أكدّه الذهبي المعاصر بأنه قد «نُقل عنه في التفسير وغيره ما يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية والثقافة الإسلامية»^(٢)

وكما أثنى العلماء على مكانة كعب العلمية، فإنهم أكدوا على عدالته، فقد اتفق علماء الجرح والتعديل على توثيقه حتى خرَّج له أصحاب الصحاح والسنن^(٣)، وذكره ابن حبان في الثقات^(٤)، ووثقه ابن حجر^(٥)، وقد خلص أحد الباحثين إلى الجزم بعدالته مبيناً من روى عنه من الصحابة وأصحاب السنن^(٦).

ولما كانت لكعب هذه المكانة العلمية، والتي حكم من خلالها العلماء على عدالته وصدقته، بقي أن نعرف موقفنا مما يرويه كعب الأخبار رحمه الله، خاصة ما جاء عن كعب من أخبار عن أهل الكتاب، إذا اشتهر بذلك، يقول الذهبي «فجالس أصحاب محمد ﷺ فكان يُحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية»، وابن كثير يذكر بأنه «لما أسلم في الدولة العمرية جعل يُحدّث عمر رضي الله عنه عن كتبه»^(٧)، ولروايته عن أهل الكتاب فقد استغل استغلالاً كبيراً من الوضعين، وذلك لأن مصادر رواياته إنما كانت عن التوراة وكتب السابقين وهذا فيه من جهالة المصدر وصعوبة الوقوف عليه ما فيه، فاستغلوا ذلك لعزو كل غريب وعجيب له^(٨)، حتى أن الكذب عليه أضحى أيسر عليهم من الكذب على النبي ﷺ^(٩)، ولهذا فقد كان تعاطي أهل العلم مع روايته التي ترد عن أهل الكتاب وفق الأصل الشرعي في التعامل مع هكذا روايات، فما علمنا صحته وهو موافق لما بأيدينا فذاك صحيح، وما كان مخالف لما عندنا علمنا كذبه، وما هو مسكوت عنه، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته^(١٠).

وأما عن نظرتنا للنص الكتابي نفسه الذي أورده كعب، ومدى موافقته للنسخ الموجودة في أيامنا، فقد أجب عن ذلك أحد الباحثين بأن التوراة الأصلي، وكذا الإنجيل الأصلي فقد اقبل بعثة محمد ﷺ، والموجودان الآن بمنزلة كتابين من السير مجموعين من الروايات الصحيحة

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤٢/١-٤٣)

(٢) التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي، (١٣٦/١).

(٣) كعب الأخبار وأثره في التفسير لخليل إسماعيل إلياس ص ٤١.

(٤) الثقات لابن حبان (٢٣٢/٥)

(٥) تقريب التهذيب لابن حجر، ص ٤٦١.

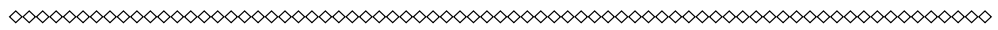
(٦) التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي (١٣٦/١).

(٧) تفسير القرآن لابن كثير (٢٣/٧)

(٨) كعب الأخبار موقفنا منه وأثره على السنة، عبد الله قويدر ومحمد النجار، ص ١٣٨.

(٩) الأنوار الكاشفة للمعلمي، ص ١٢٧.

(١٠) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص ٤٢.



والكاذبة^(١)، كما وأن مصدر مرويات كعب إنما هو من كتابهم المقدس المشتمل على الأنواع العديدة العهد القديم بأقسامه التوراة مع أسفارها الخمسة، بالإضافة إلى الزبور، التلمود إليها أيضاً^(٢)، والى هذا المعنى أشار الحافظ ابن حجر في الفتح عند شرحه حديث معاوية فقال: «قوله يُحدثون عن أهل الكتاب: أي القديم، فيشمل التوراة الصحف»^(٣)، وعلى هذا ليس كل ما ورد عن كعب من كلام في الكتب السابقة، يُمكن الأخذ به مباشرة، أو اعتباره حجة، وذلك لوجود احتمالات كثيرة تتعلق بهذا الكلام ومدى دقته وصحته، فالإسرائيليات المروية عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم ليست من وضعهم واختلاقهم كما زعم ذلك بعض الناس اليوم، وإنما هي عبارة عن روايتهم لها من كتب أهل الكتاب، فليسوا هم الذين اختلقوها، وإنما اختلقها، وافتجرها أسلافهم القدماء، فهم مجرد واسطة في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين، وإذا كان البعض قد رواها عنهم، فالذنب ليس ذنبهم، وإنما ذنب من نقلها ورواها عنهم، من غير بيان لكذبها وبطلانها^(٤)، ولهذا فإن ما تقدم من ضوابط في التعامل مع مرويات كعب وتوضيح لحالتها، إنما هو للحفاظ على الدين والتشريع، ومنعاً من إقحام ما ليس صحيحاً أو مخالفاً للدين، ليبقى كعباً وما أورده عن أهل الكتاب مصدراً يُستأنس به في تأكيد الحقائق العلمية، وإقامة الحجة على المخالف منهم، خاصة وأن كعب معروف بتضلعه في علومهم، فهو ممن عايشهم، وكان حبراً فيهم، وهذا مما يتفق مع المنهج العلمي في كون من يتحدث بعلم معين هو من أهله، وأدرى به، وهذا ما أشار إليه ابن عبد البر بقوله: «وكان من أعلم الناس بأخبار التوراة» ثم يقول «وفيه الإباحة في الحديث عن التوراة لأهل العلم بها وسماع ذلك مباح»^(٥) وقد وافقه الذهبي رحمه الله بنظرته تلك لكعب فقال عنه «وكان خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة»^(٦)، «وكان في الغالب يعرف حقها من باطلها لسعة علمه وكثرة اطلاعه»^(٧).

المطلب الرابع : دور علومه السابقة في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم :

لم تكن الأخبار الواردة في الكتب السابقة عن صفات النبي ﷺ، المصدر الوحيد لإثبات نبوته، ولا الحجة الوحيدة للإيمان برسالته، والتصديق بها، وذلك لأن شواهد النبوة وآياتها

(١) اظهر الحق لمحمد رحمت الله (٢٨٧/٢)

(٢) كعب الأحبار موقفاً منه وأثره على السنة، عبد الله قويدر ومحمد النجار ، ص ١٤٠-١٤١.

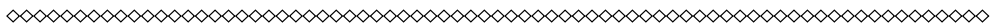
(٣) فتح الباري لابن حجر (٢٢٤/١٣).

(٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، لمحمد أبو شهبة، (٩٦-٩٧)

(٥) التمهيد لابن عبد البر.

(٦) سير أعلام النبلاء ، (٤٩٠/٢)

(٧) تاريخ الإسلام للذهبي (٢١٤/٢)



لا تتحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبي وصفته، بل إن شواهد نبوته متنوعة ومتعددة، وأما نعته في الكتب المتقدمة فهو فرد من أفرادها^(٨)، ولهذا فإن الشواهد الموجودة في كتب أهل الكتاب، وإن شكلت مستنداً لدخول بعضهم في الإسلام، إلا إن جمهور أهل الأرض لم يكن إسلامهم بناءً على الشواهد والأخبار التي في كتبهم، حتى إن أكثر من دخل في الإسلام لا يعلم شيئاً عن هذه الكتب، ولم يسمع بها، لتبقى تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية وعاضدة من باب تقوية البنية، ودعمها^(٩)، ولذلك فإن التعاطي مع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة، لا ينبغي أن يخرج عن هذا المفهوم، فيبقى في إطاره العلمي المحدد، من كونه شاهد من الشواهد المقوية والعاضدة لإثبات نبوته ﷺ، ولربما تكون هذه الشواهد ألصق بمخاطبة أهل الكتاب دون غيرهم من باب إقامة الحجة عليهم، ودفعهم للدخول في الإسلام، لورود ما يدل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم .

ولعل هذا ما دفع المصنفين في دلائل النبوة، لإيراد هذا الدليل من ضمن أدلتهم الكثيرة، على إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، فنجد الأصفهاني في كتابه دلائل النبوة قد ذكره ضمن باب وضع له عنواناً، «ذكره في الكتب المتقدمة، والصحف السالفة المدونة عن الأنبياء، والعلماء من الأمم الماضية»^(١٠)، جمع فيه، ما ورد عن أهل الكتاب من بشارات بمبعثه، وعصدها بشواهد من كتبهم^(١١) وكذلك فعل البيهقي فأورد باباً في كتابه دلائل النبوة بعنوان «باب صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في التوراة والإنجيل والزيور وسائر الكتب، وصفة أمته»^(١٢)، فوضع تحته ماورد من أخبار وشواهد وصفات للنبي ﷺ في الكتب السابقة^(١٣)، وفي هذا تأكيد من سلف الأمة على أن النظر في علوم أهل الكتاب، والبحث فيها بما يدعم نبوة النبي، هو من المطالب المهمة، والمقاصد المرجوة، خاصة للمختصين بعلومهم، والمتمعنين بكتبهم ومدلولاتها .

وبما إن كعب الأخبار كان قد امتاز بمكانة علمية مرموقة في علوم أهل الكتاب، كونه كان أحد أبحارهم، فإن هذا يجعلنا نجزم بأن ما يُورده من علوم تتعلق بأهل الكتاب، قد أخذها من كتبهم، واستقاها من مراجعهم، مما يجعل ما ينقله عنهم دليلاً علمياً قوياً في محاجتهم، وخاصة فيما يتعلق بإثبات نبوة النبي ﷺ، «فكعب الأخبار قد ملأ الدنيا من الأخبار بما في النبوات المتقدمة من البشارة به، وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى، وأذن بها على رءوس

(٨) هداية الحيارى لابن القيم ، ص ٤٢٣ .

(٩) هداية الحيارى لابن القيم ، ص ٤٢٣ .

(١٠) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني (٧١/١)

(١١) انظر هذه الشواهد أبي نعيم الأصفهاني (٧١/١-١٠٣)

(١٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢٧٢/١)

(١٣) انظر هذه الشواهد دلائل النبوة للبيهقي (٢٧٢/١-٢٨٢)

الملا، وصدقه مسلمو أهل الكتاب عليها، وأخبروه على ما أخبر به، فإنه كان أوسعهم علماً في كتب الأنبياء، وقد كان الصحابة يمتحنون ما ينقله ويزنونه بما يعرفون صحته فيعلمون صدقه، وشهدوا له بأنه أصدق من يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم^(١).

ومن أهم ما ورد عن كعب الأخبار من علم كان قد أخذ من الكتب السابقة، ويحمل في طياته ما يؤكد على نبوة النبي ﷺ، ما أورده ابن سعد والدارمي عن ابن عباس أنه سأل كعب الأخبار: «كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ فقال: نجده محمد بن عبد الله. مولده بمكة. ومهاجره إلى طابة. ويكون ملكه بالشام. ليس بفحاش ولا بصخاب في الأسواق. ولا يكافئ بالسيئة. ولكن يعفو ويغفر»^(٢). فهذه الرواية قد وردت بألفاظ مختلفة وفي مصادر متنوعة^(٣)، وهي على الرغم من الحكم عليها بالضعف من الناحية الحديثية، إلا إنها مما يُتساهل في نقلها وروايتها لكون أصحاب التاريخ والسير والشمايل كانوا لا يرون بأساً بنقل الأخبار عن أسلم من علماء أهل الكتاب، أضف إلى أن كعب كان قد شهد له بمعرفة السقيم من الصحيح من أخبارهم، وهي لا تتعلق بحلال أو حرام، ولا تنافي العقيدة الصحيحة^(٤)، وهذا ما أكده ما بأن ما صح عن كعب فالظاهر صدقه لأنه صادق الإسلام نقياً، ولم يُظهر خلافه^(٥)، ومن ناحية أخرى نجد أن هذه الرواية تتوافق مع ما ورد عن عمرو بن العاص - وهو من الصحابة المهتمين بعلوم أهل الكتاب - في صحيح البخاري من صفات النبي ﷺ في التوراة^(٦)، كما وإن ما اتفق عليه عمرو وكعب، من أن التوراة قد تضمنت صفات للنبي ﷺ، يتوافق أيضاً مع ما ذكره القرآن من بشارات بالنبي ﷺ في الكتب السابقة كقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الأعراف: الآية ١٥٧، فبذلك يتبين لنا أن ما ورد عن كعب من صفات للنبي ﷺ، والتي استقاها من علومه السابقة، لتؤكد على بشارة الكتب السابقة بالنبي ﷺ، وتقييم الحجة على أهل الكتاب بضرورة اتباعه، فكان كعب بعرضه لهذه الصفات وموافقته للتوراة يحاكي ما كانت عليه يهود من اهتمام بذكر صفاته، ليلزمهم بما كانوا يدعون من ترويج لهذه الصفات بينهم فمن أبي نملة قال: «كانت يهود بني قريظة يدرسون

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص ٤٣٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٧٠/١) السنن للدارمي (١٥٨/١) وقد علق محققه بأنه (مرسل وإسناده صحيح)

(٣) السيرة النبوية لابن إسحاق، ص ١٤١، شرف المصطفى لأبي سعد النيسابوري (١٥٨/١)، دلائل النبوة للبيهقي (٢٧٦/١)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩٤-٢٩٥/٣)، تاريخ الإسلام للذهبي (٩٤/١)

(٤) محقق شرف المصطفى (٢٠١/١).

(٥) الأنوار الكاشفة للمعلمي، ص ١٠٦.

(٦) صحيح البخاري كتاب البيوع (باب كراهية السخب في السوق (٦٦/٢)). وأيضاً كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى (إننا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) (١٣٥/٦)

ذکر رسول اللہ ﷺ في كتبهم ويعلمونه الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلينا، فلما ظهر رسول الله حسدوا وبغوا وقالوا ليس به»^(١)، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن كذبهم ونكرانهم للنبي ﷺ وما جاء به فقال تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: الآية ١٤٦ .

وأما عن الخبر الآخر الذي ورد عن كعب، ويتضمن ما يؤكد على نبوة النبي ﷺ، إستناداً إلى علمه السابق، هي قصة دخوله الإسلام، والتي أوردها ابن سعد في الطبقات وغيره من أن العباس رضي الله عنه سأل عن سبب تأخر إسلامه حتى خلافة عمر رضي الله عنه، فأجاب بأن والده أعطاه كتاباً من التوراة، وعهد عليه أن لا يفتحه، فلما ظهر الإسلام فتحتة، فوجدت فيه صفة النبيين فجئت الآن مسلماً^(٢)، فهذه القصة قد بيّن المعلمي ضعفها من ناحية السند^(٣)، ثم أوضح موقفه منها كحدث تاريخي مرتبط بشخصية إسلامية كثرت حولها الشبه والاتهامات، فقال: «لا أدري ما ينكر المسلم منها وهو يقرأ قول الله عز وجل في كتابه ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الأعراف الآية ١٥٧، وقوله سبحانه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ الفتح الآية ٢٩، وآيات أخرى معروفة»^(٤)، فالمعلمي يوضح لنا بأن هذه القصة مقبولة لما تضمنته من علم ذكره كعب عن التوراة، أثبت من خلاله ورد بشارات بالنبي ﷺ في هذه الكتب، وأن قبوله لها إنما جاء موافقاً لما أشار إليه القرآن أيضاً في هذا الصدد، من أن التوراة قد أشارت إلى النبي ﷺ، كما أشار أحد الباحثين إلى سبب آخر لقبول هذه الرواية وهي أنها في مسألة تاريخية لا شرعية، وأن الراوي المتهم فيها متهم في حفظه، وليس في أمانته^(٥).

فهذه القصة إذاً تُشير إلى أن كعباً كان قد استند في إثبات نبوة النبيين، إلى العلم الذي تلقاه من والده أحد أبحار اليهود، والذي ترك له ورقةً مستخرجةً من التوراة توضح صفات النبي ﷺ، ومولده، وقد أمره بأن يتحرى عنه، وفي هذا تأكيد على أن الخلفية العلمية لكعب والمستمدة من علوم الكتب السابقة، كانت من أهم الأسباب التي أكدت له نبوة النبي ﷺ، حيث كان جوابه

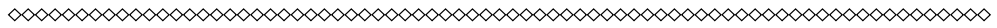
(١) الطبقات لابن سعد (١٦٠/١)، دلائل النبوة لأبي نعيم (٧٩/١)

(٢) الطبقات لابن سعد (٢١٠/٧)، شرف المصطفى لأبي سعد النيسابوري (٢٩٨/١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٨/٥٠)

(٣) الأنوار الكاشفة للمعلمي، ص ٩٩.

(٤) الأنوار الكاشفة للمعلمي، ص ١٠٠.

(٥) كعب الأبحار بين الاتهام والإنصاف، لمحمود نصار، ص ١٤٥.



للعباس عن سبب دخوله في الإسلام هو ذلك العلم الذي أعطاه إياه والده، والذي استمده بدوره من التوراة التي كانت عنده.

ولم يكتف كعب بما أخبره به والده من علوم الكتب السابقة، بل نراه يتعمق أكثر في المرويات التاريخية القديمة لليهود، فينقل لنا حدثاً تظهر من خلال مجريات أحداثه ووقائعه، إشارة إلى نبوة النبي محمد ﷺ، والبشارة بظهوره وغلبة دينه على سائر الأديان والأمم، حيث أولت له تلك الرؤية بأن «دين الله عز وجل يقذف به هذه الأمة في آخر الزمان؛ ليظهره عليها، فيبعث الله نبياً أمياً من العرب، فيدوخ الله به الأمم، والأديان»^(١)، ففي هذه القصة ذكر لصفات نبي لا تنطبق إلا على النبي ﷺ، ولهذا أشار ابن القيم في تعليقه على هذه القصة فقال «ومعلوم أن هذا منطبق على محمد بن عبد الله ﷺ حذو القذة بالقذة، لا على المسيح ولا على نبي سواه، فهو الذي بعث بشريعة قوية، ودق جميع ملوك الأرض وأممها»^(٢).

وبهذا يتبين لنا أن علوم أهل الكتاب التي تعلمها كعب أو اطلع عليها عندما كان يهودياً قد شكلت مستنداً قوياً في إثبات نبوة النبي ﷺ، حيث أظهرها كعب بين المسلمين، من قبل أن يعمل اليهود على إخفائها وطمسها، فكانت هذه الدلائل بطريقة أو بأخرى من أسباب هداية كعب، ودخوله في الإسلام، كما وإنها ساهمت في رسم خريطة واضحة المعالم في دعوة أهل الكتاب من خلال إقامة الحجج عليهم على صدق نبوة النبي ﷺ بما في كتبهم.

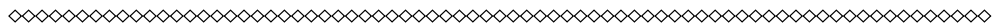
المطلب الخامس : أثر تجربة كعب في دعوة أهل الكتاب :

إن دخول كعب في الإسلام لم يكن حدثاً بسيطاً، انتهى بانتماؤه إلى قافلة المهتدين، بل شكّل دخوله صدمةً في المجتمع اليهودي نفسه، كونه أحد علماءهم المتبحرين في علومهم، يتحول عن دينه بعد أن ألمّ بعلمه، لينتسب إلى دين آخر انطلاقةً مما تبين له من حقائق علمية حوتها ديانته السابقة، وقد صرّح ابن القيم عن أثر الصدع الذي كان يُحدثه دخول علماء اليهود داخل مجتمعاتهم من أثر مزلزل «ولو لم يسلم من اليهود في زمنه إلا سيدهم على الإطلاق وابن سيدهم، وعالمهم وابن عالمهم، باعترافهم له بذلك، وشهادتهم، وهو عبد الله بن سلام، لكان في مقابلة كل يهودي على وجه الأرض، فكيف وقد تابعه على الإسلام من الأحيار والرهبان من لا يحصي عددهم إلا الله»^(٣)، فهذا الكلام ينطبق على كعب وكل من دخل في الإسلام من علماء أهل الكتاب، وذلك لما تركوه من أثر انعكس في مجتمعاتهم وعلى أبناء دينهم السابق .

(١) جامع البيان للطبري (٢٧٢/١٧) ، دلائل النبوة لأبي نعيم (٨٢/١).

(٢) هداية الحيارى لابن القيم (٢٧٥/٢)

(٣) هداية الحيارى لابن القيم ص ٢٩٠.



وأما عند المسلمين فقد شكّل موروث كعب العلمي عن أهل الكتاب مصدراً مهماً للمسلمين عن العلوم الموجودة في كتبهم عن الإسلام ونبيه، فوجود بشارات عن النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم، هو مما أخبر عنه القرآن، ولكن الوصول إليها لم يكن ليتم إلا عن طريق كعب وأمثاله ممن كانوا ينتسبون إليهم سابقاً، مما أعطى هذه البشارة سبباً إضافياً لتأكيد وجودها، وتأكيد حجيتها عليهم، كونها أتت من أحد أبناء جلدتهم، ولذلك فإن مسيرة كعب في حياته حتى دخوله الإسلام، وما رافقها من أحداث بعدها، وما بثّه من علوم تتعلق بهذه الكتب عن أوصاف النبي ﷺ يُعدُّ تجربةً مهمةً، يُمكن البناء عليها في دعوة أهل الكتاب، من خلال رسم طريق واضح المعالم، يقوم على اقتباس تجربة كعب بكامل تفاصيلها، وذلك بالدخول في أعماق هذه التجربة والبناء عليها، ومن هنا اعتبر ابن القيم أن ما لدينا من شخصيات من أهل الكتاب قد دخلت في الإسلام هي التي يُمكنها أن تقابلهم بالبشارات التي عندهم وتحققهم عليها^(١)، حيث إن المهتدين كانوا رواداً في مجال إثبات البشارات بالنبي ﷺ^(٢)، فهي التي دفعت المنصفين منهم إلى الإيمان والاعتراف بالنبي صلى الله عليه وسلم الرسول الخاتم المبشر به في كتب السابقين^(٣).

ولهذا فإن تجربة كعب قد شكّلت وما زالت أساساً لهداية العديد من علماء أهل الكتاب، فوجود صفة النبي ﷺ وأمته في البشارات الكتابية التي لم تصل إليها يد التحريف، كان عاملاً كبيراً في هداية علماء أهل الكتاب^(٤)، إذ تنقل لنا إحدى المصادر بأن كعباً كان سبباً لهداية العديد من علماء أهل الكتاب فقد ذكر الذهبي أنه أسلم على يديه في القدس اثنان وأربعون حبراً، ففرض لهم معاوية، وأعطاهم^(٥)، فما توصل إليه كعب من وجود صفات للنبي ﷺ في الكتب السابقة، حرّك فيه اندفاعاً كبيراً لدعوة غيره، من أهل الكتاب للدخول في الإسلام بناءً على ما تبين له مما في كتبهم عن النبي ﷺ، واستناداً إلى تمكنه في علومهم.

كما وترك لنا كعب من خلال تجربته، أن التبجّر في علوم أهل الكتاب، والتعمّق في علومهم بحيادية، من قبل أتباعهم، بعيداً عن أهل الأهواء، الذين حذره منهم والده لما أعطاه تلك الورقة التي تتضمن صفات النبي^(٦)، هي من أهم أسباب الهداية والوصول إلى الحق والحقيقة، فلا يُمكن للعالم الكتابي المتجرّد من الهوى والتعصب الأعمى، إلا وأن يصل للحقيقة، ويعترف بها، ويؤمن بها، فيهود المدينة حاربوا النبي ﷺ، بالرغم مما عندهم من علم به وبصفاته لغلبة

(١) هداية الحيارى لابن القيم، ص ٤٣٥.

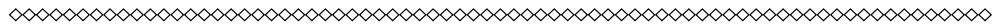
(٢) المهتدون إلى الإسلام لخالد السيوطي، ص ٣٢.

(٣) دلائل النبوة، لمنقذ السقار، ص ١٢١.

(٤) المهتدون إلى الإسلام لخالد السيوطي، ص ٧.

(٥) سير أعلام النبلاء لذهبي، (٤٩٣/٢)

(٦) شرف المصطفى لأبي سعد النيسابوري (٢٧٦/٢).



أهوائهم وإعراضهم عن الحق، فعن ابن إسحاق أن صفية بنت حيي بن أخطب، قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوا عليه، ثم جاء من العشي، فسمعت عمي يقول لأبي: أهو قال: نعم، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال نعم، قال: فما في نفسك منه، قال: عدواته والله ما بقيت^(١)، فأهل الكتاب عندهم من العلم الكثير المثبت لنبوته النبي ﷺ، ولكنهم عمدوا إلى طمسه وتحريفه، حتى لا يبقى حجة عليهم، وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله «ولكن لكثرة البشارات وتنوعها غلبوا على كتمانها وإفضائها فصاروا إلى تحريف التأويل وإزالة معناها عما لا تصلح لغيره، وجعلها لمعدوم لم يخلق الله تعالى ولا وجود له ألبتة»^(٢).

وأما ما ذكره كعب من أن إيمانه بالنبي ﷺ، إنما جاء من الصفات التي ورد ذكرها في التوراة، ففي هذا تأكيد منه على أن الصفات والنعوت هي أدق وأسلم في إثبات نبوته ﷺ، من مجرد ذكر اسمه، وإن كان قد ورد في كتبهم من هذا ما عملوا على تحريفه، وهذا ما صرح به ابن القيم من أن الله سبحانه إنما أخبر عنه بصفته ومخرجه ونعته، ولم يخبر بصريح اسمه العربي المذكور عندهم في التوراة والإنجيل، وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه، لوقوع الاشتراك في الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز، واحتمال وجود من يدعي هذا الاسم، بخلاف ذكره بنعته وصفته وعلاماته ودعوته وصفة أمته، ووقت مخرجه ونحو ذلك، فإن هذا يعينه ويميزه ويحصر نوعه في شخصه، وهذا هو القدر المذكور في التوراة والإنجيل وغيرها من النبوات، التي بأيدي أهل الكتاب^(٣)، ففي هذا الكلام رسم للمنهج العلمي، الذي ينبغي أن يضعه الكتابي، أو الداعي لأهل الكتاب عند بحثه عن البشارات بالنبي ﷺ في كتبهم، فلا يلتفت إلى غيرها، لأن البشارة بالصفة لا يمكن لأحد أن يطمسها أو يحرفها، أو يحولها عن معناها الحقيقي، لأن المعرفة بالنعوت والصفة المكتوبة عندهم هي المنطبقة عليه، كما قال أحد مؤمني أهل الكتاب «والله لأحدنا أعرف به من ابنه»^(٤)، وهذا ما يلتقي مع كعب أيضاً في اقتصاره على الصفات والنعوت، وأنها من أهم الطرق في محاجة أهل الكتاب في هذا الجانب.

كما وإن معرفة كعب بعلوم أهل الكتاب، كطريق اتخذه لهدايته، يدفعنا لدعوة من استطاع من المسلمين بضرورة التعمق في علوم أهل الكتاب لإقامة الحجج عليهم فيها، فما استطاع أن يقدمه كعب، إنما كان لصلووعه في علومهم، وفهمه لأساليبهم في تناول النصوص، ولعل هذا ما يؤيده واقع سلف الأمة في هذا الجانب، حيث برز العديد من الصحابة والعلماء الذين اعتنوا

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١١٩/٢)

(٢) هداية الحيارى لابن القيم، ص ٢١٢-٢١٣.

(٣) هداية الحيارى لابن القيم، ص ٢٩٧.

(٤) هداية الحيارى لابن القيم، ص ٢٩٩.

بعلوم أهل الكتاب، في سبيل محاجتهم، ومن ثم دعوتهم للدخول في الإسلام، بناءً على بيّنةٍ مما عندهم.

وبهذا يتبين لنا أن خلفية كعب العلمية، لم تكن سبباً لدخوله وحده في الإسلام، وإنما أضحت نموذجاً يُحتذى لكل من يبحث عن الحق من أهل الكتاب، بما أرشدنا إليه من خلال التأمل في مسيرته وحياته العلمية والعملية، مما جعله يُعد تجربة ناجحة في دعوة أهل الكتاب.

الخاتمة :

في ختام هذا البحث أحمد الله تعالى على توفيقه للانتهاء منه، والذي تحدثت فيه عن الخلفية العلمية لكعب الأخبار والمتمثلة بالعلوم التي كانت عنده من الكتب السابقة، كونه كان يهودي الديانة، حيث أثبت من خلال هذا البحث أثر هذه العلوم في إثبات نبوة النبي، وقد خلصت إلى عدد من النتائج التي تظهر في ثنايا البحث وهي على النحو التالي :

أن كعب الأخبار كان من عرب اليمن، متبعاً للديانة اليهودية، وهو الملقب بالحبر أي العالم لما يتمتع به من قوة علمية في علوم أهل الكتاب، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته، ووفاته، ولكنهم اتفقوا على أن عمره لما توفي كان مئة وأربع سنين، مما جعل أكثرهم يرجح تاريخ وفاته استناداً لعمره، بأنه كان في خلافة عثمان رضي الله عنه، مع خلاف في التاريخ المحدد.

أن العلماء اختلفوا أيضاً في تاريخ دخوله الإسلام على أقوال، حيث رجحت أنه في خلافة عمر رضي الله عنه، وأن كل من طعن في دينه من المعاصرين إنما هو افتراء، لأن علماء السلف أكدوا على صحة إسلامه، ومثانة دينه.

أن كعب كان يتمتع بمكانة علمية كبيرة، قد شهد له بها عدد من الصحابة والعلماء، وأن أكثر مصادر علمه عن أهل الكتاب، وهذا يستدعي استخدام وفق قواعد أهل العلم في التعامل مع هذا العلم، كما وأضحت أسباب اختلاف رواية كعب مع كتب أهل الكتاب الحالية، مبيناً أن ذلك عائد لتحريفها واختلاف نسخها، وهذا لا يعني بأي حال كذب كعب .

أن الشواهد والبشارات بنبوة النبي ﷺ عند أهل الكتاب، إنما تقتصر عليهم ولا تتعداهم، لكون أكثر من أسلم من أهل الأرض لا يعرفها، فهي مقوية وعاضدة ليس أكثر.

أن المصنفين من المسلمين قد أوردوا هذه الشواهد في كتب الدلائل، لتكون حجة على أهل الكتاب.

أن كعب قد استند على علومه السابقة في عدد من الآثار عنه، لإثبات نبوة النبي ﷺ، من خلال صفات ونوعت نقلها من هذه الكتب.

أن كعب بدخوله في الإسلام، استناداً لخلفيته العلمية، قد شكّل تجربة يمكن الاستناد عليها في دعوة أهل الكتاب، فتجربته لم تكن سبباً لدخوله وحده في الإسلام، وإنما أضحت نموذجاً يُحتذى لكل من يبحث عن الحق من أهل الكتاب.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، تأليف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٢هـ)، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

إظهار الحق، تأليف: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (ت: ١٣٠٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

الأعلام تأليف: الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة» من الزلل والتضليل والمجازفة، تأليف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ) المطبعة السلفية ومكبتها، عالم الكتب بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

يهود بثوب الإسلام، تأليف الشيخ نجاح الطائي (معاصر) دار الهدى لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تأليف: الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري تأليف: الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٢١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: ٣٦٩هـ)، دار التراث - بيروت، الطبعة الثانية - ١٣٨٧هـ.

تاريخ دمشق تأليف: ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.

تذكرة الحفاظ، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م.

تفسير القرآن العظيم، تأليف ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.

التفسير والمفسرون، تأليف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة، القاهرة.

تقريب التهذيب تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ / ١٩٨٦.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

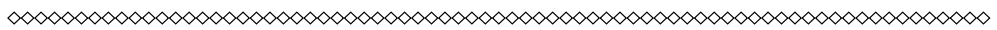
تهذيب الأسماء واللغات تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

تهذيب التهذيب تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال تأليف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبلي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٠ / ١٩٨٠.

الثقات تأليف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، (ت: ٣٥٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،
تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.
جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو
جعفر الطبري (ت: ٢١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/
٢٠٠٠م.
- الجرح والتعديل، تأليف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي،
الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٢٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد
الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
- دائرة معارف القرن العشرين، تأليف: محمد فريد وجدي، تصوير دار المعرفة، ١٩٧١م.
دلائل النبوة، تأليف البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوِجْردي
الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- دلائل النبوة، تأليف: منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.
دلائل النبوة تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران
الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس،
بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- سير أعلام النبلاء تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز
الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة
الرسالة الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- السيرة النبوية لابن هشام، تأليف ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري
المعافري، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ
الشليبي.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد
العُكْرِي الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر
الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- شرف المصطفى، تأليف عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو
سعد (ت: ٤٠٧هـ)، تحقيق: أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري آل باعلوي، دار البشائر الإسلامية
- مكة، الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ.



صفة الصفوة تأليف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
الطبقات الكبرى، تأليف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري،
البغدادى المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

طبقات خليفة بن خياط، تأليف: ابن خياط أبو عمرو خليفة بن خليفة الشيباني العصفري
البصري (ت: ٢٤٠هـ) تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
العبر في خبر من غير، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن
قائِمَاز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب
العلمية - بيروت.

العلل ومعرفة الرجال، تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد
الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض الطبعة الثانية،
١٤٢٢هـ - ٢٠١م.

الفاروق عمر، تأليف محمد حسين هيكَل، دار المعارف، الطبعة العاشرة .
فتح الباري شرح صحيح البخاري تأليف: ابن حجر أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني
الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

فتوح الشام، تأليف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله،
الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

الكامل في التاريخ، تأليف: ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن
عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام
تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

كعب الأحبار مروياته وأقواله في التفسير بالمأثور جمعاً ودراسة، تأليف يوسف محمد
العامري، رسالة ماجستير جامعة أم القرى بمكة، للعام الجامعي ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
كعب الأحبار وموقفنا منه وأثره على السنة النبوية، عبد الله عبد القادر قويدر ومحمد عبد
المنان سليم النجار، مجلة البحوث والدراسات الشرعية مصر، ٢٠١٤م/ ١٤٣٥هـ.

الكنى والأسماء، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)،
تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة
المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

كعب الأحبار بين الاتهام والإنصاف، محمود محمود نصار الجامعة الإسلامية العالمية، مجمع البحوث الإسلامية مجلة الدراسات الإسلامية، : تاريخ النشر ٢٠١٤/٧.

كعب الأحبار وأثره في التفسير، تأليف خليل إسماعيل الياس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

اللباب في تهذيب الأنساب تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار صادر - بيروت. مجمع البحرين ومطلع النيرين تأليف: فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني مكتبة المرتضوي - طهران/ إيران الطبعة الثانية - ١٣٦٥هـ.

مرويات كعب الأحبار التاريخية عرض ونقد، تأليف أحمد إبراهيم كامل أبوهادي، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الجامعي ١٤٤٠-١٤٤١هـ.

مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تأليف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

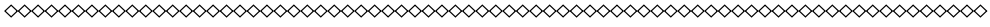
المعارف، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

مقدمة في أصول التفسير، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي دمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٩٠هـ / ١٩٨٠م.

المهتدون إلى الإسلام من قساوسة النصارى وأخبار اليهود حتى القرن التاسع الهجري، تأليف: خالد السيوطي، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

الوافي بالوفيات تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



د. براء عمر مصطفى بدير

بِشَارَاتُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ بِنَبِيِّ الْأُمَّةِ ﷺ

ملخص البحث

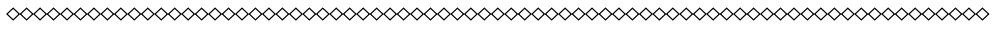
ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة أدلة عديدة توضح أن الكتب السماوية والأنبياء السابقين قد بشروا بمحمد ﷺ، وأمروا أتباعهم بالإيمان به واتباعه، وأثبتوا نبوته وصدقته، وزمان مبعثه ومكانه، وصفته، وغير ذلك مما يتعلق برسالته، وتبرز أهمية البشارات الواردة بإرسال النبي ﷺ؛ كونها من دلائل النبوة الخاتمة، وبراهين صدق تزيد إيمان أهل الإيمان، وتتير الطريق وترشد أهل الضلال لا سيما من عملوا على تحريف هذه البشارات - من اليهود والنصارى - وحذفها من كتبهم أو تأويلها عن المراد بها، زاعمين أنه لا يوجد في كتبهم إشارة إلى النبي

ﷺ.

ولا بد أن يعلم أن تلك البشارات جاءت متفاوتة في دلالاتها بين قطعي وظني، لكن الذي لا شك فيه أن مجموع تلك النصوص قطعياً في الدلالة على البشارة بمحمد ﷺ، ولم يخالف في ذلك إلا من سَفِهَ نَفْسَهُ، وقد سرت في هذا البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي، وجاء متألفاً من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

Research Summary

There are many evidence in the holy Qur'an and the pure Sunnah that show the heavenly books and previous prophets unounced Mohammad and instructed their followers to believe in him and follow him and prove his prophet hood and truthfulness and other things related to his message. It highlights the importance of the signals received by the prophets sending. Being one of the final proofs of prophted and proofs truth fulness that increase the faith of the people faith it illumints the way and guides the people of missguideness especially those who works to destroy this glad tidings of Jewish and Christians and omitted them from their books or interpreted them from what they meant claming that there was no reference to the prophet in their books.



It must be known that these glad tidings came with varying meanings between definitive and presumptuous, but there is no doubt about it that some of these texts are definitive so the evidence for the glad tidings of Muhammad and only one who fooled himself disagreed with that, I conducted this research according to the descriptive analytical method.

The research was divided into an introduction, a preface, three chapters and conclusion.

المقدمة

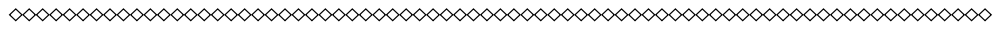
بعثة رسول الله محمد ﷺ كانت ولا تزال أعظم أحداث التاريخ البشري قاطبة؛ فالإنسانية بها انتقلت من صحراء الضياع - الذي يصفه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم الآية ٤١)، ثم قول رسوله الكريم ﷺ في وصف الوضع البشري أثناء بعثته: «... (إن الله اطلع إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب)»^(١) - إلى ساحة النور فانتضحت معالم الطريق، وتحددت المسؤوليات، وانكشف للأبصار ما طمسته الجاهلية من حقيقة الإنسان وتبعاته، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة العطرة تحوي أدلة عديدة توضح أن الكتب السماوية والأنبياء السابقين قد بشروا بمحمد ﷺ، وأمروا أتباعهم بالإيمان به وأتباعه، وأثبتوا نبوته وصدقته، وزمان مبعثه ومكانه، وصفته، وغير ذلك مما يتعلق برسالته.

ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام مبشراً بنبينا محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف الآية ٦).

وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف الآية ١٥٧).

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٥).



وفي قوله ﷺ من حديث العرباض بن سارية: (إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينة، وسأخبركم بأول أمري: دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤياكم أمي التي رأيت حين وضعتني، وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام)^(١).

والبشارة به e ثابتة - بما لا مجال للشك فيه - في الكتب السماوية السابقة، ومن العلماء من ذكر أنها موجودة كذلك في كتب المانوية والبراهمة والزرادشتية.

وقد عمل اليهود والنصارى على تحريف هذه البشارات وحذفها من كتبهم أو تأويلها عن المراد بها، زاعمين أنه لا يوجد في كتبهم إشارة إلى النبي ﷺ، وإن وجد شيء صرفه النصارى إلى عيسى ابن مريم، وصرفه اليهود إلى المسيح الذي ينتظرونه، وهي في الواقع لا تنطبق إلا على نبينا محمد e، وقد بقي من هذه البشارات شيء كثير مع تحريفهم لكتبهم؛ استعرضت مجموعة منها في هذا البحث.

التمهيد

وفيه تعريف بأبرز المصطلحات المستخدمة في عنوان البحث، وهي كما يلي:

البشارات: بضم الباء وكسرهما، الاسم من قولهم بشره بالأمر، يبشره بشرًا وبشورًا، أصلها مادة (ب ش ر) التي تدل على الظهور والحسن.

قال ابن فارس: جمع بشارة من (بشر) والباء والشين والراء أصل واحد: يدل على ظهور الشيء مع حسن وجمال^(٢). والتبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور، إلا أنه بحسب الأصل في اللغة: عبارة عن الخبر الذي يؤثر في تغيير بشرة الوجه، وهذا يكون في ال.....^(٣)

وقال الجوهري: وبشرت الرجل أبشره بالضم بشرًا وبشورًا، من البشري، وكذلك الإِشَارُ والتبشيرُ، ثلاث لغات والاسمُ البِشَارَةُ، والبِشَارَةُ، بالضم والسكر، يقال: بشرته بمولود فأبشر إِبشارًا، أي سر^(٤).

(١) رواه أحمد في مسنده (٥٩ / ٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ١٧٩) (رقم ٤١٠)، والطبراني في الكبير (٢٥٢ / ٢٠) (رقم ٨٢٤)، وابن قانع في معجم الصحابة (٣ / ١٢٩-١٣٠)، والحاكم (٢ / ٦٠٨-٦٠٩)، وأبو نعيم في الحلية (٩ / ٥٢) من حديث

ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله، متى كتبت نبيًا؟ قال: «وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ».

قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في الصحيحة (٤ / ٤٧١) (رقم ١٨٥٦).

(٢) مقاييس اللغة (١ / ٢٥١).

(٣) مقاييس اللغة (١ / ٢٥١).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢ / ٥٩٠).

قال تعالى: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعِيكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
(التوبة الآية ١١١). وقال: ﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت الآية ٣٠).

والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به كقوله تعالى:
﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الانشقاق الآية ٢٤).

وفي الاصطلاح: كل ما ورد في كتاب نبي، يبشر بمبعث نبي لاحق من بعده، ويأمر باتباعه،
والإيمان به، سواء كان ذلك بذكر النبي أو وصفه ونعته ومخرجه، وصفات أمته وغير ذلك.
وهي من دلائل النبوة، والبشارات في الكتب السابقة، إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها
بمثل ما أخبر به هو من الآيات البيّنات على نبوته ونبوة من قبله^(١).

الكتب: الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا
بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة^(٢).

ونسبة الكتب إلى السماء لكونها وحي من الله تعالى، والمراد بها: التوراة والإنجيل والقرآن
والزبور، وصحف إبراهيم وموسى^(٣).

المطلب الأول: ما يدخل في معنى البشارة من المصطلحات المشابهة.

أولاً: البشاشة: وهي طلاقة الوجه، وقد بشَّ بيشُّ، ورجل هَشُّ بشُّ: أي طلقُ الوجه^(٤).

اصطلاحاً: سرورٌ يظهر على الوجه يدلُّ على ما في القلب من حب اللقاء، والفرح بالمقابلة^(٥).

ثانياً: التفاضل: والمراد به: فعل أول قول يستبشر به، وتسهل الهمزة فيقال: الفأل، ويقال:
لا فأل عليك أي لا ضير عليك، أو يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالباً
فيسمع آخر يقول: يا واجد^(٦).

ويستعمل في الخير كما يستعمل فيما يكره، ويقال: فأل الله ولا فآلك، والتفاضل هو الاستبشار
بالأمر، فهو بمعنى البشارة يقصد بها إفراح الآخرين غالباً، وقيل: هو الكلمة الصالحة، أو الطيبة
أو الحسنه^(٧).

(١) انظر: الجواب الصحيح (٣/ ٢٩٩).

(٢) انظر: فتاوى ابن عثيمين (٥/ ١٢٠).

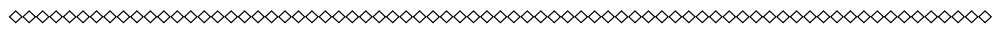
(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٢٧).

(٤) مختار الصحاح (ص: ٦٥).

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٨١٢).

(٦) مختار الصحاح (ص: ٤٦١).

(٧) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ١٠٦٤).



ثالثاً: الرؤيا الصالحة: ويقصد بها: ما يراه النَّائم في نومه من الخير والشر؛ ويكون فيه مصلحة الرائي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴿يُونُسُ مِنَ الْآيَةِ ٦٣ إِلَى الْآيَةِ ٦٤﴾.

قال الإمام الطبري في تفسيرها: «المراد بها الرؤيا الصالحة»^(١)، وذكر حديث: (هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له)^(٢).

المطلب الثاني:

هل يكون نبياً من لم يبشر به؟ وما هي الوجوه التي تعلم بها البشارات التي ثبتت في رسول الله ﷺ.

هل يكون نبياً من لم يبشر به؟

أجاب عن ذلك ابن تيمية فقال: «معلوم باتفاق أهل الملل، أنه ليس من شرط نبوة كل نبي أن يبشر به من قبله، إذ النبوة ثابتة بدون ذلك، لا سيما نوح وإبراهيم وغيرهما، وكذا عامة الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل، لم يتقدم لهم بشارات، إذ كانوا لم يبعثوا بشريعة ناسخة، كداود وأشعيا وغيرهما»^(٣).

فالبشارات ليست الدليل الوحيد على صدق الأنبياء، ونبوة الأنبياء فقد أقام الله سبحانه من الدلائل على صدق الأنبياء من أحوالهم ومسالكهم، وأحوال أتباعهم من سعادة ونجاة وأحوال مخالفهم من شقاوة وهلاك، وما جاءوا به من شرائع وما أيدوا به من آيات، ما يحصل به العلم واليقين بنبوتهم.

يؤيد ذلك ما ذكره ابن تيمية «أن العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح لا تتوقف على العلم بأن من قبلهما بشر بهما، بل طرق العلم بالنبوة متعددة، فإذا عرفت بنبوته بطريق من الطرق، يثبت نبوته عند من علم ذلك، وإن لم يعلم أن من قبله بشر به»^(٤).

والطوائف التي تؤمن بالأنبياء، لم تخالف إلا في البشارة بعيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، وقد بشر بهما من قبلهما، فموسى بشر بعيسى، والمسيح وغيره من الأنبياء، وموسى والمسيح

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١/١٢٣-١٢٨).

(٢) رواه الترمذي في جامعه، أبواب الرؤيا، باب قوله: (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ص: ١٨٨١، عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وكذا بنحوه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن، وأحمد في مسنده (٢٧/٣٦١) (رقم ٢٢٦٨٧) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بلفظه، ورواه الحاكم في المستدرک (٤/٢٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٥١١) (رقم ٢٢٧٥).

(٣) الجواب الصحيح (٢/٢٧٧-٢٧٨).

(٤) المرجع السابق (٢/٢٧٩).

وغيرهما من الأنبياء، وبشروا بمحمد ﷺ.

«فإذا قال المعارض: عدم إخبار من قبله به، قد يقدر في نبوته، فإنه إذا قدر أنه لم يخبر به من قبله، والإخبار شرطاً في النبوة، كان ذلك قدحاً، والجواب:

أنه إذا علمت نبوته بما قام عليها من إعلام النبوة، فإما أن يكون تبشير من قبله به لازماً لنبوته، واجباً أو واقعاً، وإما أن لا يكون لازماً.

فإن لم يكن لازماً لم يجب وقوعه، وإن كان لازماً علم أنه قد وقع.

أن نبين أن الأنبياء قبله بشروا به، وهذا هو دليل مستقل على ثبوته، وعلم عظيم، من إعلام رسالته، وهذا أيضاً دليل على نبوة النبي المبشر به، هذا إذا وجد الخبر ممن لا نعلم نحن ثبوته ولم يذكر في كتابنا، أما من ثبتت نبوته بطرق أخرى كموسى والمسيح، فهذا مما تظاهر فيه الأدلة على المدلول الواحد^(١).

الوجه التي تُعلم بها البشارات التي ثبتت في رسول الله ﷺ؟

العلم بالبشارات التي ثبتت في رسول الله ﷺ، وأن الأنبياء قبله بشروا به يأتي من وجوه عدة:

الأول: ما يوجد في كتب أهل الكتاب الموجودة بين أيديهم اليوم.

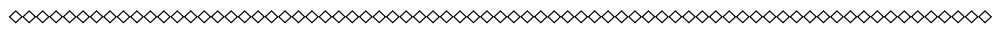
وهذه الكتب تعرضت للتحريف والتبديل، فليس كل ما أنزله الله تعالى في هذه الكتب نقل إلينا وعلمانه، فلو لم يذكر في هذه الكتب من التبشير بمحمد ﷺ لم يلزم ذلك أنه لم يذكر في أصلها، فقد تعرضت للتحريف كما سبق، أن «أهل الكتاب مع المسلمون متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها إما عمداً، وإما خطأ في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها، وإنما تنازع الناس، هل وقع التحريف في بعض ألفاظها.

فكل من احتج بنقل عن نبي فلا بد له من ثبوت اللفظ، ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ.

وإذا كان النقل ليس بلغة النبي، بل بلغة أخرى، فلا بد من الترجمة الصحيحة، وعامة النصارى ليس عندهم كتب الأنبياء بلغة الأنبياء، فإن موسى والمسيح إنما كانوا يتكلمون بالعبرانية، وبعض اتباع المسيح بغيرها كالسريانية واليونانية والرومية وجمهور النصارى لا يعرفون العبرانية إلا قليلاً منهم. بخلاف اليهود فإن العبرانية ناشئة منهم^(٢).

(١) الجواب الصحيح (٢/ ٢٧٩ - ٢٨٢ بتصرف).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٦٤ بتصرف).



والخلاصة: «أن من احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الأنبياء المنقولة بالرومية والسريانية، أو العبرانية، فإنه يحتاج مع إثبات النقل إلى إثبات الترجمة وصحتها، فإنهم كثيراً ما يضطرون في الترجمة ويختلفون في معناها»^(١).

مع ذلك التحريف والتبديل، فقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة عند أهل الكتاب من البشارات بنبوة محمد ﷺ، وصنفوا في ذلك مصنفات، وكذلك البشارات بالمسيح في كتب اليهود، واليهود يقرون باللفظ، ولكنهم يدعون أن المبشر به ليس هو المسيح بن مريم وإنما هو آخر ينتظر، وهم في الحقيقة لا ينتظرون إلا المسيح الدجال.

فاليهود يحرفون البشارات المسيح، وذلك لا يقدح في البشارات به، بل تبين دلالة النصوص عليه وبطلان تحريف اليهود.

كذلك البشارات بمحمد ﷺ في الكتب المتقدمة، لا يقدح فيها تحريف أهل الكتب، بل تبين دلالة النصوص على ثبوته، وبطلان تحريف أهل الكتب^(٢).

وهذه البشارات يحتج بها عليهم من كتبهم المعتمدة، أما المسلمون فهم مؤمنون بمحمد ﷺ ومن قبله من الأنبياء إيماناً جازماً.

يؤكد ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال النبي ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم» وفي رواية: (فإما أن يحدثوكم بحق، فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه)^(٣).

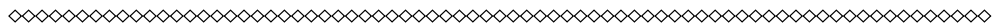
الوجه الثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب، ممن أسلم، وممن لم يسلم بما وجدوه من ذكره ﷺ من ذلك:

ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب وهم اليهود، كانوا يبشرون بنبوته، وأنه رسول الله كانوا ينتظرونه، ويستفتحون عليهم بمبعثه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة الآية ٨٩)

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٦٤).

(٢) الجواب الصحيح (٢/ ٢٩٢ بتصرف).

(٣) رواه البخاري في التفسير، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) (٨/ ١٧٠) (رقم ٤٤٨٥)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٦) (رقم ١١٢٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



ما تواترت عن النصارى بوجود ذكره ﷺ في كتبهم، كإخبار هرقل ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة وما ثبت عن ورقة بن نوفل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة الآية ٨٣) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الفصص الآية ٥٢)

الوجه الثالث: نفس إخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة، واستشهاده بأهل الكتاب وإخباره أنه مذكور في كتبهم، مما يدل العاقل على أنه كان موجوداً في كتبهم، فكل من عرف حال محمد ﷺ، علم أنه من أعقل أهل الأرض، فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم، لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة، ويستشهد به، ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه، فإن هذا لا يفعله إلا من هو أقل الناس عقلاً، لأن فيه إظهار كذبه عند من آمن به منهم، وعند من يخبرونه، وهو ضد مقصوده.

الوجه الرابع: أنه لما قامت الأدلة على نبوته وصدقه، فقد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة، وأن الأنبياء بشروا به، علم أن الأمر كذلك، ولكن هذا لا يذكر إلا بعد أن يقام دليل منفصل على نبوته.

الوجه الخامس: ظهور دين محمد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها، فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه، حتى شرع موسى والمسيح لم ينتشروا كدين محمد ﷺ.

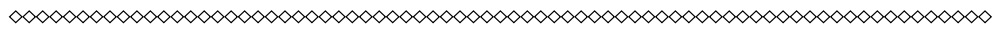
وقد حذر الأنبياء وأخبروا بظهور الدجال الكذاب تحذير للناس من فتنته، وأنه كذاب يظهر على يده أمور يفتن بها الناس، مع أن الدجال مدته قليلة، فلو كان ما يقوله المكذب لمحمد حقاً وأنه كاذب ليس برسول لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة؛ لأن الذين تبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال، فكيف يعقل أن يغفل الأنبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذباً، وإذا كان صادقاً فالبشارة به من أولى ما يقوم به الأنبياء.

ومعلوم أن عامة أهل الكتاب ومن نقل عنهم إما أن يقول: ليس موجوداً في كتبنا، أو يقول: إنه موجود بالمدح والتثناء، لا يمكن لأحد أن ينقل عن الكتب المتقدمة أنه موجود فيها بالذم والتحذير، ولو كان مذكوراً عندهم بالذم والتحذير لكان هذا من أعظم ما يجتمعون به عليه في حياته، وعلى أمته بعد مماته، ويحتج به من لم يسلم منهم على من أسلم^(١).

المطلب الثالث: أبرز البشارات بالنبي ﷺ في الكتب السماوية السابقة

البشارة الأولى: جاء في التوراة: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٢٨٢-٢٩٦ بتصرف).



تسمعون حسب ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلًا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»^(١).

تضمنت هذه البشارة بنبينا محمد ﷺ من أوجه عدة:

أن اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيًا آخر مبشرًا به، غير المسيح، فلا يكون هذا المبشر به يوشع ولا عيسى عليه السلام.

قوله في البشارة مثلك، ويوشع وعيسى لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام لأمر:

أنهما من بني إسرائيل، ولا يجوز أن يقوم أحد من بني إسرائيل مثل موسى، كما هو مذكور في التوراة: «ولم يقم بعد ذلك نبي في إسرائيل مثل موسى يعرفه الرب وجهًا لوجه»^(٢). فلو قام أحد من بني إسرائيل مثله لزم تكذيب التوراة.

أن يوشع ليس مثل موسى عليهما السلام، فموسى صاحب كتاب وشريعة جديدة، ويوشع ليس كذلك فهو متبع لشريعة موسى عليهما السلام.

أما عيسى فقد زعم النصارى أنه ربًا وإلهًا، وإن موسى عليه السلام عبدًا له.

كما أن عيسى صلب بزعمهم ليكون كفارة لأمته، ولم يصلب موسى عليه السلام.

ولم يكن عيسى عليه السلام مُطاعًا في قومه، أما موسى عليه السلام فكان رئيسًا مُطاعًا فيهم.

قوله من إخوتهم، ولا شك أن الأسباب الاثني عشر كانوا موجودين في ذلك الوقت، فلو كان المقصود نبي منهم، لقال من أنفسهم، أو منهم، أو من نبيهم، أو من خلفهم، وذلك لأن المعهود في التوراة: أن أخوتهم غير بني إسرائيل.

وقد جاء لفظ الإخوة بهذا الاستعمال في وعد الله هاجر في حق إسماعيل، كما قال: «أمام جميع إخوته نزل»^(٣).

قوله «اجعل كلامي في فيه» إشارة إلى أن ذلك النبي الذي ينزل عليه الكتاب، يكون أمينًا حافظًا للكلام، وهذا لا يصدق على يوشع عليه السلام، فلم ينزل عليه كتاب مستقل، وكان عاملاً بالتوراة.

(١) سفر التثنية (١٨: ١٥-١٨).

(٢) سفر التثنية (١٠-٢٤).

(٣) سفر التكوين (١٨: ٢٥) - انظر عدد (٢٠: ١٤) - سفر التثنية: (٢: ٤).

وكذلك عيسى عليه السلام لم يكن مثله، فشريعته خالية من أحكام الحدود، والقصاص، والتعزير، والجهاد، والنبى المبشر به مأموراً من جانب الله بالانتقام من منكره، فقد قال: «ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه»^(١).

أن الرسول محمد ﷺ يماثل موسى عليه السلام في أمور كثيرة منها:

كونه عبداً لله ورسوله، كونه ذو الدين، كونه ذو نكاح وأولاد، وأن شريعته مشتملة على السياسات المدنية، وكونه مأموراً بالجهاد، واشتراط الطهارة وقت العبادة، ووجوب الغسل للجنب والحائض والنفساء، وتحريم غير المذبوح وقرابين الأوثان، واشتمال الشريعة على العبادات البدنية والرياضات الجسمانية، وتعيين الحدود والتعزيرات والقصاص، وكونه قادراً على إجرائها، وتحريم الربا، وإنكار دعوة غير الله، والأمر بالتوحيد الخالص، ونفي الولد عن الله سبحانه، وكلاهما عليهما السلام مات على فراشه ودفن، ولم يعلن لأجل أمته، وكلاهما كان رئيساً مطاعاً قادراً على إجراء أوامره ونواهيته، وغير ذلك من الأمور التي تظهر بالتأمل والعلم.

أنه صرح بعد البشارة السابقة بأن النبى الذي ينسب إلى الله ما لم يأمره يقتل قال: «وأما النبى الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو يتكلم باسم آلهة أخرى، فيقتل ذلك النبى»^(٢).

فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً حقاً، لقتل، ولكن حفظه الله وعصمه من الناس، ولم يقدر على قتله أحد حتى لقي ربه عز وجل، أما عيسى فزعم أهل الكتاب أنه قُتل وصلب، فلو كانت هذه البشارة في حقه للزم أن يكون من كاذباً، وهذا باطل.

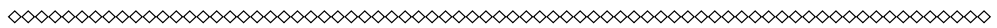
أن الله سبحانه بيّن علامة النبى الكاذب بأن إخباره عن الغيب المستقبل لا يكون حقاً وصدقاً ومحمد ﷺ أخبر عن أمور كثيرة مستقبلة، فظهر صدقه فيها.

أن علماء اليهود سلموا كونه مبشراً بهما في التوراة، وكون عيسى عليه السلام مبشراً به فيها كذلك، حتى أن رئيس الكهنة علم أن عيسى هو المسيح الموعود به، لكنه لم يؤمن بل أفتى بكفره وقتله^(٣)، واليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ عرفوه، وبعضهم آمن به، وبعضهم كفر به، وعاداه، ومن ذلك:

(١) سفر التثنية (١٨: ١٩).

(٢) سفر التثنية (١٨: ٢٠).

(٣) إنجيل يوحنا (١١: ٤٩-٥٣).



حديث مخيريق^(١)، وكان حبرًا عالمًا عارفًا بصفة رسول الله ﷺ، وغلبت عليه ألفة دينه، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد، وكان يوم السبت، فقال: يا معشر اليهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: فإن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت، ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى النبي ﷺ بأحد - وكان يوم السبت - وعهد إلى من وراءه من قومه، إن قتلت هذا اليوم، فمالي لمحمد يصنع فيه ما أراه الله تعالى، فقاتل حتى قتل، فكان رسول الله ﷺ: مخيريق خير يهود، وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها^(٢).

صفية بنت حيي رضي الله عنها: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء، غدا عليه أبي حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس، فأتيا كالين كسلانين ساقطين بمشان يمشان الهوينيا، فهششت إليهما، فما التفت إلي أحد منهما مع ما بهما من الهم، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أثبتته وتعرفه؟ قال: نعم، قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت أبدًا^(٣).

البشارة الثانية: ما ورد في سفر التثنية: «جاء الرب من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبل فاران»^(٤).

والمراد بمجيب الله من سيناء مصر: «إنزال التوراة على موسى».

والمراد بساعير - بلدة في الخليل - إنزال الإنجيل على المسيح.

والمراد بفاران - مكة - إنزال القرآن على محمد ﷺ.

وهذه الأماكن الثلاث أقسم الله بها في كتابه، فقال: ﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۗ وَطُورِ سَيْنِينَ

﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين من الآية ١ الى الآية ٣)

فالتين والزيتون هو الأرض المقدسة التي بعث فيها المسيح وأنزل عليه الإنجيل فيها، وطور سيناء هو الطور الذي كلم الله فيه موسى، والبلد الأمين الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل فيها، ودعا لأهل هذا البلد.

وذكر ابن تيمية هذه البشارة فقد ورد في التوراة مخاطبًا هاجر: «ارجعي فاني سأكثر ذريتك

(١) هو مخيريق النضري، الإسرائيلي، من بني النضير، أسلم واستشهد بأحد، وكان أوصى بأمواله للنبي ﷺ وهي سبع حوائط، وكان من علماء بني اسرائيل. انظر: الإصابة (٩/ ١٥١).

(٢) رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة كما في الإصابة (٩/ ١٥٢) ترجمة مخيريق) بلفظ مقارب من طريق عثمان بن كعب ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٥٠١-٥٠٢) من طريق عبد الله بن كعب بن مالك وغيره، بنحوه مختصرة.

(٣) انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٢٠١)، إغاثة اللهفان (٢/ ٣٦٣)، الأجوبة الفاخرة (ص ١٦٥)، بذل المجهود في افحام اليهود (ص ٦٧)، إظهار الحق (١٤/ ١١١٦-١١٢٨)، البشارة بنبي الإسلام (١/ ٢١٨-٢٥٣).

(٤) سفر التثنية (٢: ٢٢).

وزرعك حتى لا يحصون، وها أنت تجلين وتلدين ابناً تسمينه إسماعيل، لأن الله قد سمع تذلك وخضوعك، وولدك يكون وحي الناس، ويكون يده فوق الجميع ويد الكل به ويكون مسكنه على تخوم جميع اخوته»^(٥). وتشير هذه البشارة أن النبوة كانت في بني إسحاق، فلم يكن لولد إسماعيل سلطان على أحد من الأمم حتى بعث الله محمداً، فلما بعث صارت يد ولد إسماعيل فوق الجميع، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم، وقهروا فارس والروم وأهل الكتاب والمجوس والمشركين والصابئين فظهر بذلك تحقيق قوله: (وتكون يده فوق الجميع ويد الكل به)^(٦).

البشارة الثالثة: قول دانيال في تفسير رؤيا نبوخذ نصر: «... وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تقرر أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتقضى كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد»^(٧).

والمقصود بهذه السلطة الأبدية هي نبوة محمد ﷺ، فهي لا تقضى، وملكها لا يعطى لشعب آخر^(٨).

يقول ابن تيمية: «فهذا بعث محمد ﷺ لا بعث المسيح، فهو الذي بعث بشريعة قوية دون جميع ملوك الأرض وأممها، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته، في مشارق الأرض ومغربها، وسلطانهم دائم لا يقدر أحد أن يزيه، كما زال ملك اليهود، وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها»^(٩).

البشارة الرابعة: جاء في سفر إشعيا: «لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيثار، لترنم سكان سلع من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجداً»^(١٠).

وقيدار أحد أبناء إسماعيل كما جاء في سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرون العدد الثالث عشر، وسالع جبل سلع في المدينة المنورة، والترنم والهتاف ذلك الأذان الذي كان ولا يزال يشق أجواء الفضاء كل يوم خمس مرات.

البشارة الخامسة: جاء في الزبور: «عظيم هو الرب وحميد جداً، في مدينة إلهنا جبل قدسه»^(١١).

(٥) الجواب الصحيح (٢/٢٢٣).

(٦) تكوين (١٦: ١١-١٣).

(٧) سفر دانيال: (٢: ٤٤).

(٨) انظر: إظهار الحق (٤/١١٦٩).

(٩) الجواب الصحيح (٤/٤).

(١٠) سفر إشعيا (٦٠/٧-١)، وورد مثل هذه البشارة في مزامير داود.

(١١) مزاييد (٤٨: ١).

وذکر ابن تیمیة قوله: «إن ربنا عظیم محمودٌ جدًّا»، وفي ترجمة: «إلهنا قدوس ومحمد قد عمُّ الأرض كلها فرحًا»^(١).

والدلالة في هذا واضحة فقد نصَّ على اسم محمد ﷺ.

وهذه الصفات كلها موجودة بمكة، ومجيء، الأمم هو الحج، وقد آل إلى أمة محمد ﷺ كنوز كسرى وقيصر...^(٢).

البشارة السادسة: جاء في الزبور قوله: «إن ربنا عظیمٌ محمودٌ جدًّا»^(٣).

وفيه نص من داود عليه السلام على اسم محمد وبلده، وسماها قرية الله، وأخبر أن كلمته تعمُّ الأرض كلها^(٤).

البشارة السابعة: ورد في إنجيل يوحنا: «لكني أقول لكم لاحق إنه خير لكم أن أنطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء ذاك هو يوبخ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم.

أما على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بي، وأما على البر فأني منطلق إلى الأب، ولستم ترونني بعد، وأما على الحكم فإن أركون هذا العالم قد دين، وإن لي كلامًا كثيرًا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن، وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي، وهو يمجدني؛ لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم، جميع ما هو للأب فهو لي فمن أجل هذا قلت إن مما هو لي يأخذ ويخبركم»^(٥).

فالبشارة بالفارقليط تدل على أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي ﷺ فالتجاشي ملك الحبشة قال: أشهد بالله إنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب».

والمقوقس كتب في جواب كتاب النبي ﷺ: «لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسوله»^(٦).

(١) الجواب الصحيح (٢/٣١٩).

(٢) انظر الجواب الصحيح (٢/٢٢٣)، الأجوبة الفاخرة للقرآني (ص ١٧١).

(٣) مزمو (٤٨: ١)، وانظر مزمو (٩٦-٤).

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٢/٣١٩).

(٥) إنجيل يوحنا (١٦: ٧-١٥).

(٦) رواه الزبير بكار في المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لمحمد بن زبالة (ص ٦٥-٦٦)، وابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص ٤٥-٤٧) مطولًا جدًّا، وفيه النص المذكور أعلاه.

وذكره الحافظ في الإصابة (١٠/١٠٢) وعزاه لابن عبد الحكم في فتوح مصر.

وكذلك الجارود بن العلاء جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبياً لقد وجدت وصفك في الإنجيل، وبشرك ابن التبول، فطول التحية لك، والشكر لمن أكرمك، لا أثر بعد عين، ولا شك بعد يقين، مديك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله» ثم آمن قومه^(١).

وقد أول النصرى الفارقليط بمعان عدة منها:

إنه الحماد، والحامد، وقيل: إنه المعز، وقيل: المخلص، والقولين الآخرين هما ترجمة للفارقليط لليونانية والسريانية، وقد ترجم على بير قلوطس، وبارا قليطس، فالأول يعني أحمد، والثاني: المسلي أو المعزي^(٢).

يقول ابن تيمية: «فإن معنى الفارقليط إن كان هو الحامد أو الحماد أو الحمد: فهذا الوصف ظاهر في محمد ﷺ وأمه، فإنهم الحمادون، وهو ﷺ صاحب لواء الحمد، والحماد جوزي بوصفه فكان اسمه محمداً وأحمد... وأمان فسره بالمعز، فلم يعرف قط نبى أعز أهل التوحيد كما أعزهم محمد ﷺ، فهو أحق باسم المعز من كل إنسان، وأما معنى المخلص فهو أيضاً ظاهر فيه، فإن المسيح هو المخلص الأول كما ذكر في الإنجيل، وهو معروف عند النصرى أن المسيح قد سمي مخلصاً، فيكون المسيح هو الفارقليط الأول، وقد بشر بفارقليط آخر^(٣)، الذي لم يترك. وقوله يعلمكم كل شيء: فهو شريعة محمد ﷺ الكاملة التامة طائراً يطير في السماء إلا وأنبأنا عنه، في الأمور جميعها من العقائد والشرائع وأمور الغيب.

وقد شهد بذلك ﷺ، بعض النصرى في الماضي والحاضر، ومن ذلك ما ذكره الأستاذ عبد الوهاب النجار أنه سأل المستشرق الإيطالي عن معنى كلمة فارقليط، وهي تكتب أحياناً فارقليط أو باركلييت، فقال: معناها الذي له حمد كثير، قال النجار فقلت: هل يواقف ذلك فعل التفضيل من حمد؟ فقال: نعم^(٤).

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج، ومن أبرزها:

أن من أهم دلائل النبوة: الكتب السماوية السابقة التي جاء بها الأنبياء - والتي يعتبر الإيمان

(١) خبر إسلام الجارود بن العلاء - ويقال المولى - رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٤/ ٢٩٢-٢٩٤)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٢٨-٣٢٩) بنحوه.

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٤/ ٨)، الأجوبة الفاخرة للقراي (ص ١٦٦-١٦٨)، أعلام النبوة للماوردي (ص ٢١١)، البشارة بنبي الإسلام (٢/ ٢٦٥-٢٩٥).

(٣) انظر: الجواب الصحيح (٤/ ١٦-١٧).

(٤) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص ٣٩٧-٣٩٨).

بها ركن من أركان الإيمان - ، وفي ثنيتها البشارة بالنبي الكريم ﷺ.

البشارات هي ما ورد في الكتب السابقة من البشارة بالأنبياء اللاحقين في زمن إمكان بعثة الرسل، فقد بشرت التوراة بعيسى وبمحمد صلوات الله وسلامه عليهما، وبشر الإنجيل بمحمد ﷺ. حاول اليهود والنصارى تحريف البشارات وكتمانها، ورغم ذلك فإن العلماء استنبطوا من الكتب السابقة عدداً كبيراً منها، وبرهنوا على ذلك بما لا يدع مجالاً للشك في ورودها.

التوراة كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل إلى موسى عليه السلام، وقد تعرضت للتحريف والتغيير والتبديل، وقد أثبتت نبوة بعض الأنبياء، وبشرت بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. الإنجيل كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل إلى عيسى عليه السلام ومعناه البشارة السارة، وقد فقد إنجيل عيسى، والموجود أناجيل بعض تلامذة عيسى عليه السلام، وفي هذه الأناجيل بشارات بمحمد ﷺ، سواءً في بشاراته أو أمثلته أو عظاته عليه السلام.

الزبور كتاب الله المنزل إلى داود عليه السلام، وقد تعرض لما تعرضت له التوراة والإنجيل من تحريف وتغيير، وفيه بشارات بمحمد ﷺ.

لو سلمنا جدلاً بعدم ثبوت أي بشارة بنبينا محمد ﷺ فإن القرآن الكريم الكفاية والغنية في إثبات نبوته والبرهنة على صدق رسالته، فقد أثبت عجز الخلق عن الإتيان بمثله أو بأقصر سورة منه، وقد تعددت وجوه إعجازه باعتراف المخالفين قبل الموافقين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأجوبة الفاخرة، شهاب الدين أحمد القرافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦-١٩٨٦م.

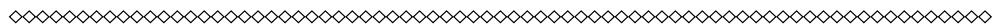
الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م.

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة بن تيمية، القاهرة.

أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، ضبط وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- بذل المجهود في إفحام اليهود، الحكيم المسؤول بن يحيى بن عباس المغربي، تقديم وتخريج: عبد الوهاب طويلة: دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- البشارة ببني الإسلام في التوراة والإنجيل، د. أحمد حجازي الساق، دار الجيل الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- التوراة، محمود مصطفى، دار العودة، ١٩٧٢م.
- جامع البيان في تفسير العرب، الشهير بتفسير الطبري، أبو جعفر بن جرير الطبري، دار المعرفة، لبنان الطبعة الأولى.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع المجد. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صحاب الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين البيهقي، تخريج وتعليق د. عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق همام سعيد، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ.
- صحيح البخاري، المطبوع مع شرحه فتح الباري، لمحمد اسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- صحيح مسلم، بشرح النووي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مكتبة المثني، بيروت.
- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ).
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، دار صادر، بيروت.
- فتاوى نور على الدرب المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)
- قصص الأنبياء، الإمام أبو الفداء ابن كثير، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، مركز الكتاب للنشر.



قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، العلامة الصديق حسن خان، تحقيق د. عاصم بن عبد الله القريوتي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، علي بترتبيه محمود خاطر بك، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٢٨هـ-١٩٢٠م.

المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری، دار المعرفة، بیروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

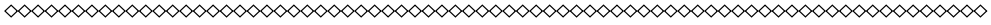
مسند أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، مصر ١٣٧٧هـ.

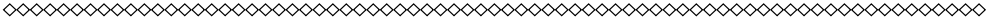
معجم الصحابة، لعبد الباقي بن قانع، ضبط صلاح الدين المصري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مطبعة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

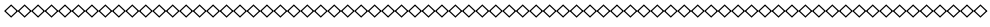
نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.





المحور الرابع:

شهادات عقلاء المعاصرين في الغرب



د. عائشة حورة

كلية العلوم الاسلامية باتنة، الجزائر

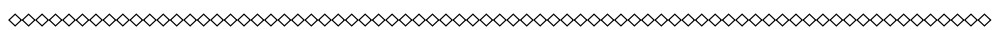
مقاربات المستشرقين لنبوّة محمد ﷺ

من ايدولوجيات التحامل والإجحاف

إلى التسليم والاعتراف

قراءة في شهادات علماء غربيين على صدق نبوته ﷺ

الملخص: الحقيقة التي لا مرأى فيها أن دراسات المستشرقين وجهودهم قد أسدت للحضارة العربية الإسلامية خدمات جليلة، أعظمها ما نود في هذا المقال توضيحه للقارئ الكريم، من عرض لبعض علماء المستشرقين الذين هداهم الله - عز وجل - لدينه الحنيف، بعد أن بحثوا فيه بدقة، وتعمقوا فيه تعمقاً، فأدركوا أنه الحق من ربهم فاتبعوه، وذلك من خلال تتبع مستديم، وبحث مستفيض، واستقراء دقيق لمسار حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وما اشتملت عليه من مآثر قاد بها الملة السمحاء، وكيف كرس حياته في بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة، في تهذيب النفوس وترشيد السلوك، في دور الإستخلاف القويم والعمارة المثالية في الأرض والتنمية الشاملة في أغلب مناحي حياة الفرد السوي، من إرساء لقوانين كلية تشمل الدين والدنيا، لهذا لم تمنع الخلفية العقديّة لهؤلاء المستشرقين من الاعتراف والتسليم بشخصيته القيادية وتربعه صلى الله عليه وسلم على قمة التصنيف الكوني فهو خير خلق الله، والتصنيف البشري العالمي الخالد كما صنّفه العالم الفلكي مايكل هارت في كتابه الفريد، بعد أن شهد العالم الغربي اتجاهاً جديداً من المؤلفات لم يعد أصحابها يجدون أي حرج في إبداء كامل التقدير للإسلام ولشخصية النبي محمد ﷺ. إن نتيجة القلق الروحي الذي يسود العالم الغربي، وعواقبه الوخيمة، جعل هذا الكائن ذو الجوهر الميتافيزيقي (الإنسان)، الباحث دائماً عما يروي ظمأه الروحي من طمأنينة وسكينة، خاصة الكثير من كبار العلماء الغربية من أهل الإنصاف، ممن نهلوا من معين التراث العريق، ما جعلهم يصدعون بالحق ويشهدون بنبينا ﷺ ويؤمنون برسالته بالتصريح والتلميح، ولم يملكوا إلا أن يقفوا إجلالاً ووقاراً، بكل حفاوة وامتنان للرسول ﷺ ولرسالته. كما تباينت شهاداتهم بين منصف دفعته موضوعيته إلى الاقرار بعظمة نبوته، ومستسلم أنار الله عز وجل



بصيرته بعد تيقنه من أحقيته لهذه المكانة صلى الله عليه وسلم، بعد ما شرفه مولاه سبحانه بأجل معجزة أمد بها نبيُّ ورسول.

الكلمات المفتاحية: محمد ﷺ، النبوة، الدلائل، الاستشراق.

Summary:

It is without a doubt that studies and research done by Orientalists have benefited the Arabic Islamic world greatly. This article delves into the most important of these studies. First, we talk about some of the Orientalist scholars who were guided by the Almighty towards His one true religion. This was after they had studied Islam deeply and came to the réalisation That This religion Is indeed the truth from their Lord. They had researched extensively and were very accurate in their extrapolation of the life of the prophet Muhammad (peace be upon him). They had delved into the prophet's great achievements with which he had led his followers and how he had dedicated his life in building the perfect human character. By refining the soul and correcting behaviour. By taking on the role of proper stewardship and comprehensive development in most parts of life. It is due to all that was mentioned above that the Orientalists admit that the prophet Muhammad (peace be upon him) was a great leader and has presented great achievements for humanity such that he has been placed atop the world ranking as he is the best of God's creation, and additionally atop the leaders ranking as illustrated through Michael H Hart's peerless book. This was during a time when emotional unrest was widespread in the western world resulting in serious consequences. The people, who are beings with a metaphysical essence always searching for comfort, reassurance and what can quench their spiritual thirst, witnessed a change where writers would no longer find shame in showing all due respect towards the religion of Islam and the character of Muhammad (peace be upon him). A lot of righteous western scholars have learnt from the Muslims' ancient heritage. Making them profess the truth whether through declarations or suggestions, bear witness to the prophet and believe in his message and leaving them with no choice but to stand in all honour, dignity, warmth and gratitude for the prophet and his message. Some of these scholars were led by their objectivity to acknowledging the greatness of his prophethood while others surrendered themselves to their lord, their sights were enlightened by the Almighty, after they had made certain of the verity of the prophet's status who was honoured by his Lord with the greatest miracle given to a prophet or messenger.

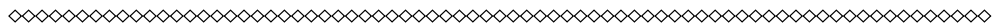
مقدمة :

إنّ النبي محمدا ﷺ هو الأنموذج الإنساني الكامل الذي تجسدت فيه كل المعاني الأخلاقية، والإنسانية الراقية، بوصفه خاتم الأنبياء، وحاملا لرسالة عالمية، تدعو إلى الحق، والخير، والعدل، والسلام، أصلحت من حال البشرية في مسارها الطويل، فاستقرت تصورا متعاليا عن الروحانية الموحشة والمادية الجامدة بالمنظور الإنساني، وإن أخذت صورة النبي ﷺ منحى آخر في كتابات بعض من سعى في تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرته، والظعن في نبوته ورسالته، حين تعاملت معه بعيدا عن القدسية الدينية التي تحترم الأنبياء، إلا أنّ هذه الصورة السلبية لم تكن الصورة الغالبة على من تناول سيرة الرسول ﷺ، من أدباء ومفكري العالم من الشرق والغرب، فقد صور أيضا على أنه النبي والقائد، وروح الرحمة والسلام والسعادة، ومنقذ البشرية.

ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدّع في يوم ما أنه كاهن أو ساحر، ولا سعى إلى تحصيل الملك أو بناء إمبراطورية يكون هو قيصرها، بل ظل طيلة عشرين سنة كاملة يعرض أمرا واحدا، وهو أنه نبي اصطفاه الله تعالى وأرسله رحمة للعالمين. وهذه الحقيقة قررها المستشرقون أنفسهم، لذا كان ذلك مُسلم مفروغ منه، إلا أن الإشكال عندهم في ما مدى صدق رسول الله ﷺ في دعواه، فبعدما صار القاصي والداني وكل من خول له عقله ضلالا وسفاهة أو حقدا وجحودا، أن يتكلم ويقول في نبي الإسلام ما شاء من غواية وبهتان وافتراء، وصُور مسيئة لسيدنا رسول الله، وأفلام كرتونية، وتمثيلات مشوهة للحقائق، وكل ما يمكن أن يتوهم للعقول القاصرة أن تقتريه عن نبينا ﷺ، إلا فعلوه وأذاعوا وشهروا به. هذا ما دفعنا وحرك هممتنا لإنجاز هذا البحث عن صورة النبوة الإسلامية وحقيقة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي المعاصر بمختلف طوائفه، باعتبار نبوة محمد ﷺ هي جوهر الإسلام، وأن القرن العشرين هو القرن الذي شهد نشر المستشرقين لأكبر عدد من الدراسات والكتب والبحوث عن سنة وسيرة وشخص رسول الله ﷺ.

وقد عمدنا في هذه الورقة البحثية إلى عدم التركيز كثيرا على الطائفة الأولى -أقصد بالقول التيار الاستشراقي الحاد- حتى لا تُشهر أعمالهم المتطرفة وكتاباتهم التهجمية والحوّل دون بلوغ مبتغاهم في ايزاع صيتهم من الافتراء والبهتان عن نبينا ﷺ. بينما حاولنا التنوع في الشخصيات الموضوعية والمسلمة منهم، حتى نمنحهم القسط الأوفر لبيان إنصافهم.

أهمية الموضوع: تتبع أهمية هذا الموضوع، من شرف وقيمة ومكانة صاحبه وهو خير



خلق الله محمد ﷺ، حيث عالجت نماذج من النخبة العلمية الغربية، وهم المستشرقون، الذين اقتصوا في الدراسات الإسلامية وعلى رأسها النبوة المحمدية، ومدى تباين رؤاهم وتقريراهم لهذا التخصص.

الدراسات السابقة: تزخر المكاتب العربية والإسلامية وكذا الغربية بالكتابات المتخصصة في السيرة النبوية عامة وشخص النبي صلى الله عليه وسلم، بين المسلمين العرب والمستشرقين أيضاً، نذكر منهم أهم من اعتمدنا عليه في مقالنا هذا:

نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، للأ.د لخضر شايب، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه، فصل فيها الأستاذ الفاضل مسألة النبوة المحمدية على مر التاريخ الغربي منذ القرون الوسطى وحتى الوقت المعاصر، موضحاً بذلك المناهج المختلفة للمستشرقين في دراسة هذه المسألة، مع عرض مفصل لأصناف المستشرقين في دراسة الموضوع.

إضافة إلى عديد من المصادر التي كان أصحابها مستشرقين متأثرين بدراسات شرقية إسلامية، سواء في نقد الشخصية المحمدية، أو في الإشادة بها والإعتراف بنبوتها، أو التصديق والإيمان بها. لأنه لا يسعنا عرضها في هذا المقام للالتزام بقالب المقال.

من خلال ما سبق تبلورت لدينا اشكالية عن مدى تأثر أعلام الاستشراق الغربيين بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يستوقفنا عند التساؤلات التالية: - فيما تمتلئ الانتماءات الاستشراقية التي عنت بدراسة حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟.

- ما هي أبرز المناقب والدلائل النبوية تأثيراً في المستشرقين، والتي كان لها الأثر البالغ في إعادة برمجة عقولهم؟.

- كيف تباينت الاستجابات بين العقول الغربية في الامتثال لصدق النبوة وعالميتها الخالدة؟.

ولإجابة عن هذه الإشكالية وضعت الخطة التالية:

مقدمة:

المبحث الأول: توجهات المستشرقين في دراسة النبوة المحمدية.

المبحث الثاني: نماذج من المستشرقين المهتمين في دراسة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، واختلاف انعكاسها عليهم.

خاتمة وتوصيات.

المبحث الأول: توجهات المستشرقين في دراسة النبوة المحمدية:



إن الرؤية الاستشراقية تجاه نبينا صلى الله عليه وسلم وبوادر تأسيسها كانت متزامنة والفتوحات الأندلسية حيث التعايش الإسلامي المسيحي، الذي يبدو متسما بمظاهر السلم والأمن حين كانت السيادة الإسلامية متحكمة بزمام السلطة، الأمر الذي حاك في نفوس المسيحيين وتطور ليصبح غلاً وحقداً يذقونه للإسلام والمسلمين عامة، ولنبههم بصفة متعمدة - صلى الله عليه وسلم -، لهذا نتوقع التجني الاستشراقي على حقائق شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم لا ريب، إلا أن هذا يبقى رؤية خاصة بإحدى الطوائف الاستشراقية تختلف عن كثير من المنصفين الذين لا يحكمون خلفياتهم العقديّة أو التاريخية في مساهمهم البحثي العلمي للوصول إلى توثيق الحقائق كما تتطلبها الدراسات الأكاديمية.

أولاً: المشككين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: تراوحت آراء المستشرقين في مسألة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بين جاحد لها ومشكك فيها، ومنصف معترف بها، ومقتنع مؤمن بها، والحقيقة أن هذا التقسيم الذي يعتمد المرجعية الإسلامية في غاية الصحة والوضوح، إذ أبان الدارس المسلم في أبحاثه عن الأصول التي يعتمدها في الحكم على الإنتاج الاستشراقي، ولكن المشكلة تقع عند تطبيق هذا التقسيم على عدد كبير من المستشرقين، وبناء على دراسة علمية حقيقية تتخذ الإنصاف منهجا، وتحقيق فائدة للدراسات الإسلامية غاية، ذلك أننا نجد أن تحكيم المرجعية الإسلامية، وإن صح بالنسبة للحكم العقدي على هذه الطوائف، فإنه لا يصح إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية إسهام الفكر الاستشراقي في حقل البحث العلمي^(١)، وسنحرص -في عرضنا لمختلف وجهات النظر الخاصة بكل طائفة من هؤلاء المستشرقين- أن نركز على العقلاء المعاصرين منهم، حتى ننصف مداخلتنا بما عُنوت به.

وتشمل هذه الطائفة الغلاة من المستشرقين الحاقدين على الإسلام بعقائده وشرائعه، وذلك بإنكارهم للمسلمات تبعا لمنطلقات غير موضوعية ولا مبررة، فهو تيار منحاز يتسم بتزوير الحقائق، وتشويه المعطيات التاريخية، والترويج لتخمينات لا دليل عليها، وتحريف معنى النصوص أثناء ترجمتها، كما ضلت في متاهة التنصير والاستعمار، وغيرها من الآفات التي لا علاقة لها بالبحث العلمي، الإشكال أن هذه الأباطيل قد انطلت على بعض القراء الغربيين الذين لا يعرفون قراءة النصوص الأصلية العربية، واقتنعوا بالتالي بتلك الأفكار الغربية كل الغربة عن الحقيقة الإسلامية^(٢).

(١) أنظر نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، لخضر شايب، مكتبة العبيكان. ص ١٥٢، ١٥٤.
(٢) أنظر مقال: هل وجد محمد، سامي فسيح، مركز يقين، هل -وجد- محمد؟/http://com.yaqenn/ . 2019/07/29.



لقد وصل حد إنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ إلى إلغاء الوجود التاريخي للنبي ذاته، وهذا التيار يدعى بالمراجعين الجدد^(١)، ومن المواضيع التي يعالجها المراجعون الجدد موضوع «الإسلام المبكر» مما دفع بالبعض منهم إلى إنكار الوجود التاريخي لمحمد ﷺ. ومن أهم رواد هذه المدرسة: جون وانسبرو^(٢)، باتريشا كرون^(٣) في بداياتها، والكاتب الأمريكي روبرت سبنسر^(٤) في كتابه «هل وُجد محمد؟»، وسيفن كاليش^(٥) وغيرهم^(٦).

وقد اعتمدوا في ضلالهم هذا على عبثيات واهية لا أصل لها من الجهة التاريخية أو العلمية أو الموضوعية، وهي إن دلت فإنها تدل على الغياب التام للبعد التنقيحي التحقيقي الذي يجب توافره في البحث العلمي الموضوعي في أبسط أشكاله، و أهم ما اعتمده كدوافع:

١- زعمهم أنه لا توجد أدلة أركيولوجية تثبت الوجود التاريخي للقران الكريم كدليل على نبوته صلى الله عليه وسلم:

عُدَّ «وانسبرو» من أهم ممثلي التيار الاستشراقي المارق وذلك لأنه من زعم من خلال كتابه «دراسات قرآنية» أن القرآن الكريم لم يدون إلا بعد قرن ونصف القرن من وفاة النبي وأنه

(١) وهي مدرسة استشراقية جديدة (Neo-Revisionists)، تأسست بداياتها على يد المستشرق الإنجليزي ذو الأصول الأمريكية جون وانسبرو (١٩٢٨-٢٠٠٢)، وهي تسعى إلى عدم توقيف الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية، بل إلى المراجعة الكلية لمناهج تلك الدراسات، وهو تجاوز المناهج الفيلولوجية والتاريخية في المدارس الاستشراقية الكلاسيكية، ولذا أُطلق على هذا الاتجاه «المراجعون»، وهي توظف على نطاق واسع في تغذية الإسلاموفوبيا الجديدة.

(٢) جون إدوارد وانسبرو John Edward Wansbrough: ١٩ فبراير ١٩٢٨ في بيوريا، إلينوي، توفي ١٠ يونيو ٢٠٠٢ في فرنسا، كان مؤرخاً أميركياً في جامعة لندن، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية. أسس وانسبرو ما يسمى «المدرسة التنقيحية في الدراسات الإسلامية»، من خلال انتقاده الأساسي لمصادقية الموروث الإسلامي التقليدي التاريخية حول بدايات الإسلام ومحاولة تطوير تصور بديل أكثر معقولة من الناحية التاريخية عن أصل الإسلام، المصدر (موقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki/جون-وانسبرو>).

(٣) باتريشا كرون، بالإنجليزية: Patricia Crone، (١٩٤٥ - ١١ يوليو ٢٠١٥)، عالمة ومؤلفة ومستشرفة ومؤرخة للتاريخ الإسلامي. عملت في الفترة من سنة ١٩٩٧ حتى تقاعدها في عام ٢٠١٤ في معهد الدراسات المتقدمة في برينستون في نيو جيرسي، عُرفت باعتبارها مؤرخة للدين الإسلامي، الذي عالج القرآن ككتاب مقدس مع التاريخ، المصدر (موقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki/باتريشا-كرون>).

(٤) روبرت سبنسر، بالإنجليزية: Robert Spencer: ٢٧ فبراير ١٩٦٢، هو مدون وكاتب مسيحي أمريكي من أصول تركية كاثوليكية، لمقالات وكتب لها علاقة بالإسلام. يظهر سبنسر في كثير من الأحيان على شبكة فوكس نيوز وقد أعطى مؤتمرات إلى العديد من وحدات إنفاذ القانون في الولايات المتحدة. المصدر (موقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki/روبرت-سبنسر>).

(٥) سفين كاليش: بالألمانية: Sven Kalisch (سابقاً محمد سفين كاليش)، ٢١ مارس عام ١٩٦٦ في هامبورغ هو محامي ألماني واستاذ في العقيدة الإسلامية في جامعة مونستر تحول إلى الإسلام من البروتستانتية، ثم غادره سنة ٢٠١٠، في عام ٢٠٠٨ أعلن شكه في الوجود التاريخي لمحمد، وأن القرآن ليس كما يقول التقليد الإسلامي كلام الله حرفياً وجهة نظره قوبلت بالتأييد والاعتراض، واعتبرته الجماعات الإسلامية المتطرفة مرتداً. المصدر (موقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد-كاليش>).

(٦) المرجع السابق.

لا دليل على أنه ظهر قبل سنة ٥٥٩هـ. وقد وصلوا إلى ما وصلوا إليه من نتائج سلبية عن التاريخ الإسلامي بما في ذلك السيرة النبوية الشريفة، لأن تصوراتهم حول الأحداث مبنية عن ظنون خيالية وادعاءات مائة، أو من خلال المعطيات التي توفرت لديهم دون بذل النفس في تحري الحقائق العلمية بشروطها، والاكتفاء بما سبقهم إليه أسلافهم من حاقيدي المستشرقين منذ القرون الوسطى، لكن عدم العلم ليس علما بالعدم، وعدم توفر ما يثبت ظهور القرآن في زمن الرسالة لا يعني أنه لا يوجد ما يثبت ذلك..

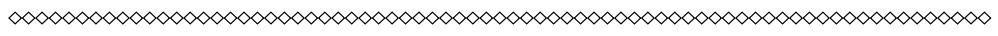
لكن إذا ما نظرنا بعين الباحث المهموم لإبراز المسار التاريخي الحقيقي والموافق للأحداث بتواريخها وتفصيلها ودقة تعيينها، فإننا نؤكد على (وجود نسخة مخطوطة للقرآن الكريم متأخرة بقرون عن زمن ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، لا يعني أن القرآن ظهر بشكل فجائي في الفترة الزمنية التي يعود إليها المخطوط، فمالهم كيف يحكمون؟! وإذا ألقينا نظرة على النسخ المخطوطة للقرآن الكريم سنجد ما يناقض هذا تماما، ويثبت أن هناك من النسخ التي عاصرت زمن النبي ﷺ أو قريبا منه، فنسخة مكتبة برلين الحكومية على سبيل المثال بعد الفحص يقول خبير المخطوطات الإسلامية ومدير قسم المشرق بالمكتبة كريستوف راوخ أنه بنسبة ٩٥٪ فإن الرق^(١) يعود للأعوام ما بين ٦٠٦م و٦٥٢م، وأرجح أن يكون في حدود العام ٦٥٠م، ومن المعلوم أن محمدا صلى الله عليه وسلم توفي في العام ٦٣٢م، ثم بعد ذلك تم اكتشاف أقدم نسخة للقرآن الكريم، حيث أعلنت جامعة برمنغهام البريطانية عن اكتشاف نسخة يُرجح الباحثون أن كاتبها من الصحابة أو ممن عايش الصحابة، وترجع بعد فحصها بالكربون المشع -وهي تقنية معتمدة في علم الآثار نسبة دقتها تفوق ٩٥٪- أن عمرها يبلغ نحو ١٣٧٠ عام، أي بعد وفاة النبي ﷺ بزهاء عشرين سنة^(٢)، وقد صرح أستاذ الدراسات المسيحية والإسلامية دومينيك سيلوود بأن هذه النسخة «مكتوبة بخط عربي قديم اسمه الحجازي، مما يعني أنها كانت في مكة أو المدينة وطبعا النبي محمد كان هناك^(٣)، وغيرهما من المخطوطات التي يُرجح الدارسون عودتها إلى القرنين الأول والثاني.

٢- ذكر النبي ﷺ في المصادر الأجنبية: إن غياب ذكر النبي ﷺ في المصادر الغربية أو نقص البحوث في مجال السيرة النبوية، لا يعتبر نافيا لوجوده تاريخيا صلى الله عليه وسلم، وإذا

(١) جلد حيوان كان يستخدم للكتابة.

(٢) خبير بريطاني: قد يكون كاتب مخطوطة القرآن الكريم المكتشفة عاصر الرسول عليه والسلام، <https://www.youtube.com/watch?v=pPxTFhjeb74> قناة الجزيرة، 25. 2015. juil.

(٣) المصدر نفسه.



أخذنا بعين الاعتبار ظروف الواقع آنذاك فإن أي مصدر أجنبي دون أحداثا حول الفترة التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم أو قريبا منها فهو مصدر قوي ومؤكد لهذه الحقيقة التاريخية، لكن في حال وجدناه فهل يصح اعتبار أن المصادر الإسلامية لسيرة النبي ﷺ يمكن الثقة بها واعتمادها مصدرا للبحث العلمي الأكاديمي للتأكد من مدى مصداقية وجوده التاريخي؟^(١).

نجد أن رفض اعتماد المصادر الإسلامية هو المنهج الذي دأب عليه المستشرقون الجدد في أحسن الأحوال، وإلا فإن منهم من تخلى عن المصادر كلها ثم بدأ ينسج أحداثا من وحي خياله يُفترض أنها الحياة الحقيقية لمؤسس الإسلام، وهذا أقرب إلى الهزل والتلاعب بالحقائق منه إلى الجدية.. وبعيدا عن العاطفة والأحكام المسبقة -التي نتهم بها كباحثين إذا ما اختص البحث بنبينا محمد ﷺ يمكن أن نقول عقلا وعبر تفعيل المنهج النقدي الذي يراعي حال الراوي وخلفياته وتوجهاته ومدى تعصبه لها وموقفه من المخالف، أنه يمكن أن نسلب المصداقية والثقة من المصادر الأجنبية التي تحدثت عن وجود النبي صلى الله عليه وسلم وبعض التفاصيل حوله تماما، ذلك أنها ترى في الإسلام دينا صاعدا منافسا يهدد عقيدتها، فهل يُقبل بأن يُسلم بما فيها وهي محل شك حقيقي؟^(٢).

بإمكان القارئ للمصادر الاستشراقية أن يصنف القائمين عليها بين موضوعيين وغلاة، ذلك من خلال المصطلحات الموظفة والأساليب المركبة للنصوص، حيث يبدو للوهلة الأولى ذلك التمييز بين نص مؤجج بمصطلحات السب والشتم والقذف وليّ عنق المعنى لتكليفه حسب توجه الكاتب، غاية منه للوصول إلى أبعاد حد في تشويه صورة السيرة أو التاريخ الإسلامي، ونؤكد في عرض هذا الحديث (أن المستشرقين الحاقدين على الإسلام لن يهتروا لقراءة نقد غير علمي لما يكتبونه ويغلفونه بغلاف علمي ظاهري يخفي النوايا السيئة عند كثير منهم، قدر اهتزازهم لنقد تراعي فيه الدقة العلمية والموضوعية في العرض والنقد. ولا أجد سببا واضحا يخيف الباحث المسلم من التمسك بالموضوعية العلمية، فديننا هو الحق ومنهجنا هو المنهج القويم وحججنا هي الأقوى، فمن توفرت لديه كل هذه العناصر: الدين، الحق، والمنهج القويم، والحجة القوية، لا ينبغي أن يضيع كل ذلك بخوف يؤدي إلى الإنسحاب من ساحة الجدل، أو اللجوء إلى حماس عاطفي يخفي الحقائق الموضوعية في حجته قوية ضده إلى من أراد هو نقده أو نقضه)^(٣)، هذا من جهة ومن جهة أخرى (لا ينبغي لنا أن ننسى في غمرة دفاعنا عن الإسلام ضد

(١) أنظر، هل وُجد محمد؟، مرجع سابق.

(٢) أنظر المرجع نفسه.

(٣) الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، السيد محمد الشاهد، <https://content-wp/org.hekmah/> /٠٥/٢٠١٥/uploads/٠٥/٢٠١٥/uploads-منهجية-النقد-عند-المسلمين-المعاصرين.PDF، ص ٢١.

شبهات المستشرقين ونواياهم التي علمناها عند أكثرهم، ما أمرنا الله به في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۭٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ (المائدة: ٨) (١)، ففي نصوص أخرى نلتمس المصدقية والشفافية، حيث تتحلى بمصطلحات الوصف والتنقيح والتحري والاجتهاد في نقل أو سرد الحقيقة كاملة، كما وردت في المصادر الإسلامية الأصلية، كما نجد المدح إن توجب الأمر والإشادة بالمواقف البطولية وما أغناها في تراثنا الإسلامي.

ثانيا: رؤية المستشرقين الموضوعيين لنبوة محمد ﷺ: أو المتعاطفين مع الاسلام الذين يتحرون نقل الحقائق بصدق وموضوعية، متحررين في ذلك اللغة العلمية الراقية التي تستلزمها الدراسات الإسلامية السامية، خاصة اذا كان الحديث يخص أشرف الخلق ﷺ.

نماذج من المستشرقين الموضوعيين: ومن أهم من كتب عن الدعوة الإسلامية والسيرة النبوية الشريفة، هؤلاء الذين أظهروا مدى الاعتزاز بمنجزاته وإعجابهم به صلى الله عليه وسلم: ١- (السير توماس أرنولد (٢) (٣): فقد أشاد المستشرق الإنجليزي بالتغيير الذي أحدثه الإسلام في شبه الجزيرة العربية، قائلًا: (ظهر جليا أن الإسلام حركة حديثة في بلاد العرب الوثنية، وكيف كانت تتعارض والمثل العليا في هذين المجتمعين تعارضا تاما -يقصد بلاد العرب والمجتمع الوثني- ذلك أن دخول الإسلام في المجتمع العربي لا يدل على مجرد القضاء على قليل من عادات بربرية وحشية فحسب، وإنما كان انقلابا كاملا لمثل الحياة (٤).

توماس أرنولد والدعوة المحمدية: يصفه السير توماس ب (محمد نموذج الداعي المسلم)، ويبدو في تحريره عن محمد الداعية صلى الله عليه وسلم أنه يخص الدراسة بهذا الجانب من حياته الطاهرة قائلًا: (ليس من غرضنا في هذا الباب أن نضيف شيئا جديدا إلى ما ورد في كتب السير المتعددة عن حياة محمد، وإنما أثرنا أن ندرس حياته من ناحية واحدة، هي التي يظهر لنا فيها النبي داعية ورسولا إلى الناس بدين جديد) (٥).

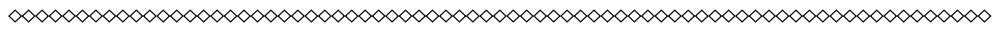
(١) المرجع نفسه، ص ٢١.

(٢) أرنولد (توماس ووكر) - توماس أرنولد (١٨٦٤م - ١٩٢٠م)، مستشرق إنجليزي متعاطف مع الإسلام، مهتم بالدراسات الإسلامية فقد اختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكره الإسلامية في المقاطعات المتحدة بشمالى الهند، وأمضى فيها عشر سنوات.

(٣) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمان بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ٢ (١٩٩٢)، ص ٩.

(٤) الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، سير توماس أرنولد، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، اسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية للنشر والتوزيع لحسن محمد وأولاده، شارع عدلي باشا-القاهرة-، ط١٩٥٧، ص ٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٢.



ومن خلال قراءتنا المتواضعة في بعض من مصادر المستشرقين توسمنا هذه الحقيقة في كتابات السير توماس فنجده يقول بكل احترام عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (لعله من المتوقع، بطبيعة الحال، أن تكون حياة مؤسس الإسلام ومنتشئ الدعوة الإسلامية، هي الصورة الحق لنشاط الدعوة إلى هذا الدين... وإذا كانت حياة النبي هي مقياس سلوك عامة المؤمنين، فإنها كذلك بالنسبة إلى سائر دعاة الإسلام)^(١).

٢- إيميل درمنغهم^(٢): مؤلف كتاب «الشخصية المحمدية»، عنوان يوحى بمعاني العظمة والإجلال للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو كتاب (مشرق الأسلوب واضح الترجمة، حافل بتلك السيرة العظيمة، تناولناه للتصفح، فإذا بنا لا نستطيع طيه قبل إتمام قرائته صفحة صفحة وجملة جملة، بحث غزير منسجم وسرد بديع وانتقال في أرجاء تلك الحياة العامرة الأخلاق للباحث كفايته من البحث، ولمحب الرواية حاجته منها، ولتلميذ التاريخ مجاله الرحب، وللقارئ العادي ما شاء من فائدة)^(٣)، إن كان هذا شأن الكتاب فكيف بالكاتب وتوجهه وانصاف فكره، وتحريه في أسلوب علمي هادئ مقنع، في حديثه عن خير البريه صلى الله عليه وسلم، خاصة عند توكيد نبوته صلى الله عليه وسلم في عبارات تجعل القارئ بعيد الشك عن كون الكاتب مستشرقاً غربياً عن المرجعية الإسلامية، يقول: (لم يشك أحد بعد في ظهور النبي العربي محمد، ولم يفكر أكثر النفاذ تطرفاً في إنكار وجوده، وتحاط سيرته في زماننا بكثير من التحفظات، ولا ريب في مجاوزة النقد للحد أحيانا على وجوه مختلفة مع الأسف... وقد أرت بهذا الكتاب أن أولف سيرة ناطقة صادقة للنبي مستندا إلى أقدم المصادر العربية، وقد شئت أن أرسم لمحمد صورة مطابقة لما وُصف به في كتب السيرة.. ما استطعت إلى ذلك سبيلا... فما أعظم أن تثيره فينا من الأثر الخاص العميق المحرك الخصب حياة رجل يؤمن برسالته فريق كبير من بني الإنسان.. وأول المصادر لتبيان شخصية محمد هو القرآن وكتب الحديث والسيرة، والقرآن وهو الأساس والمنبع الجوهري، أصح هذه المصادر)^(٤).

كثيرا ما يصادر المفكر الفرنسي درمنغهم على كتابات الغلاة من أقرانه المستشرقين،

(١) المصدر السابق، ص ٢٢.

(٢) إميل درمنغهم E.Dremenghem : مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من ادق ما صنّفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، و (محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥)، ونشر عددا من الابحاث في المجالات الشهيرة مثل: (المجلة الافريقية)، و (حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و (نشرة الدراسات العربية).

(٣) الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، إيميل درمنغهم، ترجمة: عادل زعير، الشعاع للنشر والتوزيع، شارع الجزائر (المعادي)، ط ٢ (٢٠٠٥)، ص ٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١.

وذلك بتدوين أرقى مواصفات للنبي الكريم يمكن أن يصرح بها مسيحي عن نبي الإسلام، خاصة تلك الخرجات التي تتوزع هنا وهناك في كتابه عن محمد صلى الله عليه وسلم، تدعيما لمشاعره الجياشة اتجاه نبينا بأيات من الذكر الحكيم، (قام محمد الأمي الجاهل لكل ما لا يمت إلى العلم المطلق بصلة، والنقي الفطري الكامل الطليق من فساد العقل والقلب، يدعو العلماء ليفقهوا ما يقولون، ويقوم ما يتيه فيه الحكماء من الطرق المعوجة، فالناس حين يستمعون لكلامه الموحى إليه، ولأمثاله، الملائمة لروح الزمن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿البقرة: ٢٦﴾)، يعود إليهم سابق اتصالهم بالسر المحيط بهم خاشعين لله عالمين كيف يسلكون أحد النجدين مهتدين إلى مبدأ حي ناطق لا يجدون مثله في نصائح الفلاسفة وآراء أقطاب السياسة، وكان ظهور محمد في دور من أشد أدوار التاريخ ظلما، في دور كانت الحضارات التي قامت في البلدان الممتدة من بلاد الغول الميروفنجية إلى بلاد الهند مضطربة متداعية^(١).

ثم يحقق ايميل درمنغهام أهم ما يثبت نبوة محمد ﷺ بعد توطئة لإثبات أن المعجزات من صفات الأنبياء التي تكون ملازمة لهم حتى يتيقن من حولهم من دعواهم، فكلما ظهر ما يخالف الطبيعة جرَّ العقل للتفكير في خوارق العادات والغيب الذي لا يدركه العقل القاصر، يقول في معرض ذلك: (ولا بد لكل نبي من دليل على رسالته، ولا بد له من معجزة يتحدى بها، مختلفة عن كرامات الأولياء... والقرآن هو معجزة محمد الوحيدة، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه التي لا تزال لغزا مذبذبا إلى يومنا، يثيران ساكن من يتلونه، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين، وكان محمد يتحدى الإنس والجن بأن يأتيوا بمثله، وكان هذا التحدي أقوم دليل لمحمد على صدق رسالته)^(٢).

كما يتدارك شكوك القائلين من الأولين والآخرين عن كونه شعرا أو ضرب من نفث الجن، فالإتهام الخطير للنبي صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر، واستمرارية الجاهلية الأولى إلى القرون الأخيرة، حيث استأنف جاهليته فريق من المستشرقين، هو اعتراف بالتأثير العجيب لهذا النثر الموزون الذي يشيع عبقا جماليا يحس به حتى أعداؤه.. والقرآن إضافة إلى هذا يؤثر حتى في غير العرب رغم غرابة اللغة وتركيبها المعقدة حتى إنه ليحار في بلاغتها الأقحاح^(٣)، ويجد لبهتانهم ردودا منطقية عقلية تنفع الجاهل والمجادل قائلا: (..وهذا لا يعني الإشارة إلى قيمة

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

(٣) القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، بلاشير، نقله إلى العربية: رضا سعادة، حققه الشيخ محمد علي الزعبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، نقلا عن كتاب نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ص ٥٤٦.

أدبية خاصة في القرآن، مادام محمد كارها للشعراء محترزا من أن يكون أحدهم، وما دام هنالك فرق بين وحي الله ونفث الجن، ولا ريب في أن كل آية منه، ولو أشارت إلى أدق حادثة في حياته الخاصة، تأتيه بما يهز الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب في أن هنالك ما يجب أن يبحث به عن سر نفوذه وعظيم نجاحه^(١).

٢- مايكل هارت (صاحب كتاب «الخالدون مئة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم»): كاتب تختلف سيرته عن الآخرين، فليس مهتما بتاريخ الشرق فحسب، أو متخصصا في الدراسات الإسلامية بالذات، إنما يُعتبر هاوٍ في دراسات الشخصيات البارزة في تاريخ الإنسانية ككل عبر الزمن، لهذا اجتهد لتصنيف كتابه المتميز الذي أبهر العلماء الغربيين قبل العرب منهم، وذلك اعتراضا على الترتيب الذي خضع له الكتاب، لكن طبعاً وُضع الترتيب تبعاً لمقاييس وأسس حكّمها مايكل هارت كميّار في العظمة يقول في ذلك مقدم الكتاب: (ولكن المؤلف أقام اختياره لشخصياته الخالدة على عدة أسس)^(٢)، من بينها:

أن الشخصية يجب أن تكون حقيقية. فهناك شخصيات شهيرة وبعيدة الأثر، ولا أحد يعرف إن كانت قد عاشت أو لم تعيش.

أن يكون الشخص عميق الأثر، سواء كان هذا الأثر طيباً أو خبيثاً. ولذلك كان لا بد أن يختار هتلر، لأنه كان عبقرية شريرة.

أن يكون للشخص أثر عالمي، إذ لا يمكن أن يكون له أثر إقليمي أو محلي.

كما استبعد المؤلف كل الأشخاص الأحياء، أي كانت آثارهم البالغة، فإن أحداً لا يعرف بعد كم تعيش آثارهم على بلادهم أو على الإنسانية. فالمستقبل غيب.

وأهم أساس هو أن تكون للشخصية أثر «شخصي»، عميق متجدد على شعبها وعلى تاريخ الإنسانية، ولذلك فقد اختار محمداً صلى الله عليه وسلم أول هذه القائمة. ولهذا الاختيار أسباب مقنعة^(٣).

يوضح مايكل هارت سبب اختياره للنبي صلى الله عليه وسلم مع توقعه للمعارضة التي سيُقابل بها هذا السُفر من طرف الأقران الغير مسلمين، كما سيندهش المسلمين ذاتهم من هذا الترتيب المنطقي لتعودهم على المراتب الأخيرة التي يُصنّفون فيها من طرف الغربيين، قائلًا: (لقد

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٢) الخالدون مئة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، ص ٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩، ١٠.

اخترت محمدا ﷺ في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندesh كثيرون لهذا الاختيار^(١)، والعجيب عندما نجده يصوّب اندهاشهم، ثم يجيب عن استنكارهم هذا: (لكن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدينيوي، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد ١٢ قرنا من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويا متجددا - كما أضاف الكاتب مؤهلا آخر للتفوق امتاز بها نبينا ﷺ وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد وُلدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا، إلا محمدا ﷺ فقد ولد سنة ٥٧٠م في مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم، بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفرن)^(٢).

ومما يدل على التأثير الكبير للكاتب بشخصه ﷺ، حين نجده ينتقي الألفاظ الأكثر تأثيرا ليصف عظمتة صلى الله عليه وسلم (وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة، وأصبح محمدا ﷺ أقوى وأعمق أثرا في قلوب الناس)^(٣).

تعتبر شهادة مايكل هارت الفيصل الحاكم بإعدام الشهادات المزورة الحاقدة على نبينا صلى الله عليه وسلم، خاصة عندما تُدوّن وتُتيد، ثم تُوجّه إلى المجتمع القارئ المقصود مُسبقا ألا وهو المجتمع الغربي الذي تختلف وُجّهات النظر فيه نحو نبينا، لتكريس فكرة القيادة العالمية المطلقة للمصطفى صلى الله عليه وسلم، وللدين الحنيف الذي بشرّ به «الإسلام»، دون أي منازع، وأيضا في شتى مجالات الحياة (وربما بدا شيئا غريبا حقا أن يكون النبي محمدا صلى الله عليه وسلم في رأس هذه القائمة، رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين، وربما بدا غريبا أن يكون الرسول عليه السلام هو رقم واحد في هذه القائمة، بينما عيسى عليه السلام هو رقم ٢ وموسى عليه السلام رقم ١٦)^(٤).

لثقة الكبيرة التي تحلى بها مايكل هارت في مصنفه -وهو يوازن بين أعظم الشخصيات في التاريخ- لم يتردد ابدا في تشريف النبي ﷺ بعرش الخيرية والعظمة الإنسانية عبر التاريخ، ويبرر اقدامه على هذا الترتيب لمعارضيه من المسيحيين وغيرهم قائلًا: (ولكن لذلك أسباب: من بينها أن الرسول محمد ﷺ قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء

(١) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣، ١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧.

قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية. وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسؤول عن مبادئ الأخلاق في المسيحية، غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضا مسؤول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب العهد الجديد، أما الرسول ﷺ فهو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاق وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدينية، كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده. وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم... فعلى المستوى الديني كان أثر محمد ﷺ قويا في تاريخ البشرية وكذلك كان عيسى عليه السلام، أما على المستوى الدنيوي فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلا دنيويا لأنه كان زوجا وأبا وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم، وكان يحارب ويصاب في الحروب، يمرض، ثم مات. ولما كان الرسول ﷺ قوة جبارة، فيمكن أن يقال أيضا إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ^(١).

أجد نفسي وأنا أنقل ما يؤرخه مايكل هارت عن محمد ﷺ، أنساق وراء مشاعره اتجاه نبينا صلى الله عليه وسلم، فألتمس عذوبة الإحساس وصدق القول وعمق التأثير وبلاغة الوصف، فأزيد ثقة ويقينا كم قد بلغ هذا النبي العظيم درجات التفوق والعالمية والصلاح في تبليغ الرسالة العالمية (الإسلام) دينا ودنيا.

أختم هذا المبحث بما قاله مايكل هارت بعد التفصيل في مناقبه صلى الله عليه وسلم ومدى قدرته في توحيد الأمة الإسلامية وتخليد الإسلام كدين عالمي مستمر في العالمية: (هذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمدا ﷺ هو أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ الإنسانية كلها)^(٢).

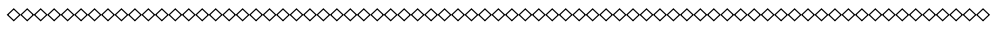
المبحث الثاني:

نماذج من المستشرقين المهتمين ودراساتهم لنبوته محمد ﷺ، واختلاف انعكاسها عليهم:

نستحسن هذا العنوان عند قراءتنا له لأول وهلة، ذلك أن ماجرت عليه العادة هو اعتداد المستشرقين سواء من الحاقدين أو المنصفين، من الديانات الأخرى نظرا لأن دراساتهم منصبية على مدارس العلوم الإسلامية بما فيها التاريخ والقرآن والسيرة وغيرها، دراسة تسبقها خلفية معينة، ثم بعدها تأتي نتائج الدراسة موجهة للمستشرق حسب غايته التي سعى إليها قبلا فمنهم

(١) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩.



الحاقد ومنهم الموضوعي، أما عن هذه الطائفة فهي التي درست علوم الإسلام دراسة مستوعبة، منطلقة من خلفية حيادية موضوعية في توثيق وتأريخ الحقائق، وقد كانت نيتها أصلاً استقصاء تلك الحقائق كما وردت في أصولها ومصادرها وتراثها ففتحت قلبها لهذا الدين ونبيه، وشرح الله صدرها للإسلام.

وهذا الاعتناق للإسلام قد وُجد مع بداية فجر الإسلام (واتسع مداه بعد بدء الفتوحات، حيث لاحظوا سماحة وتسامح العرب الفاتحين، وصحة وبساطة وضبط الشريعة الإسلامية التي حولت العرب إلى عبّاد مجاهدين، ولم تتأخر طوائف العلماء، أصحاب الاطلاع الواسع على الديانات والمذاهب عن الدخول في الدين الجديد، فاقتنع بنبوّة محمد ﷺ أحد أكبر أحيار اليهود في زمانه، وهو عبد الله بن سلام^(١)، ولحق به مخيريق الذي قاتل مع المسلمين في أحد حتى استشهد، وكان النبي ﷺ يقول فيه: مخيريق خير اليهود^(٢)، ولكن أمر انتشار الإسلام في الديانات التوحيدية ظل في تناقص مستمر، حتى ابتدأت حركة الاستعمار الحديث حيث تحقق الالتقاء الحياتي مجدداً بين المسلمين والنصارى على وجه الخصوص، ثم أطل القرن العشرين فإذا بالإسلام المنهزم يعاود حركة انتشار واسعة بين العامة والخاصة من الغربيين)^(٣).

ونستطيع اعتبار الاستشراق أهم عامل لدخول هؤلاء المستشرقين في الإسلام، لأنه أكثر الموارد استئناساً لمعرفة الإسلام الحقيقي (لقد كثرت عدد المؤلفات التي تعالج الإسلاميات في هذا القرن كثرة ملفتة، وكان ذلك باباً دخل منه الباحثون عن الحقيقة إلى الدراسات الإسلامية، ولم يتوقف هؤلاء عندما كتب مستشرق واحد، بل كانت مطالعاتهم متنوعة فقربتهم تدريجياً من التصور الإسلامي الصحيح الذي وجدوا فيه ضالّتهم. وجدير بالملاحظة الدور البالغ الذي لعبه المستشرقون المسلمون والمتعاطفون مع الإسلام في تصحيح المفاهيم الغربية عن المسلمين بصفة عامة، والتعريف الجيد بالعقيدة الإسلامية الصحيحة. وقد خدم هذا الإسلام، لأنه أعطى الفرصة للباحثين الغربيين عن الحقيقة للتعرف عليه، والمقارنة بينه وبين العقائد اليهودية والمسيحية وركام الفلسفات المادية والإلحادية)^(٤).

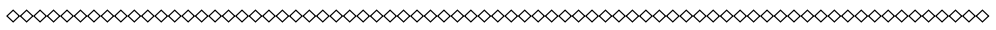
وستقوم بعرض بعض الشخصيات البارزة في علم الاستشراق والتي من الله عليها بالهداية

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين (ت ٢١٢هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (ط٢، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م)، (ج١، ص٥١٦).

(٢) المصدر نفسه، (ج٢، ص١٨٩).

(٣) نبوة محمد في الفكر الإستشراقي المعاصر، مصدر سابق، ص١٥٨.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٠، ١٥٩.



وجعل هذا العلم هو سبب اهتدائها للصراف المستقيم، ونحاول اكتشاف بعض أسباب اعتناقهم للإسلام، وميولهم الفكرية واسهاماتهم الدعوية وعلاقتهم بالنبي ﷺ.

أولاً: ناصر الدين دينيه: هو الرسام العالمي (ألفونس إيتيان دينيه) وُلد في باريس عام ١٨٦١ لأبوين مسيحيين كاثوليكين، شب وترعرع على عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران، ولكن على مر الزمن كان يستوليهِ شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية، خاصة مع اتساع مداركه، كان قلقه يتسع أيضاً في بعض المسائل، مثل: عصمة البابا، ومسألة ألوهية المسيح عند بعض المذاهب المسيحية. مما دعاه إلى السعي جاهداً في البحث والتأمل والتفكير في الكون، وفيما تربى عليه من عقائد مغلوبة^(١).

عاش فنانا بطبعه، كان مرهف الحس، رقيق الشعور، جياش العاطفة، كما كان صاحب طبيعة متدينة أيضاً، محاولاً بكل ما آتاه الله من وظائف حسية وعقلية أن يخترق الحجب للوصول إلى الحقيقة، وبعد أن تلفت نحو أمثاله من التائهين في خزعبلات المسيحية، رأى نفرا من المسيحيين وغيرهم يعتقدون الاسلام وأكثرهم من الأعيان والخاصة، وإخلاصهم في ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن المادية^(٢)، وفي عام ١٩٢٧ أعلن إسلامه رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل برئاسة مفتي الجزائر .. وطائفة كبيرة من أعيان الجزائر وعلمائها وقد أشهد الناس جميعاً أنه يدين بالإسلام من عشرات السنين وأنه لم يجهر به إلا اليوم، ولم يكن له من وراء اسلامه مطمع ولا مغنم، فخرج من دينيه إلى ناصر الدين^(٣).

بعد هذا التمهيد لسيرته -رحمه الله- نستأنف الكتابة عن علاقته بالنبي ﷺ.

يكتب الحاج دينيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي طيات عباراته اجلال وإكبار لشخصه صلى الله عليه وسلم، حتى أنه أسس لمنهج خاص بدراسة السيرة النبوية وألزم بها كل مستشرق فكّر في الكتابة عن سيرته صلى الله عليه وسلم:

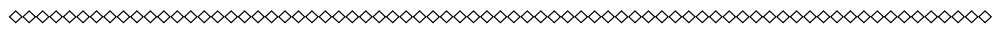
(أولاً: أن يتجرد عن الشهوة والهوى والعصبية، ويبدأ في دراسة الموضوع نافضاً عن رأسه كل ما أوحته إليه الكنيسة من أباطيل عن الإسلام وكل ما غرسته في نفسه من ترهات خاصة بمؤسس الدين الإسلامي، وإذا لم يفعل ذلك فإن ما يكتبه سيكون لا محالة وهماً وباطلاً.

ثانياً: أن يعتمد على الأخبار الصحيحة التي رواها المسلمون أول عهدهم بالتدوين، يجب

(١) أنظر المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(٢) محمد رسول الله، اتين دينيه، سليمان بن ابراهيم، ترجمة: عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم، دار المعارف، القاهرة، (٣ط)، ص ١٣.

(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه، المطبعة السلفية بمصر، القاهرة ١٩٢٩، ص ٩.



عليه أن يعتمد على سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد، وعلى البخاري ومسلم، وعلى تاريخ الطبري، وقبل ذلك وبعده على القرآن.

ثالثا: أن يدرس البيئة العربية في مهدها الأصلي، مكة، والمدينة، والطائف، وغيرها حتى يتوضح له الغامض وينضح له المبهم وتستقيم له الفكرة^(١). وإنه بهذا التقييد قد حصّن السيرة النبوية من بهتان الاستشراق، وتناول الكنيسة.

ثم يعود -رحمه الله- لوصف شخص النبي ﷺ وبيان مكانته وثقله الاجتماعي يقول (إن الشخصية التي حملها محمد بين برديه كانت خارقة للعادة وكانت ذات أثر عظيم جدا، حتى أنه طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع، وأعطاهها صفة الشيء الجديد)^(٢).

أهم دلائل النبوة المحمدية عند الشيخ ناصر الدين دينيه: يحاجج دينيه مناظريه من أصحاب الديانات الأخرى قاصدا أصحاب الكتب المقدسة، في اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم معتمدا على أهم ميزة تميز الأنبياء عن غيرهم وهي:

المعجزات: إن نبي الإسلام هو الوحيد من أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في رسالته على المعجزات وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة التنزيل الحكيم وفي ذلك يقول تعالى: «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون» (الإسراء: ٥٩)، وقد أدرج هذه الحجة ردا على من ينتقصون من مكانة محمد وأحقيقته في النبوة وقولهم باستحالة حقيقة المعجزات ووقوعها أصلا لمخالفتها قواعد التاريخ وأصول علم النفس، وقد نسوا أن محمدا مع عدم اعتماده على مثل هذه المعجزات التي ينكرونها قد جاء بأكبر المعجزات مما هو شاذ في تاريخ الديانات كلها، ومع كل ذلك إلا أنهم يصرون على أن المعجزات التي تسبب إلى محمد ليست من نصوص القرآن، وإنما قد نسبها إليه مؤرخو العصور المتأخرة تقليدا للمعجزات التي تسبب إلى المسيح، فهي ليست من الدين في شيء. وأما تلك الخرافات والمعتقدات الغريبة التي نشاهدها في بلدان الإسلام المختلفة فهي غريبة عن القرآن ودخيلة عن الدين، ولا تتفق مع شيء مما عرف عن النبي ﷺ^(٣).

كما ركز الشيخ ناصر الدين كثيرا خاصة في ما استطعت أن أتوصل عليه من كتبه، عن نقد ورد الصورة التي وُصف بها نبينا ﷺ في كتابات المستشرقين، كما حرص على بذل الجهد في ترسيخ الصورة الحقيقية لرسول الله ﷺ، يقول -رحمه الله-: (إن مستشريقي العصر الحاضر

(١) محمد رسول الله، مصدر سابق، ص ٤٧، ٤٨.

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص ١٧.

(٣) أنظر المصدر السابق، ص ١٨.

قد انتهوا إلى مثل هذه النتيجة فيما يتعلق برسمهم الحديث لصورة الرسول. ويخيل إلينا أنا نسمع محمدا يتحدث في مؤلفاتهم: إما باللهجة الألمانية، وإما باللهجة البريطانية... ولا نتكلم مثله قط -بهذه العقلية والطباع التي أصقت به- ويحدث عربا باللغة العربية^(١).

أما عن حقيقة رسولنا صلى الله عليه وسلم فهي أبلغ مما تصفه العقول (فصورة نبينا الجليلة التي خلفها المنقول الإسلامي: تبدو أجل وأسمى إذا قيست بهذه الصور المصطنعة الضئيلة التي صبغت في ظلال المكاتب بجهد جهيد، ونرجو أن يعرف العلماء ضلالهم، فيعدلوا عن النيل من هذه الصروح المعجزة التي رفعها التاريخ إقرارا بفضل أنبياء العرب... على الإنسانية، فإن أساس هذه الصروح أصلب من أن تخدشه تلك المعاول^(٢))، لهذا فإن كتابه «محمد رسول الله» قد تميز بالأسلوب الشعاري، خاصة في مباحث مثل: معاناة النبي صلى الله عليه وسلم ومجاهدته من أجل إعلاء كلمة الله، وتسامحه وعلو همته، وطيب شمائله عليه الصلاة والسلام.

في ديسمبر ١٩٢٩ بباريس، انتقل -رحمه الله- إلى جوار ربه، وصلى عليه في مسجدها الكبير، ثم نقل جثمانه إلى الجزائر، ودفن ببوسعادة تنفيذا لوصيته.

٢- محمد أسد: قبل اعتناقه الإسلام كان المستشرق اليهودي يدعى ليوبولد فايس ذو أصول ألمانية ولد في قرية ليفوفي شرق جلاسيا التي كانت في ذلك الوقت واقعة تحت حكم المملكة النمساوية المجرية سنة ١٩٠٠م، كانت عائلته ذو مكانة عليا واجتماعية مرموقة، وكان جده لوالده حاخاما، وقد درس بحسب تقاليد الأسرة العلوم الدينية العبرانية بتعمق كبير على أيدي أساتذة خصوصيين. مما أهله للإلمام التام بالعبرية وكذا اللغة الآرامية، الأمر الذي ساعده على إتقان اللغة العربية فيما بعد^(٣).

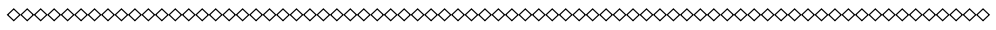
محمد أسد والإسلام: يستهل العالم النمساوي المسلم محمد أسد قصة إسلامه قائلا: (يحق للمسلمين حينما يخاطبهم رجل مهتد أن يعلموا كيف اعتنق ذلك الرجل الإسلام ولماذا اعتنقه)^(٤)، يبدو من هذا التقديم أن لإسلام الشيخ محمد أسد قصة خاصة تجمع بين أطراف النقائص في شخصية فريدة أبت إلا أن يُدون آثار ترقيه لبلوغ الإسلام، حتى يتقفاها غيره من أمثاله من ذوي البصائر المنيرة، ممن لا يطعمون السكينة دون الوصول إلى الحقيقة، ألا وهي نور

(١) محمد رسول الله، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٣) الإسلام والغرب (رؤية محمد أسد)، صفوت مصطفى خليلوفيتش، ترجمة من البوسنية إلى الإنجليزية: محمد باشا نبيجوفيتش، وترجمه من الإنجليزية إلى العربية: هدير أبو النجاة، دار السلام للنشر والتوزيع والطباعة والنشر، القاهرة- الإسكندرية (مصر)، ط١ (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص ١٤، ١٣.

(٤) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد (ليوبولد فايس)، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان (ديسمبر ١٩٨٧م)، ص ١٢.



الإيمان المحمدي. (كان اعتناقي الإسلام بمثابة عبور جسر طويل يربط بين عالمين مختلفين، جسر طويل يجب أن تمر بنقطة اللاعودة فوقه، قبل أن تصل إلى الطرف الآخر، وكنت أعلم تماما أنني إذا اعتنقت الإسلام سوف أقطع كل أوامر الصلة مع العالم الذي نشأت به، فلا يمكن لإنسان أن يستجيب لنداء محمد ويستمر في ارتباطه بعالم تحكمه مفاهيم تناقض هذه المفاهيم بالكلية)^(١)، وبعد رحلة البحث والتحقيق وجد محمد أسد أخيرا جادته وطمأنينته والسكينة النفسية التي لطالما تلهف شوقا لأن يعيشها، والتي لم ينعم بها طول العمر الذي مضى في غير الإسلام (وبعد سنوات عديدة قضيتها في التجوال بين أقطار الشرق الأوسط، أصبحت مسلما في عام ١٩٢٦ م. كل هذا كان يشير إلى أبعد كثيرا من مجرد تكيف خارجي لرجل أوروبي حسب البيئة الإسلامية التي سبق وأن عاش فيها. والحق أنه كان يدل على انتقال واع من صميم القلب من بيئة ثقافية إلى أخرى تختلف تمام الاختلاف)^(٢).

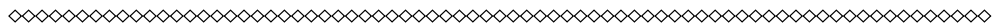
محمد أسد ونبي الإسلام ﷺ: شأنه شأن أي مدون عن رسول الله ﷺ، عندما تتأجج مشاعر المسلم الخالص الصادق وهو يجمع كل ما طاب وعذب من الوصف حتى يجد لنبي الله صلى الله عليه وسلم صورة مقربة من الحقيقة (لقد عرضت اقتراحات كثيرة الإصلاح في اثناء العقود الأخيرة، وحاول كثيرون من الحكماء الروحيين تركيب علاج ناجع لجسم الإسلام المريض، ولكن جهود هؤلاء كلهم كانت إلى الآن عبثا. ذلك لأن جميع أولئك الأطباء الحذاق -أو على الأقل أصحاب الكلمة المسموعة منهم- نسوا أن يضعوا مع هذا العلاج ومع الأدوية المفيدة للصحة ومع أنواع الأكسير، الغذاء الطبيعي الذي تقوم عليه النقاة الأولى للمريض. هذا الغذاء الوحيد الذي يستطيع جسم الإسلام في صحته وسقامه أن يقبل عليه، والذي تتمكن أجهزته من امتصاصه بكل تأكيد هو سنة محمد)^(٣)، كما سعى الشيخ محمد أسد إلى التحسيس بثقل السنة النبوية ومركزيتها في بناء الكيان الإسلامي (لقد كانت السنة مفتاحا لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، فلماذا لا تكون مفتاحا لفهم انحلالنا الحاضر؟... إن العمل بسنة رسول الله هو عمل على حفظ كيان الإسلام... لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وانك اذا أزلت هيكل بناء ما، فيدهشك ان يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟، إن الحقيقة البسيطة التي أجمع على القول بها جميع العلماء في جميع أعصر التاريخ الإسلامي لا تلقى - كما نعلم نحن جيدا- قبولا اليوم لأسباب تتعلق بمؤثرات المدنية الغربية، تلك المؤثرات التي تزداد نموا يوما بعد يوم، إلا أن تلك هي الحقيقة الوحيدة التي يمكننا أن نتقذنا من الفوضى والعار واللذين سببهما انحلالنا الحاضر)^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ١٨.

(٢) الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، ترجمة: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، ص ١٤.

(٣) الإسلام على مفترق الطرق، مصدر سابق، ص ٨٧.

(٤) نفس المصدر، ص ٨٧.



ونختم رؤية الشيخ محمد أسد عندما أرسى قواعد النهضة الإسلامية بجعل السنة النبوية الشريفة منهج حياة في جميع مناحيها الإنسانية حيث (إننا نستعمل هنا كلمة السنة بأوسع معانيها، على أنها المثال الذي أقامه لنا الرسول من أعماله وأقواله. إن حياته العجيبة كانت تمثيلا حيا وتفسيرا لما جاء في القران الكريم، ولا يمكننا أن ننصف القران الكريم بأكثر من أن نتبع الذي قد بلغ الوحي).^(١)

وحتى تكون تغطية معنى العنوان الخاص بهذه المداخلة تاما، فضلنا أن نقوم بمسحة خفيفة على نماذج أخرى أطرت وأجادت في التعبير عن حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك ما جاء في كتاب للأستاذ محمد حلمي الذي وسمه ب: علماء الغرب يدخلون الإسلام، ومنهم نذكر: اللورد هدلي: كاتب وفيلسوف انجليزي. يقول عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: (رسالة محمد رسالة إلهية صادقة لا ريب فيها هدى للمتقين أوحى الله بها إليه، فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة مكملة لكتاب المسيح)^(٢).

أما عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقال: (كان محمدا داعيا إلى الرحمة والعدل والكرم والشجاعة والصبر على المكاره والصدق والأمانة.. وكان غيورا متحمسا، وكانت غيرته وتحمسه لغرض نبيل ومعنى سام)^(٣).

بوسورت سميث: أسقف مسيحي بروتستانتي أمريكي، تخصصه: النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يقول في كتابه «محمد والإسلام»: (إنه من المستحيل لأي شخص درس حياة وشخصية الرسول العربي العظيم، وعرف كيف عاش وكيف تعلم، ألا ينحني احتراما لهذا الرسول المبجل (الموقر) القوى، الذي هو واحد من أعظم رسل الله، ومهما أقل لكم فإنني سأقول أشياء كثيرة معروفة للجميع. ولكن حينما أعيد قراءتها أشعر بمزيد من التقدير والإعجاب، أشعر بمشاعر جديدة من الاحترام والتبجيل لهذا المعلم العربي العظيم)^(٤).

ول ديورانت: فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي، يقول في كتابه قصة الحضارة في العالم: (وإذا حكمنا على العظمة - بما كان للعظيم من أثر في الناس - قلنا إن محمدا كان من أعظم

(١) نفس المصدر، ص ٨٧.

(٢) علماء الغرب يدخلون الإسلام، محمد حلمي، النهضة العربية للصحافة والإعلان مع مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، ط ١ (١٩٩٤)، ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٤) المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، <https://www.iicss.iq/?id=14&sid=56>.

(٥) أنظر المصدر السابق، ص ٢٢.

عظماء التاريخ. فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألفت به دياجير الهمجية وحرارة الجو وجذب الصحراء. وقد نجح في تحقيق هذا الغرض، لم يدانه في ذلك أي مصلح آخر في التاريخ^(١).

يشهد بنبوته وعظمتها العالمية صلى الله عليه وسلم على مر التاريخ الكثير والكثير من علماء ونخب العالم الغربي، سواء من المستشرقين ممن يختصون في الدراسات الشرقية أو العلماء المتخصصون في علوم أخرى.

نستطيع القول كختام لهذين المبحثين أن عددا من المستشرقين قد كرسوا حياتهم وطاقتهم على دراسة العلوم الإسلامية عامة والسيرة النبوية وشخص النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وتبنوا مواضيع الإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم، وبذلوا فيه جهودا ضخمة ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليه، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم ترضوء الشمس منذ قرون، إلى النشر والإذاعة، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين، وقد صدرت لأول مرة -وبفضل جهودهم وهمتهم- مصادر علمية ووثائق تاريخية، لها مكانتها وقيمتها، كما قرّت بها عيون العلماء في الشرق^(٢)، كما توسمت دراسات البعض الآخر بالموضوعية حيث اعترفوا بعدم قدرتهم عن حجب قوة شخصية محمد وتأثيرها ودورها في بناء الإمبراطورية الإسلامية، مع العبقرية الخلافة التي ساهمت مساهمة مركزية في تشييد الحضارة العالمية، طبعاً دون إغفال طائفة بقايا حملة الحقد والعداء المستمرة منذ القرون الوسطى، وتميزها بالكراهية للنبي ﷺ^(٣).

خاتمة : وقد توصلنا في نهاية هذه الورقة البحثية إلى النقاط التالية :

إن أوضح وأقوى دلالة على دعوى النبوة المحمدية الشريفة هي القرآن الكريم، الذي يحتوي على كثير من الأدلة التي تؤكد مصدره الرباني، وخصوصاً إعجازه البلاغي، ونبوءاته المستقبلية منذ نزوله إلى وقتنا الراهن مستمرا في المستقبل، نقصد بالقول الاكتشافات العلمية المتتالية في جميع المجالات.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٢) أنظر الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين، في الموضوعات الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، ص ١٢.

(٣) أنظر دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين ودراسات إسلامية أخرى، حسين أحمد أمين، كتب عربية للنشر والتوزيع، ط ٢ (١٩٨٦)، ص ٦٢، ٦٤.



إفضاء التحامل الإستشراقي في دراسة النبوة المحمدية إلى انصاف نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، مهما اختلفت المنطلقات وتعددت المناهج، وتباينت التيارات. افتراق المستشرقون في تحليلاتهم للسيرة النبوية بين الحاقدين الجاحدين، والموضوعيين المتعاطفين، والمتأثرين المؤمنين.

اتُّسام المستشرقين الحاقدين باستراتيجيات غامضة، لطمس بعض الحقائق أو اختراع القصص، من أجل التخفيف من تأثير معين أو إزالته، أو خلق تأثير معين أو تقويته، ولم يجد أغلبهم ضيرا في التشكيك والتلفيق.

إنكار المستشرقين للوحي الإلهي وبهتانهم عن تعلمه من اليهود والنصارى، بل وأسطرتهم لشخص نبينا محمد ﷺ من أصله، وادعاء الخرافة والقصة الخيالية في سيرته الشريفة، وزعمهم اقتباس الآثار النبوية عن أخبار اليهود في فيافي مكة والمدينة، دون تكلف للخضوع لأصول البحث والتحقيق العلمي.

كان تأثير النبوة المحمدية بالغا على الصعيدين العربي والعالمي، وعلى أعلى المستويات وفي شتى المجالات الديني والاجتماعي والسياسي، بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الإنساني. من أوائل المؤلفين في السيرة المحمدية في القرن العشرين المسلم الغربي المستشرق السابق نصر الدين دينيه، وهذا ان دلُّ عن شيء فإنه يدل على الإقبال والرخم العلمي، والدراسات والبحوث الاستشراقية الجادة المختصة في العلوم الإسلامية عامة، وعن الاهتمام بشخصه ﷺ بصفة خاصة.

من أهم أعمال المستشرقين مساهمتهم في إثراء الزاد العلمي للفكر الإسلامي، ومن أهم هذه المساهمات ما كُتب في النبوة المحمدية، وقد شاركت الكتابات الناقدة في فتح الأبواب أمام الغرب لتوسيع معارفهم الشرقية، وغريلة معلوماتهم المزورة، والتعريف أكثر برسول الله ﷺ.

إعلان الكثير من العلماء الغربيين اقتناعهم بصدق النبي ﷺ في دعواه النبوة، بناء على النظر في الآيات القرآنية التي تنقل حقائق علمية لم تنقرر في حقل العلوم إلا في العصر الحديث، كما قال عبد الله أليسون رئيس قسم الهندسة الإلكترونية بجامعة لندن الذي أعلن إسلامه في ١٩٨٥م: (إن الإسلام كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتضمن حقائق لا تتعارض مع علوم اليوم، وعدد كبير من زملائي، لو فهموا الإسلام لدخلوا فيه).

لقد نبهنا رسولنا الكريم ﷺ إلى أثر البيئة والمجتمع في تشكيل الفرد ووضعه موضع يصعب التحول عنه. حينما قال:

«كل مولود يولد على فطوره يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، إذ ليس المستشرق

سوى مولود تأثر بمحيطه الثقافي المعادي للإسلام. ولم يكلف نفسه عناء التحول عما ورثه عن آباءه من تصور خاطئ، إلا من كتب الله له الهداية فتجرد من براثن الجاهلية ليتنور بنور النبوة المحمدية الشريفة.

يضاف هذا المؤتمر المبارك إلى عديد من المؤتمرات والملتقيات التي تُعنى بالدفاع والنصرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتصحيح الصورة المغلوطة عليه، لأن الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم من حقوقه العظيمة، وهو من مقتضى الإيمان به، ولا يكون ذلك إلا بنهج المنهج النبوي، والاعتماد على القواعد الشرعية المتعلقة بالمصالح والمفاسد، وهذا يحمّل المسلمين خاصة مجتمعات الأقليات منهم، مسؤولية مضاعفة في تجسيد قيم الإسلام وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والبعد عن مظاهر الفوغائية والفوضى التي يحدث منها نتائج عكسية، والانحراف عن تحقق الأهداف المرجوة.

توصيات:

نُشيد بمثل هذه المؤتمرات التي تخدم الإسلام وتحيي السنة والسيره النبوية، وترسخ شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبذلك يكون الحرص قائماً لتذكير العالم بمكانة وقيمة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

الاهتمام بالدراسات والأبحاث العلمية الأكاديمية المختصة في التحقيق والبيان العلميين، والتي تعتمد على الموضوعية والشفافية في تحليلها للوصول إلى نماذج مثالية في الرد عن الخائضين والحاquدين عن الإسلام ونبي الإسلام.

تعد مضمين هذه الأبحاث مادة مركزة، عميقة، منضبطة علمياً وشرعياً، لذا نرجو أن يحرص القائمين على مثل هذه المحافل العلمية العالمية، على تعميمها على جميع المؤسسات العلمية والدعوية والتربوية، عبر الجامعات الإسلامية في شتى أنحاء العالم الإسلامي، ولما لهذه الأبحاث من قيمة كبرى، قيمة ونبل موضوعها، وددنا لو تُرجمت إلى اللغات الحية في العالم، واختيار الأساليب التي بها يخاطب غير المسلمين.

لفت النظر إلى الدور المحوري والمركزي للمرأة المسلمة في غرس محبة الرسول ﷺ، في قلوب الأجيال الصاعدة، وتربيتهم عليها، والحرص على تطبيق السنة في شتى زوايا الحياة الأسرية والاجتماعية بصفة عامة، ليكون تجسيد القدوة من أبلغ أساليب التربية، وبشكل حصانة للأسرة، وعاملاً رئيساً في استقامتها، وتعلقها بالهدي النبوي.

التأكيد على ضرورة وضع ميثاق شرف عالمي يتم اعتباره من منظومة الدول يحمي جناب

الرسول والأنبياء الكرام، ويجرم الإساءة إليهم بأي شكل من الأشكال، ويعد مرجعية قانونية عالمية في هذا الشأن.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العلمية:

الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد (ليوبولد فايس)، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان (ديسمبر ١٩٨٧م).

الإسلام والغرب (رؤية محمد أسد)، صفوت مصطفى خيلوفيتش، ترجمة من البوسنية إلى الإنجليزية: محمد باشا نيجوفيتش، وترجمه من الإنجليزية إلى العربية: هدير أبو النجاة، دار السلام للنشر والتوزيع والطباعة والنشر، القاهرة-الإسكندرية (مصر)، ط١ (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين، في الموضوعات الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣ (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م).

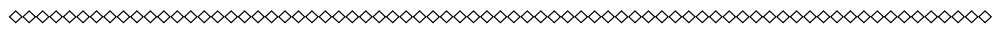
أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين دينيه، المطبعة السلفية بمصر، القاهرة ١٩٢٩.
الخالدون مئة أعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.

الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، سير توماس أرلوند، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، اسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية للنشر والتوزيع لحسن محمد وأولاده، شارع عدلي باشا-القاهرة-، ط١٩٥٧.
دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين ودراسات إسلامية أخرى، حسين أحمد أمين، كتب عربية للنشر والتوزيع، ط٣ (١٩٨٦).

السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين (ت ٥٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (ط٢، ١٢٧٥هـ، ١٩٥٥م).

الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، اميل درمنفهام، ترجمة: عادل زعيتر، الشعاع للنشر والتوزيع، شارع الجزائر (المعادي)، ط٣ (٢٠٠٥).

الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، ترجمة: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين.



علماء الغرب يدخلون الإسلام، محمد حلمي، النهضة العربية للصحافة والإعلان مع مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، ط ١ (١٩٩٤).

القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، بلاشير، نقله إلى العربية: رضا سعادة، حققه الشيخ محمد علي الزعبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

محمد رسول الله، اتيين دينيه، سليمان بن ابراهيم، ترجمة: عبد الحلیم محمود ومحمد عبد الحلیم، دار المعارف، القاهرة، (ط ٣).

موسوعة المستشرقين، عبد الرحمان بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣ (١٩٩٣).

نبوة محمد في الفكر الإستشراقي المعاصر، لخضر شايب، مكتبة العبيكان.
المقالات والمواقع الإلكترونية:

هل وُجد محمد، سامي فسيح، مركز يقين، هل-وُجد-محمد؟ / <http://yaqenn.com> 2019/07/29

موقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki>

AlJazeera Channel، <https://www.youtube.com/watch?v=pPxTFhjeb74>، قناة الجزيرة، 25. 2015. juil.

الإستشراق ومنهجية النقد عند المسلمون المعاصرين، السيد محمد الشاهد، <https://www.hekmah.org/wp-content/uploads/2015/05/الاستشراق-ومنهجية-النقد-عند-المسلمين-المعاصرين.pdf>.

المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، <https://www.iicss.iq/?id=14&sid=56>.



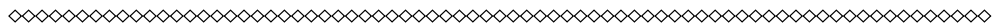
أ. معمر محمد أمين الحاج

ماجستير دراسات اسلامية معاصرة - جامعة القدس - فلسطين
طالب دكتوراة في المعهد العالي لأصول الدين - جامعة الزيتونة - تونس

شهادات عقلاء المعاصرين في الغرب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين محمد ﷺ وبعد ،،، ،
فإن سيرة وشخصية نبينا محمد ﷺ ورسالاته ظلت محل نقاش وجدل بين صناع الفكر
والمنظرين من الفلاسفة والمستشرقين والمؤرخين في الغرب، فمنهم من أدلوا بشهادات ترفع
من مكانة النبي ﷺ البشرية، والقيادية الفذة، والحكيمة الفريدة، فقد أنصف كثير من الغربيين
محمدًا - صلى الله عليه وسلم - وكان هذا الإنصاف ناتجاً عن دراسة موضوعية مستفيضة
لسيرته وحياته ﷺ، وبالمقابل منهم من سعى بكل ما أوتي من قوة وجند كل ما لديه من إمكانات
في تشويه هذه الصورة المشرقة وألصقوا بها كل الصفات المنفرة؛ سعيًا منهم في التقليل
من سرعة انتشار الدين الذي جاء به، ولفت الأنظار عن الجوانب الإيجابية التي تكفلت بإقامة
العدل بين المجتمعات وأزالت الفوارق العرقية والقومية من اللون والجنس واللغة. لذا فإنني
في هذا البحث سأسلط الضوء على صوت العقل والعلم، الذي اتسم بالموضوعية في البحث،
وشهد بالحق رغم أنه يصدر من وسط الظلام، فلم يمنعمهم الضجيج الذي يثيره المستشرقون
والمتعصبون من التحري والبحث والتحقيق من سيرة وهدى نبينا محمد صلوات الله وسلامه
عليه، ثم إن هذه الشهادات لم تصدر من أناس لا وزن لهم؛ بل صدرت من كبار الفلاسفة وصناع
الفكر وكبار البحوث مثل: تولستوي الذي قال بحق النبي ﷺ: يكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقي
والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا رجل أوتي قوة وحكمة وعلماً، ورجل مثله جدير بالاحترام
والإجلال ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك بوصفه للنبي ﷺ بالقدوة حيث تقول الباحثة في
التاريخ والأديان كارين أرمسترنج: في شخصية محمد ﷺ النموذجية، دروس مهمة ليس فقط
للمسلمين، ولكن أيضاً للغربيين... ثم تقول: وكانت حياته حملة لا تكل ضد الطمع والظلم والتكبر.
وقد عدّ الفيلسوف الإنجليزي الشهير توماس كاريل النبي محمد ﷺ في كتابه «الأبطال



وصناعة البطولة» واحداً من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ ورد على المتعصبين من النصراري والملحدين الذين غاظتهم نبوة محمد ﷺ وذهبوا للتقليل من شأنه زاعمين أنه أراد بذلك المفارقة والنشرة ثم أردف قائلاً: (وأيم الله، لقد كانت في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتورد المقلتين، العظيم النفس المملوءة رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمةً وحجى وإربة ونهى، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، كيف لا وتلك نفس سامطة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين)، ثم قال: (واني لأحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع).

فهذا الصوت المتعقل كان يصدر من وسط التنكر والتعرض لشخص النبي ﷺ ومحاولة التقليل من شأنه ومكانته وإنكار نبوته، حيث بلغ حد الإساءة له ﷺ بالوصف بالدجال! فالبابا آينوشانيوس الثالث (١١٩٨ - ١٢١٩م) قال بحق النبي محمد ﷺ: (إنه المسيح الدجال)، فيما وصفه آخرون من المعادين للإسلام بالمتعصب والإرهاب وأنه كان رجل عنف، كالقس الأمريكي بات روبرتسون أحد أقطاب الحزب الجمهوري الأمريكي. وفي المقابل هنالك الكثير من الشهادات بحق النبي محمد ﷺ، التي أنصفت الحقيقة واعترفت بصدق النبوة، وتستحق التحليل والتأمل والنشر والإشارة إليها في الأبحاث، منها شهادة الطيب والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون الذي قال: جمع محمد ﷺ قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول ومباحث حيث تناولت في الفصل الأول: شهادات عقلاء المعاصرين في فضل النبي ﷺ على العالم والإنسانية. وفي المبحث الأول: فضل النبي ﷺ على البشرية، وفي المبحث الثاني: محمد صاحب الخلق العظيم، وفي المبحث الثالث: النبي المعلم. وفي الفصل الثاني: شهادات عقلاء المعاصرين في الغرب في عظمة النبي محمد ﷺ ورحمته وفي المبحث الأول: عظمة النبي محمد ﷺ وفي المبحث الثاني: التسامح والعدل في سيرة النبي ﷺ، وفي المبحث الثالث: النبي الرحمة والمحرو وفي الفصل الثالث: شهادات المستشرقين للنبي ﷺ: وفي المبحث الأول: شهادات بعض المستشرقين بنبوة محمد ﷺ وفي المبحث الثاني: محمد ﷺ المثل الأعلى في الاستقامة والشخصية الخارقة. ومن ثم الخاتمة والخلاصة والتوصيات وأثبتت في آخر البحث قائمة المصادر والمراجع.

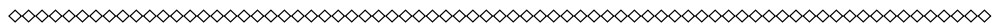
الفصل الاول: فضل النبي محمد ﷺ على العالم والإنسانية.

المبحث الأول: فضل النبي ﷺ على البشرية

من الظلمات إلى النور: لقد أدرك كل من درس سيرة وحياة رسولنا محمد ﷺ ودعوته أنه جاء برسالة الإسلام للناس كافة، يقول المستشرق الامريكي ادوارد رمسي: جاء محمد للعالم برسالة الواحد القهار، ليخرج الناس من الظلمات الى النور فبزغ فجر جديد كان يُرى في الأفق، وفي اليوم الذي أعادت فيه يد المصلح العظيم محمد ما فقد من العدل والحرية أتى الوحي من عند الله إلى رسول كريم، فتحت حججه العقلية السيدة أعين أمة جاهلة، فانتبه العرب وتحققوا أنهم كانوا نائمين في أحضان العبودية.

النور يشرق في أوروبا: ويقول الفيلسوف والكاتب الإنجليزي المعروف برنارد شو: «إن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد، وبدأت تعيش دينه، كما أنها ستُبْرئ العقيدة الإسلامية مما اتهمها بها من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى»، ويضيف قائلاً: «ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول: إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة، وإنني أعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم، لثم له النجاح في حكمه، وقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة»، أما المؤرخ الأوروبي روبرت بريغال، فقد ذهب إلى ما هو أبعد حيث أقر أن النور الذي أضاء ظلمات أوروبا كان بفضل رسالة ﷺ فيقول: «إن النور الذي أشعلت منه الحضارة في عالمنا الغربي لم تشرق جذوته من الثقافة اليونانية الرومانية التي استخفت بين خرائب أوروبا، ولا من البحر الميت على البوسفور (يعني بيزنطة)، وإنما بزغ من المسلمين، ولم تكن إيطاليا مهد الحياة في أوروبا الجديدة، بل الأندلس الإسلامية»، ثم يقول: «هذه الحقيقة التاريخية لا يمكن للغرب إنكارها مهما أوغل في التعصب، واستخف به العناد. إن دين أوروبا لمحمد رسول الإسلام غريب ألا يجد محل الصدارة في نسق التاريخ المسيحي» .

المبحث الثاني: محمد صاحب الخلق العظيم: لقد كان رسول الله ﷺ أسوة حسنة ومثالاً يحتذى في كل شيء، ويكفيه شرفاً أن الله تعالى شهد له بعظمة خلقه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ٤) وهذه الشهادة الكبرى من الله تعالى في حق نبيه ﷺ دليل على أن أخلاقه ﷺ كانت أخلاق النبوة، وقد انبهر بأخلاقه الكثيرون ممن عاصروه وعرفوا سيرته فقال عنه ملك عُمان «الجلندي: لما عرف خصاله: والله لقد دنني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول أخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يَغلب فلا يبطر ويَغلب فلا يضجر



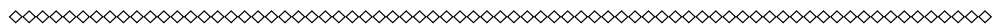
ويُفي بالعهد وينجز الموعد، وأشهد أنه نبي» فقد كانت أخلاقه ﷺ محط إعجاب كثير من غير المسلمين، قال عنه الشاعر الألماني «جوته»: بحثت في التاريخ عن مثل أعلا لهذا الانسان، فوجدته في النبي العربي محمد ﷺ وكذا المستشرق البريطاني وليم موير يتناول سجايا الرسول وشمائله ولين عريكته وتعامله مع الصغير والكبير ويصف حياته ﷺ قائلاً: كانت السهولة صورة من حياته كلها، وكان الذوق والأدب من أظهر صفاته في معاملته لأقل تابعيه.

التواضع ولين العريكة: فالتواضع والشفقة والصبر والإيثار، والوجود صفات ملازمة لشخصه، وجالبة لمحبة جميع من حوله، فلم يعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأنًا، ولا هدية مهما صغرت، وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه، ولا شعر أحد عنده أنه لا يخصه بإقبال وإن كان حقيراً، وإذا جلس مع أحد أياً كان لم يرفع نحوه ركبته تشامخاً وكبراً، وكان سهلاً لين العريكة مع الأطفال، لا يأنف إذا مر بطائفة منهم يلعبون أن يقرئهم السلام، وكان يشرك غيره في طعامه... وكان في أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس، وهو دائم التفكير في راحة من حوله وهناءتهم أما العالم الأمريكي مايكل هارت فهو يردُّ نجاح النبي ﷺ في نشر دعوته، وسرعة انتشار الإسلام في الأرض، إلى سماحة هذا الدين وعظمة أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي اختاره على رأس مائة شخصية من الشخصيات التي تركت بصماتها بارزة في تاريخ البشرية.

الخالدون مائة: ويقول هارت: «لقد اخترت محمداً ﷺ في أول هذه القائمة ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار، ولكن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً في المجالين الديني والدينيوي، وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينيّاً». وكذا فإن المفكر البريطاني لين بول ذهب إلى ذلك فيقول: «إن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات؛ كاللطف والشجاعة وكرم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تطبعه هذه الصفات في نفسه، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً من غير ميل أو هوى، كيف لا؟! وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته سنوات بصبر وجلد عظيمين... وأنه لم يمر بجماعة يوماً من الأيام دون أن يسلم عليهم وعلى شفثيه ابتساماً حلوة وبنغمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعيها وتجذب قلوبهم إليه جذباً»

المبحث الثالث: النبي المعلم:

لقد وصف الله تعالى نبيه ﷺ بأنه القدوة الحسنة والمعلم فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب (٢١) وإن صفحات السيرة النبوية مليئة بالمواقف والمشاهد التي تدل على ذلك منها أنه أخبر به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقوله: «إن



اللَّهِ لَمْ يَبْعَثْنِي مَعْتَباً وَلَا مَتَعْتَباً وَلَكِنْ بَعَثْنِي مُعَلِّماً مُبْسِراً»، وقد روى الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، قال: «بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وأكل أميأه؟ ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ دعاني، فبأبي وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن. ويقول الفيلسوف الفرنسي (وولتر):

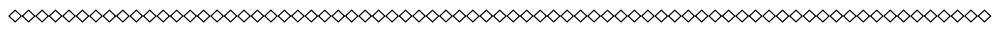
«إن السنن التي أتى بها النبي محمد كانت كلها قاهرة للنفس ومهذبة لها، وجمالها جلب للدين المحمدي غاية الإعجاب ومنتهى الإجلال، ولهذا أسلمت شعوب عديدة من أمم الأرض، حتى زنوج أواسط إفريقيا، وسكان جزر المحيط الهندي».

الإصلاح من النبوة: وقد أكد على هذا المعنى الجليل الأديب الروسي تولستوي بقوله: «لا ريب أن النبي محمداً ﷺ من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام، وتكف عن سفك الدماء وفتح لها طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا رجل أوتي إرادة وحكمة وعلماً، إن رجلاً مثله جدير بالاحترام» ويضيف ويليام فيبس: «وحتى لا يُعتقد أن أحداً من النصارى لم يذكر محمداً ﷺ بأي خير فإن تيموتاوس النسطوري المسيحي، أسقف الكنيسة الآشورية في القرن الثامن قال: «محمد حقٌ لكل تقدير وتكريم، محمد سلك طريق الأنبياء؛ لأنه علم الناس الوحدةانية، ودلهم على الأعمال الصالحة، وحارب الشرك وعبادة الأوثان، لقد دلَّ محمد ﷺ أتباعه على الله، وقد أظهر محمد ﷺ حماسة في محاربة الشرك بسيفه، وهو كإبراهيم - عليه السلام - فقد سما بقومه ورفعهم عن عبادة الأصنام»

الفصل الثاني: عظمة النبي محمد ﷺ ورحمته

المبحث الأول: عظمة النبي محمد ﷺ:

إن عظمة الرسول ﷺ تكمن في أنه كان حامل رسالة سماوية، تهدف أساساً إلى إصلاح حياة البشرية عامة، فلم يأت هذا الوصف انحيازاً للنبي - صلى الله عليه وسلم - بل إن الله تعالى امتدحه به فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يقول الفيلسوف الفرنسي «غوستاف لوبون»: إذا ما قيسست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد أعظم من عرفهم التاريخ. وقد: «جمع محمد ﷺ قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد،



فكانت في ذلك آيته الكبرى... ومما لا ريب فيه أن محمدًا ﷺ أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيماً، فرسول كهذا جدير باتباع رسالته والمبادرة إلى اعتناق دعوته، إذ إنها دعوة شريفة قوامها معرفة الخالق والحض على الخير، بل كل ما جاء فيها يرمي إلى الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، وهو الذي أدعوا إليه جميع النصارى.

عظماء التاريخ: وقد خصص الفيلسوف الشهير توماس كاريل في كتابه «الأبطال» فصلاً لنبي الإسلام بعنوان «البطل في صورة رسول محمد بن عبد الله» حيث عدَّ النبي ﷺ من العظماء الذي أنجبهم التاريخ وهذا ما أكد عليه البروفيسور جاك ريسلر بقوله: «وعليه فقد أمَّن محمد على مدى أجيال وأجيال تفوق الشعب العربي حين أمده بدين فائق ببساطته ووضوحه، وزوده بتوحيد صارم في مواجهة التردد الدائم في الضمائر، وإذا أخذنا بالاعتبار أن هذا المشروع الضخم قد جرى تصويره وإنجازه في أقصر فترة من فترات أي وجود بشري، فعندها لا بد لنا من الاعتراف بأن النبي يعد في عداد أعظم الرجال الذين يمثلون تاريخ الشعوب والأديان». وقد وصف الزعيم الهندي المهاتما غاندي النبي ﷺ بأنه امتلك قلوب الملايين من البشر وقال: لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع ثقته المطلقة في ربه ورسالته، فبعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة.

العدالة المتأصلة: وقد وصفه المستشرق الإنجليزي وهو يعد دراسة عن حياة محمد: إنه يأمل أن تساعد على إثارة الاهتمام من جديد برجل هو أعظم رجال أبناء آدم، وإن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدياً وقائداً لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه وكان المستشرق الإنجليزي بوسورث سميت قال بحقه ﷺ لقد كان محمد قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد، وإذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها .

العبقرية المطلقة:

فإذا كانت عظمة المقصد وضالة العدة وضخامة النتيجة، هي مقاييس عبقرية الإنسان الثلاثة، فمن يجرؤ أن يقارن - على الصعيد الإنساني - أي عظيم من عظماء التاريخ الحديث

بمحمد؟! ثم قال: أما محمد فإنه قلقل جيوشاً وتشريعات، وزرع ممالك، وهز شعوباً وعروشاً، بل إنه هز فوق ذلك معابد وآلهة وأدياناً وأفكاراً ومعتقدات وأرواحاً وأردف بالقول: ومهما تكن المعايير التي نقيس بها العظمة الإنسانية فإننا نتساءل: أي إنسان كان أعظم منه؟ وعن فضل النبي ﷺ وعظمته تحدثت الدكتورة زيجرد هونكة الألمانية قائلة: «إن محمد والإسلام شمس الله على الغرب. فإن كان ذلك كذلك فإن من واجب العالم كله - ولا محيص لهم عن ذلك - أن يجعل عظمة محمد ﷺ في الخلق جميعاً فوق كل عظمة، وفضله فوق كل فضل، وتقديره أكبر من كل تقدير. أما العالم الكبير ويل ديورانت صاحب الكتاب المشهور عن «تاريخ الحضارة» فقد ربط العظمة بما ينتج عما قدمه صاحبها من نفع وخير وإصلاح للبشرية. وبذلك فإنه ينم إلى قافلة الذين شهدوا لنبينا ﷺ بأنه أعظم عظماء التاريخ فيقول: «إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمداً ﷺ كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب أُلقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنساناً غيره حقق ما كان يحلم به.»

المبحث الثاني: التسامح والعدل في سيرة النبي ﷺ

لم يكن التسامح وصفاً طارئاً في سيرة نبينا ﷺ بل كان منهجاً وتربيةً وسلوكاً دعا إليه ومارسه في حياته، وذلك عملاً بمضمون الرسالة التي جاء بها بقوله ﷺ: «لا تحسبوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً» وهدى كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فصلت (٢٤)

دولة العدل: فقد كان النبي ﷺ أعظم من أقام دولة العدل والتسامح حيث يقول الكاتب والأديب البريطاني المعروف هربرت جورج ولز (١٨٦٦ - ١٩٤٦): هذا وليس عدلاً أن نتخذ الغلو لنا رائداً، فمن الناحية الأخرى هل تراك علمت قط أن رجلاً على غير كريم السجاي مستطيع أن يتخذك صديقاً؟ ذلك أن من عرفوا محمداً ﷺ أكثر من غيرهم، كانوا أشد الناس إيماناً به. وقد آمنت به خديجة - رضي الله عنها - كل حياته على أنها ربما كانت زوجة محبة. فأبو بكر - رضي الله عنه - شاهد أفضل وهو لم يتردد قط في إخلاصه. كان يؤمن بالنبي ﷺ، وكذلك علي - رضي الله عنه - فإنه خاطر بحياته من أجل النبي ﷺ في أحلك أيامه، لم يكن النبي دجالاً بأية حال، وقد «حج محمد ﷺ حجة الوداع من المدينة إلى مكة، قبل وفاته بعام، وعند ذلك ألقى على شعبه موعظة عظيمة.. إن أول فقرة فيها تجرف أمامها كل ما بين المسلمين من نهب وسلب ومن ثارات

ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلاً للخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها.

التسامح وحسن المعاملة: «لقد منح العرب العالم ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم، أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي فهو محمد ﷺ. وعقد المستشرق الفرنسي لويس ميشون مقارنة بين تسامح الإسلام وتعصب الصليبيين، في كتابه: «تاريخ الحروب الصليبية»: «إن الإسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وهو الذي أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب وحرم قتل الرهبان -على الخصوص- لعكوفهم على العبادات ولم يمس عمر بن الخطاب النصراني بسوء حين فتح القدس.. وقد ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود عندما دخلوها». ويزيد الباحث نفسه في كتابه، «سياحة دينية في الشرق»، متحدثاً عن تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، وكيف أن المسيحيين تعلموا الكثير من المسلمين في التسامح وحسن المعاملة، يقول: «وإنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التعامل وفضائل حسن المعاملة، وهما أقدم قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم، كل ذلك بفضل تعاليم نبيهم محمد».

المبحث الثالث: النبي الرحمة والمحرم

تحرير الإنسان من العبودية: لقد توقف الكثير من المفكرين والفلاسفة الغربيين عند جوهر رسالة الإسلام التي جاءت لتحرر الإنسان من عبودية الإنسان، وتحرر العقول من الأساطير والشرك والفضى التي سادت قبل مجيء الإسلام، وهي لا شك رسالة رحمة للبشرية جمعاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء (١٠٧) ومن لطائف الرحمة التي اختص الله تعالى بها نبيه ﷺ ما ذكره ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبئلى به سائر الأمم من الخسف والقذف، يقول المستشرق الأمريكي الكبير واشنجتون إرفنج: «كانت تصرفات الرسول ﷺ في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل، لا على أنه قائد مظفر.

نبي الرحمة: فقد أبدى رحمةً وشفقةً على مواطنيه، برغم أنه أصبح في مركز قوِّي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعضو ثم يقول: وهكذا جعل الرسول ﷺ القداسة بالرحمة وكظم

الغيظ، وقد سار على ذلك خلفاؤه في فتح البلدان حيث كان الاتجاه راجحاً لكل مغفرة وهو ما ذهب إليه رئيس الوزراء الهندي الأسبق جواهر لال نهرو بقوله: «وكان للدين الذي بشر به محمد بما فيه من سهولة وصراحة وإخاء ومساواة- تجاوب لدى عامة الناس في البلدان المجاورة؛ ممن حطمهم وطحنهم الملوك المستبدون والقساوسة المتعطرسون المستبدون أيضاً، فالناس في عصر محمد كان قد أنهكهم النظام القديم وذاقوا ذرعا به، حتى باتوا مستعدين لتقبل أي تغيير، وقد أهدى الإسلام إليهم هذا التغيير الذي تلقوه مرحبين به، ذلك لأنه ارتقى بهم من نواح عدة، ووضع نهاية لكثير من المفاسد والشور القديمة»

علو الهمة ووضوح الهدف: ويقول الفيلسوف والشاعر الفرنسي دي لا مارتين: «فما من إنسان البتة رسم لنفسه إدراك هدف أسنى مما نوى هو أن يبلغ، إذ كان هدفاً يفوق طاقة البشر يتمثل في نفس المعتقدات الزائفة التي تقف بين المخلوق والخالق، وإرجاع الله للإنسان وإرجاع الإنسان لله، وبعث فكرة الألوهية المجردة المقدسة في خضم فوضى الآلهة المادية المشوهة آلهة الوثنية» «إن ثبات محمد وبقاءه ثلاثة عشر عاماً يدعو دعوته في وسط أعدائه في قلب مكة ونواحيها، ومجامع أهلها، وإن شهامته وجرأته وصبره فيما لقيه من عبدة الأوثان، وإن حميته في نشر رسالته، وإن حروبه التي كان جيشه فيما أقل من جيش عدوه، وإن تطلعه في إعلاء الكلمة، وتأسيس العقيدة الصحيحة لا إلى فتح الدول وإنشاء الإمبراطورية، كل ذلك أدلة على أن محمداً كان وراءه يقين في قلبه وعقيدة صادقة، تحرر الإنسانية من الظلم والهوان، وإن هذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة حطمت آلهة كاذبة، ونكست معبودات باطلة، وفتحت طريقاً جديداً للفكر في أحوال الناس، ومهدت سبيلاً للنظر في شؤونهم، فهو فاتح أقطار الفكر، ورائد الإنسان إلى العقل، وناشر العقائد المحررة للإنسان ومؤسس دين لا وثنية فيه»، كما ينبغي أن نذكر -آخر الأمر- أنه بدأ- في شجاعة- في تحرير المرأة وفي إكسابها كرامتها من خلال إقرار تساويها بالرجل في الروح وفي خلود المصير، وذلك حينما قبل أن تكون من أتباعه ومن خلال تحريم وأدها عند الولادة كما كانت عليه عادة العرب وأوصى بتكريمها بنتاً وأماً وزوجة .

الفصل الثالث: شهادات المستشرقين للنبي ﷺ:

المبحث الأول: شهادات بعض المستشرقين بنبوة وصدق محمد ﷺ:

مشكاة الأنبياء: يقول الباحث الإنجليزي لايتنر lightner: «بقدر ما أعرف من ديني اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد ﷺ ليس اقتباساً بل قد (أوحى إليه به)، ولا ريب بذلك طالما

نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية المصالح الذاتية، وأمانة المقصد، والإيمان القلوب الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائل لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد ﷺ وأنه قد أوحى إليه، ويرد فائلاً: «إن الديانة النصرانية التي ودّ محمد ﷺ إعادتها لأصلها النقي كما بشر بها المسيح - عليه السلام - تخالف التعاليم السرية التي أذاعها بولس والأغلاط الفظيعة التي أدخلها عليها شيع النصارى»، مرة أوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ وحيّاً شديداً المؤاخذاً لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذلك الوحي، فلو كان ﷺ كما يقول أغبياء النصارى بحقه لما كان لذلك الوحي من وجود. ثم يذهب إلى وصف المسيحي المعترف بنبوة محمد بأنه المسيحي الصادق.. «إني لأجهر برجائي بمجيء اليوم الذي به يحترم النصارى المسيح - عليه السلام - احتراماً عظيماً وذلك باحترامهم محمداً ﷺ، ولا ريب في أن المسيحي المعترف برسالة محمد ﷺ وبالحق الذي جاء به هو المسيحي الصادق». أما المستشرق السويسري إدوار مونتيه يشهد بنبوة محمد ﷺ مستلهما عبارة النجاشي عندما قال لوفد قريش بزعامة عمرو بن العاص تعليقاً على ما بينه جعفر بن أبي طالب عن الدين الذي جاء به نبينا ﷺ إن الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام والدين الذي جاء به محمد ﷺ ليخرجان من مشكاة واحدة فيقول: «كان محمد نبياً بالمعنى الذي كان يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية، وأخذ يسعى لانتشال قومه من ديانة جافة لا اعتبار لها بالمرة، وليخرجهم من حالة الأخلاق المنحطة كل الانحطاط، ولا يمكن أن يشك لا في إخلاصه، ولا في الحمية الدينية التي كان قلبه مفعماً بها»

معجزة الدين الخالد: الكاتب الإنجليزي المعروف توماس كارلايل في كتابه الأبطال يشير إلى أن المنطق العقلي يؤكد صدق نبوة محمد ﷺ، باستقراء ديمومة الدين الذي جاء به ودعا إليه فيقول: .. هل رأيت قط.. أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجباً.. إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب، فهو إذا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه بيتاً وإنما هو تل من الأنقاض وكثير من أخلاط المواد، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم كأنه لم يكن.

المبحث الثاني: محمد ﷺ المثل الأعلى في الاستقامة والعطاء

محمد المثل الأعلى للإنسان: في الحديث عن القدوة الحسنة والمثل الأعلى فإننا نوقن يقيناً قاطعاً أن النبي محمد ﷺ هو صاحب هذه المكانة والأجدر بهذه الصفة، كما يقول الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون: «استطاع محمد ﷺ أن يبدع مثلاً عالياً قوياً للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد ﷺ على الخصوص.. ولم يتردد



أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى . وسبق أن نقلت ما قاله الشاعر الألماني «جوته»: بحث في التاريخ عن مثل أعلا لهذا الانسان، فوجدته في النبي العربي محمد ﷺ وكذا فإن المؤرخ الفرنسي هنري دي كان أول أوروبي أنصف النبي محمداً ﷺ بصدق إيمانه برسالته وإخلاصه قائلاً: «لا يمكن أن ننكر على محمد ﷺ في الدور الأول «العهد المكي» من حياته كمال إيمانه وإخلاص صدقه، فأما الإيمان فلن يتزعزع مثقال ذرة من قلبه في الدور الثاني «العهد المدني» وما أوتيته من نصر كان من شأنه أن يقويه على الإيمان لولا أن الاعتقاد كله قد بلغ منه مبلغاً لا محل للزيادة فيه.. وما كان يميل إلى الزخارف ولم يكن شحيحاً.. وكان قنوعاً خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير مرة في حياته.. تجرد من الطمع وتمكن من نوال المقام الأعلى في بلاد العرب، ولكنه لم يجنح إلى الاستبداد فيها، فلم يكن له حاشية ولم يتخذ وزيراً ولا حشماً». ومن ثم جاء الأديب الإيرلندي والكاتب المسرحي برناردشو ليقول: «إن المثل الأعلى للشخصية الدينية عنده هو محمد ﷺ، فيتمثل في النبي العربي تلك الحماسة الدينية، وذلك الجهاد في سبيل التحرر من السلطة، وهو يرى أن خير ما في حياة النبي أنه لم يدع سلطة دينية سخرها في مأرب ديني، ولم يحاول أن يسيطر على قول المؤمنين، ولا أن يحول بين المؤمن وربّه، ولم يفرض على المسلمين أن يتخذوه وسيلة لله تعالى»، والمستشرق الفرنسي لويس سيديو يقول: «لقد حلّ الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من أسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون. ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد ﷺ.. لم يعد محمد ﷺ نفسه غير خاتم لأنبياء الله -عليهم السلام- وهو قد أعلن أن عيسى بن مريم كان ذا موهبة في الإتيان بالمعجزات، مع أن محمداً ﷺ لم يعط مثل هذه الموهبة، وما أكثر ما كان يعترض محتجاً على بعض ما يعزوه إليه أشد أتباعه حماسة من الأعمال الخارقة للعادة!.

الخاتمة :

وهكذا نرى أن محمداً ﷺ أنموذج الإنسانية الكاملة، وملتقى الأخلاق الفاضلة، وحامل لواء الدعوة العالمية الشاملة، أعطاه ربّه وأكرمه، وأعلى قدره ورفع ذكره، ووعدّه بالمزيد حتى يرضى، ولأه قبلة يرضاهما، من أطاعه فقد أطاع الله، ومن بايعه فإنما يبايع الله، لا قدر لأحد من البشر يداني قدره، صفوة خلق الله، وأكرم الأكرمين على الله.

ومع حبّ المسلمين لنبيهم ﷺ وتعظيمهم له وتوقيرهم لجنابه، فإن عقيدتهم فيه أنه بشر وعبد الله ورسوله، عبداً لا يعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويحبّ ويوقر ويتبع، شرفه الله بالعبودية والرسالة. ولقد علمنا ربنا موقع نبينا منّا فقال عز شأنه ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب (٦)).

وإن هذا العمل هو جهد بشري لا يخلو أن يعتره نقص أو خطأ فإن أصبت فمن الله تعالى
وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

الخلاصة:

في خلاصة هذا البحث أجد أنه من المهم الإشارة إلى أمرين:

- إن هذه الشهادات على أهميتها؛ فإنها لا تزيد من شأن نبينا محمد < شيئاً، ولكنها
تقيم الحجة على المخالفين بما يقوله شرفاؤهم وكبراؤهم؛ ليعلموا كذب ما يروّجه الحاقدون
المغرضون من أهل ملّتهم من افتراءات على شخص الحبيب محمد ﷺ، وإن ما نقلته هنا من
أقوال المنصفين من غير المسلمين بألفاظهم وعباراتهم التي خرجت بما يتناسب مع موروثهم
الثقافي والديني والفكري، قد لا تتفق مع بعض التعبيرات والألفاظ أو الأوصاف، لكن نقلها من
باب الأمانة العلمية .

- ثم لا بد من الإشارة إلى ملحوظة هي غاية في الأهمية، لقد تبين لمتبعي الحركة
الاستشراقية أن الهدف الأساس للعاملين فيه من الغربيين هو إنكار رسالة الاسلام، والتكذيب
لرسول ﷺ، وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن ورسالة النبي ﷺ، لتشكيك المسلمين
ومحاولة ردهم عنه بمختلف الوسائل، وقد عرف الغربيون أن أتباع القرآن والمؤمنين به يشكلون
الخطر الحقيقي على المصالح الغربية في كل زمان ومكان، فكان الاستشراق أول المتطوعين
لصد الخطر الذي يزعمون، وكان لا بد من الوقوف الجاد ضد القرآن الكريم وسنة النبي محمد
ﷺ، بشتى الوسائل. ورغم ذلك فإن هذه الجيوش التي وجهت لدراسة التاريخ الإسلامي، وسيرة
النبي ﷺ، لم يجدوا بداً من اعترافهم بالصدمة التي أصابتهم باطلاعهم على تاريخ أعظم أمة
وسيرة أعظم من أنجبت البشرية في إنسانيته ورحمته وخلقته وتواضعه وفضله، وحرصه على
إقامة دولة الحق والعدل ومحاربة الشرك والاستبداد... وهو الذي اصطفاه الله تعالى لحمل رسالة
الإسلام إلى البشرية، وجاء ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية وجور الحكام والأديان إلى عدل
الإسلام، فجاءت بعض هذه الشهادات، ممن تخلوا عن عصبيتهم وكراهيتهم لنبي الإسلام،
واستجابوا لصوت العقل والضمير، والفطرة التي لمعت في نفوسهم بأن محمداً ﷺ، لم يكن
مجرد إنسان عادي يطمح في ثروة أو جاه أو سلطان ولم يكن مجرد مصلح اجتماعي ولا مفكر
أو فيلسوف ولم يكن مجرد عبقرى أو قائد فذ بل؛ إنه جمع كل هذه الصفات إلى جانب كونه نبي
مرسل يوحي إليه من الله تعالى.

فإن هذا بعضاً مما اطلعت عليه من شهادات هذه الثلة من كبار الفلاسفة والمفكرين
والأدباء والمؤرخين والعقلاء في الغرب، الذين شهدوا بالحق وأنصفوا نبينا محمداً ﷺ، ولم

تكن هذه الشهادات سوى نوراً على نور، بحق هذا النبي، اصطفاه الله تعالى ليكون رحمة للعالمين والسراج المنير، الذي أنقذ الله تعالى به البشرية من وحل الجاهلية والانحطاط والاستعباد، ولذا فإن كل منصف يتتبع دعوة النبي ﷺ وسيرته الشريفة يدرك عظم الرسالة والغاية التي بعثه الله تعالى من أجلها، فحيثما دقت النظر في سيرته، يظهر لك عظيم خلقه وتواضعه وإنسانيته ورأفته بالناس وحبه لأصحابه وحرصه على أمته وأتباعه، وأنه لم يطمع في شيء من الدنيا، وقد أشاد لأمته صرح العلم والأخلاق، ووضع لهم منهاجاً ونظاماً ربانياً يحقق لهم العزة والسعادة في الدنيا والآخرة، ويمنحهم حق المسؤولية عن الدعوة إلى الله، ولم يجعل النبوة ميراثاً مادياً ولا منصباً ولا جاهاً؛ بل إيماناً وخضوعاً لأمر الله تعالى، ونفعاً لعباد الله، وجعل الناس سواسية لا فرق لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

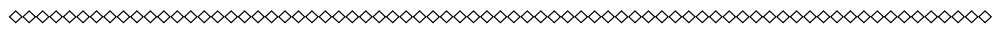
التوصيات:

- بعد هذا الجهد المتواضع في البحث فيما شهد به عقلاء المعاصرين في الغرب بحق سيد البشرية محمد ﷺ فإنني أقدم لإدارة المؤتمر والقراء بهذه التوصيات:
- ١- ضرورة العمل على نشر سيرة نبينا محمد ﷺ الطاهرة الشريفة، وتحقيقها.
 - ٢- أهمية التمسك بسنة النبي ﷺ والعمل بها وإحيائها.
 - ٣- أن نحث أبناء المسلمين على التأسي بالحبیب محمد ﷺ في أقواله وأفعاله.
 - ٤- علينا أن نبين للآخر محاسن الدين والقيم التي أرساها نبينا محمد ﷺ في سبيل كرامة الإنسان.
 - ٥- أهمية تسليط الضوء على هذه الشهادات والأقوال التي تتصف نبي الإسلام ﷺ ونشرها.
 - ٦- عقد المؤتمرات والندوات ونشر الأبحاث التي تركز على إبراز دلالات نبوة محمد ﷺ، وترجمتها.
 - ٧- تسخير وسائل الإعلام الحديث ووسائل التواصل للتعريف بدعوة النبي ﷺ وسيرته بلغات العالم.
 - ٨- إعداد سلسلة وثائقية بلغات متعددة تبرز الجوانب المشرقة في سيرة النبي ﷺ وتعرف الآخر بنبي الإسلام.
 - ٩- دحض الشبهات التي تثار حول الرسول ﷺ وطريقة نشر الإسلام وبعض الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية.
 - ١٠- إنشاء مركز عالمي إسلامي لتحقيق السيرة النبوية والعمل على تقديمها بقالب حداثي.

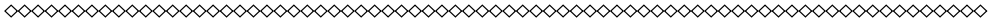
١١- إبراز الجوانب الإنسانية في سيرة النبي ﷺ التي تشغل الواقع المعاصر ك (نصره المظلوم، وحرمة النفس، حقوق الإنسان، ازالة الفوارق بين الأجناس وحقوق المرأة وتكريمها، العدل، محاربة الفساد، تحريم ما يضر النفس والغير والعنصرية والاستبداد..)

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) دار ابن حزم، ط١/ ٢٠٠٠م/ طبعة منقحة.
- صحيح الإمام البخاري
- صحيح الإمام مسلم
- ١- ألفونس دي لامارتن، مختارات من كتاب حياة محمد، ترجمة د.محمد قوبعة، مراجعة واختيار د. أحمد درويش، الكويت ٢٠٠٦
- ٢- توماس كارلايل، الأبطال، ترجمة محد السباعي، دار الكتاب العربي.
- ٣- جاك ريسلر، الحضارة العربية، تعريب الدكتور خليل أحمد خليل، ط ١، ١٩٩٣، منشورات عويدات بيروت - باريس.
- ٤- جوستاف لوبون، حضارة العرب في الأندلس. الهيئة المصرية العامة للكتاب، (first published 1884)
- ٥- الدكتور راغب السرجاني، أسوة للعالمين. ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، أفلام للنشر والتوزيع والترجمة ٢٠١١.
- ٦- الدكتور راغب السرجاني، ، الرحمة في حياة الرسول ﷺ، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠-٢٠٠٩.
- ٧- سعيد حوى، الرسول ﷺ. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
- ٨- سميث، بوسورت، محمد والمحمدية.
- ٩- الدكتور شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، دار الفكر المعاصر - لبنان - بيروت، ١٩٩٨م.
- ١٠- صفى الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم، ط٤ ، دار الوفا للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة
- ١١- عفيف عبد الفتاح طيارة، روح الدين الإسلامي.



- ١٢- م.م عصام فخري برتو، الرسول الكريم في كتابات المستشرقين، مجلة دراسات استشرافية العدد الخامس ٢٠١٥.
- ١٣- كارين أرمسترنج، محمد ﷺ نبي لزماننا، ترجمة فاتن الزلياني، ط ١، ٢٠٠٨م مكتبة الشروق الدولية.
- ١٤- مايكل هارت، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله، أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.
- ١٥- د. محمد السقا عيد، عظمة النبي محمد ﷺ في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة،
- ١٦- نهرو، جواهر لال، لمحات من تاريخ العالم مختارات، ترجمة عبد العزيز عتيق، ط دار المعارف بمصر.
- ١٧- هونكه زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب. دار صادر بيروت
- ١٨- واشنجتون ارفنج، محمد وخلفاؤه، ترجمة ومقارنة د. هاني يحيى مصري، ط ١ ١٩٩٩، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء.
- ١٩- ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، عصر الايمان، ج ٢، م ٤، ترجمة محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.



«وشهد شاهد من أهلها» شهادة حق في محمد عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق

ملخص بحث:

«وشهد شاهد من أهلها» شهادة حق في محمد عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق. صدق الله العظيم الذي قال في محكم تنزيهه: (وشهد شاهد من أهلها) فأهلها ليسوا سواء، فلا مشكلة بين الاسلام وبين الانسان الغربي أو العلم الغربي، وإنما المشكلة مع مؤسسات الهيمنة الغربية السياسية والكنيسية والاعلامية ففي مشروع هذه الهيمنة بدأ الافتراء على الاسلام منذ ظهوره، وهذا البحث يقدم لنا شهادات غربية على تجذر وبهتان الافتراءات الغربية على الاسلام، وشهادات غربية لعلماء وفلاسفة ينصفون فيها الاسلام ونبي الأمة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وشواهد حية لمن اهتدى قلبه للاسلام حديثا، وكيف كانت مسيرته نحو الاسلام، وشهاداته الحية عن النبي عليه الاسلام، وهي عبارة عن وثائق الانصاف الغربي لعظمة الاسلام.

Research Summary:

And a witness from her family bore witness to the truth about Muhammad, peace be upon him, the best of creation.

God Almighty spoke the truth, who said in the decisive revelation: (And a witness from her family witnessed) her people are not the same, so there is no problem between Islam and the Western person or Western science, but the problem is with the institutions of Western political, ecclesiastical and media hegemony. This research presents us with Western testimonies on the rooting and slander of Western slander against Islam, Western testimonies of scholars and philosophers in which they do justice to Islam and the nation's Prophet Muhammad, upon him be the best prayer and the most complete surrender, and living evidence for those whose heart was recently converted to Islam, and how was his path towards Islam, and his living testimonies about the Prophet upon him Islam, which are documents of Western fairness to the greatness of Islam.

المقدمة

﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾ سورة الفتح آية ٣

لقد وعد الله محمداً بأن ينصره ويؤيده ويرفع شأنه ويديم ذكره، ونرى هذا الوعد متجلياً في انصافه مذ بعثه وإلى يومنا هذا، كما نرى مظاهر انصافه متجلية بطرق وأشكال مختلفة، ومن مظاهر انصافه جعل غير المسلمين يشهدون شهادة حق فيه قبل المسلمين، وسنقف عند بعض مظاهر انصافه عبر شهادات بعض المنصفين من الغربيين ممن لم يسلموا، وممن أرادوا أن يكيدوا للإسلام ولنبيه لكنهم ذهلوا مما وجدوا من سماحته فاعتقوا الإسلام صاغرين منبهرين مما وجدوا فيه وقالوا شهادة حق فيه. وكان هذا الإنصاف ناتجاً عن دراسة موضوعية مستفيضة لسيرة وحياة رسول الله، وقد اكتملت في هذه الدراسة عناصر المنهج العلمي الحديث القائم على الملاحظة والتجربة والاستقصاء، فخرجت نتائجهم إيجابية تجاه رسول الله، وأصبحت شهاداتهم نوراً يهتدي به الباحثون عن الحقيقة في الغرب.

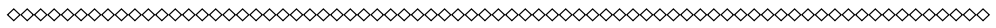
هذا ولا يخفى على أحد أن أهم الشهادات المنصفة بحق الإسلام والرسول الكريم جاءت من علماء غربيين، أغلبهم غير مسلمين، ومنهم ممن يعرفون باسم المستشرقين، أي الذين استغرقوا في الشرق وأحواله. ولم تكن أقوال هؤلاء المستشرقين مجرد تعبير عن آرائهم في الإسلام ورسوله، بل جاءت بعد دراسة متأنية للتاريخ الإسلامي، لاسيما الفترة التي عايشها النبي محمد ﷺ، وتناول مواقفه مع أعدائه قبل أصدقائه وأتباعه، وهي ما جعلت كثيرين منهم ينبهرون بأخلاق النبي الكريم، حتى أن بعضهم قال إنه يتسم بأهم صفتين، وهما العدالة والرحمة.

وسنورد في هذا البحث الموجز أقوال بعض المنصفين من غير المسلمين في الرسول الكريم محمد ﷺ والتي جاءت شاهدة على فضله وشرفه العظيم، ومُقرّةً بسُمُوهِ ورفعة مكانته وشُمُوخِ دعوته العظيمة. وما قاله بعض ممن أسلموا بعدما أعجبوا بسيرة الرسول ﷺ، منهم المستشرقين إضافة إلى بعض كبار علماء الغرب وفلاسفته، في وقت يتعرض هذا الدين لأزمة سببها المتطرفين والمتعصبين عن الإسلام، وعن الرسول الكريم. وذلك عبر هذه المباحث التي يندرج تحتها مطالب سأعتمدها في هذا البحث، وهي كالآتي:

المبحث الأول: لماذا أوردنا شهادة الغربيين وغير المسلمين في النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهل النبي عليه السلام محتاج لهذه الشهادة؟

المطلب الأول: بعض الأدلة الدامغة على احقاق الله الحق بنصرة نبيه عليه السلام في كل

زمان ومكان.



المطلب الثاني: السبب في ايراد بعض أقوال الغربيين المنصفين للنبي والاسلام.

المبحث الثاني: أسباب الصورة المشوهة للإسلام والنبي محمد عند الغربيين.

المطلب الأول: المراحل التي مر منها العداء الغربي على الاسلام والنبي عليه السلام.

المطلب الثاني: أقوال بعض علماء الغرب من المنصفين في سبب العداء على الاسلام

والنبي.

المبحث الثالث: أقوال المُنصِّفين من غير المسلمين في خاتم النبيين ﷺ.

المبحث الرابع: أقوال بعض المستشرقين في محمد عليه السلام .

المبحث الخامس: أقوال بعض المشهورين الغربيين المعاصرين من غير المسلمين في

محمد وفي الاسلام .

المبحث السادس: شهادة المسلمين الجدد في الغرب على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

خاتمة.

المبحث الأول:

لماذا أوردنا شهادة الغربيين وغير المسلمين في النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم،

وهل النبي عليه السلام محتاج لهذه الشهادة؟.

للإجابة على هذه الأسئلة سأقف عند مطلبين أساسيين للإحاطة بمتطلبات هذا المبحث

والإجابة عليه:

المطلب الأول:

بعض الأدلة الدامغة على احقاق الله الحق بنصرة نبيه في كل زمان ومكان:

قد يتساءل البعض: هل يحتاج الرسول ﷺ لشهادة الكفار له؟

ونجيب بأن سيد الخلق محمداً ﷺ لا يحتاج لأي شهادة من البشر بعد أن شهد له ربُّ

العالمين من فوق سبع سموات، وبعد أن قامت الأدلة اليقينية على صدق نبوته وصحة رسالته،

حيث قال جل شأنه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ سورة الشرح آية ٤ ، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ

هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ سورة الكوثر آية ٣، إن ذكر من يكيد لك هو الأبتَر المنتهي وذكرك خالد الى يوم

الدين يامحمد شاء من شاء وأبى من أبى.

فالله جل شأنه أعلى مكانته وأعطاه حتى الرضى، فحينما قال موسى كليم الله عليه السلام:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ طه ٨٤، قال الله لمحمد: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

الضحى ٥، وحين سأل موسى الوحيه ربه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ طه ٢٥، قال الله لمحمد عليه السلام: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشرح ١. ومع حب المسلمين لتبهم عليه السلام وتعظيمهم وتوقيرهم له، فإن عقيدتهم فيه أنه بشر رسول، عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب بل يطاع ويحب ويتبع، شرفه الله بالعبودية والرسالة ولقد علمنا ربنا موقع نبينا منا فقال عز شأنه: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الاحزاب ٦، فهو أقرب إلى قلوبنا من قلوبنا، وهو المقدم على أعز ما لدينا من نفس أو مال أو ولد أو حبيب، ولن يذوق المسلم حلاوة الايمان في قلبه إذالم يكن حب رسول الله فوق كل حبيب. ففي الحديث الصحيح (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان، منها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) أخرجه البخاري، بل يترقى ذلك إلى حد نفي الايمان كما في الحديث الصحيح الآخر: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) متفق عليه.

فهما كاد الكائدون فنصر الله آتيه لامحالة، وهذا ما نلمسه ونلاحظه بعد كل هجوم شرس عليه من أعداء الاسلام والمسلمين، فإما يأتيه النصر عن طريق دخول الناس أفواجا في الإسلام، وإما يقوض الله له من يدافع عنه بالقلم واللسان ممن لم يسلموا، ويمكننا القول: إن الحق ما شهدت به الأعداء، وما جاء إيرادنا لأقوال هؤلاء إلا من باب الاستئناس بها، وإقامة الحججة على مخالفتنا بما يقول شرفاؤهم وكبرائهم؛ ليعلموا كذب ما يروجه الحاقدون المغرضون من أهل ملتهم من افتراءات على شخص الحبيب محمد ﷺ لعل الله يهدي بذلك من يطلب الهداية منهم، ومن كان باحثاً عن الحق مُنصفاً لنفسه وللآخرين. ولقد صدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله ﴿ليسوا سواء﴾ ال عمران آية ١١٣، ليعلم الناس العدالة التي تكتشف الفروق والتمييزات في مواقف الآخرين، والتي لا تعمم الأحكام فتظلم المنصفين والمجتهدين عندما تضعهم في سلة واحدة مع المغرضين والمزيفين. فالغرب ليس كتلة واحدة صماء وهو لا يمكن اختزاله في مشروع الهيمنة الامبريالية والاحتلال والاستغلال الذي ناصب الإسلام العداء منذ ظهور الاسلام، ولا يزال يناصبه العداء حتى هذه اللحظة، والذي حاول ويحاول طوال ذلك التاريخ إعادة اختطاف الشرق من الاسلام وأمته وجضارته.

المطلب الثاني:

السبب في ايراد بعض اقوال الغربيين المنصفين للنبي محمد عليه افضل الصلاة والسلام:

فعلى الرغم من أن صناعة القرارات والممارسات التي عانى منها الشرق الاسلامي ولا يزال يعاني منها حتى الآن هي بيد قوى الهيمنة الغربية وتوجهاتها الفكرية والدينية وبيد المؤسسات السياسية والاقتصادية والاعلامية والكنسية المعبرة عن هذه القوى والتوجهات تلك التي تمسح

وتشوه صورة الشرق الاسلامي في عقول ووجدان الجماهير الغربية لتبرر مشاريع الهيمنة على الشرق في أوساط هذه الجماهير وصولا الى كسب تأييد هذه الجماهير لمقاصد الامبريالية الغربية في إعادة اختطاف الشرق وحرمان أهله من حقهم الفطري في الحرية والاستقلال وتقرير المصير.

رغم هذه الحقيقة إلا أن العدالة والانصاف يدعوننا إلى إبراز الوجه المشرق للغرب الحضاري، والذي تمثل في العلماء الغربيين الذين عبروا عن حقيقة الانسان الغربي، وموضوعية العلم الغربي، وأثمن مافي الثقافة الغربية أنهم عندما درسوا الاسلام وحضارته دراسة العلماء المجتهدين أنصفوه وشهدوا له شهادات صدق نتعلم منها نحن المسلمين ونقدمها للانسان الغربي الذي ضلله الاعلام الفوغائي عندما شحن عقله ووجدانه بثقافة الكراهية السوداء للاسلام . واذ أردنا اجابة دقيقة على سؤال لماذا أوردنا شهادة الغربيين في الرسول الكريم وهل هو في حاجة إليها؟

فيمكننا ان نجيب ونقول ماقاله الله تعالى في نبأ السماء العظيم: (وشهد شاهد من أهلها) يوسف ٢٦. وقال جل شأنه: ﴿ بَلْ نَقَدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ الانبياء ١٨ ، وقال أيضا: ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَّمِ الْغُيُوبِ ﴾ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿ سبأ ٤٨/٤٩ .

ولنقول أيضا للمفترين الجهلاء: ذلك هو إنصاف علمائكم الثقة للاسلام ، ولنقول للذين هالهم افتراء المفترين الجهلاء على الاسلام: لقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١٦٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿ ال عمران ١٢٦/١٢٧ . ويقول جل شأنه أيضا: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ الصف ٧/٩ .

هذه الايات تجيب كلا الطرفين الطرف المتعنت والجاهل ، بما أنزل جل شأنه في سيرة الرسول الكريم الطاهرة ، إضافة الى انها تطمئن ، وتقوي قلوب المؤمنين الغيورين على حبيبهم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وإن كان استقصاء هذه الشهادات الغربية يحتاج الى مجلدات فإننا سنقف في هذا المقام عند شهادات نصر متميز من العلماء الغربيين الذين هم أعمدة الثقافة الغربية وحججا في دراسة

الحضارة الغربية والاسلامية. والذين كتبوا في الاسلام دراسات يتعلم منها علماء الاسلام أنفسهم قبل الغربيون.

المبحث الثاني:

أسباب الصورة المشوهة للإسلام والنبي محمد عليه السلام عند الغربيين:

ولمعرفة هذه الأسباب يمكننا تقسيم هذا المبحث الى مطلبين رئيسيين:

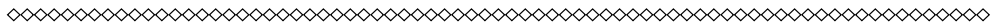
المطلب الأول:

المراحل التي مر منها العداء الغربي لتزييف صورة النبي عليه السلام و الاسلام:

بداية لا بد أن نؤكد بأن التعصب الأوروبي المسيحي لم يكن خطأ صاعدا باستمرار، وإنما وجد هناك منصفون أكدوا الحقيقة بلا لف أو دوران، ولكن الثقافة الغربية السائدة المتشعبة بقيم التعصب والعناد والتمركز الحضاري حول الذات سعت إلى حجب هذه الحقائق وإخفاء هذه الأصوات حتى لا يتمكن الشخص الاوربي العادي من الاطلاع على ما أثبتته أبناء جلدته من الكبار في حق الاسلام ونبيه ورسالته العالمية الخالدة، وذلك كله بهدف تحقيق غرضين؛ الأول: إبعاد الاوربيين المسيحيين عن الاسلام الذي أنم على قدرة التغلغل في النفوس وملامسة صوت الفطرة في الانسان، فهو يخيف الغرب المتوجس من تراجع عدد معتقي المسيحية في العالم، مع ما ينفقه من الأموال والوقت لتصوير الشعوب. والغرض الثاني: ضمان استمرار الصراع بين الغرب والاسلام والقطيعة بينهما لمصلحة الصهيونية والماسونية التي تعتبر نفسها المتضرر الأول والرئيسي من أي تقارب أو حوار بين الاسلام والغرب. (1) وصدق الله العظيم الذي يقول: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْعِلِّيَّةِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت ٥٣.

فالمتتبع لخط سير هذا العداء يلاحظ أنه بدأ مع الحروب الصليبية لغرض في نفوسهم، واستمر هذا العداء في تصاعد، ولقد قدر لهذه الصورة أن تزداد في الأعمال الأدبية، حيث عملت على تشويه العقيدة ووصلت الملاحم إلى الابتكار الخيالية. غير أن هذا العداء بدأ يأخذ منحى آخر بعد الحرب العالمية الأولى؛ لأن الثورة في التفكير الغربي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، وجعلت التقييم النصراني لمحمد مسألة حساسة، فلم يعد بإمكانهم الزعم بأنه محتال شيطاني، كما كان عليه الحال في العصور الوسطى. إننا نجد بعض الكاثوليك المتخصصين بالاسلام يعدونه عبقرياً. وهذا ما سنتبينه أكثر في شهادات بعض علماء الغرب والتي سنتقف عندها في

(١) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة، ص: ٨



الفرع التالي للاحاطة بهذا المطلب. وقبل ذلك يتبادر إلى الذهن أسئلة جوهرية تفرض نفسها علينا: فإذا كان نبي المسلمين ودين الاسلام والحضارة الاسلامية واضحة في أذهان النخبة من علماء الغرب فلماذا تناقل عامة الغربيين صورة مشوهة عنهم على مر الزمان؟ ولماذا هذا التعصب الذي رفضه واستقبجه كثير من النخبة؟ ثم إذا كان نبي المسلمين ودين الاسلام والحضارة الاسلامية، إذا كانت هذه الثلاثة واضحة كل هذا الوضوح في أذهان النخبة من علماء الغربيين، فلماذا تناقل عامة الغربيين صورة مشوهة عنها على مر الأيام؟

سأحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وذلك من خلال ماقاله نخبة من علماء الغربيين أنفسهم . وتمحيصها بأدلة وأقوال من علماء الغرب مع تبين السبب لهذه الصورة المشوهة والمشوهة. ومن أمثلة هؤلاء العلماء: المستشرق مكسيم رودنسون، والمستشرق رولاند الذي تعمق في الاسلام فكتب عن الاسلام من وجهة نظر موضوعية بالاستناد الى مصادر اسلامية، ومن أمثال الفيلسوف بيير بيل المعجب بالتسامح الاسلامي.. وغيرهم.

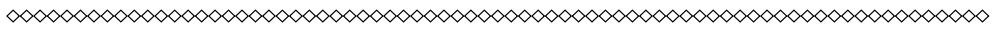
المطلب الثاني:

أقوال بعض علماء الغرب من المنصفين في سبب العدا على الاسلام والنبي

يرد بعض الغربيين من المنصفين بقوة على كل من ناصب العدا للاسلام والنبي محمد عليه السلام ويبطلون دعواهم بحجج دامغة. ومن أمثال هؤلاء: دينيه الذي يقول: (إن التعصب الموروث لدى النصارى ضد الاسلام وأتباعه، قد عاش فيهم دهورا طويلة حتى أصبح جزءا من كيانهم)^(١)

ويقول المستشرق والباحث (مكسيم رودنسون) في الفصل الأول من كتاب تراث الاسلام: (لقد أوجدت الحروب الصليبية حاجة كبيرة وملحة للحصول على صورة كاملة ومسلية ومرضية لأيدولوجية الخصوم. وكان رجل الشارع الأوربي يرغب في صورة تبين الصفة الكريهة للاسلام عن طريق تمثيله بشكل فح، على أن تكون في الوقت ذاته مرسومة بشكل يرضي الذوق الأدبي الميال إلى كل ما هو غريب، وهو ميل يشكل سمة بارزة في جميع الأعمال في ذلك الوقت.. وهكذا حدث أن الكتاب اللاتينيين الذين أخذوا بين عامي ١١٠٠/١١٤٠م على عاتقهم إشباع هذه الحاجة لدى الانسان العامي، كما أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد دون أي اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان لجهل الخيال المنتصر كما جاء في كلمات ر.و. ساوثرن- فكان محمد في عرفهم ساحرا هدم الكنيسة في افريقية وفي الشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه باستعمال

(١) نبي المسلمين ودين الاسلام.. عند النخبة من الغربيين، مرجع سابق، ص: ١١٠



أساطير من الفولكلور العالمي، ومن الأدب الكلاسيكي، ومن القصص البيزنطية عن الاسلام، وحتى من المصادر الاسلامية بعد تشويه باطل من قبل النصارى الشرقيين كل هذه الاشياء وغيرها استخدمت لتزيين الصورة.^(١)

ويتحدث ساوثرن (أن جيلبرت دونوجت اعترف بأنه ليس لديه مصادر مكتوبة، وأشار فقط إلى آراء العامة، وأنه لا يملك أي وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب. وكما هو الحال دائما؛ فإن الرؤية التي ترسمها الأعمال التي تخاطب عامة الناس، لا بد أنها قد أسهمت في تكوين الصورة التي حفظتها الأجيال اللاحقة، أكثر من الرؤية التي تبينها الأعمال ذات الصبغة الجدية والعملية.. ولقد قدر لهذه الصورة أن تزداد في الأعمال الأدبية، حيث عملت على تشويه العقيدة ووصلت الملاحم إلى الابتكار الخيالية، فقد اتهم المسلمون بعبادة الاوثان وكان محمد هو صنمهم).^(٢)

ويقول رودنسون: (إن الثورة في التفكير الغربي التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، جعلت التقييم النصراني لمحمد مسألة حساسة، فلم يعد بإمكانهم الزعم بأنه محتال شيطاني، كما كان عليه الحال في العصور الوسطى.إننا نجد بعض الكاثوليك المتخصصين بالاسلام يعدونه عبقريا). وعلى غرار ماسينيون أعجب بعض النصارى بالقيمة الروحية للتجارب الدينية الاسلامية، وأزعجتهم مواقف الظلم التاريخية التي وقفتها شعوبهم من الاسلام.^(٣) وهذا المستشرق درايبير الذي لخص المشكلة برمتها بقوله: (ينبغي أن أنعى الطريقة التي تحايل بها الأدب الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا، إن الجور المبني على الحقد الديني والغرور الوطني لا يمكن أن يستمر إلى الأبد).^(٤)

أما المستشرقة الألمانية زيغريد هومكه فقد أوجزت المشكلة في كتابها (شمس الله تسطع على الغرب) بقولها: (إن موقف أوربة من العرب منذ نزول الوحي المحمدي موقف عدائي بعيد كل البعد عن الانصاف والعدالة).^(٥)

ويقول الكاتب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه (التوراة والانجيل والقرآن والعلم): (يظهر أن تغيرا جذريا يتم في أيامنا على أعلى مستوى في العالم النصراني، والوثيقة التي صدرت عن أمانة الفاتيكان، ووزعت فيما بعد عن المجمع الفاتيكاني الثاني لغير النصارى، وفيها توجيهات للحوار بين النصارى والمسلمين، وكانت ثالث طبعاتها بتاريخ ١٩٧٠ تشهد بعمق التغير في المواقف

(١) نبي المسلمين ودين الاسلام.. عند النخبة من الغربيين، مرجع سابق ص: ١١٠

(٢) نبي المسلمين ودين الاسلام.. عند النخبة من الغربيين، مرجع سابق، ص: ١١٠/١١١

(٣) نبي المسلمين ودين الاسلام.. عند النخبة من الغربيين، مرجع سابق ص: ١١٦/١١٧.

(٤) نبي المسلمين ودين الاسلام.. عند النخبة من الغربيين، مرجع سابق ص: ١١٨

(٥) نبي المسلمين ودين الاسلام.. عند النخبة من الغربيين، مرجع سابق، ص: ١١٨

الرسمية. فبعد أن دعت هذه الوثيقة إلى تحية الصورة الموروثة عن الماضي، أو المشوهة ببعض الافتراءات التي كانت للنصارى عن الاسلام، أصرت على الاعتراف بأخطاء الماضي وانحرافات التي اقترفها الغرب ذو النشأة النصرانية بحق المسلمين.. وتورد الوثيقة عبارات من القرآن توضح أن ما كان يترجمه الغربيون خطأ ب الحرب المقدسة هو ما يعبر عنه في العربية الجهاد في سبيل الله لنشر الاسلام والدفاع عنه ضد المعتدين، وتتابع الوثيقة الفاتيكانية فتقول: إن الجهاد المقصود لا يتجه إلى الابداء أبداً ولكن لنشر شرائع الله وحقوق الانسان في المقاطعات الجديدة، ويختم موريس بوكاي قائلاً: إن هذا الدفاع عن الاسلام من الفاتيكان سيدهش كثيراً من المعاصرين المؤمنين، سواء كانوا مسلمين أو غيرهم. إنه مظهر صدق وفكر منفتح يتناقض مع المواقف التي خلت).^(١)

هذه الصورة المشوهة لم تتبدد فقط عند الغرب مع تقدم الزمن بل وحل محلها صورة صحيحة واضحة عن النبي وعن دين الاسلام والحضارة الاسلامية. ومن أمثلة العلماء الذين أخذوا يحثون قومهم على نفض الغبار عن أعينهم لمعرفة الصورة الصحيحة لمحمد وللإسلام العالم الفرنسي (لوزون) في كتابه (الله في السماء) يقول عن النبي وعن رسالته: (رسول كهذا الرسول يجدر اتباع رسالته، والمبادرة الى اعتناق دعوته، إذ أنها دعوة شريفة قوامها معرفة الخالق، والحث على الخير والنهي عن المنكر، فكل ما جاء به يرمي إلى الصلاح والاصلاح وهما انشودة المؤمن. هذا هو الدين الذي أدعو إليه جميع النصارى).^(٢) ونختم بقول الفيلسوف الانكليزي الشهير (برنارد شو): كنت على الدوام أنزل دين محمد منزلة كبيرة لعظمته التي لا تنكر، إنني أعتقد أن دين محمد هو الوحيد الذي يناسب كل انسان، ويصلح لكل زمان وكل بيئة في هذا العالم، وإنني أتبأ بأن دين محمد سيلقى القبول في أوروبا غداً كما يلقاه الآن، ويضيف: تمنيت دائماً أن يكون الاسلام هو سبيل العالم، فلا منقذ له سوى رسالة محمد).^(٣)

المبحث الرابع:

أقوال بعض المستشرقين في محمد عليه السلام وفي الاسلام.

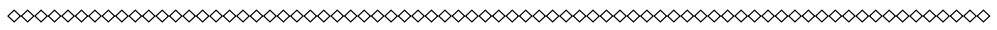
يقول أستاذ اللغات الشرقية في باريس المستشرق الفرنسي كليمان هوار ١٨٥٤/١٩٢٧، في كتابه (تاريخ العرب): (اتفقت الأخبار على أن محمداً كان شريف النفس، وكان يلقب بالأمين أي بالرجل الثقة المعتمد عليه إلى أقصى درجة، إذ كان المثل الأعلى في الاستقامة).^(٤)

(١) نبي المسلمين ودين الاسلام.. عند النخبة من الغربيين، مرجع سابق، ص: ١١٨

(٢) محمد حسام الدين الخطيب، نبي المسلمين ودين الاسلام.. عند النخبة من الغربيين، شبكة الألوكة، ص: ١٢١.

(٣) بشرى زخاري ميخائيل، محمد رسول الله هكذا بشرت به الأنجيل، مطبعة عالم الكتب، ١٩٧٥م، القاهرة، ص: ٥٥

(٤) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة، ص: ٨



ويتحدث المستشرق جرسان دتاسي عن رفيع أخلاق النبي عليه السلام قائلاً: (إن محمداً ولد في حضن الوثنية، ولكنه منذ نعومة أظفاره أظهر عبقرية فذة، انزعاجاً من الرذيلة وحباً للفضيلة، وإخلاصاً ونية حسنة غير عاديين إلى درجة أن أطلق عليه مواطنوه في ذلك العهد اسم الأمين).^(١)

ومن النصفين للنبي عليه السلام المستشرق الأمريكي إدوارد رمسي الذي قال: (جاء محمد للعالم برسالة الواحد القهار ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فبزغ فجر جديد، وفي اليوم الذي أعادت فيه يد المصلح العظيم محمد ما فقد من العدل والحرية أتى الوحي من عند الله إلى رسول كريم، ففتحت حججه العقلية السديدة أعين أمة جاهلة، فانتبه العرب وتحققوا أنهم كانوا نائمين في أحضان العبودية)^(٢)

أما توماس أرنولد، العالم الإنجليزي صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام) والذي درس فيه مسيرة وسيرة انتشار الإسلام في العالم عبر التاريخ، ويرد فيه على دعاوي انتشار الإسلام بالسيف والعنف والحرب، التي روج لها دعاة مشروع الهيمنة الغربية، ويرجع أرلوند سبب انتشار الإسلام بهذه السرعة والقوة إلى سببين رئيسيين:

الأول: الضعف الذاتي الذي أصاب النصرانية والأفلاس الذي أصاب كنائسها المتناحرة والانقسامات التي أصابها إبّان مراحل الظهور والانتشار للإسلام.

الثاني: سماحة الإسلام ومنطقه العقلاني والقوة الذاتية التي تميز بها غيره من الديانات.^(٣) يقول في كتابه الدعوة إلى الإسلام: (إذا استثنينا الحالات التي كان كيان الدولة الواقع في خطر يحمل الحكومات الإسلامية على اتخاذ كل الأساليب للوصول إلى توحيد العقيدة، فقد كان التسامح إلى أقصى حد هو القاعدة المستمدة من الأصول الإسلامية، ولا يجوز أن نقف عند ألوان القسوة والعنف اللذين ارتكبا في أية مناسبة.. والتي إذا نظرنا إليها عن قرب لن نتردد في معرفة أن أسبابها كانت سياسية محضة، أو راجعة إلى الأهواء البشرية، أو إلى المزاج المسيطر على الحاكم أو الشعوب. إن الفعل الديني لم يلجأ إلى هذه الوسائل إلا من حيث هي حجة ولكنه في الواقع لا يدخل في نطاقها)^(٤) ويقول أرنولد في محمد عليه السلام: (قبل وفاة محمد نرى جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريباً تدين له بالطاعة، وإذا ببلاد العرب التي لم تخضع إطلاقاً للأمير من قبل تظهر في وحدة سياسية وتخضع لارادة حاكم مطلق، خلقت رسالة محمد أمة واحدة،

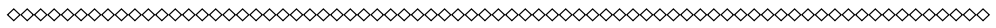
(١) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة، ص: ٨

(٢) عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٥

(٣) الدكتور محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وانصاف العلماء، دار الشروق، ص: ٨٩

(٤) أرنولد - سير - توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د: حسن إبراهيم حسن، د: عبد المجيد عابدين، إسماعيل

النحراوي، طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٠م، ص: ٩٨



وقد جمعت فكرة الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل في نظام سياسي واحد). ويضيف: (وعندما انتقل الى جوار ربه كانت السكينة ترفرف على أكبر مساحة من شبه الجزيرة العربية، بصورة لم تكن القبائل العربية تعرفها من قبل، مع شدة تعلقها بالتدمير وأخذ الثأر. وكان الدين الاسلامي هو الذي مهد السبيل الى هذا الائتلاف)^(١)، ويضيف (كانت رغبة محمد ترمي إلى تأسيس دين جديد، وقد نجح في هذا السبيل، ولكنه في الوقت نفسه أقام نظاما سياسيا له صفة جديدة متميزة تميزا تاما).^(٢)

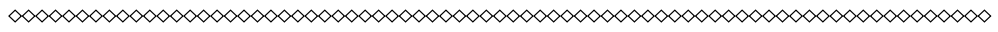
أما المستشرق الفرنسي إدوارد منتيه، الذي ترجم القرآن إلى الفرنسية من مؤلفاته (حاضر الاسلام ومستقبله)، فيقول: (الاسلام في جوهره دين عقلي بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية)، ويضيف: (إن تعريف الأسلوب العقلي بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الاسلام تمام الانطباق. والحق أن محمدا، الذي كان متحمسا لدينه، كما كان يمتلك غيرة الايمان ونار الاقتناع تلك الصفة القيمة التي بثها كثيرا من أتباعه، إن لدينه كل العلامات التي تدل على أن مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل، وتتلخص العقيدة الاسلامية من وجهة نظر المؤمنين في الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه، أما من وجهة نظرنا نحن الذين نحلل عقائده تحليلا لا روح فيه، فنعتقد في الله وفي الحياة الآخرة وهذان المبدآن هما أقل ما ينبغي للاعتقاد الديني، وهما أمران يستقران في نفس الرجل المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق وتلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن... لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة..).^(٣)

ومن أبرز المستشرقين ومؤرخي العلم العالمي في الغرب والشرق العالم جورج سارتون، ١٨٨٤/١٩٥٦ وهو مستشرق بلجيكي الاصل متخصص في العلوم الطبيعية والرياضية، بلغت أبحاثه أكثر من خمسمائة بحث، أهمها المدخل الى تاريخ العلم. وفي شهادته يتحدث عن تميز العلم الاسلامي بكونه ثمرة للدين الاسلامي وللوحي القرآني.. وليس كالعلم المادي الغربي ثورة على الدين ونقضا للوحي السماوي، وفي هذه الحقيقة تميز للاسلام وللعلم الاسلامي. كما يتحدث سارتون في شهادته عن العلم العربي باعتباره ثمرة للعبقرية العربية وعن اللغة العربية لغة العلم وعن التميز في المنهج لهذا العلم الذي أبدعته الحضارة الاسلامية. ويتحدث عن الرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قائلا: (حادثة واحدة من أخصب الحوادث في تاريخ

(١) محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة، ص: ١٥/١٤.

(٢) الدعوة الى الاسلام، مرجع سابق، ص: ٥٩/٥٢.

(٣) الدكتور محمد عمارة، الاسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وانصاف العلماء، دار الشروق، ص: ١٠٠/٩٩.



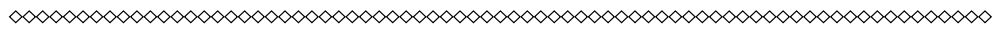
الانسانية الا وهي ظهور الاسلام، ولقد كانت الهجرة حدا فاصلا في حياة الرسول وفي تاريخ الدين الجديد، إنها البدء الرسمي للاسلام كدين ودولة معا.. لقد كان محمد مثل اخوانه الانبياء السابقين ولكنه كان أعظم منهم نجاحا بما لا نسبة فيه.. كان الرسول رجلا ذا عبقرية عظيمة). ثم يردف: (إن اللغة الوحيدة التي عرفها رسول الله كانت من أجمل اللغات في الوجود فالرسول مع أنه أمي كان يملك ناصية اللغة، إذ أتاه الله بيانا ووهب اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولفحاته وأن تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير والمقاصد).^(١)

وهذا العالم الغربي المرموق والذي يعد حجة في تخصصه العلمي وفي مكانته بين علماء الاستشراق (دافيد دي سانتيلانا) (١٨٤٥/١٩٣١) وهو مستشرق ايطالي ولد بتونس وتخرج من جامعة روما وأحرز درجة الدكتوراه في القانون، ولقد تفقه الى جانب القانون الروماني والقوانين الغربية في الفقه الاسلامي، وهو الذي درّس ووضع القانونين المدني والتجاري لتونس وفق قواعد الشريعة الاسلامية وبالانساق مع القوانين الاوربية في حقبة الاستعمار الفرنسي لتونس، سنة ١٨٩٦. ومن آثاره الفكرية (ترجمة وشرح الاحكام المالكية)، وغيرها.

يقول مقارنا بين الاسلام والشعائر الغربية: (عبثا نحاول أن نجد أصولا واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية، إن الشريعة الاسلامية ذات حدود مرسومة ومبادئ ثابتة لا يمكن ارجاعها أو نسبتها الى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلا. فالاسلام كالمسيحية له عقائد مخصوصة ينفرد بها، مما لا يمكن بالطبع أن يعرضها أولئك الذين نزلت فيهم إلى النقد والبحث، ولكن من الظلم والتجني وأن نصمها بالجمود).^(٢)

أما المستشرق والمؤرخ البريطاني ويليام مونتجومري وات، الذي كان محاضرا في اللغة العربية وآدابها، ومتخصص في الدراسات الاسلامية وصاحب مؤلفات عديدة منها: (عوامل انتشار الإسلام)، و(محمد في مكة)، وغيرها من الكتب. يقول: (إن هدفي الأساسي هو أن أقدم الاسلام بأفضل شكل مبسط للقارئ الأوروبي والأمريكي الذي ينظر للأمر بمنظور ديني أو بمنظور علماني..إني أقصد بذلك أن أبطل مفعول الآثار الباقية من دعايات حروب العصور الوسطى كما أنني حاولت أن أجعل القارئ يتحقق من أهمية الاسلام، التي تجلت طوال مئات السنين التي أعقبت حروب العصور الوسطى هذه. والهدف الثاني: هو أن أوضح للمسلمين أن

(١) سارتون، الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ترجمة عمر فروخ، طبعة بيروت، سنة ١٩٥٢م، ص: ٢٨/٣٠
(٢) سانتيلانا، القانون والمجتمع كتاب تراث الاسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٢، ص: ٤٢٢/٤٢٧.



الدارسين الغربيين ليسوا بالضرورة معادين للاسلام كدين بل إنه من الممكن أن نجتمع بين هذه الاتجاهات).^(١) ويقول أيضا (إن القرآن الكريم ليس كلام محمد، إنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبه محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمدا رسول إختياره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولا ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين، وهناك اشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة، وقد تأكد ذلك بانتشار الاسلام في العالم كله)، ويضيف واصفا الوحي: (إن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر في عقله الواعي، إن يقينا جازما كان يمتلك فؤاده أن هذه الكلمات هي من الله.. إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته، لأنه يتناول القضايا الانسانية. ولقد كان إحكام النظرة العالمية للاسلام كونه ديننا عالمي النزعة مما جعله يستوعب تراث المسيحية، ومن هنا فقد أصبح المفكرون المسلمون هم حملة الثقافة العقلية لكل المنطقة..)^(٢)

ومن أعلام الاستشراق أيضا الألماني (جوزيف-شاخت) ١٩٠٢/١٩٦٩ م، والذي شغل بعد تخرجه كرسي الاستاذية في جامعات مختلفة، يقول: (إن النزاع بين الدين والدولة اتخذ اشكالا مختلفة: ففي المسيحية كان هناك صراع من أجل السلطة السياسية من جانب هيئة كنسية ينتهي إلى رياسة عليا، وكان القانون الكنسي أحد أسلحتها السياسية. أما في الاسلام فالشريعة الاسلامية لم تستند مطلقا إلى تأييد قوة منظمة، لذالم ينشأ قط في الاسلام اختبار حقيقي للقوى بين الدين والدولة، وظل الاسلام من حيث هو دين ينبغي أن ينظم الناحية القانونية في حياة المسلمين قائما لا يتحداه أحد).^(٣)

أما المستشرق الشهير الانجليزي الاصل والامريكي الجنسية (برنارد لويس)، الذي عمل أستاذا للتاريخ الاسلامي في جامعات مختلفة، وصاحب الدراسات العديدة في الفرق الاسلامية. وبالرغم من أن برنارد لويس يهودي الأصل ومناصر للصهيونية إلا أنه يشهد للاسلام بالتميز كدين ودولة، وبالسماحة في انتشاره السلمي، وبالعدل الذي تميز به الحكم الاسلامي مع الشعوب غير المسلمة. ويشهد على ذلك قائلا: (لقد نادى مؤسس المسيحية أتباعه أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. أما مؤسس الاسلام فقد جعل من نفسه قسطنطين في حياته أصبح المسلمون جماعة سياسية ودينية كان الرسول سيدها المطلق، يحكم أرضا وشعبا، ويقضي بين الناس ويجمع

(١) مونتجومري وات، الاسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة: د عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠١م، ص ٢٣.

(٢) مونتجومري وات، الاسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ص: ٢٤

(٣) شاخت، تراث الاسلام، بحث بعنوان الشريعة الاسلامية، القسم الثالث، ترجمة: د محمد زهير السهوري. تعليق وتحقيق: د شاكر مصطفى. مراجعة: فؤاد زكريا، طبعة الكويت، سلسلة عالم المعرفة، سنة ١٩٧٨، ص: ١٥/١١.

الضرائب ويقود الجيوش ويسير الدبلوماسية ويخوض الحرب).^(١)

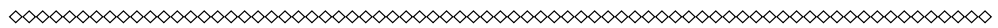
وهذا المستشرق السويسري مارسيل بوازار الذي يشهد للاسلام بالتميز كدين ودولة معا وللقانون الاسلامي بالتميز عن القانون الوضعي العلماني، سواء في المصدر أو في المقاصد، الأمر الذي يعني تميز المنظومة القانونية في الحضارة الاسلامية وخطأ وخطر علمنة القانون وحركة الحياة والاجتماع، لما في ذلك من مصادمة للتصورات الفلسفية للاسلام إزاء الكون، ولمكانة الانسان في هذا الوجود كما يحددها الاسلام. ويشهد مارسيل بوازار على هذا التميز الاسلامي فيقول: (من المفيد أن نذكر فرقا جوهريا بين الشريعة الاسلامية والتشريع الأوروبي الحديث، سواء في مصدريهما المتخالفين أو في أهدافهما النهائية.. فمصدر القانون في الديمقراطية الغربية هو: إرادة الشعب، وهدفه: النظام والعدل داخل المجتمع. أما الاسلام فالقانون صادر عن الله، وبناء عليه يصير الهدف الأساسي الذي ينشده المؤمن هو التقرب إلى الله، باحترام الوحي، فالسلطة في الاسلام تفرض معايير اخلاقية، بينما تسمح في الطابع الغربي أن يختار الناس المعايير حسب الاحتياجات السائدة في عصرهم).^(٢)

والشهادة الأخيرة التي نختم بها الشهادات المنصفة للاسلام وللنبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام للعالمية والمستشرقة الألمانية (سيجيريد هونكة) التي تخصصت في الدراسات المقارنة بين الحضارات والديانات. من أعمالها الفكرية المتميزة (شمس الله تسطع على الغرب) سنة ١٩٦٠، والذي ترجم للعربية وبيعت منه ملايين النسخ، حاصلة على عدة جوائز وأوسمة عالمية. تقول: (إن سماحة النفس العربية وتسامحها الأسر الغامر الذي نما في تلك القارة تحت ظلال الحضارة العربية الفريدة، وكان له أبلغ الأثر في ازدهار إسبانيا العربية.. وتضيف إن العرب هم الذين أبدعوا إبداعا، يكاد يكون من العدم، هذه الروعة الحضارية الشامخة في اسبانيا، تلك الجنة الفريدة الجمال لأساتذة فن العمارة، والمغنيين والمغنيات، والشعراء والعلماء، بل جنة المرأة، التي نسج الغرب حولها صورا خيالية شيطانية غاية في الوحشية، دون أن يكون له أدنى معرفة أو حتى إلهام لطيف ضحل بها)^(٣). وتتابع قائلة: (لم يسمع المرء منذ تقادم العهود بالرفق والجود الاسلامي خاصة إزاء أسرى العدو، إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وبناتهم، وأذقتهم من العذاب، ولما غدونا أسراهم وكدنا نموت جوعا راحوا يؤثروننا على أنفسهم على ما بها من خصاصة وأسودوا إلينا كل ما استطاعوا من احسان بينما كنا تحت رحمتهم لاحول لنا ولا سلطان)، وتقول في موضع آخر (لا إكراه في الدين، تلك هي كلمة القرآن الملزمة، فلم يكن الهدف

(١) برنارد لويس، السياسة والحرب، دراسة منشورة بكتاب تراث الاسلام القسم الاول، ترجمة: محمد زهير السمهوري، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى، مراجعة: د فؤاد زكريا، طبعة الكويت، سلسلة عالم المعرفة سنة ١٩٧٨م، ص: ٢٢٩/٢٢٢.

(٢) لواء أحمد عبد الوهاب، الاسلام في الفكر الغربي، طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٢م، ص: ٢٧.

(٣) سيجيريد هونكة، الله ليس كذلك، ترجمة د: غريب محمد غريب، طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٥م، ص: ٥٢/٥٥، ١٠١.



للفتوحات العربية نشر الدين الاسلامي، وإنما بسط سلطان الله في أرضه، فكان للنصراني أن يظل نصرانيا، ولليهودي أن يظل يهوديا، ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، وما كان الاسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك. هكذا انتشر الاسلام وليس بالسيف والاكراه، وتضيف: إن الاسلام أعظم ديانة على ظهر الارض سماحة وانصافا، نقولها بلا تحيز). وتقول في محمد عليه السلام: (إن محمد والاسلام شمس الله على الغرب، فإن كان لذا من واجب العالم كله جعل عظمة محمد عليه السلام في الخلق جميعا فوق كل عظمة، وتقديره كل تقدير ولو لم يكن له عليه السلام من مؤيدات نبوته إلا سيرته المطهرة وتشريعه الخالد لكانا كافيين).^(١)

المبحث الثالث:

أقوال المُنصفين غير المسلمين من الغربيين في خاتم النبيين وفي الاسلام.

من أبرز من رد على النصراري والملحدين الفيلسوف الانجليزي توماس كاريل، ١٧٩٥/١٨٨١م حيث خصص في كتابه (الابطال وعبادة الابطال) فصلا للنبي محمد عليه السلام عد فيه النبي واحدا من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ، وقد رد على المتعصبين من النصراري والملحدين قائلًا: (يزعم المتعصبون من النصراري والملحدين أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان، كلا وأيم الله لقد كانت في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار، العظيم النفس المملوء رحمة وحنانا وبراً وحكمة، أفكار غير الطمع الدنيوي ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا وتلك نفس صامتة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين)، ثم يتابع قوله: (إني لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع)، ويضيف (لقد أصبح من العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن الدين الاسلامي كذب، وأن محمدا خداع مزور، وقد رأينا طول حياته راسخ المبدأ، رؤوفا تقيا، حرا، رجلا شديد الجد مخلصا، وهو مع ذلك لين جم البشر حلو الايناس، كان عادلا شهما الفؤاد، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم وهو غني عن ذلك، وبعد أن أفاض كارليل في انصاف النبي ختم بقوله: هكذا تكون العظمة، والبطولة، العبقرية).^(٢)

ويقول الشاعر والفيلسوف الفرنسي لامارتين: (إن ثبات محمد وبقاءه ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته في وسط أعدائه في قلب مكة ونواحيها، ومجامع أهلها، وإن شهامته وجرأته وصبره فيما لقيه من عبدة الأوثان، وإن حميته في نشر رسالته، وإن حروبته التي كان جيشه فيها أقل من

(١) د: زيفريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة:فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه:مارون عيسى الخوري، دار الجيل بيروت، ط٨، ١٩٩٢٨، ص:٢٥٧/٣٦٢/٤٦٤/٤١٣/

(٢) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة، ص: ١٦/٤

جيش عدوه، وإن تطلعه في إعلاء الكلمة وتأسيس العقيدة الصحيحة لا إلى فتح الدول وإنشاء الامبراطورية كل ذلك أدلة على أن محمدا كان وراءه عقيدة صادقة تحرر الانسانية من الظلم والهوان، وإن هذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يحطم آلهة كاذبة، ويفتح طريقا جديدا للفكر في أحوال الناس، ومهد السبل للنظر في شؤونهم، فهو فاتح أقطار الفكر ورائد الانسان إلى العقل وناشر العقائد المحررة للانسان ومؤسس دين لا وثنية فيه).^(١)

أما العالم الأمريكي مايكل هارت، فهو يرد نجاح النبي عليه السلام في نشر دعوته وسرعة انتشار الاسلام في الأرض إلى سماحة هذا الدين وعظمة أخلاق النبي عليه السلام والذي اختاره على رأس مائة شخصية من الشخصيات التي تركت بصماتها بارزة في تاريخ البشرية قائلًا: (لقد اخترت محمدا صلى الله عليه وسلم في أول هذه القائمة.. لأن محمدا عليه السلام هو الانسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والديني، حيث دعا الى الاسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد ١٢ سنة من وفاته، فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويا متجددا).^(٢)

ويقول الفيلسوف والكاتب الانجليزي المعروف برنارد شو: (إن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد وبدأت تعيش دينه كما أنها ستبرئ العقيدة الاسلامية مما اتهمها بها من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى)، ويضيف (لذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي بأن بوادر العصر الاسلامي الأوروبي قريبة لامحالة، وإنني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه ولقاد العالم إلى الخير وحل مشاكله على وجه يحقق للعام كله السلام و السعادة المنشودة).^(٣)

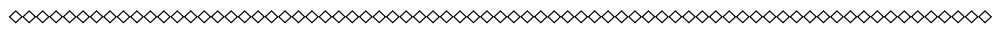
ويُفند المؤرخ الاوربي روبرت بريغال مزاعم الغربيين عن تأثير الاسلام بالتشريعات اليونانية الرومانية فيقول: (إن النور الذي أشعلت منه الحضارة في عالمنا الغربي لم تشرق جذوته من الثقافة اليونانية الرومانية التي استخفت بين خرائب أوروبا، ولا من البحر الميت على اليوسفور يعني بيزنطة، ولم تكن ايطاليا مهد الحياة في اوربوا بل الاندلس الاسلامية) الى أن يقول: (إن هذه الحقيقة التاريخية لا يمكن للغرب إنكارها مهما أوغل في التعصب والعناد، إن دين أوروبا لمحمد رسول الاسلام، غريب ألا يجد محل الصدارة في نسق التاريخ المسيحي).^(٤)

(١) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة، ص: ٥

(٢) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٦/٧/١٥.

(٣) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٧

(٤) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٧



أما وليام موير المؤرخ الإنجليزي فيقول في كتابه حياة محمد: (لقد امتاز محمد عليه السلام بوضوح كلامه، ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الاسلام محمد).^(١)

ويتحدث الباحث الأرجنتيني دون بايرون ١٨٣٩/١٩٠٠م، في مؤلفه «أتح لنفسك فرصة» فيقول: (اتفق المؤرخون على أن محمد بن عبد الله كان ممتازا بين قومه بأخلاق حميدة من صدق الحديث والامانة والكرم وحسن السمائل حتى سماه أهل بلده الأمين، وكان من شدة ثقتهم به وبأمانته يودعون عنده أماناتهم، وكان لا يشرب الأشرطة المسكرة، ولا يحضر للأوثان عيدا ولا احتفالا، وكان يعيش مما يدره عليه من خير).^(٢)

ويقول أن بيزيت: (من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس، إلا أن يشعر بتجيل هذا النبي الجليل أحد رسل الله العظماء) ويضيف مخاطبا من يسيؤون لسمعته: (هل تقصد أن تخبرني أن رجلا في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن يتزوج من امرأة أكبر منه بكثير وظل وفيها لها طيلة ٢٦ عاما، ثم عندما بلغ الخمسين من عمره السن التي تخبو فيها شهوات الجسد تزوج لاشباع رغباته وشهواته، ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص).^(٣)

ويقول جوته الأديب الألماني: (إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الانسان فوجدته في النبي محمد .. وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد).^(٤)

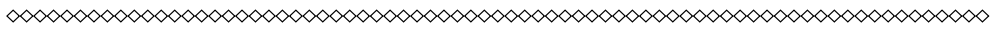
وهذا ويل ديوارنت صاحب «موسوعة تاريخ الحضارة» يقول: (يبدو أن أحدا لم يعن بتعليم محمد القراءة والكتابة ولم يعرف عنه أنه كتب شيئا بنفسه، ولكن هذا لم يحل بينه وبين قدرته على تعرف شؤون الناس تعرفا قلما يصل إليه أرقى الناس تعليما) ويضيف قائلا: (إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمد كان من أعظم عظماء التاريخ فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والاخلاقي لشعب ألقته به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في

(١) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٧

(٢) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ١٠/٩.

(٣) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ١٦

(٤) عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ١٧



التاريخ كله.. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أنشأ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم).^(١)

أما الطبيب الفرنسي جوستاف لوبون، صاحب كتاب (حضارة العرب)، وأحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، فيقول: (جمع محمد قبل وفاته كلمة العرب وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين وزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى، ومما لاشك فيه أن محمد أصاب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ولذلك كان فضله على العرب عظيماً) ويضيف: (إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ..).^(٢)

المبحث الخامس:

أقوال بعض المشهورين والمفكرين الغربيين المعاصرين من الذين لم يسلموا في محمد عليه السلام.

مثل الممثل المشهور البلجيكي الأصل باندام الذي صرح في أحد اللقاءات الصحفية معه بعد أن سئل عن سر قوته ولياقته الجسدية قال: (أن السر هو اتباعه للنظام الغذائي الإسلامي الذي يتبعه، ويضيف قائلاً: إذا أردتم أن تأكلوا أكلاً صحياً أنظروا لما كان يأكله المسلمون في الماضي، لقد كان النبي محمد على قدر كبير من الذكاء وكان يعرف ما هو الجيد للجسم والمستقبل).^(٣)

وهذا بين أوفليك الممثل الأمريكي الذي يعتبر من أكثر المدافعين عن الإسلام يقول في أحد لقاءاته التلفزيونية رداً على المذيع بغضب بعدما وجه كلاماً مشيناً للإسلام والمسلمين بقوله ان الإسلام منبت الأفكار السيئة: (هذا الكلام مفرز وعنصري فأنت تتحدث مثل يهودي خبيث، هناك في العالم مليار مسلم غير متطرفين، ولا يلزم مقارنتهم بغيرهم، إنهم لايسيؤون للإسلام كما تعتقدون هم فقط يريدون العيش بإسلام والذهاب إلى المدارس والمساجد لتأدية الصلاة خمس مرات في اليوم، ولا يقومون بأي من الأمور المشينة التي تزعمون أنهم يقومون بها، ثم يردف قائلاً: لقد قتلنا من المسلمين أكثر مما قتلوا منا بفارق كبير).^(٤)

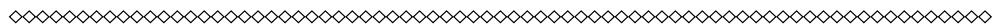
وتقول الممثلة المشهورة أنجلينا جولي مدافعة عن الإسلام والمسلمين من المنظمات الإرهابية: (إن الإسلام ليس كما تصوره الجماعات الإرهابية مثل داعش مهمتهم القتل فقط

(١) عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٢٠

(٢) عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٢٨

(3) <https://www.youtube.com/watch?v=xgP31e2rNQM>

(4) <https://www.youtube.com/watch?v=xgP31e2rNQM>



وان الاسلام بريئ من هذا فهم لا يعرفون ما يدعو إليه القرآن والاسلام) كما دافعت عن القرآن واحتقار كل من سولت له نفسه التناول عليه).^(١)

أما الممثل الأمريكي ويل سميث والذي كان صديقا للملاكم العالمي محمد علي كلاي يصرح بأنه درس الاسلام جيدا وفهم تعاليمه، ودافع عن المسلمين في أكثر من مرة ووجه انتقاداته لرئيس الولايات المتحدة دونالد ترامب اثناء حديثه عن الاسلام فويبا في الإمارات قائلًا: (من المؤلم أن يتحدث دونالد ترامب عن الاسلام فويبا وعن تطهيره أمريكا من المسلمين، فنحن في بلاد المسلمين نملك كل الحرية في التحرك ونشعر بالأمان).^(٢)

وتعتبر الممثلة الأمريكية لينسي لوهان التي أثارت جدلا واسعا بسبب دفاعها المتكرر عن الاسلام، عن ارتياحها حين اقامتها في تركيا مع المسلمين وتقول أنها تشعر بالراحة والأمان بين المسلمين، وتبدي اعجابها الشديد بالاسلام والمسلمين وظهرت في أكثر من مناسبة وهي مرتدية الحجاب وحاملة المصحف وتؤكد أنها تدرس الاسلام وتقرأ القرآن بشكل يومي لتتعلم تعاليمه ثم انتقدت المعاملة التي تتعرض لها المرأة المحجبة في المدن الغربية.^(٣)

أما الممثل انشون كوتشور الممثل والنجم العالمي الأمريكي فقد عبر عن استيائه ضد القوانين المجحفة التي تقيد المسلمين في أمريكا، كما عبر عن غضبه ضد كل من يسيء للإسلام، ونشر عدة تغريدات ردا على قرار دونالد ترامب القاضي بعدم السماح للمسلمين من عدة دول بالدخول الى أمريكا وقال إن هذا جعل الدم يغلي في عروقي وخاطب المسلمين العالقين في المطار بسبب هذا القرار المجحف قائلًا: أنتم جزء من كياننا ومرحبا بكم جميعا ودائما).^(٤)

أما الممثلة الأمريكية المشهورة مايم بياليك فتقول أنا يهودية وأقف على اهبة الاستعداد للتسجيل كمسلمة للتضامن اذا استدعى الأمر، وترد قائلة بعدما تم تصنيف المسلمين في أمريكا بأنهم خطر على المجتمع الأمريكي من قبل الرئيس الأمريكي الأسبق دونالد ترامب: إذا كنا سنعزل الناس الذين يشكلون خطرا فيجب عزل الذكور البيض لأن معظم القتلة في أمريكا هم من الذكور البيض).^(٥)

اما الممثل المشهور مورغان فريمان الذي أعجبه صوت الآذان وقال عنه إنه أجمل صوت قد تسمعه وأكثر اراحة للنفس على الاطلاق).^(٦)

(1) <https://www.youtube.com/watch?v=xgP31e2rNQM>

(2) <https://www.youtube.com/watch?v=xgP31e2rNQM>

(3) <https://www.youtube.com/watch?v=xgP31e2rNQM>

(4) <https://www.youtube.com/watch?v=xgP31e2rNQM>

(5) <https://www.youtube.com/watch?v=xgP31e2rNQM>

(6) <https://www.youtube.com/watch?v=rKpAEVogD3s&t=10s>



أما وليام نيسون فيصِف تجربته مع الآذان عندما كان في تركيا لتمثيل أحد الأفلام قائلاً: (في الأسبوع الأول كان الصوت مزعجاً، وفي الأسبوع الثاني أصبح لطيفاً، وفي الأسبوع الثالث كان أسراً وفكرت أن الإسلام هو الحل، وبعد ذلك أصبحت أستيقظ كل صباح لأسمع صوت آذان الفجر حيث يجعلني أشعر بالراحة والطمأنينة ويداعب روحي، ويضيف حتى أنني فكرت في اعتناق الإسلام)، والبعض يقول أنه اسلم ولكنه لم يعلن إسلامه.⁽¹⁾

أما كيت همبل المذيعة البريطانية الشهيرة في قناة BBC أثناء تمثيلها لأحد الأفلام الوثائقية في بلاد عربية، قام أحد مرافقيها بالصعود بها إلى أحد الأسطح أثناء الآذان فما كان منها بعد أن سمعت الآذان إلا أن دخلت في حالة روحية عجيبة وأخذت في البكاء وقالت: (إنه منظر وصوت لا يصدق لدرجة أنني وجدت نفسي متممة به).⁽²⁾ هذه الشهادات هي غيض من فيض اكتفينا بنتف منها لضيق المقام فلن تكفيها المجلدات لحصرها.

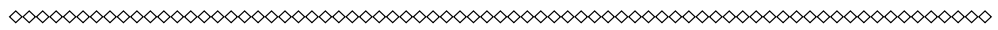
المبحث السادس:

شهادة المسلمين الجدد من الغربيين على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم

الدكتور م، ج، دراني، سليل اسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وعمل قسيساً منذ ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٢ حيث جاءه الإسلام كما يأتي فصل الربيع فعاد إلى دين أجداده، من أقواله: (أستطيع أن أقول بكل قوة إنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد عليه السلام لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحباً بنا حتى نقتني أثره) ويضيف (وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقتربون كل الافعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، وبدل عاداتهم وأخلاقهم وجمعهم تحت راية وقانون واحد ودين وثقافة وحضارة وحكومة واحدة، واصبحت تلك الامة التي لم تتجرب رجلاً عظيماً واحداً يستحق الذكر منذ عدة قرون، أصبحت تحت تأثيره وهدية تجب ألوفاً من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد... تحمل ثلاثة عشر عاماً من المتاعب في مكة دون انقطاع، وثمانين سنوات في المدينة، تحمل ذلك كله ولم يتزحزح عن موقفه وكان صامداً في أهدافه وموقفه، عرض عليه قومه أن ينصبوه ملكاً عليهم

(1) <https://www.youtube.com/watch?v=rKpAEVogD3s&t=10s>

(2) <https://www.youtube.com/watch?v=rKpAEVogD3s&t=10s>



وأن يضعوا عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته، فرفض هذه الاغراءات كلها فاختار بدلا من ذلك أن يعاني من أجل دعوته، فلماذا لا يبد أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل الى جواب... هل بوسع المرء أن يتصور مثلا للتضحية بالنفس وحب الغير والرفقة بالآخرين أسمى من هذا المثال حيث نجد رجلا يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينما يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبدل أقصى جهده في سبيل ذلك يقومون برميهم بالحجارة والاساءة إليه ونفيه وعدم اتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، هل يمكن أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ ويضيف إن هذا الايمان وهذا السعي الحثيث والعزم الذي قاد به محمد حركته حتى النصر النهائي، إنما هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته... (١).

إيتين دينيه ١٨٦١/١٩٢٩، تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر وأشهر اسلامه وتسمى بناصر الدين ١٩٢٧، وحج الى بيت الله الحرام ١٩٢٨، من آثاره: محمد في السيرة النبوية، وله مؤلفات عديدة بالفرنسية منها: اشعة خاصة بنور الاسلام، وهذه بعض المقتطفات من هذا الكتاب: (إن نبي الاسلام هو الوحيد من بين أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في اتمام رسالته على المعجزات وليست عمدته الكبرى إلا بلاغة الترتيل الحكيم.. ثم يضيف: إن سنة الرسول الغراء ﷺ باقية إلى يومنا هذا، يجلوها أعظم إخلاص ديني تفيض به نفوس مئات الملايين من أتباع سنته منتشرين على سطح الكرة... وويضيف أيضا: لقد دعا عيسى عليه السلام الى المساواة والأخوة أما محمد فوفق الى تحقيق المساواة والأخوة بين المؤمنين أثناء حياته.. الى أن يقول إن حدود هذا السفر لن تسمح لنا بأن نقدم لك جميع التفاصيل وجميع النواحي لحياة حافلة بالعظائم إلى هذا الحد كما هو الشأن في حياة النبي محمد نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم) (٢).

اما ممثل هوليدو الأمريكي المشهور ماهر شالا علي المسلم الذي يقول مدافعا عن الاسلام والمسلمين في اكبر مهرجان في الولايات المتحدة: (الاسلام دين تسامح ومحبة ونبذ للكرهية، أمي كاهنة مسيحية وأنا مسلم لم تكن تريد اسلامي ولكننا اتفقنا في النهاية وتحترمني واحترمها). (٣).

اما اسية الفتاة اليابانية التي بدأت رحلتها في البحث عن الاسلام في عمر ١٧ عشر، تقول: (لم أفكر في الاسلام إلا بعدما بدأت أفكر في الغاية من الحياة الدنيا وقيمتها، وحينها كان منتشر في اليابان صورة سيئة عن الاسلام، لكنني رغبت في التعرف عليه أكثر فبدأت في

(١) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٢٦/٢٧

(٢) د: محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، مرجع سابق، ص: ٢٤/٢٥.

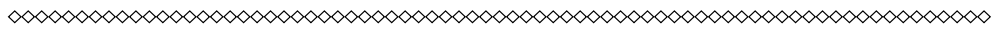
(3) <https://www.youtube.com/watch?v=l7dmHTkQ8y0>

القراءة عنه، وفي سن ١٨ عشر سافرت الى طوكيو لأنه لم يكن ثمة مراكز اسلامية أو مساجد في مدينتي، فجدت امرأة محجبة تبيع في محل تاوبل أندونيسي فطلبت منها أن تعلمني الاسلام، فكانت لي بمثابة الأم، كما وجدت فيها الاسلام الحقيقي والذي يتجلى في أخلاقها معي ومع الناس وليس مجرد عبارات، ذهبت الى الحج أمي الأندونيسية وعند عودتها ونحن في المطبخ رأيت قارورة ماء فسألته عنها قالت لي أنه ماء زمزم أحضرته من مكة المكرمة وسقتني منه، وقالت لي تمنى شيئاً قبل أن تشربه، فتمنيت أن يهديني ربي للاسلام ثم شربته، فانهمرت دموعي لانها سقتني هذا الماء المبارك مع انني غير مسلمة) وتضيف: (كنت أظن قبل ان أسلم أن الله بعيد عني وأدعوه أن اقترب منه، لكنني بعد اسلامي عرفت أن الله كان يراني وقريب مني دائماً)، وتضيف (كنت ناشطة في حقوق المرأة قبل اسلامي، ولكنني بعد اسلامي وجدت أن حقوق المرأة في تطبيق الشريعة الاسلامية، فهو ساوى بين المرأة والرجل في الحقوق، وقسم الواجبات بما يناسب طبيعة كل منهما)، وعند سؤالها عن علاقتها بالقرآن والرسالة التي وصلتها منه قالت: (سمعت القران منذ مدة طويلة واعجبني كثيرا، فأني انسان وان لم يعرف العربية كما كنت حينها يشعر بعظمته وأنه كلام الله، وهو السبب في بحثي عن الاسلام والهداية)، وعن سؤالها متى وأين اعتنقت الاسلام تجيب اسية: (بعد بحث دام ٥ سنوات وتردد في اعتناقه، نطقت الشهادتين في سوريا سنة ٢٠٠٩ في بيت احد صديقاتي قبل رمضان بيوم واحد لأنني أردت أن اقضي رمضان الذي ينتظره كل المسلمين وأنا مسلمة، ولم أملك دموعي في هذه اللحظة التي طالما انتظرتها، وكانت فرحتي كبيرة ببداية حياة جديدة وأن الله غفر لي كل ما عملته سابقا وكأنني ولدت من جديد، وعندما اخبرت والداي قالوا لي مازحين: إذا لن تستطيعي أكل أغلب ما نأكله، لكن والله الحمد لم أجد اعتراضاً أو متاعب منهم)، وعند سؤالها عن الصعوبات التي وجدتتها بعد ارتدائها للحجاب؟ أجابت: (كنت اخاف أن افقد وظيفتي لذا كنت ارتدي الحجاب في المسجد فقط وذات يوم حضرت قداساً فرأيت النساء بعد خروجهن يزلن الغطاء من على رؤوسهن، فقلت إن الله موجود في كل مكان وليس في الكنيسة والمسجد فقط فقررت أن ارتدي الحجاب دائماً، وكنت أدعو الله أن يبسر لي كل طاعة وبالفعل كان ربي يستجيب لي).^(١)

أخنس أوسك وهي ربة بيت اسلندية تروي قصة اسلامها وتقول عنه: (اعتنقت الاسلام لأنه يحترم المرأة ولا يعتبرها كقطعة لحم)، وتكمل قصتها بقولها: (اكتشفت نفسي لأول مرة في حياتي بعد اسلامي حيث شعرت بالطمأنينة).

أما سمية فاليري الفرنسية والتي اعتنقت الاسلام سنة ٢٠١٤ وهي الآن تعتكف على تأليف كتاب عن الصحابة منذ سنة ٢٠١٩. تروي قصة دخولها للاسلام، والتي بدأت بسبب التناقضات

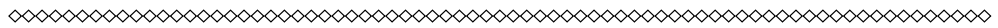
(1) <https://www.youtube.com/watch?v=q4KHPzOhA0E>



الكبيرة في تعاليم المسيحية بين عيسى ومريم ويوسف، وتقول (أنها أثناء عملية بحثها عن الاسلام قررت السفر الى البوسنة للعمل وللبحث وبعد سماعها لآذان أخذت تبحث عن الاسلام وتعاليمه وعند دراستها للقران تقول حينها وجدت ضالتي أسرعرت للنطق بالشهادتين لأنني اقتنعت بأن الاسلام هو الدين الذي أبحث عنه) ، وتركت كل شيء وراءها بعدما عارضت أسرتها اسلامها، تقول: (بدأت من الصفر وتخلت عن كل أملاكي لأبنائي الذين رفضوا رؤيتي بعد إسلامي، لكنني سعيدة جدا ففي تركيا وجدت ضالتي وبدأت حياة جديدة مع الله وفي كل جوانب حياتي، ووجدت أناس طيبين وقفوا معي ودعموني في مسيرتي الجديدة بعد الاسلام فالحمد لله).⁽¹⁾

أما خليل تشارلز الذي ينحدر من جزر الكاريبي من جزيرة اسمها سانت لوشيا، كان كاثولوكيا ولا يزال والداه كذلك، يقول: (كنت أذهب وأنا صغير للكنيسة كنت مؤمنا بالله وبأن لله تأثير في حياتنا، وفيما بعد امتنعت أمني عن الذهاب للكنيسة بسبب أنها رأت القس يشرب النبيذ، وأنا فيما بعد رأيت رجلا مسكينا ضعيفا يدخل للكنيسة وهو لا يقوى على المشي وقال القس لمساعدة بأن يجلسوه على الكرسي، رأيت أنه لا يحتاج الى الجلوس بقدر ما يحتاج الى المساعدة وأن تقضى له حاجته، كما يحتاج للرافة التي كانت معدومة في هذا الموقف، كما كان هناك مسألة الاعتراف حيث تذهب الى القس وتحكي له كل الأخطاء التي اقترفتها وهذا لم يكن يعجبني، وذات مرة بدل أن يفتح أخي باب الاعتراف فتح بابا آخر ورأينا القس في ملابس غير محتشمة، كل هذه التجارب جعلت الشك يدخل في نفسي، وبسبب الحروب بين الديانات بدأت بالبحث في الديانات لأنني أردت معرفة الحقيقة، لذلك قررت أن أعرف مايقدمه كل واحد من هذه الأديان، وأرجأت بحثي عن الاسلام الى الأخير، بدأت بالمسيحية ثم البوذية والهندوسية وكل المعتقدات المرتبطة بالاديان، ورأيت أن كل هذه الأديان تتبع رجل سواء أكان المسيح أو بوذا...، وجدت مشاكل مع كل تلك الأديان، وفي الأخير عدت للإسلام الذي كنت قد وضعت علامة عليه وأرجأته للأخير بسبب ما يبدوا أنه يثيره من مشاكل في العالم، أو بسبب ما كان يقوله بعض المسيحيين من أن الاسلام دين الشيطان، وعندما بدأت أبحث أذهلني ما وجدت) ، ثم يضيف: (أثناء بحثي كانت لدي مهمة صحفية للبي بي سي في غامبيا، وهناك التقيت بيونس الذي كان مسيحيا وأسلم وأخذنا نتناقش في الإسلام وكنت أحاول أن أبين له خطأ قراره بالدخول للإسلام وأحاول ثنيه عنه، وكان أثناء حديثنا الطويل يستأذن ويذهب الى ركن في المنزل ويغسل وجهه ويديه ثم يرمي نفسه على الأرض استغربت كثيرا لما كان يفعله، واستغربت أكثر لأنه كان يقطع حديثنا المهم ويذهب لممارسة هذا الفعل وجدت ذلك خارجا عن المألوف، كان يسألني أسئلة بسيطة جدا لاكنني لم أستطع أن أجيب عليها مع أنني كنت أظن أنني أعرف كل شيء وحتى ما لا أعرفه أبحث عنه وأجد الاجابة عنه،

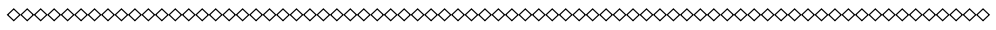
(1) <https://www.youtube.com/watch?v=6bjpiLyJ7uU>



وكان من هذه الاسئلة لماذا خلقك الله وأوجدك في هذه الارض؟ ولم أعرف الاجابة لكنه قال لي أنا أعرف الاجابة وتلى علي: (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) سورة الذاريات آية ٥٦ عندها تأثرت كثيرا وبدأت أسأله عن مايقوله في الصلاة لكنه قال لي عندما تسلم ستعرف، وبدأت أسأل ابنه فقال لي (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين..) ولم أفهم حينها شيئاً، وعندما أردت العودة إلى بريطانيا قال لي يونس الآن وقد عرفت الاسلام إياك أن تدير ظهرك لله، وإذا فعلت فأنت جاحد ملحد، هذه الكلمات أثرت في كثيرا، لأنني دائماً كنت أؤمن بالله، وبعد ذهابي إلى لندن شعرت أنني أريد أن أصلي كيف أصلي وماذا أقول في الصلاة وفي أي وقت أصلي لا أعرف لكنني أحتاج للصلاة، وفعلت ماكان يفعله يونس وبدأت أردد بسم الله بسم الله، وأخذت أسجد عدة مرات فلم أكن أعرف عدد السجعات، وبعد ذلك ذهبت الى المسجد وأسلمت، وكانت في هذه الأثناء بعض المشاكل بين المسلمين في بريطانيا فقررت النأي عنها والسفر الى إحدى الدول الاسلامية لتعلم الاسلام والعربية، نصحتني بعض الاخوة بالسودان فتوجهت إليها، بعدما قدمت استقالتني من البي بي سي، التي كنت أعمل فيها من أجل الشهرة وليس من أجل خدمة الناس، لهذا اردت تغيير قناعاتي وطريقة تفكيري وخدمة هدفي من خلال عملي، لازلت صحفياً لكنني الآن بعدما أسلمت أحاول أن أعمل على أهداف تخدم البشرية، تعلمت العربية والإسلام على يد شيخ في السودان وعشت فيها ١٤ سنة كان الناس مثل عائلتي لم أشعر بالغربة أبداً، وعندما عدت الى لندن شعرت بالاكئاب فبعدها كنت أعيش في الهواء الطلق أصبحت أعيش بين أربعة جدران وبعدها كان الناس يكرموني في كل مكان حتى في الباص الذي كنت أصدع إليه ويقف كل الشباب يعرضون علي مقاعدهم لم يكن يهتم لك أحد في بريطانيا)، وبعد سؤاله عن الاسلام والمسلمين في العالم، قال: (أثق في الاسلام والمسلمين وأنا سعيد بالاعداد الكبيرة التي تدخل في الاسلام من كل أنحاء العالم، ورأيت العديد من الناس يزدهرون بعد دخولهم للاسلام، كما أنني عوملت معاملة جيدة والحمد لله).^(١)

وهذا القسيس الامريكي ساميول شرويشور يحكي تجربته مع الاسلام قائلاً: (أنا مواطن أمريكي أعيش في السعودية أتيت سنة ٢٠١١ بدون أي معرفة عن الاسلام وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، معظم ماكنت اسمعه عن الاسلام كان سلبياً، فقي امريكا وسائل الاعلام تعزز نشراتها بشكل مستمر بتحويل الاخبار عن الارهاب، أتيت للسعودية من أجل مشروع كيو بواسطة الدكتور صافي قصقص، الذي أراد أن يقدم ترجمة جديدة للقران باللغة الانجليزية الامريكية، للجيل القادم من الشباب في امريكا، ولأنني لم اكن اعرف العربية فإنني لم أقم بأي عمل في الترجمة، ببساطة تمت دعوتي لكي أقرأ الترجمة الانجليزية وأتحقق من انها واضحة وسهلة

(1) <https://www.youtube.com/watch?v=ATwSrWqER0&t=85s>



الفهم، وكان هذا يتطلب مني أن أقرأ القرآن عدة مرات، فتكونت عندي العديد من الأسئلة، ولقد صدمت عندما عرفت أن عيسى عليه السلام ذكر في القرآن كأحد الأنبياء العظماء كما ذكرت قصة ولادته من أم عذراء، ووجدت العديد من معجزاته التي قام بها وبعضها ذكرت في القرآن ولم تذكر في الإنجيل، كانت غرفتي في منزل صافي تطل على فناء يؤدي للمسجد، وكانت نفسي تتشوق للذهاب الى ذلك المسجد، وبعد عدة أشهر استجمعت شجاعتي وذهبت الى المسجد وقرعت الباب، في العادة الناس لا يقرعون الباب بل يفتحونه ويدخلون، لكنني لم اكن اعرف كيف سيتم استقبالي لذلك كنت أقف بالخارج وأقرع الباب باستمرار إلى أن أتى أحدهم وفتح لي الباب وقال لي ذلك الشاب: كيف استطيع مساعدتك؟ قلت له: أنا امريكي مسيحي هل أستطيع الدخول؟ ذلك الشخص كان مؤذن المسجد، خرج وضممني إلى صدره وقال لي بالطبع تستطيع الدخول، مكثت ثلاثة أيام في آخر المسجد أراقب المصلين، لم افهم ماذا كانوا يفعلون كنت أراهم يقفون ويركعون ويضعون رؤوسهم على الأرض، والامام يقودهم، شعرت أن الله موجود في ذلك المسجد، وبعد ثلاثة أيام سألت المؤذن هل يمكنه أن يعلمني سورة الفاتحة، فحفظتها لكنني لم اكن أعرف معانيها، وقرأت ترجمتها الموجودة عندي، ووجدت أن كل معانيها لا تتعارض مع تعاليم المسيحية، ولامست آياتها قلبي بشكل غريب، وبعد ذلك أخذني الدكتور صادق إلى المركز الاسلامي بجدة، وهناك نطقت بالشهادة، وحسب تعاليم الاسلام فكلنا سواسية لا أحد فوق الآخر، هناك علماء يعلمون الناس تعاليم الاسلام ولكن علاقتك بالله شخصية ومباشرة، الايمان سهل وواضح، كما وجدت أن تعاليمه لا تتعارض مع المسيحية بل يدعو إلى الايمان بكل الأنبياء وليس فقط بمحمد عليه السلام، وكل ما يدعو اليه لا يتعارض مع طبيعة البشر).⁽¹⁾

هذه بعض الشهادات لمسلمين غربيين أسلموا حديثا ورووا لنا قصصا عن مسيرتهم نحو الاسلام، وعن نظرتهم ورأيهم بعد الاسلام وقبله، وهي شهادات كثيرة جدا والحمد لله نكتفي ببعضها لضيق الوقت فالمقصود يكمن في معانيها العميقة ولمسها شغاف قلوب الغربيين والمسلمين على حد سواء ولناخذ منها العبرة، ولمن يريد ان يتبحر في هذه الشهادات ما عليها لا فتح شاشة التلفزيون أو اليوتوب أو حتى ارتياد المساجد في كل مكان في العالم ليرى بعينه الاقبال الكبير للناس على الاسلام فالحمد لله أولا وأخيرا على نعمة الاسلام وعلى نعمة الهداية.

ختاما: صدق الله العظيم الذي قال في محكم تنزيله: (وشهد شاهد من أهلها) فأهلها ليسوا سواء، وهذا ما نستشفه من كل الشهادات السابقة؛ فلا مشكلة بين الاسلام وبين الانسان الغربي أو العلم الغربي، وإنما المشكلة مع مؤسسات الهيمنة الغربية السياسية والكنيسية والاعلامية ففي

(1) <https://www.youtube.com/watch?v=iCWoCNgqHwE>



مشروع هذه الهيمنة بدأ الافتراء على الاسلام منذ ظهوره، وهذا البحث يقدم لنا شهادات غربية على تجذر وبهتان الافتراءات الغربية على الاسلام، وشهادات غربية لعلماء وفلاسفة ينصفون فيها الاسلام ونبي الأمة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وشواهد حية لمن اهتدى قلبه للاسلام حديثاً، وكيف كانت مسيرته نحو الاسلام، وشهاداته الحية عن النبي عليه السلام، وهي عبارة عن وثائق الانصاف الغربي لعظمة الاسلام.

فمحمد أنموذج الانسانية الكاملة، وملتمى الأخلاق الفاضلة، وحامل لواء الدعوة العالمية الشاملة. أعطاه ربه وأكرمه، وأعلى قدره ورفع ذكره، ووعدته بالمزيد حتى يرضى، وولاه قبلة يرضاها، من أطاعه فقد أطاع الله، ومن بايعه فإنما يبايع الله، لا قدر لأحد من البشر يداني قدره، صفوة خلق الله، وأكرم الأكرمين على الله.

ويبقى سؤال كبير ينبغي أن نطرحه على أنفسنا بعد وهو: ماذا يجب علينا أن نفعل؟ نصره للرسول وننشر سيرته العطرة بيننا؟

إن كنا حريصين فيما مضى على تعلم السنة؛ فيلزمنا من الآن فصاعداً أن نكون متمسكين بها، عاملين بما نتعلم منها، فالعمل بالعلم يورث العلم، أما العلم بلا عمل فسريراً ما يضمحل. كما أنه علينا أن ننشر سيرة نبينا محمد عليه السلام الطاهرة الشريفة على كافة الأصعدة والمستويات.

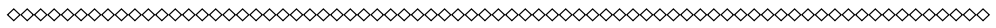
وعلينا التأسى بالحبيب وحث أبناءنا وتلاميذتنا على التأسى به في أقواله وأفعاله. وعلينا أن نبين للغربيين بلغاتهم وبالتي هي أحسن الاسلام الحق بمحاسنه وسماحته وعفوه وقوته ..

كما علينا أن نتواصل مع مثقفينا ونطلب منهم أن يبينوا أقوال المنصفين من الغرب نفسه فيما قالوا بحق في حق نبينا عليه السلام. وعلى مثقفينا من الجانب الآخر أن يفضحوا التناقضات في المواقف والتحيز والانتقائية والعنصرية والانفلات الحضاري والحق أحق أن يتبع (فأما الزيد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) والمسلمون على عقيدة راسخة بأن الله متم نوره، وكيد الكائدين لن يضر أهل الاسلام شيئاً إذا صبروا واتقوا وأحسنوا.

المراجع المعتمدة:

بشرى زخاري ميخائيل، محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل، مطبعة عالم الكتب، ١٩٧٥م، القاهرة.

أرنولد- سير- توماس، الدعوة الى الاسلام، ترجمة، د:حسن إبراهيم حسن، دعبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٠م



برنارد لويس، السياسة والحرب، دراسة منشورة بكتاب تراث الاسلام القسم الاول، ترجمة: محمد زهير السمهوري، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى، مراجعة: د فؤاد زكريا، طبعة الكويت، سلسلة عالم المعرفة سنة ١٩٧٨م، ص: ٢٢٩/٢٣٢.

محمد السقا عيد، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة. الدكتور محمد عمارة، الاسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وانصاف العلماء، دار الشروق.

سارتون جورج، الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ترجمة د عمر فروخ، طبعة بيروت، ١٩٥٢م.

سانتيلانا، القانون والمجتمع كتاب تراث الاسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٢.

زيجريد هونكة، العقيدة والمعرفة، ترجمة عمر لطفي العالم، طبعة دمشق، سنة ١٩٨٧م، والله ليس كذلك، ترجمة د غريب محمد غريب، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م، وفضل العرب على أوروبا، ترجمة محمد حسنين علي، طبعة القاهرة، سنة ١٩٦٤م. شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمه: فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل بيروت، ط١٩٩٢، ٨.

شاخت، تراث الاسلام، بإشراف شاخت ترجمة: جرجيس فتح الله، طبعة بيروت، سنة ١٩٧٣م.

شاخت، تراث الاسلام، بحث بعنوان الشريعة الاسلامية، القسم الثالث، ترجمة: د محمد زهير السمهوري. تعليق وتحقيق: د شاكر مصطفى. مراجعة: فؤاد زكريا، طبعة الكويت، سلسلة عالم المعرفة، سنة ١٩٧٨.

لواء أحمد عبد الوهاب، الاسلام في الفكر الغربي، طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٢م. محمد حسام الدين الخطيب، نبي المسلمين ودين الاسلام عند النخبة من الغربيين، شبكة الألوكة.

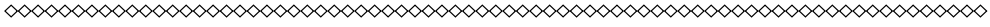
مونتجمري وات، الاسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة د عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة، مكتبة الاسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠١م.

<https://www.youtube.com/watch?v=6bjpiLyJ7uU>

<https://www.youtube.com/watch?v=ATwSrnm>

<https://www.youtube.com/watch?v=l7dmHTkQ8y0>

<https://www.youtube.com/watch?v=q4KHPzOhA0E>



صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند عقلاء الغرب المحدثين وموقفهم من نبوته

بعدما كرس الغرب كل جهوده وآلياته (الاستعمار - التبشير - الاستشراق) ولقرون خلت من أجل تشويه صورة النبي محمد «صلى الله عليه وسلم» وتنفيذ نبوته والحط من قيمته ، وإبراز صورة نمطية مشوهة عن شخصه عليه الصلاة والسلام برز من بين ظهرانيهم من أنصفه ، حيث جند له خالقه فئة من فلاسفة ومفكرين وسياسيين.. ممن هدتهم فطرتهم السليمة إلى النظر بعين الحقيقة والإنصاف لدين الحق فتغيرت مواقفهم وتبدلت أفكارهم ، وتحولوا من أعداء للرسول وللإسلام إلى أشرس المدافعين عنهما . فظهرت كوكبة منهم قلبت الموازين وأحدثت أثرا بالغا في مسار الدعوة ، مما جعل الغرب يللمل أوراقه ويعيد قراءة نفسه و(الآخر) من جديد .

الكلمات المفتاحية : الصورة - النبي محمد ﷺ - النبوة - عقلاء الغرب .

After the West has devoted all its efforts and mechanisms (colonialism - evangelization - orientalism) for centuries of this, in order to tarnish the image of the Prophet Mohamed Saws, refute his prophecy and belittle him, and give a tarnished stereotype of her person, wise men among themselves have emerged from the midst of this companion in order to give him justice. Its creator mobilized for him a group of philosophers, thinkers and politicians ... who were guided by their instinct to look with truth and fairness towards the religion of truth, so that their positions changed and their ideas too; from this position they went from enemies of the prophet and of Islam to its fiercest defenders. Then a group of.

The key words: (The image - the Prophet Mohamed Saws - the prophecy - the wise men of the West)

توطئة :

كثيرا ما كانت الصورة العدائية المقدمة عن (الآخر) بمثابة تقديم صورة غير موضوعية للذات وللآخر في الوقت نفسه ، مع أن الذات تدرك نفسها حين تتعامل مع الآخر. إذ تشكل ويعاد

تشكيلها في المواجهة معه. لذا في أغلب الأحيان لا يكون التعبير عن الذات إلا بنفي الآخر أو تشويهه^(١)، وذلك بوضعه في قوالب جاهزة زرعها التربية والثقافة السائدة، فتنتفي بذلك الصورة الحقيقية التي تصبح خاضعة لأوهام تورث رؤية متعصبة، دون أن يكون لها أي مصداقية على أرض الواقع^(٢). وهذا ما حصل مع الغرب اتجاه ديننا الإسلامي الحنيف، ونبينا «محمد» الطاهر الشريف. فقد خزنت الذاكرة الغربية منذ القديم تصورات عنهما تعود إلى بداية ظهور الدعوة وانتشار الإسلام وبسط نفوذه شرقاً وغرباً على نحو أزعج الغرب وكان مصدر قلق دائم لهم، وذلك بعد اكتساحه لشبه الجزيرة الإيبيرية ووصوله إلى غرب أوروبا. فصار بذلك يهدد المسيحية في عقر دارها، مما جعل الغرب يعتبره ندا وعدواً للمسيحية، ولم يجد وسيلة لمجابهته سوى عن طريق تشويه صورته، وصورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإيجاد نموذج نمطي متخيل صار من ثوابت التوجه المسيحي، وهنا نطرح عدة تساؤلات: فيم يتمثل هذا النموذج النمطي المتخيل للإسلام؟ وماهي الصور السلبية التي أساء بها هؤلاء لنبينا الكريم؟ وكيف أنصفه خالقه؟ ومن هم المفكرون الغربيون المحدثون الذين أنصفوه؟ وكيف أنصفوه؟

المطلب الأول: خير الخلق «محمد» صلى الله عليه وسلم:

هو محمد بن عبد الله النبي العربي الهاشمي الأمي اصطفاه الله عز وجل ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وقد أيده بمعجزة معنوية خالدة هي القرآن الكريم، لأن المعجزات الحسية تقتضي بانقضاء المكان والزمان، فكان القرآن كتاب الله والسفر الخالد الذي لا تقتضي أعاجيبه. قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾^(٤). لأنه يخاطب عقل الإنسان وفكره ويواكب حياته.

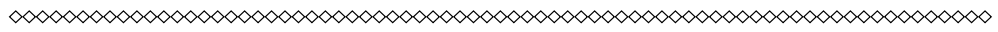
فما من يوم ينشق فجره إلا ويؤكد العلم الحديث وفي كافة المجالات صدق القرآن وصدق

(١) ينظر: ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠، ص ٠٩.

(٢) ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص ١٣.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٥٧.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣-١٩٥.



النبي الأعظم ، لأنه ضرب من المستحيل أن يأتي شخص قبل أربعة عشر قرناً ونيف بهذه الحقائق العلمية ، ويخبر بها قبل حدوثها إلا أن يكون رسولا يوحى إليه من ربه . وقد بلغ عليه الصلاة والسلام من الأخلاق غاية الكمال ، فقد رباه خالقه وجعله في ذروة الكمال الخلقى، حيث أشاد وشهد له في القرآن الكريم بعظمة هذا الخلق في قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) ، ولم يشهد بمثل ذلك لأحد من الأنبياء والرسل . وإن من عاصره وعاشره قد أدرك هذه السمائل المحمدية ، فشهدوا له بها وخاصة زوجاته وهن الأقرب إليه ، فهذه زوجته خديجة رضي الله عنها تقول له في حديثها المشهور، الذي تشد به أزره وتطمئنه بعد أن جاءها مفزوعاً لحظة نزول الوحي عليه : «كلا والله لا يخزيك أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقرئ الضيف، وتعين على نوائب الحق»^(٢) . فقد شهدت له بجميل الصفات الاجتماعية ومكارم الأخلاق . إضافة إلى ذلك حديث عائشة رضي الله عنها الذي أجابت به جبير بن نفير لما سألها عن أخلاق النبي ﷺ بقولها : «القرآن»^(٣) . فقد كان يتحلى في كل صفاته وأفعاله بما انطوى عليه القرآن من أوامر ونواه . إضافة إلى ذلك سماحته ولين جانبه لجميع المحيطين به فهذه شهادة عائشة عنه بقولها : «ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال : «ليبيك»»^(٤) .

وهذا أنس بن مالك قال : «خدمت النبي ﷺ تسع سنين ، فما أعلمه قال لي قط : هلا فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب علي شيئاً قط»^(٥) .

وفي حديث سفيان بن وكيع قال : «كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا فاحش ولا عيآب ، ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ويؤيس منه ، ولا يجيب فيه»^(٦) .

وعن حسين بن واقد عن يحيى بن عقيل قال : سمعت ابن أبي أوفى يقول : «كان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ، ويقل اللعن ويطلق الصلاة ، ويقصر الخطبة وكان لا يأنف ،

(١) سورة القلم ، الآية : ٥٤ .

(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي ٥/١ ، ومسلم في الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ص ١٦٠ .

(٣) إسناده حسن والحديث صحيح مروى من غير وجه عن عائشة . ، كما في مسند أحمد (ج ٦ ، ص ٩١٠٥٤ ، ١١٦٣ ، ١١٨٨ ، ٢١٦٠) وفي صحيح مسلم (ج ١ صلاة المسافرين/١٢٩) وهو في بعض المواضع أتم من هذا وأطول .

(٤) الحديث شرطه الأول ثابت من حديث عائشة أخرجه أحمد (ج ٦/٢٣٦) بسند صحيح كما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أنس ، وشطره الثاني لم أجده عند غيره .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (ج ٤/الفضائل/٥٢) ، وأحمد (ج ٣ ص ١٠٠) كلاهما عن طريق زكريا بن أبي زائدة بهذا الإسناد بمثله .

(٦) الحديث بطوله في كنز العمال (ج ٧/١٨٥٣٥) معزو للترمذي في الشمائل والرويانى والطبرانى والبيهقى في الدلائل ، وفي شعب الإيمان وابن عساکر ، وقد ضعفه الألبانى في مختصره لشمائل الترمذي حديث رقم ٦ .

ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقتضي له حاجته»^(١).

وأما عن حلمه فقد كان أحلم الناس وأصبرهم على الأذية مع مقدرته على العقاب فعن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ أدركه أعرابي فأخذ بردائه فجبذه جبذة شديدة، فنظرت إلى عنق رسول الله ﷺ، وقد أثرت فيه حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال:» يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك». فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ، وأمر له بعتاء»^(٢).

كما أثنى عنه صلى الله عليه وسلم شدة حيائه فعن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها»^(٣).

وأما عن جوده فكان علي بن أبي طالب إذا نعت رسول الله ﷺ قال: «كان أجود الناس كفا وأجراً الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة وأوفاهم بذمة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه فعرفه أحبه ، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ»^(٤).

وفيما يخص تواضعه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت : ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت: «كما يصنع أحدكم في بيته يخصف النعل ويرقع الثوب»^(٥).

وعن أبي مسعود قال: «أتى النبي رجل يكلمه فأرعد فقال: «هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»^(٦). كما كان عليه الصلاة والسلام من شدة تواضعه لا يحب أن يتميز عن الآخرين فعن البراء قال:«رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق ينقل التراب ، حتى وارى الغبار شعر صدره..»^(٧).

المطلب الثاني : دلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم :

أيّد الله عز وجل نبيه الكريم بالدلائل والمعجزات الدالة على صدق نبوته ، كي تؤمن به وبدعوته ، وذلك عن طريق تصديقه في كل ما جاء به ، وطاعته واتباع شريعته ، وهذه الأمور تعتبر الركائز الأساسية التي يقوم عليها الإيمان به عليه الصلاة والسلام . وإن هذه الدلائل والمعجزات

(١) أخرجه النسائي(ج٢ص١٠٨،١٠٩) والدارمي(ج١/٧٤) كلاهما بإسناد حسن كلاهما عن طريق الفضل بن موسى بهذا الإسناد بمثله.

(٢) صحيح أخرجه البخاري - كما في الفتح- (ج١٠/١٠٩، ٥٨٠، ٦٠٨) ومسلم(ج٢- الزكاة/١٢٨) من حديث مالك بن أنس بهذا الإسناد..

(٣) صحيح أخرجه البخاري مختصرا - كما في الفتح- (ج١٠/٦١١٩) ومسلم(ج٤- الفضائل/٦٧) .

(٤) حديث ضعيف.

(٥) صحيح أخرجه أحمد(ج٦ص١٠٦، ص٢٤٢).

(٦) صحيح أخرجه ابن ماجة(ج٢/٢٣١٢).

(٧) أخرجه البخاري كما في الفتح(ج٦/٣٠٣٤)، (ج١١/٦٦٢٠) ومسلم(ج٣- الجهاد/١٢٥).

فاقت الألف معجزة كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء^(١). وقد تنوعت بين ماهو حسي وماهو معنوي ، وبين أوقات ظهورها ، فمنها ما كان قبل مولده كبشارات الأنبياء به من قبل ، ومنها ما كان وقت ولادته كقصص الفيل ، والعجائب التي حدثت عام مولده لتدل على نبوته ، ومنها ما كان عند بعثته والتي يمثل القرآن الكريم أهمها لأنه المعجزة الخالدة ، إضافة إلى ظاهرة انشقاق القمر^(٢) ، والإخبار بأمور غيبية ، وغيرها .

١- القرآن الكريم : يعتبر القرآن الكريم كتاب الله والسفر الخالد بخلود البشرية لأن أعاجيبه لاتفتى ، فهي بمثابة ناقوس يدق في ضمائر البشرية للدلالة على أنه من عند الله عزوجل ، ورغم جميع المحاولات لم تتل منه أيدي العابثين والمشككين فيه ، لأن الله عزوجل تعهده بالحفظ ، فقال عزمن قائل : ﴿ إِنَّا حَفِظْنَاهُ نَزْلًا أَلْفًا وَلَئِنَّا لَلْحَافِظُونَ ﴾^(٣) فقد أقر الله تعالى حفظه لضمان دوامه إلى أن يرث الأرض ومن عليها .

٢- انشقاق القمر : قال تعالى : ﴿ أَقْرَبْتِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾^(٤) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر»^(٥) .

٣- نبع الماء بين أصابعه : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «أتي رسول الله بإناء وهو بالزوراء ، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم . قال قتادة : قلت لأنس : «كم كنتم ؟» . قال : ثلاثمائة ، أو زهاء ثلاثمائة»^(٦) .

٤- إشباع العدد الكثير من الطعام القليل : أحاديث تكثير الطعام القليل تعددت وتكررت في مواطن كثيرة منها : عن أنس رضي الله عن قال : «قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا ، أعرف فيه الجوع

فهل عندك من شيء؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها فلفظت

(١) محمد بن علي بن خليفة التميمي ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة ، مكتبة أضواء السلف ، جدة ، م.ع.السعودية ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ٧٣ .

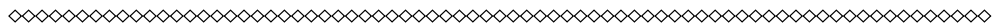
(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٩٠ .

(٤) سورة القمر ، الآية : ١-٢٠ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر . انظر : فتح الباري (٦٢١/٦) ج ٣٦٣٧ .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ (٤٩/٧) .



الخبز ببعضه ، ثم دسسته تحت يدي ولاثنتي ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقامت عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت نعم قال : بطعام ؟ قلت نعم . قال رسول الله ﷺ لمن معه قوموا . فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة : «يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم »، فقالت: «الله ورسوله أعلم» . فانطلق أبو طلحة فلقى رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ هلمي يا أم سليم ما عندك» فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول ثم قال: «أئذن لعشرة». فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: «أئذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «أئذن لعشرة». فأكل القوم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا»^(١).

٥- ما أطلع عليه من أمور الغيب : «والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهي من جملة معجزاته المعلومة على القطع»^(٢). ومنها إخباره عن يوم القيامة وأماراته: «سيكون الناس سكارى بغير خمر، وسيكون الولدان شبب ولكن أين يكون المفرد؟ وسيظهر ثلاثون دجالا ، وستلد الأمة سيدها، وسيقيم رعاة الإبل بالقصور، وسيشيد الناس المباني الشامخة ، وسيحشر الناس حفاة عراة غرلا كيوم ولادتهم» . فسألت عائشة النبي: «يارسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال النبي ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»^(٣).

تبقى هذه المعجزات دلائل قاطعة على نبوة الرسول الكريم حتى ولو أنكراها المنكرون، وجحدها الجاحدون. أولئك الذين أنكروا نبوته وعمدوا إلى الإساءة له عن طريق تشويه صورته.

المطلب الثالث: صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفكر الغربي :

إن المتتبع لتاريخ الفكر الغربي وعلاقته بالمشرق وبالإسلام سيجد أن وعي الفكر الأوروبي قد تبلور مبكرا ، وكوّن صورة مشوهة عن الدين الإسلامي وعن النبي ﷺ، والتي برزت ملامحها منذ العصور الوسطى ، ويعود الفضل في ذلك للكنيسة من جهة وللاستشراق من جهة أخرى . فقد عكفت الكنيسة -باعتبارها السلطة العليا في الدولة والمجتمع آنذاك- على تغذية هذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام . انظر فتح الباري (٥٨٦/٦) ح ٣٥٧٨.

(٢) محمد بن علي بن خليفة التميمي ، المرجع السابق ، ص ٨٢.

(٣) إميل درمنغم ، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة ، تر: عادل زعيتر، الشعاع للنشر والتوزيع ، ط٣، ٢٠٠٥، ص ٢٧٠.



العداء وتكريسه وصبت جام غضبها على رسول الله ﷺ، فنسجت له صورا مغرقة في الفظاعة والبشاعة، وانتصت من شخصيته صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وسيرته حتى غدا رمزا للشر في الأرض^(١). هذا الشر الذي لا بد - في نظرها - من استئصاله فكان سلاحها الأول في ذلك هو الاستشراق، حيث سعت الكثير من الدراسات الاستشراقية في هذا المضمار إلى تشويه الحقائق، والانطلاق من المواقف المسبقة والحقد الدفين، وتعمد الإساءة.

• مراحل تاريخ الفكر الغربي:

لقد عمد المختصون في تاريخ الفكر الغربي إلى تقسيمه لثلاثة أقسام:

- الأول: العصر القديم: والذي يبتدئ من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي.

- الثاني: عصر القرون الوسطى: وهو الذي يبتدئ من القرن الخامس الميلادي حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

- الثالث: العصر الحديث: والذي يبتدئ من بداية القرن السادس عشر، وحتى يومنا هذا^(٢). وبناء على هذا التقسيم فإن فترة العصور الوسطى هي التي شهدت ميلاد النبي ﷺ، وذلك في شهر أفريل من عام ٥٧١م، ثم نزول الوحي عليه عند بلوغه سن الأربعين، وتكليفه من خالقه بتبليغ رسالة ربه للناس أجمعين، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)

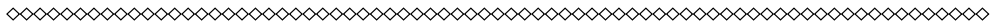
ثم بعد وفاته بدأت الفتوحات الإسلامية، وانتشر الإسلام في الأصقاع كالنار في الهشيم. ومع نهاية القرن الأول الهجري كان قد وصل إلى شبه الجزيرة الإيبيرية (بلاد الأندلس) وإلى غرب أوروبا، فأفرزت أولى بذور هذا الاحتكاك مع الغرب صورة للمسلمين في مخيالهم الجمعي، أدت فيما بعد إلى ظهور حقد صليبي على الدين الإسلامي ونيبه وعلى كل من ينتمي إليه، فشن الغرب على حاضرة الإسلام ما عرف بـ«الحروب الصليبية» والتي استمرت ما يقارب القرنين من الزمان (١٠٩٦م - ١٢٩١م)^(٤)، والتي كان لها كبير الأثر في تشكيل وعي الغرب اتجاه العرب

(١) عبد الرحمان بن بريك العصيمي، صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب الاستشراقي وأثره في الإعلام الغربي (الإعلام الفرنسي نموذجاً، مركز سلف للبحوث والدراسات، www.salafcenter.com. ص ٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٤) عبد الرحمان بن بريك العصيمي، المرجع السابق، ص ٥٥.



والإسلام ونبينا محمد ﷺ، فرسموا صورا مشينة غذاها رجال الكنيسة في العصور الوسطى، وكرسها المستشرقون في العصر الحديث لتبقى وتستقر في الأذهان والعقول ردحا من الزمان.

المطلب الرابع :

صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لدى رجال الكنيسة في العصور الوسطى :

يقول ريتشارد سوزرن: «لقد انفردت الكنيسة عبر رهبانها وقساوستها خلال العصور الوسطى التي كانت تسيطر فيها على الأفكار والأقدار، بتشكيل الرؤى والصور عن الإسلام والمسلمين ، ما بين القرنين التاسع والخامس عشر الميلاديين : إن الصورة الأوروبية التقليدية عن الإسلام (والتي ماتزال أجزاء منها تقاوم الزوال) هي من صنع رجال الكنيسة»^(١).

فقد كان الحس الأوروبي المسيحي الوسيط مشعبا بترقب يوم القيامة ، وكانت كتابات رجال الكنيسة المستندة إلى بعض نذر العهد القديم ، ورؤيا يوحنا قد حددت أمائر لذلك. وقد رأى الشراح واللاهوتيون منذ القرن التاسع الميلادي أن النبي محمدا والإسلام يدخلان فيها ، وهكذا فقد بدأ النظر منذ حقبة مبكرة للنبي محمد باعتباره المسيح الدجال ، الأمانة الرئيسية لليوم الآخر. وكانت انتصارات الإسلام الدنيوية تغذي هذا التصور وتجعل من غير المعقول معقولا^(٢). وقد فنذ هذا الادعاء مارتن لوثر بقوله : «ولست مقتنعا بأن محمدا هو المسيح الدجال، إذ لا يتمتع بذلك الذكاء الخبيث الشرير، إن البابا عندنا هو المسيح الدجال حقيقة ، فهو يملك تلك العقلية الشيطانية الشريرة ، وهو جاثم على صدر المسيحية»^(٣).

وهناك آخرون كثيرون من اللاهوتيين رأوا أن النبي محمدا هو مطران أو بطريق في الأصل، تشاجر مع بطريق القسطنطينية ، فشكل هرطقة انفصلت تدريجيا عن المسيحية الكاثوليكية الصحيحة^(٤).

وكان هناك تصور شعبي مغرق في الخيال استند في أساسه إلى عوام من الكهنة المتجولين.. ويقول هذا التصور بوثنية الإسلام ، والتي قوامها ثلاثون إلها ، وألتهها الأساسيون : فراكوتوس ، وأبولو ، ومحمد.. والغريب أن هذا التصور استمر حقبة زمنية طويلة استمرت حتى أواخر القرون الوسطى^(٥).

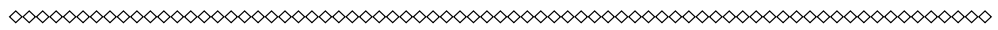
(١) ريتشارد سوزرن ، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، تر: رضوان السيد ، دار المدار الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٢.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٣.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٣.

(٤) ريتشارد سوزرن ، المرجع السابق ، ص ١٢.

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٤.



وبناء على هذه التصورات انطلقت حملات التشويه المتعمد ، والتي حمل لواءها عدد من القساوسة والكتاب والفلاسفة، وسنذكر هنا بعض الشخصيات التي تبين أبرز الصور التي وصف بها النبي ﷺ في تلك الحقبة .

١/ يوحنا الدمشقي (ت:١٣٦هـ): لقد كان لكتابات يوحنا أثر بالغ في حركة الاستشراق التالية له ، إذ يعتبر حامل لواء الجدل المسيحي- الإسلامي في تلك الفترة وقد ألف عدة كتابات منها «محاورة مع مسلم»، وقد اتهم فيه النبي ﷺ باختلاق الوحي لإشباع رغبات دنيوية، وجعل الإسلام برمته تأليف يهودي مسيحي لرجل أريوسي اسمه محمد ، نجح في خداع قومه بعد ادعائه نزول الوحي عليه^(١).

٢/ تيوفانس المهدي (ت:٧١٨م): كتب عن أصول الإسلام وأحداث السيرة. ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أخذ دينه من اليهود والنصارى ، وأصيب بالصرع ويزعم أن جبريل ينزل عليه ، وتزوج بامرأة غنية لأنه كان فقيرا ، وبالنسبة لشريعته فهو يحض على القتل، وكان يقول لأصحابه : من قتل منكم كافرا دخل الجنة^(٢).

٣/ فالتر الكامبيجني (ت:١١٥٥م): وهو رئيس رهبان دير سانت مارتن بفرنسا ، نظم أبياتا من الشعر مشهورة صور فيها النبي ﷺ بأنه شهواني - حاشاه - وأداة للقوة الشيطانية، وأنه لما سأل الله علامة لتصديقه نزل الكتاب - القرآن - على قرون ثور، وأن القبر الحقيقي له في مكة وليس في المدينة كما يزعم^(٣).

٤/ توما الإكويني (ت:١٢٧٤م): هو أكبر فلاسفة العصور الوسطى المسيحية، ولا يزال تأثيره كبيرا في الكنيسة الكاثوليكية وفي الفكر المسيحي بعامة.

رأى الإكويني في الإسلام دينا زائفا وهرطقة، وأن النبي ﷺ أغوى الكثيرين بالدخول في عقيدته للحصول على الميزات والشهوات الجنسية. ويزعم أن النبي قد منع أتباعه من الاطلاع على الكتاب المقدس حتى لا ينكشف أمر دعواه ويتبين للناس ضعف دينه^(٤).

المطلب الخامس:

صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لدى رجال الفكر والمستشرقين:

بعدما تكفل رجال الكنيسة في القرون الوسطى بمحاربة الإسلام وبمحاولة تقويض صرحه

(١) عبد الرحمان بن بريك العصيمي ، المرجع السابق ، ص٠٧.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٠٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٠٩ .

(٤) عبد الرحمان بن بريك العصيمي ، المرجع السابق ، ص ١٠.

المتين ، عن طريق تشويهه وتشويه صورة نبينا الكريم ﷺ، جاء من يخلفهم في العصر الحديث ليوصل بعضهم مسيرتهم ، والبعض الآخر لتفنيد تلك الأباطيل وإظهار الحقيقة ، وهؤلاء هم «المستشرقون» .

فالكَمَّ الهائل من المستشرقين الذين سَخَرُوا كُلَّ جهودهم، بل وأقنوا أعمارهم في دراسة وتحليل حضارة المسلمين، إنّما ينمّ عن أهداف كبيرة يسعى هؤلاء لتحقيقها والاستفادة منها، أول هذه الأهداف وأخطرها محاولة إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام كدين، وعن الشرق كحضارة، وعن العربية كتراث وقومية. فهذا الكاتب الشهير برنارد شوبقول معترفا ومتأسفاً :«مضت على الغرب القرون وهو يقرأ كتباً مملأى بالأكاذيب على الإسلام»^(١).

وحَتَّى نكون منصفين غير بعيدين عن الحقيقة لا بدّ أن نذكر أنّ المستشرقين ثلاثة أصناف: - أولها صنف كتب في علوم العرب بحقد وكرامية مبتعدا بذلك عن المنهج العلمي متأثراً في كلِّ ما كتب بروح العداة التي زرعتها فيه الكنيسة، ونذكر من هؤلاء: جيب، وجولد زيهر، وبروكلمان. وثاني هذه الأصناف صنف كتب بروح علمية محاولاً إفادة قومه بما يكتب عن الحضارة الإسلامية، دون أن يهتدي إلى الإسلام، ومن هؤلاء نذكر: الكونت « هنري دي كاستر » الذي درس الإسلام دراسة عميقة ، وله كتاب اسمه «الإسلام سوانح وخواطر» تحدّث فيه عن مزايا الإسلام، كما جنّد نفسه للردّ على كثير من افتراءات المستشرقين.

وثالث هذه الأصناف صنف كتب بروح علمية صادقة، ودرس الإسلام دراسة عميقة حتى اهتدى إليه ، وأصبح سيفاً من سيوفه، يدافع بكل ما أوتي من إمكانيات، ويردّ الشبهات والمكائد التي يثيرها أعداء الإسلام^(٢).

فسنجد نشاطاً كبيراً للمستشرقين ورجال الفكر، حيث شهد هذا العصر الكثير من الدراسات الاستشراقية حول الإسلام عموماً وحول الرسول ﷺ خصوصاً، وسنورد هنا بعض الصور التي تجنوا بها على شخصه عليه الصلاة والسلام :

١/ همفري بريدو(ت:١٧٢٤م): مستشرق إنجليزي ظهر له كتاب في بريطانيا عام ١٦٩٧م بعنوان «الطبيعة الحقيقية للخداة مجسدة بالكامل في حياة محمد»، وهو من أفحش ما كتب عن نبينا عليه الصلاة والسلام ، ويزعم صاحبه أن محمداً كان يعمل على إرضاء الرغبات الشهوانية، وأنه مخادع وماكر، وأن دينه هو مزيج من الديانات الوثنية واليهودية، والهراطقات النصرانية

(١) عقيلة حسين ، الاستشراق حقل معرفي تعريفى بالإسلام ودعوى في بلاد الغرب الوجه الآخر للاستشراق مجلة الإنسان والمجتمع ، العدد ٠٢، ديسمبر ٢٠١١، ص٢٢.

(٢) سعيد عبيدي ، أمية النبي في الفكر الاستشراقي : شبهات وردود ، جريدة المحجة ، العدد ٤٥٢ ، شوهذ على الرابط : <http://almahajjafes.net/02/2016/08/21> ، يوم : ١٢:٣٦ ، ٢٠٢١/٠٨/٢١ .

المنتشرة في الشرق . وهكذا يستحضر بريدو أفكار القرون الوسطى حول نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ويصفه بها^(١) .

٢ / ألويس شبرنجر (ت: ١٨٩٣ م) : مستشرق ألماني له كتاب بعنوان «حياة محمد وتعاليمه» ، وقد تبوأ مكانة كبيرة في الغرب آنذاك لاعتماده على مصادر أصيلة في السيرة ، إلا أن النبي لم يسلم من الاتهامات من قبله ، فوصفه بأنه كان مصابا بالصرع والهستيريا معا ، وكان مقلدا من شأنه - حاشاه - ولم يخرج عن السائد في أوصافه^(٢) .

٣ / كارل بروكلمان (ت: ١٩٥٦ م) : مستشرق ألماني مشهور ويعتبر صاحب أثر كبير في جيله من المستشرقين ، له كتاب تاريخ الشعوب والدول الإسلامية ، وقد اعتبر الدين الذي جاء به النبي هو من تأثير اليهودية والنصرانية وكذلك الوثنية ، وأن هدفه الدعوي كان سياسيا ليسيطر على جزيرة العرب ويحكمها^(٣) .

وإن هذه الأوصاف التي جاء بها هؤلاء المستشرقون أسهمت منذ وقت مبكر في تشويه صورة النبي ﷺ ، فهو بزعمهم -أخزاهم الله- شيطان وساحر وشهواني ودموي، وله قدرة خاصة على استدعاء قوى الشر ، شعاره السيف والحرب كما أنه كاذب ومدع للنبوّة، سرق نصوصا من التوراة والإنجيل، ثم عرضها على أتباعه بشكل مشوه، ورباهم على العنف وصنع منهم رجالا محاريبين، شرسين متوحشين، يمارسون النهب والتكيل، وينغمسون في أوحال اللذة، ويطلقون العنان لغرائزهم للاستمتاع بمباهج الحياة بشكل عبثي وفوضوي، وغير ذلك من الصور المغرقة في الحقد والسوداوية^(٤) .

أ/موقفهم المعادي لنبوته :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٥) . لقد قرن الله عز وجل في هذه الآية بين أذى النبي ﷺ وأذاه، كما قرن في آيات أخر بين طاعته وطاعة نبيه ، فهناك تلازم الحقيين وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن أذى الرسول ﷺ فقد أذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله^(٦) .

(١) المرجع نفسه ، ص ١١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١١-١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢ .

(٤) سعيد عبيدي ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٧ .

(٦) محمد بن علي بن خليفة التميمي ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

لكن أقلام المستشرقين المعادين للنبي ﷺ والمنكرين لنبوته لم يدخروا جهدا في تليفيق الاتهامات له عليه الصلاة والسلام والافتراء عليه، وسنسوق هنا بعض تلك الافتراءات على سبيل الذكر لا الحصر، والتي تتمثل في:

• إنكارهم لمعجزات نبوته: تتمثل المعجزات في تلك الخوارق التي يؤيد الله عز وجل بها أنبياءه تصديقا لدعواهم، لذا أيد نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بمعجزات حسية وأخرى معنوية، ويبقى القرآن الكريم هو معجزته الخالدة، لذا أقدم أعداء الإسلام من المستشرقين ورجال الفكر الغربيين على التشكيك فيه، رغم علمهم أن النبي لبث أربعين سنة لم يدع فيها قط أنه نبي مرسل، بل هو أمر يخضع لمشيئة الله وحده. قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(١).

• نفيهم لأमितه ﷺ: لقد أقر الله عز وجل بأمية نبيه الكريم في قوله: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾^(٢). لكن رغم ذلك يصرون على إنكار أميته، كما ذهب كزيمير سكي إلى ذلك وافترض مبررا يظهر في قوله: «من المحتمل أن يكون فعل ذلك ليظهر أمام قومه في صفة رجل موحى إليه من السماء»^(٣). رغم علمهم أن العرب كانوا أميين آنذاك، ويندر فيهم من يعرف القراءة والكتابة. وقد وصف الجاحظ العرب بأنهم كانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلمون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر وله أقهر، ثم نقل قولاً لشيخ من البصريين جاء فيه: «إن الله جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب، ولا يقرض الشعر ولا يكلف الخطابة، ولا يتعمد البلاغة ليتفرد الله بتعليمه»، حتى إذا جاء بالقرآن علم الناس أنه ليس من عنده»^(٤).

• إصابته بالصرع: ذهب غوستاف لوبون إلى أن التصرفات التي تعتري الرسول ﷺ إبان نزول الوحي عليه، ماهي إلا نتيجة إصابته بالصرع الذي ينتابه في هذه اللحظات، فيعتريه احتقان فغطيظ فغثيان. وذهب أبعد من ذلك بقوله: «يجب اعتبار محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات»^(٥).

(١) سورة يونس، الآية: ١٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) فتون فاطمة، شواشي خديجة، صورة نبي الإسلام في الفكر الغربي الحديث، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠١٣/٢٠١٤، ص ١٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٦.

(٥) بهجة كامل عبد اللطيف، صور من افتراءات المستشرقين حول الرسول محمد ﷺ وبيان بطلانها، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٣٠.

فكثير من المستشرقين حاولوا تفسير الوحي عند نزوله على النبي ﷺ بإصابته بالصرع وأعراضه، وهدفهم في ذلك التحامل عليه وإثارة الشبهات حوله .

هذا غييض من فيض مما اتهم به نبينا الطاهر الشريف من قبل من أخزاهم الله ولعنهم، وأعد لهم عذابا مهينا، ولم أشأ أن أورد اتهامات أخرى نظرا لما تطوي عليه من سب وشتم، ومساس بشخصه وكريم أخلاقه عليه الصلاة والسلام .

ب/ موقفهم المنصف لنبوته : ومن الناس رجال يبحثون عن الحقائق ، وفي هذا العالم المعقد المضطرب الذي لا تجد فيه خيرا لم يمزج بشر ، ولا جمال لم يمزج بتشوه يظهر فيه أناس لا يطيقون غير حياة الحقائق ، فالمظالم والأباطيل تؤدي مشاعرهم وروح العدل وحب الاطلاع الجلي يجيشان في صدورهم^(١) . وهؤلاء هم المستشرقون الذين نظروا بعين الحقيقة وتكلموا بلسان صدق عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام .

ولم تكن أقوال هؤلاء المستشرقين مجرد تعبير عن آرائهم في الإسلام ورسوله، بل جاءت بعد دراسة متأنية للتاريخ الإسلامي، لاسيما الفترة التي عايشها النبي محمد ﷺ، وتناول مواقفه مع أعدائه قبل أصدقائه وأتباعه، وهي ما جعلت كثيرين منهم ينبهرون بأخلاق النبي الكريم، حتى أن بعضهم قال إنه يتسم بأهم صفتين، وهما «العدالة والرحمة». وفي السطور التالية سنورد أهم ما قاله المستشرقون المنصفون عن الإسلام، وعن الرسول الكريم ﷺ، والتي تعد أهم شهادة من علماء غربيين عن الدين ، في وقت يتعرض فيه لأزمة سببها المتطرفون والمتعصبون.

- ١ / المفكر والشاعر الفرنسي لامارتين : المفكر والشاعر الفرنسي «لامارتين» كتب عن رسولنا الكريم في مقدمة كتابه الضخم «تاريخ تركيا - الجزء الثاني»، الصادر عام ١٨٥٤، يقول: «إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيًا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد في عبقريته؟، فهؤلاء المشاهير صنعوا الأسلحة، وسنوا القوانين، وأقاموا الإمبراطوريات، فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم».

وأضاف: «لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر.. كان طموح النبي موجهاً تماماً إلى هدف واحد، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك ، حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته وانتصاره.. حتى بعد موته، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع ، بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحداية الله،

(١) إيميل درمنغم ، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة ، تر: عادل زعيتر، الشعاع للنشر والتوزيع ، ط٣، ٢٠٠٥، ص ٢٣ .

والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث»^(١).

وقال «لامارتين» أيضاً: «ما من إنسان البتة رسم لنفسه إدراك هدف أسمى مما نوى محمد أن يبلغ، إذ كان هدفاً يفوق طاقة البشر، يتمثل في نفس المعتقدات الزائفة التي تقف بين المخلوق والخالق، وإرجاع الله للإنسان، وإرجاع الإنسان لله، وبعث لفكرة الألوهية المجردة المقدسة في خضم فوضى الآلهة المادية المشوهة، آلهة الوثنية، وما من إنسان البتة، في نهاية المطاف استطاع أن ينجز في وقت وجيز ثورة على الأرض أعظم أو أبقى مما أنجز هو»^(٢).

٢ / العالم الأمريكي مايكل هارت: أما العالم الأمريكي مايكل هارت في كتابه «الخالدون مائة»، فكتب يقول: «لقد اخترت محمداً ﷺ في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندش كثير من لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك، ولكن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والديني. وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينيًا، وبعد ١٣ قرناً من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قوياً متجدداً»^(٣). وبعد أن عدّد «هارت» مناقبه يختم شهادته المنصفة بقوله: فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمداً ﷺ هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ الإنسانية كلها»^(٤).

٣ / المستشرق الإنجليزي جورج برنارد شو: أما المستشرق الإنجليزي الشهير جورج برنارد شو، فهو من أشهر الغربيين الذين أنصفوا الإسلام خلال القرون الماضية. وقال «شو» في مؤلفه «محمد» الذي أحرقته السلطات البريطانية خوفاً من تأثيره: «إن المثل الأعلى للشخصية الدينية عنده هو محمد ﷺ، فيتمثل في النبي العربي تلك الحماسة الدينية، وذلك الجهاد في سبيل التحرر من السلطة، وهو يرى أن خير ما في حياة النبي أنه لم يدع سلطة دينية سخرها في مأرب ديني، ولم يحاول أن يسيطر على المؤمنين، ولا أن يحول بين المؤمن وربّه، ولم يفرض على المسلمين أن يتخذوه وسيلة لله تعالى». وأضاف برنارد شو: «إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكنه اطلع على أمر هذا الرجل، فوجده أعجوبة خارقة، وتوصل إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية. وفي رأيه أنه «لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل

(١) ريم عبد الحميد، كيف أنصف الغرب الإسلام والرسول الكريم، اليوم السابع، شوهده على الرابط: <http://www.youm7.com/story> يوم ١٦/٠٩/٢٠٢١، ٢٩:١٥.

(٢) ريم عبد الحميد، المرجع السابق.

(٣) مايكل هارت، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تر: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، ص ١٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٩.

مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها»^(١).

٤- سير توماس كارليل : يقول كارليل في كتابه « الأبطال»: « لقد أصبح من العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى تلك الاتهامات التي وجهت للإسلام وإلى نبيه . واجبنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول الكريم مازالت السراج المنير لنحو أربعمائة مليون من الناس»^(٢) . كما نجد كارليل يتساءل: «هل رأيتم رجلا كاذبا يستطيع أن يخلق ديناً ويتمهده بالنشر بهذه الصورة ؟ إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء ، وإذا بناه فما ذلك الذي بناه إلا كومة من أخلاط هذه المواد ، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة ، وتسكنه هذه الملايين من الناس»^(٣) .

٥- المهاتما غاندي : كانت هناك شخصيات عالمية أخرى رغم عدم استغراقها في دراسة الإسلام ، فإنها لم تخف إعجابها بشخص محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . فقد قال المهاتما غاندي في لقاء صحفي تطرق فيه إلى الحديث عن الرسول الكريم: «أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بلا منازع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعاً كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته ، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول ، مع دقته وصدقته في وعوده ، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه ، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته ، هذه الصفات هي التي مهدت الطريق وتخطت المصاعب وليس السيف.. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من (حياة الرسول) وجدت نفسي أسفاً لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة»^(٤) .

٦- المستشرق البريطاني ويليام مونتجمري وات :

أما المستشرق البريطاني ويليام مونتجمري وات الذي عمل أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة أدنبرة ، فكان من أشهر كتبه «محمد في مكة» الصادر عام ١٩٥٢ ، و«محمد في المدينة» الصادر في عام ١٩٥٦ ، و«محمد: النبي ورجل الدولة» عام ١٩٦١ . وقال عن الرسول الكريم في مقدمة كتابه الأول «محمد في مكة» إنه يأمل في أن هذه الدراسة عن حياة محمد يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام من جديد برجل هو أعظم رجال بني آدم»^(٥) .

وفي فصول هذا الكتاب ، قال: «إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته ،

(١) ريم عبد الحميد ، المرجع نفسه ، الرابط نفسه .

(٢) قتون فاطمة ، شواشي خديجة ، المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠ .

(٤) ريم عبد الحميد ، المرجع نفسه ، الرابط نفسه .

(٥) المرجع نفسه .



والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به ، واتبعوه واعتبروه سيِّداً وقائداً لهم ، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ، كل هذا يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه ، وافترض أن محمداً مدّع ، يثير مشاكل أكثر ولا يحلها .. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تتل التقدير اللائق بها مثلما فعل بمحمد»^(١).

٧- / أستاذ الفلسفة الهندي راما كريشنا راو: وفي كتابه «محمد النبي» قال أستاذ الفلسفة الهندي راما كريشنا راو: «إن إلقاء نظرة على شخصية محمد تسمح لنا بالاطلاع على عدد كبير من المشاهد: فهناك محمد الرسول، ومحمد المجاهد ، ومحمد الحاكم ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملجأ الأيتام ، ومحمد محرر العبيد ومحمد حامي المرأة، ومحمد القاضي ، ومحمد العابد لله ، كل هذه الأدوار الرائعة تجعل منه أسوة للروح الإنسانية»^(٢)

٨- / المستشرق الأميركي جيبون: يقول في كتابه «المسلمون»: «إن دين محمد ﷺ خال من الشكوك والظنون العقلية، والقرآن أكبر الدلائل على وحدانية الله ، فبعد أن أنهى محمد ﷺ عبادة الأصنام والكواكب، نجد بالجملة ان دينه أكبر من أن تدرك عقولنا أسراره وإعجازه وخباياه، ومن يتهم محمداً صلى الله عليه وسلم في خلقه أو تكفيره أو تشريع ، فإن ذلك من سوء التدبير، أو بدافع من العصبية الرعناء، ويكون خيراً للإنسان أن يكون معتدلاً في آرائه، مستقيماً في تصرفاته، منصفاً في أحكامه على الآخرين»^(٣).

٩- / المستشرق الفرنسي كراي فو: يقول في كتابه «مفكرو الإسلام»: «لقد كان العرب في جاهليتهم يرتكبون الجرائم، ويفعلون المنكرات حتى جاء محمد ﷺ فأصلحهم ودعاهم إلى دين جديد ذي مبادئ شريفة سامية، فوحد صفهم وأصلح أمرهم ، وإذا بالعرب أمة لها شأنها وكيانها وحضارتها، وتم لمحمد ﷺ ما كان يريده منهم ، وإذا بدينه في طليعة الأديان السماوية، رقي وعظمة وحضارة»^(٤).

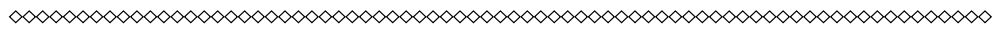
ويقول «فو» في كتاب آخر «الإسلام والعبقريّة السامية»: «من المعروف عن محمد ﷺ أنه مع أميته كان أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً ، وأبلغهم حديثاً ، وأصوبهم معنى، وأدقهم وصفاً، وكان دائم البشر، ومطيل السمة، لين الجانب وسهل الخلق ، يكثر الذكر ويقل من اللغو، يستوي عنده في الحق القريب والبعيد، والقوي والضعيف ، يحب المساكين ويعطف عليهم، لا يحقر فقيراً لفقره ويساير من يجالسه ، ولا يسحب يده من مصافحة حتى يهم المصافح بسحبها، يجلس على

(١) ريم عبد الحميد ، المرجع نفسه ، الرابط نفسه .

(٢) عقيلة حسين ، المرجع السابق ، ص ٢٨.

(٣) مصطفى خليفة ، علماء وشعراء ومستشرقون غربيون أنصفوا الإسلام ، صحيفة البيان ، شوهده على الرابط : Albayan.ac/across-the-uae . يوم : ٢١/٠٨/٢٠٢١ . ١٩:٢٨.

(٤) المرجع نفسه .



الأرض، ويخصف النعل ويرقع الثوب ، ومع ذلك ربي جيلا ملكوا زمام العالم في خلال نصف قرن من الزمان»^(١)

١٠- /المستشرق الألمانى أنا ماري شميل: وتقول: «لا تلوموني على حبي لرسول الإسلام... حبي وشغفي بالإسلام ورسوله بلا حدود، حتى إن البعض يقول إنني أخفي إسلامي ، وأنا أقول مقولة لشاعر هندوسي(قد أكون كافرا أو مؤمنا، فهذا شيء علمه عند الله وحده ، ولكن أود أن أنذر نفسي كمحب مخلص لسيد المدينة العظيم محمد رسول الله ﷺ... فلماذا تلوموني على حبي ودفاعي عن رسول الإسلام الذي أحبه ، في حين لم يتعرض شخص في التاريخ للظلم الذي تعرض له محمد في الغرب... فأساطير القرون الوسطى اتهمته بأنه كان كاردينا لا استاء لعدم تعيينه بابا فانفصل عن الكنيسة وأسس ديانة جديدة ، واتهمته رواية فرنسية بأنه شارك مع آخرين في تكوين نوع من الثالث الشيطاني . وجريمة في حق محمد ارتكبتها الأدباء الإنجليز ، حولوا اسم محمد ليكون مرادفا للشيطان... وللأسف فإن مثل هذه الصور الشنيعة راسخة في اللاوعي الجماعي للغرب ، وهو ما يفسر العداة الغربي للإسلام... أليس هذا الظلم دافعا لي لتوضيح حقيقة رسول الإسلام ، والدفاع عنه حتى لو كلفني ذلك حياتي.. فإن (الساكت عن الحق شيطان أخرس)»^(٢) .

١١- /هربرت ويلز : يقول: «كم من الأجيال ستكابد الخوف والشقاء قبل أن يبرز فجر الإسلام العظيم ، الذي يبدو أن التاريخ بأكمله يتجه صوبه . وسلام يومئذ يغمر الدنيا... وسلام يغمر القلوب»^(٣).

إذن هؤلاء المستشرقون منهم من أسلم ومنهم من لم يسلم لكنهم التقوا في تعريف الغرب بالحضارة الإسلامية ، ونقل الحقائق عن الإسلام وعن نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام بكل موضوعية ، وقد ساهم هذا بشكل كبير في أن يتلمس الغرب مفاهيم أخرى عن الإسلام غير تلك التي ألفها وزرعها المتعصبون ، وهذا ما يفسر وجود عدد كبير من الغربيين الذين يدخلون في دين الله فرادى وجماعات.

خاتمة :

إنه نبي الرحمة «محمد صلى الله عليه وسلم» الذي صنع جيلا ، وربى قادة وعلم شعبا ، وقاد البشرية إلى معاني الإنسانية والرحمة والسلام والخير ، أخرجهم من الظلمات إلى النور ،

(١) مصطفى خليفة ، المرجع السابق .

(٢) عقيلة حسين ، المرجع السابق ، ص٢٢.

(٣) المرجع نفسه ، ص٢٨.

فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وبنى الحضارة وأرسى دعائمها شرقاً وغرباً ، فكان شخصية عظيمة لعقيدة شاملة جاء بها الإسلام ، ينبثق عنها نظام عالمي شامل تقوم على أساسه أمة عالمية متوازنة ، وهذا ما أدركه عقلاء الغرب من عظمة نبينا الكريم ، فقد هدتهم فطرتهم السليمة إلى النظر بعين الحقيقة والإنصاف لدين الحق ، فتغيرت مواقفهم وتبدلت أفكارهم ، وتحولوا من أعداء للرسول وللإسلام إلى أشرس المدافعين عنهما . فظهرت كوكبة منهم نذرت أقلامها للدفاع عنهما ، فقلبت الموازين وأحدثت أثراً بالغاً في مسار الدعوة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

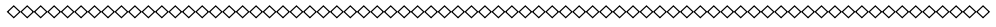
البخاري في بدء الوحي ، ومسلم في الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .
 الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن الاصبهاني ، أخلاق النبي ﷺ وآدابه ،
 دراسة وتحقيق : عصام الدين سيد الصباطي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ٢ . ١٩٩٣ .
 إميل درمنغم ، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة ، تر: عادل زعيتير ، الشعاع للنشر
 والتوزيع ، ط ٣ ، ٢٠٠٥ .

بهجة كامل عبد اللطيف ، صور من افتراءات المستشرقين حول الرسول محمد ﷺ وبيان
 بطلانها ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٩
 ريتشارد سوزرن ، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى ، تر: رضوان السيد ، دار
 المدار الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ .

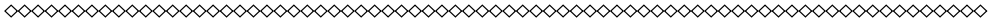
- ريم عبد الحميد ، كيف أنصف الغرب الإسلام والرسول الكريم ، اليوم السابع ، شوهد
 على الرابط : www.com/story/Youm7 . يوم ١٦/٠٩/٢٠٢١ ، ٢٩:١٥
 سعيد عبيدي ، أمية النبي في الفكر الاستشراقي : شبهات وردود ، جريدة المحجة ، العدد
 ٤٥٢ ، شوهد على الرابط : almahajjafes.net /٢٠١٦/٠٣ .

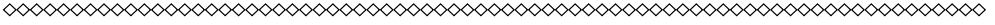
- عبد الرحمان بن بريك العصيمي ، صورة النبي ﷺ في الخطاب الاستشراقي وأثره
 في الإعلام الغربي (الإعلام الفرنسي نموذجاً ، مركز سلف للبحوث والدراسات ،...
www.salafcenter.com

عقيلة حسين ، الاستشراق حقل معرفي تعريفي بالإسلام ودعوي في بلاد الغرب الوجه



الآخر للاستشراق ، مجلة الإنسان والمجتمع ، العدد ٠٢ ، ديسمبر ٢٠١١
قنون فاطمة ، شواشي خديجة ، صورة نبي الإسلام في الفكر الغربي الحديث ، مذكرة
مقدمة لنيل شهادة الماستر ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، ٢٠١٣/٢٠١٤
- ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي ، منشورات الاختلاف ، ط١ ، ٢٠١٠ .
- مايكل هارت ، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تر: أنيس
منصور ، المكتب المصري الحديث .
محمد بن علي بن خليفة التميمي ، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء
الكتاب والسنة ، مكتبة أضواء السلف ، جدة ، م.ع.السعودية ، ج١ ، ط١ ، ١٩٩٧ .
مصطفى خليفة ، علماء وشعراء ومستشرقون غربيون أنصفوا الإسلام ، صحيفة البيان ،
شاهد على الرابط :
Albayan.ae/across-the-uae يوم : ٢٠٢١/٠٨/٣١ ، ١٩:٣٨ .





المحور الخامس:

الإعجاز العلمي في ضوء القرآن والسنة النبوية الصحيحة
(الإعجاز الطبي والتشريعي)



الدكتور علي ملحم حسن
الأستاذ المساعد في العقيدة والأمن الفكري
بالجامعة الإسلامية في مينيسوتا (المكتب التمثيلي بلبنان)
ومدرّب دولي بأكاديمية الإمام البخاري الدولية

الإعجاز التشريعي بتشريع الوحدة

Abstract

God sent the Prophet, peace be upon him, and the Arabs marked by disunity and animosity, as raids and tribal bigotry, and they love war, until it became an entertainment for them. the bloodshed became easy for them, unsafe ways, fear, panic, are the companion of the arabic in every place and time. this condition continued until the message of Muhammad peace be upon him came, so it ordered the unification on the Quran and the Sunnah, and decided legislation and worship - that was not preceded by other religion or law - which make achieving brotherhood among Muslims a matter Devotionally, the doer will be rewarded, and the violator is sinful.

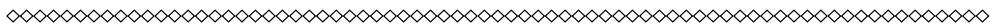
In its introduction, this research briefly dealt with the divine grace of the Muhammadan mission that warned against division and difference, and then focus light on the prophetic miracle in legislating unity by urging the infallible revelations to unite, whether by explicit orders and texts or by legislation and practical acts of worship, then shows disperse in terms of The impact of the nation's weakness and failure.

مقدمة

بعث الله النبي ﷺ، وحال العرب موسومة بالتفرق والتناحر، حيث شاعت فيهم الغارات وقطع الطرق على القوافل... وكانت العصبية القبلية والدموية شديدة جامحة، وأغرّموا بالحرب، حتى صارت مسلاة لهم وملهى وهواية، ينتهزون للتسليّة وقضاء هوى النفس نشوب حرب لها مسوّغ، أو لا مسوّغ لها... يقول عمير التغلبي، وهو يعبر عن رغبة أهل الجاهلية في القتال، وتحيين الفرص له:

وأحياناً على بكر أختنا... إذا ما لم نجد إلا أختنا^(١)

(١) يُنظر: شرح ديوان الحماسة للأصفهاني (ص ٢٥٣) تحقيق: غريد الشيخ، نشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ.



وهانت عليهم إراقة الدماء، فتثيرها حادثة تافهة^(١)، كعقر ناقة، أو خسارة في سباق الخيل، أو بسبب مطل في ثمن بغير وما أشبه ذلك، ما انعكس عليهم ضعفاً ووهناً وذللاً جعلهم قصعة سهلة تداعى عليها الفرس تارة، والروم تارة أخرى، وكان الأمن منعماً والسبل غير آمنة والخوف والذعر والعصبية الجاهلية جليس العربي في كل مكان وزمان، واستمرت حالهم هكذا إلى أن جاءت الرسالة المحمدية فأمرت بتوحيد الصف ولم الشمل على الكتاب والسنة، وقررت تشريعات وعبادات - لم يسبقها إليها شريعة ولا قانون - تجعل من تحقيق الأخوة بين المسلمين أمراً تعدياً يُثاب فاعله ويأثم مخالفه. وهذا البحث تناول في مقدمته بشكل مختصر المنة الإلهية بالبعثة المحمدية التي حذرت من التفرق والاختلاف، ثم يسلط الضوء على الإعجاز النبوي في تشريع الوحدة من خلال حث الوحيين المعصومين على الوحدة والاتلاف، إنَّ بأوامر ونصوص صريحة أو بتشريعات وعبادات عملية، ثم يبين ما للتفرق والاختلاف من أثر في وهن الأمة وفشلها. مشكلة البحث: يعالج البحث مشكلة وقوع التفرق والاختلاف في الأمة وما جره عليها من هوان.

أهمية البحث: يتناول البحث سبل توطيد الأخوة بين المؤمنين من خلال التركيز على عوامل الوحدة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى معالجة بعض أسباب التفرق والاختلاف بين المسلمين . منهجية البحث وخطته: اعتمد البحث المنهجين الاستنباطي والتحليلي، وقد اشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان مشكلة البحث وأهميته وأهدافه ومنهجيته وخطته .

المبحث الأول: المصطلح والمفهوم.

المبحث الثاني: تشريع الوحدة بإيجابها على الأمة .

المبحث الثالث: تحريم الفرقة والاختلاف وبيان أثرهما .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

(١) يُنظر: السيرة النبوية للندوي (ص٧٩) نشر: دار ابن كثير دمشق، ط١٤٢٥، ١٢هـ .

المبحث الأول: المصطلح والمفهوم. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإعجاز لغة واصطلاحاً

أولاً: الإعجاز لغة: العَجَزُ أصلُهُ النَّأخُرُ عن الشيء... وهو ضدُّ القدرة. قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتَ أَنْ أَكُونَ﴾ (المائدة: ٢١)، وَأَعَجَزْتَ فُلَانًا وَعَجَّزْتَهُ وَعَاجَزْتَهُ: جعلته عاجزاً. قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْجَزِي اللَّهِ﴾ (التوبة: ٢)^(١).

ثانياً: الإعجاز اصطلاحاً: «المعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة»^(٢).

المطلب الثاني: معنى التشريع لغة واصطلاحاً

أولاً: التشريع لغة: الشرع في اللغة: مصدر شرع بالتخفيف، والتشريع مصدر شرع بالتشديد، والشريعة في أصل الاستعمال اللغوي: مورد الماء الذي يقصد للشرب، ثم استعملها العرب في الطريقة المستقيمة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا﴾ (الجاثية: ١٨)^(٣). وقال الليث: وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره^(٤).

ثانياً: التشريع اصطلاحاً: هو خطاب الله تعالى المتعلق بالعباد طلباً أو تخييراً أو وضعاً^(٥).

المطلب الثالث: معنى الوحدة لغة واصطلاحاً

أولاً: الوحدة لغة: (وَحَدٌ) الواو والحاء والذال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة. ولقيت القوم مَوْحِدَ مَوْحِدٍ. ولقيته وحده^(٦).

ثانياً: الوحدة اصطلاحاً: انضمام الأجزاء بعضها إلى بعض مع الائتلاف^(٧). ومنه: وحدة المسلمين.

-
- (١) يُنظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص٥٤٧) تحقيق: صفوان الداودي، نشر: دار القلم، ط١٤١٢هـ.
- (٢) يُنظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (ص٦٩٢) نشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٣) يُنظر: تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان (ص١٢ بتصرف) نشر: مكتبة وهبة، ط٥، ١٤٢٢هـ.
- (٤) يُنظر: لسان العرب لابن منظور (١٧٥/٨) نشر: دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- (٥) يُنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٧/١) نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ.
- (٦) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٩٠/٦) تحقيق: عبد السلام هارون، نشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- (٧) يُنظر: التجديد في علم أصول الفقه في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق لمحمد فتحي العتري (ص١٣٦)، نشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

درجة الصيام والصلاة والصدقة»^٥. قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»^(١).

ج - وتارة يذكرهم بالمنة عليهم بتأليف قلوبهم ليحافظوا عليها شكراً له، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقال تعالى ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢) ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٢-٦٣). وقد دلت الآية الكريمة على أن القوم كانوا قبل شروعه في الإسلام ومتابعة الرسول ﷺ في الخصومة الدائمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على البعض، حتى لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا تأره، فلما آمنوا بالله ورسوله ﷺ واليوم الآخر؛ زالت الخصومات، وارتفعت الحشونات، وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة... حتى قاتل الرجل أخاه وأباه وابنه على الإسلام، واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصاراً، وعادوا أعواناً^(٢).

ودلت أيضاً على أن تأليف القلوب أمر لا يوازيه شيء البتة، فهو أعظم وأجل من الدنيا ومتاعها وكنوزها، وأن تأليف القلوب لا يمكن أن يحصل بالمال ولا بالجاه ولا بالإكراه ولا بالحرب وإنما بتوفيق الله أولاً ثم باتباع الأسباب التي شرعها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثانياً والتي نحن بصدد بيانها.

وفي سورة الأنفال ملامح جميل يحسن الوقوف عنده: قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١) سألوا عن الفنائم وتوزيعها، ولكن الله تعالى لم يجبههم على سؤالهم، بل وجههم إلى ما فيه وحدة المسلمين وألفتهم وأمرهم بإصلاح ذات البين، ولم يأت الجواب عن الأنفال إلا بعد أربعين آية، وهو قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (الأنفال: ٤١).

د - وتارة ينهى عن التشبه بالمشركين الذين تفرقوا في دينهم، قال سبحانه ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا

(١) رواه أحمد في مسنده (ت: الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ، ٢)، برقم (١٤٢٠) ورواه الترمذي في سننه (ت: شاكر، نشر: دار إحياء التراث) كتاب صفة القيامة والرفائق والورع برقم (٢٥٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، نشر: المكتب الإسلامي، برقم (٢٥٩٥).

(٢) يُنظَر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي (١٥/٥٠١-٥٠٢ بتصرف)، نشر: دار إحياء التراث، ط ١٤٢٠هـ.

دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حَرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ (الروم: ٣١-٣٢).

هـ - بل إن الله تعالى جعل التفرق والاختلاف عقوبة يعاقب بها من شاء، قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام: ٦٥)، عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿ أَوْ يَلْسِكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون» أو «هذا أيسر»^(١). قال ابن بطال: (أجاب الله دعاء نبيه في عدم استئصال أمته بالعذاب، ولم يجبه في أن لا يلبسهم شيئا أي فرقا مختلفين، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض أي بالحرب والقتل بسبب ذلك)^(٢).

المطلب الثاني: أمر السنة بالوحدة

كان ﷺ يعظم من شأن الاجتماع والوحدة ويأمر بهما، لأنهما من أعظم أسباب التوفيق النصر، كما أن التنازع والاختلاف من أعظم أسباب الهزيمة والفشل والذل. وقد تنوع الأسلوب النبوي في الأمر بهما:

أ - فتارة يأمر بالجماعة أمراً صريحاً، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»^(٣). وقال رسول الله ﷺ: «يد الله مع الجماعة»^(٤).

وبلغ من حرصه ﷺ على الوحدة والاجتماع أن أمر الثلاثة إذا سافروا بأن يكون لهم أمير، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»^(٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ت: الناصر، نشر: دار

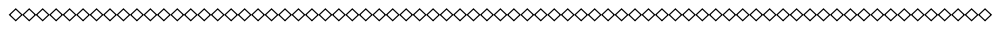
طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ) كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ (الأنعام: ٦٥) برقم (٤٦٢٨).

(٢) يُنظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٤٩/٢٥) نشر دار إحياء التراث العربي.

(٣) رواه أبو داود في سننه (ت: عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية)، كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، برقم (٥٤٧)، والنسائي في الكبرى (ت: شبلي، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ)، كتاب المساجد، باب التشديد في ترك الجماعة برقم (٩٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٧٠١).

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، برقم (٢١٦٦) وابن حبان في صحيحه (ت: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ) من حديث عرفة رضي الله عنه، كتاب السير، باب طاعة الأئمة، ذكر إثبات معونة الله جل وعلا الجماعة، وإعانة الشيطان من فارقها، برقم (٤٥٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٦٢١).

(٥) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، برقم (٢٦٠٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٦٥).



فإذا كان ﷺ أمر بتأمير واحد في الاجتماع القليل العارض الذي يكون في السفر فكيف بما هو أعظم وأكثر؟.

بل كان ﷺ يحرص على الاجتماع والتألف حتى في أدق الأمور، قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استوتوا ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلنسي منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١). فالاختلاف في الأمور البسيطة قد يورث اختلافاً على مستوى الأمة كلها.

ومن ذلك: قوله ﷺ: «أقلوا الخروج بعد هداة الرجل؛ فإن لله تعالى دواب يبئهن في الأرض»^(٢). قال الخطابي رحمه الله: (هداة الرجل يريد به انقطاع الأرجل عن المشي في الطريق ليلاً وأصل الهدوء السكون)^(٣). وفي أمره بقلّة الخروج في حالة عدم وجود عدد كثير من الناس في الطرقات: إشارة إلى الحث على لزوم الجماعة من الناس وعدم الانعزال عنهم^(٤).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرّقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله ﷺ: «إن تفرّقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضمّ بعضهم إلى بعض، حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (سُنَّ الاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى وفي الجمعة والعديدين والاستسقاء وفي صلاة الخوف وغير ذلك مع كون إمامين في صلاة الخوف أقرب إلى حصول الصلاة الأصلية لما في التفريق من خوف تفريق القلوب وتشتت الهمم، ثم إن محافظة الشارع على قاعدة الاعتصام بالجماعة وصلاح ذات البين وزجره عما قد يفضي إلى ضد ذلك في جميع التصرفات لا يكاد ينضب، وكل ذلك يشرع لوسائل الألفة وهي من الأفعال وزجر عن ذرائع الفرقة)^(٦).

وفي حديث حذيفة بن اليمان المعروف في الصحيحين: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم في صحيحه (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، ت: عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولي الفضل وتفريهم من الإمام، برقم (٤٢٢).

(٢) رواه أبو داود في سنننه، كتاب الأدب، أبواب النوم، باب ما جاء في الديك والبهائم، برقم (٥١٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١١٨٤).

(٣) يُنظر: معالم السنن للخطابي (١٤٦/٤)، نشر: المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٣٥١ هـ.

(٤) يُنظر: موقع الدرر السنوية على الرابط <https://www.dorar.net/hadith/sharh/117457>

(٥) رواه أبو داود في سنننه، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته، برقم (٢٦٢٨)، وجوّد إسناده الألباني في مشكاة المصابيح، نشر: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٥ م، برقم (٣٩١٤).

(٦) يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

(٧) يُنظر: بيان الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية (ص٢٦٦)، تحقيق: حمدي السلفي، نشر: المكتب الاسلامي.

عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني»، وفيه قوله ﷺ: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

ب - وتارة يجعل لزوم الجماعة شرطاً لدخول الجنة، قال ﷺ: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن»^(٢).

ج - وتارة يرغب في الجماعة لما فيها من الرحمة، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»^(٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ونتيجة الجماعة؛ رحمة الله ورضوانه وصلواته وسعادته والآخرة وبياض الوجوه، ونتيجة الفرقة؛ عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول ﷺ منهم)^(٤).

د - وأخبر صلى الله عليه وسلم أن البركة تنزل على الجماعة وترتفع عند التفرق والاختلاف، فقال: «كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة»^(٥). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»^(٦). وعن وحشي بن حرب رضي الله عنه قال: قال أصحاب النبي ﷺ: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع، قال: «فلعكم تأكلون متفرقين؟» قالوا: نعم، قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه»^(٧).

هـ - وتارة يوثق الأخوة بين المؤمنين، كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه»^(٨). يقول

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦٠٦) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، برقم (١٨٤٧).

(٢) رواه الترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٢١١).

(٣) رواه أحمد في مسنده برقم (١٨٤٤٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢١٠٩).

(٤) يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/١) تحقيق: بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة النشر ١٤١٦هـ.

(٥) رواه ابن ماجة في سننه (ت: عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية)، كتاب الأطعمة، باب الاجتماع على الطعام برقم (٢٢٨٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٥٠٠).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنين، برقم (٥٣٩٢)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب فضيلة الموساة في الطعام القليل وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك، برقم (٢٠٥٨).

(٧) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب في الاجتماع على الطعام، برقم (٢٧٦٤)، وابن ماجة في سننه، كتاب الأطعمة، باب الاجتماع على الطعام، برقم (٢٢٨٦) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها وفقهها، نشر: مكتبة المعارف، ط١، برقم (٦٦٤).

(٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره برقم (٤٨١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب



القرطبي رحمه الله: (قال ابن خويز منداد في أحكامه: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه؛ فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة)^(١).

و - وتارة يحث على ما يقوي الأخوة بين المؤمنين لأنها من أهم عوامل الوحدة، ومن ذلك:

١/ جعل المحبة بين المسلمين من أسباب محبة الله لهم: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتبازلين في والمتزاورين في»^(٢). وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟^(٣) قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإنني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه^(٤).

وقال ﷺ: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»^(٥). قال الخطابي رحمه الله: (معناه الحث على التودد والتألف وذلك أنه إذا أخبره بأنه يحبه استمال بذلك قلبه واجتلب به وده. وفيه أنه إذا علم أنه محب له وواد قبل نصحه ولم يرد عليه قوله في عيب إن أخبره به عن نفسه أو سقطت إن كانت منه، فإذا لم يعلم ذلك منه لم يؤمن أن يسوء ظنه فيه فلا يقبل قوله، ويحمل ذلك منه على العداوة والشنآن. والله أعلم)^(٦).

٢/ جعل المحبة في الله من أسباب حصول حلاوة الإيمان، وهي لذة لا يعدلها شيء من متاع الدنيا: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(٧).

البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٥).

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي (٤٧/٦)، تحقيق: هشام البخاري، نشر: دار عالم الكتب، سنة النشر ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٢٠٣٠) والطبراني في الكبير برقم (١٥٠) والحاكم في المستدرک (ت: مصطفى عطا، نشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ) برقم (٧٣١٤) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٣٢١).

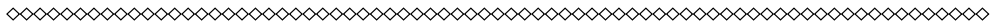
(٣) أي تقوم بها وتصلحها. يُنظر: قرّة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد بن علي الولوي، نشر: دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٤هـ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله برقم (٢٥٧٦).

(٥) رواه أحمد في مسنده برقم (٢١٢٩٤) ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، برقم (٥١٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٨١).

(٦) يُنظر: معالم السنن (١٤٩/٤).

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان برقم (١٦) واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم (٤٣).



٣/ جعل المحبة في الله من أسباب الأمن يوم الفزع الأكبر: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(١).

٤/ حث على ما يجلب المحبة، كالهديّة وإفشاء السلام: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تهادوا تحابوا»^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٣).

٥/ بيّن حقوق الأخوة وأكد عليها، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه»^(٤).

ز - وتارة يحذر ممن يفرق الجماعة، ومن ذلك:

١/ الأخذ على يد من يخرج عن الجماعة، كما في حديث عرفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم، وأمركم جميعاً على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»^(٥).

٢/ التحذير من فساد ذات البين وأنها الحالقة^(٦).

٣/ النهي عما يفسد الأخوة وبالتالي يهدد الوحدة وهي عديدة، لكن أخطرها البدع والمعاصي .

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم (٦٦٠)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم (١٠٣١).

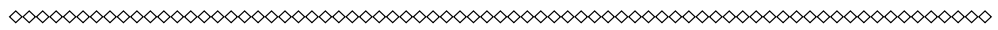
(٢) رواه البيهقي في الكبرى (ت: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ)، كتاب الهبات، باب التحريض على الهبة والهديّة صلة بين الناس، برقم (١١٩٤٦) والبخاري في الأدب المفرد (نشر: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤٢٣هـ)، برقم (٥٩٤) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٢٢١)، نشر: دار الصديق، ط٤، ١٤١٨هـ.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، برقم (٥٤).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم (٢١٦٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، برقم (١٨٥٢).

(٦) سبق تخريجه .



أما البدع: فهي من أسباب التفرق، لأن أصحابها يتعصبون لها وينافحون عنها، ويعادون من يدعو إلى تغييرها، قال الشاطبي رحمه الله: (فإن شأنها^(١)) في المداومة والحرص على أن لا تزال من موضعها وأن تقوم على تاركها القيامة، وتطلق عليه السنة الملامة، ويرمى بالتسفيه والتجهيل، وينبذ بالتبديع والتضليل، ضد ما كان عليه سلف هذه الأمة، والمقتدى بهم من الأئمة^(٢)).

وفي منع البدع توحيد للأمة وسد لباب التفرق، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣) وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩) فالتفرق من لوازم الابتداع. ولذا أمر ﷺ بالتمسك بالكتاب والسنة فبيهما ما يحقق الجماعة وينجي من التفرق. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة: أن رسول الله ﷺ حاج... الحديث وفيه: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»^(٣). وعن العرابض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حشياً، فإنه من عيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٤). وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد»^(٥).

وأما المعاصي: فإنها من أسباب التفرق والاختلاف كذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ويقول والذي نفس محمد بيده ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما»^(٦). وصور المعاصي التي تفرق جماعة المؤمنين عديدة، منها:

(١) أي البدع
(٢) يُنظر: الاعتصام للشاطبي (٥٥١/٢-٥٥٢) تحقيق: الهاللي، نشر: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٢هـ.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).
(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٧) وصححه الألباني في إرواء الغليل (نشر: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ) برقم (٢٤٥٥).
(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطالحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم (٢٦٩٧) واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم (١٧١٨).
(٦) رواه أحمد في مسنده برقم (٥٢٥٧)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٦٠٣).

الشح، وقد حذر منهما النبي ﷺ، كما في حديث جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ، قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(١).

ومنها: الحسد والبغضاء، وقد حذر منهما النبي ﷺ كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»^(٢).

ومنها: التنافس على الدنيا، لما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»^(٣).

المطلب الثالث: تحقيق الوحدة من خلال العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك

جاءت شرائع الإسلام كلها سواء في العبادات أو المعاملات أو الأخلاق والسلوك لتكرس وحدة المسلمين، وتؤلف بين قلوبهم، وتزيل كل ما يكون سبباً في الشقاق والاختلاف، انطلاقاً من قول الله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

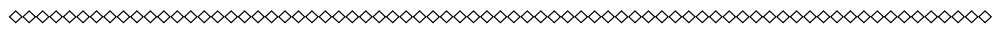
أ - ففي جانب العبادات: جعلت قبله المسلمين واحدة، وصلاتهم واحدة، يصطفون فيها لرب واحد، ويسوون صفوفهم إعلماً باستقامة قلوب بعضهم على بعض، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه على الناس فقال: «أقيموا صفوفكم - ثلاثاً - والله لتقيم صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم»، قال: فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه وركبته بركبته ومنكبه بمنكبه^(٤). والمسلمون يصومون جميعاً، ويفطرون

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٨).

(٢) رواه البخاري كتاب الأدب، باب الهجرة، برقم (٦٠٧٦) واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، برقم (٢٥٦٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، برقم (٤٠١٥).

(٤) رواه أحمد في مسنده برقم (١٨٤٣٠) واللفظ له، ورواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، برقم (٦٦٢)،



جميعاً، وأعيادهم واحدة، ومناسكهم في الحجّ واحدة، وأما الزكاة والصدقة فمن أغنيائهم إلى فقرائهم؛ لتوثق أخوتهم، ولئلا يفرق المال بينهم.

ب - وفي جانب المعاملات: نديهم الإسلام إلى الصدق والأمانة، والسماحة في البيع والشراء، وإنظار المعسر ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف، لأنّ ذلك مما يقوي الروابط ويزيد الأخوة، ونهاهم عن الغش والنجش والربا والاحتكار والمطل، وأن يبيع الرجل على بيع أخيه، وأن يخطب على خطبته، لأنّ ذلك مما يوغر الصدور، ويقطع الروابط، ويسبب العداوة والبغضاء.

ج - وفي جانب الأخلاق والسلوك: أمرهم بالسلام ورده، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وحسن الظن والعفو والصفح وعدم الطعن والتجريح، ونهاهم عما يسبّب العداوة والبغضاء والتفرق والاختلاف كالعقوق والقطيعة والأذى، والجدال والحقد والحسد والغيبة والنميمة والهمز واللمز وغيرها من الأخلاق الرديئة.

وإذا سُفك دم امرئ مسلم بغير حق فكأنما سفكت دماء المسلمين أجمعين، وإذا نهب ماله أو هدم عمرانه أو أصابته مصيبة وجب أن يحس به إخوانه، وأن يقفوا معه؛ كما قال النبي ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم». يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم يرد مشدهم على مضعفهم، ومتسريهم على قاعدتهم»^(١). هذه الرابطة القوية هي التي وحدت قبائل العرب، وجعلت الأنصار يشاطرون إخوانهم المهاجرين أموالهم ومساكنهم، في مشهد يجعل المرء يقف مبهوراً أمام هذه الصور الرائعة من الأخوة المتينة والإيثار المتبادل الذي لا تشهد له مثيلاً من تواريخ الأمم الأخرى^(٢). ولا ينبغي أن يعكر صفوه هذه الوحدة والألفة، ما يقع من الاختلاف الفقهي، فإنه لا يضر إذا كان الوحيان هما الأصل، وصورة ذلك المثل حدثت في عهد الصحابة رضي الله عنهم، قال النووي رحمه الله: (ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين ولا ينكر محتسب ولا غيره على غيره وكذلك قالوا ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً والله أعلم)^(٣). ويقول ابن القيم رحمه الله: (اختلاف الصحابة رضي الله عنهم

وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠٧١).

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، برقم (٢٧٥١) وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (٢٢٠٨).

(٢) يُنظر: السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية لأكرم العمري (١/٢٤٥ بتصرف)، ، نشر: مكتبة العلوم والحكم، ط٦، ١٤١٥هـ.

(٣) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٢/٢٤)، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

لم يضر، لأن الأصل الذي بنوا عليه واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والقصد واحد، وهو طاعة الله ورسوله ﷺ، والطريق واحد، وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل رأي وقياس وذوق وسياسة^(١).

فالاختلاف الفقهي المتكئ على الوحيين لا يضر إلا إن اكتنفه التعصب للرجال، يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: (مَرَّقَت العصبية المذهبية ثم الجنسية الشعوب الإسلامية بعد توحيد الإسلام إياها بالإيمان برب واحد، وإله واحد، وكتاب واحد، والخضوع لحكم شرع واحد، وتلقي الدين والآداب وغيرها بلسان واحد... فهم في درك من الجهل والتخاذل والتفرق المذهبي)^(٢).

ولذا حث النبي ﷺ على نبذ التعصب والعصبية، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة»^(٣). ولا يخفى أن لقب المهاجرين ولقب الأنصار من أشرف الألقاب، وقد أتى الله تعالى على أصحابهما وبين ما لهما من المناقب الحميدة، ولكن لما صارت المناداة بهما على سبيل العصبية انقلبت هذه المنقبة إلى جاهلية منتنة.

المبحث الثالث: تحريم الفرقة والاختلاف وبيان أثرهما. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحريم الفرقة والاختلاف

تكاثرت أدلة الكتاب والسنة في التحذير من الفرقة والاختلاف، وسنذكر بعضاً منها حسبما يقتضيه المقام:

أولاً: أدلة الكتاب: نهى الله تعالى عن التفرق واختلاف الكلمة، بل عدَّ هذا من صفات المشركين الذين نُهينا عن التشبه بهم وأمرنا بمخالفة هديهم، فقال ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥) جاء في تفسير أبي السعود ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ هم أهل الكتابين حيث تفرقت

(١) يُنظر: الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة لابن القيم (٥١٩/٢)، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، نشر: دار العاصمة، ط ١٤٠٨هـ.

(٢) يُنظر: الخلافة لمحمد رشيد رضا (ص ٦٠ بتصرف)، نشر: الزمراء للإعلام العربي القاهرة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (المنافقون: ٦) برقم (٤٩٠٥).

اليهودُ فِرْقاً والنصارى فِرْقاً ﴿وَأَخْتَلَفُوا﴾ باستخراج التاويلات الزائفة وكتب الآيات الناطقة وتحريفها بما أخلدوا إليه من حطام الدنيا الدنيئة^(١).

وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦). قال الطبري: (يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله ﷺ فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما في شيء) ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنفْسُلُوا﴾ يقول: ولا تختلفوا فتمرقوا وتختلف قلوبكم فتفسلوا، يقول: فتضعفوا وتجنبوا وتذهب ريحكم^(٢).

وقال تعالى ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٢) أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والاتلاف، كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٣)، وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضاً، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف^(٤).

وقال المولى سبحانه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣) قال ابن كثير: (وصى الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء، عليهم السلام، بالاتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف)^(٥).

ثانياً؛ أدلة السنة: عن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس» فقال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٦). والمعنى لا تفعلوا فعل الكفار بقتل بعضكم بعضاً.

ولما بعث النبي ﷺ، معاذاً وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن قال: «يسرا ولا تعسرا،

(١) يُنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أو تفسير أبي السعود (٦٨/٢)، نشر: دار إحياء التراث العربي.

(٢) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن أو تفسير الطبري (٢١٤/١١)، تحقيق: التركي، نشر: دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه، برقم (١٧١٥).

(٤) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، أو تفسير ابن كثير (٨٩/٢-٩٠)، تحقيق: سلامة، نشر: دار طيبة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٥) يُنظر: تفسير ابن كثير (١٩٥/٧).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم (٤٤٠٥).

وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»^(١).

وعن عرفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبأغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»^(٤).

هذه الأحاديث وسواها كثير، تدل على أن تحقيق الوحدة بين المؤمنين، وتمتين التكاثر والتعاقد فيما بينهم، من مقاصد الشريعة العظمى وقواعدها الكبرى، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه^(٥).

فالفرقة مذمومة في شريعتنا، والتفرق مرفوض والاختلاف شر، كما قال عبد الرحمن بن يزيد: صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات، فقيل: ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان. رواه البخاري^(٦). وزاد أبو داود: فقيل لعبد الله: عبت على عثمان ثم صليت أربعاً؟ فقال: الخلاف شر^(٧).

كما أن الفرقة والاختلاف شر؛ لأنهما معصية لله تعالى الذي أمرنا بالاجتماع والائتلاف، وحذرنا من التفرق والاختلاف، بل أمرنا باجتنب أسباب التفرقة، قال تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٢) وقال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، برقم (٢٠٢٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع برقم (١٨٥٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده برقم (١٤١٢) واللفظ له، والبيهقي في الكبرى، كتاب الشهادات، باب شهادة أهل العصبية، برقم (٢١١٠٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٣٦١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، برقم (٢٤٤٦)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاقدهم، برقم (٢٥٨٥).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الصلاة بمنى، برقم (١٠٨٤).

(٧) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى، برقم (١٩٦٠).



الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ (فصلت: ٣٤). فالفرقة والاختلاف أقصى ما يريده الشيطان بعد أن يئس من عبادة الناس له، كما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم»^(١).

المطلب الثاني: بيان أثر الفرقة والاختلاف على الأمة

أ - الفرقة والاختلاف سبب الحرمان من الخير: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحي رجلان من المسلمين فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحي فلان وفلان، فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»^(٢). قال القاضي عياض: فيه دليل على أن المخاصمة مذمومة وأنها سبب في العقوبة المعنوية أي الحرمان^(٣).

ب - الفرقة والاختلاف من أسباب استبدال الخوف بالأمن واستبدال الجوع بالشبع وإراقة الدماء وهتك الأعراض ونهب الأموال وقطع السبل، وهذا معلوم مشاهد في الماضي وفي الحاضر.

ج - الفرقة والاختلاف تتسبب في تفريق الشمل وإشاعة للفوضى وتعميق الصدع وتوسيع الشرخ: قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «هذه سبل قال يزيد متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤). ولذا ذمَّ الشرع الخوارج وأمر بقتالهم وحث على ذلك، وإنما سموا بالخوارج لأنهم خرجوا على أئمة الإسلام وفرقوا جماعة المسلمين.

د - الفرقة والاختلاف عنوان الضعف وذهاب الريح وسبب الهزيمة والخسران: ففي معركة أحد ذاق الصحابة رضي الله عنهم طعم الهزيمة بسبب اختلافهم فيما بينهم، فبعضهم امتثل أوامر رسول الله ﷺ وبعضهم عصى ونزل من الجبل، وقد سجل الله تعال ذلك في القرآن في آيات تتلى إلى يوم القيامة، قال سبحانه في سورة آل عمران ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، برقم (٢٨١٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس، برقم (٢٠٢٣).

(٣) يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١١٣/١)، نشر: دار المعرفة، سنة النشر ١٣٧٩هـ.

(٤) رواه أحمد في مسنده برقم (٤١٤٢) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦٦).



أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قَلْتُمْ أَنَّ هَذَا قَلٌّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ (آل عمران: ١٦٥)، فقد أمرهم رسول ﷺ أن لا يبرحوا أماكنهم التي أمرهم بها، فأبوا إلا أن ينزلوا عن مواطنهم فبسبب عصيانهم لرسول الله ﷺ أصابهم هذا.

هـ - الفرقة والاختلاف سبب الهلاك: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١).

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات:

أولاً؛ النتائج:

لا يوجد تشريع جعل من الوحدة والاجتماع أمراً واجباً يُثاب فاعله ويُذم تاركه سوى الشريعة المحمدية.

من مقاصد الشريعة العظمى وقواعدها الكبرى: تحقيق الوحدة بين المؤمنين. عجز الناس والأنظمة والقوانين البشرية عن الإتيان بمثل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من تشريعات وأحكام تتعلق بوحدة الأمة. من الإعجاز التشريعي في تشريع الوحدة: أن أمة العرب التي كانت متفرقة متناحرة، فباتت بهذه الشريعة أمة واحدة متماسكة قوية الشوكة مرهوبة الجانب.

من الإعجاز التشريعي في تشريع الوحدة: معاقبة من يهدد وحدة الجماعة. من الإعجاز التشريعي في تشريع الوحدة: التحذير من المعاصي والبدع، لأنهما مما يفرق المسلمين ويشتت شملهم، وأن التوبة والتزام السنة هما العلاج. من الإعجاز التشريعي في تشريع الوحدة: أن الشريعة جعلت كفارات بعض الذنوب والمعاصي من أسباب نشر الوحدة والألفة بين المسلمين. من الإعجاز التشريعي في تشريع الوحدة: أن كل العبادات والمعاملات والأخلاق جاءت لتكرس وحدة المسلمين.

تجلى الإعجاز النبوي في تشريع الوحدة في محطات فاصلة في تاريخ الأمة كادت فيها أن تستباح بيضتها، وينعدم وجودها، لكن لما عملت بهدي نبيها ﷺ تجاوزت تلك المحن والأزمات.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحاديث الغار، برقم (٣٤٧٦).

ثانياً؛ التوصيات :

وصية عامة للأمة بالعودة إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما، ونبذ كافة الدعوات المخالفة،
لتتحقق وحدتها، كما تحققت لأسلافها قبل خمسة عشر قرن ولتنهض من كبوتها وتعود إليها
عزتها.

أوصي عامة المسلمين باجتنب البدع والمعاصي ونبذ التعصب لأنهما من أعظم أسباب
تفريق الأمة.

أوصي الباحثين وطلبة العلم بمزيد من العناية في إبراز حرص الكتاب والسنة على وجوب
تحقيق وحدة الأمة .

المراجع

الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى:
٢٥٦هـ)، تحقيق: علي عبد الباسط مزيد، وعلي عبد المقصود رضوان، الناشر: مكتبة الخانجي
مصر، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

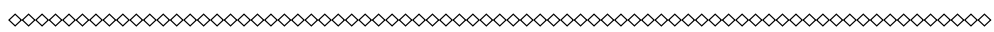
إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أو تفسير أبي السعود، المؤلف: أبو السعود
العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي
بيروت، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:
١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ.

الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي
(المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفران السعودية، الطبعة:
الأولى ١٤١٢هـ.

لبداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي
(المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر
والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

بيان الدليل على بطلان التحليل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم
بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: المكتب
الاسلامي، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون.



تاريخ التشريع الإسلامي، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

التجديد في علم أصول الفقه في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق، المؤلف: محمد فتحي العتري، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

تفسير القرآن العظيم، أو تفسير ابن كثير، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن أو تفسير الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

الجامع الصحيح أو سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه أو صحيح البخاري أو صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ .

الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب الرياض، الطبعة: بدون، سنة النشر: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م .

الخلافة، المؤلف: محمد رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الزهراء للإعلام العربي القاهرة، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة: الأولى.

سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: بدون، سنة

النشر: بدون.

سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية بيروت، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون.

السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٢هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوِجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية بتصرف، المؤلف: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: السادسة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

السيرة النبوية، المؤلف: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير دمشق، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٥هـ.

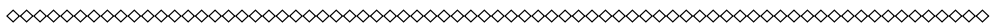
شرح ديوان الحماسة، المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١هـ)، تحقيق: غريد الشيخ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد التميمي، أبو حاتم، الدارمي البُستِي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

صحيح الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون.

الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب



بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

قرة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ.

كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

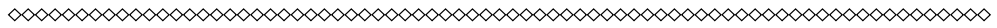
مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

المستدرک علی الصحیحین، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ أو صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد



فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: بدون، سنة النشر: بدون.
مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين،
التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر:
المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة ١٩٨٥م.

معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن
الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية حلب، الطبعة:
الأولى ١٣٥١هـ.

المعجم الكبير، المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق:
حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية ١٩٨٣م.

معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين
(المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين
التميذي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي
بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.

المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب
الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم والدار
الشامية دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ .

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف
النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ .

الموسوعة الفقهية الكويتية، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة:
١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ .

الموسوعة القرآنية المتخصصة، المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين،
الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

موقع الدرر السننية <https://www.dorar.net/hadith/sharh/117457>



د. نهيل علي حسن صالح

أستاذ مساعد في التربية الإسلامية - قسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن

الدلائل التربوية المستنبطة من الإعجاز العلمي في ضوء القرآن الكريم (نماذج من دلائل الإعجاز في الآفاق والأنفس)

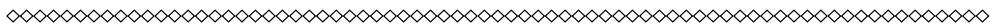
الملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الدلائل التربوية في نصوص الإعجاز العلمي في ضوء القرآن الكريم، من خلال تحرير مفهوم الإعجاز العلمي، وبيان منهج الاستدلال به على النبوة، وتحليل نماذج مختارة من مظاهر الآفاق والأنفس، مستخدماً المنهج الاستقرائي التحليلي، للخروج بدلائل وإشارات تربوية تضمنتها الآيات الكريمة.

وخلص البحث إلى تبني مفهوم الإعجاز العلمي في عالم الآفاق والأنفس الذي بني على الحقيقة الكونية المتوافقة مع وحي الله تعالى، والذي يأخذ بالمكتشفات العلمية وفق شروط ومنهج محدد رصين، كما كشف عن الدلائل والمضامين التربوية الواردة في الإعجاز العلمي في كتاب الله، بكل ما تحويه من نظم وبلاغة، ومعان عظيمة ترشد الانسان إلى صلاحه في الدارين، موصياً في الختام الباحثين بمزيد من الدراسات التأصيلية التربوية المستنبطة من الكتاب والسنة الصحيحة، وكذلك القائمين على العملية التربوية من أسر ومؤسسات تربوية، بتحليل جوانب الإعداد والتمكين، وتضمين مناهجهم قيم الشخصية المسلمة التي تستحق أن تسب لأعظم شخصية عرفتها الإنسانية.

Abstract

This research aims to reveal the educational evidence represented in the scripts of the scientific miraculousness of the Holy Qur'an and the authentic hadiths of the Prophet (Sunnah), through editing the concept of scientific miraculousness and explaining the method of inference on prophecy, as well



as analyzing selected models of the manifestations of horizons and souls, using the inductive-analytical approach, to come up finally with educational evidence and indications included in the Holy Qur'an verses.

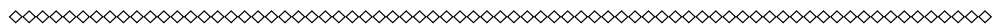
The research concluded with the adoption of the concept of scientific miraculousness in the world of horizons and souls, which is built on the universe certainty that conform to the revelation of God Almighty, and which takes scientific discoveries according to specific conditions and a firm approach. The research also revealed the evidence and educational implications contained in scientific miraculousness of the Holy Qur'an, with all their systems, eloquence, and great meanings that guide a human to his righteousness in both worlds (the present life and world to come). Finally, the research recommended researchers to conduct more fundamental educational studies deduced from the Qur'an and the authentic hadiths, as well as those in charge of the educational process like families and educational institutions, to analyze aspects of preparation and empowerment, and to include the values of the Muslim personality that deserves to be attributed to the greatest personality known to humanity in their curricula.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نحمده على جزيلى الإنعام ونشكره على جسيم الإكرام، فنعمة لا تحصى وأجلها الإسلام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أجرى الله سبحانه وتعالى على أيدي أنبيائه ورسله من المعجزات والدلائل ما يدل على صدق دعواهم، وأيد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بدلائل قاطعة على نبوته، وعلو قدره وشأنه، فكان أكثر الرسل معجزة، وأبهرهم آية، وكان أعظمها على الإطلاق القرآن الكريم، والذي يعد أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم.

وتعد عمليتي التفكير والتأمل في نصوص القرآن والسنة من لوازم المسلم الذي يسعى إلى معرفة خالقه، الخالق الذي أحسن خلقه وأتقنه فاستحق العبادة دون سواه، ودلائل قدرته في الآفاق والأنفس أكثر من أن تعد أو تحصى، ولذلك فإن اشتمال القرآن الكريم والسنة النبوية على إشارات صادقة للحقائق العلمية في الكون والإنسان، حقائق اعجازية حصلت بها الموافقة بين الحقائق الكونية التي خلقها الله تعالى، وبين وحي الله تعالى، وهي شاهدة في عمومها بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يك ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى.



والمتمعن في آيات الله تعالى في كتابه الكريم يستلهم الإشارات التربوية الفوائد والدلائل والمضامين والقيم الوافرة التي تحويها سواء من جهة النظم أو البلاغة أو المعاني أو الغيبيات، فكل معانيها عظيمة جاءت ترشد الانسان إلى صلاحه في الدارين، وانطلاقاً من ذلك، تأتي فكرة هذا البحث الذي يقدم تحليلاً لنماذج منتقاة من آيات القرآن الكريم والتي بحثت في باب الاعجاز العلمي، لمعرفة أسس الاستدلال بها، ثم دراستها دراسة تربوية للخروج بدلائل تربوية ومضامين وقيم تضي طابعا خاصا، وأثرا كبيرا في بناء الشخصية الإنسانية التي تؤمن بواجبها نحو البشرية، وتؤمن بتميزها المنطلق من تميز دينها ونبينا وأمتها.

أسئلة البحث:

للبحث سؤال رئيس وهو: ما الدلائل التربوية المستنبطة من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وما نماذجها في الآفاق والأنفس؟ ولإجابة عن هذا السؤال سيجيب البحث عن الأسئلة الفرعية الآتية:

ما مفهوم الاعجاز العلمي في القرآن الكريم؟ وما مظاهره في الآفاق والأنفس؟ وما منهج الاستدلال به على النبوة؟

ما الدلائل التربوية للإعجاز العلمي في الآفاق والأنفس؟ وما نماذجها؟

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

بيان مفهوم الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ومظاهره في الآفاق والأنفس، وبيان منهج الاستدلال به على النبوة.

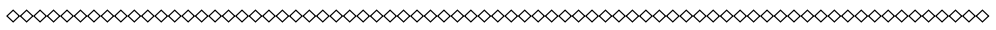
الكشف عن الدلائل التربوية للإعجاز العلمي في الآفاق والأنفس، ونماذجها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في:

أهميته النظرية: وذلك برفد المكتبة الإسلامية بمثل هذا النوع من الدراسات التي تعنى بالإعجاز العلمي وضوابطه ودلائله التربوية، التي ترتقي من أسس وأساليب بناء الأجيال اللاحقة، وتربية الجيل وفق فوائدها بهدف بناء العقول السليمة واكتمال الشخصيات المقتدية بشخصية نبينا ورسولها، القادرة على صد الشبهات والضلالات المشككة.

الأهمية العملية: يفيد البحث الجهات المستفيدة الآتية:



- الباحثون في مجال العلوم الشرعية: فهي دراسة علمية تأصيلية للدلائل التربوية بما فيها القيم والمضامين المستنبطة من أدلة الإعجاز العلمي في ضوء القرآن الكريم.

- الأسرة المسلمة: بحيث تسهم الدراسة في التفكير والتأمل لكثير من النصوص الشرعية المرية للفرد والتي تسهم في بناء شخصية المسلم القادر على التفوق والتميز في كل المجالات، والتمكن من صد الشبهات المشككة والمسيئة لأعظم شخصية عرفتها الإنسانية منطلقاً من تربيته وعقيدته الثابتة.

- مصممو المناهج الدراسية: وذلك بالتأكيد على مثل هذه الدلائل التربوية وتضمينها في الكتب المدرسية.

منهج البحث:

استخدم البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء النصوص الدالة على مظاهر الإعجاز العلمي في الآفاق والأنفس سواء أكانت في الخلق أو في التسوية أو في التقدير أو في الهداية، وتحليلها والخروج بدلائل تربوية تتضمنها آيات الكتاب، بالاعتماد على القرآن الكريم وتفسيره، والمراجع الشرعية والتربوية التي تتصل بالموضوع.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ومظاهره في الآفاق والأنفس ومنهج الاستدلال به على النبوة .

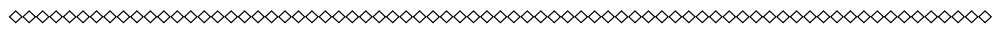
يُعنى هذا المبحث بدراسة المفهوم الذي وضعه العلماء للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتحرير المفهوم الذي تداولوه على اختلاف اتجاهاتهم وذلك بعرض بعض الآراء المتعلقة به، للوصول إلى المعنى المراد في هذا البحث، ثم بيان مظاهر الإعجاز العلمي في الآفاق والأنفس ومنهج الاستدلال به على النبوة، وتفصيل ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تحرير مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

يأتي مفهوم الإعجاز العلمي مفهوم مركب من مفردتين هما: (الإعجاز، والعلمي)، وعند الرجوع إلى أصل مفردة الإعجاز في اللغة: فتعود إلى الجذر الثلاثي (ع، ج، ز)، وَعَجَزَ يَعْجُزُ عن الأمر إذا قَصَرَ عنه، والمُعْجِزَةُ: واحدة معجزات الأنبياء^(١)، وتعرف المعجزة اصطلاحاً: بأنها «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة»^(٢). ويقصد بها: «آية النبي المختصة

(١) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ٩ ص ٥٨.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو



به، الخارقة للعادة، التي لا يقدر الخلق عن الاتيان بمثلاها، الدالة على صدق النبي تارة، وعلى غير ذلك تارة أخرى»^(١). وجميع الأوصاف التي تضمنتها التعريفات هي شروط للمعجزة عند العلماء.

والعلم لغة: من (ع، ل، م)، أصل صحيح واحد يدل على أثارٍ بالشيء يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة وهي معروفة، والعلم نقيض الجهل^(٢)، وهو إدراك الشيء بحقيقته»^(٣). ونسبة العلمي إلى الإعجاز جاءت كنوع مضاف إلى بقية أنواعه كالإعجاز البياني والإعجاز الغيبي والإعجاز التشريعي، ومن العلماء من اعترض على نسبة «العلمي» للإعجاز^(٤)

والمطلع على الدراسات التي تعنتي بأنواع الإعجاز المختلفة تذكر معنى المعجزة وشروطها، وعلى ذلك سار من تكلم في الإعجاز العلمي، فكانت للعلماء عدة تعريفات اصطلاحية، يميل أصحابها تارة لشرط التحدي، وتارة لشرط السبق، وتارة أخرى باقترانه بالمكتشفات الحديثة والعلم التجريبي، فهناك من عرفه بأنه: «إخبار القرآن الكريم أو السنّة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ»^(٥)، وأيضا من تعريفاته: «سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن الكريم»^(٦).

وللعلماء ثلاثة اتجاهات في تداول موضوع الإعجاز العلمي، هي:

التأكيد على الإعجاز الإجمالي، حيث يتم التركيز على أن ما تضمنه العلم الحديث من اكتشافات علمية عظيمة في مختلف التخصصات لم يتعارض أي من الحقائق التي قررها مع

الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ج ٢، ص ٢١١

(١) الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ص ١٦.

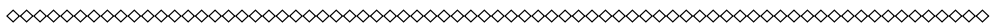
(٢) الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٤ ص ١٠٩-١١٠.

(٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج ٢، ص ٦٢٤.

(٤) حيث إن في نسب الإعجاز، أو التفسير إلى (العلمي) فيها خلل كبير، وأثر من آثار التغريب الفكري، فهذه التسمية منطلقة من تقسيم العلوم إلى أدبية وعلمية، وفي ذلك رفع من شأن العلوم التجريبية على غيرها من العلوم النظرية التي تدخل فيها علوم الشريعة" ، انظر الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، ص ٢١. لكن هذه النسبة قد تطلق على التصنيف المعتمد في التفريق بين مجالات الإعجاز، فلا يكون مقصدها رفع بعض الجوانب والانتقاص من جوانب أخرى، ناهيك عن أن التصنيفات اجتهادية، وقد تعارف عليها المسلمون بقصد التفريق بين الأدلة التي تتحدث عن الحقائق العلمية في الكون، ولا يمكن أن تتفصل عن بقية أنواع الإعجاز الأخرى، فلا يتخيل الحديث عن الإعجاز العلمي من غير الإشارة إلى إعجازه الغيبي وكذلك الإعجاز البياني وهكذا.

(٥) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي برابطة العلم الإسلامي، مكة المكرمة، ص ١٤.

(٦) النجار، زغول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، ٢٠٠٩م، ص ٦٧



أَيُّ مَنْ دَلَّاهُ النَّصُوصُ الصَّرِيحَةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا الْوَجْهَ مَحَلُّ اتِّفَاقٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَحْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

التأكيد على المنهج العلمي القرآني القائم على الاستدلال والنظر والتأمل والاعتبار وإعمال العقل ونبذ التعصب والتقليد الأعمى ومحاربة الخرافة والجهل هو نفس المنهج الذي أثمر هذه الثورة العلمية الهائلة، وإنما ولدت هذه الثورة لدى غير المسلمين بسبب إهمالهم لهذا المنهج في العصور المتأخرة، كما أن تأثير هذا المنهج على أوروبا كان له الفضل السابق في التمهيد لخروج هذه الثورة. وهذا الوجه أيضا محل اتفاق بين الباحثين المنصفين.

الموافقة التفصيلية بين المكتشفات العلمية الحديثة والنصوص القرآنية والنبوية، بأن تكون الآية أو الحديث مشيرا إلى حقيقة علمية جديدة بعينها. وعلى هذا الوجه غلب إطلاق مصطلح «الإعجاز العلمي» حتى لا يكاد يتصور بدونه، وهو وجه مختلف فيه؛ لتلازمه مع تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية بتلك الحقائق العلمية المكتشفة، وهي مسألة ثار الخلاف فيها بين علماء المسلمين منذ ظهور تلك المكتشفات^(١).

وبناء على ما سبق فإن مقصود البحث الحالي من تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو: الدلائل التي تضمنها كتاب الله تعالى في عالم الآفاق والأنفس، والتي بنيت على توافق الحقيقة الكونية مع كلمات الله تعالى، وتلك الحقائق والإشارات العلمية متعلقة بمضمون الآيات ومعناها ونظمها وبلاغتها، فلا يأخذ بالمكتشفات العلمية إلا وفق منهج رصين وشروط محددة. وعليه فإن التعريف الحالي يؤكد على مرتكزات هي:

هذه الدلائل مرتكزها القرآن الكريم وليست المكتشفات التجريبية الحديثة.

الإشارات العلمية في العلوم التجريبية إن ثبتت حقيقة فهي تفصيلات إضافية لفهم السلف ولا تتعارض معها.

لا يمكن فصل وجوه الإعجاز عن بعضها البعض، وفصل التسمية بالإعجاز العلمي ما هو إلا بما اشتهر ذكره، ولكنه لا يستقل بحال من الأحوال عن الإعجاز الغيبي أو البياني، فالقرآن كله معجزة: يقول ابن تيمية في ذلك: «وكون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضتهم فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة، من

(١) العريفي، سعود، منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، مركز تكوين، السعودية، ط١، ٢٠١٤، ص٢٥.

جِهَة اللفظ، ومن جِهَة النظم، ومن جِهَة البلاغة، في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جِهَة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك، ... وكل ما ذكر الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له... فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثله أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثله لفظه... الخ»^(١).

المطلب الثاني: مظاهر دلائل الإعجاز العلمي في الأفق والأنفس.

إن قصارى الأمر في مسألة الإعجاز العلمي أن الحقيقة الكونية التي خلقها الله، وافقت الحقيقة القرآنية التي تكلم بها الله، وهذا هو الأصل؛ لأن المتكلم عن الحقيقة الكونية المخبر بها هو خالقها، فلا يمكن أن يختلفا البتة، وكل ما في الأمر أن هذه الحقيقة الكونية كانت غائبة من جهة تفاصيلها عن السابقين، فمن الله على اللاحقين بمعرفة هذه التفاصيل، فكشفوا عنها، وأثبتوا حقيقة ما جاء في القرآن من صدق، فكان اكتشاف ذلك من دلائل صدق القرآن الذي أخبر عنها بدقة بالغة، لم تظهر تفاصيلها إلا في هذا العصر الذي نبغ فيه سوق البحث التجريبي الذي صارت دولته إلى الكفار دون المسلمين، فصاروا إذا ما اكتشفوا أمراً جديداً عليهم سارع المعتنون بالإعجاز العلمي لإثبات وجوده في نصوص القرآن^(٢).

والناظر في آيات الكتاب يلحظ جلياً دعوة البشر عامة للتفكير والتأمل في عالم الكون وعالم الأنفس، والتي هي أساس في تقرير وحدانية الله تعالى، الخالق الذي أحسن خلقه وأتقنه فاستحق العبادة دون سواه، ودلائل قدرته في الأفق والأنفس أكثر من أن تعد أو تحصى، وهذا الإعجاز في الأفق والأنفس عقد منتظم فريد، تفصيله في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّىٰ ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۖ﴾ (الأعلى: الآية ٢-٣)، حيث تعد دلائل الإعجاز الواردة في الآيات غاية الاحكام والاتقان، وهي دليل الخلق ودليل التسوية ودليل التقدير ودليل الهداية.

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (سورة الجاثية: آية ١٣)، «وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج ١، ص ٥١٦.

(٢) الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، ص ٢٠.

يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وأن رسله صادقون فيما جاءوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريباً ولا شكاً»^(١).

المطلب الثالث: منهج الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة

إن حاجة العباد إلى النبوة حاجة عظيمة، وكل أمر يمكن أن يتصور فقده إلا الاهتداء بنور الرسالة؛ فالرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودينه إلا باتباع الرسالة، ويقول ابن القيم: «لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ...، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأى ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير»^(٢).

والقرآن الكريم من أعظم الدلائل على نبوة محمد ﷺ، ويظهر هذا على سبيل الإجمال وعلى سبيل التفصيل؛ أما الإجمال: فإن القرآن الكريم فيه تحدي جميع الأمم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة مثله، وهذا تحد لجميع الخلق جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، المعاصرين لنزوله والذين جاؤوا بعد ذلك، وقد ذاع هذا التحدي وانتشر، وعلم به العام والخاص، وكان الكفار أحرص ما يكونون على إبطال دعوته ونقض قوله، ولو كان في مقدورهم؛ هم أو غيرهم الإتيان بذلك ما تأخروا عنه، وأما التفصيل: فما في القرآن من أوجه الإعجاز المتعددة في البلاغة والفصاحة وحسن النظم وعلو المعاني وغير ذلك من أوجه الإعجاز^(٣).

وقد بحث العلماء موضوع الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة، خاصة إذا ارتبط الاستدلال بالعلم التجريبي، من باب الحرص والدقة في النتائج، فانقسموا إلى فريقين ما بين مؤيد ومعارض، وكل له أدلته في القبول أو الرفض، غير أن منهم من وضع شروطاً لقبوله، ومن هذه الشروط:

١- أن يكون النص مفهوم المعنى تماماً لمجموع المخاطبين به منذ صدوره. فلا يُزعم فيه فوات المعنى الصحيح للآية على من خوطبوا بها أيام التنزيل، ومثاله الإعجاز المدعى في

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٢٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٩٢٦.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ج ١، ص ٦٩.

(٣) السريع، محمد بن سريع بن عبد الله دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، مجلة تبيان للدراسات القرآنية الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ع ٧، ٢٠١٠، ص ١١٢ - ٢٤٤.

اكتشاف العلماء كون (المضغة) المذكورة في أطوار خلق الجنين على شكل ما يمضغ وهيئته، ففيها كأثر الأسنان في العلك، لا على قدر ما يمضغ كما فهم السابقون، بل هي أصغر من قدر اللقمة بكثير .

٢- أن يكون المعنى الإعجازي مدلولاً متعيناً للنص. فلا يقبل ما هو مبني على معنى محتمل في الآية، حتى لو التزم صاحبه بصحة المعنى الآخر الذي فهمه السابقون أو بعضهم من الآية؛ لاحتمال أن يكون وحده هو مراد الله تعالى من الآية دون غيره من المعاني المحتملة، ومثال ذلك: ما ذكره العلماء بشأن الموج الباطني والموج السطحي؛ فإن عامة المفسرين على أن المراد بالموج الذي من فوقه موج هو هذه الأمواج المترادفة المترابطة المتتابعة المتلاطمة، التي يشاهدها مباشرة كل من نظر إلى بحر هائج، فهي مراد للآية قطعاً؛ وإلا لم يكن المثل المضروب للكافر مفهوماً لمن لا يعرف الموج الباطني.

٣- ألا يكون صدق هذا المعنى ومطابقتها للواقع في نفس الأمر معلوماً من قبل للمخاطبين فلا يقبل الإعجاز العلمي المبني على معنى كان الناس يعرفون مطابقته للواقع في نفس الأمر قبل تحدث النبي به، ومثاله الإعجاز المدعى في قوله تعالى: إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، من جهة أنه يشير إلى حقيقة علمية مكتشفة عن الكلب، وهو أنه ليس له غدود عرقية تذكر كبقية الحيوانات، لذلك يلهث، فالسؤال هنا: ما الذي زادته الآية عما فهمه الناس قديماً عن لهث الكلب؟ أليس ضرب المثل مؤكداً فهمهم التام للمعنى؟ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون.

٤- إذا ادعى الإعجاز في حديث نبوي شريف لزم انتفاء احتمال صدوره بظن واجتهاد من النبي، ومثاله كل إعجاز علمي مدعى في أحاديث طب الأبدان التي لم يرد فيها تصريح بأنها وحي من الله تعالى.

٥- إجماع المختصين على كون هذا الاكتشاف حقيقة علمية ثابتة ثباتاً نهائياً يمتنع نقضه، واشتهار ذلك الإجماع عنهم بالتواتر، بحيث تنتفي شبهة التقول عليهم، ويرد بالشرط الخامس كل إعجاز علمي لم توثق فيه الحقيقة العلمية على وجه يمنع خفاءها والخلاف حولها والمراجعة فيها من العقلاء، ويسوغ التحدي بثباتها ويقينيتها على صدق النبوة، ومثال ذلك ما راج مؤخراً من الإعجاز المدعى في نصوص عذاب البرزخ، المبني على صوت مسجل من باطن الأرض يُسمع فيه ما يشبه الصراخ واللغط، وأنه صوت المعذبين في البرزخ، التقطته أجهزة قياس الموجات الصوتية مصادفة^(١). والمتأمل لتلك الشروط وغيرها يلمح حرص العلماء على عدم التسرع في

(١) انظر العريضي، منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، ص ٤٥.

إطلاق الأحكام، وتحميل الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة معان غير معانيها، والدقة في التثبث منهج علمي وتربوي، علمنا إياه ديننا الحنيف.

ومن خلال ما سبق فإن الاستدلال على النبوة من خلال آيات الإعجاز العلمي تكون في مجملها وبمعناها العام، ذلك أن أنها لا تعارض شيئاً ذكره رسول الله ﷺ، أما التفصيلات فهي دلائل قدرة الله تعالى التي لها مقصد أساس فهمه جيل صحابة رسول الله والسلف الصالح، وما جاء من مكتشفات علمية حقيقية وتفصيلاتها يسترشد بها لذلك المقصد.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «ودلائل النبوة من جنس الدلائل الربوبية، فيها الظاهر البين لكل أحد؛ كالحوادث المشهودة، مثل: خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر، وغير ذلك، وفيها ما يختص به من عرفه مثل دقائق التشريح ومقادير الكواكب وحركاتها، وغير ذلك، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا فإن الله يوجد به على عباده جوداً عاماً ميسراً فلما كانت حاجتهم إلى النفس أكثر من حاجتهم إلى الماء، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل، كان سبحانه قد جاء بالهواء جوداً عاماً في كل مكان وزمان لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر؛ لأن الحاجة إليه أشد. فكذا دلائل الربوبية، حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة؛ فهذا يسرها الله وسهلها»^(١).

المبحث الثاني: نماذج مختارة من أدلة الإعجاز في الأفاق والأنفس ودلائلها التربوية

يهدف هذا المبحث لبيان مفهوم الدلائل التربوية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتحليل نماذج مختارة من أدلة الإعجاز العلمي ودلائلها التربوية.

ولا شك أن مصطلح الدلائل التربوية من المصطلحات الاجتهادية الحديثة التي تستخدم للتعبير عن المحتوى التربوي المتضمن في أي علم أو نص، وقد يعبر عنه بألفاظ مختلفة كالدلالات أو المضامين، والتي استخدمها الباحثون التربويون عموماً من أجل الإشارة إلى ما تتضمنه العلوم من دلالات ومضامين وقيم وإشارات تربوية، وقد أشار خطاطبة أن مفهوم كلمة مضامين تربوية تعني^(٢): عمليات استنتاجية متنوعة في المجال التربوي يقومون بها حيال نصوص محددة أو مواقف معينة، وبما أن لهذا المصطلح دلالاته الواسعة، فإنه من الطبيعي أن تأخذ عملية استنباط المضامين وتحديدها أشكالاً مختلفة بين التربويين قد تكون عامة أحياناً وقد تكون خاصة أحياناً

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ٥، ص ٢٥٥.

(٢) خطاطبة، القيم والأهداف التربوية في العقيدة الإسلامية، ص ١٠ - ١١.

أخرى؛ وذلك تبعاً لطبيعة هذا المصطلح ومراد المؤلف به، ولعلّ الأفضل أن يتم تحديد مجال المضامين ونوعها من قبل أي باحث يستخدمه قبل البدء باستباطها لما في ذلك من سلامة لمنهجه ولآرائه.

أما عن مقصود الباحثة من مفهوم الدلائل التربوية للإعجاز العلمي في القرآن، فهو: الإشارات التربوية والمضامين المستنبطة من جهة اللفظ والنظم والمعنى في آيات الله تعالى التي تتضمن حقائق وإشارات علمية في الآفاق والأنفس، بهدف الارتقاء بفكر الفرد وسلوكه.

ولهذه الدلائل التربوية أهمية كبيرة، فهي تكشف في ثناياها عن المنهج المتبع في تتبع استنباط المضامين من الآيات الكريمة الخاصة بمادة الإعجاز العلمي وفق قواعد وشروط محددة، وتظهر التكامل بين علوم القرآن الكريم وعلم التربية اللذان يستقيان من المصدر ذاته، وتؤكد على تعميق قيم التفكير والتأمل والتحليل في دراسة مباحث القرآن الكريم، وتظهر الجوانب التربوية الهادفة إلى تنمية شخصية المسلم والارتقاء بفكره وسلوكه.

المطلب الأول: الدلائل التربوية في إعجاز خلق الآفاق، وتسويتها، وتقديرها، وهدايتها.

لا يخفى على أحد كثرة النماذج التي تذكر في هذا المجال، وفي هذا المطلب ستقوم الباحثة باختيار نماذج من القرآن الكريم في إعجاز خلق الآفاق وتسويتها وتقديرها وهدايتها، ومن هذه النماذج:

النموذج الأول:

الدلائل التربوية في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُونَ ﴿٢﴾ الانعام: الآية ١-٢.

ومعنى قوله تعالى: (الذي خلق السماوات والأرض) أخبار عن قدرته وعلمه وإرادته فقال: الذي خلق أي اخترع وأوجد وأنشأ وابتدع. والخلق يكون بمعنى الاختراع ويكون بمعنى التقدير، وكلاهما مراد هنا، وذلك دليل على حدوثهما، فرفع السماء بغير عمد وجعلها مستوية من غير أود، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين، وزينها بالنجوم وأودعها السحاب والغيوم علامتين، وبسط الأرض وأودعها الأرزاق والنبات، وبث فيها من كل دابة آيات، وجعل فيها الجبال أوتادا وسبلاً فجاءاً، وأجرى فيها الأنهار والبحار، وفجر فيها العيون من الأحجار دلالات على وحدانيته،

وعظيم قدرته وأنه هو الله الواحد القهار، وبين بخلقه السماوات والأرض أنه خالق كل شيء (١).

وقد حمد الله نفسه على أمرين:

الأول: خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وانفراده بالخلق والتدبير.

والثاني: على جعله الظلمات والنور، وذلك شامل للحسي من ذلك، كالليل والنهار، والشمس والقمر. والمعنوي، كظلمات الجهل، والشك، والشرك، والمعصية، والغفلة، ونور العلم والإيمان، واليقين، والطاعة، وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى، هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي يعدلون به سواء، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساواوا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه (٢).

وبالنظر إلى مضمون الآية الكريمة وتفسيرها، يمكن استنباط ما فيها من الدلائل التربوية، ومن ذلك:

التربية على الحمد والثناء، وهذا توجيه من الله للنفوس البشرية سابق لذكر النعمة، وفيه إشارة إلى تقديمه والعناية به خوفاً من تضييعه عند ألفة النعم، فالذين كفروا شاهدوا الاعجاز في خلق الكون ومع ذلك عدلوا خالقها بالمخلوقات وذلك لجهلهم وجحودهم، فوجه الله تعالى عباده للحمد أولاً وسيكون دائماً بعد التفكير بمظاهر الاعجاز في مخلوقاته كلها.

توجيه المسلم إلى التفكير في خلق الله توجيهاً شمولياً واسعاً مؤكداً يشمل الكون بما فيه، وفي ذلك انعكاس على سعة أفق الإنسان وعدم تضييق النظرة إلى الخلق المباشر فقط، والحاصل حينئذ من مسلم متفكر في الآيات الكونية، عملية بناء وصقل لشخصية إنسانية واسعة الأفق، متمرس في إدراك طبائع الأشياء وإيجاد العلاقات وفهم حركتها وقوانينها، وبالتالي فهم الأمور وإطلاق أحكام رشيدة حولها في حياته العملية، والنتيجة الحاصلة من مسلم متفكر في آيات كتابه الكريم بناء قيمة الدقة في شخصية المتعلم من خلال الاعجاز البياني واللغوي الوارد في الآيات الكريمة، بالإضافة إلى استشعار روعة الاعجاز البياني واختيار الدلالات المنضبطة دون سواها، وجدير من المسلم تعلم الدقة في استخدام الالفاظ المعبرة عن أمر معين دون سواه،

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة ٢، ١٢٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ج ٦، ص ٢٨٤.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٢٥٠.

وترك العمومية والعشوائية والضبابية في الكلام أو الكتابة، الأمر الذي أصبح داء عضال في هذا العصر.

إدراك المتعلم أنواع النعم المحسوسة والمعنوية من خلال الآيات الدالة على عظمة الله والمحافظة على تجديد الوعي بشكل مستمر، ففي ذلك تربية للنفس البشرية التي تألف فتأنف فتجحد وتتكبر والعياذ بالله، والملاحظ أن المفارقة هائلة بين الدلائل الناطقة في الكون، وآثارها الضائعة في النفس، وما هذا إلا بسبب جحود النفس البشرية ونكرانها لنعمة ربها، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٢٤).

التفكر بقيمة الجمال في الآفاق والأنفس: فإدراك عناصر الجمال المتمثلة بالوحدة والانسجام والتناسق والمنتشرة في كل مخلوقات الله تعالى قيمة جمالية تضي على البشرية صفات ذوقية ترتقي بسلوكاتهم وتعاملاتهم، وتنعكس على بنية مجتمعاتهم.

توجيه المربي إلى استثمار مظاهر الاعجاز في الآيات الدالة على خلق الآفاق في ربط المتعلم بالله وزيادة صلته بخالقه جل وعلا بالإضافة إلى تنمية القدرات الذهنية عنده، وذلك باتباع المنهج السليم في التفكير والاعتبار، واستخدام التفكير الناقد في قبول النظريات والمكتشفات العلمية، فيبدأ بقراءة مراد الله من الآيات الكريمة من خلال التدبر بها، وفهم معانيها، وقراءة تفسيرها من التفسير الصحيحة المعتبرة، وفهم ما يؤيدها من أحاديث نبوية صحيحة، ودراسة أقوال السلف الصالح في معانيها، ثم دراسة ما يصلح من مكتشفات علمية تؤيد تلك المعاني.

النموذج الثاني:

من مظاهر التقدير في الآفاق قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَيْلٌ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٢٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٢٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: الآيات ٢٧-٤٠).

ومعنى قوله تعالى: «﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ﴾ على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وإحيائه الموتى بعد موتهم. ﴿أَيْلٌ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ أي: نزيل الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها محله ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس، فتضيء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحهم، ولهذا قال: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) أي: دائما تجري لمستقر لها قدره الله لها، لا تتعداه، ولا تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله تعالى. (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الذي

بعرته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. ﴿الْعَلِيمِ﴾ الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم^(١).

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ مَنَازِلٍ﴾ ينزل بها، كل ليلة ينزل منها واحدة، ﴿حَتَّىٰ﴾ يصغر جدا، فيعود ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش وصغر حجمه وانحنى، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئا فشيئا، حتى يتم نوره ويتسق ضياؤه، ﴿وَكُلُّ﴾ من الشمس والقمر، والليل والنهار، قدره (الله) تقديرا لا يتعداه، وكل له سلطان ووقت، إذا وجد عدم الآخر^(٢).

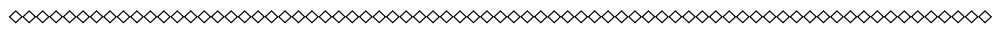
وبالنظر إلى مضمون الآية الكريمة وتفسيرها، يمكن استنباط ما فيها من الدلائل التربوية، ومن ذلك:

لا بد أن يعتني المربون بتعظيم الوحي في نفوس المتعلمين والنظر في دلائل قدرته تعالى في الكون، فالبناء العقدي والإيماني يمثل حجر الأساس في شخصيتهم والمساحة الأولى التي يجب أن يشبعها في نفوسهم، وآيات التقدير ودقته تولد في النفس القناعة والرضا واليقين، يقول سبحانه: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، وكذلك قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢)، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨). ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُتٍ﴾ (المالك: ٣). وهذه الآيات تؤكد أن خلق الله للأشياء محكوم بقضائه هو وتقديره سبحانه، وأن الصفة الغالبة والحاكمة لوصف كل مخلوقات الله هي الإحكام والإبداع والإتقان، بما تتناسب مع هذه المعاني وقدرة الذات الإلهية وحكمتها وإحاطتها بكل شيء علما.

تعلم المسلم الدقة والنظام في شؤون حياته كلها: فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ أي: الذي لا يخالف ولا يمانع، العليم بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك وقتنه على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس، كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام: ٩٦)، والتقدير يعني قمة الاتقان، وهذا مطلب الشرع من الإنسان، أن ينجز كل أعماله بدرجة الاتقان باعتبار قدراته واستطاعته المادية والمعنوية، ﴿صُنِعَ اللَّهُ لِدَىٰ أَفْنَنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٨٨). ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ (السجدة: ٧). فالمقادير المحكمة تظهر للمسلم قدرة الله التي تبهر العقول، فوجود هذا التقدير وحكمة وجودها يعلم طالب العلم قمة الاتقان في عمله وعلمه.

(١) انظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ج ٦، ص ٥٧٥ - ٥٧٩.

(٢) السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٦٩٥.



الحركة والفاعلية والحيوية جزء لا يتجزأ من شخصية المسلم: وقد وصف سبحانه وتعالى القمر حيث قال: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أي: جعلناه يسير سيرا آخر يستدل به على مضي الشهر، والمعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثا. وقوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: قال مجاهد: لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا. وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يعني: الليل والنهار، والشمس والقمر، كلهم يسبحون، أي: يدورون في فلك السماء^(١).

تربية المسلم على العمل والاقدام والجد والاجتهاد، فالمقادير الثابتة والسنن الكونية التي قدرها الله تعالى وأجراها بنظام محكم الصنع دافع قوي إلى العمل والجد، ومحفز على الاجتهاد في الأمور، فهي قوانين وتقادير عليه فهمها وبعد ذلك يسير بكل ثقة، وينعكس فهم الآيات الكريمة على المسلم بتوجيهه إلى حسن التخطيط والانجاز، وهذا هو الدور الأساسي.

يحتاج كثير من الناس في وقتنا الحاضر إلى الإقتناع العلمي؛ ليسلموا لربهم وتطمئن قلوبهم؛ إذ تقدمت فيه العلوم تقدماً أذهل الكثير من الناس، وزلزل عقائد ضعاف الإيمان، وظن هؤلاء أن العقل أصبح قادراً على كل شيء، وكان جديراً بهؤلاء أن يزدادَ يقينهم بالله تعالى عن طريق هذه الاكتشافات؛ إن ثبتت حقيقة، فهي وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية، ولكنها مقرونة بالالتزام بالشروط اللازمة لضمان التأثير الصحيح، فما العلم إلا وسيلة من الوسائل المهمة التي تعمق الإيمان بالله تعالى. وتحريك الأضواء نحو الاعجاز العلمي الموجود في القرآن الكريم والسنة لإنقاذ هذا الإنسان المعاصر ينبغي ألا يسيره الانبهار المؤقت الذي لا يبني عقائد راسخة.

المطلب الثاني: الدلائل التربوية في إعجاز خلق الأنفس، وتسويتها، وتقديرها، وهدايتها

وفي هذا المطلب سيتم عرض نماذج من القرآن الكريم في إعجاز خلق الأنفس وتسويتها وتقديرها وهدايتها، ومن هذه النماذج:

النموذج الأول:

الدلائل التربوية في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ^(٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ^(٨) (الأنفطار: الآية ٦-٨).

جاء في تفسير الآية الكريمة: في قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ) أي البشر الأنس بنفسه

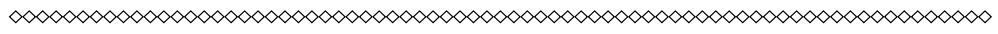
(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص ٥٧٥ - ٥٧٩.

الناسي لما يعنيه (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ) أي أدخلك في الغرة، وهي أن ترى فعلك القبيح حسناً أو ترى أنه يعفى عنك لا محالة، ﴿بِرَبِّكَ﴾ أي المحسن إليك الذي أنساك إحسانه ما خلقت له من خلاص نفسك بعمل ما شرعه لك^(١). (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) أي: جعلك سوياً معتدلاً القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال^(٢). وهي صفة ثانية مقررة للربوبية، مبيّنة للكرم، منبهة على أن مَنْ قَدَرَ على ذلك بَدَأَ قَدَرَ عليه إعادة، والتسوية جعل الأعضاء سليمةً سوياً مُعدةً لمنافعها وعدلها عدلٌ بعضها ببعض بحيثُ اعتدلتْ ولم تتفاوتْ أو صرْفُها عن خِلْقَةٍ غيرِ ملائمةٍ لها وقُرِيءَ فَعَدَلَكَ بالتشديد أي صيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوتٍ فيه^(٣). وقرأ غير واحد من السبعة «عَدَلَكَ» بالتشديد أي صيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوتٍ فيه، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجبهما إليّ أن أقرأ به قراءة من قرأ ذلك بالتشديد، لأن دخول «في» للتعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدلتك في كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك^(٤).

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي ركبك ووضعتك في أي صورة اقتضتها مشيئته تعالى وحكمته جل وعلا من الصور المختلفة في الصور المختلفة في الطول والقصر ومراتب الحسن ونحوها، فالجار والمجرور متعلق ب رَكَّبَكَ وَأَيُّ لِلصِّفَةِ مِثْلَهَا^(٥)، ويقول السعدي: «أليس هو الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ؟ في أحسن تقويم؟ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ وركبك تركيباً قوياً معتدلاً في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟ إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ فلهذا قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٦).

وبالنظر إلى مضمون الآية الكريمة وتفسيرها، يمكن استنباط ما فيها من الدلائل التربوية، ومن ذلك:

- (١) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج ٢١، ص ٢٠٤.
- (٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٢٤٢.
- (٣) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٩، ص ١٢١.
- (٤) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ٤٢، ص ٢٦٩.
- (٥) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ، ج ١٥، ص ٢٦٩.
- (٦) السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٩١٤.



ضبط المعنى الحقيقي للتربية فهي تتضمن جانب الاحسان وجانب العقاب: فالإقتصار على جانب الاحسان ليس كل التربية بل لا بد من جانب آخر ليتناسب مع مواقف المترين، وفي هذا يقول البقاعي: «فكان التعبير بالرب مع دلالته على الإحسان يدل على الانتقام عند الإمعان في الإجرام؛ لأن ذلك شأن المربي، فكان ذلك مانعاً من الاغترار لمن تأمل، أتبعه ما هو كذلك أيضاً ظاهره لطف وباطنه جبروت وقهر، فقال للمبالغة في المنع عن الاغترار، ﴿الْكِرْبُرِ﴾ أي الذي له الكمال كله المقتضي لثلا يهمل الظالم بل يمهله، ولا يسوي بين المحسن والمسيء والموالي والمعادي والمطيع والعاصي، المقتضي لأن يبالغ في التقرب إليه بالطاعة شكراً له، وأن لا يعرض أحد عنه لأن بيده كل شيء ولا شيء بيد غيره^(١).

منهج تكريم الإنسان منهج عريض وشامل، وتسوية الانسان من أهم بنود هذا المنهج، هذه التسوية ترشد إليها آية أخرى حيث يقول عز وجل: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿ (ص: ٧١-٧٢). وأيضاً حين يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤). هذه هي التسوية والتعديل الأول في الخلق، وهناك التسوية والتعديل اللاحق في كل مخلوق وهي تسوية فطرته، بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠)، وهذه التسوية بنوعيتها مظهر من مظاهر التكريم لكل إنسان، وهي موجبة للشكر على النعمة والامتنان للخالق، كما أنها دليل اعتزاز ورفعة دافعة إلى الرقي إلى كل خير ونفع يقدمه للبشرية.

تصحيح المواقف الإنسانية تجاه قيم المربي: فقد يتوهم أن كرم المربي واحسانه يأتي لكل المواقف مهما اختلفت ردود الفعل، فلو عصينا أو أطعنا فالأمر سيان، هنا تأتي الاجابة: «فيجب أن يخشى شدة بطشه لأنه كذلك يكون المتصف بالكرم لا يكون إلا عزيزاً، فإنه يكون شديد الحلم عظيم السطوة عند انتهاك حرمة بعد ذلك الحلم فإنه يجد أعواناً كثيرة على مراده، ولا يجد المعاقب عذراً في تقصيره بخلاف اللئيم فإنه لا يجد أعواناً فلا يشد أخذه، فصار الإنكار بواسطة هذين الوصفين أشد وأغلظ من هذه الجهة، ومن جهة أنه كان ينبغي أن يستحيي من المحسن الذي لا تكدير في إحسانه بوجه، فلا يعصى له أمر ولا يفرط له في حق، ومع ذلك ففي ذكر هذين الوصفين تلقين الحجة^(٢).

ربط القيم الجمالية المعنوية (الكرم) بالقيم الجمالية المادية (هيئة الخلق): وذلك لما

(١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٢١، ص ٣٠٤.

(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٢١، ص ٣٠٤.

ذکر هذين الوصفين الدالين على الكمالين، بالجلال، دل عليهما تقريراً لهما بإفاضة الجود في التربية بوصف الجمال بالإكرام لئلا يعتقد الإنسان بما له من الطغيان أنه حر مالك لنفسه يفعل ما يشاء فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي أوجدك من العدم مهيباً لتقدير الأعضاء ﴿فَسَوِّكَ﴾ عقب تلك الأطوار بتصوير الأعضاء والمنافع بالفعل ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ أي جعل كل شيء من ذلك سليماً مودعاً فيه قوة المنافع التي خلقه الله لها، وعدل المزاج حتى قبل الصورة^(١).

التفكر في ابداع تركيب خلق الإنسان وجمال هيئته طريق ميسور موصل إلى الايمان: فالوسيلة مرافقة للفرد أينما نظر سواء لنفسه أو للآخرين، ولا ينكر عاقل التركيب الإبداعي المعتدل، والهيئة السوية والجمالية التي عليها الإنسان وبعد هذا يجحد نعمة ربه، ويقول السعدي في بيان جحود الانسان بعد هذه النعم: فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟ إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات^(٢).

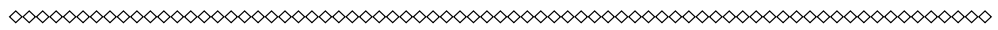
توجيه المربي إلى الوعي بالمسؤولية العلمية والمجتمعية وتربية الجيل عليها، فقد جعل الله تعالى الإنسان مسؤولاً عن هذه الجوارح يوم القيامة وعن استعمالها فيما شرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء: آية ٣٦). فالله تعالى خلق هذه الجوارح في الإنسان ليقوى بها على القيام برعاية مسؤولياته وتحقيق مكانته في الحياة الدنيا، فكلما تكاملت في الإنسان هذه الجوارح أصبح متحملاً لجميع التكاليف.

التفكر في حكمة الله من اتقان صنعه في الإنسان، وأنها رحمة ونعمة، ولولاها لكان خلق الانسان كالمخلوقات الأخرى، بل لجعلنا مخلوقات مشوهة، وهي عكس التعديل، وهو «جعل البنية متناسبة الخلقة، وكذا العدل في قراءة الكوفيين بالتخفيف أي فأمالك عن تشويه الخلقة وتبحيح الصورة، وجعلك معتدلاً في صورتك، وكل هذا يقتضي غاية الشكر والخوف منه إن عصي، لأنه كما قدر على التسوية يقدر على التشويه وغيره من العذاب»^(٣)، ولم يكن هذا التفضل فقط، بل أتبعه عز وجل تركيب أجهزة جسد الإنسان، كالجهاز الهضمي والتنفسي والعظمي والنفسي، فهي عوالم إبداعية من التناسق والانسجام، وهذا يعني منة أخرى، كما جعل له فؤاداً وعقلاً يستقبل به المعلومات ويحصل به التعلم، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

(١) البقاعي، المرجع السابق، ج ٢١، ص ٣٠٤.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٩١٤.

(٣) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٢١، ص ٣٠٤.



وَأَلْفَعِدَةٌ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ (الملك: ٢٣)، إشارة إلى اتباع الخلق نعمة تركيب السمع والأبصار وهي أدوات تعلم هذا الإنسان وبها حصلت له منة أخرى.

التربّي من بُنية جسد الانسان: في تناسقه وانسجامه وتعاضده وفي ذلك روى النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(١). فقد أرشد رسولنا الكريم إلى تربية الانسان وتطهير سلوكاته وعواطفه بالمودة والرحمة والتعاطف وهي بمعان مختلفة، رغم تقاربها، فالمؤمن يجب أخيه ويرحمه ويعطف عليه تماماً كالجسد الواحد، فتركيب جسده دال على الوحدة والتحاب، فإذا كسرت اليد ارتفعت حرارة الجسد، وبدأت علامات كثير تظهر منه تداعياً مع العضو المصاب، وجاء في رواية في صحيح مسلم في هذا الحديث أن النبي ﷺ قال: (المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)^(٢). وكذلك المسلم مع مجتمعه وأهله، فلما يسمع عن أحد من إخوانه أنه في مصيبة أن يذهب إليه فيواسيه ويقدم له ما يحتاج إليه، ويخفف عليه مصيبته التي نزلت عليه، وأما الإعراض والتجاهل للآخرين فهذا ليس من صفات المسلمين، فالعطف لا يأتي من أصحاب القلوب القاسية، وكذلك الرحمة والمودة.

التفكر في تمام قدرة الله عز وجل فليس الذراع كالعضد، وليست الأصابع كالكف، فكل ما فصل عن غيره من العظام فله ميزة خاصة، ولذلك كان على كل سلامى صدقة. والطب الحديث يوافق هذا - سبحان الله - مما يدل على أن رسالة النبي ﷺ حق^(٣).

من طبائع الأشياء أن تحمل الصنعة صفة الصانع، وتعالى الله عن أن تحكمه فهوم البشر وتصوراتهم، لكنه سبحانه أخبر عن نفسه بأنه القادر الحكيم الخبير، فجاء خلقه يحمل سره وأمره، فلن تجد في عالم الخلق بكل ما يحوي من الذرة إلى المجرة، لن تجد إلا ما أخبر به سبحانه عن خلقه وإحكام صنعته، من تقدير وتنظيم واتزان وترتيب وإحكام، وفي كل هذا يلمس العقل السليم أثر رحمة الله بعد قدرته، وما حاوله العلم خلال رحلته الطويلة في استكشاف بعض قوانين هذا الكون، إنما جاء دليلاً جديداً على صدق ما جاء به القرآن الكريم ونزل على الرسول الكريم ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان^(٤).

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج ٤، ص ١٩٩٩، برقم: (٢٥٨٦)، والبخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج ٨، ص ١٠، برقم: (٦٠١١)، بلفظ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج ٤، ص ٢٠٠، برقم: (٦٧).

(٣) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح الأربعين النووية، دار الثريا للنشر، ج ١، ص ٢٥٩.

(٤) الجسر، نديم، قصة الإيمان، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٩٦٩م، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

النموذج الثاني:

مظاهر الهداية في الأنفس في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (النحل: الآية ٦٨-٦٩)

والمراد بالوحي هاهنا: الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون. ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورسها، بحيث لا يكون بينها خلل^(١).

يقول القرطبي: وسمي نحلا لأن الله عز وجل نحل العسل الذي يخرج منه... وقوله تعالى: (أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر) هذا إذا لم يكن لها ملك. (ومما يعرشون) جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع، إما في الجبال وكواها، وإما في متجوف الأشجار وإما فيما يعرش ابن آدم من الخلايا والحيطان وغيرها^(٢).

وقوله تعالى: (يخرج من بطونها) رجع الخطاب إلى الخبر على جهة تعدد النعمة والتنبية على العبرة فقال: «يخرج من بطونها شراب» يعني العسل. وجمهور الناس على أن العسل يخرج من أفواه النحل... وفي قوله تعالى: (مختلف ألوانه) يريد أنواعه من الأحمر والأبيض والأصفر والجامد والسائل، والأم واحدة والأولاد مختلفون دليل على أن القدرة نوعته بحسب تنوع الغذاء، كما يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعي... وقوله تعالى: (فيه شفاء للناس) الضمير للعسل، قال الجمهور. أي في العسل شفاء للناس...^(٣).

وبالنظر إلى مضمون الآية الكريمة وتفسيرها، يمكن استنباط ما فيها من الدلائل التربوية، ومن ذلك:

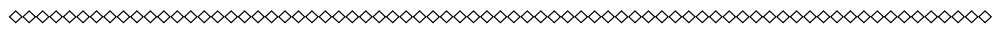
عناية الله ولطفه في هداية ذوي الأنفس يستوجب الاستجابة والطاعة: ففي خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايتها لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعي سواه^(٤). فيكتسب

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٨١-٥٨٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٣٥-١٤٠.

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ١٤٤.



طالب العلم قيمة محبة الله تعالى الذي أنعم على عباده بالعناية والرعاية والهداية، وهذا من حبه خلقه مع أنه غني عنهم، فمن تفكر في هذا اللطف والعناية ذاب قلبه شوقاً لخالقه، وهداية كل ذات نفس لسبيل عيشها ومادة معاشها وقد سخر لها الكثير من مخلوقاته لهذه الغاية وهذا من كمال لطفه وعنايته بالخلق.

الفطرة والهداية منحة ونعمة من الله، فالواجب على الانسان فهم هذه المنحة وشكر الله عليها أولاً ثم العناية بالعوامل التي تسهم في ضبطها وتمييزها ثانياً، ثم حمايتها من العوامل التي تسهم في كسرها أو إفسادها، لذلك الناس في ذلك ثلاثة أنماط: منهم من يحافظ على هذه المنحة، وهم من عرفوا خالقهم وأتمروا بأمره وانتهوا لنهييه، ومنهم من لم يدرك تلك العظمة، فلا يفهمون الرسالة التي قدمها ولا يدركونها، فهم قريباون منه ظاهراً ولكنهم بعيدون عنه في الحقيقة، ومنهم من قمع تلك الفطرة وعاندها، ورفض الخضوع والإنصات لها، وذلك لأن في هذا النوع من الهداية إرادة الإنسان.

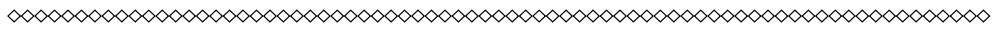
فهم مضمون الهداية يستوجب التسليم لمراد الله وسنة رسوله ﷺ، فبذلك تتحصل الهداية الحقيقية، «واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة في شيء من ذلك، فإن ذلك محنة من الله لعباده، واختبار لهم ليتم البلوى عليهم، ولمخالفة هذا الأصل العظيم وهو التسليم لله تعالى ولرسوله، ضل أهل البدع حين حكموا عقولهم وردوا إليها ما جهلوه من معاني القدر وشبهه، وهذا خطأ منهم، لأن عقول العباد لها نهاية، وعلم الله لا نهاية له^(١). تتعكس هذه النصوص على النفس البشرية بالطمأنينة والأمن النفسي، فالخالق عز وجل هدى عباده لأفضل طريق في الدنيا والآخرة، ومن انعكاسات هذا الباب على الإنسان أيضاً الحياة الطيبة كثمرة للهداية.

التفكر في حياة ذوي الأنفس وهداية الله لها طريق للعلم وتسخير هذه الأرض بما فيها من مخلوقات، وطريق للإيمان، وتعد النحلة أنموذجاً يدرس للتعرف على أدق تفصيلات حياتها: فقد «أذن لها تعالى إذناً قديراً تسخيراً أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى لها مذلة، أي: سهلة عليها حيث شاءت في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها، لا تحيد عنه يمناً ولا يسرة، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل، فتبني الشمع من أجنتها، وتقيء العسل من فيها، وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصيح إلى مراعيها»^(٢).

إفادة المربي من الحكم التي ذكرها الإمام ابن القيم في ذلك حيث فصل بها تفصيلاً

(١) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخارى، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٨١-٥٨٢.



بديعاً مشتملاً على عجائب تسع ، منها: كمال طاعتها وحسن ائتمارها لأمر ربها؛ إذ اتخذت بيوتها في هذه الأمكنة الثلاثة، واجتهادها في صنعة العسل، وبنائها البيوت المسدسة التي هي من أتم الأشكال، ومن تدبر أحوالها وسياستها وهدايتها، واجتماع شملها، وانتظام أمرها، وتدبير ملكها، ومن أعجب أمرها ما لا يهتدي إليه الناس ولا يعرفونه، وهو النتاج الذي يكون لها؛ هل هو على وجه الولادة والتوالد أو الاستحالة؟ وإذا تأملت ما فيه من المنافع والشفاء، ودخوله في غالب الأدوية^(١).

الخاتمة والتوصيات:

من خلال البحث في الدلائل التربوية المستنبطة من الإعجاز العلمي في ضوء القرآن الكريم توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

اعتمد البحث معنى الإعجاز العلمي الذي يركز على الدلائل التي تضمنها كتاب الله تعالى في عالم الآفاق والأنفس، والتي بنيت على توافق الحقيقة الكونية وكلمات الله تعالى، وتلك الحقائق والإشارات العلمية متعلقة بمضمون الآيات ومعناها ونظمها وبلاغتها، فلا يأخذ بالمكتشفات العلمية إلا وفق منهج رصين وشروط محددة، سواء ارتبطت بالمكتشفات العلمية الحديثة أم لا، بحيث تزيد الاكتشافات العلمية الصادقة من التفصيلات والأنواع والفروع الواردة فيها.

تبين من خلال البحث في قضية الاستدلال بآيات الإعجاز العلمي على النبوة، أن آيات الإعجاز العلمي يستدل بها في مجملها وبمعناها العام على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك أن أنها لا تعارض شيئاً ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما التفصيلات فهي دلائل قدرة الله تعالى التي لها مقصد أساس فهمه جيل صحابة رسول الله والسلف الصالح، وما جاء من مكتشفات علمية حقيقية وتفصيلاتها يسترشد بها لذلك المقصد.

كشف البحث عن الإشارات التربوية والمضامين المستنبطة من جهة اللفظ والنظم والمعنى، والتي تحوي قيماً ودلالات تربوية، عامة وخاصة ترتقي بفكر الفرد وسلوكه وتربيته وقيمه وتوحيده وإيمانه، حيث كشفت عملية التحليل والاستنباط في ثناياها عن المنهج المتبع في تتبع استنباط المضامين التربوية من الآيات الكريمة الخاصة بمادة الإعجاز العلمي، كإعجاز خلق الآفاق، وتسويتها، وتقديرها، وهدايتها، وإعجاز خلق الأنفس، وتسويتها، وتقديرها، وهدايتها

أظهر البحث التكامل بين علوم القرآن الكريم وعلم التربية اللذان يستقيان من المصدر ذاته، وأكد على تعميق قيم التفكير والتدبر في دراسة مباحث القرآن الكريم، وأظهرت الجوانب التربوية الهادفة التي يفيدها المرابي لتنمية شخصية المسلم والارتقاء بفكره وسلوكه.

(١) انظر ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

أما عن توصيات البحث فهي:

يوصي البحث الأكاديميين والباحثين بمزيد من الدراسات التأصيلية التربوية المستنبطة من الكتاب والسنة الصحيحة، والتي يحرصون بها على إبراز الجانب التربوي المستنبط من مباحث علوم القرآن، والسنة النبوية.

يوصي القائمين على العملية التربوية من أسر ومؤسسات تربوية ومختصين في تصميم المناهج بتحليل جوانب الإعداد اللازم لجيل المستقبل، وتضمين مناهجهم قيم الشخصية المسلمة التي تستحق أن تتسب لأعظم شخصية عرفتها الإنسانية.

قائمة المراجع:

ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

الطيبار، مساعد بن سليمان بن ناصر، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقييمية للإعجاز العلمي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ.

الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

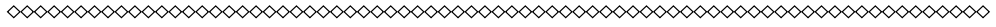
مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

العريضي، سعود، منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، مركز تكوين، السعودية، ط١، ٢٠١٤.

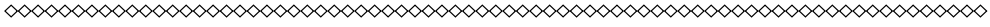
ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة ٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي

- القاسم بن محمد ابن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- السريع، محمد بن سريع بن عبد الله دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، مجلة تبيان للدراسات القرآنية الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ٧٤، ٢٠١٠م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٢١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح الأربعين النووية، دار الثريا للنشر.



الجسر، نديم، قصة الإيمان، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م.
ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخارى، ٢٠٠٣م.
ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:
٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت.



أ.د. سليمان العيد بن قاسم بن محمد العيد
جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية
المشرف على كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة

الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة النبوية (ميراث المرأة في الإسلام أنموذجاً)

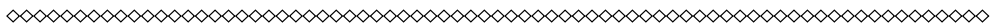
مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد .

لا شك أن القرآن الكريم كتاب الله تعالى الخالد، وهو المعجزة الأبدية على مر العصور،
كما أن مجالات وجوانب الإعجاز في القرآن الكريم تجلُّ عن العد أو الحصر، فحججه وبراهينه،
وتشريعاته، وأحكامه، وإرشاده وهدايته سوف تظلُّ متجددة لا تُحَدُّ ولا تنفد عبْر الزمان، إلى قيام
الساعة، مهما حاول المعاندون والجاحدون إنكار ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَالْحِجْرُ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾
(الإسراء، ٨٨).

وإن كنا نتناول جانباً واحداً من جوانب دلائل النبوة فيما يتعلق بالإعجاز في القرآن الكريم
والسنة النبوية في الجانب التشريعي؛ ثم نخصص ذلك في جزئية واحدة تتعلق بميراث المرأة،
إلا أننا لا نعني بها مجرد إثبات الإعجاز، وإنما نعني إثبات بعض دلائل نبوة النبي ﷺ، من جهة؛
وبيان الإعجاز التشريعي في كمال وتمام قضية ميراث المرأة من جانب آخر، لأن القرآن الكريم
كما وصفه جل وعلا: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾
(فصلت، ٤٢).

فلقد حوى القرآن الكريم من الأدلة القاطعة، والبراهين الدامغة على الإعجاز التشريعي بما
اشتمل عليه من المقاصد الرئيسية، والقواعد الكلية، التي تبين وتُنظِّم كل شؤون الحياة، وتُحقِّق
العَدْلَ المطلق للجميع.



كما جاءت السنة النبوية لتبين وتفصل للناس ما كان مجملًا، أو تخصص ما كان عامًا، لتحقق الفهم والتطبيق لما جاء به القرآن الكريم من تقرير المزايا العامة للإسلام؛ ووسطيته الجامعة لحقوق الروح والجسد، ومصالح الدنيا والآخرة.

وفي ظل الإثارة المفتعلة حول مسائل توريث المرأة وما يظنه البعض -توهمًا- أن فيه إجحافًا بالمرأة، أو يرون -إنكارًا وجحودًا- أنه انتقاص من حقوقها، ويدعون أن مساواتها بالرجل ضرورة معاصرة، متعللين بأن واقع المرأة في زماننا المعاصر قد ألقى بتبعات مالية جديدة على المرأة، أو من يرى أن فيه ظلمًا للمرأة، فلا شك أن علل هؤلاء قد بُنيت على وضع معوج لم يستطيعوا معه إدراك حقيقة الأحكام الشرعية وأثرها وتأثيرها في السلوك الاجتماعي، وهنا تستقر المعضلة في جميع قضايا المرأة التي يثيرها المتعللون.

إن غاية الإسلام في جميع أحكامه الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة؛ وأن نظام الميراث في التشريع الإسلامي جاء تامًا كاملاً، ولن يحتاج على مر الزمان إلى تعديل أو تطوير، لأنه من حكيم خبير، ولأن نظام الميراث في الإسلام جمع بين مصلحة الإنسان فرداً وأسرة ومجتمعاً، وبين المقاصد الكلية للشريعة في الأحكام، ولم يبين على نظم سابقة، مما يؤكد نبوة نبينا محمد ﷺ، ويدل على أنه تشريع رباني أنزله الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلحه.

وسوف نتناول في البحث عددًا من العناصر على النحو الآتي:

مقدمة، تشمل أهمية الموضوع، وأهدافه، وأبرز مصطلحاته، وأهم عناصره.

المبحث الأول: الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة مفهومه وماهيته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز التشريعي في الإسلام.

المطلب الثاني: دلائل النبوة في الإعجاز التشريعي وأبرز معالمها.

المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي في ميراث المرأة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فلسفة الميراث في الإسلام، وأسسها وضوابطه.

المطلب الثاني: حالات ميراث المرأة وعدل الإسلام.

الخاتمة والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات

ونسأل الله تعالى التوفيق والرشاد.

المبحث الأول: الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة مفهومه وماهيته

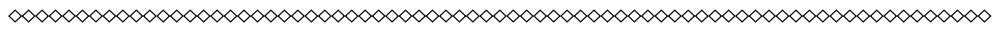
إنَّ العزم في البحث في مسألة مهمة وعظيمة حول الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لتجلية أدلة صدق نبوة نبينا محمد ﷺ أمر من الأهمية للفكر والتفكير، يسهم في بناء معرفي متوازن لكثير من القضايا التي ما فتئ المعارضون لإثارتها بين الحين والآخر، وإن كانت الحقيقة أن ثبوت صدق نبوءة النبي ﷺ بالأدلة والبراهين تعني في المقام الأول التسليم المطلق لكل ما جاء به نبينا ﷺ والسعي لتطبيقه في الواقع والعمل به تعبداً وامتثالاً، إلا أن الناظر في المناوشات العقلية، وجدال الفكر المادي والمستعرب، يدرك أهمية وضرورة العناية بمسائل صدق النبوءة وضرورتها، لأن التردد أو التشكيك أو المماحكة العقلية في قبول الشريعة وأحكامها، لا تخلو من إملاءات عقلية، والتذبذب الذي يتأرجح في النفوس الضعيفة يعلو أحياناً ويخفت صوته حيناً آخر، ليوهم ضعاف النفوس وأصحاب الهوى بأن ثمة خلافاً في حقيقة النبوءة أو صدق براهينها، ولصد تلك الهجمات المشبوهة، وردع أصحاب الأقلام الموتورة، يأتي مثل هذا المؤتمر المتميز، ليبرهن ويدلل بالبرهان الساطع على صدق النبوءة، لبيان وإحقاقه الحق، وتوطين وترسيخ اليقين، وتفعيل الشريعة التي أكملها الله تعالى وأتمها بأبلغ بيان وبلغها نبينا ﷺ وأشهد الله ملائكته وخلقه على بلاغها وتمامها.

وإذا كان اللاهثون خلف سراديب وسراب التنوير والحدائث وتكييف مصطلحاتها لا يمكن أن يؤدي إلى تغيرات مفاهيم والمعرفة الحقيقة المبنية على الأدلة والبراهين، لأننا نؤمن أن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وإن كنا في هذه الورقة المختصرة سوف نتناول أحد جوانب دلائل النبوة فيما يتعلق بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فإننا نوقن بأنه لا يمكن حصره ولا استيفاء مقاصده؛ إلا أننا سوف نسعى لبيان ذلك بإيجاز مع العناية بالأمثلة للاستلال فقط، وتأكيد صدق نبوة نبينا محمد ﷺ.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز التشريعي في الإسلام

إنَّ المتأمل والدارس المتبصر في جوانب الإعجاز بشكل عام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يلحظ أنها تجلُّ عن الحصر أو العد، لتعدد جوانب الإعجاز وتنوعها، فأعجازها متنوع في أحكامه وتشريعاته، وأخباره وقصصه، ولغته وأساليبه وتراكيبه، وبراهينه وحججه، وتصويره ومعانيه، ومقاصده، وإرشاده وهدايته، وغيرها كثير، فوجوه الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية لا تُحَدُّ ولا تُنفد عَبْرَ الزمان، ويدرك العلماء والباحثون في زماننا هذا وعبر كل



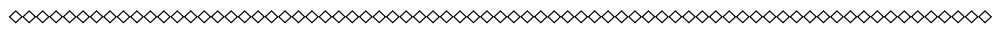
زمان أن إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية تتسع كلما اتسعت العلوم وتوعدت المعارف، قال جل وعلا: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت ٥٣)، مما يؤكد أن الآيات والدلائل والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ كثيرة، وأكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمَّنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَارْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

والإعجاز لغة: العَجَزُ: مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، والعَجَزُ الضَّعْفُ، وأعجزه الشيء: فاتته، وعَجَزْتَهُ تعجيزًا: ثَبَطْتَهُ، ونسبته إلى العَجَزِ^(٢)، وأصله التَّأَخَّرُ عن الشيء، وحُصُولُهُ عند عَجَزِ الأمر، وسار في التعارف اسمًا للقُصُور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة^(٣)، وأعجزته وعاجزته، جعلته عاجزًا، ومنه (معجزين) أي ينسبون من تبع النبي ﷺ إلى العَجَزِ نحو جهلته وفسقته، وقيل: مُثْبِطِينَ، أي: مُقْنَطِينَ النَّاسَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ^(٤).

أما التشريع: مصدر شَرَعَ بالتخفيف، والتشريع مصدر شرع بالتشديد، والشريعة في أصل الاستعمال اللغوي: مورد الماء الذي يقصد للشرب، ثم استعملها العرب في الطريقة المستقيمة، وذلك من حيث إن الماء سبيل الحياة والسلامة، ومثل ذلك أيضًا الطريقة المستقيمة، التي تهدي النفوس فتحبيها، قال الراغب: «الشَّرْعُ: نَهْجُ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، يُقَالُ: شَرَعْتُ لَهُ طَرِيقًا، وَالشَّرْعُ مصدر، ثُمَّ جُعِلَ اسْمًا لِلطَّرِيقِ النَّهْجِ، فَقِيلَ لَهُ: شَرَعٌ، وَشَرَعٌ وَشَرِيعَةٌ، وَاسْتَعِيرَ ذَلِكَ لِلطَّرِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ»^(٥).

والإعجاز التشريعي: هو إثبات عَجَزِ البشر جميعًا عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من تشريعات وأحكام، تتعلّق بالفرد والأسرة والمجتمع في كافة المجالات. وإننا كنا هنا لا نعني بالإعجاز التشريعي مجرد إثبات الإعجاز، وإنما المراد منه لازمه، وهو إثبات صدق نبوة النبي ﷺ وبيان كون القرآن الكريم واحدًا من دلائل نبوة النبي ﷺ، وأنه من عند الله عز وجل، وأن السنة النبوية مفصلة وموضحة وفي أحيان أخرى مشرعة كذلك.

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَاب: كَيْفَ نَزَلَ الْوَحْيُ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ ١٨٢/٦ برقم ٤٩٨١، ومسلم كتاب الإيمان، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمَلَلِ بِلَهْتِهِ، ١٢٤/١ برقم ١٥٢.
(٢) انظر: مختار الصحاح، للرازي، مادة (ع. ج. ز)، ص: ٤١٣.
(٢) انظر: المفردات، للراغب، كتاب العين، ص: ٢٢٢.
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٢٢/٤.
(٥) انظر: كتاب الشين، للراغب، ص: ٢٥٨.



لأنَّ الإعجاز التشريعي: هو التميز والتفرد بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من نُظم وتشريعات ومبادئ في كافة مجالات الحياة وفي كل صورها بطريقة وصورة لا يمكن لأحد من البشر لا يوحى إليه أن يأتي بمثلها، وذلك لأسباب متعددة منها: أنها إلهية المصدر، لما اتصفت به من الكمال المطلق، والتمام المطلق فالكمال نوعي والتمام عددي، فهي شاملة لجميع مجالات الحياة، في العبادات، والعقيدة، والأخلاق، والمعاملات، والاقتصاد والسياسة وكل شؤون الحياة، كما أنها تتصف باليسر والسماحة والقدرة على الفعل، فلا تكلف الإنسان فوق ما يطبق، فضلاً عن العموم والعالمية، فالإسلام وأحكامه وتشريعاته جاء للبشر كافة في كل مكان وزمان.

كما أن الإعجاز التشريعي هو إثبات عجز البشر جميعاً أفراداً وجماعات عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من تشريعات وأحكام، تتعلق بالفرد والأسرة والمجتمع. ومن مميزات هذا الإعجاز هو الربانية، الشمول، العدل، اليسر، رفع الحرج، الدوام، رعاية مصالح البشر، التوازن بين المادة والروح، الكمال، والتوسط والاعتدال.

ونعني بالإعجاز التشريعي: تشريعات القرآن ونظمه ومناهجه، والمبادئ التي قررها، والقيم التي دعا إليها، والأسس التي أسسها، والهداية التي هدف إليها، ونخص بالبحث هنا ما يتعلق بميراث المرأة في الإسلام، وعدل الإسلام وحكمته البالغة ومنهجيته في توزيع الميراث.

ولقد تناولت الدراسات المتعلقة بالإعجاز التشريعي، وما تضمنته الشريعة في عمومها وتفصيلاتها أعظم التعاليم، وأقوم الطرائق والوسائل والمناهج لصالح الناس وهداية البشرية إلى التي هي أقوم، في مختلف جوانب الحياة، من تزكية الفرد، وإسعاد الأسرة، وتوجيه المجتمع، وبناء الدولة، وإقامة العلاقات الدوليَّة على أمتن الأسس والركائز^(١).

ولهذا تعددت وجوه الإعجاز التشريعي في الإسلام، مراعيًا درجات البشر في العقل والفهم، وعلوِّ الهمة وضَعْفِها، فالقطعيُّ منه هو العامُّ، وغير القطعي تتفاوت فيه الأفهام، فيأخذ كلُّ أحدٍ منه بما أذاه إليه اجتهاده، وكذلك فعل رسول الله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، كما جعلت الشريعة مَدَارَ العبادات كُلِّها على اتِّباع ما جاء به رسول الله ﷺ في الظاهر؛ فليس لأحد فيها رأي شخصي ولا رئاسة، ومدارها في الباطن على الإخلاص لله تعالى وصحَّة النيَّة.

وكلُّ واحدة من النقاط السابقة جديرة بأن تجعل مقصدًا خاصًا من مقاصد الوحي، ويُسْتَدَلُّ بها على أنه من الله تعالى؛ قرآنًا معجزًا في أحكامه التشريعيَّة، جالبًا مصالح العباد معه^(٢).

(١) انظر: مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، زيدان، ص ٢٦.

(٢) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٢٨٣-٢٨٧ (بتصرف).

المطلب الثاني: دلائل النبوة في الإعجاز التشريعي وأبرز معالمها

إن السنّة النبوية هي المفسرة للقرآن الكريم، فقد ارتبطت السنة النبوية بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً، فاكتسبت شرعية وجودها، وحفظها من حفظ القرآن الكريم، كما اكتسبت علو مكانتها وعظمتها ورفعتها، كما ضمن الارتباط الوثيق للسنّة النبوية بالقرآن الكريم بقاءها؛ فهي الشارحة لكتاب الله، الموضحة لمعانيه، المبيّنة لأحكامه، والمفصلة لما أجمله القرآن، والمجملة لما فصله القرآن، كما ثبت عن رسول الله ﷺ. فقال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(١)، ويمكننا إيجاز دلائل النبوة في الإعجاز التشريعي وأبرز معالمها في النقاط الآتية:

أولاً: مكانة السنة النبوية في التشريع: فلقد أجمل الله تعالى مكانة السنة في التشريع والبيان في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل ٤٤)، ويفهم من هذا أن السنة النبوية تقيد المطلق، وتبين المجمل، وتخص عامه، وقد تستقل بالتشريع^(٢)، قال ابن كثير: «يعني السنة، والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن»^(٣).

ولما كان القرآن الكريم هو الدستور الجامع للقوانين العامة، جامعاً ومؤصلاً للأصول العامة للأحكام الشرعية من العبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها، فلقد جاءت هذه الأحكام في القرآن الكريم محكمة يحتاج الناس لمن يوضح معانيها، ويبين مجملها، فكانت السنة النبوية هي القوانين والتشريعات المستفادة من هذا الدستور والمنهج الإلهي ولم تخرج عنه، لأن السنة النبوية وحي من الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم ٢-٤)؛ وهذا البيان يكون إما أن يوافق القرآن من كل وجه، فيكون من باب توارد الأدلة، أو أن يكون بياناً لما أريد بالقرآن، أو أن تكون دالة على حكم سكت عنه القرآن، وهذا يكون حكماً مبدأً من النبي ﷺ فتجب طاعته فيه^(٤)، وعلى هذا فالسنة النبوية إما أن تؤكد ما جاء في القرآن، أو تبينه، أو تستقل بتأسيس أحكام لم يسبق لها ذكر في القرآن، قال ابن كثير رحمه الله: «عليك بالسنّة؛ فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له»^(٥).

وقال الشاطبي رحمه الله: «فإن الأدلة قد تأتي في معانٍ مختلفة، ولكن يشملها معنى واحد

(١) رواه أبو داود، كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، ٤/٢٠٠ برقم ٤٦٠٤، وقال الألباني: صحيح.

(٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع، السباعي، ص ٤١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/١، الرسالة، للشافعي، ص ٦٤.

(٤) انظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، ٢/٢٠٨، بتصرف واختصار؛ وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٣/٢٢٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/١.

شبيه بالأمر في المصالح المرسله والاستحسان، فتأتي السنّة بمقتضى ذلك المعنى الواحد، فَيَعْلَمُ أَوْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى مَأْخُذٌ مِنْ مَجْمُوعِ تِلْكَ الْأَفْرَادِ بِنَاءٍ عَلَى صِحَّةِ الدَّلِيلِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا جَاءَتْ مُبَيِّنَةً لِلْكِتَابِ^(١).

ثانيًا: أسست السنّة النبوية للقواعد الفقهية فيما يخص التشريع: ففي السنّة النبوية المطهرة مبادئ تشريعية، وقواعد كلية جامعة استفاد منها الفقهاء والعلماء في بيان كثير من الأحكام، وهي ما تعرف بالقواعد الفقهية^(٢)، مثال قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(٣)، إذ تجد نفي الجنس للمبالغة، لاشتمال معنى النهي، إذ لا يجوز الضرر للغير في النفس، أو المال، أو العرض، ومنه ما استنتقه العلماء بما يعرف بالتعسف في استعمال الحق، وهو أمر يعد سابقة حقوقية سبق بها الإسلام النظم القديمة والحديثة والمعاصرة، ويعد أحد جوانب الإعجاز التشريعي في السنّة النبوية.

وكذلك لا يجوز مقابلة الإضرار بالإضرار، ومن القواعد الفقهية تتفرع العديد من المسائل والفروع يقول السيوطي: «إن هذه القاعدة ينبنى عليها كثير من أبواب الفقه، من ذلك: الرد بالعيب، وجميع أنواع الخيار، والحجر^(٤) بأنواعه، والشفعة، والقصاص والحدود والكفارات، وضمان المتلف، والقسمة ونصب الأئمة، والقضاة، ودفع الصائل^(٥)، وقتال المشركين والبغاة، وفسخ النكاح بالعيوب أو الإعسار وغير ذلك^(٦)، بل هي إحدى القواعد الخمس التي يرجع إليها الفقه كله^(٧).

كما نجد القاعدة العامة في قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...»^(٨)، فقد ذكر الفقهاء والعلماء أنها قاعدة تمثل ثلث العلم، حيث استنبطوا من هذا الحديث العظيم، القاعدة الفقهية الكبرى «الأمور بمقاصدها»^(٩)، مما يؤكد اهتمام الإسلام عمومًا بالجوانب الإنسانية في التشريع من خلال التربية والتهذيب والصدق مع النفس فيكون بإصلاح النية، حتى يكون عمله خالصًا لله تعالى، وفي نفس الوقت يكون المرء متوازنًا مع نفسه ومجتمعه.

(١) الموافقات، للشاطبي، ٤/٤٧، ٤٨.

(٢) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص ٢٥١.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الأحكام، بَابٌ مِّنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يُضَرُّ بِجَارِهِ، ٢/٧٨٤ برقم ٢٢٤٠، وقال الألباني صحيح.

(٤) الحجر: المنع، وهو منع نفاذ التصرفات القولية وهو نوعان: تام بسبب الجنون وعدم التمييز، وناقص بسبب السفه والإفلاس ومرض الموت. انظر: معجم لغة الفقهاء، لقلعه جي، ص ١٥٤.

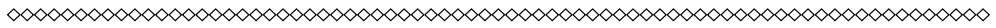
(٥) الصائل: هو المتعدي والسيال: السطو والتهديد للأموال أو الأنفس أو الأعراس، انظر: معجم لغة الفقهاء، لقلعه جي ص ٢٥٠.

(٦) الأشباه والنظائر، السيوطي، ص ٩٢، ولاين نجيم، ص ٨٥.

(٧) الأشباه والنظائر، السيوطي، ص ٨.

(٨) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ١/٦ برقم ١.

(٩) الأشباه والنظائر، السيوطي، ص ٨-١٠، ولاين نجيم، ص ٢٠.



وعن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه تسأله ميراثها، فقال: ما أعلم لك في كتاب الله شيئاً ولا أعلم لك في سنة رسول الله ﷺ من شيء حتى أسأل الناس، فسأل، فقال المغيرة بن شعبة: سمعت رسول الله ﷺ جعل لها السدس، فقال من يشهد معك أو من يعلم معك؟، فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ذلك فانفذه لها^(١).

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَرِثُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ»^(٢)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى»^(٣).

ومن الإعجاز التشريعي في السنة النبوية فيما يخص الإرث أنها وازنت بين قوة القرابة والحاجة إلى المال، كما وازنت بين حق الورثة وحق المورث، فجعلت الوصية في حدود الثلث، لا اعتبار أن أقرباء المورث أحق وأولى، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: جاء النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يعوذني وأنا بمكة، وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها، قال: «يَرَحُّمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءٍ»، قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أوصي بمالي كله؟ قال: «لَا»، قلت: فالتشطر، قال: «لَا»، قلت: الثلث، قال: «فالتلث، والتلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس في أيديهم، وإنك مهما أنفقت من نفقة، فإنها صدقة، حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك، وعسى الله أن يرفعك، فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون»، ولم يكن له يومئذ إلا ابنة^(٤).

وعن ابن بريدة عن أبيه: أن النبي ﷺ «جعل للجدة السدس، إذا لم يكن دونها أم»^(٥)، وفيه أن ميراث الجدة السدس سواء كانت أم أم أو أم أب، ويشترك فيه الجدتان فأكثر إذا استوين فإن اختلفن سقطت البعدي من الجهتين بالقربى، فتسقط أم الأم بالأم، وتسقط أم أم الأب بأم الأب، وهو من باب الإعجاز التشريعي في ميراث الجدة التي لم يكن لها نصيب من التركة. وبيان أن الجدة لها السدس، بشرط أن لا توجد أم تحجبها، لأن قاعدة الإرث: أن الورثة المتساوين في الجهة والدرجة يتساوون في الميراث، فبناء عليه إذا اجتمع جدات وارثات، في درجة واحدة، اشتركن في السدس، وقاعدة التوارث الأخرى: أن الأقرب من الورثة يسقط الأبعد منه، فالجدة القريبة تسقط التي هي أبعد منها، من أي جهة جاءت على الراجح^(٦).

(١) رواه الإمام أحمد، ٤٩٩/٢٩ برقم، ١٧٩٨٠، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح بشواهده.

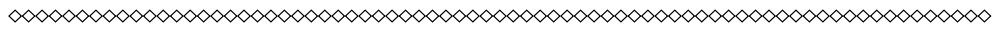
(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الرؤية يوم الفتح، ١٤٧/٥ برقم ٤٢٨٢.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر؟، ١٢٥/٣ برقم ٢٩١١، وقال حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكفوا الناس، ٣/٤ برقم ٢٧٤٢.

(٥) رواه أبو داود، كتاب الفرائض، باب في الجدة، ١٢٢/٣ برقم ٢٨٩٥، وقال الألباني: ضعيف.

(٦) انظر: منحة العلام في شرح بلوغ المرام، عبد الله الفوزان، ص ١٤.



وفي الإعجاز التشريعي في باب الميراث عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا اسْتَهَلَ الْمَوْلُودُ وَرَثَ»^(١)، وهذا يعني: إذا ولد المولود وصرخ، أي إذا تحققت حياته، من شرط الإرث أن تتحقق حياة الوارث حين موت المورث، فإذا استهل المولود وعلم أنه حي ورث من أقاربه.

ومن الإعجاز التشريعي كذلك أن الزوجة ترث إذا مات الإنسان ووراءه عصابة، فماله للعصابة، وإن كان له أصحاب فرض أعطوا فروضهم، فما بقي فهو للعصابة، وإن لم يكن له أصحاب فروض فالذي ورثه للعصابة كله، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَا أَحْرَزَ الْوَلَدُ أَوْ الْوَالِدُ، فَهُوَ لِعَصْبَتِهِ مَنْ كَانَ »^(٢)، مات إنسان عن زوجة فتعطى الزوجة حقها، والباقي للعصابة، مات عن أم: تُعطى أمه فرضها، والباقي للعصابة.

المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي في ميراث المرأة

إن من الأهمية أن نقدّم بين يدي هذا المبحث إضاءة موجزة عن الإعجاز التشريعي في باب الموارث بشكل عام قبل الحديث عن فلسفة الميراث وأساسه وضوابطه، لأن الحكم على شيء فرع من تصوره كما يقول الفقهاء في باب الأصول.

وقد سبق الإشارة بإيجاز على دلائل النبوة ومنها أن الله تعالى أيد أنبياءه ورسله بالمعجزات، وأن الإعجاز التشريعي واحد من أعظم أنواع الإعجاز التي عرفها العرب والعجم منذ بعثة النبي ﷺ، لأن الإعجاز التشريعي هو إثبات عجز البشر جميعاً عن الإتيان بمثل هذه التشريعات والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، والمتعلقة بالفرد والأسرة والمجتمع في كافة مجالات الحياة، لأنه تشريع رباني متكامل لا يترك من أمور الحياة صغيرة ولا كبيرة إلا عالجهما وقتن لها^(٣)، وأحد وجوه هذا الإعجاز التشريعي ما جاء في باب الموارث.

كما يجب التأكيد على تصحيح مغالطة تدعي الأفرق بين العدل والمساواة، أو أن تحقيق العدل متوقف على تحقيق المساواة، والحقيقة التي يأبى مدّعو حقوق المرأة قبولها أن العدل لا يقتضي التسوية، فقد تعدل بين شخصين دون أن تسوي بينهما؛ لأن العدل هو: وضع الشيء في موضعه، مع مراعاة الحال.

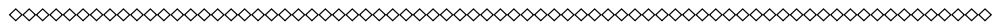
المطلب الأول: فلسفة الميراث في الإسلام، وأساسه وضوابطه

إن الحديث عن فلسفة الميراث في الإسلام وخاصة فيما يخص ميراث المرأة لا ينفصل عن بيان أو إغفال الواقع الذي نزل فيه التشريع، فضلاً عن واقع الديانات والأمم الأخرى في نفس

(١) رواه أبو داود، كتاب الفرائض، باب في المولود يستهل ثم يموت، ١٢٨/٣ برقم ٢٩٢٠، وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الفرائض، باب في الولاء، ١٢٧/٣ برقم ٢٩١٧، وقال الألباني: حسن.

(٣) انظر: المعجزة والإعجاز في القرآن، سعد الدين صالح، ص ٢١٩.



الموضوع، إذ المعلوم أنه لم يكن للمرأة قبل الإسلام حق في امتلاك المال فضلاً عن الميراث. أما المجتمع الجاهلي فكان المعروف لديهم أن الميراث لا يكون إلا للرجل القادر على المشاركة في القتال بالسيف فقط، كما لم يكن هناك إرث للصغار أو النساء، والأغرب في المجتمع الجاهلي أن المرأة نفسها كانت جزءاً من الميراث، ولوارثها الحق في الزواج منها، أو عَصْلُهَا عنده حتى تخلص نفسها بأن تدفع مبلغاً من المال للوارث، وفي أوروبا وغيرها ممن يتشددون بحقوق المرأة وحتى وقت قريب كان الابن الأكبر هو المالك الوحيد لتركة أبيه أو أكثر الوارثين نصيباً، وهو نظام معروف عندهم بنظام (أبوي البكورة).

ولقد تقرّد الإسلام في باب ميراث المرأة بعدة خصائص نجملها في النقاط الآتية:
أولاً: جاء الإسلام بالعدل والإنصاف فسَبَقَ كل الشرائع والقوانين قديماً وحديثاً، وأنصف المرأة، وكَفَّلَ لها حقوقها، فمن عدل الإسلام أن: أبطل كافة الممارسات الجائرة ضد المرأة في كل شؤون حياتها وخاصة ما يخص الميراث، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ..﴾ (النساء: ١٩)، قال ابن كثير: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك^(١).

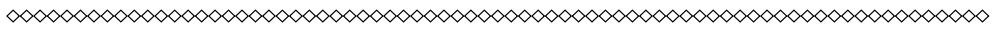
ثانياً: أن الإسلام جعل للمرأة نصيباً في التركة، وأثبت حقها بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧)، قال القرطبي: فيها بيان علة الميراث وهي القرابة، وعموم القرابة كيفما تصرفت من قريب أو بعيد، وإجمال النصيب المفروض، وذلك مبين في آية الموارث؛ فكان في هذه الآية توطئة للحكم، وإبطال لذلك الرأي الفاسد حتى وقع البيان الشافي^(٢).

ثالثاً: جعل الإسلام للمرأة ولاية على المال، وذمة مالية مستقلة، قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢)، قال الطنطاوي في تفسيره: أي لكل من فريق الرجل والنساء حظ مقدر مما اكتسبوه من أعمال، ونصيب معين فيما ورثوه أو أصابوه من أموال^(٣).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ٨٠، وانظر: البخاري رقم ٤٣٠٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ٧٩.

(٣) انظر: تفسير القرطبي، ص ٧٨.



رابعاً: أقرَّ الإسلام للمرأة حق إنشاء ومباشرة العقود كعقود البيع والشراء والرهن والشركة، ومباشرتها بنفسها دون وسيط قال ﷺ: «إِنَّ النِّسَاءَ شَقَاتُ الرِّجَالِ»^(١)، مما يؤكد يقيناً أن الإسلام قد سوى بين الرجل والمرأة في حق كسب المال، والعمل، والأجرة، والذمة المالية، وفصل الميراث وجعله نصيباً مفروضاً.

أما ميراث المرأة في الإسلام وهو يعني الثروة المكتسبة بغير جهد، فقد أكد التشريع الإسلامي في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وجعلها مفروضاً، وأبطل ادعاءات المدعين بأن الإسلام يُعطي الذكر ضعف الأنثى على العموم وفي كل الحالات فهو ادعاء باطل، ومنافٍ للواقع، وقول عارٍ عن حقيقة فهم فلسفة الميراث في الإسلام؛ وأن المتبصر بحقيقة وأحوال ميراث المرأة في الإسلام يجد أن حالات ميراث المرأة تزيد عن ثلاثين حالة، والحالات تختلف، فقد تراث المرأة أكثر من الرجل، أو تساوي الرجل، أو تراث ولا يرث الرجل، وهي تراث نصف ما يرثه الرجل في أربع حالات فقط.

أن فلسفة الميراث في الإسلام وتفاوت أنصبة الوارثين فهذا ليس له علاقة بالذكورة أو الأنوثة؛ ولكنه متعلق بقواعد عامة، ومقاصد شرعية محكمة تدور حول ثلاثة أسس:

الأول: درجة القرابة، فكلما كان الشخص أقرب للمتوفى كلما زاد نصيبه من الميراث.
والثاني: موقع الجيل الوارث، فكلما كان الجيل الوارث صغيراً مستقبلاً للحياة كلما زاد نصيبه أيضاً؛ لهذا كان نصيب ابن المتوفى أكبر من نصيب أب المتوفى ولو كان الابن رضيعاً؛ لأنه مستقبل للحياة وحاجته أشد.

والثالث: التكليف والعبء المالي؛ فإذا تساوت درجة القرابة، وموقع الجيل الوارث؛ كان التفاوت في الأنصبة المستحقة على قدر تفاوت الأعباء المالية الملقاة على الوارثين^(٢).

كما أن ادعاء التساوي في درجة القرابة والجيل الوارث، مع اختلاف نصيب الذكر عن الأنثى، فيقوم على القاعدة الفقهية التي تقرر: أَنَّ الْغُنْمَ بِالْغُرْمِ، أي على قدر المغنم تكون الأعباء والتكاليف من الشرع، وحقيقته هنا أنهما غير متساويين في التكاليف والأعباء المالية؛ فالنفقة واجبة على الرجل، أما المرأة فمألها ثروة مدخرة، ولا تلزمها النفقة على أحد، ولا نفقتها على نفسها في الغالب.

(١) رواه الترمذي، كتاب أبواب الطهارة، بابٌ فِيْمَنْ يَسْتَقِظُ فَيْرَى بِلَا وَلَا يَذْكُرُ أَحْتِلَامًا، ١٨٩/١ برقم ١١٢، وقال الألباني: صحيح.

(٢) انظر: فلسفة الإسلام في الميراث، محمد عمارة، ص ١٢.

وإيجازاً: فإن الإسلام في تشريع الميراث فيما يخص المرأة قد راعى الواقع، وأصلح ما كان من الأعراف الباطلة في حقها؛ وحوّل قضية ميراث المرأة إلى قواعد تحفظ الحقوق والعهود، وتورّث المرأة من خلال نظام تشريعيّ عادِلٍ ومُتكامِلٍ وتام لا يحتاج فيه أحد من البشر إلى التدخل فيه أو الاجتهاد لأنه من الله جلّ وعلا الخبير الحكيم.

المطلب الثاني: حالات ميراث المرأة وعدل الإسلام

قبل الحديث عن حالات ميراث المرأة في الإسلام يجب أن نؤكد على جملة من المسلمات التي يجب التنبيه لها فيما يتعلق بمفهومي المرأة والعدل في النظام التشريعي:

أولاً: يجب التنبيه إلى أن بعض نصوص الشريعة الإسلامية ثابتة لا تقبل الاجتهاد ولا التغيير، وبعضها يتسم بالمرونة فيقبل الاجتهاد والتغيير وفق ما تقتضيه مصالح الناس وحاجاتهم، وهو ما يعرف في شريعة الإسلام بالثابت والمتغير.

وأن مسائل وأحكام الميراث من نوع الثابت الذي لا يجوز فيه الاجتهاد، لما اشتمل عليه من نصوص ثابتة قطعية الدلالة، كما يقول جلّ وعلا: ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١١)، ثم ويقرر القرآن الكريم أن الميراث من حدود الله تعالى، فيقول جلّ وعلا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء: ١٣-١٤). ومن أراد الحق والسلامة فليستسلم لما أمر الله تعالى به أو نهى عنه، فهو سبحانه خلق العباد ويعلم ما فيه نفعهم وصلاحتهم في دينهم ودنياهم.

ثانياً: أن التشريعات التي تتعلق بالميراث تعالج قضية المال، وهي قضية حساسة في واقع الناس، لما للمال من أهمية وحرص من الجميع، وإن الورثة الذين يتقاسمون هذا المال الموروث عائلة وأقرب الناس لبعضهم، وهم نواة المجتمع الكبير، فكان حرص الشريعة في مجمل أحكامها على تعزيز ودعم الروابط الاجتماعية خاصة بين الأقارب، كما تحرص الشريعة على عدم وجود أسباب أو دوافع الخصومة أو العداوة وذلك عن طريق العدل في تقسيم المال الموروث.

ثالثاً: أن معيار الإرث هو ميراث المرأة وليس ميراث الرجل، كما قال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء: ١١)، وأهل اللغة والفهم يدركون الفرق بين نص الآية والخلط المقصود من مدعي المساواة في قولهم: (للأنثى نصف حظ الذكر)، وحقيقة الاختلاف بين التعبيرين في أن التعبير الرباني يشمل تفضيلاً للمرأة يجعلها معياراً للحكم والقياس.



وأن مضمون الشبهة التي يستدلون بها إنما هي في ميراث البنت فقط، وبالطبع المرأة في الإسلام ليست هي البنت فقط، ولكن المرأة هي الجدة والأم والأخت والزوجة والابنة، فلا بد من وضع عموم المرأة في الاعتبار حين النظر لقضية إرث المرأة في الإسلام، والموازنة بين الرجل والمرأة، لأن الرجل كذلك هو الجد والأب والأخ والزوج والابن، وبهذا الاعتبار نجد أن شبهة تفضيل الرجل على المرأة في الميراث زعمٌ عارٍ عن الصحة، ناتج عن سوء فهم وسوء قصد.

رابعاً: أن العدل خلاف المساواة وقد سبق الإشارة إلى ذلك، لأن الخلط يقع عند كثير من الناس، فيخلطون بين العدل والمساواة، وهو فهمٌ خاطئٌ لمفهوم العدل، لأن العدل هو المساواة بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، والإسلام دين العدل، ولا يصح القول بأنه دين المساواة، لأن المساواة بين المختلفات والتفريق بين المتماثلات ظلمٌ وليس بعدل، والمساواة هي التسوية بين الأشياء المتماثلة وليس بين الأشياء المختلفة، وهذا جورٌ وليس بعدل، فالعدل أن نسوي بين المتماثلات وأن نفرق بين المختلفات^(١).

وذلك لأن العدل يعني الموازنة بين جميع الأطراف مع استيفاء كل ذي حق حقه، أما المساواة فتعني التسوية بين أمرين، والعدل أشمل من المساواة، يقول الماوردي رحمه الله: «أَمَّا الْقَاعِدَةُ الثَّلَاثَةُ: فَهِيَ عَدْلٌ شَامِلٌ يَدْعُو إِلَى الْأُلْفَةِ، وَيَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَتَعَمَّرُ بِهِ الْبِلَادُ، وَتَتَمَوُّ بِهِ الْأَمْوَالُ، وَيَكْتَثُرُ مَعَهُ النَّسْلُ، وَيَأْمَنُ بِهِ السُّلْطَانُ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فِي خَرَابِ الْأَرْضِ وَلَا أَفْسَدَ لَضَمَائِرِ الْخَلْقِ مِنَ الْجَوْرِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَقْفُ عَلَى حَدٍّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى غَايَةٍ، وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ قِسْطٌ مِنَ الْفَسَادِ حَتَّى يَسْتَكْمَلَ.

إِنَّ الْعَدْلَ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي وَضَعَهُ لِلْخَلْقِ، وَنَصَبَهُ لِلْحَقِّ. فَإِذَا كَانَ الْعَدْلُ مِنْ إِحْدَى قَوَاعِدِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا انْتِظَامَ لَهَا إِلَّا بِهِ، وَلَا صَلَاحَ فِيهَا إِلَّا مَعَهُ، وَجَبَ أَنْ نَبْدَأَ بِعَدْلِ الْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ بِعَدْلِهِ فِي غَيْرِهِ^(٢).

كما أن الادعاء بظلم المرأة في قضايا الميراث كلام عارٍ عن الحقيقة، ومنافٍ للواقع؛ لأننا إذا تتبعنا أحوال ميراث المرأة مع الرجل، وجدنا أن المرأة في بعض الحالات ترث نصيباً أكبر من نصيب الرجل، أو ترث مثل الرجل، أو ترث نصف نصيب الرجل، أو ترث ولا يرث الرجل؛ على حسب اختلاف حالات الإرث وتنوعها؛ ويمكننا أن نرى هذا بوضوح إذا تتبعنا حالات ميراث المرأة مع الرجل في نظام الميراث الإسلامي.

(١) انظر: معجم المصطلحات الشرعية، رجب إبراهيم، ١٦/٢

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص ١٣٩



وسبق الإشارة بإيجاز إلى أن الميراث في الإسلام لا يبنى على جنس الوارث ذكراً كان أو أنثى، وإنما يبنى على قواعد ومبادئ، وأسس تراعي قيماً عليا، ومصالح الناس، وحالهم، فنجد أن هذه الأسس أربع هي: درجة القرابة، وقوتها، موقع الجيل الوارث، التكاليف والأعباء المالية.

ولقد وردت آيات الموارث في القرآن الكريم المتعلقة بـ (الميراث) خمس آيات سواء على وجه الإجمال أم على وجه التفصيل^(١)، كما أن المتأمل في باب الفرائض من الفقه الإسلامي يجد أنه حدّد أربعاً وثلاثين حالة من أحوال الميراث ترث فيها المرأة بنسب مختلفة.

ونظراً لمحدودية المساحة المقررة للبحث، فسوف نستعرض حالات ميراث المرأة بإيجاز، مع مثال لكل منها، على وذلك على النحو الآتي:

أولاً: عشر حالات حجب ترث فيها المرأة ولا يرث فيها الرجل، وله قسمان:

الأول: تحجب فيه المرأة الرجل، ومثاله: إذا ترك الميت: بنتاً، وأخاً لأم. فإن البنت تحجب الأخ لأم، ولا يرث شيئاً بسببها، وكذلك إن ترك بنتاً، وأختاً شقيقة، وأخاً لأب، فلبنت نصف التركة فرضاً، وللأخت الشقيقة باقي التركة تعصيباً مع البنت؛ لما ورد أن النبي ﷺ قضى بأن تجعل الأخوات مع البنات عصبية، ولا شيء للأخ لأب؛ لأنه حجب بسبب إرث الأخت الشقيقة بالتعصب مع الغير.

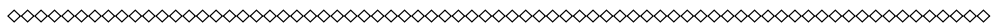
الثاني: ترث فيه المرأة، ولو وجد مكانها رجلاً لا يأخذ شيئاً، وله صور، منها: إن ماتت امرأة وتركت زوجاً، وأمّاً، وأباً، بنتاً، وابن ابن. فلزوج ربع التركة، ولأم سدس التركة، وللأب سدس التركة (ولا يرث بالتعصيب في هذه الحال، لأن ابن الابن هو العاصب وهو أولى لأنه أسبق جهة)، وللبنت نصف التركة، وابن الابن لا يأخذ شيئاً؛ لأنه يرث بالتعصيب ما يتبقى بعد أصحاب الفروض.

ثانياً: عشر حالات أخرى ترث فيها المرأة نصيباً أكبر من نصيب الرجل، ولها قسمان، هما:

الأول: ترث فيه المرأة أكبر من نصيب الرجل، وصوره كثيرة، منها على سبيل المثال: إذا مات رجل وترك: بنتاً، أباً، أمّاً، فلبنت نصف التركة فرضاً؛ ولأم سدس التركة فرضاً؛ وللأب سدس التركة فرضاً والباقي تعصيباً؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ﴾ (النساء: ١١)، ولقوله ﷺ: «الْحَقُّوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ»^(٢). وبهذا يكون نصيب البنت أكبر من نصيب الأب.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، ص ٩١٦-٩١٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث الجد مع الأب والإخوة، ١٥٢/٨ برقم ٦٧٢٧.



ومثاله: إن ترك: بنت ابن، وجدًا، وجدة، أو ترك: بنتي ابن، وزوجًا، وأبًا، وإذا تركت الميتة: زوجًا، وبنثًا، فللزوجة ربع التركة فرضًا؛ وللبنث نصف التركة فرضًا، وباقي التركة ردًا على البنث.

الثاني: تأخذ فيه المرأة أكثر من نصيب الرجل إذا وجدت مكانه، وله صور، منها على سبيل المثال: إذا تركت الميتة: ابنتين، وزوجًا، وأمًا، وأبًا، فللزوجة ربع التركة فرضًا، وللأم سدس التركة فرضًا، وللأب سدس التركة فرضًا، وللبنين الباقي بعد أصحاب الفروض، وإذا وضعنا مكان الابنين بنتين، لكان نصيب البنيتين ثلثا التركة، وهو بلا شك أكبر بكثير من نصيب الابنين.

كما نجد في بعض حالات الميراث نجد أن المرأة ترث أضعاف الرجل حسب قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (النساء: ١١).

ثالثًا: عشر حالات ترث فيها المرأة مثل نصيب الرجل، ولها صور كثيرة، منها على سبيل المثال: إذا ترك الميت: بنتًا، وأبًا، فللبنت نصف التركة فرضًا؛ وللأب سدس التركة فرضًا، وباقي التركة تعصبيًا (أي للأب نصف التركة مثل البنث)؛ لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الْحَقُّوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرُ»^(١).

ومثال آخر: إذا ترك الميت: بنت ابن، وجدًا، فللبنت الابن نصف التركة فرضًا؛ لأنها تحل محل البنث عند عدم وجود أولاد للميت. وللجد سدس التركة فرضًا والباقي تعصبيًا.

ومثاله: ميراث الأب والأم، لكل واحد منها السدس لقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (النساء: ١١).

أربع حالات فقط وهي التي يكون فيها للذكر مثل حظ الأنثيين^(٢)، أي ترث فيها المرأة نصف نصيب الرجل، ولهذه الحالة قسمان، هما:

القسم الأول: ترث فيه المرأة تعصبيًا بالرجل، وتأخذ نصفه، وله أربع صور فقط، ومثالها: إذا ترك الميت: ابناً، وبنثًا، فللبنت هنا نصف نصيب الابن.

ومثال آخر: إذا ترك الميت: ابن ابن، وبنت ابن، فللبنت الابن نصف نصيب ابن الابن، ومثلها الأخ الشقيق والأخت الشقيقة، ومثلها الأخ لأب والأخت لأب.

القسم الثاني: تأخذ فيه المرأة نصف الرجل لو وجدت مكانه، ولهذا القسم صورتان، هما: حال إذا ماتت الزوجة وتركت زوجًا، ولم يكن لها فرع وارث، فللزوجة نصف التركة، بينما إذا مات

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: صور الميراث في الإسلام، المركز الإلكتروني، الأزهر، <https://www.azhar.org/fatwacenter> باختصار

الزوج وترك زوجةً، ولم يكن له فرع وارث، فللزوجة ربع التركة.

والصورة الثانية: إذا ماتت الزوجة وتركت زوجاً، ولها فرع وارث، فللزوجة ربع التركة، بينما إذا مات الزوج وترك زوجةً، وله فرع وارث، فللزوجة ثمن التركة.

وخلاصة: هذه هي حالات ميراث المرأة بإيجاز مع التمثيل لكل حالة منها، وأن المتبوع لكافة صور حالات ميراث المرأة، يلحظ وجوهاً من الإعجاز التشريعي في التقسيم والحقوق ومراعاة المصالح المالية والاجتماعية للورثة، ومراعاة عمر الجيل الوارث ودرجة قرابته، وغيرها من وجوه الإعجاز، كما سنتج وجوهاً متعددة من الإعجاز، منها:

أن الحالات التي ترث فيها المرأة نصف نصيب الرجل أقل بكثير من الحالات التي ترث فيها مثله أو أكثر منه، بل وقد ترث المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال، وهو قضاء وفريضة من الله تعالى، مستند أصلاً وفصلاً وقطعاً إلى المصلحة المبنية على العلم والحكمة، وصادرة من العليم سبحانه.

الناظر في أحكام الميراث في القرآن الكريم يجد إعجازاً فقد فصل في أحكام الميراث تفصيلاً يعز وجوده في أحكام أخرى من الشريعة السمحة، فالصلاة والصيام والحج لم تفصل أحكامها، بل جاءت مجملة وترك البيان والتفصيل فيها للنبي ﷺ، مما يؤكد على جلالة شأن هذا العلم وشديد خطره إذ إنه متعلق بحقوق العباد من خلق الله.

موافقة أحكام الميراث ومسائرتهما للفطرة البشرية، وتحقيق صلاح الإنسان ودفع الفساد عنه في دنياه وأخراه، ورفع العنت والهرج عنه، وكلها مقاصد وغايات شرعية.

أن الشريعة في باب الميراث لاحظت كافة الاعتبارات فلم تترك تداعيات سلبية، بل كافة آثارها إيجابية، ومحققة للخير، وهذا يستحيل إن كان من عند غير الله تعالى، مما يؤكد أن من وضع هذا النظام المحكم إلهٌ حكيم خبير جل شأنه.

أن تقسيم الميراث في الإسلام إعجاز تشريعي واجتماعي، منع تكديس المال في أيدي قليلة، من خلال نظام التوريث للمال وبأنصبة محددة، مما يمنع ظهور مفاسد نظام الطبقات، وتجمع الثروة.

من الإعجاز التشريعي في نظام الموارث الموازنة بين قوة القرابة والحاجة للمال، في الجنس والعمر والحاجة للمال، فحفظ حق المرأة على أساس من العدل والإنصاف والموازنة، فنظر إلى واجبات المرأة والتزامات الرجل، وقارن بينهما، ثم بين نصيب كل واحد.

مما سبق نستنتج أن المرأة غمرت برحمة الإسلام وفضله فوق ما كانت تتصور، ومع ذلك كله نجد سهاً طائشة تحاول عبثاً النيل من أحكام الميراث الربانية، ولكنها مردودة حتماً إلى

نحور أصحابها فقد قرر العلماء في كل بقاع العالم أن أعدل نظام للميراث على وجه الأرض هو نظام القرآن الكريم^(١).

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد.

لا شك أن قضية الإعجاز التشريعي واحدة من أهم القضايا في الفكر المعاصر، نظراً لارتباطها الوثيق بالمستجدات المعاصرة والتقدم الحضاري، وهي قضية متجددة، لتدارك معاني التشريع وحكمته وفلسفته في كل جيل عبر الزمان والمكان، كما أن مجالات الإعجاز التشريعي كثيرة متنوعة لتتنوع واختلاف العلوم والفنون، ولكل قانون خصائصه وسماته وطبيعته التي يتفرد بها عن غيره من القوانين، وذلك من خلال شخصية واضعيه والعوامل النفسية والاجتماعية التي تؤثر في سلوكهم، وطبيعة المجتمع الذي يُنظم القانون العلاقة بين أفرادهِ ويُوَضِّع لحفظ أمنه ورعاية مصالحه.

وفي القوانين والأنظمة الوضعية مهما انتظم القانون وكان محكمًا فتكون حلوله وعلاجاته في واقعه بأثر محدود أو فترة معينة ما يلبث أن يطرأ عليه من التعديل ليناسب الزمان والمجتمع، لأن فلسفته في الأصل منوطةٌ بعقول البشر في ذلك الزمان.

أما في التشريع الإسلامي فإن الإعجاز فيه أنه دائم ومستمر صالح لكل زمان ومكان، ولكل مجتمع شرقي أو غربي، مؤمن أو غير مؤمن، لأنه من صنع الخالق جل وعلا، العليم بما فيه صلاحهم، وهو جل وعلا الأعلم بما تؤول إليه عاقبة أمرهم، وهذا ما يجعل هذا التشريع معجزاً وضرباً فريداً من التشريعات والقوانين التي لم تعرفها البشرية، ولأنها لا مجال أن تتحكم في بنودها ولا سنّها الآراء، ولا تتعارض فيها المصالح والأهواء.

وبعد، ومن خلال هذا العرض الموجز، يمكن استخلاص أبرز النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

اكتفاء الشريعة الإسلامية وكمالها في المسائل والدلائل، على نبوة نبينا محمد ﷺ، وميراث المرأة في الإسلام أحد هذه الدلائل في العدل والإنصاف والتكريم.

أن المقصود من بيان دلائل نبوة النبي ﷺ في باب الميراث لتمام التصديق بمضمون ما أخبر به عن رب العزة جل وعلا.

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد، ص ٥٠٢ بتصرف.

أنَّ الإعجاز التشريعي في نظام الموارِيث في الإسلام أحد أوجه دلائل النبوة، وبرهن ثباته واستمراره وصلاحيته على مرَّ الأزمنة والعصور.

أنَّ الإعجاز التشريعي في نظام الموارِيث وخاصة في ميراث المرأة لا يقف على تحديد نصيبها ومقداره وكونها أكثر أو أقل، بل إن الإعجاز جاء على غير مثال سابق من أنظمة الموارِيث المختلفة، كما جاء موافقاً للفطر السليمة.

أنَّ الإعجاز التشريعي في نظام الموارِيث جمع بين الكمال والتمام ولم تحتج على مرَّ العصور إلى تعديل أو زيادة أو نقصان.

أنَّ نظام الموارِيث جمع بين العقل والنقل، وجمع بين القرآن والسنة النبوية، فالأدلة العقلية برهنت على إمكان النبوءة، وصدق النبي ﷺ، كما برهنت على أن العقل وحده لا يكفي لإصلاح جميع شؤون الحياة، بل لا بد للناس من كتاب مُنزل يحكم حياتهم

أنَّ الاعتراض على نظام الموارِيث من جانب المشككين والمكذبين بنبوءة النبي ﷺ لم يمتلكوا حُجة ولا برهاناً، وإنما هي ادعاءات مُجردة من الأدلة والبراهين القطعية لتشكيك الناس في الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.

بيان أن الشبهات التي أثارها البعض حول قضية ميراث المرأة قديماً، يعاد إثارها بين الحين والآخر حديثاً، مع اختلاف المنطلقات الفكرية لكل زمن وعصر.

ومن أبرز التوصيات:

النظر في وجوه الإعجاز التشريعي في كافة الموضوعات وعدم الاكتفاء بباب المصطلحات الشرعية فالآية والبرهان والحُجة والسلطان والصدق واردة في القرآن، بخلاف المعجزة، والإعجاز والعصمة.

العمل على ضبط المصطلحات المتعلقة بالإعجاز والمعجزة وفق منهجية شرعية لتأصيل كثير من مسائلها، فهو بابٌ مهمٌ جداً، تغير على إثره كثيرٌ من المفاهيم الشرعية، وتُركت لأجله مُصطلحات شرعية واردة في الكتاب والسنة الصحيحة، وتسببت في حدوث خلط كثير من المسائل والدلائل.

العمل على إيجاد منهجية علمية لربط العلاقات الارتباطية بين مسألة النبوءة وأدلتها مع مسائل الدين الأخرى، والقراءة الشاملة التكاملية لمواجهة تحديات التشكيك المتزايدة في دلائل النبوة.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع والمصادر

١. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة، ١٩٨٦م.
٢. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ) وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٣. الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (ترقيم الكتاب موافق للمطبوع) عام النشر: ج ١، ٢، ٣: ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م ج ٤، ٥: ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م ج ٦: ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
٦. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
٧. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
٨. الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.
٩. زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد، دار الفكر العربي، طبعة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
١٠. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي (ت ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى ٢٠٠٠م.

١١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغدادي، ثمّ الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) تحقيق: محمود بن شبان بن عبد المقصود. وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
١٢. فلسفة الإسلام في الميراث، محمد عمارة، مكتبة نور لتحميل الكتب الإلكترونية، ١٩٩٨م.
١٣. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
١٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
١٥. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٦. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية د. عبد الكريم زيدان مطبعة العالي بغداد ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.
١٧. المركز الإلكتروني، الأزهر، صور الميراث في الإسلام، <https://www.azhar.eg/>، .fatwacenter
١٨. المعجزة والإعجاز في القرآن، سعد الدين صالح، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
١٩. معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، د. رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٢م.
٢٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، محمد فؤاد، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٤م.
٢١. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قتيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م



٢٢. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ..

٢٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٤. منحة العلام في شرح بلوغ المرام، عبد الله الفوزان، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٢٥. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٦. الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

الدكتورة إيمان «محمد أمين» حسن بني عامر
جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم أصول الدين

الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ

ملخص

الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ

إنَّ للإعجاز التشريعي أهمية كبيرة عند المفسرين، وذلك لفهم معاني القرآن، فكل مفسر منهجه الخاص من الآية القرآنية، مما أدى إلى الاختلاف في استنباط الأحكام الفقهية، والفوائد التربوية والعلمية والأخلاقية وغير ذلك من الآثار المترتبة على الآية القرآنية.

وجاء هذا البحث لبيان أهمية الإعجاز التشريعي في بيان الآيات الواردة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وما يترتب عليه من توضيح لهذه الآيات وبيان ما فيها من معانٍ رفيعة تقوي علاقتنا بكلمات الله عز وجل وتصل بنا إلى الإيمان القوي بالله وعبادته وحده ورفض عبادة ما دونه من الأشياء لأنه وحده المستحق للعبادة.

واشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة فقد اشتملت على إشكالية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع، وأهمية الدراسة، والدراسات السابقة في الموضوع، وخطة البحث.

المبحث الأول قد اشتمل على تعريفات الدراسة:

أولاً: التعريف بالإعجاز التشريعي.

ثانياً: صيغ خطاب النبي ﷺ في القرآن الكريم والآيات الواردة على ذلك.

المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم.

أما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث.

وبعد هذا العرض أرجو من الله أن أكون قد وفقت في عرض هذا البحث وإعطائه شيئاً من حقه

والحمد لله رب العالمين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥).

والقائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤).
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.
أما بعد:

إن علم الإعجاز من العلوم الأساسية في الدراسات القرآنية، ولقد اهتم به العلماء قديماً وحديثاً اهتماماً كبيراً وذلك؛ لارتباطه بفهم كتاب الله.

وظهر هذا العلم في كثير من التفاسير، لبيان معاني الآيات القرآنية، وتسهيل فهمها على الناس ومن الآيات التي استخدم في تفسيرها علم الإعجاز الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ. وإن مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع هو أهمية التعريف بالإعجاز التشريعي ومدى ارتباطه في بيان الآيات القرآنية ومعرفة معانيها، لذا رأيت أن أوجه بعض جهدي ووقتي لبيان الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ، ذلك لما لها من أثر في تقوية الإيمان، والتوصل إلى عبادة الرحمن.

إشكالية الدراسة :

تكمُن الإشكالية الأساسية للبحث في الإجابة عن السؤال الآتي:

ما الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ؟

والإجابة عن هذه الإشكالية تتم من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

ما الإعجاز التشريعي؟

ما الآيات الواردة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم؟

ما أبرز الجوانب التشريعية في الآيات الواردة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم؟

أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب دفعني لاختيار هذا الموضوع:

أهمية علم التفسير، إذ هو من أهم العلوم التي تعين على فهم القرآن الكريم والعمل به.

بيان أهمية الإعجاز التشريعي في بيان معنى الآيات القرآنية.

بيان اهتمام المفسرين بعلم الإعجاز في تفاسيرهم.
التعريف بالإعجاز التشريعي.

أهمية الدراسة :

إن للإعجاز التشريعي أهمية كبيرة عند المفسرين، وذلك لفهم معاني القرآن، فكل مفسر منهجه الخاص في فهم الآية القرآنية، مما أدى إلى الاختلاف في استنباط الأحكام الفقهية، والفوائد التربوية والعلمية والأخلاقية وغير ذلك من الآثار المترتبة على معنى الآيات القرآنية.

الدراسات السابقة في الموضوع :

هناك عدة دراسات جاءت؛ لبيان علم الإعجاز وبيان أنواعه، ودراسات أخرى اهتمت بدراسة الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ، ولم أجد شيئاً من الدراسات التي اختصت ببيان الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءت هذه الدراسة لبيان ذلك.

خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فقد اشتملت على إشكالية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع، وأهمية الدراسة، والدراسات السابقة في الموضوع، وخطة البحث.

أما المبحث الأول ، فقد اشتمل على تعريفات الدراسة وهي:

أولاً: التعريف بالإعجاز التشريعي.

ثانياً: صيغ خطاب النبي ﷺ في القرآن الكريم والآيات الواردة في ذلك.

المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ.

أما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث.

والفهارس اشتملت على فهرس المراجع.

ولقد تحررت في موضوعي هذا الدقة والصواب ما أمكنني وبذلت فيه كل جهدي وغاية طاقتي حتى وصلت به إلى هذا المستوى.

وأخيراً أرجو من الله أن أكون قد وفقت في عرض هذا البحث وبيان مصطلحاته، وما توفيقى إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول: تعريفات الدراسة

أولاً: التعريف بالإعجاز التشريعي

الإعجاز لغة: من العجز الذي يعني التأخر والضعف والقصور^(١)، يقول ابن فارس: «العين والجيم والزاي أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف والآخر على مؤخر الشيء»^(٢).

الإعجاز التشريعي في القرآن: هو إثبات عجز البشر جميعاً عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من تشريعات وأحكام تتعلق بالفرد والأسرة والمجتمع في كافة المجالات^(٣).

ثانياً: صيغ خطاب النبي ﷺ في القرآن الكريم

ورد خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بصيغ مختلفة منها:

أولاً: يا أيها النبي وجاءت بثلاثة عشر موضعاً، ثلاثة مواضع بسورة الأنفال، وموضع بسورة التوبة، وخمسة مواضع بسورة الأحزاب، وموضع بسورة الممتحنة، وموضع بسورة الطلاق، وموضعين بسورة التحريم.

ثانياً: يا أيها الرسول وجاءت بموضعين بسورة المائدة.

ثالثاً: يا أيها المزمل وجاءت بموضع واحد في سورة المزمل.

رابعاً: يا أيها المدثر وجاءت بموضع واحد في سورة المدثر.

المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الإطلاع على الآيات الواردة في خطاب النبي ﷺ، فيمكنني حصر مواضع الإعجاز التشريعي كما يلي:

أولاً: آيات وردت بأحكام القتال والأسرى وهي الآيات الواردة في سورة الأنفال الآية (٦٤) - (٧١)، وسورة التوبة آية (٧٣)، وسورة التحريم آية (٩).

ثانياً: آيات وردت في أحكام اتباع الوحي والدعوة إلى الله، وهي الآيات الواردة في سورة الأحزاب آية (٣-١)، والأحزاب آية (٤٥-٤٨)، وسورة المائدة آية (٦٧)، وسورة المدثر آية (٧-١).

(١) ينظر الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان داودي، دار العلم الدار الشامية، دمشق- بيروت، ١٤١٢هـ، ص ٥٤٧-٥٤٨.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة عجز.

(٣) أبو السعود، عبد الله، ومحمد أحمد محمود، الأعجاز في القرآن الكريم الصوتي والبياني والتشريعي، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١١٨.

ثالثاً: آيات وردت في أحكام النساء وهي الآيات الواردة في سورة الأحزاب الآية (٢٨- ٢٤) والآية (٥٠- ٥٢) والآية (٥٩).

وفي سورة الممتحنة آية (١٢).

وفي سورة الطلاق آية (١-٣).

رابعاً: آيات وردت في أحكام التحليل والتحريم

وهي الآيات الواردة في سورة التحريم آية (١-٢).

خامساً: آيات وردت في أحكام قيام الليل وهي الآيات الواردة في سورة المزمل آية (١-١١).

ولبيان الإعجاز التشريعي في هذه المواضع نأتي لدراستها حسب التقسيم السابق كما يلي:

أولاً: آيات وردت بأحكام القتال والأسرى وهي الآيات الواردة في سورة الأنفال الآية (٦٤ -

٧١)، وسورة التوبة آية (٧٣)، وسورة التحريم آية (٩).

الموضع الأول: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَكُنْ حَقَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشِخَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبٌ لَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأُسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ (الأنفال: ٦٤ - ٧١).

الموضع الثاني: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ (التوبة: ٧٣).

الموضع الثالث: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ (التحريم: ٩).

في هذه الآيات نجد بعض الأحكام التشريعية الخاصة بالقتال ومنها:

أولاً: أحكام عامة في القتال

أولاً: قوله: **إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ** يدل على أنه تعالى ما أوجب هذا الحكم إلا بشرط كونه صابراً قادراً على ذلك، وإنما يحصل هذا الشرط عند حصول أشياء منها: أن يكون شديد الأعضاء قوياً جلدأً، ومنها: أن يكون قوي القلب شجاعاً غير جبان، ومنها: أن يكون غير متحرف إلا لقتال أو متحيزاً إلى فئة، فإن الله استثنى هاتين الحالتين في الآيات المتقدمة فعند حصول هذه الشرائط كان يجب على الواحد أن يثبت للعشرة، واعلم أن هذا التكليف إنما حسن لأنه مسبوق بقوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلما وعد المؤمنين بالكفاية والنصر كان هذا التكليف سهلاً لأن من تكفل الله بنصره فإن أهل العالم لا يقدرّون على إيذائه^(١).

ثانياً: الذي استقر حكم التكليف عليه بمقتضى هذه الآية أن كل مسلم بالغ مكلف وقف بإزاء مشركين، عبداً كان أو حراً فالهزيمة عليه محرمة ما دام معه سلاح يقاتل به، فإن لم يبق معه سلاح فله أن يهنّزم، وإن قاتله ثلاثة حلت له الهزيمة والصبر أحسن^(٢).

ثالثاً: أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ^(٣).

ثانياً: أحكام خاصة بالأسرى

من المعلوم أن الأسر مشروع لقوله تعالى: ﴿وَحَذُّهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ﴾ (التوبة: ٥)، وقوله سبحانه: ﴿فَشُدُّوا الرِّبَاطَ﴾ (محمد: ٤) وهو كناية عن الأسر، والأسر في حرب المسلمين قليل؛ لأن المسلم لا يأسر عدوه عادة إلا في نهاية المعركة، أما في أثناءها فتأدر، والأسير عالة على الأسر.

والثابت من فعل الرسول ﷺ أنه كان يمن على بعض الأسارى ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، أو بالأسرى، وذلك على حسب ما تقتضيه المصلحة العامة ويراه ملائماً لحال المسلمين^(٤).

واتفق الفقهاء على أن لولي الأمر أن يفعل بالنسبة للأسرى ما يراه الأوفق لمصلحة المسلمين^(٥).

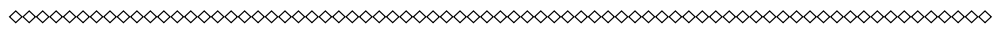
(١) الرازي، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج١٥، ص٥٠٤.

(٢) المرجع السابق، ج١٥، ص٥٠٧.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لإحكام القرآن، د. ط. د. ت، ج٨، ص٢٠٤، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب، مجلد ٨، ج١٦، ص١٢٨.

(٤) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٥، ١٩٨٥، ج٦، ص٤٦٩.

(٥) انظر: المرجع السابق، ج٦، ص٤٧١.



وهو مخير في الأسرى بين أمور إما القتل، وإما الاسترقاق، وإما تركهم أحراراً ذمة للمسلمين، والمن والفداء بمال أو بأسرى، وضرب الجزية عليهم^(١).

ثالثاً: أحكام خاصة بالغنائم

الغنيمة: الغنيمة في اللغة: الفوز بالشيء بلا مشقة^(٢)، واصطلاحاً: هي ما أخذ من أموال أهل الحرب عنوة بطريق القهر والغلبة^(٣).

وللغنائم أحكام:

الحكم الأول: ثبوت الحق والملك فيها:

إن حق الغانمين في تملك الغنائم عند الحنفية يتدرج في مراتب ثلاث، يثبت في أولها أصل الحق العام، ويتأكد في ثانيها هذا الحق، ويتخصص في ثالثها حق كل مجاهد به. ففي المرتبة الأولى يتعلق أصل الحق العام في تملك الغنيمة للغانمين بمجرد الأخذ والاستيلاء، ولكن لا تثبت الملكية قبل الإحراز بدار الإسلام عند الحنفية. وعند بقية الأئمة والشيعة الزيدية والإمامية: تنتقل ملكية أموال العدو إلى الغانمين بمجرد الاستيلاء، فيثبت لهم الملك في الغنيمة قبل الإحراز بدار الإسلام. إلا أن الراجح عند الشافعية أن تملك أموال الأعداء لا يثبت إلا بالاستيلاء مع القسمة أو اختيار التملك^(٤).

وفي المرتبة الثانية أي بعد الإحراز بدار الإسلام قبل القسمة: يتأكد الحق العام في الغنيمة ويستقر على ملك الغانمين، ولكن لا يثبت الملك أيضاً عند الحنفية^(٥). وفي المرتبة الثالثة أي بعد الإحراز والقسمة يثبت الملك الخاص لكل واحد من المجاهدين فيما هو نصيبه؛ لأن القسمة إفراد الأنصاء وتعيينها^(٦).

الحكم الثاني: كيفية ومكان قسمة الغنائم:

إن كيفية توزيع الغنائم موضحة في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ

(١) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٦، ص٤٧٣.

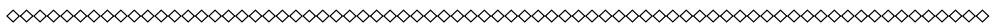
(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، ت: مجمع اللغة العربية، ج٢، ص٦٦٤.

(٣) انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٠٥، ص٢٠٩.

(٤) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٦، ص٤٥٦.

(٥) المرجع السابق، ج٦، ص٤٥٨.

(٦) المرجع السابق، ج٦، ص٤٥٨.



لِلَّهِ خُمُسُهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ
ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ (الأنفال: ٤١)، فتقسم الغنيمة خمسة أسهم: الخمس لمن ذكرتهم الآية والأربعة
الأخماس للغانمين، وهذا ما بينه ابن عباس: قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية، فغنموا،
خمس الغنيمة، فضرب ذلك الخمس في خمسة، ثم قرأ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾
الآية، فجعل سهم الله وسهم الرسول واحداً، ولذي القربى، فجعل هذين السهمين قوة في الخيل
والسلاح، وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطيه غيرهم، وجعل الأسهم الأربعة
الباقية: للفرس سهمين، ولراكبه سهماً، وللراجل سهماً^(١).

بعد النظر في الآيات السابقة الخاصة بأحكام القتال وما فيها من أحكام تشريعية بالإضافة
إلى بقية الآيات التي تحدثت عن القتال وأحكامه والأحاديث النبوية الصحيحة وما فيها من أحكام
تشريعية خاصة بالقتال وبالمقارنة مع الأحكام البشرية نجد بأن التشريع القرآني جاء بمنتهى
الحكمة والإتقان وبما يتناسب مع المجتمعات الإنسانية، فجاء بالضوابط التي تنصف الأطراف
المتقابلة جميعاً سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

فوضع أحكاماً عامة تحكم الأطراف المتقابلة بحيث لا يقبل الظلم بأي حال من الأحوال،
ووضع أحكاماً خاصة بالأسرى كما بينها سابقاً.

ووضع أحكاماً خاصة بالغنائم وطرائق اقتسامها بما يتناسب مع المجتمع بحيث لا يجور على
طرف مقابل طرف آخر.

هذا هو الجانب التشريعي الخاص بالقتال الوارد في القرآن الكريم ولا نجد أي تشريع بشري
يصل إلى هذه الدرجة من الحكمة والتنظيم والإنصاف إنه التشريع القرآني المعجز.

ثانياً: آيات وردت في أحكام اتباع الوحي والدعوة إلى الله وتحكيم النبي ﷺ، وهي الآيات
الواردة في سورة المائدة آية (٤١) وآية (٦٧)، وسورة الأحزاب آية (١-٣)، والأحزاب آية (٤٥-
٤٨)، وسورة المدثر آية (١-٧).

الموضع الأول: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمِ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن

(١) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٦، ص ٤٥٩-٤٦٠.

تَمَلِّكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَ قُلُوبَهُمْ لَّهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴿المائدة: ٤١﴾.

من أبرز الأحكام التشريعية في هذه الآية

لَمَّا حَكَّمُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْفَذَ عَلَيْهِمُ الْحُكْمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الرُّجُوعُ، وَكُلُّ مَنْ حَكَّم رَجُلًا فِي الدِّينِ فَأَصَلُهُ هَذِهِ الآيَةُ، ... وَالضَّابِطُ أَنْ كُلُّ حَقٍّ اخْتَصَّ بِهِ الْخَصْمَانِ جَازَ التَّحْكِيمَ فِيهِ وَنَفَذَ تَحْكِيمَ الْمُحَكَّمِ بِهِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: التَّحْكِيمُ جَائِزٌ، وَهُوَ غَيْرُ لَازِمٍ؛ وَإِنَّمَا هُوَ فَوْتَوَى (١).

الموضع الثاني: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿المائدة: ٦٧﴾.

في هذه الآية قال ابن عباس: المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتبت شيئاً منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتبوا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتب شيئاً من وحيه (٢).

الموضع الثالث: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴿الأحزاب: ١-٣﴾.

الموضع الرابع: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴿الأحزاب: ٤٥ - ٤٨﴾.

في الآيات السابقة من سورة الأحزاب نجد بأن افتتاح السورة بخطاب النبي ﷺ وندائه بوصفه مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وقد نودي فيها خمس مرات في افتتاح أغراض مختلفة من التشريع بعضها خاص به وبعضها يتعلق بغيره وله ملابسة له.

فالنداء الأول: لافتتاح غرض تحديد واجبات رسالته نحو ربه.

والنداء الثاني: لافتتاح غرض التنويه بمقام أزوجه واقترابه من مقامه.

(١) ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت: ٥٤٢هـ)، أحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٢) القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ج ٦، ص ٢٤٢.

والنداء الثالث: لافتتاح بيان تحديد تقلبات شؤون رسالته في معاملة الأمة.

والنداء الرابع: في طالعة غرض أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه.

والنداء الخامس: في غرض تبليغه آداب النساء من أهل بيته ومن المؤمنات.

فهذا النداء الأول افتتح به الغرض الأصلي لبقية الأغراض وهو تحديد واجبات رسالته في تأدية مراد ربه تعالى على أكمل وجه دون أن يفسد عليه أعداء الدين أعماله، وهو نظير النداء الذي في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (المائدة: ٦٧) الآية، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (المائدة: ٤١) الآيات^(١). وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية، وأمر بجهادهم، ومناذرتهم، وفيه دليل على ترك اتباع الآراء مع وجود النص^(٢).

الموضع الخامس: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ١﴾ ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ ٢﴾ ﴿وَرَبِّكَ فَكَذِبًا ٣﴾ ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهْرًا ٤﴾ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥﴾ ﴿وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْبِرُ ٦﴾ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧﴾ (المدثر: ١ - ٧). وفي سورة المدثر أيضاً تدرج في التبليغ فبدأ بالإنذار بعد الإعداد.

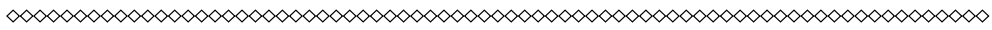
بعد استعراض الآيات الخاصة بالدعوة إلى الله عز وجل واتباع النبي ﷺ نجد بيان الله عز وجل قد نظم الدعوة بإحكام تشريعية تتناسب مع جميع المجتمعات وبما يتناسب مع جميع العقول والمستويات الفكرية السائدة في المجتمع والأنماط السلوكية السائدة، فهناك القلب القاسي الذي يحتاج إلى أسلوب خاص يتناسب معه وهناك القلب اللين الذي يتقبل الحق بسهولة فلكل واحد منهم أسلوب خاص يصلح له.

والدعوة فيها التبشير بالخير وفيها التحذير والتنفير من طريق الشر، ولا بد فيها من الصبر على الأذى والتوكل على الله عز وجل في كل خطوة يتبعها ولكل ذلك أحكام تشريعية بينها الله في كتابه العزيز ووضحها النبي ﷺ في سنته المشرفة.

وبالمقارنة بين الأساليب البشرية بالدعوة وبين الأساليب الربانية المنزلة بالقرآن الكريم نجد اختلافاً كبيراً، فالأحكام التشريعية الواردة بالقرآن شاملة تصلح لكل الأصناف البشرية، للكبير والصغير، للين من الناس وللعنيد، ولا تقبل الظلم أو الجور بأي حال من الأحوال، وهذا هو وجه الإعجاز التشريعي في القرآن.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج٢١، ص١٧٨.

(٢) القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ج١٤، ص١١٥.



يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَاءِ مَعْنَى عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءِ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُخْرَجْنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب: ٥٠-٥٢).

وقد جاء في الآية الكريمة عدة قيود، ما أريد بواحد منها إلا التنبيه على الحالة الكريمة الفاضلة:

منها، وصف أزواج النبي ﷺ باللاتي آتى أجورهن، فإنه تنبيه على الحالة الكاملة، فإن الأكمل إتياء المهر كاملاً دون أن يتأخر منه شيء. وما الذي عليه الناس من تأخير بعض المهر إلا شيء أحدثه العرف، واقتضاه الحذر بعد أن فسد حال الناس، واقتضاه التغالي في المهور أو الظهور بمظهر المغالاة فيها. وإذا كان الفقهاء قد جعلوا للمرأة حق الامتناع من تمكين الزوج حتى تأخذ المهر كاملاً. فلا يكون الأليق أن يدفع المهر كاملاً حتى لا يظهر الرجل بمظهر من يريد استحلال الفروج بالمجان. ويقول العلماء: إن تعجيل المهور كان سنة السلف، لا يعرف منهم غيره، وقد شكوا بعض الصحابة عدم قدرته على التزوج فقال له ﷺ: «أين درعك الحطمية».

ومنها أن تخصيص المملوكات بأن يكنّ من الضيء من هذا القبيل، فإن المملوكة إذا كانت غنيمة من أهل الحرب كانت أحل وأطيب مما يشتري من الجلب، لأن تلك ظاهرة الحال، معروفة النشأة.

ومن تلك القيود قيد الهجرة في قوله: اللاتي هاجرن معك ولا شك أن من هاجرت مع النبي صلى الله عليه وسلم أولى بشرف زوجية النبي ﷺ ممن عداها (١).

والى هنا يتضح أن المراد بالإحلال: الإذن العام، والتوسعة في الزواج من هذه الأصناف، والإباحة له في أن يختار منهنّ من تقتضي الحكمة الزواج منها (٢).

الموضع الثالث: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَاللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ (الأحزاب: ٥٩).

(١) سايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٦٣٩.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٦٤١.

أمر الله سبحانه جميع النساء بالستر، وإن ذلك لا يكون إلا بما لا يصف جلدها، إلا إذا كانت مع زوجها فلها أن تلبس ما شاءت، لأن له أن يستمتع بها كيف شاء (١).

وقوله تعالى: ﴿يَدْنِيك عَلَيْهِنَّ﴾ قيل: معناه تغطي به رأسها فوق خمارها، وقيل: تغطي به وجهها حتى لا يظهر منها إلا عينها اليسرى (٢).

الموضع الرابع: ﴿بِأَيْهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ تَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروفٍ أو فارقوهن بمعروفٍ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ۝٢ وترزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ۝٣﴾ (الطلاق: ١-٣).

العدة واجبة شرعاً على المرأة بالكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب: فقوله تعالى عدة الطلاق: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢/٢٢٨) وفي عدة الوفاة: ﴿وَالَّذِينَ يَتوفونَ مِنْكُمْ وَيَدرونَ أَرْوَجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢/٢٢٤) وفي عدة الصغيرة والأيسة والحامل: ﴿وَالَّتِي بَلَغَتْ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٤/٦٥) (٣).

وأما السنة: فقول النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» (٤)، وأمر النبي ﷺ فاطمة بنت قيس أن تعتد عند ابن أم مكتوم (٥).

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على وجوب العدة، في الجملة (٦).

(١) القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ج ١٤، ص ٢٤٣.

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٦، ص ٤٤٤.

(٣) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٧، ص ٦٢٥-٦٢٦.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أم سلمة، وفي لفظ آخر عندهما: "لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً"، نيل الأوطار: ٦/٢٩٢.

(٥) رواه أحمد أبو داود والنسائي، ومسلم بمعناه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، نيل الأوطار: ٦/٣٠٢.

(٦) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٧، ص ٦٢٦.

من أبرز الأحكام المتعلقة بالمعتدة في هذه الآية:

أولاً: حرمة الخروج من البيت:

للفقهاء آراء متقاربة في مسألة خروج المعتدة من البيت، الحنفية: فرقوا بين المطلقة والمتوفى عنها، فقالوا: يحرم على المطلقة البالغة العاقلة الحرة المسلمة المعتدة من زواج صحيح الخروج ليلاً ونهاراً، سواء أكان الطلاق بائناً أم ثلاثاً أم رجعياً، لقوله تعالى في الطلاق الرجعي: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ (الطلاق: ١/٦٥) بأن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها، ويرى أبو حنيفة أن الفاحشة هي نفس الخروج، وقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ (الطلاق: ٦/٦٥) والأمر بالإسكان نهي عن الإخراج والخروج. وأما في الطلاق الثلاث أو البائن، فلعوم النهي عن الخروج، ومساس الحاجة إلى الحفاظ على الأنساب وعدم اختلاط المياه^(١).

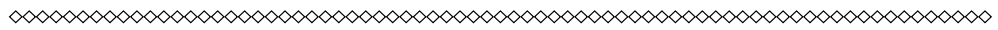
وأما المتوفى عنها: فلا تخرج ليلاً، ولا بأس أن تخرج نهاراً في حوائجها؛ لأنها تحتاج إلى الخروج بالنهار لاكتساب ما تنفقه؛ لأنه لا نفقة لها من الزوج المتوفى، بل نفقتها عليها، فتحتاج إلى الخروج لتحصيل النفقة، ولا تخرج بالليل، لعدم الحاجة إلى الخروج بالليل، بخلاف المطلقة، فإن نفقتها على الزوج، فلا تحتاج إلى الخروج.

وليس للمعتدة من طلاق ثلاث أو بائن أو رجعي أن تخرج من منزلها الذي تعتد فيه إلى سفر ولو إلى حج فريضة إذا كانت معتدة من نكاح صحيح. ولا يجوز للزوج أن يسافر بها لقوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾ (الطلاق: ١/٦٥) والمذهب أن للزوج ضرب المرأة المفارقة على الخروج من منزله بلا إذن، إلا إن احتاجت إلى الاستفتاء في حادثة، ولم يرض الزوج أن يستفتي لها، وهو غير عالم^(٢).

ويجوز للمعتدة من نكاح فاسد أن تخرج؛ لأن أحكام العدة مرتبة على أحكام النكاح الصحيح. ويجوز أيضاً للصغيرة والمجنونة أن تخرج من منزلها إذا لم يكن في الفرقة رجعة، سواء أذن الزوج لها أم لم يأذن؛ إذ أن حق الله في العدة لا يجب على الصغير والمجنون، ولأنه لا ولد من الصغيرة، فلم يبق للزوج حق. ولكن يجوز للزوج منع المجنونة من الخروج حفاظاً على مائه وتحصينه من الاختلاط. وإن كانت الفرقة رجعية فلا يجوز للصغيرة الخروج بغير إذن الزوج؛ لأنها زوجته. هذا كله في حال الاختيار، أما في حال الضرورة فلكل معتدة الخروج، فإن اضطرت إلى الخروج من

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٦٥٤-٦٥٥.

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ٦٥٤-٦٥٥.



بيتها، بأن خافت سقوط منزلها، أو خافت على متاعها، أو لا تجد أجرة البيت الذي تستأجره في عدة الوفاة، فلا بأس عندئذ أن تخرج. وتنتقل المعتدة المطلقة في البادية مع أهل الكلاً في محفة أو خيمة مع زوجها إن تضررت في المكان الذي طلقها فيه، وإن لم تضرر فلا تنتقل من مكانها^(١).

ثانياً: السكنى في بيت الزوجية والنفقة:

هذا حق للمرأة واجب على الزوج، أما سكنى المعتدة أي معتدة في بيت الزوجية، فواجبة لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ (الطلاق: ١) والبيت المضاف للمرأة هو البيت الذي تسكنه عند الفرقة، سواء أكانت مطلقة أم متوفى عنها. لكن قال الحنفية: يجوز بقاء المطلقة رجعيًا مع الزوج في دار واحدة، وله إن قصد مراجعتها أن يستمتع بها بعد الطلاق؛ لأن الطلاق الرجعي لا يحرم عندهم على الرجح المطلقة على من طلقها، ويكون استمتاعه بها رجعة، وله حينئذ إذا قصد مراجعتها أن يدخل عليها بلا إذنها.

أما في الطلاق البائن أو الثلاث: فلا بد من ساتر حاجز بين الرجل والمطلقة، فإن كان المسكن متسعاً استقلت المرأة بحجرة فيه، ولا يجوز للمطلق أن ينظر إليها ولا أن يقيم معها في تلك الحجرة. وإن كان المسكن ضيقاً ليس فيه إلا حجرة واحدة، وجب على الرجل المطلق أن يخرج من المسكن، وتبقى المطلقة فيه حتى تنقضي العدة؛ لأن بقاء المرأة في منزل الزوجية الذي كانت تسكن فيه وقت الطلاق واجب شرعاً، ولئلا تقع الخلوة بالأجنبية^(٢).

أحكام خاصة بالإشهاد على الطلاق وعلى الرجوع

أمروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة ذوي عدل وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كما في قوله ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (البقرة ٢٨٢) وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وقيل فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يُتَّهَم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث وقيل الإشهاد إنما أمروا به للاحتياط مخافة أن تنكر المرأة المراجعة فتتقضي العدة فتتَّكح زوجاً^(٣).

بعد الاستعراض للآيات الخاصة بإحكام المرأة نجد بيان الله عز وجل قد نظم جميع الجوانب

(١) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٧، ص ٦٥٤-٦٥٥.

(٢) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٧، ص ٦٥٧.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، مجلد ١٥، ج ٣٠، ص ٣٤.

الخاصة بالمرأة من أحكام خاصة بالزواج فأفرد جزءاً منها للحديث عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما يحق لهن من مهور وحقوق وفي هذا تشريع للمسلمين جميعاً. وأيضاً أفرد جانباً للحديث عن الستر وما يتعلق به من لباس شرعي ساتر يجنبهن الوقوع في الأذى.

ونظم ما يتعلق بالطلاق من أحكام تشريعية خاصة مثل أحكام العدة وما يتعلق بها من حقوق تتصف الرجال والنساء.

وأحكام السكن والاستقرار في البيوت وعدم الخروج منه إلا لحاجة موجبة للخروج، وما يتعلق بها من أحكام النفقة.

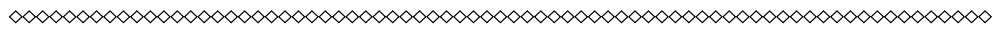
هذه الأحكام التشريعية الواردة في هذه الآيات بالإضافة لما ورد في الآيات الأخرى والأحاديث النبوية كلها شاملة لم تترك أي جانب من الجوانب التنظيمية الخاصة بالنساء وكلها تتصف بالعدل والإنصاف فإن دل على شيء فإنما يدل على أنه رباني معجز.

رابعاً: آيات وردت في أحكام التحليل والتحريم

وهي الآيات الواردة في سورة التحريم آية (٢-١)

الموضع الأول: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ (التحريم: ١-٢).

قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحْرَمُ﴾ إن كان النبي ﷺ حرم ولم يحلف فليس ذلك بيمين عندنا. ولا يحرم قول الرجل: «هذا علي حرام» شيئاً حاشا الزوجة، وقال أبو حنيفة: إذا أطلق حمل على المأكول والمشروب دون الملبوس، وكانت يميناً توجب الكفارة، وقال زفر: هو يمين في الكل حتى في الحركة والكون. وعول المخالف على أن النبي ﷺ حرم العسل فلزمته الكفارة، وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ فسماه يميناً، ودلينا قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلْالًا قُلْ أَلَا إِنَّ اللَّهَ أَدْبَرَ لَكُمْ أَمْرًا عَلَى اللَّهِ تَفَتَرُونَ﴾ فذم الله المحرم للحلال ولم يوجب عليه كفارة، قال الزجاج: ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله، ولم يجعل لنبيه ﷺ أن يحرم إلا ما حرم الله عليه، فمن قال لزوجه أو أمته: أنت علي حرام؛ ولم ينو طلاقاً ولا ظهاراً فهذا اللفظ يوجب كفارة اليمين، ولو خاطب بهذا اللفظ جمعاً من الزوجات والإماء فعليه كفارة واحدة، ولو حرم على نفسه طعاماً أو شيئاً آخر لم يلزمه بذلك



كفارة عند الشافعي ومالك. وتجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وأبي حنيفة^(١).
بالنظر إلى الآيات الخاصة بالتحليل والتحریم في القرآن الكريم كثيرة شاملة لجميع
الجوانب الحياتية والتنظيمية للإنسان وما يتعلق بذلك من حلول خاصة بهذه الجوانب.
ولا نجد أي قانون بشري قد شمل كل هذه الجوانب التشريعية بإحكام شاملة لجميع جوانب
الحياة الإنسانية كما في القرآن الكريم وإن دل على شيء فإنما يدل على أن القرآن معجز في كل
تشريعاته.

خامساً: آيات وردت في أحكام قيام الليل وهي الآيات الواردة في سورة المزمل آية (١-١١)
الموضع الأول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ١ قِرْ أَلَيْلًا قَلِيلًا ٢ نَصَفَهُ ٣ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٤ أَوْ
زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٥ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٦ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ
قِيلًا ٧ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٨ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٩ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ١٠ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١١
وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١٢﴾ (المزمل: ١-١١).

يندب الصلاة ليلاً خصوصاً آخره، وهي أفضل من صلاة النهار، لقوله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ
نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧/٢٢) وقوله سبحانه: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة: ١٦/٢٢)، ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى مسلم في صحيحه
«أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»، وروى الطبراني مرفوعاً: «لابد من صلاة بليل، ولو
حلب شاة، وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل»، وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ:
«عليكم بصلاة الليل، فإنها دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة
عن الإثم»، وعدد ركعاتها من ركعتين إلى ثمانية.

ويندب إحياء ليالي العيدين (الفطر والأضحى)، وليالي العشر الأخير من رمضان لإحياء
ليلة القدر، وليالي عشر ذي الحجة، وليلة النصف من شعبان، ويكون بكل عبادة تعم الليل أو أكثره،
للأحاديث الصحيحة الثابتة في ذلك.

ويندب الإكثار من الاستغفار بالأسحار، وسيد الاستغفار: (اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت،
خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء
(أعترف) لك بنعمتك، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنب إلا أنت) (٢).

(١) - القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ج ١٨، ص ١٨٥.

(٢) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٢، ص ٤٧.

ويكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي في المساجد وغيرها؛ لأنه لم يفعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا الصحابة.

كما يكره الاجتماع على صلاة الرغائب التي تفعل في أول جمعة من رجب، وإنها بدعة. وطول القيام أفضل من كثرة السجود، لقوله ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت»^(١) أي القيام، ولأن القراءة تكثر بطول القيام، وبكثرة السجود يكثر التسييح، والقراءة أفضل منه^(٢). ومن الجوانب التشريعية التي نظمها القرآن الكريم جانب العبادة وما يتعلق بها من أحكام وهنا بين ما يتعلق بإحكام قيام الليل وهي عبادة تطوعية يقوم بها الإنسان لملء الجانب الروحي عنده، وبذلك نجد إن القرآن قد نظم الجانب التطوعي في العبادة بالإضافة إلى العبادة المفروضة على الإنسان ليكون شاملاً لكل الجوانب التشريعية في العبادة وبذلك يكون للقرآن السبق في تنظيم جميع الجوانب الخاصة بالإنسان الجسدية والرحية وهذا من الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فبعد الدراسة السابقة فإنني توصلت إلى النتائج التالية:

أولاً: القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي أنزله إلى الإنس والجن، تحداهم على أن يأتوا بمثله ففجزوا عن الأتيان بمثله.

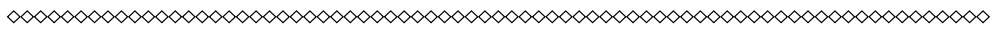
ثانياً: جوانب الإعجاز في القرآن الكريم متعددة ومتنوعة وبجاجة إلى دراسات متعمقة لهذه الجوانب.

ثالثاً: من أبرز جوانب الإعجاز الجانب التشريعي، والذي يعد من أبرز الجوانب التي يضبط بها حياة المجتمع وينظمها، وفيها الحلول المناسبة لقضايا المجتمع.

رابعاً: الجانب التشريعي في الآيات الواردة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم فيها الكثير من القضايا التنظيمية والحلول المناسبة لحياة الفرد والمجتمع.

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن جابر، ورواه الطبراني عن أبي موسى وعن عمرو بن عبسة وعن عمير بن قنادة الليثي، وهو صحيح.

(٢) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٢، ص ٤٧-٤٨.



هذا أبرز ما توصلت له الدراسة، أرجوا من الله أن أكون قد وفقت في عرضه وإعطائه حقه.
والحمد لله رب العالمين

فهرس المراجع

إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ت: مجمع اللغة العربية.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط ١، ١٤٠٥.

الرازي، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠١-١٩٨١ م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن محمد بن المفضل، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان داودي، دار العلم الدار الشامية، دمشق- بيروت، ١٤١٢ هـ.

الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥، ١٩٨٥.

سايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢.

أبو السعود، عبد الله، و محمد أحمد محمود، الأعجاز في القرآن الكريم الصوتي والبياني والتشريعي، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٤ م.

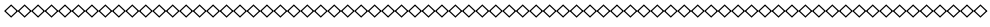
ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن.

القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لإحكام القرآن، د. ط، د. ت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.



د. ميمونة بنت محمد بن حارث الخروصية

أستاذ مساعد بجامعة التقنية والعلوم التطبيقية (كلية التربية بالرساتق) - سلطنة عمان

«الطب الوقائي في السنة النبوية»

Preventive Medicine in the Prophet's Sunnah

ملخص البحث باللغة العربية :

هدفت الورقة البحثية إلى تقديم الحقائق الدالة على صدق نبوة الرسول ﷺ بالوقوف على الإشارات العلمية الواردة في السنة النبوية حول الطب الوقائي. وسلطت الورقة البحثية الضوء على الإشارات العلمية الواردة في السنة النبوية حول الطب الوقائي في ثلاثة محاور حيث تناول المبحث الأول التعريف بالطب الوقائي وتاريخه، وتناول المبحث الثاني الطب الوقائي في السنة النبوية موضحاً أهمية الإجراءات الوقائية في السنة النبوية، ومشيراً إلى خصائص الطب الوقائي في السنة النبوية، وضوابط استخلاص الإشارات العلمية في السنة النبوية. أما المبحث الثالث فقد تناول الإشارات الطبية الوقائية الواردة في السنة المتعلقة بنظافة البيئة وصحة المجتمع، وتناول كذلك الإشارات الطبية الوقائية الواردة في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في تناول الطيبات المتمثلة في التمر والحبة السوداء، والإشارات الطبية الوقائية المتعلقة بصحة الفرد في ترك المحرمات المتمثلة في تحريم الخمر ولحم الخنزير، والإشارات الطبية الوقائية المتعلقة بصحة الفرد في العادات والسلوكيات في الحياة والمتمثلة في الحجامة وتجنب الغضب.

وقد خرجت الورقة العلمية بأن ما توصلت له الأبحاث والدراسات العلمية حول نظافة البيئة وصحة المجتمع أو صحة الفرد يتفق مع ما أشارت له سنة الرسول ﷺ مما يثبت صدق نبوته ﷺ. وأوصت الدراسة بإجراء مزيد من الدراسات والبحوث حول الإشارات العلمية الواردة في سنة الرسول ﷺ التي ما زال العلم لم يتناولها حتى تنتفع البشرية بما جاء به الإسلام عامة، وبما جاءت به سنة الرسول ﷺ خاصة. كذلك أوصت الورقة البحثية بترجمة الأوراق العلمية المقدمة للمؤتمر للغات عدة، ونشرها في مجلات أجنبية محكمة؛ لتعريف الآخر أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق من رب العالمين.

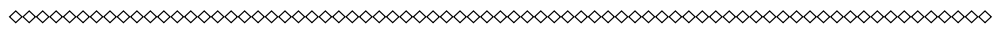
Summary of Research Paper

The research paper aimed to present the facts indicative of the confirmation of the Prophethood of the Prophet Mohammed by highlighting the scientific references contained in the Sunnah about preventive medicine. The research paper reviewed the scientific references contained in the Sunnah about preventive medicine by focusing on three aspects. The first aspect presented the definition of preventive medicine and its history. The second aspect highlighted preventive medicine in the Sunnah, explaining the importance of Sunnah preventive measures. It pinned out the characteristics of preventive medicine and the conditions for extracting scientific references in the Sunnah. As for the third aspect, it reviewed the preventive medical indications, related to cleanliness and health. It also exhibited the preventive medical indications contained in the Prophetic Sunnah related to the health of the individual in consuming healthy food such as dates and black seeds. It also highlighted the preventive medical indications related to the health of the individual through refraining from eating prohibited food such as alcohol and pork. In addition, it highlighted preventive medical indications related to the health of the individual such as cupping and anger control.

The scientific paper concluded that the findings of scientific research and studies on the cleanliness of the environment and the health of the community or the health of the individual is in alignment what the Sunnah of the messenger indicated to him, which proves the sincerity of his Prophethood. His healthy and environment-friendly daily routines as manifested in his actions and words sampled all the scientific recommended measures in preventive medicine. The study recommends conducting more studies and research on the scientific references contained in the Sunnah of the Prophet Mohammed peace and blessings be upon him. Researchers are recommended to maximize the benefits from Sunnah which immensely must serve humanity through more rigorous research in the area.

مقدمة :

بعث الله عز وجل النبي محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والرسل، واصطفاه من بين البشر، ومن رحمة الله عز وجل بالخلق أن أيد الرسول محمداً ﷺ بالأدلة والبراهين الساطعة والناطقة بصحة نبوته ﷺ التي لم يستطع معها أشد أعدائه إنكارها حتى مع بقاء بعضهم على غير الإسلام. ومن بين الإشارات الدالة على صدق نبوته ﷺ القرآن الكريم فهو خطاب الله عز وجل المعجز البليغ



الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الإشارات كذلك التي يُستدل بها على صحة نبوته ﷺ الأحاديث التي صحت عنه ﷺ التي تحوي إعجازا علميا يؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - أن من بعث محمدا ﷺ هو من خلق الإنسان والعالم بما ينفعه وبما يضره.

يعد الطب الوقائي في هدي النبي ﷺ من أنواع الإعجاز العلمي الذي يشير إلى صحة نبوة الرسول ﷺ. لذا فالبحث فيه يزيد ثقة المسلم بدينه، ويزيد من اعتزازه، وافتخاره به كما أنه يزيل الغمّة التي أطبقت على أبصار غير المسلمين، ويقدم لهم البرهان الساطع على صحة رسالته عليه الصلاة والسلام.

مع كل الجهود التي بذلت قديما وحديثا في الكشف عن الإشارات المتعلقة بالصحة الوقائية في الهدي النبوي إلا أن الحاجة ما تزال قائمة، فالعلم في تقدم مطرد، وهناك الكثير من الحقائق العلمية التي خرجت بها البحوث والدراسات مؤخرا تتفق تماما مع ما أشار له الرسول عليه الصلاة والسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرنا في مجال الطب الوقائي، فإعادة تقديمها وربطها بالنتائج التي خرجت بها البحوث والدراسات في وقتنا هذا يعد أمرا بالغ الأهمية ولا سيما غير المسلمين الذين يستخدمون لغة العقل والمنطق فهي عون لهم للاهتمام بصحة رسالة النبي ﷺ، وهذا يعد من الواجبات التي يتعين على المسلمين القيام بها اليوم انطلاقا من إيمانهم اليقيني بصحة رسالة نبيهم الذي لا ينطق عن الهوى. وهذا ما تتطلع الورقة البحثية القيام به.

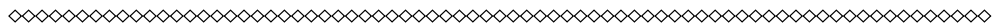
مشكلة الورقة البحثية :

تسعى الورقة البحثية إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بنظافة البيئة وصحة المجتمع؟
- ما الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في تناول الطيبات؟
- ما الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في تحريم الخبائث؟
- ما الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في السلوكيات والعادات الصحية في الحياة؟

أهداف الورقة البحثية :

تسعى الورقة البحثية إلى تقديم الحقائق الدالة على صدق ما جاءت به السنة النبوية حول الطب الوقائي التي أثبت العلم الحديث أهميتها في الحفاظ على الصحة والوقاية من التعرض للأمراض البدنية والنفسية بما لا يدع مجالاً للشك حول صحة نبوته ﷺ التي أعان إثباتها عددا



من غير المسلمين على اعتناق الإسلام، أو بالاعتراف بصدق تعاليمه، والإعجاب بها على أقل تقدير.

مصطلحات الدراسة :

- الطب الوقائي: التوجيهات أو التدابير أو الإجراءات التي تتخذ لغرض حماية الإنسان من التعرض للأمراض والأسقام في بدنه، أو عقله، أو نفسه، ولحماية المجتمعات من التعرض للأوبئة والعدوى.

- السنة النبوية: يرى الأصوليون أن السنة النبوية هي «ما نقل عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير»^(١). وهي تنقسم^(٢) إلى سنة قولية: وهي ما صدر عن النبي عليه الصلاة والسلام من أقوال غير القرآن الكريم كقوله: «إنما الأعمال بالنيات»^(٣) وسنة فعلية: وهي ما نقله الصحابة عن النبي عليه الصلاة والسلام من أفعال كصفة وضوئه، وصلاته ﷺ. وسنة تقريرية: هي ما أقره صلى الله عليه وسلم من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه صلى الله عليه وسلم مع دلالة الرضا، أو بإظهار الاستحسان، أو التأييد. مثاله: سكوت النبي عن أكل لحم الضب.

أهمية الورقة البحثية :

تتمثل أهمية الورقة البحثية في الآتي:

تربط بين الأحاديث المتضمنة للإشارات العلمية المتعلقة بالصحة الوقائية ونتائج الدراسات والبحوث العلمية مما يشير إلى وجود تكامل بينهما، وأن مصدر ما جاء به النبي ﷺ هو من الخالق عز وجل.

تقدم نظرة متوازنة بين الأحاديث التي صحت عن الرسول ﷺ في مجال الطب الوقائي وفق منهجية تبعد عن تحميل النص ما لا يحتمل، ولي عنقه حتى يتوافق مع الحقائق العلمية.

تقديم التوجيهات النبوية التي وصلت لنا بطرق صحيحة، وأكدتها البحوث الطبية العلمية بما لا يدع مجالاً للشك والتكذيب بصحة نبوته ﷺ.

تفتح آفاقاً بحثية حول تتبع الإشارات العلمية الواردة في السنة النبوية، وإدامة النظر فيها، والبحث حولها؛ لكونها صادرة عن الذي لا ينطق عن الهوى مما يدفع البحث العلمي للتقدم في

(١) السباعي، مصطفى (١٩٨٥) : السنة النبوية ومكانتها، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧-٤٨.

(٣) انظر: أخرجه البخاري، باب: بدء الوحي، رقم: ٢٥٢٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» رقم: ١٩٠٧.

إيجاد حلول للكثير من المشاكل التي يعاني منها إنسان اليوم التي لم يتوصل لحلولا حولها إلى الآن.

تركز الورقة البحثية على آخر ما توصلت له الدراسات والبحوث في مجال الصحة الوقائية التي خرجت بنتائج تتفق مع ما أشار له الرسول عليه الصلاة والسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرنا.

تزيد ثقة المسلم بدينه واعتزازه به؛ لكونه مصدرا لحماية مصالح الإنسان، ويسعى لحفظ نفسه وعقله مثلما يسعى لحفظ دينه.

منهج البحث:

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على عرض الأحاديث التي صحت عن الرسول ﷺ التي تضم إشارات حول الطب الوقائي لاستخلاص الحقائق المتعلقة بوقاية الجسد، والنفس، والعقل من الاعتلال التي نادى بها العلم الحديث لأهميتها.

وقسمت الورقة البحثية إلى ثلاثة مباحث يندرج تحت كل مبحث منها عدة مطالب:

المبحث الأول: الطب الوقائي: مفهومه وتاريخه

المطلب الأول: مفهوم الطب الوقائي.

المطلب الثاني: لمحة تاريخية حول الطب الوقائي.

المبحث الثاني: الطب الوقائي في السنة النبوية:

المطلب الأول: اهتمام السنة النبوية بالطب الوقائي.

المطلب الثاني: خصائص الطب الوقائي في الإسلام.

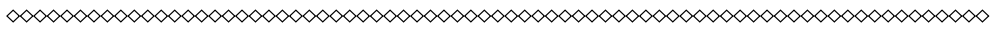
المطلب الثالث: ضوابط استخلاص الإشارات العلمية المتعلقة بالطب الوقائي في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية:

المطلب الأول: الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بنظافة البيئة وصحة المجتمع:

أ- الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بالمحافظة على نظافة البيئة.

ب- الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بالعزل، وبالحجر الصحي؛ للحفاظ على صحة المجتمع.



المطلب الثاني: الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد:

أ- الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في تناول الطيبات: التمر، والحبة السوداء أنموذجاً.

ب- الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في ترك المحرمات: الخمر، ولحم الخنزير أنموذجاً.

ج- الإشارات الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في السلوكيات، والعادات الصحية في الحياة: الحجامة، وترك الغضب أنموذجاً.

الدراسات السابقة :

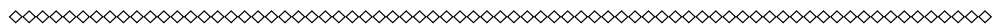
الكثير من المؤلفات قُدمت في مجال الطبي الوقائي في الهدي النبوي قديماً وحديثاً، ولعل ما دونه ابن القيم يعد من أقدم المؤلفات التي تناولت الطب النبوي عامة في مصنفه الطب النبوي^(١). ومن الدراسات الحديثة في هذا المجال دراسة AL-Sawi بعنوان: The scientific Signs in the Quran and the Sunnh Regarding Preventive Medicine and Mcroorganisms⁽²⁾ وقد أوضح فيها الإعجاز الطبي في القرآن والسنة متتبعا الكثير من الإشارات الدالة على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية وموضحا بأن الحل لمواجهة الأسقام والأمراض التي يعاني منها البشر اليوم هو الجلوس أمام هدي النبي ﷺ والالتزام بإرشاداته، الطبية الوقائية في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد . كذلك كتاب الطب الوقائي في الإسلام للفنجري^(٣) الذي أشار فيه إلى أن الإسلام هو أول نظام عرفته البشرية جاء بالأسلوب العقدي في الوقاية من الأمراض إذ ربط التعاليم الطبية والصحية بالعقيدة نفسها حتى يجعل الاهتمام بالصحة والنظافة جزءا من الدين، ومن الدراسات التي يمكن الإشارة إليها في هذا المجال دراسة «الطب الوقائي في الإسلام»^(٤) للقضاة التي أوضح فيها أن البشرية عرفت قبل البعثة النبوية حضارات عدة تعاقبت عليها، وكل حضارة برعت في فن من الفنون المتعلقة

(١) - ابن القيم، محمد بن أبي بكر (د.ت): الطب النبوي، مراجعة وتحقيق وتعليق وتخريج عبدالغني عبد الخالق وآخرون، دار الفكر، بيروت.

(2) AL-Sawi, Abdul AL-Jwad : The scientific Signs in the Quran and the Sunnh Regarding Preventive Medicine and Mcroorganisms. Islamic World League. www.Islamic Invitation.com.

(٣) الفنجري، أحمد شوقي (١٩٩١): الطب الوقائي في الإسلام تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:٢.

(٤) القضاة، عبدالحميد (١٩٨٧): تفوق الطب الوقائي في الإسلام، ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر: المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد ١٧-٢٠ أكتوبر ١٩٨٧، تم تحميل الورقة من موقع: www.pdfactory.com



بالطب الوقائي، إلا أنها لم تصل للكمال الذي وصلت له القواعد الصحية التي أسسها الإسلام مما يجعل الإسلام في موقع الصدارة والسبق في ذلك. أيضا قدم الباحثان الماعزي والقضاة دراسة بعنوان التفسير العلمي للأحاديث النبوية^(١) وهي تهدف إلى البحث عن الإعجاز العلمي في السنة النبوية في بعض أحاديث التمر والزيت، وربطها بما ذكرته العلوم التطبيقية الحديثة حولها، فظهر صدق ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، وإظهار الحكمة النبوية في إرشاد أمته إلى أصناف معينة من الطعام لفوائدها. وهدفت إلى جعل التفسير العلمي مرجحا قويا عند الاختلاف في فهم النصوص؛ رغبة في إيجاد وسيلة دقيقة لفهم الأحاديث التي يقع فيها الاختلاف بين العلماء.

من الدراسات - أيضا - دراسة قام بها عدد من الباحثين بعنوان: Preventive Medicine and Maqasid Al-Shari'ah: The case of COVID-19^(٢) سلطت الضوء على كيفية مراعاة مقاصد الشريعة الإسلامية لواقع الأمراض البوائية والدراسة إجمالا تحاول توظيف مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة للتعرف بمتغيرات الإجراءات الوقائية في المجتمع تجاه الجائحة الحالية (كوفيد-١٩). وغيرها الكثير من الدراسات التي ستوظف لاحقا بما يخدم محاور الورقة العلمية.

وتتسم الورقة الحالية بإنها اسلط الضوء على الإجراءات الوقائية الواردة في السنة النبوية المتعلقة بصحة المجتمع والأفراد معا. فضلا عن الاهتمام بالمجالات المختلفة المتعلقة بصحة الفرد؛ فتطرقت لأمثلة على الطيبات الواردة في السنة النبوية، وأمثلة على المحرمات التي نهت عنها السنة النبوية، وتشير الدراسة الحالية إلى بعض العادات والسلوكيات التي وجهت السنة النبوية للأخذ بها، أو تجنبها لما لها من أثر في صحة الإنسان.

المبحث الأول: الطب الوقائي: مفهومه وتاريخه

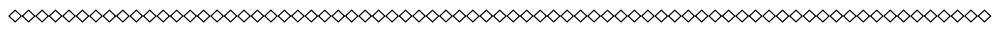
المطلب الأول: مفهوم الطب الوقائي:

عرف العلماء الطب الوقائي بأنه العلم المتعلق بالوقاية من الأمراض الجرثومية، والعضوية، والنفسية للفرد والمجتمع^(٣). كما يقصد بالطب الوقائي هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية. ويكون ذلك عن طريق مجموعة من التعاليم، والإرشادات، والإجراءات؛

(١) الماعزي، صالح الأمين والقضاة، أشرف (٢٠١٨): التفسير العلمي للأحاديث النبوية الشريفة، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة-تفسير-حديث)، 5201-ISSN 2410، ع٦٢، السنة: ٢، ص ٣٧١-٣٩٨.

(2) Bendebka, Ramzi and others (2020): Preventive Medicine and Maqasid Al-Shari'ah: The case of COVID-19, Revelation and Science, Vol. 10, No. 01 (1442H/2020) 1-12, fileCUUsersIMDown-loads259-Article%20Text-1073-1-10-20200917.pdf

(3) AL-Sawi, Abdul AL-Jwad , p22.



لوقاية الإنسان من الأمراض السارية والوافدة قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى إذا وقعت. وإطالة عمر الإنسان بتحسين ظروف معيشته، ومنع الحوادث وأسباب التوتر العصبي^(١). يشير التعريف الذي أورده الفنجري إلى الغاية من تطبيق الإرشادات والإجراءات الوقائية وهي الحفاظ على أعلى مستويات الصحة للفرد والمجتمع وذلك قد لا يتحقق إلا برفع مستوى الوعي الصحي بأهمية الإجراءات الوقائية على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي أيضا.

ندرك - من هنا - أهمية الطب الوقائي بأنه يمثل حماية للفرد والمجتمع من الأمراض الوافدة والمعدية، إذا ما أحسن تطبيق تعليماته، والأخذ بها على أكمل وجه فإنه يحفظ صحة الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: تاريخ الطب الوقائي؛

اختلف المؤرخون حول بداية نشأة الطب عموما فهناك من أرجع بدايته إلى سحرة اليمن، وبعض المؤرخين أرجعه إلى سحرة الفرس، وهناك من أرجعه إلى المصريين، وهناك من أرجعه إلى الكلدانيين في حين هناك من يرى بأنه يرجع إلى الهنود وعلى أي حال كان القدامى يربطون الطب بالعرافة، والكهانة، والسحر، واستخدموا إجراءات الوقائية والعقاقير للعلاج إلا أن الأخذ بالممارسات الوقائية كادت أن تكون أكثر رواجاً^(٢).

وقد تطور الطب عند الإغريق تطورا واضحا حيث أصبح الطب لديهم يعتمد على القياس والتجربة كما أنه في عهدهم خرج من دائرة احتراف الأسرة الواحدة له، وتوارثهم له، إلى أن يكون علما يدرس، ويدون في الكتب. وفي مصر أسست مدرسة الطب بالإسكندرية، وفيها مُرِّج الطب المصري القديم بالإغريقي، كما تأثر الرومان بطب الإغريق، وأخذوا منهم فكرة إنشاء المعابد للعلاج، وقيام الكهنة فيها بدور الأطباء فيها^(٣).

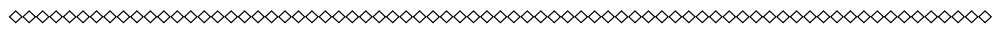
أما بالنسبة للعرب في الجاهلية فلم يكن لهم نصيب وافر من المعرفة الطبية، وإنما كان طبهم مبنيا على وصفات متوارثة، وكانوا يعتقدون كغيرهم من الأمم التي سبقتهم بأن الأمراض سببها أرواح شريرة، وكانوا يلجؤون إلى الكهنة، والعرافين، ويستخدمون الكي في علاج الأمراض المستعصية عليهم، وقد برع بعض العرب في الجاهلية بممارسة الطب عموما، ومنهم من أدرك الإسلام، وأسلم، ووفد على رسول الله ﷺ^(٤).

(١) الفنجري، أحمد شوقي (١٩٩١): مرجع سابق، ص ١١.

(٢) حلاوين، هشام خضر (٢٠١٨): التدايب الوقائية الصحية والبيئية في السنة النبوية دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية الشريعة، ص ٨-٩.

(٣) سليمان، هند بابكر (٢٠٠٩): الطب الوقائي في السنة النبوية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، ص ١٩-٢٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٠-٢١، والحلاوين (٢٠١٨): التدايب الوقائية الصحية والبيئية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٩.



وفي ظل الإسلام عرف الطب عامة، والوقائي خاصة، اهتماماً واضحاً حيث تعد الإجراءات الوقائية لحفظ النفس مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويؤاخذ المسلم في حال التفریط فيها، كما طالب الإسلام المسلمين بالاعتدال والتوازن في إشباع حاجات الإنسان الجسدية، والمعنوية، فلا إفراط ولا تفريط؛ وهذا مبدأ

مهم من مبادئ حفظ النفس حيث يقول تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١). وبلغ الطب في الإسلام ذروة ازدهاره في زمن الخلافة العباسية وما زال الطب المعاصر عالة على ما قدمه الأطباء في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية عندما أحسنوا فهم تعليمات دينهم وتوظيفها، بهدف حفظ صحة الإنسان والمجتمع^(١).

المبحث الثاني: الطب الوقائي في السنة النبوية:

المطلب الأول: موقف السنة النبوية من الإجراءات الوقائية:

وقاية الإنسان من الأمراض مبدأ شرعي أصيل في السنة النبوية، فالتأمل في السنة النبوية يجدها حافلة بالتدابير الوقائية التي تهدف لحماية صحة الإنسان البدنية والنفسية والعقلية، يقول ابن القيم: «من تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم، والمشرب، والمسكن، والهواء، والنوم، واليقظة، والحركة، والسكون، والمنكح، والاستفراغ، والاحتباس، فإن حصلت على هذا الوجه المعتدل الموافق للملائم للبلد والسن والعادة، كان أقرب إلى دوام، أو غلبتها إلى انقضاء الأجل»^(٢).

لأهمية توجيهات الرسول ﷺ المتعلقة بحفظ صحة الإنسان وحمايته من الأمراض؛ ألقت الكثير من المصنفات في الطب النبوي، وحظيت باهتمام المفكرين المتقدمين لعلمهم أن ما جاء به الرسول ﷺ، وثبت عنه، هو من قبيل الوحي وليس اجتهادات البشر التي يعترها الخطأ كما يعترها الصح، يقول ابن القيم في ذلك: «وليس طبه ﷺ كطب الأطباء؛ فإن طب النبي ﷺ طب متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي ومشكاة النبوة، وكمال العقل وطب غيره أكثره حدس، وظنون، وتجارب»^(٣) ومن أهم المؤلفات التي تناولت الطب النبوي:

الطب النبوي لابن القيم.

(١) للوقوف على تفاصيل أكثر انظر: سليمان، هند (٢٠٠٩): مرجع سابق، ص ٢٢-٢٤.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج: ٢، ص ٨٠٩.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، المرجع السابق، ٣٠/٤.

الطب النبوي للإمام الذهبي.

الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني.

الرسالة الذهبية في الطب النبوي للإمام علي الرضا.

المطلب الثاني: خصائص التدابير الطبية الوقائية في السنة النبوية:

تتسم التدابير الوقائية الواردة في سنة النبي عليه الصلاة والسلام بمميزات عدة مقارنة بالطب الوقائي في زمننا المعاصر، وهي^(١):

سبق التشريع: التدابير الوقائية المضمنة في سنة الرسول ﷺ سبقت الحقائق العلمية التي توصل لها الطب بما يزيد على أربعة عشر قرنا.

المصادقية: ما صح عن النبي ﷺ من توجيهات ونصائح تقي الإنسان تتطابق تماما مع الحقائق التي توصل لها الطب اليوم؛ لذا يتعين على المسلمين اليوم البحث في كنوز السنة النبوية التي تحمل إشارات علمية لإنفاع البشرية بها.

البساطة واليسير: تطبيق توجيهات الرسول ﷺ في حفظ صحة الإنسان والمجتمع لا تتطلب كلفة مالية مضمية، ولا جهدا بدنيا شاقا، ولا وقتا يعطل الإنسان عن العطاء والإنتاج، ولا فريقا متخصصا لتطبيقها بل هي ذاتية التنفيذ لكونها متعلقة بالنظافة والطهارة، وتناول الطيبات، وتجنب المحرمات التي تتلاءم مع فطرة الإنسان، وتعود إليه بحفظ صحته وصحة المجتمع.

الشمولية: من يبحث في الإجراءات الوقائية التي أوصت بها سنة الرسول ﷺ؛ يجدها متنوعة وتتكامل مع غيرها لتشكّل منظومة متكاملة لوقاية الإنسان من الأمراض البدنية والروحية.

تمثل جزءا من منظومة الدين: التدابير الوقائية الواردة في سنة الرسول ﷺ تسعى لحفظ النفس، وهو مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية. كذلك الإتيان ببعض تلك التدابير والتوجيهات يترتب عليه قبول الأعمال، ويثاب فاعلها، ويأثم في حال تركه لها كالطهارة، ونظافة الثياب في الصلاة.

الديمومة: تتميز التوجيهات الوقائية في الإسلام عامة والواردة في سنة الرسول ﷺ بالاستمرارية حيث تبقى مع الإنسان، ويطالب بالأخذ بها، وتطبيقها طيلة حياته، ولذا تضمن هذه الإجراءات أفرادا أصحاء، ومجتمعاً صحياً على الدوام.

(١) القضاة: تفوق الطب الوقائي في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٩. وحلاوين (٢٠١٨): التدابير الوقائية الصحية والبيئية في السنة النبوية دراسة موضوعية، مرجع سابق، ص ٦-٨.

المطلب الثالث: أهم ضوابط استخراج الإعجاز العلمي^(١) :

هناك جملة من الضوابط التي ينبغي أن تراعى لاستخلاص الإشارات العلمية من الأحاديث النبوية، لا سيما استخلاص التدابير المتعلقة بوقاية الإنسان والمجتمعات من الأمراض، وهي:

ثبوت النص وصحته سندا وامتنا عن الرسول ﷺ، ولتحقيق ذلك توخت الدراسة الاستشهاد بالأحاديث التي ثبت صحتها فقط، وتجنب الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة.

ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتا قاطعا، وتوثيق ذلك توثيقا علميا متجاوزة مرحلة الفرض والنظرية إلى مرحلة الثبوت القطعي. وليس شرطا أن تكون الحقيقة العلمية قانونا بالمعنى المتعارف عليه، بل المقصود الثبوت القطعي للمعلومة.

وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية في الحديث بشكل واضح لا مرية فيه؛ وذلك لتجنب تحميل النص النبوي ما لا يحتمل، أو بعبارة أخرى تجنب ليّ عنق النص حتى يتماشى مع الحقيقة العلمية.

المبحث الثالث: الإشارات الطبية في مجال الطب الوقائي في السنة النبوية

المطلب الأول:

الإشارات الطبية في مجال الطب الوقائي التي تناولتها سنة النبي محمد ﷺ فيما يتعلق بنظافة البيئة وصحة المجتمع:

الإشارات الطبية الوقائية الواردة في السنة النبوية المتعلقة بنظافة البيئة وحمايتها من التلوث:

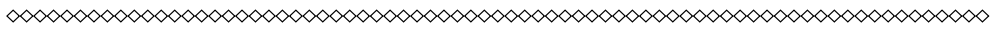
حث النبي ﷺ على المحافظة على نظافة البيئة، وإماطة القاذورات عن الطريق، وتجنب إلقاء البصاق والنخام في المساجد في أحاديث عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر عن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تَدْفَنُ»^(٢). وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها»^(٣).

وقد ثبت لاحقا بأن المخاط والبزاق أو البصاق ناقل لأمراض عديدة كالأنفلونزا، والدفثيريا،

(١) انظر: الماعزي والقضاة (٢٠١٨): التفسير العلمي للأحاديث النبوية الشريفة، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب: ١٢، رقم: ٥٥٣

(٣) صحيح البخاري، باب: كفارة البزاق في المسجد، رقم: ٤١٥



والحصبة، والسعال الديكي، وحديثاً أنفلونزا الطيور، وأنفلونزا الخنازير، والتهاب الغدة النكافية، والسل الرئوي، وغيرها^(١). والحكمة من وراء ردم البصاق بالتراب لكيلا تنقلها الرياح فتؤذي شخصاً آخر كما ان الميكروبات لا تعيش طويلاً في التراب الجاف^(٢). ولذا نجد حرص النبي ﷺ بأن يتجنب المسلمون ذلك حيث عده خطيئة، ومن مساوئ الأعمال.

كذلك نهى الرسول ﷺ أن يقضي الإنسان حاجته في طرفات الناس والأماكن المظلمة بل عد ذلك أمراً يوجب لعنة الناس فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى^(٤) فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»^(٥).

وقد تبين لاحقاً أن البكتيريا وبويضات الطفيليات لها القدرة على أن تعيش في الأماكن المظلمة والأماكن الرطبة لفترات طويلة تصل في بعض أنواع الطفيليات لمدة عامين تقريباً بينما الأماكن التي تصل لها أشعة الشمس فإن الأشعة فوق البنفسجية لها نشاط مبيد للجراثيم ولذا ينصح بعدم التبول أو التبرز بالقرب من الأشجار، أو تحتها، أو بالقرب من المساكن، وقد أشار ﷺ إلى ذلك بأكثر من ألف وأربعمائة عام^(٦).

الإشارات الطبية الوقائية الواردة في السنة النبوية المتعلقة بالعزل والحجر الصحي للحفاظ على صحة المجتمع:

قبل التطرق لقاعدتي العزل والحجر الصحي اللتين أرشد إليهما الرسول ﷺ لتجنب انتشار الأوبئة بين المجتمعات البشرية؛ نقف بداية مع توجيهه ﷺ للمريض بعدم الذعر، والخوف، أو الانزعاج، وإنما الصبر واحتساب ذلك الأمر عند الله، والاستعانة بالدعاء، واللجوء لله عز وجل، ولا يخفى على أحد بأن ذلك يمثل عاملاً معنوياً في مساعدة المريض على الشفاء، فعن صهيب بن سنان الرومي قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سُرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضُرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٧). وقد كان النبي ﷺ يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَأْسَ،

(١) حلاوين (٢٠١٨): لتدابير الوقائية الصحية والبيئية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٢) الفنجري: الطب الوقائي في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢١.

(٣) اللعانين: الأمرين الجالين للعنة

(٤) التخلي: التفوط في طريق الناس

(٥) صحيح مسلم، باب: النهي عن التخلي في الطرق والظلال، رقم: ٢٦٩.

(6) ALbar, Adam; L. Liu, Ching: Health an Islam PREVENTIVE MEDICINE IN ISLAM: APPLICATION OF ISLAMIC TEACHINGS IN RELATION TO THE CONTROL OF SOME COMMUNICABLE DISEASES , http://207.21.239.40/hip/adnan_albar_ching.html.

(٧) صحيح مسلم، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم: ٢٩٩٩.

وَأَشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(١) وقد أثبتت إحدى الدراسات العلمية بأن روح التدين لها أثر كبير في تحقيق الشفاء لدى المرضى المقيمين في المستشفى، وأن التشجيع على الشفاء هو ما يحتاج إليه المرضى خصوصا المقيمين في المستشفى، وأن روح التدين لها أثر كبير في التشجيع على الشفاء^(٢).

كذلك حثه ﷺ للمريض بأن يطلب العلاج ويتداوى فقد ذكر أسامط بن شريك رد النبي عليه الصلاة والسلام على الأعراب حينما سألوه عليه الصلاة والسلام: فقالوا يا رسول الله هل علينا جناحٌ ألا نتداوى؟ قال: «تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داءً إلا وضع معه شفاءً إلا الهرم قالوا يا رسول الله ما خيرٌ ما أعطي العبد قال خلقٌ حسن»^(٣).

ومن القواعد التي وضعتها سنة الرسول ﷺ لمكافحة انتشار الأمراض المعدية:

أولاً: العزل

يقصد به حجز المرضى الذين تظهر عليهم أعراض المرض، ويوصف بالتباعد الجسدي الاجتماعي للحفاظ على مسافة مع الأفراد الأصحاء^(٤)، وقد أمر الرسول ﷺ بتطبيق هذه القاعدة الوقائية فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُورَدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحِّ»^(٥).

المتأمل في تعليمات الرسول ﷺ حول التعامل مع الأمراض المعدية تجنباً لانتقالها للأصحاء يجدها سابقة للبروتوكولات الصحية التي عرفها الطب لاحقاً وفي زمن كان يربط فيه الناس وجود الأمراض بالأرواح الشريرة والسحر. فالحديث معناه «لا يؤتي مريض على صحيح سليم مخافة العدوى»^(٦) وهو يشير إلى العزل الصحي حيث ينهى الرسول ﷺ من أن يختلط المريض بالأصحاء وهو الإجراء ذاته الذي توصى باتخاذها منظمة الصحة العالمية للتعامل مع مرضى فيروس كوفيد-١٩ الذين ثبتت إصابتهم بالفيروس^(٧).

(١) صحيح البخاري، باب: رقية النبي ﷺ، رقم: ٥٧٤٣.

(2) Husnia, Rosya Nafsa (2020) Pengaruh religiusitas terhadap motivasi sembuh pasien rawat inap di RSUD Sumberrejo. Undergraduate thesis, Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim. <http://etheses.uin-malang.ac.id/19072/>.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧٨٩، وعلق عليه الألباني بأنه حديث صحيح.

(٤) انظر: محمد، شريف السيد (٢٠٢١): العزل الصحي والتغير في أنماط العلاقات الاجتماعية دراسة في إحدى قرى محافظة الاسماعلية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد: ٢٧، ص ٢٤٢، https://jfhsc.journals.ekb.eg/article_183880_95c31de1cd8723ac064730079611f32b.pdf

(٥) صحيح البخاري، باب: لا هامة رقم: ٥٧٧١، صحيح مسلم، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، رقم: ٢٢٢١ واللفظ لمسلم.

(٦) الدرر السنوية الموسوعة الحديثية ٢٥٦٨٠ <https://www.dorar.net/hadith/sharh/25680> تاريخ الاسترجاع ٢٠٢١/٩/٢.

(7) Bendebka, Fettane & Shogar (2020): Preventive Medicine and Maqasid Al-Shari'ah: The case of COVID-19.

ثانيا: الحجر الصحي:

يقصد به مكانٌ تقيد فيه حركة الأفراد المشتبه بمرض عن الآخرين بغرض رصد الأعراض واكتشافها وتتوقف مدة الحجر على الوقت اللازم لتوفير العلاج ومواجهة خطر انتشار العدوى^(٨).

ويعد الحجر الصحي من القواعد التي وضعتها سنة الرسول ﷺ لمنع انتشار العدوى الحجر الصحي فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ فِيهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»^(٩).

ما أشار إليه الرسول ﷺ في الواقع جاء سابقا لأحداث التعليمات الصحية التي تتخذها الدول لمكافحة انتشار الأوبئة، كالأجراءات التي اتخذت لمواجهة فيروس كوفيد-١٩ الذي انتشر في مطلع ٢٠٢٠. ومن بين البروتوكولات الصحية التي اتخذتها الدول بتوصيات من منظمة الصحة العالمية هو اتخاذ قرار الحجر الصحي في حال تفشي المرض في أغلب سكان منطقة من المناطق؛ حيث أن تفرض عليهم الإقامة، وإن لم تظهر عليهم الأعراض فهم حاملون للمرض، وقادرون على نقله^(١٠) في الوقت الذي أبلغنا الرسول ﷺ عن ذلك في زمن لا توجد فيه مختبرات ولا أدوات طبية متقدمة فنهى عن أن يخرج المقيمون في منطقة أصابها الطاعون لمناطق أخرى؛ خشية نشره، ونهى كذلك من أن يدخل عليهم ممن كان في الخارج خشية أن تنتقل له العدوى؛ فيصبح ناقلا لها بدوره.

ما يلتفت الانتباه هنا ربطه ﷺ البقاء وعدم الخروج من الأرض التي ينتشر فيها الطاعون والصبر على ذلك بأجر يعدل أجر الشهيد أليس يعد ذلك وقاية وحفظا لحياة الآخرين غير المصابين حيث جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عَنِ الطَّاعُونَ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ، فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ^(١١). ومن الوقاية كذلك لمكافحة انتشار الأوبئة أخذ التطعيم العام طالما كانت فيه وقاية من المرض فالرسول عليه الصلاة والسلام أمر بالتداوي وحث على طلبه^(١٢).

(٨) انظر: محمد، شريف السيد (٢٠٢١) : العزل الصحي والتغير في أنماط العلاقات الاجتماعية، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٩) صحيح البخاري، باب: ما يذكر في الطاعون، رقم: ٥٧٢٨

(10) Bendebka & others (2020): Preventive Medicine and Maqasid Al-Shari'ahP:8.

(١١) صحيح البخاري، باب: أجر الصابر على الطاعون، رقم: ٥٧٣٤

(١٢) الفنجري: مرجع سابق، ص٣٨.

المطلب الثاني:

الإشارات الطبية الوقائية الواردة في السنة النبوية والمتعلقة بصحة الفرد:

الإشارات الطبية الوقائية الواردة في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في تناول الطيبات:

التمر والحبة السوداء أنموذجا

مجال المباح من المَطعمومات والمشروبات يشمل كل ما لم يرد نص بتحريمه؛ فمجال المباح واسع، والمسلم يتناول ما شاء مما لذ وطاب مع الالتزام بأداب الطعام كالتسمية، والأكل باليمينى، والاعتدال في تناول الطعام، ومن آداب الطعام كذلك تجنب تناول الطعام ساخنا، وتجنب التنفس في الإناء أثناء الشرب فالرسول ﷺ نهانا عن كليهما، وقد ثبت لاحقا بأن الإتيان بتلك المنهيات له من الأضرار على صحة الإنسان الشيء الكثير^(١).

مما أشارت له السنة النبوية من الأطعمة أو الأشربة مما يزيد من المناعة ويبقى من الأمراض على سبيل المثال لا الحصر العسل، والتمر، وزيت الزيتون، والخل، والحبة السوداء، والتلبينة إلا أننا سنكتفي هنا بذكر مثالين من تلك الأطعمة وهما: التمر، والحبة السوداء.

أولا: التمر

أشارت سنة النبي ﷺ إلى أكل التمر ومن هذه الأحاديث: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمْ وَلَا سِحْرٌ»^(٢). وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «إِنَّ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَنَمَكُّتُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ»^(٣). وعن النبي ﷺ: «لا يجوع أهل بيت عندهم تمرٌ»^(٤). ويشير الطب الحديث بأن التمر يعد منجما غنيا بالمعادن، ويعد غذاء كاملا يحوي المواد الضرورية لغذاء الإنسان ففيه الألياف التي تقيد في علاج الإمساك، وتقي من السمنة، وحصيات المرارة، والتهاب القولون التشنجي، ومرض السكر، وارتفاع ضغط الدم المسؤول عن السكتات الدماغية والقلبية^(٥). كما أن ١٠٠ غرام من التمر تعطي خمس حاجة

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: رضوان، زين العابدين مصطفى (٢٠١٧) : الطب الوقائي في التغذية دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية، البيان دراسات قنا،

https://byn.journals.ekb.eg/article_96666_dad4f84a764203ada2eaf0a07eb2b8e2.pdf

(٢) صحيح البخاري، باب: العجوة، رقم ٥٤٤٥، وصحيح مسلم، باب: فضل تمر المدينة رقم: ٢٠٤٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٧٢.

(٤) صحيح مسلم، باب: في إدخال التمر ونحوه من الأقوات للعيال، رقم: ٢٠٤٦.

(٥) البسيط، موسى إسماعيل (٢٠٠٥): الغذاء والتغذية في ضوء الكتاب والسنة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد: ٦، ص ٢٢٧-٣٥٦.

الجسم من المغنسيوم وتقريبا نصف الحد الأدنى من البوتاسيوم^(١). أما في تخصيص نوع معين من التمر «العجوة»، وعدد معين فردي فقد ذكر بعض المتقدمين بأن تلك من الأمور التي لا يعلمها إلا الشارع عزوجل ولا نعلم حكمتها فيجب الإيمان بها والعمل^(٢)، بينما مؤخرا توصل الطب الحديث مثلما أوضحت إحدى الدراسات سر ذلك بأن تناول التمر بعدد فردي يحول التمر طاقة وكربوهيدرات، أما تناوله زوجيا يحوله سكاكر وبوتاسيوم وقد يؤثر ذلك في الكلى^(٣).

فيما يتعلق بمقاومة التمر للسموم فقد أجريت دراسات عدة فوجدت أن الكبد يفرز إنزيم مسؤول عن إبطال مفعول السم الداخلي، وعندما تدخل هذه السموم الجسم فإن هذا الإنزيم يرتفع أما عند تناول سبع تمرات عجوة لمدة شهر يوميا فقد وجد أن هذا الإنزيم بدأ يهبط، ويدخل في الوضع الطبيعي، وعند تتبع الحالة بعد سنة وجد أن هذا الإنزيم لا يرتفع بمعنى أن هناك وقاية وشفاء^(٤). وهناك دراسات أخرى كثيرة^(٥) أكدت فعالية التمر في مكافحة السموم فلقد أشارت نتائج إحدى الدراسات التي أجريت على ١٤ طالبا بإشراف أساتذة متخصصين في علوم الشريعة والأحياء والكيمياء في جامعة الزيتونة إلى أن أكل سبع تمرات صباحا بقي الإنسان من خطر السموم بما في ذلك سموم الأفاعي ومثيلاتها من الحشرات الضارة حيث أن سكب دم مجموعة الطلبة الذين داوموا على أخذ التمر صباحا على السم لم يفقد الدم خواصه بينما تغيرت خصائص دم المجموعة التي لم تتناول التمر بعد سكبه على السم وأصبح تالفا، ولونه مائلا للاصفرار^(٦).

ويحوي التمر مركب «١-٣ دي جلوكان» ومن أهم فوائده تنشيط جهاز المناعة، كما أن له مقدرة على الاتحاد والإحاطة والتغليف للمواد الغريبة بالجسم نتيجة تعرضها للأشعة مثل أشعة الحاسب الآلي، أو أكس الطلية، أو أشعة التلفزيون، أو الجوال، أو الأشعة فوق البنفسجية، أو الأشعة المنبعثة من الرحلات الجوية، ويحتويها ويدمرها^(٧).

كذلك أثر عن النبي عليه الصلاة والسلام بأنه كان يحنك المواليد بالتمر فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ،

(١) المرجع السابق.

(٢) الماعزي والقضاة: مرجع سابق، ص ١٢

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٢.

(٤) أحمد، أروى عبد الرحمن (د.ت): إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الميكروبات الضارة والممرضة، ورقة علمية مقدمة إلى المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ١٦٠-٢٠٥، رابطة العالم الإسلامي، <http://www.ejaz.org/index.php/component/research/item>

(٥) - للوقوف على تفاصيل كثيرة حول تلك الدراسات يرجى الإطلاع على المرجع السابق. ص ١٩٧-٢٠٠.

(٦) - المرجع السابق، ص ١٩٩

(٧) المرجع السابق، ص ١٧٢.

فَحَنَكُهُ بِتَمَرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ^(١). ومن وراء عمل النبي عليه الصلاة وحكمة بالغة حيث اتضح بأن حديثي الولادة يكون لديهم مستوى السكر (الجلوكوز) منخفضا في الدم، وكلما كان وزن الطفل أقل كان مستوى السكر منخفضا أكثر، ويترتب على هبوطه الشديد إلى مضافات خطيرة ومزمنة، كالتخلف العقلي، والتأخر في النمو، والنشل الدماغى ونوبات من الصرع، والحل يكون بسرعة إعطائه السكر مذابا في الماء عن طريق الفم أو الوريد^(٢). وما قام به ﷺ هو إعجاز طبي وقائي لحديثي الولادة لا سيما كل المواليد يكونون بحاجة إلى السكر.

ثانيا: الحبة السوداء «حبة البركة»

حدث النبي ﷺ على تناول الحبة السوداء مشيرا لأهميتها على صحة الإنسان فعن خالد بن سعد قال: خَرَجْنَا وَمَعَنَا غَالِبُ بْنُ أَبَجَرَ، فَمَرَضَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَعَادَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ، فَقَالَ لَنَا: عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبِيْبَةِ السُّودَاءِ، فَخَذُوا مِنْهَا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا فَاسْحَقُوهَا، ثُمَّ اقْطَرُوهَا فِي أَنْفِهِ يَقْطُرَاتٍ زَيْتٍ، فِي هَذَا الْجَانِبِ وَفِي هَذَا الْجَانِبِ؛ فَإِنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْنِي: أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ السُّودَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا مِنَ السَّامِ. قُلْتُ: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: الْمَوْتُ^(٣).

تعد الحبة السوداء من أقدم النباتات الطبية استعمالا في الطب الشعبي، وتثبت الدراسات العلمية فوائدها الطبية، ومن أهمها تنشيط جهاز المناعة فقد أجريت دراسة على عدد من المتطوعين لديهم نقص في نوع من أنواع اللبافويات، وقسم المتطوعون إلى ثلاث مجموعات الأولى أعطيت يوميا غرام من مسحوق الحبة السوداء معبأة في محافظ. والمجموعة الثانية أعطيت محافظا لا دوائية. والمجموعة الثالثة التي لم تعط أي شيء وبعد خمسة أسابيع فورنت تحاليل الدم قبل خمسة أسابيع وبعدها فظهرت النتائج بأن المجموعة الأولى زيادة نسبة اللبافويات التي كانت تعاني المجموعة من نقصها في الدم بينما لم يوجد أي تغيير لدى المجموعتين الأخريتين^(٤). وعلق صاحب موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على الدراسة السابقة وغيرها من الدراسات المماثلة أنها أثبتت بدون شك أن الحبة السوداء تنشط جهاز المناعة في جسم الإنسان مما يفتح المجال واسعا لاستطببات الحبة السوداء في المعالجة والاستشفاء من جميع الأمراض الإنتانية والفيروسية وذلك بتقويتها للدفاع الذاتي ومساعدتها للتغلب على الأمراض القاهرة^(٥).

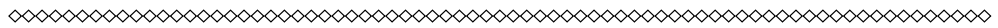
(١) أخرجه الشيخان: البخاري، باب: تسمية المولود غداة يولد لمن لن يعق عنه وتحنيكه، رقم: ٥٤٦٧، وصحيح مسلم، باب: استحباب تحنيك المولود، رقم: ٢١٤٥.

(٢) أحمد، يوسف الحاج: الموسوعة العلمية في القرآن والسنة النبوية، مرجع سابق، ص ٧٦٥-٧٦٦.

(٣) صحيح البخاري، باب: الحبة السوداء، رقم: ٥٦٨٧.

(٤) أحمد، يوسف الحاج (٢٠٠٢): موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط: ٢، مكتبة دار ابن حجر، دمشق، ص ٨٠٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٠٨.



وفي دراسة أخرى هدفت إلى الوقوف على تأثير الخلاصة الميثانولية لبذور الحبة السوداء مع الحلبة في مستوى السكر، والكوليسترول، والشحوم الثلاثية HDL و LDL في مصل الدم في الأرانب، وقد أشارت نتائج البحث التجريبي إلى حدوث انخفاض في مستوى السكر، والكوليسترول، والشحوم الثلاثية سالفة الذكر في مجموعة الأرانب التي أعطيت الخلاصة الميثانولية لبذور الحبة السوداء والحلبة مقارنة بالمجموعات التي لم تعطى الخلاصة^(١).

وفي دراسة أخرى هدفت إلى بيان التأثير العلاجي لزيت الحبة السوداء على كل من التسمم الكبدي والتسمم الكلوي المحدث معمليا باستخدام عقار الأسيتامينوفين وأظهرت نتائج الدراسة بأن زيت الحبة السوداء له دور فعال في التثام كل من نسيجي الكبد والكلى في الفشل الكبدي الكلوي المحدث تجريبيا بعقار الأسيتامينوفين^(٢).

الإشارات الطبية الوقائية الواردة في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في ترك المحرمات:

الشريعة الإسلامية حرمت أصنافا محددة من المَطعومات والمشروبات لمقاصد عدة منها حفظ صحة الإنسان، ونكتفي هنا بذكر صنفين من المحرمات بدليل من السنة النبوية وهما:

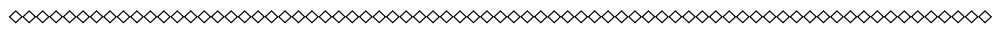
أولاً: الخمر

حرمت الشريعة الإسلامية شرب الخمر لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة: ٩٠، وورد في السنة النبوية أحاديث مؤكدة لتحريم الخمر منها عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»^(٣). وروي أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدِ الْجَعْفِيِّ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخَمْرِ فَتَنَاهَا، أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ»^(٤).

- (1) S. HOOR and A. ALABBD (2015): COMPARATIVE EFFECT OF METHALONIC EXTRACT OF SYRIAN FENUGREEK AND NIGELLA SATIVA SEEDS ON SOME BIOCHEMICAL PARAMETERS IN MALE DIABETIC RABBITS, Article 31, Volume 61, Issue 147, Autumn 2015, Page 15-28, Assiut University web-site: www.aun.edu.eg.
- (2) Othman, Hmaed; Mohammed, Saed; Sayed, Sayed Abdul Raheem; Emara, Ashraf (2018): EVALUATION OF THE POSSIBLE CURATIVE EFFECT OF NIGELLA SATIVA LINN OIL ON EXPERIMENTALLY ACETAMINOPHEN-INDUCED HEPATOTOXICITY AND NEPHROTOXICITY IN ADULT MALE ALBINO RATS, Al-Azhar Medical Journal, DOI : 10.12816/0052255, Article 11, Volume 47, Issue 2, Spring 2018, Page 285-304.

(٣) صحيح مسلم، باب: أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، حديث رقم: ٢٠٠٢

(٤) صحيح مسلم، باب: تحريم التداوي بالخمر، حديث رقم: ١٩٨٤.



الحديث عن أضرار الخمر على حياة الإنسان في دينه وصحته الجسدية وعقله وعلاقته الاجتماعية وعلى الجانب الاقتصادي يطول ولكن نتناول باختصار مضارها هنا على صحة الإنسان البدنية والنفسية والعقلية لكونها لها علاقة بالطب الوقائي ويمكن إجمالها في المضار الآتية على سبيل المثال لا الحصر:

تؤثر الخمر تأثيراً مباشراً على الخلية الكبدية حيث تؤدي إلى اضطراب استقلاب الكبد المواد الغذائية في الكبد فيمتلئ بالدهون ويتشمع أو يتهب التهاباً حاداً وفي النهاية يتشمع الكبد ويفقد وظيفته، كما لها تأثيرٌ في القلب والدم حيث تناولها يؤدي إلى اعتلال عضلة القلب وفقر الدم الخبيث^(١).

من مضار الخمر على الجانب النفسي للإنسان أن الإدمان عليها يتسبب في الكثير من الاعتلالات النفسية منها الإصابة بمرض الاكتئاب، والفصام الحاد، والاضطراب الذهاني، والاضطراب ثنائي القطب والانتحار^(٢).

للخمر أضرار على العقل ووظائفه فمن المسلم به أن الخمر يتسبب في تخدير المراكز العصبية العليا في مخ الإنسان مما يؤدي إلى بطء سريان الدم في شرايين المخ الأمر الذي يترتب عليه بطء في الإدراك وبطء في ردود الفعل وكذلك صعوبة في التحكم في الجسم وفقدان الاتزان، وقد يتطور الأمر مع مرور الوقت باحتمالية الإصابة بالسكتة الدماغية^(٣).

تؤثر الخمر في صحة أجنة الحوامل المتعاطيات للخمر فثبت بأنهم أقل وزناً وطولاً ساعة ولادتهم عن أقرانهم ممن لا تتعاطى أمهاتهم الخمر، كما لوحظ أنهم يعانون من صغر حجم الرأس، وقصور في مفاصل الأيدي والأرجل وشقوق بأعلى باطن الفم وأعراض عادية في القلب، وقد لوحظ عليهم بتتبع نموهم قصور في النمو الذهني وفي القدرة على استخدام العضلات^(٤).

وقد زعم عدد من الأطباء القدامى - حتى في وقتنا المعاصر - بأن في الخمر دواءً لبعض الأمراض والعلل ولكن ما أوضحه العلم اليوم بأنها صحيح قد تكون لها منافع طبية، ولكن لا يمكن أن تكون دواءً، وقد تناول صاحب كتاب موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة^(٥) مسألة التدوي بالخمر فأوضح من خلال استعراض الأقوال التي ذكرت بأن الخمر تستخدم لإذابة بعض

(١) الصاوي: إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) مقال بعنوان: أضرار إدمان الخمر على الحياة الاجتماعية للفرد، تاريخ النشر: ١٥/١٢/٢٠٢٠، موقع أدوكونسيل لإعادة التأهيل وخدمات الصحة النفسية الخاصة بلندن: <https://addcounsel.com/ar>

(٣) المقال السابق.

(٤) العمري، أسماء (٢٠١٦): التدابير الشرعية للوقائية من الإعاقة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ١، ص ٢٧١-٢٩١.

(٥) انظر: أحمد، يوسف الحاج، الموسوعة العلمية في القرآن والسنة النبوية، مرجع سابق، ص ٦٢٨-٦٢٧.



الأدوية التي هي عبارة عن مواد قلووية، أو دهنية، وقد أجاز المسلمون ذلك وفق ضوابط عدة^(١) أما استخدام الخمر الصرف كعلاج فإن البحوث الحديثة تثبت بأن الخمر داء، وسبب للكثير من العلل والأمراض، فإن توهم بعض الأطباء نفعها لعلاج داء معين فإنها تخلف أمراضاً أخرى تفكك بجسم الإنسان، وقد جاء في أشهر معجم طبي ببريطانيا: «إن الكحول هو السم الوحيد المرخص تداوله على نطاق واسع في العالم كله... إن جرعة من الكحول قد تسبب التسمم وتؤدي إما إلى الهيجان أو الخمود أو الغيبوبة...»^(٢)، ويثبت حديث رسول الله عليه السلام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً أن الخمر ليست دواء حيث قال فيها: «ليس بدواءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ!».

ثانياً: الخنزير

جاء تحريم الخنزير بشكل قاطع بنصوص عدة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٢). وأكدت سنة النبي عليه الصلاة والسلام على تحريم الخنزير فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ، وَالْخَنزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطَلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدَهَّنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: لَا، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهَا، ثُمَّ بَاعُوهَا فَأَكَلُوهَا ثُمَّ نَمَنُوا^(٣).

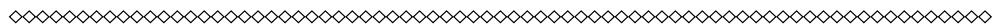
مما لا شك أن هناك حكمة من وراء ذلك التحريم فقد أظهرت الأبحاث العلمية أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من البولييك من البولييك تعادل ٩٨٪ ولا يخرج منها إلا ٢٪. ولذا تناول لحوم الخنزير تؤدي إلى ارتفاع حمض البولييك في بلازما دم الإنسان، ومعلوم أن ارتفاعها يكون سبباً لالتهاب المفاصل، وأمراض القلب، والنقرس، وارتفاع ضغط الدم وتشكل حصوات في الكليتين والمرارة وغيرها من الأمراض. كذلك زيادة هرمون النمو والدهون الحيوانية مما يؤدي ذلك إلى زيادة فرصة الإصابة بالسرطان لا سيما الأمعاء الغليظة، والبروستاتا، والمستقيم، وسرطان المرارة، والكبد^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ٦٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٢٨.

(٣) صحيح مسلم، باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، حديث رقم: ١٥٨١.

(٤) سرحان، نادي قبيصي والبشير، حسن (٢٠١٥): مخاطر الخنزير وأهم استخداماته المعاصرة دراسة فقهية طبية مقارنة، مجلة جامعة المدينة العالمية «مجمع»، العدد ١١، ص ٢٨٧ - ٢٣٠.



كما يحتوي الخنزير على الكثير من الجراثيم التي تسبب لآكله أمراض كثيرة معظمها معد، وبعضها قاتل، ومن الأمثلة على الأمراض الجرثومية والفيروسية التي يسببها تناول لحم الخنزير الالتهاب السحائي المخي وهو التهاب يؤدي إلى الجنون أو الموت وفقدان السمع والبصر، ومرض الحمرة الخنزيرية وهو مرض ينتقل من لحم الخنزير إلى الجزارين والداغين ويكون بشكل لوحة محمرة حارقة على الأيدي يصاحبها ارتفاع درجة الحرارة وقشعريرة والتهاب العقد والأوعية الليمفاوية^(١).

يحتوي الخنزير كذلك على طفيليات وديدان كثيرة^(٢) تسبب أمراضا خطيرة منها على سبيل المثال: الديدان المستديرة وهي نوع من الديدان يصل طوله ١٠ بوصة وتسمى الدودة السامة لأنها تصل لجميع أعضاء الإنسان وتسبب الالتهاب الرئوي وإذا وصلت للقنصات الهوائية فإنها تسبب الاحتقان، كما تسبب التهاب الأمعاء، أيضا دودة البلهارسيا الأسيوية ويصاب الإنسان بها إذا لامس أو اغتسل بماء به يرقات تلك الدودة وهي تخترق جدار الأمعاء والكبد وتصيب المخ والنخاع الشوكي بأمراض عديدة تؤدي إلى الشلل أو الوفاة^(٣).

وقد يظن بعضهم أن وضع الخنزير في حظائر نظيفة وتقديم طعام نظيف قد يجعل تناول لحمه آمنا لكن تبين أنه بالرغم من ذلك وجد يأكل من فضلاته، كما أن الطرق العادية في تمليح وتدخين لحم الخنزير - مثلما أشار أحد الأطباء في مقاله الذي نشره في ٣١ مايو ١٩٥٢ في صحيفة الواشنطن بوست بعنوان «مخاطر تناول لحم الخنزير» - لا تقتل الديدان^(٤). يتضح ما سبق أن ترك تناول لحم الخنزير يحفظ للإنسان صحته، وبقية من التعرض لكثير من الأمراض التي يؤدي بعضها إلى الوفاة.

ج- الإشارات الطبية الوقائية الواردة في السنة النبوية المتعلقة بصحة الفرد في السلوكيات والعادات الصحية في الحياة:

أولا: الحجامة

يقصد بها إخراج الدم بعد الشرط بالحجم من أي مكان بالبدن^(٥) ومشروعية التداوي بالحجامة ثابتة عن الرسول ﷺ فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه سئل عن أجر الحجامة،

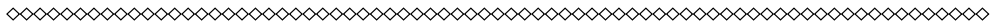
(١) المرجع السابق، ص ٣٠٨.

(٢) للوقوف على تفاصيل أكثر الرجوع إلى: قوش، سليمان (د.ت): حكمة وأسباب تحريم لحم الخنزير في العلم والدين، (د.ط)، دار البشير، القاهرة، ص ٢٤-٢٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥، ٣٠.

(٤) قوش: حكمة وأسباب تحريم لحم الخنزير، مرجع سابق، ص ١٨، ٢٢-٢٣.

(٥) الجبوري، أحمد عواد (٢٠١١): الحجامة وأثرها في العبادات، مجلة العلوم الإسلامية، العدد: ٦، ص ٤٨-٨٣.



فَقَالَ: احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ، وَأَعْطَاهُ صَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ مَوْلِيَهُ فَخَفَّمُوا عَنْهُ، وَقَالَ: إِنَّ أُمَّتَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ. وَقَالَ: لَا تُعَذِّبُوا صِبْيَانَكُمْ بِالْعَمَزِ مِنَ الْعُذْرَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقُسْطِ^(١). وروى جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ -أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ- خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةِ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكْتُوبِي»^(٢).

تعمل الحجامة على تنقية الدم من الشوائب والكريات الدموية الفاسدة الأمر الذي يؤدي إلى زوال خطر نقص التروية الدموية فيحافظ الجسم على نشاطه وحيويته وصحته وتعود له عافيته في حال مرضه حيث يتسبب مرض نقص التروية في قصور وظائف أعضاء الجسم خاصة إذا اقترن مع زيادة عدد كريات الدم الفاسدة مما يؤدي إلى بطء في مرور الدم في الأوعية مما يرفع مستوى خطورة التخثر داخل الأوعية الدموية^(٣). وهي تقوم بتنشيط جميع الغدد ومنها الغدد الليمفاوية مما يزيد من مناعة الجسم ومقاومته للأمراض والفيروسات، كذلك تعمل على تنشيط جميع الغدد وتنشيط مراكز المخ^(٤).

للحجامة أهمية في حماية جميع أعضاء الجسم من القصور والتلف^(٥) ومن تلك الأعضاء على سبيل المثال الكبد فالحجامة تساعد الكبد على تصريف الكوليسترول والشحوم الثلاثية الزائدة في الجسم وبذا فهي تهيئ الكبد للقيام بوظيفته كمخزن لسكر الدم الزائد ولتخليص الجسم من السموم فينشط الجسم وتجدد خلاياه التالفة^(٦). وكذلك للحجامة -كمثال آخر- أهمية كبيرة لوقاية القلب وحمايته فقد تبين أنها تقوي القلب من التعرض لمرض «اضطراب النظام القلبي» ومرض «احتشاء العضلة القلبية» الناجمان عن نقص التروية^(٧).

أثبتت الدراسات العلمية أهمية الحجامة، وهدفت هذه الدراسات إلى محاولة التعرف بأهم الآثار والتغيرات النفسية والوظيفية والشخصية والاجتماعية والمادية والدينية والبدنية المتعلقة بنمط نوعية الحياة الصحي في وسط مرضى آلام الظهر المزمنة بعد التداوي بالحجامة. وتكونت عينة الدراسة ٥٤ مريضا يعانون من آلام الظهر. وبعد إجراء التحليل الإحصائي أشارت النتائج

(١) صحيح البخاري، باب: الحجامة من الداء، حديث رقم: ٥٦٩٦.

(٢) صحيح البخاري، باب: الدواء بالعسل، حديث رقم: ٥٦٨٣.

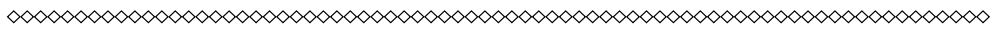
(٣) كفالي، خولة: الحجامة ودورها في التخفيف من حدة أعراض الاضطرابات السيكوسوماتية، رسالة ماجستير غير منشورة، السنة الجامعية ٢٠١٣/٢٠١٤، جامعة العربي بن مهدي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، أم البواقي.

(٤) أحمد، الموسوعة العلمية في القرآن والسنة النبوية، ص ٨٥٦.

(٥) لتفاصيل أكثر انظر: كفالي، مرجع سابق، ص ٥٢ - ٦٢.

(٦) كفالي: الحجامة ودورها في التخفيف من حدة أعراض الاضطرابات السيكوسوماتية، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٧) المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦. وللوقوف على تفاصيل



إلى وجود أثر إيجابي على جميع الأبعاد والمجالات في وسط من يعانون من آلام الظهر المزمنة، كما أن التحسن في مجال من تلك المجالات يشير إلى وجود تحسن في المجالات الأخرى^(١).

ووفقا للدراسات العلمية، فإن للحجامة أثرا إيجابيا على الجانب النفسي، حيث هدفت بعض الدراسات إلى الوقوف على مدى فعالية الحجامة في التخفيف من الضغوط النفسية سواء كان ذلك لفعالية المعتقد أو بفعالية الأثر البدني للحجامة، وطبقت الدراسة على أربع نساء يعانين من الضغوط النفسية، وأجريت مقابلة لهن قبل الحجامة وتطبيق اختبار ليفانستاتين لهن. وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية الحجامة في التخفيف من الضغوط النفسية، وهي أحسن علاج وقائي من أمراض عدة ولا سيما بعد سن الأربعين^(٢). إن اتباع هدي النبي ﷺ في الحجامة يقي الإنسان من التعرض لكثير من الأمراض الجسدية والنفسية والعقلية لكونها تعمل على تقوية الدم الذي يكر على جميع أعضاء الإنسان.

ثانيا: تجنب الغضب:

حث الرسول ﷺ على تجنب الغضب فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٣). ونهى ﷺ مرارا وتكرارا عن الغضب وما ذلك إلا لخطورته وتأثيره في الإنسان فقد سأله أحد الصحابة بأن يوصيه قال الرسول ﷺ: «لا تغضب» ثم ردد مرارا، قال لا تغضب^(٤)، ووجه النبي ﷺ أتباعه إلى أقوال وأفعال تذهب ثورة الغضب وتنفس عنهم كالتعود من الشيطان فعن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانُ فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرَ وَجْهَهُ وَأَنْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ وَهَلْ بِي جُنُونٌ»^(٥).

وما كان نهيه ﷺ عن الغضب إلا لكونه يخلف عواقب وخيمة على الفاضب في مجالات عدة إلا أن تركيز البحث هنا على مشكلات الإنسان الصحية. فالغضب ثبت بأنه يثير الجهاز العصبي مسببا هيجانه، ويضعف جهاز المناعة، ويجعل الفاضب عرضة للأمراض ففي عام ١٩٩٢ قام

(١) أبو الحسن، وائل ونصرالله، زياد (٢٠١٤): الآثار الصحية المتعلقة بنوعية حياة مرضى آلام الظهر المزمنة بعد الحجامة: دراسة اكلينيكية استكشافية، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، 1090/http://repository.aau.edu/jspui/handle/123456789

(٢) خان، عبير (٢٠٢٠): فعالية الحجامة في التخفيف من الضغوط النفسية دراسة عيادية لاربعة حالات (نساء)، رسالة ماجستير، غير منشورة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

(٣) صحيح البخاري، باب: ما يجوز من الغضب والشدة لله تعالى، حديث رقم: ٦١١٤

(٤) صحيح البخاري، باب: الحذر من الغضب، حديث رقم: ٦١١٦

(٥) صحيح البخاري، باب: صفة إبليس وجنوده، حديث رقم: ٢٢٨٢

فريق من الباحثين بتصوير ٩٠ فرداً متزوجين حديثاً وهم يقضون ٣٠ دقيقة محاولين إصلاح ذات البين في مشكلات زوجية وكانت أهم النتائج التي خرجوا بها أن الأزواج الذين يرتفع غضبهم وجد نقص لديهم في البلعميات (التي تستهل نشاط المناعة) ونقص في نشاط العدلات (مهمة في مقاومة البكتريا) واستجابة متوسطة لفيروسات كامنة، هذه الاستجابة ممكن أن تؤدي إلى عدد من المشاكل الطيبة طويلة الأمد، بينما الأزواج الذين عبروا عن مواقفهم بحزم متجنبيين الغضب الشديد تتناقص لديهم الآثار السلبية^(١).

كذلك يسبب الغضب مرض القلب الأكليلي فمن أهم الدراسات التي يسترشد بها الدراسات التي أجراها بيرفوت (Berfoot) وزملاؤه على عدد من طلاب كلية الحقوق لمدة (٣٠ سنة)، وعدد من طلاب الطب لمدة ٢٥ سنة، وعدد من الراشدين الأكبر سناً الذين تابعتهم الدراسة لمدة ١٥ سنة، وعدد من راشدين دانمركيين أكبر عمراً تابعتهم الدراسة لمدة ٢٧ سنة أوضحت النتائج أن هناك علاقة بين الغضب والعداء وبين حدوث مرض القلب الوعائي وحوادث الموت عند عينة الدراسة حتى حين يكون العمر والحالة الصحية وعوامل الخطر التقليدية كالتدخين ومستوى الشحوم وضغط الدم مسيطراً عليها^(٢). وربطت دراسات عدة بشكل وثيق ومطرد بين الغضب وأمراض خطيرة كارتفاع مستويات الكوليسترول في الدم والسكتة والسرطان^(٣).

تبين الدراسات العلمية اليوم بأن كبح الغضب وكبته يولد مشكلات صحية^(٤) ولذا من المهم إدارة الانفعال ففي دراسة قام بها فريق من الباحثين هدفت إلى التعرف بفاعلية برنامج قائم على الدعم النفسي للجوانب الإيجابية في الشخصية لدى طلاب الجامعة وبلغت عينة الدراسة ٦٦ طالبة صنفن بأنهن من ذوات الغضب المرتفع، وقسمت العينة إلى ٨ طالبات في المجموعة التجريبية، و٨ طالبات في المجموعة الضابطة، وطُبِّق مقياس الغضب قبل تطبيق البرنامج التدريبي وبعده على ٨ طالبات يتسمن بأنهن من ذوات الغضب المرتفع لمعرفة أثر البرنامج وأظهرت نتائج الدراسة وجود أثر إيجابي لتطبيق البرنامج في تخفيض حدة الانفعال لدى عينة الدراسة، كما أسفر البرنامج في تنمية جوانب إيجابية في الشخصية التي من بينها القدرة على التسامح، والتحلي بالهدوء، والحكمة، والثقة بالنفس، وتقبل النقد، وغيرها^(٥).

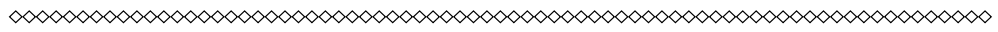
(١) كاسينوف، هوارد وتافرات، ريمون (٢٠٠٦): الغضب إدارته وعلاجه: دليل الممارسين الكامل في العلاج، ترجمة: فاطمة صبري، ط: ١، مكتبة العبيدكان، ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٣) لمزيد من التفاصيل: المرجع السابق، ص ٩٦-١٠٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٥) الموالفي، فؤاد، البناء، إسعاد ودرغام، منى (٢٠١٦): مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، عدد: ٤٢، ص ص ٤٠١-٤٣٥ بحث مستل من رسالة دكتوراه.



وهدفت دراسة أخرى إلى التعرف بإدارة الغضب والصحة النفسية لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بجدة وكانت عينة الدراسة مكونة من ٢٠٠ طالب وطالبة. استخدم الباحث مقياس إدارة الغضب ومقياس الصحة النفسية، وأظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية موجبة بين إدارة الغضب والصحة النفسية^(١).

إن ما توصلت له نتائج الدراسات الحديثة أرشدنا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فبين لنا أن القوي ليس الذي يصرع الناس، إنما الذي يقود نفسه، ويملك أمرها، ويتحكم فيها، فلا ينفعل وذلك بطبيعة الحال وفق اعتبارات عدة فقد يكون منها استحضاره للعواقب الوخيمة التي يخلفها غضبه، أو إدراكه بأنه في موقف أقوى بأن يمسك لسانه ويده عن الآخرين. ومن التوجيهات النبوية تعوذ الإنسان من الشيطان؛ فيكون بمنأى عن وسوسته، وذلك كفيلاً أيضاً بأن يهدأ الإنسان، ويستجمع قواه، ويتصرف بعقلانية.

التوصيات:

أن يعمل القائمون على هذا المؤتمر على ترجمة الأوراق البحثية المكتوبة باللغة العربية إلى لغات حية أجنبية ونشرها في مجلات أجنبية محكمة بهدف تعريف الآخرين بأن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق من رب العالمين.

إجراء مزيد من الدراسات العلمية فيما أشارت إليه سنة الرسول ﷺ أخذاً به، أو تركاً له؛ إيماناً بأنه لا ينطق عن الهوى.

إقامة مؤتمر يلتقي فيه أهل الاختصاص في المجالات العلمية المختلفة في العالم مع المتخصصين في العلوم الشرعية من أجل الربط بين ما توصل له الطب وما أوصت به الشريعة الإسلامية عامة والسنة النبوية خاصة.

المراجع:

أحمد، أروى عبدالرحمن (د.ت): إعجاز التمر في الشفاء والوقاية من الميكروبات الضارة والممرضة، ورقة علمية مقدمة إلى المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ١٦٠-٢٠٥، رابطة العالم الإسلامي، <http://www.eajaz.org/index.php/component/research/item>

أحمد، يوسف الحاج (٢٠٠٣): موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط: ٢، مكتبة

(١) السيد، صلاح عبد المجيد (٢٠٢١): إدارة الغضب وعلاقتها بالصحة النفسية لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بجدة، المجلة العربية والتربوية والنفسية، المجلد: ٥، العدد: ٢٢، يوليو ٢٠٢١، ص ص ٨٩-١٠٢.

دار ابن حجر، دمشق.

البسيط، موسى إسماعيل (٢٠٠٥): الغذاء والتغذية في ضوء الكتاب والسنة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد:٦، صص٢٢٧-٣٥٦.

الجبوري، أحمد عواد (٢٠١١): الحجامة وأثرها في العبادات، مجلة العلوم الإسلامية، العدد:٦، صص٤٨-٨٣، <https://www.iasj.net/iasj/article/22662>

أبو الحسن، وائل ونصرالله، زياد (٢٠١٤): الآقار الصحية المتعلقة بنوعية حياة مرضى الأم الظهر المزمنة بعد الحجامة: دراسة اكلينيكية استكشافية، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، 1090/http://repository.aaup.edu/jspui/handle/123456789.

حلاوين، هشام خضر (٢٠١٨): التدابير الوقائية الصحية والبيئية في السنة النبوية دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية الشريعة.

خان، عيبر (٢٠٢٠): فعالية الحجامة في التخفيف من الضغوط النفسية دراسة عيادية لاربعة حالات (نساء)، رسالة ماجستير، غير منشورة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

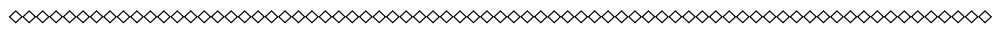
رضوان، زين العابدين مصطفى (٢٠١٧): الطب الوقائي في التغذية دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية، البيان دراسات قنا، https://byn.journals.ekb.eg/article_96666_dad4f84a764203ada2eaf0a07eb2b8e2.pdf

السباعي، مصطفى (١٩٨٥): السنة النبوية ومكانتها، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت. سرحان، نادي قبيصي والبشير، حسن (٢٠١٥): مخاطر التخزين وأهم استخداماته المعاصرة دراسة فقهية طبية مقارنة، مجلة جامعة المدينة العالمية «مجمع»، العدد:١١، صص ٢٨٧-٢٣٠.

سليمان، هند بابكر (٢٠٠٩): الطب الوقائي في السنة النبوية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب.

السيد، صلاح عبد المجيد (٢٠٢١): إدارة الغضب وعلاقتها بالصحة النفسية لدى طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بجدة، المجلة العربية والتربوية والنفسية، المجلد:٥، العدد:٢٢، يوليو ٢٠٢١، صص ٨٩-١٠٢.

المنجري، أحمد شوقي (١٩٩١): الطب الوقائي في الإسلام تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:٢.



القضاة، عبد الحميد (١٩٨٧): تفوق الطب الوقائي في الإسلام، ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر: المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد ١٧-٢٠ أكتوبر ١٩٨٧، تم تحميل الورقة من موقع: www.pdfactory.com

ابن القيم، محمد بن أبي بكر (د.ت): الطب النبوي، مراجعة وتحقيق وتعليق وتخريج عبد الغني عبد الخالق وآخرون، دار الفكر، بيروت.

قوش، سليمان (د.ت): حكمة وأسباب تحريم لحم الخنزير في العلم والدين، (د.ط)، دار البشير، القاهرة

كاسينوف، هوارد وتافرات، ريمون (٢٠٠٦): الغضب إدارته وعلاجه: دليل الممارسين الكامل في العلاج، ترجمة: فاطمة صبري، ط: ١، مكتبة العبيدكان.

كفالي، خولة: الحجامة ودورها في التخفيف من حدة أعراض الاضطرابات السيكوسوماتية، رسالة ماجستير غير منشورة، السنة الجامعية ٢٠١٢/٢٠١٤، جامعة العربي بن مهدي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، أم البواقي.

الماعزي، صالح الأمين والقضاة، أشرف (٢٠١٨): التفسير العلمي للأحاديث النبوية الشريفة، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة-تفسير-حديث)، 5201-ISSN 2410، ٦٢ع، السنة: ٢، ص ص ٣٧١-٣٩٨.

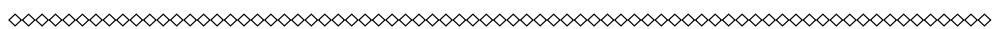
محمد، شريف السيد (٢٠٢١): العزل الصحي والتغير في أنماط العلاقات الاجتماعية دراسة في إحدى قرى محافظة الاسماعلية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد: ٢٧، ص ٢٤٢، https://jfhsc.journals.ekb.eg/article_183880_95c31de1cd8723ac064730، 079611f32b.pdf

مقال بعنوان: أضرار إدمان الخمور على الحياة الاجتماعية للفرد، تاريخ النشر: ٢٠٢٠/١٢/١٥، موقع أدوكونسيل لإعادة التأهيل وخدمات الصحة النفسية الخاصة بلندن: [/https://addcounsel.com/ar](https://addcounsel.com/ar)

الموافي، فؤاد؛ البنا، إسعاد ودرغام، منى (٢٠١٦): مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، عدد: ٤٢، ص ص ٤٠١-٤٢٥ × بحث مستل من رسالة دكتوراه.

العمرى، أسماء (٢٠١٦): التدابير الشرعية للوقائية من الإعاقة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد ١٢، عدد ١، ص ص ٢٧١-٢٩١.

- ALbar, Adam; L. Liu, Ching: Health an Islam PREVENTIVE MEDICINE IN ISLAM: APPLICATION OF ISLAMIC TEACHINGS



IN RELATION TO THE CONTROL OF SOME COMMUNICABLE DISEASES, http://207.21.239.40/hip/adnan_albar_ching.html.

AL-Sawi, Abdul AL-Jwad : The scientific Signs in the Quran and the Sunnh Regarding Preventive Medicine and Mcroorganisms. Islamic World League. www.Islamic Invitation.com

- Bendebka, Ramzi and others (2020): Preventive Medicine and Maqasid Al-Shari'ah: The case of COVID-19, Revelation and Science, Vol. 10, No. 01 (1442H/2020) 112-, <fileCUUsersiMDownloads259-Article%20Text-1073-1-20200917-10.pdf>

- Husnia, Rosya Nafsa (2020) Pengaruh religiusitas terhadap motivasi sembuh pasien rawat inap di RSUD Sumberrejo. Undergraduate thesis, Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim. <http://etheses.uin-malang.ac.id/19072/>.

Othman, Hmaed; Mohammed, Saed; Sayed, Sayed Abdul Raheem; Emara, Ashraf (2018): EVALUATION OF THE POSSIBLE CURATIVE EFFECT OF NIGELLA SATIVA LINN OIL ON EXPERIMENTALLY ACETAMINOPHEN-INDUCED HEPATOTOXICITY AND NEPHROTOXICITY IN ADULT MALE ALBINO RATS, Al-Azhar Medical Journal, DOI : 10.128160052255/, Article 11, Volume 47, Issue 2, Spring 2018, Page 285304-

S. HOOR and A. ALABBD (2015): COMPARATIVE EFFECT OF METHALONIC EXTRACT OF SYRIAN FENUGREEK AND NIGELLA SATIVA SEEDS ON SOME BIOCHEMICAL PARAMETERS IN MALE

DIABETIC RABBITS, Article 31, Volume 61, Issue 147, Autumn 2015, Page 1528-, Assiut University web-site: www.aun.edu.eg.

د. علي مصري سيمجان فوترا
الأستاذ المشارك بكلية الإمام الشافعي للدراسات الإسلامية بإندونيسيا

الإعجاز العلمي في الوقاية من الوباء من خلال التوجيهات الإسلامية

Scientific Miracles in Preventing Epidemy Through Islamic Teaching

Since the light of Islam shone more than fourteen centuries ago, many scientific miracles have emerged from day to day from Islamic law and its guidance in various aspects of human life, including scientific miracles that emerged through Islamic trends in preventing epidemics infectious viruses. Islam predates global health agencies and health experts since centuries ago because it requires and advocates adherence to Islamic etiquette, which protects people from infectious diseases, even though the messenger of this message, namely Prophet Muhammad, shallallahu alaihi wasalam, did not learn from the medical experts or through formal health education. It indicates that what he taught was Allah's revelation, the All-Knowing, the Wisest, that can increase the Muslim's belief and love for this noble religion and calls on non-Muslims to believe in and have faith in it. This paper will discuss the scientific miracle of Islamic trends related to the preventive treatment of epidemics and infectious viruses based on Sharia texts, including sneeze ethics, etiquette in consuming food, and Islamic directions regarding preventing epidemics and infectious viruses mentioned in the Prophet's Sunnah, both before and after their occurrence.

منذ أن سطع نور الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً تظهر عجائب علمية كثيرة من تشريعاته وتوجيهاته يوماً بعد يوم في مخلف نواحي الحياة البشرية، ومن ذلك ما ظهر من الإعجاز العلمي من خلال التوجهات الإسلامية في الوقاية من الوباء والفيروسات المعدية. وقد سبق الإسلام هيئات الصحة العالمية والخبراء الصحية في هذا الأمر بقرون بعيدة، حيث شرع وحث على الالتزام بالآداب الإسلامية التي تقي البشر من الأمراض المعدية، مع أن حامل هذه الرسالة وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك من الخبراء الطبية ولا في

المدارس الصحية، وهذا يدل على أن ما جاء به يتلقاه من الله العليم الخبير. وهذا الأمر يزيد في نفس المسلم يقيناً وتعظيماً ومحبةً لهذا الدين الحنيف، ويدعو غير المسلم إلى التصديق والإيمان به.

التقديم

إن الدين الإسلامي دين كامل متكامل في جميع شؤون الحياة البشرية، لا يهتم بجانب دون جانب بل يربط بين الأمور الدنيوية والحياة الأخروية، وبين الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، وبين المسائل العقدية والمسائل السلوكية وبين أحكام العبادات وأحكام المعاملات، وبين الحاجات الفردية والحاجات الاجتماعية.

ومن امتثل أو امره فاز بالخيرات والفوائد والمنافع الكثيرة، ومن اجتنب نواهيه سلم من كل سوء ومكروه وشرور متعددة. ولقد اهتم الإسلام بالتربية الروحية وطمأنينتها كما اهتم بالتربية الجسمية وعافيتها. وكيف لا، لأن أمة الإسلام أفضل الأمم وأوسطها وأعدلها في الأمور كلها، لا خير إلا وقد أمر به الإسلام وحث عليه ولا شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه.

وتعاليم الإسلام من أمثل وأفضل وأقوم تعاليم في جميع نواحي الحياة البشرية، سواء كانت ما يتعلق بالعقيدة والأحكام أو ما يتعلق بالآداب والسلوك. وفيما يلي نبرز شيئاً يسيراً من تلك الآداب لكي نتعرف عليها ونستشهد بها على الإعجاز العلمي في الوقاية من الوباء الذي ظهر في حياتنا اليوم المعروف بوباء «كورونا».

ومن أقوم هذا الدين الحنيف أنه جمع بين الأخذ بالأسباب وبين التوكل على الله ومن الأسباب التي حث عليه الإسلام التداوي والاستشفاء. والتداوي الذي جاءت به شريعة الإسلام يتناول نوعي الطب: الطب الوقائي الذي يكون قبل نزول المرض، والطب العلاجي الذي يكون بعد نزوله؛ والطب الوقائي قد يكون من نوع الأذكار والأدعية الشرعية وقد يكون من نوع الأسباب الكونية كالمحافظة على نظافة البيئة والمسكن والبدن، والبعد عن أسباب الأمراض بالتزام بالآداب الإسلامية، وبكل ذلك جاءت الشريعة الإسلامية. وجاء فيها أصول العلاج والشفاء وأصول التداوي مما يحقق للمسلم سلامة وعافية في دنياه وأخراه، ومن تصفح كتاب «الطب النبوي» للعلامة ابن القيم رحمه الله يجد في هذا الباب عجباً مما جاءت به شريعة الإسلام وصح عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه الورقات سيتكلم الباحث عن الإعجاز العلمي في التوجيهات الإسلامية المتعلقة بالطب الوقائي من الوباء والفيروسات المعدية على ضوء النصوص الشرعية من خلال آداب

العاطس وآداب تناول الطعام وعدم الخروج عن موطن الوباء أو القدوم عليه.

المبحث الأول: آداب العاطس.

هذا المبحث سيتحدث عن شيء من آداب العاطس التي جاء بيانها من خلال السنة النبوية واستنباطات العلماء منها، ثم يذكر وجه الإعجاز العلمي الذي دلّ عليه بعض الآداب في الوقاية من الوباء المعدي الذي ينتقل عن طريق الرذاذ الناتج عن الجهاز التنفسي من شخص المصاب عند عطاسه أو سعاله.

قال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): «ومن آداب العاطس أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جلسه ولا يلوي عنقه يمينا ولا شمالا لئلا يتضرر بذلك»^(١).

ويبين ابن العربي (٥٤٣هـ) الحكمة في خفض الصوت بالعطاس أن في رفعه إزعاجا للأعضاء، وفي تغطية الوجه أنه لو بدر منه شيء أذى جلسه ولو لوى عنقه صيانة لجلسه لم يأمن من الالتواء، قال: «وقد شاهدنا من وقع له ذلك»^(٢).

ومن الأدلة على ذلك الحديث «أخرج أبو داود والترمذي بسند جيد عن أبي هريرة قال: ((كان النبي ﷺ إذا عطس وضع يده على فيه وخفض صوته)) (وله شاهد من حديث ابن عمر بنحوه عند الطبراني)^(٣).

قال ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ): «ومن فوائد التشميت تحصيل المودة والتأليف بين المسلمين وتأديب العاطس بكسر النفس عن الكبر والحمل على التواضع لما في ذكر الرحمة من الإشعار بالذنب الذي لا يعرى عنه أكثر المكلفين»^(٤).

قال الإمام الملا علي القاري (٨٥٥هـ): «وأخرج أبو داود والترمذي بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عطس وضع يده على فمه وخفض صوته. قوله: (فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان)، ولفظه: ها، حكاية صوت المتأثب يعني: إذ بالغ في الثوباء ضحك منه الشيطان فرحا بذلك»^(٥).

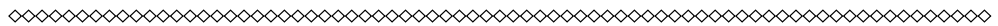
(١) فتح الباري: ١٠/٦٠٢.

(٢) نقله ابن حجر في المصدر نفسه.

(٣) هذا قول ابن حجر في المصدر السابق. وحديث أبي هريرة رواه أبو داود رقم: (٥٠٢٩) والترمذي رقم: (٢٧٤٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وحديث ابن عمر رواه الطبراني في الصغير رقم: (٧٤٥٢).

(٤) نقل عنه ابن حجر في المصدر السابق.

(٥) عمدة القاري: ٢٢/٢٢٧.



«في الحديث دليل على عظم نعمة الله على العاطس يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير وفيه إشارة إلى عظمة فضل الله على عبده فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه ثم الدعاء بالخير لمن شتمه بعد الدعاء منه له بالخير، ولما كان العاطس قد حصل له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحترقة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت أدواء عسرة شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على هيئتها والتمامها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها»^(١).

وذكر أصحاب التخصصات في العلوم الطبية ومنظمة الصحة العالمية بأن الفيروس «كورونا» تكون الطريقة الرئيسة لانتشاره هي من خلال الرذاذ الناتج عن الجهاز التنفسي من شخص المصاب عند عطاسه أو سعاله. وذكروا أن أعراض الإصابة قد لا تظهر على الأشخاص المصابين بفيروس كورونا ولكنهم ينقلون الوباء إلى غيرهم من خلال اللقاءات والتجمعات ويصل نسبة المصابين به إلى ٢٥٪^(٢).

والمصابون الذين لا تظهر عليهم أي أعراض، هم أكبر المساهمين في النقل السريع لفيروس كورونا في جميع أنحاء العالم، مما يصعب على الخبراء في تقييم المدى الحقيقي للوباء. وكذلك أشارت منظمة الصحة العالمية والمقالات الطبية الحديثة أن من وسائل الوقاية في منع انتشار وباء «كورونا» استعمال الكمامات في تغطية الفم والأنف تفادياً لئلا ينتقل الفيروس من شخص إلى شخص آخر عن طريق العطس^(٣).

وأكد بعض المقالات الطبية ضرورة اتخاذ تدابير احتياطية للوقاية من الاحتكاك، وحماية العين عند تقديم الرعاية إلى أشخاص تحتل عدواهم بفيروس كورونا، أو تؤكد عدواهم به، وتدابير احتياطية للوقاية من العدوى المنقولة بالهواء لدى اعتماد إجراءات مولدة للرذاذ^(٤).

وفي حال إصابة الشخص بالمرض فعليه أن يتجنب المخالطة الحميمة أثناء إصابته بأعراض المرض، وأن يتبع تدابير جيدة بشأن الحفاظ على نظافة الجهاز التنفسي، من قبيل السعال، أو العطاس في الكم، أو في الكوع المُنثني، أو وضع قناع طبي، أو كمامة عازلة، أو منديل ورقي، وإلقاء المناديل الورقية المستخدمة بعد استخدامها فوراً في سلة مهملات مغلقة.

(١) سبل السلام: ٦١٣/٢.

(2) تاريخ 10/2019-advise-for-public emergencies/diseases/novel-coronavirus/2019-advise-for-public10 <https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus/2019-advise-for-public10>

أكتوبر ٢٠٢١م.

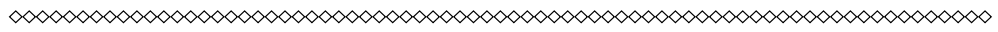
تاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠٢١م. <https://www.ilajak.com/blog/corona-symptoms-causes>

كيف-ينتقل-مرض-كورونا/. تاريخ ١٠ أكتوبر. <https://www.mosoah.com/health/conditions-and-disease/>

كيف-ينتقل-مرض-كورونا/. تاريخ ١٠ أكتوبر. <https://www.mosoah.com/health/conditions-and-disease/>

ماذا-يحدث-إذا-عطس-مصاب-بفيروس-كورونا-في. 5/8/2020. <https://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2020/8/5/>

تاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠٢١م.



وقد سبق الهدي النبوي إلى أدب تغطية الفم والأنف أثناء العطس أثناء العطس قبل أربعة عشرة قرناً، «وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جلسه ولا يلوي عنقه يمينا ولا شمالاً لئلا يتضرر بذلك»^(١). وقد أفتى كثير من العلماء بجواز استخدام الكمادات في الصلاة تفادياً من انتشار الوباء بين المصلين.

وظهرت في هذا الوباء تعاليم الإسلام العظيمة، التي فيها الوقاية من الأمراض، وحفظ الأرواح والعناية بالأبدان، فما هم يدعون الناس إلى النظافة والعناية بالجسد، خصوصاً الأعضاء المكشوفة التي تكون أكثر عرضة للوباء، وأكثر التصاقاً بالهواء ومخالطة للآخرين، ولدينا الوضوء الذي شرعه ربنا لنا، وأمرنا به في كتابه، فلا يمر وقت من أوقات الصلاة إلا توضأنا وغسلنا أعضاءنا، فالمؤمن يحمد الله على هذا الدين، ويسأل الله الثبات عليه والاستقامة على طريقه. وهذا مما يؤكد للعالم الأجمع على صدق هذا الدين وأنه حق من عند الله حيث ظهر كل حين إعجاز علمي في توجهاته وتعاليمه في مجال مختلفة من شؤون الحياة البشرية.

المبحث الثاني: آداب تناول الطعام.

إن الشريعة الإسلامية جاءت ببيان ما يحل تناوله وما لا يحل، سواء كان من المأكولات والمشروبات أو من الملابس والمنكوحات، وليس هذا فحسب، بل أضاف على ذلك كله بيان الآداب التي يجب أن يتمثل بها المسلم حال استمتاعه بتلك النعم الكثيرة في حياته اليومية. وهناك آداب كثيرة ومنها آداب النوم، وآداب قضاء الحاجة، وآداب الضيافة وغير ذلك، وفي هذا المبحث إشارة إلى شيء من آداب تناول الطعام وإعجازه العلمي في الوقاية من الأمراض المعدية وغير المعدية.

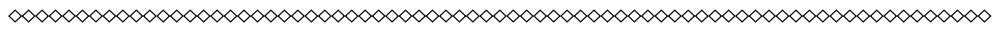
وقد جاء الهدي النبوي في آداب تناول الطعام على ثلاثة أحوال: آداب قبل البدء بتناول الطعام، وآداب أثناء تناول الطعام، وآداب بعد الانتهاء من تناول الطعام. ومن أهم تلك الآداب التي ذكرها العلماء في كتبهم غسل اليدين قبل الطعام وبعده، وذكروا بعض الأحاديث في ذلك، ومنها ما يلي:

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: قرأت في التوراة: بركة الطعام الوضوء بعده، قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ وأخبرته بما قرأت في التوراة فقال: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»^(٢).

وقال الملا علي القاري (٨٥٥هـ): «وأغرب بعض الشافعية وقال: المراد بالوضوء هنا

(١) فتح الباري: ١٠/٦٠٢.

(٢) رواه أحمد، رقم: (٢٢٧٣٢) وأبو داود رقم: (٢٧٦١) والترمذي رقم: (١٨٤٦)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم: (١٦٨).



الوضوء الشرعي، وهو خلاف ما صرح به أصحاب المذاهب من أن الوضوء الشرعي ليس بسنة عند الأكل. وقال بعض علمائنا من الشراح: الإتيان بالوضوء عند تناول الفراغ إنما يستحب في طعام تتلوث عنه اليد ويتولد منه الوضوء^(١).

رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من نام وفي يده غمر لم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه))^(٢): أي نام ليلاً، والظاهر أن المراد به الأعم ففيه تجريد. (وفي يده غمر): بفتحين أي دسم ووسخ (لم يغسله): أي ذلك الغمر عن يده، فالجملة صفة غمر والجملة الأولى حالية وقوله: (فأصابه شيء): عطف على بات، والمعنى وصله شيء من إيذاء الهوام، وقيل: أو من الجان؟ لأن الهوام وذوات السموم ربما تقصده في المنام لرائحة الطعام في يده فتؤذيه، وقيل من البرص ونحوه؟ لأن اليد حينئذ إذا وصلت إلى شيء، من بدنه بعد عرقه فربما أورت ذلك. (فلا يلومن إلا نفسه): لأنه مقصر في حقه^(٣).

وقال المناوي (١٠٣١هـ): «(من بات) وفي رواية من نام (وفي يده غمر) بفتح الغين المعجمة والميم بعدها راء: ريح لحم أو دسمه أو وسخه زاد أبو داود ولم يغسله (فأصابه شيء) أي إيذاء من بعض الحشرات (فلا يلومن إلا نفسه) لتعرضه لما يؤذيه من الهوام بغير فائدة وذلك لأن الهوام وذوات السموم ربما تقصده في المنام لريح الطعام فتؤذيه»^(٤).

ويبين الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ) أن إطلاقه يقتضي حصول السنة بمجرد الغسل بالماء، وقال بن رسلان: والأولى غسل اليد منه بالأشنان والصابون وما في معناهما^(٥).

وغسل اليد في الحديث لا يختص عند النوم من الليل بل يدخل فيه النوم بالنهار كما قال الصنعاني: «ففيه أنه يتعين غسل اليد من الغمر عند المنام من ليل أو نهار وإن كان لفظ بات يدل على الليل»^(٦).

وعن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أكل أحدكم فلا يمسخ يده حتى يلعقها أو يلعقها»^(٧).

وقال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): «وفيه استحباب مسح اليد بعد الطعام قال عياض محله فيما لم يحتج فيه إلى الغسل مما ليس فيه غمر ولزوجة مما لا يذهبه إلا الغسل لما جاء

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٧١٤).

(٢) رواه أبو داود رقم: (٣٢٩٧) وابن ماجه رقم: (٣٢٩٧) وأحمد رقم: (٧٥٥٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٢٩٥٦).

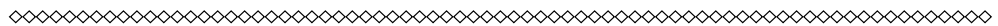
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٧١٩).

(٤) فيض القدير (٦/ ٩٢)، والتيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٠٧).

(٥) نقل منهما الشيخ المباركفوري في «تحفة الأحمدي»: (٥/ ٤٨٥).

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ١٥٦).

(٧) رواه البخاري رقم: (٥٤٥٦) ومسلم رقم: (٢٠٣١).



في الحديث من الترغيب في غسله والحذر من تركه كذا قال وحديث الباب يقتضي منع الغسل والمسح بغير لعق لأنه صريح في الأمر باللعق دونهما تحصيلاً للبركة نعم قد يتعين الندب إلى الغسل بعد اللعق لإزالة الرائحة وعليه يحمل الحديث الذي أشار إليه وقد أخرجه أبو داود بسند صحيح على شرط مسلم عن أبي هريرة رفعه (من بات وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه) (أخرجه الترمذي دون قوله ولم يغسله »^(١) . وقال الملا علي القاري (٨٥٥هـ) : « وقد روى الحديث أحمد وأبو داود والحاكم ، والطرق يقوي بعضها بعضاً »^(٢) .

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة وإذا أراد أن يأكل غسل يديه)^(٣) .

وقد جاءت النصوص الكثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية التي تحث على النظافة على وجه العام سواء ما يتعلق بالبيئة والمكان أو ما يتعلق باللباس والبدن . وجعل الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر من شروط صحة كثير من العبادات ، وأكبر الأدلة على ذلك الأمر بالوضوء عند أداء الصلاة وحث على تجديده والحفظ عليه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)^(٤) .

فالمحافظة على نظافة اليدين والبدن والملابس والأماكن ، وجميع هذه الإرشادات تتسجم مع ديننا الحنيف الذي يأمرنا بالطهارة ، بل إن أول باب من أبواب الفقه الإسلامي باب الطهارة . واليد أكثر شيء من أعضاء الإنسان معرضاً للتلوث لأنها أكثر الأعضاء استخداماً في التصرفات والعمل ، ولذلك نسب إليها الجزاء والعقاب أحياناً في القرآن ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ (الروم : ٤١) وقوله ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ ﴾ (الشورى : ٣٠) .

وأوصت منظمة الصحة العالمية^(٥) بسرعة اتخاذ الإجراءات اللازمة للوقاية من الأمراض التنفسية المعتادة ، من تجنب المخالطة الحميمة قدر المستطاع مع أي شخص يبيد أعراض الإصابة بمرض السعال والعطاس ، لأن السعال أو العطاس ينتج قطرات (رذاذ) سائلة صغيرة ، وقد تحتوي هذه القطرات على الفيروس ، وهو ما يؤدي للإصابة .

(١) فتح الباري لابن حجر (٩ / ٥٧٩) .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧ / ٢٧١٤) .

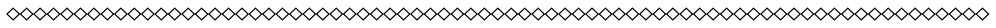
(٣) رواه النسائي رقم : (٢٥٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم : (٤٦٥٩) .

(٤) رواه أحمد رقم : (٢٢٤٢٣) ، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح .

(٥) تاريخ / a-55371297 / دراسة - جديدة - تحدد - العوامل - الثلاثة - الحاسمة - في - تفشي - كورونا / <https://www.dw.com>

١٠ أكتوبر ٢٠٢١ م .

كيف - ينتقل - مرض - كورونا / . تاريخ 10 أكتوبر 2021م <https://www.mosoah.com/health/conditions-and-disease>



وأوصت كذلك بالاستحمام ومراعاة النظافة الشخصية اليومية، والحفاظ على نظافة اليدين، وتشمل التدابير الوقائية الجيدة الأخرى تجنب تناول اللحوم غير المطهية، أو غير المطبوخة جيداً، والفواكه أو الخضروات غير المغسولة، والمشروبات المحضرة من مياه غير معقّمة. ويجب على الشخص المصاب ارتداء الكمامات عند الاقتراب من الأشخاص الآخرين، وقبل دخول أماكن الرعاية الصحية، وإذا تعذّر عليه ارتداء الكمامة (لصعوبة في التنفس مثلاً) فيجب على المريض بذل قصارى جهده لتغطية السعال والعطاس، كما يجب على الأشخاص الذين يعيشون مع الشخص المصاب ارتداء الكمامة عند الاقتراب منه. ولا بد من الحرص على سلامة الأيدي وحمايتها عند استخدام منتجات التنظيف الكيميائية، واتباع إرشادات السلامة الموجودة على منتجات التنظيف والمطهرات.

وبهذا يظهر الإعجاز العلمي من التوجيهات الإسلامية من خلال تعاليمه السامية في شتى مجالات الحياة وخاصة بالنظافة وحماية المجمع من الأمراض المعدية.

المبحث الثالث: عدم الخروج عن موطن الوباء أو القدوم عليه.

ولقد عمّ البلاد والعباد قرب سنتين بالوباء حتى عاش الناس في بلاء وابتلاء واجتهد كل خبير في مواجهته وبذلوا النفس والنفيس في بحث عن الحلول والمخارج من الداء الفاتن. تشير الدراسات أن كل شخص مصاب بفيروس كورونا ينقله في المتوسط إلى شخصين أو ثلاثة أشخاص آخرين، وربما تصل أعداد العدوى لأضعاف ذلك في بعض الحالات.

وتذكر كتابات الباحثين المتخصصين⁽¹⁾ بأن وباء «كورونا» ينتقل عن طريق التلامس وقطرات الجهاز التنفسي، أو مس الأسطح التي تحوي الفيروس بعد لمسها مع الإنسان المصاب. ويعتقد أن الفيروس ينتشر بشكل رئيس من شخص لآخر، وخصوصاً بين الأشخاص الذين هم على اتصال وثيق مع بعضهم (مسافة ٦ أقدام/ ٢ متر تقريباً)، من خلال رذاذ الجهاز التنفسي الناتج من سعال أو عطاس الشخص المصاب. ومن ذلك جعلوا من طرق الوقاية والحماية منها التباعد وعدم الخروج من البيت.

إن في شريعة الإسلام إرشادات وتوجيهات ودواءً ناجعاً في مواجهة الأوبئة والأمراض، وعدم دخول المكان الذي ينتشر فيه الوباء وكذا عدم الخروج منه درءاً لانتشار العدوى، وأن يجتنب المريض غيره من الأصحاء؛ مخافة أن ينقل العدوى لهم، فقد جاءت في السنة النبوية توجيهات سديدة في الوقاية من الوباء أو من المرض المعدي، وفيما يلي إشارة إلى بعض النصوص التي جاء في هذا الأمر.

(1) <https://www.dw.com/ar/كورونا-تفشي-في-الحاسمة-الثلثة-العوامل-تحدد-العوامل-الثلاثة-الحاسمة-في-تفشي-كورونا/a-55371297>

تاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠٢١م.



فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ - يَعْنِي: الطَّاعُونَ - بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ)) (١) وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ هَذَا يَشْمَلُ كُلَّ وَبَاءٍ. فَمَنْ هَدَى الْإِسْلَامَ أَنْ مَنَعَ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَنَاطِقِ الْمَصَابَةِ بِالْوَبَاءِ، وَمَنَعَ الْخُرُوجَ مِنْهَا لَمَنْ كَانَ فِيهَا، وَهَذَا مَا يُسَمَّى فِي عَصْرِنَا بِالْحَجْرِ وَالْعِزْلِ الصَّحِيِّ.

وَفِي الْحِينِ نَفْسُهُ يَنْبَغِي أَنْ نَأْخُذَ بِجُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْعَبْدُ لِمُدَافَعَةِ الْمَرَضِ؛ مِنَ التَّدَاوِيِّ، وَالْبَعْدِ عَنِ مَسَبِّاتِ الْمَرَضِ وَتَجَنُّبِهِ؛ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ الشَّرِيدِ بْنِ عَمْرٍو الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((كَانَ فِي وَفْدٍ تَقْيِيفَ رَجُلٍ مَجْذُومٍ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارْجِعْ فَقَدْ بَايَعْنَاكَ)) (٢). وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَرَكُ الْمَصَافِحَةَ وَالْمُبَايَعَةَ بِالْيَدِ عِنْدَ خَوْفِ الْعَدُوِّ. وَلِهَذَا فَمِنَ الضَّرُورَةِ الْإِلْتِمَازَ بِالْإِجْرَاءَاتِ الْوَقَائِيَّةِ الَّتِي تَذَكَّرُهَا الْجِهَاتُ الْمُخْتَصَّةُ، وَلَا سِيَّمَا أَنْ أُصُولُهَا وَرَدَّتْ فِي دِينِنَا.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَرُّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ)) (٣). فَأَمَرْنَا نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْبَعْدِ عَنِ أَمَاكِنِ انْتِقَالِ الْعَدُوِّ، وَتَجَنُّبِ مَخَالَطَةِ الْمَرَضِيِّ الَّذِينَ يَخْشَى انْتِقَالَ الْمَرَضِ مِنْهُمْ، وَأَمَرَ الْمُسْلِمَ بِالْفِرَارِ مِنْهُ وَالْبَعْدِ عَنِ مَخَالَطَتِهِ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ: ((لَا يُوْرِدُ مَمْرَضٌ عَلَى مَصْحٍ)) (٤) أَي: لَا يُدْخِلُ صَاحِبَ الْإِبْلِ إِبْلَهُ الْمَرِيضَةَ عَلَى الْإِبْلِ الصَّحِيحَةَ.

فَهَذِهِ النُّصُوصُ وَغَيْرُهَا تَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَأَنَّهُ مِنَ الشَّرْعِ، وَلَا يَنَافِي التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى الْمُسْلِمِ الْأَيْفِرْطُ فِي الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ بَحَيْثُ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْهُ الْمَرَضَ بِنَفْسِهَا، بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَأَنَّ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ فَلَا رَادَ لَهُ.

وَلَمَّا خَرَجَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ أُخْبِرَ أَنَّ الطَّاعُونَ قَدْ وَقَعَ بِهَا، فَاسْتَشَارَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُم بِالْمَضِيِّ قَدَمًا، وَأَشَارَ عَلَيْهِ الْبَعْضُ الْآخَرَ بِعَدَمِ الدَّخُولِ حِفَاطًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعَهُ، فَحَرَّرَ عَدَمَ الدَّخُولِ، فَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجِرَاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَفِرَارًا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى؟» فَقَالَ لَهُ: «لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ، نَفَرُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى قَدْرِ اللَّهِ» (٥)، فَحَدَّرَ الْخَوْفَ يُسْتَدْفَعُ بِقَدْرِ الْأَمْنِ.

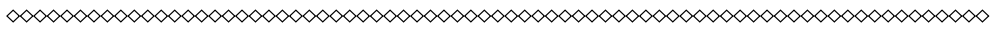
(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقْمًا: (٢٤٧٢) وَمُسْلِمٌ رَقْمًا: (٢٢١٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ رَقْمًا: (٢٢٢١).

(٣) عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ رَقْمًا: (٥٧٠٧) وَرَوَاهُ أَحْمَدُ رَقْمًا: (٩٧٢٢).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقْمًا: (٥٧٧١) وَمُسْلِمٌ رَقْمًا: (٢٢٢١).

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقْمًا: (٥٧٢٩) وَمُسْلِمٌ رَقْمًا: (٢٢١٩).



وكان عمرو بن العاص حين حَسَّ بالطاعون فَرًّا، وقال: يا أيها الناس، تفرقوا في هذه الشعاب؛ فقد نزل بكم أمرٌ من أمر الله، لا أراه إلا رجزاً وطاعوناً»^(١).

ومن التوجهات الإسلامية ألا ندخل بلدًا تفتش فيه الوباء، وانتشر فيه المرض، وعم فيه البلاء؛ خشية أن يصاب الإنسان بهذا المرض وحفاظًا على حياته من هذا الداء، وأمرنا ألا نخرج من بلد وقع فيه الوباء إلى بلد خال منه؛ خشية نقله إليه، ولكيلا نوسع انتشاره بين الناس.

وقد اتفق جميع الأطباء في العالم وقررت الهيئة الصحية العالمية^(٢) بأن الحجر الصحي المنزلي من الوسائل التي تمنع انتقال الفيروس «كورونا» وانتشاره في المجتمع وهو قريب بمعنى ما قرره نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا في الوقاية من المرض المعدي، ومن المعلوم أنه لم يكن هناك لدى البشرية شيئًا من الاكتشافات الطبية والتجربات العلمية الصحية التي وصل إليه العلم الطبي في هذا العصر، ومع ذلك فقد عرف الإسلام سبل الوقاية من المرض المعدي. ولا شك ولا ربي بأن ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن وحي من الله الحكيم الخبير.

الخاتمة : نتائج البحث

وفي ختام هذا البحث أسجل بعض النتائج التي تظهر من خلال عرض المعلومات فيه:
أولاً: إن الدين الإسلامي دين متكامل في توجيهاته وإرشاداته وتعاليمه ودين حكيم وعدل في أوامره ونواهيه.

ثانياً: إن وضع اليد على الأنف والضم أثناء العطس من وسائل الحماية والوقاية من انتشار الوباء المعدي. وهو من إعجاز علمي في آداب العاطس التي دعا إليها الهدي النبوي.

ثالثاً: اهتمام الإسلام بنظافة المكان والبدن ومنها غسل اليد عند تناول الطعام وبعد تناوله دليل قاطع على إعجاز علمي في الوقاية من الأمراض المعدية.

رابعاً: إن عدم القدوم على البلد التي انتشر فيها الوباء أو عدم الخروج منها من وسائل منع انتشار الوباء إلى مكان آخر وهو إعجاز علمي أشار إليه السنة النبوية أكثر من أربعة عشر قرنًا.

خامساً: الحث على دراسة السنة النبوية في حلّ المشاكل المعاصرة ونشرها بين المجتمع الإنساني.

(١) رواه البزار رقم: (٢٢٢٠).

(2) تاريخ /a-55371297-دراسة-جديدة-تحدد-العوامل-الثلاثة-الحاسمة-في-تفشي-كورونا/ <https://www.dw.com/arl> ١٠ أكتوبر ٢٠٢١ م.

المصادر والمراجع:

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار الفكر - بيروت.

أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، د.ت، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت.

أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، ط/ الأولى (٢٠٠٩م)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (٢٠٢ - ٢٧٥هـ)، «سنن أبي داود، للإمام، تحقيق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، ط/ الأولى، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، دار ابن حزم. والرياض.

أبو عبد الرحمن، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، د.ت، صحيح الجامع الصغير وزيادته، بيروت، المكتبة الإسلامية.

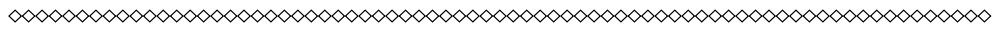
أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ١٤٢٢هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (محمد زهير بن ناصر الناصر)، د.ب، دار طوق النجاة.

أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف، بدون سنة.

الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ط/ الأولى، مكتبة دار المعارف ١٤١٣هـ، الرياض.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، (سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.



زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي
ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٢١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط/ الأولى ١٣٥٦،
المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي
ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، التيسير بشرح الجامع الصغير، ط/ الثالثة، ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض.

الشيواني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت ٢٠٤هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق:
شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط/ الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري،
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، د.ت: ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت.

علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)،
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط/ الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، الناشر: دار الفكر، بيروت
- لبنان.

محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم،
عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمر (المتوفى: ١١٨٢هـ)، سبل السلام، بدون رقم طبعة وبدون
تاريخ، دار الحديث.

محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز
الدين، المعروف كأسلافه بالأمر (المتوفى: ١١٨٢هـ)، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، المحقق:
د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط/ الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، مكتبة دار السلام، الرياض.

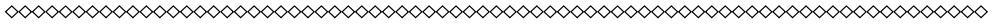
النسائي، أحمد بن شعيب (ت ٢٠٢هـ)، سنن النسائي (المجتبى من السنن)، تحقيق: عبد
الفتاح أبو غدة، ط/ الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، أبو القاسم اللخمي الشامي، (المتوفى:
٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم
الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

[https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/
advice-for-public.](https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public)

[https://www.ilajak.com/blog/corona-symptoms-causes.](https://www.ilajak.com/blog/corona-symptoms-causes)

<https://www.mosoah.com/health/conditions-and-disease/>



كيف-ينتقل-مرض-كورونا /<https://www.dw.com/ar>

دراسة-جديدة-تحدد-العوامل-الثلاثة-الحاسمة-في-تفشي-كورونا /a-55371297.

<https://www.dw.com/ar>/كيف-ينتقل-مرض-كورونا-في-تفشي-كورونا

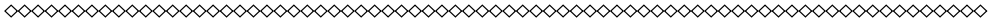
/a-55371297.

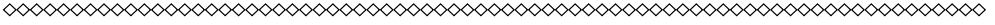
<https://www.mosoah.com/health/conditions-and-disease>

كيف-ينتقل-مرض-كورونا . /<https://www.dw.com/ar>

دراسة-جديدة-تحدد-العوامل-الثلاثة-الحاسمة-في-تفشي-كورونا

/a-55371297.





المحور الخامس:

الإعجاز العلمي في ضوء القرآن والسنة النبوية الصحيحة
(إعجاز السنة في الإخبار عن أمور غيبية)



أ.د. إبراهيم بن حماد الريس

أستاذ السنّة وعلومها، جامعة الملك سعود، الرياض (سابقاً)

المشرف على كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة

إعجاز السنّة النبوية في الإخبار عن أمور غيبية

ملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد.

إن الحقيقة الثابتة، والمعتقد الراسخ، أن الغيب سرٌّ من أسرار الله جل وعلا وحده، وأنه وحده يعلم السرّ واخفى، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله، كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل ٦٥، وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الأنعام: ٥٩، كما أن الحقيقة الثابتة، والمعتقد الراسخ، أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، كما أثبت الله تعالى ذلك في كتابه الكريم، فقال تعالى مخبراً عن نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ الأنعام ٥٠، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨.

أما أن يوجد في البشرية من يُخبر بعشرات من الأمور المستقبلية بأوصاف شاملة ودقّة متناهية، لتكون حقيقة واقعة، ويشهد الواقع على صحّة كل ما أخبر به، فذلك أمرٌ لا سبيل إلى معرفته أو الوصول إليه إلا أن يكون بوحى من الله جل وعلا، فإذا ما أخبر النبي ﷺ عن شيء من الغيب؛ فإنما يخبر بشيء من علم الله الذي خصه به وأطلعه عليه، ليكون برهاناً على نبوته ودليلاً على رسالته، وحجة على منكري بعثته. كمال قال جل وعلا: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن ٢٦-٢٧).

ولقد حفلت كتب السنّة الثابتة بأخبار غيبية كثيرة ومتنوعة، أخبر بها النبي ﷺ بوحى من



رَّبُّه تَعَالَى، وَهَذَا مِنْ أَعْلَامِ نُبُوته ﷺ، بَعْضُهَا أَثْبَتَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَبَعْضُهَا جَاءَ فِي صَحِيحِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهَذِهِ الْغَيْبِيَّاتُ مِنْهَا مَا كَانَ قَبْلَ بَعْثِهِ ﷺ، وَمِنْهَا مَا تَحَقَّقَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، وَمِنْهَا مَا تَحَقَّقَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مِنْ عِلْمَاتِ السَّاعَةِ، وَجَمِيعُهَا مِنْ دَلَائِلِ نُبُوته، وَصَدَقَ وَرِسَالَتَهُ ﷺ، لِتَكُونَ إِعْجَازًا ظَاهِرًا لِلْعِيَانِ لِمَنْ عَاشَرَ عَصْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِرَهَانًا لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَحُجَّةً عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وَتَكْبَرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

إِنَّ الْإِعْجَازَ الْغَيْبِيَّ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحِدٌ مِنْ أَمْثَلِ الدَّلِيلِ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ إِخْبَارَهُ بِالْأَحْدَاثِ الَّتِي سَتَعُ أَوْ وَقَعَتْ بِالْفِعْلِ وَلَمْ يَشَاهِدْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي أَوْحَى بِهَا إِلَيْهِ، تَحْقِيقًا وَمُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (يوسف، ١٠٢).

وَنظَرًا لِمَحْدُودِيَّةِ الْمَسَاحَةِ الْمَحْدَدَةِ لِلْأَوْرَاقِ الْمَقْدَمَةِ فِي هَذَا الْمَوْثَمَرِ الْمُبَارَكِ، سَوْفَ نَكْتَفِي بِبَيَانِ بَعْضِ دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ الْغَيْبِيِّ فِي سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ خِلَالِ الْأَحْدَاثِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْعُنَاصِرِ الْآتِيَةِ:
مَقْدَمَةٌ، وَتَشْمَلُ: أَمْهِيَّةَ الْمَوْضُوعِ وَأَبْرَزَ أَهْدَافِهِ وَتَعْرِيفَ مُوجِزٍ لَأَهْمِ مِصْطَلَحَاتِهِ.

المبحث الأول: دلائل الغيب بين الحقيقة والمفهوم.

المطلب الأول: الغيبيات في الإسلام بين الحقيقة والمفهوم.

المطلب الثاني: الغيبيات في الإسلام بين المعجزة والإعجاز.

المبحث الثاني: دلائل الإعجاز الغيبي في السنة النبوية المطهرة.

المطلب الأول: دلائل الإعجاز في السنة النبوية بالإخبار عن الأمم السابقة.

المطلب الثاني: دلائل الإعجاز في السنة النبوية بالإخبار عن غيبيات حدثت في حياته ﷺ.

المطلب الثالث: دلائل الإعجاز في السنة النبوية التي تحققت بعد وفاته ﷺ.

المطلب الرابع: دلائل الإعجاز في السنة النبوية عن غيبيات مستقبلية؛ سوف تتحقق يقيناً.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

نَسَأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المبحث الأول: دلائل الغيب بين الحقيقة والمفهوم

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

إنَّ الحديث عن دلائل النبوة فيما يخص إخبار النبي ﷺ ببعض الغيبيات أمر تناوله المناوئون بالتشكيك تارة، والجحود تارة أخرى، زعمًا أن لا علاقة لعلم الغيب بالنبوات ولا بالوحي، وزعمًا أن مفهوم علم الغيب هو علمٌ مجرد كسائر علوم البشر، وأنه عُرف قديمًا وحديثًا وسائل متنوعة تمكن البشرية من العلم بما سبق من تاريخ الأمم، أو استشراف ما يكون من علم المستقبل، وأن دراسة التاريخ لما سبق، أو الدراسات المستقبلية، أو حتى الاتصال بالجن ومناجاة الأرواح؛ هي وسائل لمعرفة ما كان وما يمكن أن يكون، ويهدفون بهذا إلى إثبات أن الغيب ليس معجزة، وأن لا علاقة لعلم الغيب بالوحي، ولا بالنبوة، وأن إخبار النبي ﷺ بالغيب ليس من خصوصياته، وبالتالي نفي النبوة عنه ﷺ.

ولسنا بصدد تفنيد الشبهة، ولكننا بصدد إثبات دلائل النبوة من خلال ما ثبت بكل وسائل الإثبات النقلية والعلمية، العقلية والتجريبية، لا نبرهن عن دلائل النبوة فهو أمر ثابت لدى المؤمن وغير المؤمن، كما أنه جازم لدى عقلاء العلم وأهل الأنصاف، ولكن فقط لإقامة الحجة مع البرهان على بطلان قولهم، ودحض حججهم، وأن علم الغيبيات ليس بمعنى فلسفة المعرفة، ولا بمفهوم تحويل الظواهر الطبيعية إلى علوم ونسب وحسابات تقوم على الحدّث والظن والتخمين لاستمطار النتائج.

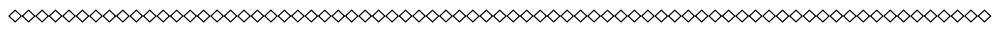
وإن التكرار للغيب وجحوده من قبل الفلاسفة المادية، يعد واحدًا من مفاهيم العلم المادي المجرد، يخلط بين النظريات والحقائق، بعيدًا عن حقيقة العلم والحق فضلًا أن يكون جهلاً وضلالًا؛ لأن ضوابط ومقاييس العلم المادي لا يمكنها أن تحكم على ما يخرج عن مجالها، ولا يمكنها علميًا إنكار أو إثبات ما كان غير مشاهد ولا محسوس، وهو ما كان غيبًا؛ ولأنه غير قابل للتحليل أو التفسير.

المطلب الأول: الغيبيات في الإسلام بين الحقيقة والمفهوم.

وإذا كان الغيب لغة: الشك، والغيب كل ما غاب عنك، ما غاب عن العيون وإن كان محصلًا في القلوب، أو غير محصل^(١)، والغيب هو الأمر الذي غاب وخفى جدًّا^(٢).

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ١/١٥٥، لسان العرب، لابن منظور، ١/٦٥٤، النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير، ٣/٣٩٩.

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٤/٣٣٤.



والغيب في الاصطلاح: الغيب هو ما غاب علمه عن الحس والضرورة، ولا تقتضيه بدائة العقول، مما يدرك بالدليل، بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداءً، وتتوصل إلى معرفته بالخبر الصادق، وبالأثار التي تدل عليه، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، ولم يكن عليه علم يهتدي به العقل، فيحصل به العلم، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد^(١).

إذا: فهو العلم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ولا طريق لتحصيله إلا بواسطة سبحانه وتعالى فإن علمه أحد فلا يكون بذاته وإنما هو بفيض من الذات الإلهية المقدسة.

لا شك ولا ريب أن الغيب كله مطلقه ومقيده سر من أسرار الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا رِطْبٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام: ٥٩.

ولقد أخبرنا الله تعالى في أكثر من موضع بالقرآن الكريم أن نبينا صلى الله عليه وسلم في جانبه البشري كسائر البشر لا يعلم الغيب، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَعَجُّبُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ الأنعام: ٥٠، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨.

فإذا ما أخبرنا النبي ﷺ عن شيء من أمور الغيب؛ سواء كان حاضرًا أو مستقبلاً، فإنما يخبر بشيء من أعلمه الله تعالى به، وخصه به، وأطلع عليه، ليكون دليلاً وبرهاناً على نبوته ﷺ، ودليلاً على صدق رسالته ودعوته.

وإن الدارسين المنصفين من المؤمنين والمنكرين لسيرة نبينا ﷺ، منذ نشأته ﷺ، سواء قبل النبوة وبعدها، يجد أن النبي ﷺ أخبر بأخبار غيبية كثيرة ومتنوعة، بعضها أثبتها القرآن الكريم، وبعضها جاء في السنة النبوية المطهرة، ومنها ما كان قبل بعثته ﷺ، ومنها ما تحقق في حياته صلى الله عليه وسلم، ومنها ما تحقق بعد وفاته ﷺ، ومنها ما هو من علامات الساعة، مثبتة من طرق لا تقبل التشكيك ولا التحريف، وجميعها من دلائل نبوته، وصدق ورسالته، وإعجاز ظاهر للعيان لمن عايش عصر النبي ﷺ، وبرهان للبشرية إلى يوم القيامة.

والإيمان بالغيب أحد الخصائص المميزة للإنسان، لأنه وحده المؤهل للإيمان، وهو ركيزة أساسية من ركائز الإيمان في الديانات السماوية كلها التي حوت شرائعها كثير من الأمور الغيبية

(١) انظر: مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٣٦٧، التعاريف، المناوي، ٥٤٣/١، أنوار التنزيل، البيضاوي، ٧/١.

التي لا سبيل للإنسان إلى العلم بها إلا عن طريق الوحي الثابت في خبر الأنبياء، وفي الإسلام ما أثبتته القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، من الحقائق الإيمانية الغيبية التي لا سبيل لإدراكها والعلم بها إلا بالخبر الصادق، عن الله ورسوله ﷺ.

المطلب الثاني: الغيبيات في الإسلام بين المعجزة والإعجاز

إن الخلط بين المفاهيم والاصطلاحات تعد أحد أبرز معضلات الفهم الصحيح للشريعة ومقاصدها، ومن ذلك الخلط في مفهوم الغيب، وكذلك الخلط بين مفهومي المعجزة والإعجاز، فلقد غاب عن كثير ممن يتعرضون للنقد أو الاستدلال على وجهة نظرهم خاصة من مناوئي الإسلام، أن الغيب نوعان رئيسان:

الأول: ما أقام الله تعالى عليه دليلاً عقلياً أو سمعياً، كخالق وصفاته تبارك وتعالى، واليوم الآخر وأحواله، والثاني: ما لم يجعل الله تعالى عليه دليلاً، لا عقلياً ولا سمعياً، وهذا هو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام ٥٩)، وهو ما يعرف بالغيب المطلق الحقيقي، والغيب النسبي أو الإضافي أي ما يساوي المعرفة.

فالغيب المطلق الحقيقي: ما يغيب عن الحواس والعقول معاً، ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فهو محجوب عن الخلق جميعاً، ولا يمكن لمخلوق أن يعلمه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥-٦٦)، وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام ٥٩).

والغيب المطلق: إما أن يكون ورد فيه نص صريح بأن الله تعالى قد كتبه عن الخلق جميعاً، ولا سبيل إلى علمه بالوحي ولا بغير الوحي، بما فيهم الأنبياء والملائكة، وهي جملة في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام ٥٩)، ومفصلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

وكما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد»

(١) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ١٠٩٠/٣، أنوار التنزيل، البيضاوي، ٨/١.

إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، في حديث جبريل الطويل: «خمس لا يعلمهن إلا الله»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٢٤)^(٢).

ومفاتيح الغيب لا مطمع لأحد في علم شيء منها، فمن ادعى علم شيء منها غير مسنده إلى رسول الله ﷺ كان كاذباً في دعواه^(٣).

ومن الغيب المطلق ما لم يرد فيه نص صريح في أن الله كتبه عن الخلق جميعاً، فله سبحانه وتعالى أن يطلع من شاء من رسله على ما شاء منه، ولا يطلع على هذا النوع أحداً غير الرسل عليهم الصلاة والسلام، فعن عمرو بن مرة، قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَمَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: «أُوتِيَ نَبِيِّكُمْ ﷺ مَفَاتِيحَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ الْخَمْسِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٢٤)، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ مَرَّةً»^(٤).

وهذا النوع من الغيب هو الذي يشير إليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(٥) إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ ﴿(الجن: ٢٦-٢٧)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، والمراد بالاطلاع على الغيب هنا علم ما سيقع قبل أن يقع على تفصيله، فلا يدخل في هذا ما يكشف لهم عن الأمور المغيبة عنهم^(٦)، ولا سبيل إلى علمه من غير إخبار الله تعالى، ولا يصل إلى علمه عن الله تعالى أحد غير الأنبياء، ومنها قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا يَا أَبَتِ كَمَا طَعَامُ تُرْزَقَانِي إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِنَأْيِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٢٧).

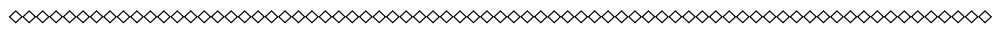
(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ الرعد: ٨، ٧٩/٦ برقم ٤٦٩٧.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لقمان: ٢٤، ١١٥/٦ برقم ٤٧٧٧، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ: الْإِيمَانُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، ٢٩/١ برقم ٩.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١/١٢٤.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٢٢/٧ برقم ٤١٦٧، والطيالسي، ٢٤٩/٥١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٢/٨: رجالهما رجال الصحيح.

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٢/٣٦٤.



وكذلك إخباره عليه السلام عن أشياء كثيرة مما أطلع الله تعالى عليه من فتوحات إسلامية وقعت كما أخبر بها نبينا محمد ﷺ، واستشهاد بعض الصحابة، والشهادة لبعضهم وبشارتهم بالجنة، وما يكون من علامات بين يدي الساعة، في أمور كثيرة جداً واردة في الصحاح وغيرها^(١).
أما الغيب النسبي أو الإضافي: ويقصد به ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض، أو غاب عنهم في حال دون حال، بحيث يمكن التعريف به في الدنيا، إما مطلقاً، أو بشروط واستعدادات لذلك، وهو أقسام:

الأول: ما يغيب عن الحواس، ويعلمه الغير بالمشاهدة، كالعلوم التجريبية أو الطبية الحديثة وغيرها، فهذا غيب بالنسبة لبعض الناس دون بعض، وقد يعلم بالسمع أو المشاهدة، فقبل المعرفة كان غيباً، وبعد المعرفة لا يكون غيباً^(٢).

الثاني: أن يغيب الشيء عن الحواس، ولا يمكن التعريف به في الدنيا بحال من الأحوال؛ لا على وجه مجمل، ولا متشابه، إذ لا مثيل له في حياتنا، لاختلاف طبيعته وكنهه كالحياة البرزخية وما فيها.

والثالث: أن تغيب حقيقة الشيء عن حواسنا، ويمكن التعرف عليه على وجه مجمل، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن في الجنة لحماً ولبناً وعسلاً وخمراً، ونحو ذلك، وهذا يشبه ما في الدنيا لفظاً ومعنى، ولكنه ليس مثله ولا هو حقيقته، والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في عالم الشهادة، وهذه يعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، مع العلم بالفارق المميز بينهما، وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في عالمنا المشاهد. وفي الغائب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر^(٣).

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة ١٧)^(٤)، فما لا يخطر بالقلوب، إذا عرفت به لم تعرفه إلا إذا كان له نظير، وإلا لم يمكن التعريف به على وجهه^(٥).

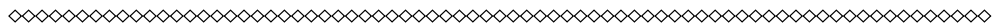
(١) انظر: المختار من كنوز السنة، محمد عبد الله دراز، ص ٢٩٨-٢٠٠، تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٤٢٢/٧-٤٢٦، وما بعدها، الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص ٢٠٨.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ٧٢/٥، والمنار، محمد رشيد رضا ٤٢٢/٧، وفتح الباري، ابن حجر ١٣/٢٦٥، والمختار من كنوز السنة، محمد عبد الله دراز، ص ٢٩٨.

(٣) انظر: الرسالة التدمرية، ابن تيمية، ص ٦١-٦٢، وهي في مجموع الفتاوى أيضاً، ١/٣-١٢٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٤/٢١٧٤ برقم ٢٨٢٤.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ٧٢/٥.



والرابع: أن يغيب الشيء عن حس الناس جميعاً، ولكنه يكون في متناول عقولهم، يعرفونه بشروط واستعداد لذلك؛ فإن لبعض الغيوب أسباباً قد يستدل بها عليها سواء من التجربة والمقاييس كعلم ما سيقع في العام أو الأعوام المقبلة من الكسوف والخسوف، والشروق والغروب، ومنازل الشمس والقمر، ونحو ذلك، استنباطاً من التجارب الكونية، الاستدلالات العقلية، كعلم حياة الجنين بتجربته، وكما نستدل على عقل الرجل بمنطقه، أو بالخلق على خالقه، فهذا كله من الغيب الذي يتناوله العلم، بل يتناوله الإيمان الذي هو أخص من العلم؛ فإنه علمٌ يطمئن إليه القلب ويرتاح له الوجدان^(١).

وأما الإعجاز والمعجزة: فما قيل في تحرير مفهوم الغيب في الإسلام، وما شابه من خلط عند البعض، يقال في اختلاط مفهومي المعجزة والإعجاز، بسبب عدم إدراك مدلول المصطلحات واستنتاج مفاهيم معكوسة أحياناً، مما تتأكد معه أهمية تجلية المصطلح ودلالته.

فمن الناحية اللغوية، فمصدر المصطلحين الفعل (أعجز) إلا أن وزني المصدرين يثبت اختلاف المعنى، فالمعجزة: تأتي بمعنى (آية) أي: أمر خارق للعادة، أو خرق لنواميس الكون، مقرون بالتحدي، يظهره الله تعالى على يد أنبيائه، تصديقاً لهم، وإثباتاً للنبوته^(٢).

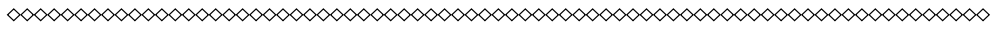
والمعجزة ترتبط بالزمان والمكان، والمناسبة، وتنتهي بانتهاء زمانها، وغالباً ما تكون حسية، وخص بها الأنبياء دون غيرهم، فهي تحدي للغير أن يأتي بمثلها، وتتعدد مقاصدها، فهي بيان لموطن الإعجاز فيها، وإثبات النبوة والهيئة الرسالة، وإقامة الحجة على من يشهدا، ودعم ودليل أني على صدق من أجريت على يديه، وأمثلة المعجزات على أيدي الأنبياء قبل الإسلام ثابتة في كتبهم غير المحرفة، وثابتة بنصوص صريحة في القرآن الكريم، ومنها: سلب خاصية الإحراق للنار في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وشق البحر لسيدنا موسى عليه السلام، وإحياء الموتى لسيدنا عيسى عليه السلام، وشق القمر، والإسراء والمعراج لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كلها معجزات حسية مادية شوهدت وأثبتت.

أما الإعجاز: فهو إثبات العجز، وضد القدرة، أي: القصور عن فعل الشيء، وهو حقيقة وفق نواميس الكون، سواء لم تُعرف من قبل، أو عُرف بعضها، أو سوف تُعرف لاحقاً، وسوف يزال الكثير منها لا يُعرف، كما تعني: أن يؤدي الأمر أو المعنى بطريق أبلغ من جميع ما عدها من الطرائق^(٣)، وإن كان الإعجاز معنوياً في الأصل إلا أنه يكون كذلك حسياً، وهو أمر لا يرتبط لا

(١) انظر: دره تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ٧٣/٥، ومجموع الفتاوى، ٢٥٦/٢٤، فتح الباري، لابن حجر ٣٦٥/١٣، المختار من كنوز السنة، د. محمد عبد الله دراز ص ٢٩٨، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ٦٢/١.

(٢) انظر: شرح الجلال على العقائد العنصرية، الدواني، ٢٧٦/٢.

(٣) انظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص ٢٢-٣١.



بالزمان ولا بالمكان، مستمر الحدوث، وتنقسم إلى قسمين: مطلق، ونسبي أو مقيد.

فالإعجاز المطلق: هو إلهي فالقرآن هو الوحيد الذي يتصف بهذا النوع من الإعجاز كونه كلام الله.

والإعجاز النسبي: هو بشري بطبعه وهو ما تعرف به الخوارق الإنسانية، سواء كانت جسمية أو عقلية ممنوحة لأناس معينين لإظهار قدرة الله عز وجل في خلقه.

ورغبة في الإيجاز المطلوب، فاقصر حديثنا عن دلائل النبوة في السنة النبوية هنا كونه إعجازاً، والذي جاء على صور متعددة، أعظمها القرآن الكريم، ثم ما كان من الإعجاز التشريعي، وكماله وتمامه، وسمو دفته، وما كان من إخبار النبي ﷺ عن مئات الأمور الغيبية، بعضها أثبتته القرآن الكريم، وبعضها جاء متواتراً في صحيح السنة، وكل منها دليل على نبوته ورسالته.

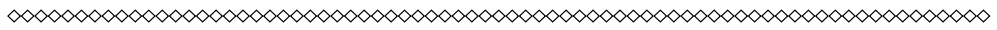
وإن الأمور الغيبية التي أخبر بها النبي ﷺ جاءت على ضروب متنوعة، فمنها ما تحقق حال حياته صلى الله عليه وسلم، ومنها ما تحقق بعد وفاته ﷺ، ومنها ما لم يتحقق وسوف يتحقق في الحياة الدنيا، ومنها ما يكون قريباً من الساعة، وفي كل من تلك الأخبار اليقينية دلائل على نبوته ورسالته.

المبحث الثاني: دلائل الإعجاز الغيبي في السنة النبوية المطهرة

يُعدُّ الإعجاز الغيبي لرسول الله ﷺ واحداً من دلائل النبوة وأدلة صدقه ﷺ؛ فإن علم أن نبينا ﷺ نشأ بين قوم، وتحت أعينهم، وكان أمياً، ولم يركن إلى معلم أو قصاص يأخذ عنه، فإن الإخبار بأحداث ستقع أو وقعت بالفعل ولم يشاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها دلالة واضحة على أن الله تعالى هو الذي أخبره بتلك الوقائع، ولا يكون ذلك إلا وحياً تصديقاً بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران: ٤٤).

وإن الدارس لسيرة النبي ﷺ يعلم أن الإخبار بالغيبيات في السنة النبوية بضرورها المختلفة، سواء ما تحقق منها في حياته أو بعد وفاته ﷺ أو ما سوف يتحقق يقيناً لا ريب فيه، لأنه الصادق الأمين ﷺ، وما أخبر النبي ﷺ عن شيء من الغيوب؛ فإنما يخبر بشيء من علم الله الذي خصه به وأطلعه عليه، ليكون برهاناً على نبوته ودليلاً من دلائل صدقه، وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم.

ولما كانت الغيبيات التي أخبر بها نبينا ﷺ زهاء الألف وتزيد، فلا يمكننا حصرها هنا، أو تناولها بشيء من الذكر والتفصيل، ولكننا سوف نكتفي بالوقوف على نماذج منها للاستدلال على دلائل الإعجاز الغيبي في سنة رسول الله ﷺ؛ لأن المقام لا يتسع أن نستقصى جميع أو كثير مما ثبت من الأحاديث الواردة في هذا الشأن؛ لأنها كثيرة غاية الكثرة.



وتيسيراً وإيضاحاً لبيان ضروب الإعجاز الغيبي في سنة النبي ﷺ، فقد تقسيمها إلى ثلاثة ضروب، نجملها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: دلائل الإعجاز في السنة النبوية بالإخبار عن الأمم السابقة

لما كان الحديث عن دلائل الإعجاز في السنة النبوية المطهرة بالإخبار عن الأمم السابقة، فإن الحديث سوف يقتصر على ما ثبت من صحيح السنة، مع أن القرآن الكريم قد أشار في مواضع عدة إلى عدد من جوانب الإعجاز في حياة النبي ﷺ، ومنها ما يتعلق بالإخبار عن قصص الأمم السابقة، ومشاهد تفصيلية للأمم وحضارات سادت زمنًا ثم اندثرت.

ولقد جاءت السنة النبوية في كثير من شواهدا وأحداثها لتخبر عن مواقف وأمور غيبية حدثت بالفعل للأمم سابقة لم يكن لها اتصال مباشر بأهل الجزيرة العربية، خاصة في زمن لا يعرف أيًا من وسائل الاتصال غير التي عُرفت في زمانهم والتي تستغرق الوقت والجهد الطويل للتواصل مع حضارات مجاورة، وأن تأتي هذه الأخبار والقصص من رجل لم يعرف عنه أنه تعلم على يد من أحبارهم ولا علمائهم، ولم يدرس تاريخ الأزمان والأحقاب السالفة.

وإن وجه الإعجاز في إخبار النبي ﷺ عن الأمم السابقة، وذكر قصصهم وأخبارهم وما آلت إليه حضاراتهم، يكمن في أن البيئة العربية آنذاك لم تكن على علم، بها، سوى ما ورد ذكره من إشارات مجملة، أو ما كان من قبيل ضرب الأمثال، كقولهم: «أحلام عاد»، إشارة إلى قوم عاد، والمثل الشائع في قولهم: «كانت عليهم كراغية البكر» إشارة إلى ناقة صالح عليه السلام^(١)، كما أن أهل الكتاب وأحبارهم فلم تكن معظم تلك الأخبار الدقيقة معلومة سوى عند بعض الأكابر من أحبارهم، الذين أفنوا أعمارهم في دراستها وتعلمها، في الوقت الذي لم يثبت فيه أن النبي ﷺ، قد تلقى عنهم ولا عن غيرهم تلك العلوم لا في مكة ولا في غيرها، وإذا علمنا بشدة حرصهم على تكذيب النبي ﷺ، وإبطال دعوته فلم يكن أحد منهم يدعي قيامه بتعليمه أيًا من تلك العلوم.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن النبي ﷺ كان أمياً لا يُحسن القراءة ولا الكتابة، فلم يكن من المتصور أن يتلقى مثل هذه الأخبار عن كتب أهل الكتاب، وبالتالي لا سبيل إلى معرفة تلك التفاصيل إلا عن طريق مصدر آخر، وهذا دليل قاطع على أن هذه الأخبار لا تكون إلا وحيًا، ولتكون واحدة من دلائل نبوته ﷺ، ولقد أثبتها الله تعالى لنبينا في قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران: ٤٤)، وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف: ١٠٢).

(١) انظر: الموسوعة القرآنية، وموقع مداد <http://midad.com/article/197326>

وإعجاز الرسول ﷺ فيما أخبر عن الأمم السابقة في كثير من الأحاديث والمناسبات، كان إما لمقاصد عامة أو أخرى خاصة لمناسبتها، ومنها العبرة، والاعتبار، والعظة، كما قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١)، فقد أخبر ﷺ عن قوم عاد، وعن قوم نوح، وعن قوم هود، وقوم صالح، وما كان لبني إسرائيل، وغيرهم، والأمثلة في السنة النبوية أكثر من تحصر، وسوف نذكر بعد الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر، ومن ذلك:

قصة أصحاب الغار والصخرة التي سدت عليهم بابها: حيث روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فأنحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا، ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدرح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فأنفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج»، قال النبي ﷺ: «وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأرذتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى أمت بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فأنصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فأنفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها»، قال النبي ﷺ: «وقال الثالث: اللهم إنني استأجرت أجرا، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فتمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرفيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إنني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستأفه، فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فأنفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون»^(١).

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل، ٩١/٢ برقم ٢٧٧٢، وصحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ٤/٢١٠٠ برقم ٢٧٤٣.

سؤال أخبار اليهود عن أخبار لا يعلمها إلا نبي: فلقد أقر بعض أخبار اليهود بصدق النبي ﷺ في نبوته، حين أتى وفد من علماء اليهود إلى رسول الله ﷺ، يسألونه عن أمور لا يعلمها إلا نبي، فعن عبد الله بن عباس: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمهن إلا نبي، فكان فيما سأله أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟ قال: «فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً فطال سقمه، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه، ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه، لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه البانها؟» فقالوا: اللهم نعم^(١).

قصة البيغي التي سقت كلباً فغصر الله لها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «غصرت لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس ركي يلهث، قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقت به خمارها، فنزعت له من الماء، فغصرت لها بذلك»^(٢).

وقصة التاجر الذي كان يتسامح مع الدائنين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يدين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، وأترك ما عسر وتجاوز، لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا، فلما هلك قال الله عز وجل له: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا. إلا أنه كان لي غلام وكنت أدين الناس، فإذا بعثته ليتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، وأترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا. قال الله تعالى: قد تجاوزت عنك»^(٣).

وقصة قاتل التسعة والتسعين نفساً: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً، فجعل يسأل هل له من توبة؟ فأتى راهباً، فسأله فقال: ليست لك توبة، فقتل الراهب، ثم جعل يسأل، ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قوم صالحون، فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فنادى بصدرة، ثم مات، فأختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر، فجعل من أهلها»^(٤).

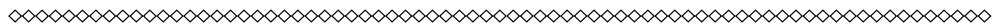
(١) رواه الإمام أحمد، في مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ٢٧٧/٤ برقم ٢٤٧١، والطبائسي، ٢٨٥٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى، ١٧٤/١، والطبري في تفسيره، ٣٧٧/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره، ٢٨١٦. صحح إسناده ابن حجر في العجاب، ٧١٦/٢، وأحمد شاکر في تحقيق مسند أحمد، ١٥٦/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الدباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، ١٣٠/٤ برقم ٣٢٢١.

(٣) رواه النسائي، كتاب البيوع، حسن المعاملة والرفق في المطالبة، ٣١٨/٧ برقم ٤٦٩٤، وابن حبان، كتاب الديون، ذكر البيان بأن هذا الرجل لم يعمل خيراً قط إلا تجاوز عن المفسرين ٤٢٢/١١ برقم ٥٠٤٢. وقال الألباني في الترغيب: حسن صحيح، ٣٦/٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، ٢١١٩/٤ برقم ٢٧٦٦.

وقصة الغلام المؤمن والساحر: فعن صهيب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فأبعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه، إذا سلك راهب فقعده إليه وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربته، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فأمن بالله شفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ الأكمة والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: أرجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمشار، فوضع المشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: أرجع عن دينك، فأبى فوضع المشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له أرجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فأصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروتة، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فأنكفات بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم أرمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع



السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْعَلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: أَمَّا يَرْبُ الْعَلَامِ، أَمَّا يَرْبُ الْعَلَامِ، أَمَّا يَرْبُ الْعَلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَقْوَامِ السُّكَّ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، ففَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْعَلَامُ: يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ^(١).

وإنَّ نصوص القرآن الكريم الذي أوحى الله تعالى به لنبيه ﷺ مليئةٌ بقصص الأمم الماضية، بلغها نبينا ﷺ للبشرية، وما اشتملت عليه من أحداثٍ وعبر بأحسن أسلوب وألطف عبارة، ابتداءً بقصة آدم عليه السلام ومراحلها المختلفة، ومروراً بقصص أولي العزم من الرسل والابتلاءات التي لحقتهم في سبيل دعوتهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف أقوامهم منها، وما تخلل ذلك من مواقف تربويّة، ومواعظ جليّة، وعاقبة الذين آمنوا بهم في الدنيا والآخرة، والعقاب الإلهي الذي حلّ بالمعرضين عن قبول دعوتهم والإيمان بها، ولو كان عندهم ما ينقضها لكانوا أحرص الناس على تكذيبها، أو التشكيك فيها، ولكنهم لم يفعلوا لأنها وحي أوحى إلى نبينا ﷺ ليكون واحداً من دلائل صدق نبوته ﷺ.

كما وردت في نصوص الوحيين أخبارٌ كثيرة عن الصالحين، وما جرى لهم من أحداث، كقصة أصحاب الكهف، وخبر موسى مع الخضر، ويوسف وإخوته، وتمكين ذي القرنين، ووصايا لقمان، وتفاصيل ما حدث للعبد الصالح الذي أماته الله مائة عام، ثم بعثه ليوقفه على حقيقة البعث والنشور.

فهذه وغيرها من الأخبار التي وقعت في الأمم السابقة، وأخبر عنها النبي ﷺ تضيفُ بعداً جديداً للدلائل الكثيرة على صدق نبوته ﷺ، وأحقية رسالته.

المطلب الثاني: دلائل الإعجاز في السنة النبوية بالإخبار عن غيبيات حدثت

في حياته ﷺ

كثيرة هي الغيوب التي أخبر بها النبي ﷺ وتحققت في حياته ﷺ، ولم يكن قد حضر أحداثها ولكن أوحاها الله تعالى إليه، وجاءت مجمّلة أو مفصلة في القرآن الكريم، لإبلاغ الرسول ﷺ على ما يجري في غيبته، ومنها:

إضمار اليهود والمنافقين الكيد لرسول الله ﷺ: وما كان يحيكه اليهود والمنافقون في الخفاء لحرب الله ورسوله، مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والعلّام، ٤/٢٢٩٩ برقم ٣٠٠٥.

﴿الكُفْرُ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٤١)، عن

البراء بن عازب قال: مر على رسول الله ﷺ بيهودي محمم مجلود- أي قد وضع الفحم الأسود على وجهه للتكيل به- فدعاهم فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقال: لا والله ولولا أنك نشدتي بهذا لم أخبرك، تجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكننا إذا أخذنا الشريف تركناه. وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئا نقيمه على الشريف والوضيع. فاجتمعنا على التحميم والجلد، مكان الرجم، فقال النبي ﷺ «إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، قال: فأمر به فرجم. قال: فأنزل الله تعالى: يا أيها الرسول لا يحزنك»^(١).

ومنها تعرية حقيقة المنافقين: وما كانوا يقولونه في غيبة رسول الله ﷺ، فأخبره الله تعالى بكيدهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٢)، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كَلِمًا وَقَفَّ وَقَفَّ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجَرَحَ الرَّجُلُ جَرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ، وَذُبَابُهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلْبِهِ، ثُمَّ جَرَحَ جَرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، بَابُ رَجْمِ الْيَهُودِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الرِّزَى، ١٢٢٧/٢، برقم ١٧٠٠.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ لَا يَقُولُ فُلَانٌ شَهِيدٌ، ٣٧/٤ برقم ٢٨٩٨، ومسلم، كتاب الإيمان، بَابُ

خبر الريح حال توجهه ﷺ لغزوة تبوك: ومن الغيوب التي تنبأ بها ﷺ ووقعت حال حياته خبر الريح التي تنبأ ﷺ بهبوبها وهو منطلق وأصحابه إلى تبوك فقال: «عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ فَأَتَيْنَا وَادِيَ الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةٍ لَامْرَأَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْرُصُوهَا» فَحَرَصْنَاهَا وَحَرَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ أَوْسُقَ، وَقَالَ: «أَحْصِيهَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ» وَأَنْطَلَقْنَا، حَتَّى قَدَمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَهَبُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يُقَمُّ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيُشَدِّ عِقَالَهُ» فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طَيْئٍ...» الحديث^(١)، فتلك حقيقة ماثلة أمام أعين الناس، في زمن لم يكن فيه خبراء الأرصاد، ولا وسائل التنبؤ بالطقس ولا مقاييس لسرعة الرياح، فمن الذي أخبر النبي ﷺ بهبوب هذه الريح؟ إنه الوحي الذي أوحى الله تعالى به لنبيه، لتكون إحدى دلائل نبوته ﷺ.

قال النووي: «هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة؛ من إخباره عليه الصلاة والسلام بالمغيب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح.. وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته، والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم مما يضرهم في دين أو دنيا^(٢).

هزيمة الفرس وغلب الروم: فخلافاً لكل التوقعات، وما آلت إليه موازين القوى في زمن النبي ﷺ، فقد أخبر به النبي ﷺ من الغيوب الذي تحقق في حياته ﷺ، تنبؤه بهزيمة الفرس وغلب الروم، والمتأمل في هذا الخبر وقتها ليعجب، ووسط هذه الأحداث أخبر النبي ﷺ أن الروم سينتصرون على الفرس في بضع سنين، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: قَالَ تَعَالَى: ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ (الروم: ٢-٤)، قَالَ: غَلِبَتْ وَغَلِبَتْ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ لِأَنَّهُمْ وَإِيَاهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ»، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجْلاً، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجْلاً خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمَّ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَلَا جَعَلْتُهُ إِلَى دُونَ» - قَالَ: أَرَاهُ الْعَشْرَ، قَالَ سَعِيدٌ: وَالْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ - قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدَ. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ

غَلَبَ تَحْرِيمَ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنْ مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ، ١٠٦/١ برقم ١١٢.

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابٌ فِي مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٤ / ١٧٨٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي، ٤٢/١٥.

﴿ (الروم: ٤-٥) قَالَ سَفِيَانُ: «سَمِعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ»^(١) .

فضلاً عما أشار إليه من حقيقة علمية أخرى كشف عنها العلم الحديث، لتبرهن على صحة الخبر ودقته في تحديد المكان والزمان، فلقد تحقق الزمن، أما المكان فاكتشف العلم الحديث أن (أدنى الأرض) الواردة في الآية الكريمة والبقعة التي انتصر فيها الفرس على الروم هي منطقة الأغوار قريباً من البحر الميت، وهي أدنى مناطق الأرض، أي أخفض مكان في الأرض كما تؤكد الموسوعة البريطانية وغيرها^(٢).

إنها معجزة أمام أعين قريش، وحلفائهم، يرونها ويعايشون أحداثها، فمن ذا الذي أخبر رسول الله ﷺ بهذه النبوة العظيمة؟ لا شك إنه وحى الله، وهو دلائل نبوته ورسالته ﷺ.

خبر كتاب حاطب بن أبي بلتعة: وهي قصة مشهورة زمن النبي ﷺ، مما أطلع الله تعالى نبيه عليه من الغيوب التي لم يكن يعرفها النبي ﷺ، لولا إخبار الله تعالى له؛ بل كان الخبر مفصلاً، ويدور حول كتاب كتبه الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وهو في المدينة، وأرسله إلى أهل قريش مع امرأة، وأخفت الخطاب في خصال شعرها، يخبرهم فيه بعزم النبي ﷺ على غزو مكة، فكان الخبر الصادق من رسول الله ﷺ، أن أخبره الله تعالى بخبر حاطب وكتابه، فكشف الله تعالى له ذلك؛ فعن علي رضي الله عنه، قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَا مَرْتَدَ الْعَنْسَوِيَّ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَكَلَّمْنَا فَارِسَ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ، فَإِنَّ بِهَا أَمْرًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ»^(٣)، قال ابن حجر: «وفيه من أعلام النبوة إطلاع الله نبيه على قصة حاطب مع المرأة»^(٤).

نعي قادة مؤتة: ومن الإخبار المعجز الذي أخبر به رسول الله ﷺ، نعيه لقادة مؤتة الثلاثة، إذ كانوا هم في المعركة في الشام، ورسول الله ﷺ في المدينة، يقول أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، نعى زيداً، وجعفرًا، وأبْنِ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ، فَقَالَ «أَخَذَ الرَّأْيَةَ زَيْدٌ، فَأَصِيبٌ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرُ فَأَصِيبٌ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبٌ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(٥)، فقد أعلم النبي ﷺ باستشهادهم قبل أن يأتيه خبرهم، أو

(١) رواه الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب: وَمِنْ سُورَةِ الرُّومِ، ٢٤٢/٥ برقم ٢١٩٢، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ سَفِيَانَ التُّورِيِّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، وَهَذَا الْأَبَاطِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ صَحِيحٌ ٢٥٥١.

(٢) انظر: أطلس العالم، إعداد مكتبة بيروت، ص ٩٥، وانظر: إنه الحق، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برباطة العالم الإسلامي، ص ٧٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَقَّصَهُ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ، ١٩٤٢/٤ برقم ٢٤٩٤.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ٢٢٤/١٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، ١٤٢/٥ برقم ٤٢٦٢، وكذلك ٢٧/٥ برقم ٢٧٥٧.

يعلم أحد من أهل المدينة أو يأتي خبرهم إلى الناس هو الله علام الغيوب، قال الطحاوي: «وفيه علّم ظاهر من أعلام النبوة»^(١).

الإخبار بحقيقة الشيطان المتمثل لأبي هريرة: ومن إخباره ﷺ بالغيوب؛ تعريفه أبا هريرة رضي الله عنه بحقيقة الشيطان المتمثل في صورة رجل، وتبؤه بأنه سيأتي مرة بعد مرة، فقد جاءه شيطان، يسرق من طعام الزكاة، فأمسك به أبو هريرة، ثم خلى عنه لما شكى الفقر والعيلة. يقول أبو هريرة: فخليتُ عنه، فأصبحتُ، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟»، فقلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيلاً، فرحمته، فخليتُ سبيله، قال: «أما إنه قد كذّبك، وسيعود»، قال أبو هريرة: فعرفتُ أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: «إنه سيعود»... وعاد الرجل كما أخبر النبي ﷺ، وأطلقه أبو هريرة ثانية، فأخبره النبي بمقدمه ثالثة، فكان كما أخبر، فلما غدا إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة»، قال: لا، قال: «ذاك شيطان»^(٢)، قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على المغيبات»^(٣).

فهذه الغيوب وغيرها مما أخبر به ﷺ أدلة واضحة وبراهين ساطعة على دلائل نبوة النبي ﷺ، فهي غيوب أخبره بها الله تعالى، وشواهد عيان على صدق رسالته ﷺ.

إخبار رسول الله بموت النجاشي: ومما أخبر به محمد رسول الله ﷺ وقد تحقق بالفعل في حياته ﷺ إخباره بموت ملك الحبشة (النجاشي)؛ فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلّى، فصَفَّ بهم وكَبَّرَ أربعاً»^(٤).

وهذا الحديث دليل من دلائل نبوته رسول الله ﷺ؛ لأن نعي النجاشي في اليوم الذي مات فيه على الرغم أن المسافة بين الحبشة والمدينة مسيرة أيام وليال تؤكّد بما لا يدع مجالاً للشكّ أن الله جل وعلا هو الذي أخبره بوفاة النجاشي^(٥).

الإخبار بفتح خيبر على يدي علي رضي الله عنه: وثبت كذلك أنه ﷺ أعلم أصحابه: (بفتح خيبر على يدي علي) قال رسول الله ﷺ، يوم خيبر: عن أبي حازم، قال: أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطيننَّ هذه الرّايةَ غداً رجلاً يفتح الله على

(١) عمدة القاري، العيني، ٢٦٩/١٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً، فترك الوكيل شيئاً فأجازهُ المؤكل فهو جائز. وإن أقرضهُ إلى أجلٍ مسمّى جاز. ١٠١/٣ برقم ٢٣١١.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٥٧١/٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، ٧٢/٢ برقم ١٢٤٥.

(٥) انظر: نبوة محمد من الشك إلى اليقين، فاضل صالح السامرائي.

يَدِيهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يَعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيُّنَ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَسْتَكِي عَيْنِيهِ، قَالَ: «فَارْسَلُوا إِلَيْهِ». فَأَتِي بِهِ فَبَصَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنِيهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّأْيَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتَلَهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١)، وتحقق ما أخبر به النبي ﷺ في اليوم التالي مباشرة، فأخذ علي باب القلعة بيده وجعله ترساً، ولما تم أمر الفتح رماه في الأرض، وكان الباب عظيمًا، حتى أنه لم يستطع ثمانية رجال - وفي رواية أربعون رجلاً - رفعه من الأرض^(٢).

خبر حديث أهل قريش يوم فتح مكة: فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ببلايا رضي الله عنه بأن يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام وهم رؤساء قريش جلوس في فناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً إذ لم ير هذا اليوم، وقال الحارث: أما وجد محمد مؤذناً غير هذا الغراب الأسود! فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، ولو تكلمت لأخبرتته هذه الحصباء، فخرج عليهم النبي ﷺ وقال: «لقد علمت الذي قلتهم وذكر مقالتهن. فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول به»^(٣).

ما كان من خبر صحيفة المقاطعة: فقد ثبت أنه ﷺ أعلم قريشاً بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم، وأنها أبقت فيها كل اسم لله، فوجدوها كما قال ﷺ^(٤)، وهي معلقة على الكعبة.

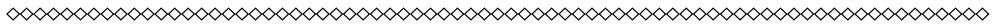
حديث (ستاً بين يدي الساعة): وهو إخبار بما يقع بين يدي الساعة من أمور، فبينما كان النبي ﷺ في تبوك؛ أنبأ أصحابه بوقوع ستة أحداث مهمة، رتب وقوعها، فقال لعوف بن مالك: قَالَ عَوْفٌ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: «أَعَدَدْتُ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيُظَلُّ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ١٣٤/٥ برقم ٤٢١٠.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٨٩/٤، وكشف الخفاء، للعجلوني، ١١٦٨.

(٣) انظر: الشهاب، للخفاجي ٢/٢١٩، وانظر: المطالب العالية، لابن حجر، ٤٢٦٦، زاد المعاد، لابن القيم، ٢/٤٠٩، سيرة ابن هشام، ٢/٤١٢.

(٤) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٢/٩٦، الطبقات الكبير، لابن سعد، ١/١٧٧، الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٢/٨٧.



وَيَبِّنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا^(١).

وفي هذا الحديث يذكر النبي ﷺ أحداثاً سنة يرتبها، أولها: موته ﷺ، ثم فتح بيت المقدس، وقد كان ذلك في العام الخامس عشر من الهجرة، ثم موت عظيم يصيب الصحابة، وتحقق ذلك في طاعون عمواس في السنة الثامنة عشرة للهجرة، ثم استفاضة المال حين كثرت الأموال زمن الفتوح في عهد عثمان، ثم الفتنة التي تصيب العرب، وقد وقعت زمن فتنة قتل عثمان رضي الله عنه التي كانت بوابة للفتن التي ما تركت بيتاً إلا ودخلته.

وأما العلامة الأخيرة، وهي الهدنة ثم الحرب مع بني الأصفر (وهم الروم) فقد اتفق العلماء على أنها لم تقع، وأن ذلك يكون في فتن وملاحم آخر الزمان، قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها^(٢)».

المطلب الثالث: دلائل الإعجاز في السنة النبوية التي تحققت بعد وفاته ﷺ.

إن الغيوب التي أشرنا إلى نماذج منها وتحققت في حياته ﷺ، للاستدلال على دلائل نبوة النبي ﷺ، هي من دلائل حية شاهدة على صدق نبوته ﷺ.

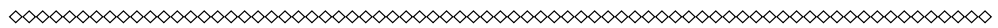
ونشير هنا إلى نماذج أخرى على سبيل المثال لا الحصر إلى عدد من الغيوب التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم وتحققت بعد موته ﷺ، وهي براهين صادقة على نبوته ﷺ، ودحض شبهات المغرضين بأن الأمر لم يتوقف على تحقيق ما أخبر به ﷺ في حياته لتكون المعجزة أعظم وأشد أثراً.

فقد جاءت السنة النبوية المطهرة الصحيحة بكثير من مسائل الغيب التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، وتحققت بعد وفاته ﷺ، لتبرهن على أنها كانت وحياً من ربه جل وعلا، ونوعاً آخر من دلائل نبوته ﷺ، ومن ذلك:

تبشير سراقه بن مالك بسواري كسرى: والحقيقة إنها واحدة من أكثر دلائل النبوة وقعاً وأثراً وتأثيراً، لأن زمانها، ومناسبتها لم يكن لهما أن يمنحا بشارة كهذه إلا إذا كانت وحياً صادقاً من الله تعالى، فكانت وقت الهجرة، فلا قوة ولا عتاد، بل مطاردة من فارس مدجج لرجلين أعزليين يسلكان أوعر الطرق للتخفي عن أعين المطاردين لهما، والقصة مشهورة ومثبتة في صحيح السنة، واختصارها، أنه لما هاجر النبي ﷺ هو وبرفقته صاحبه أبو بكر في قصة الهجرة المشهورة وتبعتهم قريش بفرسانها، أدركهم سراقه بن مالك المدلجي، وكاد أن يلحق بهما، فلما رآهما دعا النبي ﷺ على سراقه فساخت يدا فرسه في الرمل فقال سراقه: إني أراكما قد دعوتما

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب ما يُحَدَّرُ مِنَ الْغَدْرِ، ١٠١/٤ برقم ٢١٧٦.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٢٢١/٦.



علي، فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي صلى الله عليه وفي رواية أن النبي صلى عليه وسلم قال لسراقة كيف بك إذا لبست سوارى كسرى وتاجه، فلما فتحت فارس والمدائن وغنم المسلمون كنوز كسرى أتى أصحاب رسول الله بها بين يدي عمر بن الخطاب، فأمر عمر بأن يأتيوا له بسراقة بن مالك، وقد كان وقتها شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين من العمر، وكان قد مضى على وعد رسول الله له أكثر من خمس عشرة سنة فألبسه سوارى كسرى وتاجه وكان رجلاً أرب أي كثير شعر الساعدين فقال له أرفع يديك وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي^(١).

والسؤال: من أخبر النبي محمداً بأن أمته سوف تغنم كنوز كسرى، وأن تاجه يلبسها سراقة الأعرابي؟! فلى المنكرين لدلائل نبوته ﷺ الإجابة!!

إخباره ﷺ بأن ابنته فاطمة أول أهله لحوقاً به ﷺ: قوله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها: «وَأَنْتِ أَوْلُ أَهْلِي لِحُوقًا بِي وَنَعَمَ السَّلْفُ أَنَا لِكَ»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه^(٣).

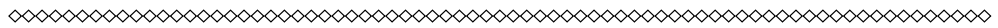
إخباره ﷺ بأن الحسن بن علي رضي الله عنه سوف يصلح بين فئتين عظيمتين:

فَعَنَّ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٤).

قال بدر الدين العيني رحمه الله: وهذه معجزة عظيمة من النبي حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر^(٥).

بشارة رسول الله بفتح عدد من البلدان: ومن دلائل إعجاز رسول الله ﷺ الغيبي، والذي يشهد بصدق نبوة رسول الله ﷺ، ما بشر به من فتح عدد من البلدان منها: (اليمن، والعراق، والشام، وبيت المقدس، ومصر، والروم، وفارس .. وغيرها) ومن ذلك:

(١) انظر القصة في: صحيح البخاري كتاب الأشربة، باب شرب اللبن، ١٠٨/٧ برقم ٥٦٠٧، وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرفاق، باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرجل بالحاء، ٢٣٠٩/٤ برقم ٧٥-٢٠٠٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، ١٩٠٥/٤ برقم ٢٤٥٠.
(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٣٦/٨.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما، ١٨٦/٢ برقم ٢٧٠٤.
(٥) انظر: عمدة القاري، بدر العيني، ٢٨٢/١٣.



فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية: فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشْرِ الخَثْعَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَتَفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلْنَعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرَهَا، وَلْنَعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ». قَالَ: فَدَعَانِي مُسَلِّمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَأَلَنِي، فَحَدَّثْتُهُ، فَفَزَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ^(١)، ولعل ما يثير الدهشة، أن راوي الحديث عبد الله بن بشر الخثعمي، قد ذكر أن مُسَلِّمَةَ بن عبد الملك قائد الجيوش في عهد الخلافة الأموية، عندما سمع الحديث وتأكد من صحته، هبَّ مسرعاً، فأمر بالتحرك فوراً تجاه القسطنطينية لفتحها، إيماناً وتصديقاً بنبوة نبينا ﷺ، وتحقق له ذلك^(٢).

ويعد هذا الحديث واحداً من الإعجاز الغيبي الذي لا يخطر على بال أحد أو يتوقعه أي متأمل نظراً للواقع الذي كان فيه المسلمون آنذاك؛ فالقسطنطينية وهي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية كانت مدينة حصينة، تصارع قوة عظمى حينها وهي الفرس، والحرب بينهما سجال، فكيف سينتصر المسلمون على هذه القوى، وهم في مرحلة ضعف آنذاك؟!

إنه الإيمان بصدق رسول الله ﷺ، ورغبتهم الجامعة في نيل شرف مدح الجيش وقائده في هذا الفتح! إلى تحقق لهم ذلك على يد محمد الفاتح عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، وكان فتحاً عظيماً، نال به محمد الفاتح قائد الجيش وجيشه وسام المدح من قبل رسول الله ﷺ، تحقيقاً لنبوءته ﷺ^(٣).

فتح بلاد فارس: وهو واحد من دلائل نبوة رسول الله ﷺ الغيبية، وما أعقبه من استقرار الأوضاع وانتشار الأمن والأمان في الجزيرة العربية آنذاك، فعن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجلٌ، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر، فشكا قطع السبيل، فقال: «يَا عَدِي هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ؟» قلت: لم أرها، وقد أنبتت عنها، قال: «فَإِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيْنَ الطَّعِينَةَ^(٤)، تَرْتَجِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ». قلتُ فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَارُ طَيْئِ^(٥)، الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ^(٦)، «وَلَيْتَنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَفْتَحَنَّ كَنْوزُ كَسْرَى»، قلتُ: كَسْرَى بن هرمز؟! قال: «كَسْرَى بنُ هَرْمَزٍ، وَلَيْتَنَ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرَجُ مَلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتْرَجِمُ لَهُ، فَيَقُولُنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغُكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَلَمْ أَعْطِكَ

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٨١/٢، وفي «الصغير» ٣٠٢، والإمام أحمد، ٢٨٧/٣١ برقم ١٨٩٥٧، والبخاري، ١٨٤٨، والحاكم، برقم ٨٣٠٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والهيتمي: مجمع الزوائد ٢٢٩/٦.

(٢) انظر: الإعجاز الغيبي في السنة النبوية، راغب السرجاني، ١٢-١٥.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) الطعينة: المرأة في الهودج، وهو في الأصل اسم للهودج. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦/٦١٣.

(٥) دُعَار: الشرير، والمراد قطاع الطريق، وطئ قبيلة مشهورة، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦/٦١٣.

(٦) سعروا البلاد: أي أوقدوا نار الفتنة، أي ملأوا الأرض شراً وفساداً. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦/٦١٣.

مَالًا، وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ». قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». قال عدي: فرأيت الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياةً لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: «يُخْرِجُ مَلَأَ كَفِّهِ»^(١)، وزاد الإمام أحمد: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّلَاثَةُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَهَا»^(٢)، وحدث هذا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقد كان عماله يطوفون على مَنْ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ فلا يقبلها أحد؛ فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، وعن ذلك يقول مهاجر بن يزيد: بعثنا عمر بن عبد العزيز فقسمننا الصدقة، فلقد رأيتنا وإننا لنأخذ الزكاة في العام القابل ممن يُتَصَدَّقُ عليه في العام الماضي^(٣).

الإخبار بظهور النار في أرض الحجاز: وتلك واحدة من الدلائل الواضحة التي تؤكد صدق نبوته ﷺ، وهي: ظهور النار في أرض الحجاز، بركان يثور في الحجاز ينعكس ضوءه بالشفق، فيلحظه أهل بصرى بالشام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى»^(٤)، ولقد تحقق هذا، ورأها الناس رأي العين، وذلك بعد وفاة النبي ﷺ بما يزيد عن ست مائة عام، حيث ظهرت هذه النار في أرض الحجاز سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) بمكان يعرف باسم (الحرّة) وهو مكان قرب المدينة المنورة، وورد تفصيل حدوثها في كتب المؤرخين وحققها المعاصرون في كتبهم^(٥).

قال النووي: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت ناراً عظيمة جداً، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرّة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة»^(٦).

قال ابن كثير: «وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة، قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبي شامة في تاريخه: إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة.. وذكر كتباً متواترة عن أهل المدينة في

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ١٩٧/٤ برقم ٣٥٩٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٢٠ / ١٩٧ برقم ١٨٢٦٠، والحاكم في المستدرک، ٤ / ٥١٨.

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين النووي، ٢١/٢.

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الفتن، بَابُ خُرُوجِ النَّارِ، ٥٨/٩ برقم ٧١١٨، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، ٤ / ٢٢٢٧ برقم ٢٩٠٢.

(٥) انظر: القرطبي: التذكرة ص ٢٢٥، ابن تيمية: الجواب الصحيح ١٦٢/٢، ١٦٢، ٤٢٠/٥، ٨٩/٦، وابن كثير: البداية والنهاية ٢ / ٣٩٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢٩/١٨.

كيفية ظهورها شرق المدينة .. وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أن أهل المدينة لجؤوا في هذه الأيام إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها^(١).

خبر قدوم أويس: ومما أخبر به ﷺ من المغيبات التي أطلعها الله عليها لتكون برهان نبوته قدوم أويس القرني من اليمن، وقد ذكر ﷺ لأصحابه بعض صفته وأحواله، فعن أسير بن جابر، أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر، وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: «إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهب عنه، إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم»^(٢).

وقد كان كما أخبر ﷺ، عن أسير بن جابر، قال: لما أقبل أهل اليمن جعل عمر يستقري الرفاق فيقول: هل فيكم أحد من قرن حتى أتى على قرن، فقال: من أنتم؟ قالوا: قرن، فوقع زمام عمر - أو زمام أويس - فتأوله أو ناله أحدهما الآخر فعرفه، فقال عمر: ما اسمك؟ قال: أنا أويس، فقال: هل لك والدة؟ قال نعم، قال: فهل كان بك من البياض شيء؟ قال: نعم، فدعوت الله عز وجل فأذهب عني إلا موضع الدرهم من سرتي، لأذكر به ربي، قال له عمر استغفر لي، قال: أنت أحق أن تستغفر لي، أنت صاحب رسول الله ﷺ، فقال عمر إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة وكان به بياض فدعا الله عز وجل، فأذهب عنه، إلا موضع الدرهم في سرتيه» فاستغفر له، ثم دخل في غمار الناس، فلم يدر أين وقع، قال: فقدم الكوفة، قال: وكنا نجتمع في حلقة، فنذكر الله، وكان يجلس معنا، فكان إذا ذكر هو وقع حديثه من قلوبنا موقعا لا يبع حديث غيره، - فذكر الحديث^(٣)، قال النووي: «وفي قصة أويس هذه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ»^(٤).

تطريد أبي ذر الغفاري: وثبت أيضاً أنه ﷺ أخبر أبا ذر رضي الله عنه بتطريده، أي من المدينة المنورة، وأنه يعيش وحده ويموت وحده^(٥)، وقد أورد ابن كثير عن ابن مسعود في حديث طويل، ذكر فيه قول ابن مسعود عند رؤيته جنازة أبي ذر، قال: صدق رسول الله «يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده ويموت وحده ويعيش وحده»^(٦) فنزل قوليه بنفسه حتى أجته، فقد تحققت نبوءة النبي

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ٢٥٢/٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه، ١٩٦٨/٤ برقم ٢٥٤٢.

(٣) رواه الإمام أحمد «مسند الإمام أحمد مخرجا» ١/٢٧٢ برقم ٢٦٦، وصححه الألباني برقم ٢٠٦٤.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، ٩٤/١٦.

(٥) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٨/٥، ٩، واورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية، ٤/١١٦ برقم ٤١٠٩، وانظر:

الإصابة، ٣٨٧، ٤/٦٤، السلسلة الصحيحة " للشيخ الألباني رقم/٣٢٢٧.

(٦) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٢٥٢/٦.

صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه بعد عشرين سنة، ووقع الأمر كما أخبر.

الإخبار بركوب البحر ومعهم أم حرام رضي الله عنها: فقد ثبت أنه ﷺ استيقظ من النوم في بيت أم حرام وهي خالة أنس بن مالك، كما روي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه سمعه يقول: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء، يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل يوماً فأطعمته، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: «ناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون نيج هذا البحر، ملوكاً على الأسرة، أو قال: مثل الملوك على الأسرة» - شك إسحاق - قلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ يضحك، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله، قال: «ناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون نيج^(١) هذا البحر، ملوكاً على الأسرة، أو: مثل الملوك على الأسرة» فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين» فركبت البحر زمان معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت^(٢)، ولقد تحقق هذا زمان معاوية، وصدق رسولنا ﷺ.

إن ما سبق وسقناه من أخبار أخبر بها النبي ﷺ، وتحققت بعد وفاته ﷺ، مجرد نماذج، فلقد وقفت على مئات من الأخبار والمبشرات والتحذيرات الصحيحة الثابتة، إلا أننا نكتفي بهذه الأمثلة في هذا الباب، فدلائل النبوة من الكثرة والوضوح بدرجة لا تخفى إلا على من عميت بصيرته وضل سؤله وسبيله، ولعبت به الأهواء كبيراً وعباداً.

المطلب الرابع:

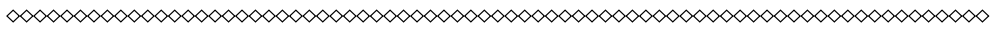
دلائل الإعجاز في السنة النبوية عن غيبات مستقبلية؛ سوف تتحقق يقيناً

سبق الحديث عن الغيبات التي أخبر بها النبي ﷺ، وتحققت في حياته ﷺ، وأخرى عن الغيبات التي تحققت بعد وفاته ﷺ، وحديثنا هنا عن الغيبات التي أخبر بها النبي ﷺ وما زالت لم تتحقق، فمن الغيبات غير ما تقدم إخباره ﷺ عن الفتن وعلامات الساعة وهذا كثير؛ عن طارق بن شهاب، قال: «سمعت عمر رضي الله عنه، يقول: قام فينا النبي ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه»^(٣).

(١) (ثيغ البحر): وسطه ومعظمه وقيل ظهره، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٢٠/٢.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال عندهم، ٦٢/٨ برقم ٦٢٨٢، وصحيح مسلم، باب فضل الغزوة في البحر، ١٥١٨/٢ برقم ١٩١٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧)، ١٠٦/٤ برقم ٣١٩٢.



والحديث عن أخبار غيبية مستقبلية، أخبر بها النبي ﷺ ولم تقع إلى الآن، وستقع ولا بد منها يقيناً، كثيرة للغاية، ومنها على سبيل المثال: خبر المسيح الدجال، وأحداث يوم القيامة، وغيرها كثير، فمن ذلك:

خبر المسيح الدجال: فقد جاءت به أحاديث متواترة عن النبي ﷺ، أنه يخرج في آخر الزمان، وأنه يأتي من جهة المشرق من بين العراق والشام، وأنه يعيث في الأرض فساداً، ويظأ الأرض كلها، إلا مكة والمدينة فإن الله يحميهما منه، ثم ينتهي إلى الشام ينتهي إلى فلسطين إلى اليهود هناك، وينزل الله عيسى بن مريم فيحصره هناك ثم يقتله هناك في غربي الأردن، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، ويقتله المسلمون من معه، فإن عيسى عليه الصلاة والسلام يغزوه ومعه المسلمون فيقتله بباب (لد) هناك في فلسطين القدس، يقتله بحريته كما جاء في الحديث الصحيح، والمسلمون معه يقتلون اليهود قتلة عظيمة^(١).

ثم يميت الله عيسى يتوفاه الله كما توفى من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو حين ينزل من السماء يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا بشريعة الإنجيل، بل هو كأحد أمته؛ لكنه أفضلها نبي من الأنبياء، فيحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، لا بشريعة التوراة والإنجيل، وفي الحديث هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»^(٢).

ومنه: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ: إِنَّهُ أَعُورٌ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالْتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»^(٣).

ومنه: قتال اليهود آخر الزمان واختبائهم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِي أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْتِي، فَأَقْتُلْهُ»^(٤)، وفيه إشارة إلى أن المسلمين يقاتلون اليهود فيقتلونهم ويسلطون عليهم، وأن الشجر والحجر ينادي: يا مسلم يا عبد الله! هذا يهودي تعال فاقتله، فيقتل الدجال وينتهي أمره، ويبقى المسلمون مع عيسى في أرغد عيش وأطيب نعمة، ويهلك الله الأديان

(١) انظر: مجموع فتاوى، الشيخ ابن باز، ٢٨/٢٢٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، بَابُ كَسْرِ الصَّلِيبِ وَقَتْلِ الْخَنزِيرِ، ١٣٦/٢ برقم ٢٤٧٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نوح: ١، إلى آخر السورة، ١٢٤/٤ برقم ٣٢٢٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ قِتَالِ الْيَهُودِ، ٤٢/٤ برقم ٢٩٢٥.

كلها في زمن عيسى، ولا يبقى إلا الإسلام.

أحاديث عن الساعة وأشراطها: وهي أحاديث كثيرة لا يمكن حصرها هنا، فمنها على سبيل المثال: حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ»، قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالِدُخَانُ، وَالِدَجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ فُجْرَةٍ عَدَنَ تَرَحَّلُ النَّاسُ»، قَالَ شُعْبَةُ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ مَثَلُ ذَلِكَ لَا يَذْكُرُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: نَزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تَلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ»^(١).

حديث الحوض: فقد صح عن رسول الله ﷺ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ لِيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالُكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُمْ لِأَنَاوِلِهِمْ اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَصْحَابِي يَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ»^(٢).

وفي الباب عشرات الأحاديث الصحيحة الثابتة، فهو ﷺ يعلم ما أوحاه الله إليه، وما كان عند الله من الغيب لا يعلمه سواه^(٣).

حديث الفتن: ومن ذلك عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ مِنْ أَطْمٍ مِنَ الْأَطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَ تَقَعُ خِلَالَ بَيْوتِكُمْ كَوْقَعِ الْقَطْرِ»^(٤).

الإخبار عن العوالم الأخرى: ومن المغيبات إخباره ﷺ عن العوالم الأخرى؛ كالجنان والملائكة وغيرها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينٌ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَاسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٥).

إن الحديث عن الغيبيات التي أخبر بها النبي ﷺ، ومعجزاته ﷺ، التي خصَّ بها، لها من الأثر والتأثير، الفوائد العظيمة، والآثار الجليلة، يجعل من الإيمان به ﷺ وبرسالته أمراً لا جدال

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ٨/ ١٧٩، رقم ٧٤٦٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، ٤/ ١٧٩٦، برقم ٢٢٩٧.

(٣) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، ٢٨/ ٢٢٦.

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ»، ٨/ ٤٨٩، برقم ٧٠٦٠، وصحيح مسلم، باب نزول الفتن كمواقع القطر، ٤/ ٢٢١١، برقم ٢٨٨٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، ٤/ ٢١٦٧، برقم ٢٨١٤.

فيه، أما من غابت بصيرتهم، وخوت عقولهم فقد جعلوا منها شماعات للتشكيك تارة، والتحريف تارة أخرى، فلم ولن يصلوا لمآربهم، ولن ينالوا إلا الخزي والخذلان، لأن الله تعالى حفظ دينه ورسالة ونبيه، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.
إن المتأمل في السيرة النبوية وما اشتملت عليه في هذا الباب من الإخبار بالغيبيات، وما تحقق منها في حياته ﷺ أو بعد وفاته، وما سوف يتحقق يقيناً، ليعلم أن لو لم يكن ما أخبر به ﷺ وحيًا من الله تعالى، وخبراً متحققاً لا محالة، لكان الحديث عن الغيبيات في عرف العقل والمنطق ضرباً من الجنون، فالعقل يحكم أن المرء لا يبرهن على شيء من الغيب إلا إذا كان على يقين مطلق من تحقيقه، والعقل كيف له أن يُرهن مُستقبل رسالة أو دين أو دعوة ما على عدد هائل من الغيبيات التي سبقت ولم يعلم بها أحد ممن عاصروه، أو سوف تثبت الأيام والتاريخ عاجلاً أم آجلاً مدى صدقيتها؟

إن ما ثبت من أمور الغيبيات في السنة النبوية يعضده ما جاء في محكم التنزيل، وهو امر مقطوع فيه باليقين، فقد تحقق كثير مما أخبر به النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإذا ما استثنينا الحديث عن الساعة ويوم القيامة، وعن الحياة الآخرة، وما ثبت فيها من أخبار، وما يكون فيها من ثواب وعقاب فإن الإسلام دين لم يناوئه معتقد ولا تاريخ فيما أثبت ما حصل في الماضي، وقد تحقق بحذاقيره، وما سيكون في المستقبل من أحداث وبأدق التفاصيل وهو متحقق لا محالة، فمن يعي ما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوة المطهرة، ولو لم يكن مؤمناً، فقط لو تابع التطورات العلمية في زماننا المعاصر، وما سبقها، من إثباتات علمية بشر بها أو أخبر عنها الإسلام في الكتاب والسنة، وما أحدثته من واقع لمن أراد ان يبصر، يدرك حقيقة التحديات والمعجزات والإعجاز الذي جاء به الإسلام، ولا غرو فهو آخر الأديان، وما جاء به معجزة وإعجاز إلى أن تقوم القيامة.

ولعل من أبرز النتائج :

- أن الغيبيات التي أخبر بها نبينا محمد ﷺ عن الله تعالى وحيي، وحق وصدق، وهي من دلائل نبوته ﷺ.
- أن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بما كان من الأمم السابقة، خبر وتحذير، وعظة وعبرة وزيادة، إنقاذاً للأنفس، وبتاً للفأل الحسن في نفوس المؤمنين، كما أثبت ذلك القرآن الكريم.

• أن الغيبيات التي أخبر بها نبينا محمد ﷺ إضاءات يستتير على ضوءها المسلم، يستوثق بها إيمانه، ويزداد بها يقينه، فلا يخبو ولا يضعف.

• أن ما أخبر به النبي ﷺ من المبشرات الغيبية يجب ألا يكون سبباً للتواكل عن إحسان العمل.

ومن أبرز التوصيات:

- ضرورة الاهتمام بتأصيل مسائل دلائل النبوة في السنة النبوية وأدلتها، من كتب السنة الصحيحة وفق منهجية علمية.

- تأكيد أهمية عناية العلماء والمختصين في السيرة النبوية بالعمل الجاد على تنقية كتب التاريخ والسيرة مما شابها من روايات ضعيفة وتصويبها، فما صح من السيرة كثير وفيه غنى.

- السعي الجاد لإيجاد أفضل الطرائق لترجمة دلائل النبوة الثابتة بلغات العالم، لبيان حقيقة النبوة، والتعرف على النبي ﷺ، من مصادر موثوقة، والحد من النصوص المشوهة عن الإسلام ونبينا ﷺ.

- إعادة النظر في تصحيح مسار الاستدلالات العلمية بمسائل دلائل النبوة، وأن تكون ضمن مساقها، وأن صدق النبوءة لا يتوقف على سلامة أو خطأ النظريات، فما جاء به النبي إن ثبت فهو الأصل لا غيره.

والله تعالى نسأل لنا ولكم التوفيق والرشاد، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع والمصادر

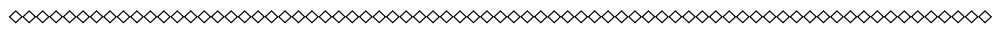
١) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ أطلس العالم، إعداد مكتبة بيروت، مكتبة الصغار، بيروت، ١٩٩٩م.

٢) الإعجاز الغيبي في السنة النبوية، راغب السرجاني، <https://islamstory.com/ar/2010/4/artical/83/> 27

٣) إنه الحق، هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي، عبد المجيد بن عزيز الزندانى المصدر: الشاملة الذهبية.

٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، المحقق:

- محمد صبحي بن حسن حلاق والدكتور محمود أحمد الأطرش؛ طبعة دار الرشيد دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- (٥) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- (٦) البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، كتاب أكاديمي أعد لطلاب كليات المجتمع، ١٩٨٩م.
- (٧) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- (٨) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- (٩) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ..
- (١٠) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ..
- (١١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- (١٢) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- (١٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٢١هـ)، عالم الكتب ٢٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.



١٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٥) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٢١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٦) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (٤٦٣هـ)، المطبعة المنيرية، ١٣٢٠هـ، ودار ابن الجوزي، ط ١، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الدمام، ١٤١٤هـ.

١٧) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٨) الجواب الصحيح لجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٩) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٢٠) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ.

٢١) الرسالة التدمرية، ابن تيمية، المطبعة السلفية وصف الرسالة المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط/ الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة:

السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٢٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) عدد الأجزاء: ٦، ج ١، ٤: ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م ج ٦: ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م ج ٧: ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٢٤) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. د.ت.

٢٥) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت.

٢٦) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٢٧) السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

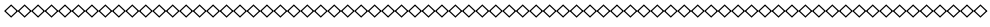
٢٨) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٢٩) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

٣٠) شرح الجلال على العقائد العضدية، الدواني، محمد بن أسعد الصديق جلال الدين الدواني، وفقية الأمير غازي للفكر العربي، د.ت.

٣١) شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

- ٤١) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ٤٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ)، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، ١٣٥١هـ.
- ٤٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.
- ٤٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٤٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- ٤٦) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، د.ت.
- ٤٧) المختار من كنوز السنة، محمد عبد الله دراز، دار الأنصار القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
- ٤٨) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروري القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- ٤٩) مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- ٥٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.



إعجاز السنة في الإخبار عن أمور غيبية

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى ،،، من تعلمت منها قوة الإرادة والصبر والمثابرة، ووضعت خطاي على أول الدرب ثم رحت قبل أن يكتمل الحلم إلى روح أمي الطاهرة، علّ الله أن يجعله في ميزان حسناتها إلى الرجل العظيم الذي حمل أمانة تربيتي وتعليمي، وغرس في نفسي حب العلم والطموح والذي إلى أولئك المخلصين الذين يسعون لإقامة منهج الله تعالى وتطبيق شريعته.

كل من يعمل في الارتقاء بالأمّة والنهوض بها.

إلى الحريصين على تشجيع البحث العلمي، والأخذ بيد الباحثين وتقدير جهودهم.

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وجعله حجة دامغة وبرهان ساطع أظهر عجز الكافرين بتحديهم على أن يأتوا بمثله إلى يوم القيامة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

إعجاز القرآن حقيقة قاطعة، وبدئية مقررة، أقر بها المسلمون والكافرون، المسلمون بتدبرهم للقرآن، وتذوقهم له، وإيمانهم به، والكافرون بإقرارهم بعجزهم عن معارضته، واعترافهم إعجازه لهم. وقد تطورت مسألة الإعجاز في التاريخ الإسلامي، من كون الإعجاز دليلاً على النبوة، وشاهداً على مصدر القرآن الرباني، ليتحول «إعجاز القرآن» إلى علم مستقل، قائم بذاته، يُدرس كما يدرس أي علم من علوم العربية. وظهرت الكتب الكثيرة، القديمة والمعاصرة، التي بحثت في الإعجاز، وقدم أصحابها أفكاراً وآراء ونظرات، وأضافوا على من سبقوهم إضافات كثيرة نافعة.

وفي هذا البحث سأتناول موضوع الإعجاز الغيبي إن شاء الله.
وقد قسمت البحث الى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالإعجاز الغيبي

المبحث الأول: تعريف الإعجاز الغيبي لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: شروط المعجزة.

المبحث الثالث: إمكان وقوع المعجزة.

الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم بين الإثبات والنفي

المبحث الأول: موقف العلماء من الإعجاز الغيبي. المبحث الثاني: ضابط إخبار الغيب المتحدى به.

المبحث الثالث: خصائص الإعجاز الغيبي في السنة.

الفصل الثالث: وجوه الإعجاز الغيبي

المبحث الأول: غيب الماضي. المبحث الثاني: غيب الحاضر. المبحث الثالث: غيب المستقبل.

وقد بذلت ما في وسعي من أجل تجلية هذا الموضوع وإشباعه بحثاً وتدقيقاً، فما كان صواباً فذلك بتوفيق من الله تعالى، وما كان من خطأ أو تقصير فمني ومن الشيطان.

الفصل الأول: التعريف بالإعجاز الغيبي

المبحث الأول: تعريف الإعجاز الغيبي لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: شروط المعجزة

المبحث الثالث: إمكان وقوع المعجزة

المبحث الأول: معنى الإعجاز الغيبي لغة واصطلاحاً

الإعجاز لغة:

للجذر الثلاثي: (ع.ج.ز)

- الْعَجَزُ: نَقِيضُ الْحَزْمِ، عَجَزَ عَنِ الْأَمْرِ يَعْجِزُ وَعَجَزَ عَجْزاً فِيهِمَا؛ وَرَجُلٌ عَجِزٌ وَعَجِزٌ: عَاجِزٌ. وَمَرَةٌ عَاجِزٌ: عَاجِزَةٌ عَنِ الشَّيْءِ؛ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ. وَعَجَزَ فَلَانٌ رَأَى فَلَانٌ إِذَا نَسَبَهُ إِلَى

خَلَّافَ الْحَزْمِ كَأَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى الْعَجْزِ. وَيُقَالُ: أَعَجَزْتُ فَلَانًا إِذَا أَلْفَيْتَهُ عَاجِزًا. ^(١) وَالْعَجْزُ: الضَّعْفُ. تَقُولُ: عَجَزْتُ عَنْ كَذَا أَعِجَزُ بِالْكَسْرِ عَجْزًا وَمَعْجِزَةً وَمَعْجِزًا. ^(٢)

- (عَجَزَ) العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء.

فَالأَوَّلُ عَجَزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ. وَقَوْلُهُمْ إِنْ الْعَجْزُ نَقِيضُ الْحَزْمِ فَمَنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يَضَعُفُ رَأْيَهُ. وَيَقُولُونَ: «المرء يعجز لا محالة». ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.

وَأَمَّا الأَصْلُ الأَخْرُ فَالْعَجْزُ: مؤخر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عجز الأمر، وأعجاز الأمور. ويقولون: «لا تدبروا أعجاز أمور ولت صدورها» ^(٣)

الإعجاز اصطلاحاً:

إن لفظ الإعجاز لم يرد في القرآن الكريم بالمعنى الذي عرفه العلماء فيما بعد، وورد بالقرآن الكريم ما يشبهه بغير هذا اللفظ مثل: آية، برهان، سلطان، بينة وغيرها.

ولم ترد في القرآن الكريم لفظة إعجاز أو معجزة كما لم يستعملها المؤلف قديماً، بل استعملوا آية أو كرامة، حتى جاء الواسطي ^(٤) واختار إعجاز القرآن عنواناً لكتابه المعروف. ^(٥)

فقد ذكر مفهوم الإعجاز «أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة، ويعجز عنه غيره، شاهداً على صدق دعواه، بشرط أن لا يتمتع صدقه في دعواه، بحكم العقل أو بحكم النقل الثابت عن نبيٍّ أو إمام معلوم العصمة، فيخرج مَنْ يدَّعي منصباً مستحيلاً، كإله» ^(٦).

وقد بين مصطفى صادق الرافعي أن الإعجاز في أمرين:

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ، (٥/٣٦٩).

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٢هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (٢/٨٨٢).

(٣) ابن فارس، أحمد القزويني (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤/٢٣٢). انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، (٢/٥٨٥).

(٤) الواسطي، هو عبد الله بن محمد بن يزيد الواسطي، المتوفى سنة (٣٠٦هـ) وضع كتابه إعجاز القرآن وهو أول كتاب وضع في الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف، ولا يبعد أن يكون استفاد مما كتبه الجاحظ وبنى عليه، انظر البغا، مصطفى ديب، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ، ص ١٩.

(٥) أبو ليل، عمر (محمد راجح) عمر، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٤م، ص ١٣.

(٦) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء - بيروت، ط ٤، ١٣٩٥هـ، ص ٣٣.

أولهما: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال
عنايته.

ثانيهما: ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكأن العالم كله في العجز
إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت.^(١)

إعجاز القرآن:

وإعجاز القرآن: هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن الكريم، وقصورهم عن الإتيان
بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية، وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحديهم وتقدير عجزهم
عن ذلك.^(٢)

فإثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله،
فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن،
وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في
كثير من آيات التحدي.^(٣)

وقيل أيضا هو اظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته
في معجزته الخالدة، وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم.^(٤)

والإعجاز هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت
عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول ﷺ، مما يظهر، ويؤكد صدقه فيما
أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، والمعجزة القرآنية - بما تتضمنه من حقائق علمية - دليل على
عالمية الرسالة الإسلامية.^(٥)

(١) الراضي، مصطفى صادق (١٣٥٦هـ)، إعجاز القرآن وبلاغته النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م) ص ٩٨.

(٢) حريز، سامي محمد هشام، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار الشروق للنشر والتوزيع - رام الله، ط٢٠٠٦، ص ٢٢.

(٣) جبريل محمد السيد، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص ٧.

(٤) القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحالي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، (١/٢٦٥).

(٥) النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي - سورية - ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. (١/١٠).

مفهوم الإعجاز الغيبي:

إن معنى الإعجاز لم يرد في القرآن بالمعنى الذي عرّفه العلماء فيما بعد، وورد ما يقصد به كل ما كان غائباً عن محمد ﷺ ولم يشهد حوادث الواقعة ولم يحضر وقتها ولم يكن على علم بتفصيلاتها، فيدخل في الغيب بهذا المفهوم كل ما ورد في القرآن عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث محمد ﷺ من عظيمات الأمور ومهمات السير، وكذلك يشمل ما غاب عن محمد ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي، كإخبار الله سبحانه وتعالى بما يكيد اليهود والمنافقون، ويشمل أيضاً ما تضمنه من الأخبار عن كائنات في مستقبل الزمان.^(١)

المبحث الثاني: شروط المعجزة

للمعجزة عدة شروط هي:

- ١ - أن تكون من الأمور الخارقة للعادة: سواء كان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال: كتسبيح الحصى وحنين الجذع ومثل القرآن الكريم، أو يكون من قبيل الفعل كأنفجار الماء من بين أصابع الرسول ﷺ وتكثير الطعام القليل وكفايته للجمع الكثير أو من قبيل الترك: مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعدم إغراق الماء لموسى وقومه وعدم سيلانه عليهم. أما إذا كان الأمر من الأمور الاعتيادية للناس ومع ذلك لم يستطع الناس الإتيان بها يكون (المانع) هو الأمر الخارق وليس هذا الأمر المعتاد، فلو قال: معجزتي عدم استطاعتكم وضع أيديكم على رؤوسكم فلم يستطيعوا بالفعل لكان هذا المنع في هذه اللحظة هي المعجزة، وليس عملية وضع الأيدي.^(٢)
- ٢ - أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، وإنما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة، لأنه لو أتت في زمان يصح فيه مجيء الرسل، وأدعى الرسالة، وجعل معجزته أن يتحرك ويسكن، ويقوم ويقعد، لم يكن هذا الذي ادعاه معجزة له، ولا دالاً على صدقه، لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر وانشقاق القمر وما شاكلها مما لا يقدر عليه البشر.^(٣)

(١) السيد، أحمد بن عمر بن أحمد، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، ص ١١٢.

(٢) مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم - دمشق، ط ٣، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٩. انظر: السيوطي، جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، ٢/٢١١.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، (١/١١٢).



٣- تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة: لأنه بمثابة الشاهد، ولا يقوم الشاهد إلا بعد قيام الدعوى، أما إذا تقدم على دعوى الرسالة، فيكون من قبيل (الإرهاص). وهي الأمور التي تتقدم على الرسالة وتمهد لها كتظليل السحابة لرسول الله ﷺ وهو في سفره إلى الشام قبل البعثة.

٤- سلامتها من المعارضة: فلو استطاع الخصم أن يأتي بمثل ما جاء به النبي بطلت حجته ولم يسلم له ادعاؤه أن هذه الخارقة أو هذا الأمر دليل على صدقه وأماره على بعثته من قبل الله سبحانه وتعالى.

٥- أن تقع على مقتضى قول من يدعيها (وقوعها على مقتضى الدعوى). يشترط في المعجزة أن تكون موافقة لقول مدعيها غير مخالفة له سواء كان هذا الأمر مطابقا لطلب المعاندين أو مخالفا له، لأن الرسول يبلغ عن أمر ربه في تحديد نوع المعجزة وزمانها ولا دخل له في هذا التعيين، فإذا جاءت المعجزة على وجه غير الوجه الذي عينه الرسول لم تكن دليلا على صدقه، بل تثير عندئذ الشكوك حول ادعائه. ومن هذا القبيل ما وقع لبعضهم مما يطلق عليه العلماء (اسم الإهانة)؛ فإذا مسح على المريض ليشفى فمات، أو بصق في البئر لتكثير مائه فغار كما ذكرت بعض الروايات في شأن مسيلمة الكذاب، فلا تكون معجزة إنما هي إهانة له ودليل على كذبه.

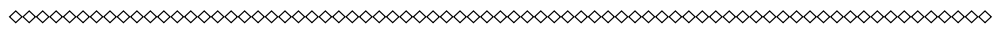
٦- أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل: أي يجعلها الرسول دليل صدق رسالته لإثباتها وينسب هذا الأمر إلى الله عز وجل فيقول مثلا: آيتي أن يقلب الله سبحانه وتعالى هذه العصا ثعبانا، أو أن يحيي الله سبحانه وتعالى هذا الميت عند قولي له قم.^(١)

المبحث الثالث: إمكانية وقوع المعجزة

إن النواميس الطبيعية التي يسير عليها الكون والتي يخضع لها الإنسان في أغلب شؤونه وحياته المعاشية هي من صنيع خالق الكون ومبدعه وواضع نظمه وأساسه. فالله سبحانه وتعالى له القدرة المطلقة والسلطان الذي لا يحد في إبقاء السنن أو تغييرها.

إن الذي أوجد الماء من العدم المطلق لا يعجز أن يجعله ينبع من بين أصابع الإنسان، والذي خلق الجاذبية في الكون والكواكب وجعل الأجسام الثقيلة تسقط باتجاه مركزها، لا يستغرب منه أن يرفع تأثير هذه الجاذبية عن بعض الأجسام لتتخلص من نفوذها وتصلد إلى السماء، فيكون في هذه الحالة وتلك معجزة لأحد أصفياؤه من البشر، ودليل صدق على رسالته.

(١) مسلم، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٠. انظر: مجلة المنهاج، الشيخ محمد عباس دهبيني، العدد ٨١، ١٣/٧/٢٠١٨م.



إن العقل السليم الذي يؤدي بصاحبه إلى الإيمان بالله ذي القوة المطلقة الخالق المدبر المهيمن على الكون بأسره لا يستبعد حدوث الأمور الخارقة لهذه الأسباب والسنن ما دامت الحياة والإنسان والكون خاضعا لإرادة الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

ولا ينكر الأمور الخارقة للعادة عامة ومعجزات الأنبياء خاصة إلا أحد اثنين:

- إنسان ملحد ينكر كل ما غاب عن الحواس فهو كافر بالغيب، ويقول إنما نحيا ونموت وما يهلكنا إلا الدهر، فمثل هذا يحتاج إلى عملية فكرية جذرية للإيمان بخالق الكون والحياة والإنسان...

- إنسان يؤمن بإله محدود القدرة عاجز عن التصرف في الكون والمخلوقات حسب إرادته، ومن هذه النوعية كل من اتخذ من دون الله أربابا وأوثانا وآلهة ابتدعوها، وأملتها عليهم شهواتهم وأهواؤهم، هؤلاء يحتاجون إلى معرفة الألوهية الحقة ومستلزماتها من صفات الكمال المطلق، والتنزه عن النقص والعجز الذي لا يليق بخصائص الألوهية.^(١)

الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم بين الإثبات والنفي

المبحث الأول: موقف العلماء من الإعجاز الغيبي

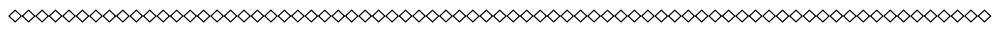
تم رصد آراء العلماء القدامى والمعاصرين حول الإعجاز الغيبي، وتبين أن لا أحد من العلماء ينكر هذا الوجه، وإنما الخلاف بين العلماء متمحور حول هل وقع به التحدي أم لم يقع؟ وفيما يلي موقف بعض العلماء القدامى من الإعجاز الغيبي:

- الرمانى (ت ٢٨٤هـ): وقد عدّه من أوجه الإعجاز السبعة التي ذكرها وخصوصا الإخبار بالأمر المستقبلية، ثم بيّنها فقال: «وأما الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية فإنه لما كان لا يجوز أن تقع على الاتفاق؛ دلّ على أنها من عند علام الغيوب^(٢)، ثم ساق بعد ذلك أمثلة أخبر بها القرآن الكريم ثم وقعت، فدل من كلامه أن وجه الإعجاز في الأخبار الغيبية هو موافقة الأحداث لما ورد في القرآن الكريم، فقد تواتت الأحداث المصدّقة والمؤكّدة لما جاء في القرآن الكريم، وهذا بلا شك لا مجال لبشر أو مخلوق أن يخبر بمثل ما أخبر به القرآن الكريم ويتحقق كل ما حدث به.^(٣)

(١) مسلم، مباحث في علوم القرآن، ص ١٨.

(٢) الرومانى، علي بن الحسن (٢٨٦هـ)، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعرفة- مصر، ط٣، ص ١١٠.

(٣) أبو ليل، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، ص ١٦.



- أبو بكر الباقلااني (ت ٤٠٢ هـ): يرى أنه يدخل في وجوه الإعجاز فقال: «في جملة وجوه إعجاز القرآن: ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز: أحدها: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه...»^(١)

- وقال مكِّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ): «ومن إعجازه ما فيه من علوم الغيب التي لم تكن وقت نزوله ثم كانت ومنها ما لم تكن بعدُ. ومنها ما كانت ولم يكن أحد يعرفها في ذلك الوقت، فنزل علمها وتفسيرها في القرآن؛ كخبر يوسف وإخوته، وخبر ذي القرنين»^(٢).

موقف العلماء المعاصرين من الإعجاز الغيبي:

- مصطفى صادق الرفاعي:

يعتبر ما جاء في القرآن من أحداث تاريخية ومستقبلية وجها معجزا، لكنه لم يفصل في ذلك لأن غرض كتابه بلاغي ولغوي، وإن كان تطرق إلى مسألة خلق الإنسان باعتبارها من المسائل الغيبية التي وقع بها الإعجاز.^(٣)

ويلخص تصوره لإعجاز القرآن فيقول: «فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه».^(٤)

- محمد رشيد رضا:

يرى صاحب المنار أن الإخبار عن الغيب من أبرز وجوه الإعجاز، إذ عنون له بعنوان إعجاز القرآن بما فيه من علم الغيب حيث قال في الوجه الثالث اشتماله على الإخبار بالغيب قصص الرسل مع أقوامهم ومن حاضر في عصر تنزله دليل واضح على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكون القرآن الكريم من عند الله تعالى.^(٥)

- عبد الله دراز:

يقول عبد الله دراز رحمه الله في ثانيا رده على من يزعمون أن القرآن الكريم انما هو ايجاداً ذاتيا من نفس محمد ﷺ: «ذلك شأن ما في القرآن من الأنبياء التاريخية، لا جدال في سبيل النقل لا العقل، وأنها تجيء من خارج النفس لا من داخلها».^(٦)

(١) الباقلااني، القاضي أبو بكر، إعجاز القرآن، حققها أبو بكر عبد الرازق، مكتبة مصر، ص ٢٠.

(٢) أبو طالب، مكِّي، الهداية إلى بلوغ النهاية، نشرة مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، حُقق في عدّة رسائل جامعية بإشراف الدكتور الشاهد البوشيخي، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (٦/٤٢٨٦).

(٣) أبو ليل، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، ص ٢٢.

(٤) الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٥٦.

(٥) أبو ليل، الإعجاز الغيبي في القرآن، ص ٢٢.

(٦) دراز، محمد عبد الله (١٣٧٧ هـ)، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة - الدوحة، ١٩٨٥ م، (١/٣٩).

ويظهر من كلامه أنه يعتبر الأخبار التاريخية داخلة ضمن الإعجاز، فهو يرى أن مدار الإعجاز في الجانب الغيبي أمية محمد ﷺ ثم مجيء القرآن بهذا الكم من الأخبار والتفاصيل الدقيقة.

المبحث الثاني: ضابط أخبار الغيب المتحدى به

فإن قيل: ما الضابط للإخبار بالمغيبات التي لو صدرت من بشرٍ عُلِمَ أنه جاء بمثل القرآن، وأن القرآن يمكن أن يكون مُختلقاً؟

فالجواب: يجب ألا يُنسى ابتداءً أن الإخبار بالغيب ليس هو الوجه الوحيد للإعجاز القرآني، ولا بد أن يأتي هذا الإخبار بالغيب في قالبٍ لغويٍّ يضاهاي القرآن نظماً وبلاغةً وأسلوباً وبيانا. فإن سقط هذا الشرط لا يصح الانتقال إلى النظر في فحوى الإخبار المزعوم. وأما من حيث هو إخبارٌ بمغيبٍ، فيجب أن تجتمع فيه الشروط الآتية:

١- أن يكون إخباراً بمغيبٍ لا يوصل إليه باستشراقٍ؛ كالتنبؤ بالأرصاء الجوية والكسوف والخسوف وغيرها من الظواهر الطبيعية.

٢- ألا يكون مُستقى من وحي سماويٍّ صحيح، وإلا لكانوا كمن رام معارضة نظم القرآن فعمد إلى بعض ألفاظ الآيات، واستبدل بها ألفاظاً ترادفها على نفس وزنها وجرسها. ويمكن القول إن ما أخبر به الوحي الصحيح غير المحرّف مما هو صريح الدلالة صار في حكم علوم الشهادة، فإن تكأ عليها المتنبئ لم يكن -في الحقيقة- مخبراً بغيب.

٣- ألا تعارض في الإمكان علماً ضرورياً ولا علماً نظرياً قطعياً.

٤- ويلزم منه أن يكون المخبر به مؤتلفاً غير مختلف، ولا يناقض بعضه بعضاً.

٥- ألا يكذبه مرُّ الزمن وتقدم العلوم والمكتشفات، فإن تحقّق صدق وقوعه بعد بما يستجد من معارفٍ وعلوم، وبما ينكشف عنه مرُّ الزمن، كان أقطع بالوفاء بالمراد.^(١)

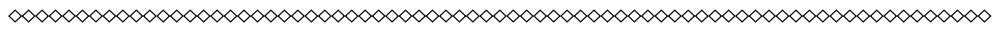
المبحث الثالث: خصائص الإعجاز الغيبي في السنة النبوية المطهرة

قطعية الوقوع: فإذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ فإن ما فيه من غيب سيقع حتماً كما أخبر، دون أدنى شك في ذلك.

الدقة في الألفاظ والعبارات: وهذه الدقة لها دور كبير في اكتشاف مواطن الإعجاز وتوضيح الأحداث، وتشكيل الرؤية المستقبلية بناء على ما أخبر به المعصوم ﷺ.

(١) روزن، محمود عبد الجليل، الإعجاز الغيبي في القرآن بين الإثبات والنفي (٢-٣)، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

<https://tafsir.net/article/5327/al-i-jaz-al-ghyby-fy-al-qr-aan-byn-al-ithbat-walnfy-2-3>



شمولية الأحداث: بمعنى أن الأحداث الغيبية التي يخبر بها رسول الله ﷺ لعموم الزمان والمكان، فقد يخبر بشيء يحدث بعد وفاته بألاف السنين، أو يحدث في أقصى الأرض، ويجمع بينها: أنها إخبار بغيب لم يقع، وليس لأحد أن يخبر به، أو يعرفه إلا المعصوم ﷺ.

السلامة من الخلل والاضطراب: فالسنة النبوية نوع من أنواع الوحي قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم ٢-٤، فلا يمكن أن ينشأ تعارض بين أمرين أخبر بهما النبي ﷺ في حديثين، وإن بدا تعارض فهو ظاهري، يحتاج لإزالته إلى فهم صحيح، وجمع لأدلة ذلك التعارض.

يعد الإعجاز الغيبي للرسول ﷺ في سنته من أكثر الأدلة على صدقه؛ لأن إخباره بالأحداث التي ستقع، أو وقعت بالفعل ولم يشاهدها رسول الله ﷺ فيه دلالة على أن الله هو الذي أوحى بها إليه مصداقاً^(١) لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعِيبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ (هود ٤٩).

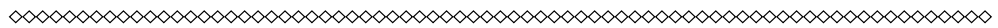
الفصل الثالث: وجوه الإعجاز الغيبي

المبحث الأول: غيب الماضي

لم يكن النبي ﷺ يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فقد أخبر عن الأمم الماضية إخبار من علمها ووقف على أحوالها، وقد صدقه في ذلك علماء أهل الكتاب، وفيه من الأدلة ما فيه.

١- عن ابن عباس، قال: حضرت عصابة من اليهود يوماً إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمها إلا نبي قال: «سلوني عم شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه لتبايعني على الإسلام» قالوا: فلك ذلك قال: «فسلوني عم شئتم» قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنها: أخبرنا عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا عن ماء المرأة من ماء الرجل، وكيف يكون منه الذكر حتى يكون ذكراً وكيف تكون منه الأنثى حتى تكون أنثى، وأخبرنا كيف هذا النبي في النوم، ومن وليك من الملائكة؟ قال: «فعليكم عهد الله وميثاقه، لئن أنا حدثتكم لتبايعني؟» فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق قال: «أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً وطال سقمه منه، فتذر لله نذراً، لئن شفاه من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الشراب إليه ألبان الإبل، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل؟» قالوا: اللهم نعم فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد عليهم» قال:

(١) محمد، أيمن محمود مهدي، وجوه الإعجاز بالسنة المطهرة، جامعة الامام عبد الرحمن فيصل، الدمام، ص ١٤٤.



«فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله؛ فإن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كانت أنثى بإذن الله؟» قالوا: اللهم نعم فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد» قال: «اللهم اشهد علي موسى، هل تعلمون أن هذا النبي تمام عيناه ولا ينام قلبه؟» قالوا: اللهم نعم قال: «اللهم اشهد عليهم» قالوا: أنت الآن، حدثنا من وليك من الملائكة، فعندها نجمعك أو نفارقك قال: «وليي جبريل، ولم يبعث الله عز وجل نبياً قط إلا وهو وليه» قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك غيره من الملائكة لبايعناك وصدقناك قال: «فما يمنعكم أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا من الملائكة فأنزل الله عز وجل: «من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله» البقرة: ٩٧ إلى آخر الآية، ونزلت: «فبأوا بغضب على غضب»^(١).

٢- ومما أخبر به ﷺ عن الأمم السابقة قصة جريج العابد، التي ثبتت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج يصلي، فجاءته أمه، فدعته، فأبى أن يجيبها، فقال: أجيبتها أو أصلي؟ ثم أتته، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فقالت امرأة: لأفتتن جريجاً، فتعرضت له، فكلمته، فأبى، فأتت راعياً، فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: هو من جريج، فأتوه، وكسروا صومعته، فأنزلوه، وسبوه، فتوضأ، وصلى، ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا إلا من طين) فهذه من الأخبار الماضية التي وقعت في الأمم السابقة وأخبر عنها صلى الله عليه وسلم.^(٢)

٣- قصة من قتل تسع وتسعين نفساً، عن أبي سعيد الخدري، أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعّلوه بينهم، فقال:

(١) الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود (٢٠٤)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق محمد عبد المحسن التركي، باب أحاديث شهر بن حوشب، حديث رقم: ٢٨٥٤، دار هجر—مصر، ط١، ١٤١٩-١٩٩٩م، (٤/٤٥٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، باب إذا هدم حيطا فليبن مثله، حديث رقم ٢٤٨٢، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط٢٢، ١٤٢٢م، (٣/١٦٥).

قيسوا ما بين الأرضين، فألى أيتها كان أدنى فهو له، فقاوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»^(١)

المبحث الثاني: غيب الحاضر

لقد أخبر النبي ﷺ عن زهاء ألف أمر غيبي، بعضها في القرآن الكريم، وبعضها في السنة النبوية، وكل منها دليل على نبوته ورسالته، ومن الغيوب التي تنبأ بها صلى الله عليه وسلم ووقعت حال حياته.^(٢)

١- أخباره ﷺ بمجيئ الريح وذلك كما رواه البخاري في صحيحه، ومن الغيوب التي تنبأ بها صلى الله عليه وسلم ووقعت حال حياته خبر الريح التي تنبأ بها وهو منطلق وأصحابه إلى تبوك، يقول أبو حميد الساعدي راوي الحديث: فلما أتينا تبوك قال رسول الله ﷺ: «أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقوم أحد، ومن كان معه بغير فليقله» فعملناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيء»^(٣)

يقول النووي: «هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة؛ من إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته، والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم مما يضرهم في دين أو دنيا»^(٤)

٢- إخباره ﷺ عن موت النجاشي في الحبشة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات»^(٥).

قال ابن حجر العسقلاني: وفي قصة النجاشي علم من أعلام النبوة؛ لأنه ﷺ أعلمه بموته في اليوم الذي مات فيه مع بعد ما بين أرض الحبشة والمدينة.^(٦) وهذا مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الله عز وجل هو الذي أخبره بوفاة النجاشي.

٣- إخباره ﷺ عن قاتل نفسه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، صحيح مسلم، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم ٢٧٦٦، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (٢١١٨/٤).

(٢) عروة، مروءة، الإعجاز الغيبي في ضوء السنة النبوية، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، ١٤٢٧هـ-٢٠١٦م، ص ٢٢.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب حرص الثمر، حديث رقم ١٤٨١، (١٢٥/٢).

(٤) نور، وليد، المختصر القويم في دلائل نبوة الرسول الكريم، ص ١٨٥.

(٥) متفق عليه أخرجه: البخاري في كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنائز، حديث رقم ١٢٢٢، (٨٩/٢). ومسلم في كتاب الجنائز باب التكبير على الجنائز، حديث رقم ٩٥١، (٦٥٦/٢).

(٦) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، (١٨٨/٣).

التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقيل: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت أننا من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض، وذبابه بين ثديه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»^(١).

المبحث الثالث غيب المستقبل

١- إخباره ان ابنته عائشة أول أهل بيته لحوقا به عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «مرحبا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ، فسألتها فقالت: أسر إلي: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي». فبكيت، فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين» فضحكت لذلك^(٢).

٢- إخباره صلى الله عليه وسلم أول زوجاته لحوقا به عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعن لحاقا بي أطولكن يدا» قالت: فكن يتناولن أيتهن أطول يدا، قالت: فكانت أطولنا يدا زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق^(٣).

٣- إخباره بالخليفيتين من بعده صلى الله عليه وسلم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب غزوة خيبر، حديث رقم ٤٢٠٢، (١٣٢/٥).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦٢٣، (٢٠٢/٤).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم ٢٤٥٢، (١٩٠٧/٤).

حذيفة قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: «إني لا أدري ما بقائي فيكم، فافتدوا باللذين من بعدي» وأشار إلى أبي بكر وعمر.^(١)

وأمره ﷺ المسلمين بالافتداء بهما، ولا يأمر الرسول ﷺ بالافتداء بهما إلا وهما موضع قدوة، وأنهما سيكونان موضع قدوة للمسلمين جميعا، ولا يكون ذلك إلا إذا كانا خليفتين.^(٢)

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل البركات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، فقد استخلصت بعد هذه الدراسة «إعجاز السنة في الإخبار عن المغيبات» جملة من النتائج التي توصلت إليها وأهم التوصيات التي أوصي بها

أولا النتائج:

- السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي وحي من عند الله،

فيها الهداية والرشاد والسعادة لبني البشر إذا تمسكوا بها، فهي كالسراج الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور.

- المقصود بالإعجاز هو العلم الذي يثبت لنا العلم الحديث بعد قرون من إخبار رسولنا الكريم ﷺ في القرآن الكريم أو في سنته المطهرة، وفيه دلالة على صدق نبوة محمد ﷺ.

- أن النبي ﷺ أُمِّي لم يقرأ ولم يكتب، ولم يطلع على كتب السابقين فكيف لأُمِّي أن يأتي بمثل هذه الغيبات، إن ذلك دليل قاطع على صدقه ونبوته.

- الإعجاز الغيبي في السنة النبوية يشكل أحد جوانب الإعجاز النبوي البارزة، حيث أخبر النبي ﷺ ببعض المغيبات التي لا يعرفها أحد من البشر، ولا يمكن للعقل البشري أن يدركها بنفسه.

(١) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، حديث رقم ٣٧٩٩، شركة ومطبعة مصطفى البابي- مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، (٦٦٨/٥).

(٢) القزوي، سعيد عبد الرحمن موسى، الإعجاز الغيبي في السنة، جامعة الشارقة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص ٣٤١.

ثانياً التوصيات :

- موضوع الإعجاز في السنة من الموضوعات المتجددة والتي تحتاج إلى مزيد من البحث، وخاصة مع التقدم العلمي المتسارع في العصر الحديث.
- إنشاء مواقع الكترونية، ومنتديات متخصصة في الإعجاز الغيبي في ضوء السنة النبوية .
- ترجمة الدراسات المتعلقة بالإعجاز الغيبي، إلى لغات أخرى لبيان إعجاز السنة النبوية لغير المسلمين.

وبعد فهذا جهدي القاصر لضعفي مع قلة بضاعتي، فإن وقع خطأ أو تقصير فمني ومن الشيطان، وإن وقع مني غير ذلك فهو فضل من الله عز وجل ورحمة، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

قائمة المراجع

القرآن الكريم:

- ١ . الباقلائي، القاضي أبو بكر، إعجاز القرآن، حققها أبو بكر عبد الرازق، مكتبة مصر.
- ٢ . البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله ، صحيح البخاري، باب إذا هدم حيطا فليين مثله، حديث رقم ٢٤٨٢، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١٤٢٢م.
- ٣ . جبريل، محمد السيد ، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ٤ . الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٥ . حريز، سامي محمد هشام، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار الشروق، رام الله، ط٢٠٠٦.
- ٦ . الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء- بيروت، ط٤، ١٣٩٥ هـ.
- ٧ . النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة- الدوحة، ١٩٨٥ م.
- ٨ . الرافعي، مصطفى صادق (١٣٥٦هـ) ، إعجاز القرآن وبلغته النبوية، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٨.
- ٩ . السيد، أحمد بن عمر بن أحمد، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم.

١٠. أبو طالب، مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، نشرة مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، حُقِّق في عدّة رسائل جامعية بإشراف الدكتور الشاهد البوشيخي، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١١. الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود (٢٠٤)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق محمد عبد المحسن التركي، باب أحاديث شهر بن حوشب، حديث رقم: ٢٨٥٤، دار هجر - مصر، ط ١، ١٤١٩-١٩٩٩م.
١٢. عروة، مروة، الإعجاز الغيبي في ضوء السنة النبوية، جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
١٣. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٤. ابن فارس، أحمد القزويني (٣٩٥هـ -)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٢٣٢/٤).
١٥. القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٦. القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحالي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٧. أبو ليل، عمر (محمد راجح) عمر، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٤م.
١٨. نور، وليد، المختصر القويم في دلائل نبوة الرسول الكريم.
١٩. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين، صحيح مسلم، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم ٢٧٦٦، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي - بيروت.
٢٠. محمد، أيمن محمود مهدي، وجوه الإعجاز بالسنة المطهرة، جامعة الإمام عبد الرحمن فيصل، الدمام.
٢١. مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم - دمشق، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٢. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٢٣. النابلسي. محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي

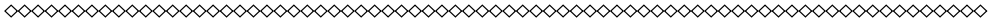
سورية - ط٢، ١٤٢هـ / ٢٠٠٥ م.

الموقع الإلكتروني:

٢٤. روزن، محمود عبد الجليل، الإعجاز الغيبي في القرآن بين الإثبات والنفي (٢-٣)،
مركز تفسير للدراسات القرآنية.

<https://tafsir.net/article/5327/al-i-jaz-al-ghyby-fy-al-qr-aan-byn-al-ithbat-walnfy-23->

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



د. وسيم الخطيب

أستاذ مساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية أكاديمية الإمام البخاري الدولية
المكتب التمثيلي للجامعة الإسلامية بمينيسوتا

إعجاز السنة النبوية في الإخبار عن الأمور الغيبية

الحمد لله علام الغيوب، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعبد المجتبي، أطلعه الله على ما شاء، واختصه من الخفايا والخبايا ما كان علامة على رسالته، وآية على صدقه، إذ وقعت كما أخبر، كيف لا وقد نبأه العليم الخبير.

أما بعد، فقد بين المتحدثون الكرام، أن دلائل النبوة، هي الأدلة التي تعرف بها نبوة النبي الصادق، ومنها ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فوقع كما أخبر، فأستعين الله تعالى بذكر ما تيسر منها وبيانها.

التمهيد

المبحث الأول: التعريفات

المطلب الأول: تعريف الإعجاز

العجز في اللغة: الضعف، يقال عَجَزَ عن الشيء يَعْجِزُ عَجْزاً فهو عاجِزٌ أي ضعيف^(١).
فالبشر أضعف من أن يخبروا بالغيبيات كما أخبر بها النبيون عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: السنة

السنة في اللغة الطريقة، مأخوذة من السنن وهو الطريق^(٢). وفي اصطلاح المحدثين: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي^(٣).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة عجز، ج٤ ص ٢٢٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة سنن، ج١٢ ص ٢٢٠.

(٣) عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود، ج١ ص ٧.

المطلب الثالث: تعريف الإخبار

يقال خبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته^(١)، والخبير العالم بالأمر، والخبر النبأ^(٢)، فالنبي ﷺ أنبأنا بما سيقع، لأن الذي نبأه العليم الخبير سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: مسائل في الإيمان بالغيب

الغيب هو كل ما غاب عنك^(٣)، ولا بد فيه من معرفة المسائل الآتية:

الأولى: عالم الغيب هو الله

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَبِهُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾^(٥). وقال عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٦). وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾^(٧). وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٨).

الثانية: أن الله تعالى قد يطلع أنبياءه على شيء من الغيب

قال الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(٩) إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رُسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿، فقد يطلع الله أنبياءه على شيء من الغيب من أجل إقامة الحجّة على الخلق، وتكون معجزة لهذا الرسول^(١٠). ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١١)

المسألة الثالثة: إكرام الله تعالى أوليائه بالعلوم والمكاشفات

وهي أن يلقي في قلبه شيء من العلم إلقاءً من الله جل وعلا، أو يكشف له عن أمر خفي إما بعيد أو مستقبل، كما حدث لعمر رضي الله عنه فيما رواه أبو نعيم وغيره بإسناد حسن أنه أرسل

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة خير، ج٤ ص٢٢٦.

(٢) الفراهيدي، كتاب العين، باب الخاء والراء والباء معا، ج٤ ص٢٥٩.

(٣) الجوهري، الصحاح، مادة غيب، ج١ ص١٩٦.

(٤) سورة هود الآية ١٢٢.

(٥) سورة يونس الآية ٢٠.

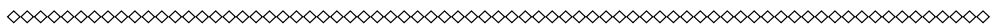
(٦) سورة الكهف الآية ٢٦.

(٧) سورة الأنعام الآية ٥٠.

(٨) سورة النمل الآية ٦٥.

(٩) صالح الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ج١ ص٢٧٠.

(١٠) سورة آل عمران الآية ١٧٩.



جيشاً إلى نهاوند، وبينما هو يخطب في مسجد الرسول ﷺ، حصلت عليهم هزيمة من العدو، فصار ينادي أميرهم واسمه سارية: يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! فسمعوا صوته في ذلك المكان البعيد، فأنحازوا إلى الجبل، فنصرهم الله جل وعلا على العدو. ومن المكاشفة أنه أخبر أنه سيولد له ولد يكون أميراً عادلاً، فولد له عمر بن عبد العزيز، وصار شبيهاً به في العدل.

وكذلك ذكر عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لابنته عائشة: إنه سيولد لكم بنت، وكانت امرأته حاملاً قبل وفاته، فولدت بنتاً كما أخبر، وغير ذلك من أنواع المكاشفات التي يجعلها الله جل وعلا فيمن يشاء من عباده^(١).

المسألة الرابعة: الكهانة

الكهانة تارة تستند إلى إلقاء الشياطين وتارة تستفاد من أحكام النجوم^(٢).

ومن الأول قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الملائكة تنزل في العنان، وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم)^(٣).

ومن الثاني مارواه البخاري: (كان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سأله: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر)^(٤)، وكان علم النجوم قبل الإسلام على التنظير والتبحيث يصيب مرة ويخطئ كثيراً، فاشتغالهم بما فيه الخطأ الغالب ضلال، فبعث الله نبيه محمداً ﷺ بالوحي الصحيح^(٥).

الفصل الأول: إخبار النبي ﷺ عن غيوب وقعت في زمانه

المبحث الأول: إخبار النبي ﷺ في غزوة بدر

المطلب الأول: إخبار النبي ﷺ بقتله أمية بن خلف

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية

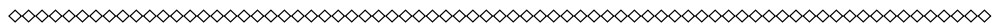
(١) عبد الله الفنيمان، شرح العقيدة الواسطية، ج ٣٠ ص ١٣.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ١ ص ٤١.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج ٤ ص ١٣٥ رقم ٣٢١٠.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ١ ص ٥ رقم ٧.

(٥) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ١ ص ٤٩.



لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار، وغفل الناس، انطلقت فطفت، فبينما سعد يطوف، إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة أمنا، وقد أويتم محمدا وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد، فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدا ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث، فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر، وجاء الصريخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف الوادي، فسر يوما أو يومين، فسار معهم، فقتله الله^(١).

قال ابن رجب رحمه الله: «أطلع النبي ﷺ على كثير من الغيوب المستقبلية، وكان يخبر بها. فبعضها يتعلق بكسبه، مثل إخباره أنه يقتل أمية بن خلف، وأخبر سعد بن معاذ بذلك أمية بمكة، وقال أمية: والله ما يكذب محمد. وأكثره لا يتعلق بكسبه، مثل إخباره عن الصور المستقبلية في أمته وغيرهم»^(٢).

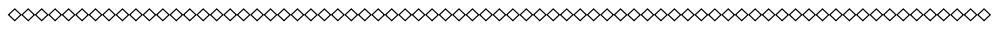
المطلب الثاني: إخبار النبي ﷺ بخلوة صفوان بعمير

عن عروة بن الزبير - رحمه الله - قال: ولما رجع المشركون إلى مكة من بدر، وقد قتل الله تعالى من قتل منهم، أقبل عمير بن وهب، حتى جاء إلى صفوان بن أمية في الحجر، فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر، فقال عمير: أجل والله ما في العيش خير بعد، ولولا دين علي لا أجد له قضاء، وعيالي ورائي لا أجد لهم شيئا، لدخلت على محمد، فلقتلته إن ملئت عيني منه، فإن لي عنده علة، أقول قدمت على ابني هذا الأسير، ففرح صفوان بقوله، فقال: علي دينك، وعيالك أسوة عيالي في النفقة، إن يسعني شيء ونعجز عنهم، فحمله صفوان، وجهره بسيف صفوان فصقل وسم، وقال عمير لصفوان: اكنمني ليالي، فأقبل عمير حتى قدم المدينة.

فنزل باب المسجد، وعقل راحلته، وأخذ السيف لرسول الله ﷺ، فنظر إليه عمر بن الخطاب، وهو في نفر من الأنصار يتحدثون عن وقعة بدر، ويشكرون نعمة الله، فلما رأى عمر عمير بن وهب معه السيف فزع منه، فقال: عندكم الكلب هذا عدو الله الذي حرش بيننا، وحزنا

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤ ص ٢٤٩ رقم ٣٦٢٢.

(٢) ابن رجب، فتح الباري، ج ٦ ص ٣٤٤.



للقوم فقام عمر، فدخل على رسول الله ﷺ، فقال: هذا عمير بن وهب قد دخل المسجد معه السلاح، فهو الفاجر الغادر يا رسول الله، لا تأمنه.

قال: أدخله علي فدخل عمر وعمير، وأمر أصحابه أن يدخلوا على رسول الله ﷺ، ثم يحترسوا من عمير إذا دخل عليهم، فأقبل عمر بن الخطاب وعمير بن وهب، فدخل على رسول الله ﷺ ومع عمر سيفه، فقال رسول الله ﷺ لعمر: (تأخر عنه) فلما دنا منه، حياه عمير: أنعم صباحا، وهي تحية أهل الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: (قد أكرمنا الله عز وجل عن تحيتك وجعل تحيتنا السلام وهي تحية أهل الجنة) فقال عمير: إن عهدك بها لحديث، قال رسول الله ﷺ: (قد بدلنا الله خيرا منها، فما أقدمك يا عمير؟)

قال: (قدمت في أسيري عندكم، فقاربوني في أسيري، فإنكم العشيرة والأهل، فقال رسول الله ﷺ: (فما بال سيف في رقبك؟) فقال عمير: قبحها الله من سيوف، فهل أغنت عنا من شيء؟ أنا نسيت وهو في رقبتي حين نزلت، ولعمري إن لي غيرة، فقال رسول الله ﷺ: (اصدقني ما أقدمك) قال: ما قدمت إلا في أسيري، فقال رسول الله ﷺ: (فما شرطت لصفوان بن أمية بينك وبين ذلك) فقال عمير: (أشهد أنك رسول الله، وأشهد أنه لا إله إلا الله، كنا يا رسول الله نكذب بالوحي، وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث الذي كان بيني وبين صفوان في الحجر، كما قال رسول الله ﷺ: (لم يطلع عليه أحد غيري وغيره)، ثم أخبرك الله به! فأمنت بالله ورسوله، والحمد لله الذي ساقني هذا المقام)^(١).

المبحث الثاني: إخبار النبي بفتح حصن خيبر على يدي علي رضي الله عنه

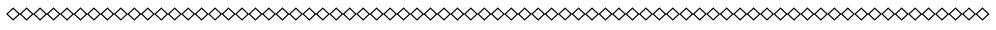
عن سلمة بن الأكوع- رضي الله عنه- قال كان علي- رضي الله عنه- تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان به رمد فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها، فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله، أو قال يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه، فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ، ففتح الله عليه.^(٢)

قال الطبري: «وفي حديث علي الخبر عن بعض أعلام النبوة، وذلك خبره عن الغيب الذي لا يكون مثله إلا بوحي من الله، وهو قوله: (يفتح الله على يديه)»^(٣).

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ج ١١ ص ٤٥١-٤٥٢-٤٥٣، رقم ١٣٥٨٦.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، كتاب باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، ج ٤ ص ٦٥ رقم ٢٩٧٥ / مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ج ٥ ص ١٨٩ رقم ٤٧٧٩.

(٣) ابن بطلان، شرح صحيح البخاري، ج ١٤٢ ص ١٤٢.



قال القرطبي: فيه دليلان على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ وهي: إخباره عن فتح خيبر، ووقوعه على نحو ما أخبر، وبرء رمد عين علي. رضي الله عنه. على فور دعاء النبي ﷺ. (١)

المبحث الثالث: إخبار النبي ﷺ بالمرأة التي أرسلها حاطب بن أبي بلتعة

عن علي رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: (أتتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها).

فانطلقنا تعادي بنا خيلنا فإذا نحن بالمرأة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها.

فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: (يا حاطب ما هذا؟) قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقا في قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسهم وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفرا، ولا ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي ﷺ: (صدق). فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: (إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) (٢).

والشاهد أن عليا والزبير والمقداد وجدا المرأة بالمهمة التي أخبر بها النبي ﷺ، وفي الموضوع الذي أخبر به، وفي الزمان الذي أرسلهم فيه، وهذا من الغيب الذي أطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: إخبار النبي ﷺ بموت غائب

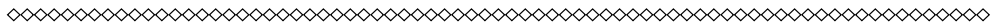
المطلب الأول: إخبار النبي ﷺ بموت النجاشي

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج بهم إلى المصلى وكبر أربع تكبيرات (٣).

(١) القرطبي، المنهم، ج ٢٠ ص ٢٧.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس. وقول الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، ج ٤ ص ٧٢ رقم ٢٠٠٧ / مسلم، الجامع الصحيح، كتاب باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة، ج ٧ ص ١٦٧ رقم ٦٥٥٧.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، ج ٢ ص ٩ رقم ١٢٤٥. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنائز، ج ٣ ص ٥٤ رقم ٢٢٤٧.



قال ابن بطال: وفيه علم من أعلام النبوة بإخباره عن الغيب بخبر النجاشي^(١).
قال المباركفوري: وفيه علم من أعلام النبوة، لأنه صلى الله عليه وسلم أعلمهم بموته في
اليوم الذي مات فيه، مع بعد ما بين أرض الحبشة والمدينة^(٢).

المطلب الثاني: إخبار النبي ﷺ باستشهاد أمراء مؤتة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: (أخذ الراية زيد فأصيب،
ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن
غير إمرة ففتح له)^(٣).

أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بغيوب منها:

مقتل الأمراء الثلاثة الذين عينهم ﷺ.

أخذ خالد بن الوليد الراية، وكان ذلك من غير تأمير من النبي ﷺ.

خلاص المسلمين على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه.

المبحث الخامس: إخبار النبي ﷺ بقدوم أبي ذر في غزوة تبوك

عن عبد الله بن مسعود. رضي الله عنه. قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك، جعل لا
يزال يتخلف الرجل فيقولون يا رسول الله تخلف فلان، فيقول: (دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه
الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه) حتى قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به
بعيره، فقال رسول الله ﷺ: (دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك فقد
أراحكم الله منه)

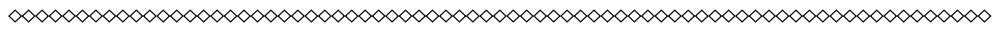
فتلوم (أي انتظر) أبو ذر رضي الله عنه على بعيره، فأبطأ عليه فلما أبطأ عليه أخذ متاعه
فجعله على ظهره، فخرج يتبع رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلهم، ونظر
ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله هذا رجل يمشي على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: (كن
أبا ذر) فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر! فقال رسول الله ﷺ: (رحم الله أبا
ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده).

فضرب الدهر من ضربته وسير أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه:

(١) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، حديث رقم ٩٦٠.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى الشهادة، ج ٤ ص ٢١ رقم ٢٧٩٨.



(إذا مت فاغسلاني وكفناني، ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر) فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقالوا: ما هذا؟ ف قيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود رضي الله عنه ببيكي فقال: صدق رسول الله ﷺ: (يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده) فنزل فولىه بنفسه حتى أجنه^(١).

في هذا الحديث أخبر النبي ﷺ بأمرين من الغيب:

الأول: أن الرجل القادم أبو ذر فكان كذلك.

الثاني: أن أبا ذر سيموت وحده فكان كذلك.

المبحث السادس: إخبار النبي ﷺ عن مقاتل بأنه من أهل النار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ حنيناً، فقال لرجل ممن يدعى بالإسلام: (هذا من أهل النار).

فلما حضرنا القتال، قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، ف قيل يا رسول الله: الرجل الذي قلت له أنفاً: (إنه من أهل النار)، فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات. فقال النبي ﷺ: (إلى النار) فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك، إذ قيل إنه لم يموت، ولكن به جراحاً شديداً.

فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: (الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله). ثم أمر بلالا فنادى في الناس: (إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)^(٢).

أخبر النبي ﷺ بأن هذا المقاتل من أهل النار، رغم أن ظاهره الجهاد بل أنه كان متميزاً في قتال الكفار، لكنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. قال الخطابي رحمه الله: وفيه من أعلام النبوة إخباره. صلى الله عليه وسلم. بالغيب الذي لا يدرك مثله إلا بالوحي^(٣).

(١) الحاكم، المستدرک، کتاب المغازی و السرايا، رقم ٤٣٧٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، تعليق الذهبي: فيه إرسال.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، کتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ج ٤ ص ٨٨ رقم ٢٠٦٢. مسلم، الجامع الصحيح، کتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، ج ١ ص ٧٢ رقم ٢١٩.

(٣) الخطابي، شرح صحيح البخاري، ج ٩ ص ٢٨٧.

الفصل الثاني

إخباره ﷺ عن الغيب بعد وفاته

المبحث الأول: إخبار النبي ﷺ بطلان أمر مسيلمة والعنسي

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بينما أنا نائم، رأيت في يديّ سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذايين يخرجان بعدي، فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة)^(١).

قال النووي: «المراد بقوله ﷺ يخرجان بعدي: أي يظهران شوكتهما أو محاربتهما ودعواتهما النبوة، وإلا فقد كانا في زمنه ﷺ»^(٢)، ولذلك جاء في رواية للبخاري: (فأولتهما الكذايين الذين أنا بينهما)^(٣).

قال المهلب: «وإنما أول النبي ﷺ السوارين بالكذايين، لأن الكذب وضع الشيء في غير موضعه، فلما رأى في ذراعيه سوارين من ذهب، وليسا من لبسه لأنهما من حلية النساء، عرف أنه سيظهر من يدعي ما ليس له»^(٤).

المبحث الثاني: إخبار النبي ﷺ بأمر الخوارج

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ، وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: (وبيك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: (دعه، فإن له أصحابا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون^(٥) من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله^(٦) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه^(٧) فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤ ص ٢٤٧ رقم ٢٦٢١. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٧ ص ٥٨ رقم ٦٠٧٤.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١٥ ص ٢٤.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج ٥ ص ٢١٦ رقم ٤٢٧٥.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٢ ص ٤٢١.

(٥) يمرقون: يخرجون منه سريعا دون أن يستفيدوا منه.

(٦) نصله: حديدة السهم.

(٧) رصافه: هو العصب الذي يلوى فوق مدخل النصل.

نضيه. وهو قدحه^(١) - فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قدذه^(٢) فلا يوجد فيه شيء، قد سبق
الفرث والدم.

آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة^(٣) تدردر^(٤)، ويخرجون
على حين فرقة من الناس).

قال أبو سعيد: فأشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي
طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتُمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ
الذي نعته.

وفي رواية لمسلم: فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: (انظروا)، فنظروا
فلم يجدوا شيئاً، فقال: (ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كُذبت) مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة
فأتوا به حتى وضعوه بين يديه^(٥).

المبحث الثالث:

إخبار النبي ﷺ بصلح الحسن وختم خلافة النبوة به وملك معاوية رضي الله عنهما

المطلب الأول: صلح الحسن رضي الله عنه

عن أبي بكر. رضي الله عنه. قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى
جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به
بين فئتين عظيمتين من المسلمين)^(٦).

قال البيهقي رحمه الله تعالى: «قد خرج مصداق هذا القول في الحسن بن علي رضي الله
عنهما، بتركه الأمر حين صارت الخلافة إليه، خوفاً من الفتنة، وكرهه لإراقة دماء أهل الإسلام،
فأصلح الله بين أهل العراق وأهل الشام، ويسمى ذلك العام سنة الجماعة»^(٧).

وتفصيل ذلك أنه لما قتل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وذلك يوم السابع عشر

(١) قدحه: هو عود السهم قبل أن يوضع له الريش.

(٢) قدذه: جمع قدزة وهي واحدة الريش الذي يعلق على السهم.

(٣) البضعة: قطعة اللحم.

(٤) تدردر: تضطرب وتذهب وتجيء.

(٥) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، ج ٢ ص ١١٦ رقم ٢٥١٧.

(٦) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: ابني هذا سيد ولعل الله أن
يصلح به بين فئتين عظيمتين، ج ٣ ص ٢٤٤ رقم ٢٧٠٤.

(٧) البيهقي، شرح السنة، ج ١٤ ص ١٣٦.



من رمضان سنة أربعين، بايع أهل الكوفة الحسن بن علي بالكوفة، وبايع أهل الشام معاوية بن أبي سفيان بإيلاء، ثم سار معاوية يريد الكوفة، وسار إليه الحسن بن علي فالتقوا بناحية الأنبار، فاصطلحوا على كتاب بينهم بشروط فيه، وسلم الحسن الأمر إلى معاوية، وذلك يوم الإثنين لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وتسمى هذه السنة سنة الجماعة^(١).

المطلب الثاني: مدة الخلافة الراشدة

عن سفينة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك)^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: «وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا»^(٣).

المطلب الثالث: ملك معاوية رضي الله عنه

روى الطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكا ورحمة، ثم يكون إمارة ورحمة، ثم يتكادمون عليه تكادم^(٤) الحمر)^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكًا ورحمة، كما جاء في الحديث: (يكون الملك نبوة ورحمة، ثم تكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملك ورحمة، ثم ملك وجبرية، ثم ملك عضو^(٦)). وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين، ما يعلم أنه كان خيرًا من ملك غيره .

وأما من قبله فكانوا خلفاء نبوة، فإنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ذكر الإخبار بأن أبا بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم عليا الخلفاء بعد المصطفى ﷺ ورضي الله عنهم، ج ١٥ ص ٢٨.

(٢) أبو داود، كتاب السنة، باب في الخلفاء، ج ٤ ص ٣٤٢ رقم ٤٦٤٨. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، ج ٤ ص ٥٠٢ رقم ٢٢٢٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨ ص ١٦.

(٤) يتكادمون: يقبضون عليها ويعضون عليها.

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٩ ص ٢٩٩ رقم ١٠٩٧٥. قال الهيثمي: رجاله ثقات. (الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٥ ص ٢٤٢).

(٦) الملك العضوض: الذي فيه عسف وظلم للرعية كأنه بعضهم عضا .

تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكًا)، وكان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. رضي الله عنهم. هم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون»^(١).

المبحث الرابع: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أم حرام

عن أنس بن مالك. رضي الله عنه. أنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطمعه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت.

فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته، وجعلت تقلي رأسه، فتام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك.

قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، مثل الملوك على الأسرة) قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك.

فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله) كما قال في الأول، قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: (أنت من الأولين). فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت^(٢).

قال ابن بطال: وهذا الحديث من أعلام النبوة، وذلك أنه أخبر فيه بضروب من الغيب قبل وقوعها.

فمنها: جهاد أمته في البحر وضحكه دليل على أن الله يفتح لهم ويغنمهم.

ومنها: الإخبار بصفة أحوالهم في جهادهم وهو قوله: (يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة)

ومنها قوله لأم حرام: (أنت من الأولين) فكان كذلك، غزت مع زوجها في أول غزوة كانت إلى الروم في البحر مع معاوية.

وفيه: هلكت، وهذا كله لا يعلم إلا بوحي من الله تعالى على ما أوحى إليه به في نومه^(٣).

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٤ ص ٤٧٨.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، ج ٤ ص ١٩ رقم ٢٧٨٨. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الغزوة في البحر، ج ٦ ص ٤٩ رقم ٥٠٤٢.

(٣) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ٥ ص ١١.

المبحث الخامس: إخبار النبي ﷺ باستفاضة المال

عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك، وهو في قبة من آدم، فقال: (أعد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص^(١) الغنم، ثم استفاضة المال^(٢) حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنه لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر^(٣)، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية^(٤))، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا^(٥).

قال العيني: «وهذه الست المذكورة ظهرت منها الخمس: موت النبي، وفتح بيت المقدس، والموتان كان في طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، مات فيه سبعون ألفا في ثلاثة أيام: واستفاضة المال كانت في خلافة عثمان - رضي الله تعالى عنه - عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة استمرت بعده، والسادسة لم تجئ بعد»^(٦).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقة ويدعى إليه الرجل فيقول لا أرب لى فيه)^(٧).

ويحتمل أن يكون هذا إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، عن عمر بن أسيد قال: (إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا ثلاثين شهرا، لا والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقولون: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيهم، فلا يجده فيرجع بماله، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس)^(٨).

المبحث السادس: إخبار النبي ﷺ باستتباب الأمن

عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: بينا أنا عند النبي ﷺ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل، فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبئت

(١) القصاص داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت. (البيهقي، شرح السنة، ج ١٥ ص ٤٤)

(٢) استفاضة المال كثرتة. (البيهقي، شرح السنة، ج ١٥ ص ٤٤)

(٣) بنو الأصفر هم الروم. (البيهقي، شرح السنة، ج ١٥ ص ٤٤)

(٤) المقصود الغاية هنا الرأية لأنها غاية المتبع. (شرح ابن بطال ج ٥ ص ٢٥٧)

(٥) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ج ٤ ص ١٢٤ رقم ٣١٧٦.

(٦) العيني، عمدة القاري، شرح حديث عوف بن مالك.

(٧) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، ج ٢ ص ١٢٥ رقم ١٤١٢. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ج ٢ ص ٨٤ رقم ٢٣٨٧.

(٨) البيهقي، دلائل النبوة، باب ما جاء في إخباره بالشر الذي يكون بعد الخير ... ، ج ٦ ص ٤٩٣.

عنها، قال: (فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة^(١)) حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله)

قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَار^(٢) طيئ الذين قد سعروا البلاد (ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى) قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: (كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه، ... قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه^(٣)).

وقد سبق الكلام على استفاضة المال في المبحث السابق.

وعن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟

قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه.

والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون^(٤)).

المبحث السابع: إخبارات النبي ﷺ لحذيفة

عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني.

فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال (نعم).

فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم وفيه دخن^(٥)). قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتكر).

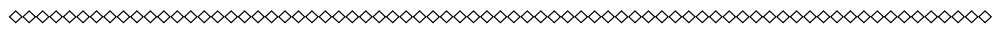
(١) الحيرة: بلد معروف قديما مجاور للكوفة.

(٢) دُعَار: جمع داعر وهو الخبيث المفسد الفاسق والمراد بهم قطاع الطرق.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٤ ص٢٣٩ رقم ٣٥٩٥.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٤ ص٢٤٤ رقم ٣٦١٢.

(٥) فيه دخن: أي لا يكون الخير محضاً، بل فيه كدر وظلمة.



فقلت هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم دعاة على أبواب جهنم^(١)) من أجابهم إليها قذفوه فيها). فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: (نعم قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا^(٢)). قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: (تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم). فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)^(٣).

قال ابن بطال: (أخبر حذيفة بأمر مختلف من الغيب، لا يعلمها إلا من أوحى إليه بذلك من أنبيائه، الذين هم صفوة خلقه)^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فكان الخير الأول النبوة وخلافة النبوة التي لاقتها فيها، وكان الشر ما حصل من الفتنة بقتل عثمان، وتفرق الناس، حتى صار حالهم شبيها بحال الجاهلية، يقتل بعضهم بعضا... والخير الثاني اجتماع الناس لما اصطلاح الحسن ومعاوية لكن كان صلحا على دخن وجماعة على أقداء فكان في النفوس»^(٥).

وأما الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ففسر الدخن بما كان من بعض الأمراء، كزياد بالعراق، وخلاف من خالف عليه من الخوارج.^(٦)

المبحث الثامن: إخبار النبي ﷺ بتأخير الأمراء الصلاة

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ: (كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها؟ أو يميئون الصلاة عن وقتها). قال: قلت: فما تأمرني؟ قال (صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة)^(٧).

قال الحافظ النووي رحمه الله: «قوله صلى الله عليه وسلم: (إنه سيكون بعدي أمراء يميئون الصلاة) فيه دليل من دلائل النبوة، وقد وقع هذا في زمن بني أمية»^(٨).

(١) دعاة على أبواب جهنم: من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة.

(٢) أي هم من العرب.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤ ص ٢٤٢ رقم ٣٦٠٦. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ج ٦ ص ٢٠ رقم ٤٨٩٠.

(٤) ابن بطال، شرح البخاري، ج ١٠ ص ٣٢.

(٥) ابن تيمية، منهاج السنة، ج ١ ص ٢٨٢.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٢ ص ٣٥-٣٦.

(٧) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب المساجد، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار وما يفعله المأموم إذا أخرها الإمام، ج ٢ ص ١٢٠ رقم ١٤٩٧.

(٨) النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٥ ص ١٤٨.

المبحث التاسع: إخبار النبي ﷺ بالفتوحات

المطلب الأول: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالفتوحات وهلاك كسرى وقيصر

روى الإمام مسلم عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى^(١) لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض^(٢))، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة^(٣))، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم^(٤))، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها، ويسبى بعضهم بعضا^(٥)).

قال القاضي عياض: «وهذا الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ، لظهوره كما قال، وأن ملك أمته اتسع في المشارق والمغارب، كما أخبر، من أقصى بحر طنجة، ومنتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد الهند والسند والصغد، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال الذي لم يذكر - عليه السلام - أنه أريه، وأن ملك أمته سيبلغه^(٦)». وفي هذا الحديث إشارة إلى فتح بلاد كسرى وقيصر، المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، وذلك أن الغالب على نقد ممالك كسرى والدنانير، والغالب على نقد ممالك قيصر الدراهم. وقد سبق ذكر قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم: (ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى). قال عدي: (وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز).

وفي غزو الأحزاب، والمسلمون محاصرون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق، وأخذ المفتاح، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن أموالهم في سبيل الله^(٧)).

(١) زوى: جمع.

(٢) المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، وذلك أن الغالب على نقد ممالك كسرى والدنانير، والغالب على نقد ممالك قيصر الدراهم.

(٣) بسنة عامة: بقحط شائع لجميع بلاد المسلمين.

(٤) يستبيح بيضتهم: يستأصلهم ويهلكهم جميعهم.

(٥) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج ٨، ص ١٧١ رقم ٧٤٤٠.

(٦) القاضي عياض، إكمال المعلم، ج ٨، ص ٢١٣.

(٧) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٤٦٠.

المطلب الثاني: إخبار النبي ﷺ بفتح اليمن والشام والعراق

عن سفيان بن أبي زهير - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون^(١))، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم^(٢))، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون^(٣)).

قال ابن بطال: «وفيه برهان جليل بصدق الرسول في إخباره بما يكون قبل وقته، فأنجز الله لرسوله ﷺ ما وعد به أمته، ففتحت اليمن قبل الشام، وفتحت الشام قبل العراق، وكمل ذلك كله»^(٤).

المطلب الثالث: إخبار النبي ﷺ بقتال الترك

المقصود بالترك الآسيويون المتصفون بالوجوه المستديرة، والأنوف القصيرة المنبسطة، والأعين الصغيرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف^(٥))، كأن وجوههم المجان المطرقة^(٦))^(٧).

وعنه - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما كأن وجوههم المجان المطرقة^(٨))^(٩)).

قال المهلب: «فيه علامة للنبوة، وأنه سيبلغ ملك أمته غاية المشارق التي فيها هؤلاء القوم، على ما ذكر في غير هذا الحديث، وكذلك خلقه وجوههم بالعيان عريضة، وسائر ما وصفهم به كما وصفهم»^(١٠).

(١) يسقون دوابهم.

(٢) يتحملون بأهليهم ومن أعطاعهم: يحملون من المدينة إلى هذه البلاد المفتحة لسعة العيش فيها.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، ج ٢ ص ٢٧ رقم ١٨٧٥.

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ٨ ص ١٤٢.

(٥) الذلف: قصر الأنف وانبطاحه.

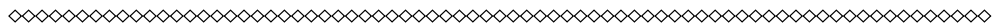
(٦) المجان: جمع مجن وهي الترس، شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها.

(٧) المطرقة: التي ألبست بالجلود. شبه وجوههم بالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.

(٨) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب قتال الترك، ج ٤ ص ٥٢ رقم ٢٩٢٨.

(٩) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب قتال الذين ينتعلون الشعر، ج ٤ ص ٥٢ رقم ٢٩٢٩. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ج ٨ ص ١٨٤ رقم ٧٤٩٤.

(١٠) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ٩ ص ١٣٩.



قال ابن تيمية رحمه الله: «وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون، كما أخبر ﷺ، وأمر هذه الطوائف معروف، فإن قاتل الترك من التتار وغيرهم، الذين هذه صفتهم، معروف مشهور، وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة، كبار وصغار من كتب المسلمين، قبل قتال هؤلاء الذي ظهروا من ناحية المشرق، الذين هذه صفتهم، التي لو كلف من رأيهم بعينه ان يصفهم، لم يحسن مثل هذه الصفة»^(١).

وقال النووي: «وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، يتعلون الشعر فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقاتلهم الآن، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم، وسائر أحوالهم، وإدامة اللطف بهم، والحماية، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»^(٢).

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٦ ص ٨٨-٨٩.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١٨ ص ٢٨.

الدكتور بدر بن سالم بن جميل السناني
جامعة التقنية والعلوم التطبيقية - الرستاق، سلطنة عمان

الأخبار الغيبية في السنة النبوية Metaphysical News in the Prophetic Sunnah

ملخص البحث

من المسلمات الإيمانية الاعتقاد الجازم المطلق أن الغيب لا يعلمه إلا الله، له غيب السماوات والأرض، وعنده مفاتيحه لا يعلمها إلا هو، فالغيب ما غاب عن الحس، وعلمه الإنسان بتحليله الفكري، أو بالخبر اليقيني عن الله، ورسوله، وهذا لا يكون إلا بالنقل الصحيح عن الله جل شأنه، وعن الرسول ﷺ. وقد استأثر - جل في علاه - ببعض الغيب، وهو الغيب المطلق - الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه، لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، كالروح، وساعة الموت، وقيام الساعة، ففي حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي الأكرم عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»؛ واكتفى ﷺ بإخباره عن أماراتها.

إن الغيب المطلق لله - تعالى - وحده، فلا يعلم الغيب إلا الله، ولا يعلمه الرسول ﷺ، فضلا عن بقية الناس ولكن فضل الله عظيم، حيث يطلع بعض رسله على بعض الغيب؛ وهذا أمر ثابت بالقرآن والسنة، ومن الراسخ في العقيدة الذي لا يرتاب فيه مسلم أنه - جل شأنه - أطلع نبيه عليه السلام على أمور غيبية مما قد حدث، أو يحدث في زمنه، أو سيحدث مستقبلا، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿ (الجن: ٢٦/٢٧). إلا أن علمه عليه السلام بالغيب لم يكن علما كليًا، وإنما كان علما جزئيًا في حدود ما أطلعه الله عليه، فكان الإعجاز الغيبي معجزة له وآية من آيات الله خص الله بها رسوله، فجاء هذا الإعجاز الغيبي في إخباره ﷺ عن أمور وقعت في الماضي، أو تقع في الحاضر، أو ستقع في المستقبل في أمور دنيوية، أو أخروية.

يُعدُّ الإعجاز الغيبي في إخبار رسول الله ﷺ من الأدلة المؤكدة صدق نبوته؛ والشواهد الناطقة على الرد على منكري دعوته ﷺ، أو المشككين في نبوته. فهو الصادق الأمين الذي استعرض أحداثًا ستقع، ووقعت بالفعل وهذا ما يثبت أن الرسول يوحى إليه؛ لأن إخباره بالأحداث



التي ستقع، ويشاهدونها الصحابة عيانا، أو وقعت بعد موته ﷺ، أو ستقع كما قال وأخير، ما هو إلا دليل على أنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، من أمثله: إخباره ﷺ بمصارع القوم في بدر، ومنه قوله ﷺ لفاطمة الزهراء (رضي الله عنها): «أنت أول أهلي لحوقا بي»، ومنه - أيضا - قوله ﷺ لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى».

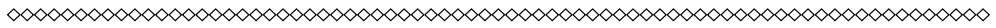
الشواهد من إخباره ﷺ بالغيب - في كتب السنة - كثيرة، إلا أن الحديث عن إخباره ﷺ بالغيبيات لن يكون مفتوحا على مصراعيه، فهو حديث يطول، ولكن حسبنا بعض الشواهد التي أردناه إضاءة - ولو خافتة - في معالم التأكيد على صدق نبوته، ورسالته، والرد على المشككين في صدق أحاديثه، فيسعى هذا العمل الموسوم بـ(الأخبار الغيبية في السنة النبوية) إلى رصد بعض النماذج مما أخبر به النبي ﷺ لأمر غيبية، وقع بعضها، وسيقع الآخر، وجاء العمل - قبل خاتمه - في ثلاثة مباحث غير منفصلة، وهي: الإيمان بالغيب. وفي المبحث الثاني: طرائق كشف الغيب، أما المبحث الثالث فعرض هذا المبحث نماذج من صور إخباره ﷺ بأمر غيبية.

Research Summary

One of the axioms of faith is the absolute assertive belief that the unseen is known only to God, he has the unseen of the heavens and the earth, and he has his overtures that he only knows, so the unseen is what is absent from the senses, and man knows him by his intellectual analysis, or by the certain news about God and His Messenger, and this can only be done by correct transmission On the authority of God Almighty, and on the authority of the Messenger.

He excluded - the greatest in above - some of the unseen, which is the absolute unseen - which no one of his creation has ever seen, neither a close king, nor a messenger prophet, like the soul, the hour of death, and the rising of the Hour. In the hadith of Gabriel, he asked the Noble Prophet about the Hour, he said: What is responsible for it is more knowledgeable than the questioner “; And contented himself with telling him about her emirates.

The absolute unseen is God - the Almighty - alone, and only God knows the unseen, and the Messenger does not know him, let alone the rest of the people, but the grace of God is great, as some of his messengers see some of the unseen This is a fixed matter in the Qur'an and Sunnah, and among those firmly established in the doctrine that a Muslim does not suspect is that he - the bulk of his affairs - informed his Prophet about unseen matters that had happened, or will happen in his time, or will happen in the future, and



he is included in the Almighty's saying: The world of the unseen Only one who is content with a messenger will appear to him in his absence (the Jinn: 27). Except that his knowledge of the unseen was not a complete knowledge, rather it was a partial knowledge within the limits of what God had revealed to him, so the unseen miracle was a miracle for him and one of the revelations of God that God assigned to his Messenger, so this miracle of the unseen came in telling him about things that occurred in the past, or occur in the present Or, in the future, you will fall into worldly or otherworldly matters.

The unseen miracle of telling the Messenger of God is one of the confirmed evidence that his prophethood was true. And the speaking evidences to respond to those who deny his call, or to those who doubt his prophethood. He is the honest and trustworthy one who reviewed events that will happen and actually occurred, and this is what proves that the Messenger revealed to him. Because telling him about the events that will happen, and they will be witnessed by the Companions with their own eyes, or they will happen after his death, or they will happen as he said and was told, is nothing but evidence that he does not utter from whims and desires, if it is nothing but a revelation that is revealed. He was told of the folk wrestler in the Battle of Badr He said to Fatimah Al-Zahraa: «You are the first of my family to join me.» As he said to Saraga bin Malik: «How will you be if you put on the stockings of Khusra?»

The evidences from telling him about the unseen - in the books of the Sunnah - are many, but the talk about telling him about the occult will not be wide open, for it is a lengthy conversation, but we counted some of the evidences that we wanted to illuminate - even if faint - in the signs of affirming the truthfulness of his prophethood, his message, and the response to the doubters In the truthfulness of his hadiths, this work marked by (unseen news in the Prophetic Sunnah) seeks to monitor some examples of what the Prophet told about unseen matters, some of which occurred, and the other would fall, and the work came - before its conclusion - in three separate topics, namely: The first topic: belief in the unseen. The second topic: methods of uncovering the unseen. The third topic: Pictures of his telling of metaphysical matters.

المقدمة

١.١.١. تأطير الموضوع.

من أهم ثوابت عقيدة المؤمن، وأصول الدين، وقواعد الإيمان الاعتقاد المطلق - الذي لا

يخالجه شك، ولا يخالطه ظن - باختصاص الله وحده بعلم الغيب المطلق دون سواه، حيث استأثر الله بهذا الغيب؛ فلا أحد يستطيع كشف علم الغيب، والاطلاع على أسرارها مهما بلغت منزلته، وسمت مكانته. إلا أن المولى كشف الغيب النسبي، أي الغيب الجزئي لبعض خلقه، أي: أن الله يفيض من غيبه الذاتي على من ارتضى له الاطلاع على الغيب من رُسله، ويكون اطلاعهم بأمر من الله، وبحكمته، وفيوضه، وقدرته لا بقدرتهم البشرية. حتى النبي ﷺ كشفت له غيبات، وأخفيت عنه حقائق ما عرفها إلا بالوحي، ومن هذا حادثة الإفك التي بقي النبي ﷺ شهراً لا يعرف الحقيقة، وموقفه من المنافقين في المدينة، وقد كانوا حوله، ويعيشون بين المسلمين، والنبي ليست له قدرة على معرفة أحوالهم، وغيرها مما كان في أيام حياته.

إن الإيمان بالغيب من دعائم العقيدة الإسلامية، وركن من أركانها كالإيمان بوجود الله، وصفاته، ووجود الملائكة، والشياطين، وأشرار الساعة، والجنة والنار، وغيرها مما يجب الإيمان بها، والاعتقاد الجازم بصحة ما جاء من عند الله، والتصديق المحض التام بما أخبر به النبي ﷺ صريحا أنه واقع، أو سيقع، فهذه المعجزات الغيبية ما هي إلا واحدة من الأدلة الملموسة على صدق رسالة النبي الخاتم.

لا بد أن يترسخ في عقيدة المؤمن التصديق الحق بما أخبر به النبي ﷺ من أمور غيبية، والإيمان بها وهذا الإيمان ركن التقوى التي تقوم عليه أركان الإيمان التي يؤمن به العبد دون أن يراها، لذا جعل الله أول خصائص عباده المتقين الإيمان بالغيب قولاً، واعتقاداً، وعملاً، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُسِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ﴾ (البقرة: ٢ - ٣).

٢.١. أهمية البحث.

تتجلى أهمية البحث في كون موضوعه يدحض حجج متهمي النبي ﷺ بأن إخباره عن الغيب قد تدرج في التخمينات التي قد تصيب، والمصادفة التي قد تصدق، وأن هذه ليست خاصة بمحمد فهي لكل أحد، وفي أي زمن، وهذه من شبهات المشككين في رسالة النبي ﷺ، فيأتي هذا البحث ليرد عليهم بالحجة أن إخباره ﷺ بالغيبات ليست من باب التخمين، أو ما يقع مصادفة، فهو وحي يوحى إليه، فإن تحقق هذا الهدف فحسبنا وكفانا، لذا يستعرض البحث أحاديث في الإعجاز الغيبي التي تؤكد صدق النبي ﷺ فيما أخبر من وحي غير متلو، حيث يعد الإعجاز الغيبي من المعجزات الناطقة بصدقه ﷺ؛ فأخبر بأمور تقع في المستقبل، فجاءت كما أخبر في حياته وبعدها، فلم يتخلف أمر، ولم يخطئ قوله الواقع، وهذا ما لا سبيل إليه إلا بوحي

من الله، وهذا في سنته كثير. لكن البحث لن يتوسع في تتبع كل الأحاديث التي تناولت الأخبار الغيبية (الماضية والمستقبلية)، لكنه سيعرض شواهد أخبر فيها النبي ﷺ عن بعض القضايا الغيبية التي وقعت بعد قوله -أو ستقع- فهي تعد من الدلائل القاطعة على مصداقته ونبوته، والحجج الساطعة على صحة قوله، ورسالته، فهو يرى ما لا نرى، ويسمع ما لا نسمع، فكل هذا مما نبئ به من الله، فنحن نؤمن به حقيقة مطلقة، ونؤمن -أيضا- أن اطلاعه ﷺ على بعض الغيب لم يخرج من حدود رسالته، فهو موحى إليه من الله بهذا الغيب الذي نقله إلى الأمة.

٣.١. مشكلة الدراسة

يثير كثير من منكري رسالة سيدنا محمد ﷺ بعض الشبه، وقد يتولى إشاعتها بعض من تلوثت عقولهم بهذه الأفكار، فهم يرون أن النبوءات الموجودة في الأحاديث ليس لها حساب، وقيمة؛ لأنه فقد تكون مجرد تخمينات منه ﷺ، أو جاءت محض مصادفة، فيدخلون من هذا الباب لإثارة هذا الشبه، وتشكيك الشباب في عصمته، وصدق الأحاديث النبوية، وقد يتجرأ بعضهم في التناول على أقوال النبي، ويرد أقوال الصحابة التي نقلت هذه الأحاديث، وفهم يرون أن إخباره ﷺ عن أحداث الماضي، أو إخباره عما سيكون ليس دليلا على تلقيه عن ربه، فهم يزعمون أنه قد يكون الخبر قد جاءه بواسطة الجن، أو أخذه من الكهنة، أو جلوس مع الأخبار، والرهبان، أو اطلع عليه في كتاب، ويدلل المتفلسفون على حجتهم أن المرء قد يعرف بعض الأمور المستقبلية؛ فيتوقع نتائج معينة، فتحدث كما توقع كما يحدث لمن يقرأ خرائط الطقس.

إن القول بالتخمينات، أو المصادفة -إن صحت- تأتي مرة، وقد تتكرر، لكنها لا توافق كل حين، فلما كانت أقواله الغيبية موافقة لما وقع، ولما يقع؛ أدهشت هذه الحجة كونها تخمينات أو مصادفة. وتوقع قارئ الطقس ليس من الغيب؛ لأنه يستند إلى مقدمات يبني عليها نتائجه، وهذا الأمر يخرج من عالم الغيب، فالغيب لا مقدمات له، ومن هنا تتحدد مشكلة البحث، فيأتي هذا العمل للرد على مثل هؤلاء؛ ببيان معنى الغيب، وتحديد أنواعه، والاستشهاد بجملة من المواقف، وعرض شيء مما أخبر به ﷺ من أمور غيبية بتفاصيل دقيقة، ومعلومات مؤكدة، وكأن المستقبل مشاهد أمامه، مما لا يمكن أن يطلع عليه أحد كقوله ﷺ لفاطمة الزهراء (رضي الله عنها): أنت أول أهلي لحوقا بي، وإخباره أم حرام بنت ملحان أنها ستعيش إلى الزمان الذي يغزو فيه الجيش البحر. لكنها لن تكون في من يغزون مدينة قيصر. وإخباره ﷺ بمصارع القوم في بدر، وقوله ﷺ لسرافة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟».

إن هذه من ضروب إخبار النبي ﷺ بما سيقع، وقد وقعت كما قال، وهذا معدود من علامات نبوته، وصدق رسالته.

٤.١ . منهج البحث

انطلاقاً من هذا المبدأ قام هذا العمل على المنهج الاستقرائي القائم على الوصف والتحليل الذي يتكئ على استقراء الأحاديث المتعلقة بالأخبار الغيبية، والتركيز على الأحاديث المتصلة بالمستقبل، دون الماضي؛ لأنه لا سبيل لكشف المستقبل لأي أحد، هذا والتوافق التام بين ما أخبر به النبي وما وقع في زمنه، وبعد زمانه، وما سيقع ينفي أن تكون هذه الأخبار تخمينية، أو تكون مصادفة، وهذا ما نسعى إليه في هذا البحث الذي أسسنا منهجه على الاستقراء، وتسجيل شواهد من هذه الأخبار الغيبية التي أردناها جواباً - ولو مختصراً - ، ودواء شافياً لمن يشكك في رسالته ﷺ، ويطعن في صدق أحاديثه، وأخباره، فجاء العمل - قبل خاتمته ومراجعته - في ثلاثة مباحث غير منفصلة، الأول في الإيمان بالغيب. والثاني في طرائق كشف الغيب، أما الثالث فعرض نماذج من صور إخباره ﷺ بأمور غيبية.

٥.١ . الدراسات السابقة

شغل موضوع الإعجاز الغيبي مساحة كبيرة من اهتمام العلماء، فتناولته بحوث عدة، وقد خصص بعض الباحثين أبواباً للإعجاز الغيبي في السنة النبوية، وقد أطلق العلماء على هذا النوع من السنة إعجازاً غيبياً، وأطلق البخاري عليه علامات النبوة، حيث عقد باباً في صحيحه بعنوان (باب علامات النبوة في الإسلام) من كتاب المناقب، وأطلق عليه إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل الآيات، وأطلق عليه الإمام أبو نعيم والبيهقي دلائل النبوة، وكلها تفيد معنى واحداً^(١). فقد أخبر النبي ﷺ عن زهاء ألف أمر غيبي، وكلها دليل على نبوته ورسالته، فقد عقد أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) باباً مفصلاً في القول في إثبات نبوة محمد المصطفى ﷺ، وثمة باب مطول في الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل القاضي عياض (ت ٤٥٨ هـ) سرد في الفصل الرابع والعشرين ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون.

فصلنا كثيراً من هذه الدراسات في المبحث الثالث - من هذا البحث - الذي تناول نماذج من الأخبار الغيبية الواردة في السنة، ولعل الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كثيرة، لعنا نكتفي هنا بالتمثيل بدراستين تأتيان صنوين لدراستنا، الأولى دراسة قام بها سعيد القزي بعنوان: الإعجاز الغيبي في السنة، عرض فيها الأحاديث التي أخبر بها رسول الله ﷺ ما هو كائن إلى يوم القيامة، حيث أخبر بما وقع في حياته، أو سيقع بعد وفاته، وتناول ما جاء إخباراً عن الغيوب المستقبلية في أحد عشر مبحثاً.

(١) القزي، سعيد عبد الرحمن موسى. الإعجاز الغيبي في السنة. ص ٢١٧. الكتاب منشور على موقع:

<https://ketabpedia.com>

أما الدراسة الأخرى التي نشير إليها فهي دراسة الإعجاز الغيبي في ضوء السنة النبوية، وهي رسالة تقدمت بها الطالبة مروة عروة بجامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي؛ للحصول على درجة الماجستير في تخصص الحديث وعلومه، وقد نوقشت الرسالة يوم ٢٧ مايو ٢٠١٧، وهدفت إلى بيان معجزة دين الإسلام، فلا يوجد دين على الأرض يخبر بأمور سوف تقع في المستقبل إلا دين الإسلام، وهذا دليل قاطع على أنه هو الدين الحق من عند الله، وبيان وجوه الإعجاز الغيبي في السنة النبوية، وبيان صدق نبوة محمد ﷺ. اعتمدت مروة عروة - بعد المنهج الاستقرائي - المنهج المقارن؛ بهدف المقارنة بين ما ثبت في السنة النبوية من معجزات غيبية، وما ثبت في عصرنا الحاضر من نظريات علمية، تؤكد صدق دعوة نبوة النبي.

المبحث الأول: الإيمان بالغيب

الغيب - لغة - مصدر غاب يغيب غيباً، وكل ما غاب عنك، فلم تشهده، فهو غيب، وكأنه مصدر بمعنى الفاعل^(١)، أو كل ما غاب عن العيون، سواء كان محصلاً في القلوب، أو غير محصل^(٢). فأصل الغيب: كل ما غاب عنك من شيء. وهو من قولك: غاب فلان يغيب غيباً^(٣). قال أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٣): «أي ما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر البعث، والجنة، والنار. وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب»^(٤)، قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ): «الغيب في قوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد»^(٥).

قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): «الغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون ثم يقاس، من ذلك الغيب ما غاب مما لا يعلمه إلا الله، ويقال: غابت الشمس تغيب غيبة

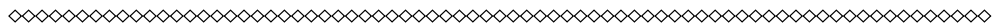
(١) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وآخرين. الكويت: مطبعة حكومة الكويت. ط ١٩٨٦. م. مادة: (غ. ي. ب).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. تحقيق ياسر أبو شادي، ومجدي السيد. د. ط. القاهرة: المكتبة التوفيقية. د. ت. مادة: غ. ي. ب.

(٣) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ٢٠٠٠. ج ١ ص ٢٢٧.

(٤) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. معاني القرآن وإعرابه. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. بيروت: عالم الكتب. ط ١. ١٩٨٨. ج ١ ص ٧٢.

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة. د. ط. د. ت. ص ٣٦٧.



وغيوباً وغياباً، وغاب الرجل عن بلده»^(١). والعرب تسمى المكان المنخفض من الأرض: الغيب؛ لأنه غائب عن الأبصار^(٢)، وتقول: «سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه»^(٣).

لا تبتعد التعريفات التي تناولت مصطلح الغيب عن معناه اللغوي، فالغيب «استعمل في كل غائب عن الحاسة، و عما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، . . . ويقال للشيء غيب وغائب باعتبارها بالناس، لا بالله تعالى؛ فإنه لا يغيب عنه شيء»^(٤).

قال ابن عثيمين (ت ١٤٢١ هـ): «المراد بالغيب ما كان غائباً، والغيب أمر نسبي، لكن الغيب المطلق علمه خاص بالله»^(٥). وقال عبد الكريم عثمان: «إن الغيب هو ما غاب عن الحس، وأدركه الإنسان بتحليله الفكري، أو بالخبر اليقيني عن الله، ورسوله، أو أن يبقى سرا مكتوما يعجز الإنسان عن إدراكه، ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير»^(٦).

سرد العموش مجموعة من التعريفات بمصطلح الغيب^(٧) إلا أنه مال إلى تعريف عبد الكريم عثمان؛ فهو نموذجي متكامل^(٨)، ووجه تفضيل هذا التعريف على غيره أنه تعريف شامل؛ حيث إنه جاء على الغيوب كلها، فالغيب الذي لا يقع تحت الحواس يدخل فيه؛ لقوله (ما غاب عن الحواس)، ويدخل فيه الغيب الذي يمكن أن يدركه الإنسان عقلاً (كوجود الله)؛ لقوله: (وأدركه الإنسان بتحليله الفكري)، ويدخل فيه الغيب الذي استأثر الله بعلمه؛ لقوله: (أو يبقى سرا مكتوما يعجز الإنسان عن إدراكه، ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير).

إن الإيمان بالغيب عبادة علمية فيها مشقة، ودرجة راقية لا يصل إليها المرء إلا بتوفيق الله، وثبات قلبه على الحق، والصرام المستقيم، ولذا من يتأمل ترتيب الآيات القرآنية يلحظ أنه -جل

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الجيل. ط ١. ١٩٩٩. باب الغين والياء وما يتلثهما. ج ٤ ص ٤٠٣.

(٢) الواحدي، علي بن أحمد بن محمد. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٤. ج ١ ص ٨٠.

(٣) الأزهري، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. تحقيق محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١. ٢٠٠١. مادة (غ. ي. ب)، ج ٨ ص ١٨٢، والزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد. أساس البلاغة. تحقيق محمد ياسر عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٨. ج ١ ص ٧١٧. وابن منظور. لسان العرب. مادة: (غ. ي. ب)، والزيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. مادة: (غ. ي. ب).

(٤) الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. ص ٣٦٦.

(٥) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. شرح العقيدة الواسطية. خرج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميل. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. ط ٦. ٢٠٠١. ج ١ ص ١٩٤.

(٦) عبد الكريم عثمان. رحلة عبر الغيب. حلب: دار السلام للنشر والتوزيع. ط ٢. ١٩٨٥. ص ٢٣.

(٧) العموش، بسام علي سلامة. الإيمان بالغيب. عمّان، الأردن: دار المأمون. ط ١. ٢٠٠٩. ص ١٠ - ١٤.

(٨) المرجع السابق. ص ١٤.



شانه- في قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُمِيزُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣) قد بدأ بوصف المؤمنين بإيمانهم بالغيب، ثم إقامتهم الصلاة؛ لأن الإيمان بالغيب عبادة علمية سماعية فيها تصديق بما تسمعه، ولا تراه، وهذه العبادات مستلزمة للمشقة على أهل التكليف. لكن المشقة تارة تكون عملية كالصلاة، والصيام والحج والجهاد، وتارة علمية كالإيمان بالغيب.

يرى أبو الربيع الصرصري (ت ٧١٦ هـ) أن وجه المشقة في الإيمان بالغيب يظهر؛ لأن «النفس الناطقة مطبوعة مفطورة على حب إدراك الأمور بحقائقها، فإذا رأت ما لا تدرك حقيقته تألمت واضطربت، كما يشاهده كل عاقل من غيره، ويجده من نفسه، حتى في أيسر الأشياء. ولهذا يحدث للنفس العجب، وهو عرض يلحقها لخباء سبب الأمر الحادث، فإذا ظهر لها سبب الأمر بطل العجب، واستراحت»^(١).

إن الإيمان بالغيب وبما أخبر به الله ورسوله من ثوابت عقيدة المؤمن، فلا ينبغي محاكمة القضايا الغيبية بلغة المنطق والعقل، فالأخبار الغيبية الثابتة عنه ﷺ بما تواتر من الأدلة لا ترد بحجة العقل، أو مخالفتها سنن الطبيعة، كأن يذهب بعض المسلمين إلى إنكار الدجال ونزول عيسى عليه السلام، ويقول عن الدجال: إنه يمثل الباطل، ونزول عيسى عليه السلام يمثل صولة الحق، ذكر صالح الفوزان على هامش كتاب الاقتصاد في الاعتقاد لأبي محمد المقدسي (ت ٦٠٠ هـ)، قال الفوزان: «وفي عصرنا هذا ينكر بعض الكتاب الجهال وأنصاف العلماء نزول عيسى عليه السلام؛ اعتماداً على عقولهم وأفكارهم، ويطعنون في الأحاديث الصحيحة، أو يؤولونها بتأويلات باطلة، والواجب على المسلم التصديق بما أخبر به النبي ﷺ، وضح عنه، واعتقاده؛ لأن ذلك من الإيمان بالغيب الذي أطلع الله رسوله عليه»^(٢).

يعد الإيمان بالغيب من دعائم العقيدة الإسلامية، والإيمان بالغيب هو الدعامة في كل دين؛ لأن وراء هذا العالم المادي عالم آخر غيره، فمن لم يؤمن به فقد جحده، ولا يمكن أن يكون إيمان بالله من غير إيمان بالغيب، وهو داخل في وجوه الإعجاز، فقد عقد أبو بكر الباقلااني (ت ٤٠٢ هـ) فصلاً في جملة وجوه إعجاز القرآن ذكر في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز: أحدها: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه^(٣).

(١) الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية. تحقيق سالم بن محمد القرني. الرياض: مكتبة العبيكان. ط ١. ١٩٨٩. ج ١ ص ٢٣٦.

(٢) المقدسي، عبد الفتي بن عبد الواحد. الاقتصاد في الاعتقاد. تحقيق أحمد بن عطية بن علي الغامدي. المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم. ط ١. ١٩٩٢. ص ١٩١.

(٣) الباقلااني، محمد بن الطيب. إعجاز القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر. مصر: دار المعارف. ط ٥. ١٩٩٧. ص ٢٣.

لعل من أهم ثمرات الإيمان بالغيب الآتي:

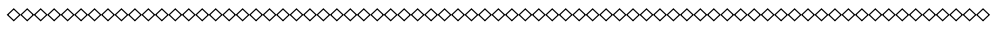
١.١. الإيمان بالغيب ركن التقوى التي تبنى على الأركان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وخير القدر وشره، فتسليم العبد بالغيب، واعتقاده الجازم به يؤسس في قلبه أركان الإيمان، ويثبتها في معتقده؛ لقيام أركان الإيمان على الأمور الغيبية التي لا تعرف إلا بالسمع، وما وصل إلينا بخبر الوحي المرسل إلى الأنبياء؛ فالناس جميعا متساوون في كون ذات الله - معهم - غيبا، وملائكته غيبا، وتنزيل الكتب - وإرساله - من الله غيبا، واصطفاء الرسول غيبا، والآخرة غيبا، والقدر غيبا، وهذا حقيقة تتلاقى مع حقيقة الإيمان بالغيب الذي يشير إلى التصديق بالأمور التي لا تدرك بالحواس، وإنما نعلمها بالسمع، أي ما يصل إلينا بطريق السماع، فتسليم العبد بالأمور الغيبية، وإيمانه بها يحقق إيمانه بأركان الإيمان التي لا تتحقق بالمشاهدة، فهي أمور غير حسية، وهذا يسوق إلى تحقيق ثناء الله على العبد، ورضاه؛ فحقيقة الإيمان تقوم على القول باللسان، والإقرار بالقلب، والعمل بالجوارح؛ فالإيمان بالغيب والتصديق به هو ترجمة هذا الاعتقاد، فكلما زادت معرفة المسلم ربه، وأركان الإيمان؛ استقر الإيمان في قلبه، وتترجم سلوكا ممارسا في حياته، ليصل إلى لحقيقته.

٢.١. يصحح الإيمان بالغيب تصور الإنسان عن الخلق، والخالق، والغاية من ذلك؛ فيؤمن أن الله خالق الكون والإنسان، وأنه يتصف بصفات الكمال.

٣.١. يساعد الإيمان بالغيب، واستقراره في القلب، والتصديق به عملا، على ترقى النفس المؤمنة لتصل إلى درجة أن تعبد الله وكأنها تراه، فيرى العبد بقلبه ما لا تراه بعينه، فقد روى أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) وأبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) عن الحارث بن مالك الأنصاري «أنه مر برسول الله ﷺ فقال له: كيف أصبحت يا حارث؟ فقال: أصبحت مؤمنا حقا، قال: انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظلمات نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال: يا حارث عرفت فالزم - ثلاثا -»^(١).

٤.١. يقود الإيمان بالغيب المؤمن إلى التفكير والاستدلال؛ فيكون ذلك سببا في تحصيل العلم بصفات الله - سبحانه - والعلم بالآخرة وغيرها من المغيبات التي نصّ عليها الدليل، قال أبو منصور الماتريدي (ت ٣٢٢ هـ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١١): «جعل الله تعالى التفكير سبيلا للعقول إلى إدراك الأشياء

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. ط ٢. ١٩٨٢ ج ٣ ص ٢٦٦، والبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. شعب الإيمان. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٠. ج ٧ ص ٣٦٣.



المغيبية بالحواس الظاهرة؛ إذ لا سبيل للعقل إلى إدراك ما غاب عنه إلا بالحواس الظاهرة، والتفكير فيها؛ لأن ما غاب عن الحواس الظاهرة، لا يدركه العقل؛ فجعل الحواس الظاهرة سبيلا للعقول إلى إدراك المغيب عنها»^(١).

٥.١. ينمي الإيمان بالغيب العقل البشري، ويوسع مداركه، فلا يعود إيمان الإنسان محصورا فيما يراه، ومحدودا بما يدركه، بل يصبح مؤمنا بما لا يراه. والإيمان لا يكون بالإدراك وحده؛ وإنما بالتصديق القلبي لما نُقل بالأدلة الشرعية الصحيحة.

٦.١. يصون الإيمان بالغيب العقل البشري من التشتت، والبحث في المجهول، ويحصن عقله ضد الغزو الفكري بكل أساليبه، فيوجه طاقته في الإنتاج، والعمارة.

٧.١. يبتث الإيمان بالغيب في قلب المؤمن الطمأنينة، وراحة الضمير، فيحقق السكينة والطمأنينة، ويحرره من الهم والحزن، ويجعل لحياته هدفا يسعى إلى تحقيقه؛ لأن تجاهل الغيب يؤدي إلى قصور في فهم حقيقة الإنسان والكون. فالإيمان بالغيب يعلم المؤمن أن الله خلقه لغاية سامية وهي عبادة الله، وأن مصيره بعد الموت والبعث والحساب هو الجزاء بالجنة أو النار. فيشعر المؤمن بتكريم الله له، وأن الله فضله على سائر المخلوقات، واستخلفه في الأرض لعمارتها، وكلفه بعبادته، وأرسل إليه رسولا، وأنزل كتابا؛ لهدايته.

٨.١. يربي الإيمان بالغيب الفرد على المراقبة الذاتية، فالحساب موجود، والمحاسب حاضر لا يغيب، فتستقيم نفسه، فلا يحتاج إلى رقيب لحفظ القانون، والالتزام بالنظام، فيثمر بالقيم الفاضلة والأخلاق الحسنة، فهذا الغيب ” هو ميزان الخشية إذ الخشية في الغيب أفضل بكثير من الخشية بالشهادة“^(٢).

٩.١. يربي الإيمان بالغيب الفرد على تركيز الجهد على ما هو يعود إليه بالمصلحة الدينية والدينيوية، والاشتغال بالنافع المفيد في دينه، وديناه، لهذا أخفى الله تعالى بعض الحقائق، حتى لا يشتغل الفرد بها، ويترك ما هو واجب، يقول السعدي (ت ١٣٧٦هـ) - في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ (٤٤) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ (٤٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَا﴾ (٤٤) ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا﴾ (النازعات: ٤٢ - ٤٥) - : « لهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية، ولا دنيوية، بل المصلحة في إخفائه عليهم؛ طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه فقال: (إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَا)»^(٣).

(١) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. تفسير الماتريدي. تحقيق مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ٢٠٠٥. ج ٦ ص ٤٨٣.

(٢) العموش. الإيمان بالغيب. ص ١٢.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق ابن عثيمين. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١. ٢٠٠٠. ص ٩١٠.

المبحث الثاني: طرائق كشف الغيب

إن للغيب مبادئاً ولو احقا فمبدؤه وأساسه أن الغيب لا يعلمه إلا الله، فلا يطَّلَعُ عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وهذا هو الغيب المطلق، وهو ما اختص الله به، فالرسول ﷺ لا يعلم الغيب المطلق، ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا لغيره، والله تعالى قد أمره أن يبلغ ذلك إلى الأمة، وأن يعلنه للملأ بقوله: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (الأنعام: ٥٠). وثبت في حديث طويل من طريق أم العلاء أنها قالت: «لما توفي عثمان بن مظعون أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله عز وجل، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله ﷺ: أما هو فقد جاءه اليقين من ربه، وإنني لأرجو له الخير، والله ما أدري، وأنا رسول الله، ما يفعل بي، فقلت: والله لا أزكي بعده أحدا أبدا»^(١).

لكن من الثابت في عقيدة المؤمن أن الله قد أطلع بعض خلقه على ما شاء من غيبه، وهذا يدخل في الغيب الجزئي المقيد الذي غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض، حيث أظهره الله لبعض خلقه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (عمران: ١٧٩)، فليس للرسول ﷺ، من شؤون الربوبية شيء، ولا يعلم الغيب إلا ما أطلعه عليه، يقول ابن عثيمين (ت ١٤٢١ هـ): «إنه ﷺ يسأل - أحيانا - عن شيء من الأحكام الشرعية فيتوقف حتى يأتيه الوحي، وقد يصدر القول، فيأتيه الاستثناء أو الاستدراك من عند الله عز وجل،... - وأحيانا - يجتهد عليه الصلاة والسلام، ولكن يأتيه الوحي من الله - عز وجل - بأن الخير في كذا وكذا، خلاف ما اجتهد فيه ﷺ»^(٢).

تواترت الآيات القرآنية في حديثها عن أمور غيبية، وكذلك جاءت السنة النبوية، وهي دليل ملموس على صدق رسالة النبي الخاتم، لقد أثبت القرآن الكريم الإعجاز الغيبي في كثير من مواطنه، وجاءت في السنة في مواقف عدة، وهي كلها تؤكد صدق النبي ﷺ، وصدق أخباره، ورسالته وتعد الرؤيا الصالحة أول طرائق كشف الغيب له، فكان أول ما ابتدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، روى البخاري (ت ٢٥٦ هـ)

(١) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ١ ص ٤١٩، وأحمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل. تحقيق السيد أبو المعاطي النوري. بيروت: عالم الكتب. ط ١. ١٩٩٨. ج ٦ ص ٤٣٦.

(٢) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل. تحقيق أبو عبد الله النعماني الأثري. دار الشريعة. ط ١. ٢٠٠٢. ص ٣٣.

بسند من أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»^(١).

الرؤيا الصالحة هي التي تتضمن الصلاح، وتأتي منظمة، وليست بأضغاث أحلام، أما أضغاث الأحلام فإنها مشوشة غير منظمة^(٢)، فالرؤيا وإن كانت رؤيا منام فهي وحي، يثبت بها ما يثبت بالوحي أمرًا ونهيًا^(٣)؛ فالرسول ﷺ كان يقرها، ويخبر أنها حق؛ لأن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي، وقد تكون سببا لشروع بعض الأحكام، وهي تؤخذ من قوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»^(٤)، قال الخطابي (ت ٢٨٨ هـ): «وإنما كانت من أجزاء النبوة في حق الأنبياء - صلوات الله عليهم - دون غيرهم؛ لأن الأنبياء - صلوات الله عليهم - يوحى إليهم في منامهم، كما يوحى إليهم في اليقظة، ثم قال وقال بعض أهل العلم: معناه أن الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة»^(٥).

نقل أبو محمد العيني (ت ٨٥٥ هـ) عن الزجاج قوله - في تأويله الحديث - : «إن الأنبياء - عليهم السلام - يخبرون بما سيكون، والرؤيا تدل على ما يكون»^(٦)، وأضاف مصطفى البغا في تعليقه «وقيل هذا في حق رؤيا الأنبياء دون غيرهم، وكان الأنبياء يوحى إليهم في منامهم، كما يوحى إليهم في اليقظة»^(٧).

وقيل: فلم يرد ﷺ أنها نبوة باقية، وإنما معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة باقٍ، والنبوة غير باقية بعد رسول الله ﷺ، فهو يريد أن يبيّن - لنا في الجملة - أن الرؤيا جزء من النبوة؛ لأنها لما كانت النبوة تتضمن اطلاعا على أمور يظهر تحقيقها فيما بعد وقع تشبيه رؤيا المؤمن بها»^(٨) أي: أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟

(١) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ١ ص ٤.

(٢) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. القول المفيد على كتاب التوحيد. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي. ط ٢. ٢٠٠٤. ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. تحقيق محمد حامد الفقي. القاهرة، مصر: مطبعة السنة المحمدية. ط ٧. ١٩٥٧. ص ٤٢٢.

(٤) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٦ ص ٢٥٦٤.

(٥) الخطابي. أحمد بن محمد. معالم السنن. حلب: المطبعة العلمية. ط ١. ١٩٢٢. ج ٤ ص ١٢٩.

(٦) العيني. محمود بن أحمد بن موسى. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د. ط. د. ت. ج ٢٤ ص ١٣١.

(٧) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٦ ص ٢٥٦٢.

(٨) ابن حجر، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة. د. ط. ١٩٧٠. ج ١٢ ص ٣٦٧.

قال: الرؤيا الصالحة»^(١)، ورواه مالك (ت ١٧٩ هـ) في الموطأ مختصراً، ولفظه: «ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»^(٢). حيث يشير لفظ الحديث إلى أن مراد النبي ﷺ يخبر عن جنس الرؤيا في الماضي والمستقبل، وأنها تفيد وتحصل بها البشرية، وأن فائدتها جزء من أجزاء النبوة المتضمنة الأخبار عن المغيبات^(٣)، أي لم يبق بعد نبوته ﷺ إلا المبشرات، جمع مبشرة من التبشير، وهو إدخال السرور والفرح على المبشر، والمراد أن الوحي ينقطع بموته ﷺ، ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا.

إن كشف الغيب الجزئي لا يكون إلا لرسول، أما من ليس برسول فلا يُكشَفُ له الغيب، لكن قد يكون لبعضهم كرامة، ليست من باب كشف الغيب المستقبلي، ولكن هي من باب الكشف العلمي^(٤) كقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع سارية، حيث قال له: يا سارية الجبل الجبل، يعني الزم الجبل. فصار بالنسبة إلى عمر كشف علمي، ليس علماً للغيب المستقبلي، كشف علمي أو بصري، فرأى الجبل ورأى سارية. وسارية - أيضاً - سَمِعَ كلام عمر فصار له الأمر كشفاً سمعياً، وهذا من جهة الكرامة.

إن هذه كرامة ترجع إلى القدرة في الكونيات، وهي قدرة في آلات السمع والبصر، حيث سَمِعَ سارية - وهو في بلاد فارس - كلام عمر - وهو في المدينة - فكانت لسارية قدرة في السماع، وكانت لعمر قدرة في الإبصار، حيث أَبْصَرَ ما لم يُبْصِرْهُ غيره، فقال: يا سارية الجبل الجبل. فنظر إلى سارية، ونظر إلى الجبل، ونظر إلى العدو، وكأنَّ الجميع أمامه، ولهذا قال: الزم الجبل. من أمثلة الكرامات العلمية الكشف البصري حين رأى أبو بكر رضي الله عنه بطن زوجته، فقال: (فيها أنثى) فلما ولدت بعد مدة كانت كذلك، فهذا الكشف من كشف البصر^(٥).

إن الكرامة تختلف عن المعجزة، فالكرامة ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً. وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة^(٦). أما المعجزة فتعم كل خارق للعادة^(٧)، فهي «أمر خارق

(١) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٦ ص ٢٥٦٤.

(٢) مالك بن أنس. الموطأ. تحقيق محمد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١. ١٩٨٥. ج ٢ ص ٩٥٦.

(٣) عبد الرحمن بن حسن. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. ص ٤٢٢.

(٤) آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد. إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل المنصورة: دار المودة. ط ١. ٢٠١١. ص ٧١٢.

(٥) العثيمين. شرح العقيدة الواسطية. ج ٢ ص ٢٣٦.

(٦) الجرجاني، علي بن محمد بن علي. كتاب التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٨٢. ص ١٨٤.

(٧) الأذري، محمد بن علاء الدين علي بن محمد. شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١٠. ١٩٩٧. ج ٢ ص ٧٤٦.

للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة»^(١)، وقيل هي «أمر يجريه الله تعالى على يد نبيه، أو علم بيديه في قوله، لا يقدر أحد من الخلق على الإتيان بمثله في زمانه، يكون دليلا على نبوته لخروجه على طاقة الخلق»^(٢).

إن المعجزة والكرامة - في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين في اللغة - نعم كل خارق للعادة، قال شارح العقيدة السفارينية «الكرامات جمع كرامة، وهي ما يقدم للضيف ونحوه تكريما له، وهذا هو الأصل فيها. ثم صارت الكرامة اسماً لكل خارق للعادة، يظهره الله سبحانه وتعالى على يد ولي من أوليائه تكريما له، أو إحقاقا لحق قام به، فهي - إذاً - أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه؛ إما تكريما له، وإما إظهارا للحق الذي قام به»^(٣).

لكن كثيرا من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي. وجماعهما: الأمر الخارق للعادة، يقول السفاريني (ت ١١٨٨ هـ): «المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة، . . .، الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة»^(٤)، فالكرامة كل خارق للعادة مما يجريه الله على يد تقي مؤمن، أما ما يجريه الله على يد الرسل؛ فإن هذا لا يسمى كرامة، إنما هي معجزة، والسلف يسمونها آيات، وهي أعلى مما يجريه الله عز وجل على أيدي الأولياء من كرامات.

إن مثل هذا الاختلاف بين المعجزة والكرامة، وهو ما يكون من الاختلاف بين رؤيا النبي ورؤيا غيره، فرؤياه ﷺ جزء من نبوته، ورؤيا غيره قد لا تتحقق، فالرؤيا الصالحة - عند من تقع معه - محتملة الوقوع، ويبقى تعليم الله النبي ﷺ من الأمور التي لا تحتل التكذيب، فهو صدق واقع، ومتحقق، وهي دليل حق على صدقه ﷺ، ومن هذه الأدلة إخباره بالغيبيات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (هود: ٤٩) - «فذكر سبحانه أن هذا الذي أوحاه إليه من أنباء الغيب ما كان يعلمه هو، ولا قومه من قبل هذا. فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب، ولا من غيرهم، وهو لم يعاشر إلا قومه، وقومه يعلمون ذلك منه، ويعلمون أنهم لم يكونوا

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتيان في علوم القرآن. تحقيق عصام فارس الحرساني. خرج أحاديثه محمد أبو صغيليك. بيروت: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط ١. ١٩٩٨. ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢) صالح رضا. الإعجاز العلمي في السنة النبوية. الرياض: مكتبة العبيكان. ط ١. ٢٠٠١. ص ٢١.

(٣) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. شرح العقيدة السفارينية. الرياض: دار الوطن للنشر. ط ١. ٢٠٠٦. ج ١ ص ٦٤٠.

(٤) السفاريني، محمد بن أحمد الحنبلي. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكنتها. ط ٢. ١٩٨٢. م. ج ٢ ص ٣٩٢.

يعلمون ذلك، ويعلمون أيضاً أنه هو لم يكن تعلم ذلك، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم، وهم لا يعلمون ذلك؛ صار هذا حجة على قومه، وعلى من بلغه خبر قومه»^(١).

قال الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في تفسيره « إن هذه القصص دالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأنه -عليه السلام- كان أمياً، وما طالع كتاباً، ولا تلمذ أستاذاً، فإذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ دل ذلك على أنه إنما عرفها بالوحي من الله، وذلك يدل على صحة نبوته»^(٢).

أثار الرازي (ت ٦٠٦ هـ) عند تفسيره سورة الأعراف (الآيات ٥٩ الى ٦٢) قضية قد يثيرها من يقول: الإخبار عن الغيوب الماضية لا يدل على المعجز؛ لاحتمال أن يقال: إن إبليس شاهد هذه الوقائع فألقاها إليه، أما الإخبار عن الغيوب المستقبلية فإنه معجز؛ لأن علم الغيب ليس إلا الله سبحانه وتعالى^(٣).

إن الجواب عن هذا التساؤل مرده إلى السنة النبوية، فالرسول ﷺ لم يخبر عن الماضي دون غيره، فقد تواترت الأخبار، وصحت الأحاديث بإخباره أصحابه عن أمور ستقع في مستقبل أيامهم، وشاهدوها، وهناك أخبار ستقع بعد زمانهم، وهي واقعة، وهذا ما سنشير إليه في المبحث القادم الذي نسرد فيه جملة من الأخبار الغيبية التي أخبر بها النبي ﷺ، وتحققت بعد أن أخبر عنها الرسول ﷺ أمام أعين الصحابة، أو وقعت بعدهم، أو ستقع، وحسبنا التمثيل هنا، لا الاستقصاء، فهي كلها شواهد صدق على أقواله، وأدلة ناطقة على منكري رسالته، وحجة دامغة للمشككين في نبوته، وإلا فمحمد ﷺ ونبوته صدق لا يحتاج إلى دليل، وحاله وحال ومنكر رسالته، كمنكر الشمس في رابعة نهاره.

المبحث الثالث: صور من إخباره ﷺ بأمر غيبية

شغلت قضية الإعجاز الغيبي في السنة النبوية مساحة كبيرة من اهتمام العلماء؛ وقد أخبر النبي ﷺ عن زهاء ألف أمر غيبي، بعضها في القرآن الكريم، وبعضها في السنة النبوية، وكل منها دليل على نبوته ورسالته، وهي كثيرة والأخبار بظهور المعجزات ناطقة، وقد عقد كثير من العلماء باباً في هذا كفضل أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) الذي عقد باباً مفصلاً في القول في إثبات نبوة محمد المصطفى ﷺ، مما جاء فيه «أما إخبار النبي ﷺ عن الكوائن أيام حياته،

(١) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. تحقيق علي بن حسن بن ناصر، وآخرين. الرياض: دار العاصمة - الرياض. ط ٢. ١٩٩٩. ج ٥ ص ٢٢٣.

(٢) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن. مفاتيح الغيب. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط ٢. ٢٠٠٠. ج ٤ ص ٢٩٢.

(٣) المرجع السابق. ج ٤ ص ٢٩٣.

وبعد وفاته، وظهور صدقه في جميع ذلك فهي كثيرة»^(١)، وثمة باب مطول في الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل القاضي عياض (المتوفى: ٥٤٤هـ) سرد في الفصل الرابع والعشرين ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون^(٢).

يعد الإعجاز الغيبي لرسول الله ﷺ من الأدلة الناطقة على صدقه ﷺ؛ لأن إخباره بالأحداث التي ستقع أو وقعت بالفعل ولم يشاهدها رسول الله ﷺ فيها دلالة على أن الله - عز وجل - هو الذي أوحى بها إليه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران: ٤٤)، ومن نماذج هذه الأخبار الآتي:

إن الأحاديث الواردة في الأمور الغيبية كثيرة، منها ما كان يتحدث عن أمور غيبية وقعت قبل عهد النبي ﷺ، كإخباره بقصة أيوب عليه السلام حيث روى الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في باب قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «بينما أيوب يغتسل عريانا، خر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فتأداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى، قال بلى يا رب، ولكن لا أغنى لي عن بركتك»^(٣).

ومن هذا الضرب قصة حبس الشمس لنبي الله يوشع بن نون، وجاء خبره في صحيح الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في باب قول النبي ﷺ: «أَحَلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ»^(٤).

ثمة أخبار وقعت في زمنه ﷺ وأخبر بها قبل وصولها، كإخباره بقتل أصحابه القراء السبعين ببئر معونة^(٥)، وخبر باستشهاد جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة قبل أن يجئ خبرهم في مؤتة، وبالفتح على يد خالد بن الوليد.

وأخبر عن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يحذرهم غزو الرسول^(٦)، وأخبر عن أشياء وجد تصديقه في جميعها كوفاة النجاشي حيث نعى ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربعاً^(٧).

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث. تحقيق أحمد عصام الكاتب، بيروت: دار الأفاق الجديدة. ط ١. ١٩٨١. ص ٢٨٩.

(٢) القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. عمّان: دار الفيحاء. ط ٢. ١٩٨٧. ج ١ ص ٦٥٠.

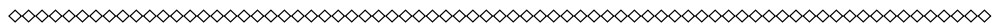
(٣) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٤ ص ١٥١.

(٤) المرجع السابق. ج ٤ ص ٨٦.

(٥) المرجع السابق. ج ٥ ص ١٠٦.

(٦) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. دلائل النبوة. وفق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطى قلجعي. بيروت: دار الكتب العلمية. ودار الريان للتراث. ط ١. ١٩٨٨. ج ٥ ص ١٤.

(٧) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٢ ص ٧٢.



يقول المباركفوري (ت ١٢٥٢هـ): «وفيه علم من أعلام النبوة لأنه ﷺ أعلمهم بموته في اليوم الذي مات فيه، مع بعد ما بين أرض الحبشة والمدينة^(١)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا يمكن الاستقصاء هنا وحسبنا منها بعض الشواهد، من هذه الأخبار الآتي:

١.٣. جاء في باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه روى أبو موسى رضي الله عنه «أن النبي ﷺ دخل حائطاً، وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن، فقال: ائذن له، وبشره بالجنة، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: ائذن له، وبشره بالجنة، فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له، وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه»^(٢).

٢.٣. جاء في باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه روى أنس بن مالك رضي الله عنه، حدثهم قال: «إن النبي ﷺ صعد أحداً، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: اثبت أحد؛ فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان»^(٣).

٣.٣. إخباره ﷺ أبا هريرة بعودة السارق (الشیطان) ليسرق منه مرة أخرى.

جاء في صحيح الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) في باب «إذا وكل رجلاً، فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكنتي رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني أت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك، وسيعود...»^(٤).

الحديث طويل، وقد ذكره النسائي (ت ٣٠٣هـ) في باب ذكراً ما يكبُّ العفريت ويَطْفِيُّ شعلته^(٥)، وذكره أبو محمد البيهقي (ت ٥١٦هـ) في باب فضل آية الكرسي والآيتين من آخر سورة البقرة^(٦).

(١) المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط. د. ت. ج ٤ ص ١١٥.

(٢) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٥ ص ١٣.

(٣) المرجع السابق. ج ٥ ص ١٥.

(٤) المرجع السابق. ج ٣ ص ١٠١.

(٥) النسائي، أحمد بن شعيب بن علي. السنن الكبرى. حققه وخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي. أشرف عليه شعيب الأرناؤوط. قدم له عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١. ٢٠٠١ م. ج ٩ ص ٢٥١.

(٦) البيهقي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. شرح السنة. تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش. دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٢. ١٩٨٢. ج ٤ ص ٤٦٠.

٤.٣. إخباره ﷺ بمجيء الريح يوم تبوك.

أخرج الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في باب خرص الثمر، عن أبي حميد الساعدي، قال: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك، . . . ، فلما أتينا تبوك قال: «أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقوم من أحد، ومن كان معه بعير فليعقله»^(١) فعملناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيء.

قال أبو زكريا النووي (ت ٦٧٦ هـ) في شرح صحيح مسلم «هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة: من إخباره ﷺ بالمغيب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه ما كان ﷺ من الشفقة على أمته، والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم مما يضرهم في دين، أو دنيا»^(٢).

٥.٣. إخباره ﷺ أسرع زوجاته لحوقن به.

روى الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في باب فضل صدقة الشحيح الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن بعض أزواج النبي ﷺ، قلن للنبي ﷺ: أينا أسرع بك لحوقا؟ قال: «أطولكن يدا»^(٣)، فأخذوا قسبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا، فعملنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به، وكانت تحب الصدقة. وبهذه الصيغة أخرج أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٢ هـ) في باب الصدقة^(٤)، وذكره ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) في صحيحه^(٥)، هذا وقد جاء عند الإمام مسلم (ت ٢٦١ هـ) في فضائل الصحابة باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، عن عائشة أم المؤمنين، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا» قالت: فكن يتناولن أيتهن أطول يدا، قالت: فكانت أطولنا يدا زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق^(٦). في فضل أم المؤمنين زينب بنت جحش ذكره أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) بلفظ «أولكن تتبعني أطولكن يدا»^(٧)، ونقل ابن سعد الزهري (ت ٢٣٠ هـ) في طبقاته قول محمد بن عمر: هذا

(١) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٢ ص ١٢٥.

(٢) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١٩٧٢. ج ١٥ ص ٤٢.

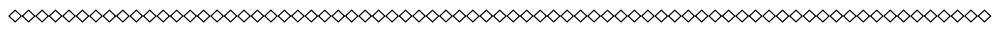
(٣) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٢ ص ١١٠.

(٤) النسائي. السنن الكبرى. ج ٣ ص ٥٤.

(٥) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١٩٨٨. ج ٤ ص ٥٥٧.

(٦) مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د. ط. ت. ج ٤ ص ١٩٠٧.

(٧) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١٩٨٩. ج ٢ ص ٥٤.



الحديث وهل في سودة وإنما هو في زينب بنت جحش وكانت أول نساء رسول الله ﷺ، لحوقاً به، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب، وبقيت سودة بنت زمعة فيما حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن أبيه أن سودة توفيت في شوال سنة أربع وخمسين بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان^(١).

جاء في عند أبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) عن ميمونة زوج النبي ﷺ، ورضي عنها قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن جلوس، فقال: أولكن ترد على الحوض أطولكن يدا، فجعلنا نقدر أذرعنا أيتنا أطول يدا فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك أعني إنما أعني أصنعكن يدا. لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا مسلمة تفرد به فديك بن سليمان^(٢).

٦.٢. إخباره ﷺ أسرع أهله لحوقن به.

روى الإمام مسلم (ت ٢٦١ هـ) في باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام^(٣)، في حديث طويل عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها سألت السيدة فاطمة عن سر بكائها، وفرحها حين زارت النبي في مرض موته، فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك؛ فبكيك لذلك، ثم إنه سارني، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؛ فضحكت لذلك.

قال ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): «وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة (عليها السلام) كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه»^(٤).

٧.٢. حديث عمار، جاء في مسند أبي بكر البزار (ت ٢٩٢ هـ) أن النبي ﷺ، قال لعلي: إن أشقى الأولين عاقر الناقة، وإن أشقى الآخرين لمن يضربك ضربة على هذه، وأوماً إلى رأسه، يخضب هذه، وأوماً إلى لحيته^(٥)، وذكر هذا الحديث الألويسي (ت ١٢٧٠ هـ) في تفسيره^(٦).

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري. الطبقات الكبرى. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر. ط ١٩٦٨. ج ٨ ص ٥٥.

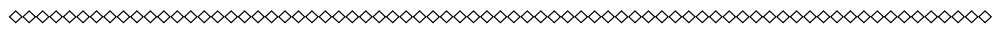
(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين. ط ١٩٩٥. ج ٣ ص ٦.

(٣) مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح. ج ٤ ص ١٩٠٥.

(٤) ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ٨ ص ١٢٦.

(٥) البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. مسند البزار المشهور باسم البحر الزخار. تحقيق محفوظ الرحمن زين الله. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. ط ١٩٨٨. ج ٤ ص ٢٥٤.

(٦) الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ٢٠٠٥. ج ٨ ص ١٦٨.



ذكر أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) عن أبي سنان الدؤلي، أنه عاد علياً رضي الله عنه في شكوة اشتكاها، فقلت له: لقد تخوفنا عليك يا أبا الحسن في شكوك هذا، فقال: ولكني والله ما تخوفت على نفسي منه؛ لأنني سمعت الصادق المصدوق عليه السلام يقول: إنك ستضرب ضربة ههنا، وضربة ههنا، وأشار إلى صدغيه فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود^(١).

٨.٣. من هذا الجنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة جاء ليدخل الكعبة فدفعه عثمان بن أبي طلحة، ومنعه من دخولها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لا تفعل يا عثمان فكأنك بمفتاح الكعبة في يدي أضعه حيث شئت فقال له عثمان: لقد ذلت قريش يومئذ، وقلت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل كثرت، وعزت.

٩.٣. حادثة سراقه بن مالك

عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسراقه بن مالك كيف بك إذا لبست سوارى كسرى، قال: فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتواجه، دعا سراقه بن مالك فألبسه إياهما، وكان سراقه رجلاً أزب كثير شعر الساعدين، وقال له ارفع يديك، فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى ابن هرمز الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقه بن مالك بن جعشم أعرابي رجل من بني مدلج، ورفع بها عمر صوته.

١٠.٣. إخبار النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون إلى قيام الساعة.

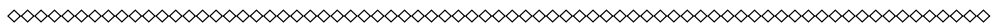
من الأحاديث الجامعة لإخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيبات المستقبلية ما رواه الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨) عن حذيفة رضي الله عنه^(٢)، ورواه الإمام مسلم (ت ٢٦١ هـ) في الفتن وأشراف الساعة باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة، فقد روى عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه، فقال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة، فأعلمنا أحفظنا»^(٣).

قال ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): «دل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدئت إلى أن تقضى، إلى أن تبعث، فشمّل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش

(١) الطبراني. المعجم الكبير. ج ١ ص ٨٥.

(٢) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٨ ص ١٢٢.

(٣) مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح. ج ٤ ص ٢٢١٧.



والمعاد، في تيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمرٌ عظيم، ويقرَّب ذلك - مع كون معجزاته لا مرية في كثرتها - أنه ﷺ أعطي جوامع الكلم»^(١).

قال القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ): «من ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون، والأحاديث في هذا الباب بحر لا يُدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع، الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة رواياتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب»^(٢).

١١.٢. إخباره ﷺ أم حرام الأنصارية بغزوها في البحر، دون مشاركتها دخول مدينة قيصر. من الغيوب الباهرة التي كشفت لنبينا ﷺ فيما رواه الشيخان في باب ركوب البحر^(٣)، وفضل فضل الغزو في البحر^(٤)، وجاء - أيضا - في صحيح الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في باب ما قيل في قتال الروم، من خبر أم حرام بنت ملحان، فقد سمعت النبي ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا»^(٥).

قال ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ): «وفيه ضروب من إخبار النبي ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال، وذلك معدود من علامات نبوته: منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكة ونكاية في العدو، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون مع من يغزو البحر، وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية»^(٦).

نقل أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) أن «قبر أم حرام بنت ملحان بقبرس، وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة»^(٧) فسبحانه الذي أعلم النبي ﷺ بما يكون بعده، وأن أمته ستغزو البحر من بعده، وأن أم حرام بنت ملحان ستعيش حتى تدرك هذا الغزو، وتشارك فيه، وقد صرعت عن دابتها حين خرجت من البحر؛ فهلكت فكان هذا تحقيقا لقول النبي ﷺ أنها من الأولين وتبيننا أن المانع لها أن تكون من الآخرين أن عمرها ينقضي قبل ذلك^(٨).

(١) ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ٢ ص ٤٠٠.

(٢) القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج ١ ص ٢٣٥.

(٣) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٤ ص ٣٦.

(٤) مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح. ج ٢ ص ١٥١٨.

(٥) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٤ ص ٤٢.

(٦) ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١١ ص ٨٠.

(٧) الطبراني. المعجم الكبير. ج ٢٥ ص ١٢٠.

(٨) الباجي. المنتقى شرح الموطأ. ج ٢ ص ٢١٢.

٢١.٣ حديث عدي بن حاتم.

أخرج الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في باب علامات النبوة في الإسلام من طريق سعد الطائي، عن محل بن خليفة، عن عدي بن حاتم مرفوعاً بلفظ: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر، فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي، هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله» قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَار طييء الذين قد سَعَرُوا البلاد؟! «ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج مِلء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه»^(١).

١٣.٣. قدوم أويس القرني من اليمن.

مما أخبر به ﷺ من المغيبات التي أطلعه الله عليها لتكون برهان نبوته قدوم أويس القرني من اليمن، وقد كان كما أخبر ﷺ، حيث أقبل أهل اليمن زمن عمر فقد ذكر ﷺ لأصحابه بعض صفته وأحواله، فقال: «إن رجلاً يأتيكم من اليمن، يقال له: أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهب عنه: إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم»^(٢). إن حديث أويس هذا دليل من أدلة صحة صدق رسول الله ﷺ فإنه أخبر عنه باسمه، ونسبه، وصفته، وعلامته، وأنه يجتمع بعمر - رضي الله عنه - وذلك كله من باب الإخبار بالغيب الواقع على نحو ما أخبر به من غير ريب»^(٣).

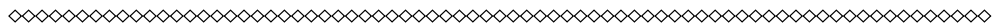
الأحاديث تؤكد - بما لا يدع شكاً - صدق نبوته ﷺ، وفي سورة المسد، قال أبو الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ): «قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ^(٤) فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ^(٥) (المسد: ٣ - ٥) فأخبر عنهما بالشقاء، وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحداً منهما، لا باطنياً ولا ظاهراً، لا مُسراً ولا معلناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة»^(٤).

(١) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٤ ص ١٩٧.

(٢) مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح. ج ٤ ص ١٩٦٨.

(٣) الهري، محمد الأمين بن عبد الله الأزمي. الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. راجعه لجنة من العلماء برئاسة هاشم محمد. جدة: دار المنهاج، دار طوق النجاة. ط ١. ٢٠٠٩. ج ٢٤ ص ٢٤٠.

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي. تفسير القرآن العظيم تحقيق سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط ٢. ١٩٩٩. ج ٨ ص ٥١٧.



إن أخباره ﷺ عن الأمور الغيبية كثيرة، «وفيه إطلاع النبي ﷺ على المغيبات»^(١)، فهذه الغيوب وغيرها مما أخبر به ﷺ أدلة واضحة وبراهين ساطعة على نبوة النبي ﷺ، فهي غيوب أخبره بها عالم السر والنجوى. فكان يحدث بما سيقع مستقبلا، وقد وقعت في حياته، أو في حياة أصحابه، فوقعت مما أطلع الله نبيه ﷺ عليه من الغيوب التي لا يعرفها لولا إخبار الله له؛ فالغيب بيننا وبينه حجاب كثيف، ولا ينخرق هذا الحجاب إلا بوحي من السماء. نعم، قد يستشرف الإنسان المستقبل، ويستقرئه، ويستشفه؛ بمقدمات ودلائل يلتمس منها النفوذ إلى حجاب المستقبل، ولكنه في الغالب لا يكون صوابا، والصواب منه إنما حصل بسبب حصول مقدماته^(٢).

أخبر النبي ﷺ بكثير من الأمور قبل حصولها، أو حتى حصول مقدماتها، مع أن هذا لا يتأتى إلا بوحي، قال أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ): «وهذا من أعلام نبوته الواضحة أن يعلم بالأشياء على وجهها قبل أن تكون، ثم تكون على حسب ذلك لا تخرم عنه، ويتكرر ذلك منه ﷺ تكرارا يوجد في أكثر الأحوال، وكل من يتعاطى تكهنا بتنجيم أو غيره فإن الأغلب عليه الخطأ، وإن أصاب في بعض الأشياء على ما يفعل الظان والمخمن والحازر»^(٣).

إن ما سقناه من أخباره ﷺ بالغيبات ما هو إلا غيض من فيض من دلائل نبوته ﷺ، وشيء مما أطلعه الله نبيه ﷺ، فجاءت أدلة ناطقة على صدق رسالته، وشواهد حية تؤكد أنوار نبوته، وقد أثبت العلم الحديث ما ذكره النبي ﷺ في أحاديثه كقوله: «كُلُّ أَمْرِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ، خُلِقَ فِيهِ يُرْكَبُ»^(٤)، وذكره البخاري (ت ٢٥٦ هـ) في باب ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الْأُصُورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (النبأ: ١٨) جاء في حديث أبي هريرة: «... ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»^(٥).

إن هذه الأقوال أنوار صدق على رسالته، وشواهد حق على نبوته، وحسبنا هنا نقل ما ختم به السقار كتابه (دلائل النبوة)، يقول: «أوليس الصادق الأمين نبوي، وهو الذي ساق من الغيوب ما قارب الألف، مما أطلعه عليه ربه؟ أفيكذب في دعواه النبوة، ثم يطلعه الله على الغيوب التي يقيم بها حجته وبرهانه؟!»^(٦).

(١) المرجع السابق، ج ٤ ص ٥٧١.

(٢) المطيري، عبد المحسن بن زين بن متعب. دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها. بيروت: دار البشائر الإسلامية. ط ٢٠٠٦. ص ١١٢.

(٣) الباجي، سليمان بن خلف. المنتقى شرح الموطأ. القاهرة: مطبعة السعادة. ط ١٩١٤. ج ٣ ص ٢١٣.

(٤) مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح. ج ٤ ص ٢٢٧١.

(٥) البخاري. الجامع الصحيح المختصر. ج ٦ ص ١٦٥.

(٦) السقار، منقذ بن محمود. دلائل النبوة. مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي. د. ط. د. ت. ص ١٤٨.

الخاتمة

من المسلم به في عقيدة المؤمن أن الأصل في الأمور الغيبية اختصاص الله بعلمها، له الغيب المطلق، إلا أن الله تعالى قد يُطلع على الغيب الجزئي من ارتضى من رُسل؛ لذا لم يكن علم النبي ﷺ بالغيب علماً كلياً، فقد كان علماً جزئياً في حدود ما أطلع الله عليه، فجاء إعجازه ﷺ الغيبي في إخبار عن أمور وقعت في الماضي، أو تقع في الحاضر، أو ستقع في المستقبل في أمور دنيوية أو أخروية مصدرها الوحي الإلهي، فقد أخبر ﷺ عن أمور غيبية مستقبلية قبل وقوعها، ثم تحققت ووقعت كما أخبر بها.

إن الإيمان بالغيب عبادة علمية فيها مشقة، ودرجة راقية لا يصل إليها المرء إلا بتوفيق الله، وثبات قلبه على الحق، والصراط المستقيم، ويعد الإعجاز الغيبي معجزة للنبي ﷺ، وآية من آيات الله خص الله بها رسوله، فالإعجاز الغيبي في أخبار رسول الله ﷺ من الأدلة المؤكدة عصمته، وصدق نبوته؛ ومن الشواهد الناطقة على الرد على منكري دعوته ﷺ، والأدلة القاطعة الملموسة على الذين لا يؤمنون بها، أو المشككين في نبوته. فهو الصادق الأمين الذي استعرض أحداثاً وقعت، وأخبر بأمور ستقع، فوفقت، ولم يشاهدها رسول الله ﷺ وهذا ما يثبت أن الرسول ﷺ يوحى إليه؛ لأن إخباره بالأحداث التي ستقع، ويشاهدونها الصحابة عياناً، أو وقعت بعد موته ﷺ، أو ستقع كما قال وأخبر، فيها دلالة على أن الله هو الذي أوحى بها إليه، ما فهو لا ينطق عن الهوى.

رصد هذا العمل بعض النماذج مما أخبر به النبي ﷺ لأمور غيبية، أثبت الواقع الكثير مما أخبر به النبي، ووقع بعد موته، وسيقع الآخر، فقد ثبت في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ قد أعلمه الله بعواقب بعض أصحابه فبشرهم بالجنة، وقد جاء الدراسات العلمية توافق ما أخبر به النبي ﷺ ما يعلمها إلا بالوحي. فقد اكتشف العلم أن هذه العظمة - عجب الذنب - لا تبلى، ولا تأكلها الأرض كما أخبر رسول الله ﷺ وأن هذه العظمة هي التي تبقى من الميت بعد موته، وذهاب جسده.

هذا ونأمل أن تكون هناك دراسات مترجمة في الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، والسنة النبوية تصل إلى العالم الغربي؛ لبيان إعجاز السنة النبوية، صدق النبي محمد ﷺ، وتأيدته بالوحي، فما هو ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

المراجع

- آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد. إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل.

المنصورة: دار المودة. ط ١. ٢٠١١.

- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. تحقيق علي بن حسن بن ناصر، وآخرين. الرياض: دار العاصمة - الرياض. ط ٢. ١٩٩٩.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١. ١٩٨٨.
- ابن حجر، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة. د. ط. ١٩٧٠.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري. الطبقات الكبرى. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر. ط ١. ١٩٦٨.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الجيل. ط ١. ١٩٩٩.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي. تفسير القرآن العظيم تحقيق سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط ٢. ١٩٩٩.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. تحقيق ياسر أبو شادي، ومجدي السيد. د. ط. القاهرة: المكتبة التوفيقية. د. ت.
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٨٩.
- أحمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل. تحقيق السيد أبو المعاطي النوري. بيروت: عالم الكتب. ط ١. ١٩٩٨.
- الأذرعى، محمد بن علاء الدين علي بن محمد. شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١٠. ١٩٩٧.
- الأزهرى، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. تحقيق محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١. ٢٠٠١.
- الألوسى، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ٢. ٢٠٠٥.
- الباجي، سليمان بن خلف. المنتقى شرح الموطأ. القاهرة: مطبعة السعادة. ط ١. ١٩١٤.
- الباقلانى، محمد بن الطيب. إعجاز القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر. مصر: دار

المعارف. ط ٥. ١٩٩٧.

- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح المختصر. تحقيق مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير. ط ٢. ١٩٨٧.

- البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار. تحقيق محفوظ الرحمن زين الله. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. ط ١. ١٩٨٨.

- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. شرح السنة. تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش. دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي. ط ٢. ١٩٨٣.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث. تحقيق أحمد عصام الكاتب. بيروت: دار الآفاق الجديدة. ط ١. ١٩٨١.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. دلائل النبوة. وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطى قلجى. بيروت: دار الكتب العلمية. ودار الريان للتراث. ط ١. ١٩٨٨.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. شعب الإيمان. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٠.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. كتاب التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٨٣.

- الخطابي. أحمد بن محمد. معالم السنن. حلب: المطبعة العلمية. ط ١. ١٩٣٢.

- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن. مفاتيح الغيب. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط ٢. ٢٠٠٠.

- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة. د. ط. د. ت.

- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وآخرين. الكويت: مطبعة حكومة الكويت. ط ١. ١٩٨٦ م.

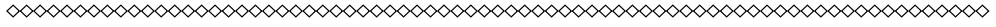
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. معاني القرآن وإعرابه. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. بيروت: عالم الكتب. ط ١. ١٩٨٨.

- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد. أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود. بيروت. دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٩٨.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام



- المنان. تحقيق ابن عثيمين. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١. ٢٠٠٠.
- السفاريني، محمد بن أحمد الحنبلي. لوايح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبها. ط ٢. ١٩٨٢ م.
- السقار، منقذ بن محمود. دلائل النبوة. مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي. د. ط. د.
- ت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الإقتان في علوم القرآن. تحقيق عصام فارس الحرستاني. خرج أحاديثه محمد أبو صعلبيك. بيروت: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط ١. ١٩٩٨.
- الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية. تحقيق سالم بن محمد القرني. الرياض: مكتبة العبيكان. ط ١. ١٩٨٩.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين. ط ١. ١٩٩٥.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. ط ٢. ١٩٨٢.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١. ٢٠٠٠.
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. القول المفيد على كتاب التوحيد. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي. ط ٢. ٢٠٠٤.
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. شرح العقيدة السفارينية. الرياض: دار الوطن للنشر. ط ١. ٢٠٠٦.
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. شرح العقيدة الواسطية. خرج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميل. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. ط ١. ٢٠٠١.
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل. تحقيق أبو عبد الله النعماني الأثري. دار الشريعة. ط ١. ٢٠٠٣.
- العموش، بسام علي سلامة. الإيمان بالغييب. عمان، الأردن: دار المأمون. ط ١. ٢٠٠٩.



- عبد الكريم عثمان. رحلة عبر الغيب. حلب: دار السلام للنشر والتوزيع. ط ٢. ١٩٨٥.
- مالك بن أنس. الموطأ. تحقيق محمد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١. ١٩٨٥.
- مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د. ط. ط. ت.

وقوع الأخبار النبوية الغيبية دليل صدق الرسالة المحمدية

ملخص البحث.

يتعرض المسلمون اليوم لهجمة إحدادية منظمة، قوية في حدتها، متنوعة في أساليبها ووسائلها، تستهدف تشكيك المسلمين في عقيدتهم، وزعزعة يقينهم في ثوابت دينهم، ومن ثم سلخهم عنه، مما يفرض على الغيورين من أبناء الأمة البررة، وذوي التوجيه والتأثير من العلماء والدعاة والمربين الوقوف في وجهها بكل حزم وقوة، حماية للمسلمين من ضررها الدنيوي والأخروي، وذلك بتفكيك خطابها وبيان عوارضها وتهافتها من جهة، وبإظهار الحجج القوية القاطعة على وجود الخالق وصدق الرسالة المحمدية من جهة أخرى. وفي هذا الإطار يأتي هذا البحث، فإن من الحجج القاطعة والبراهين الدامغة - وهي كثيرة ومتنوعة - الغيبيات التي أخبر بها رسولنا محمد ﷺ ووقعت، ذلك أن محمد بن عبد الله بشر مثل باقي البشر، تسري عليه السنن البشرية، ومن ذلك عدم العلم بالغيب، لكنه أخبر بعشرات الأخبار الغيبية، وبعضها أنبأ بتفاصيلها الدقيقة، ووقعت كلها كما أخبر، ولم يحدث أبداً شيء بخلاف ما أخبر، مما يجعل العاقل يتساءل: كيف يمكن أن يصدر ذلك من إنسان؟ - والإنسان لا يعلم الغيب، وحتى من يدعي منهم ذلك كالعرافين والمنجمين فالغالب عليهم الخطأ والكذب، وصوابهم نادر، ووسيلتهم في ذلك الشياطين، ولا يخبرون إلا بالغيب القريب، بخلاف محمد ﷺ فإنه أخبر بالغيب الآني والقريب والبعيد، بل البعيد جداً، وصدق في كل أخباره -، فيكون جواب الصادق المنصف أن ذلك فوق قدرة البشر، وأن التعليل الوحيد وجود قوة عليا توحى إليه بذلك، وليست تلك القوة إلا قوة الخالق العظيم، عالم الغيب والشهادة.

وهذا البحث يفصل في هذه المسألة، بإبراز نماذج متعددة ومتنوعة للغيبيات التي أخبر بها نبينا محمد ﷺ ووقعت، وقسمتها لثلاثة أقسام، مراعيًا زمن وقوع الخير:

الغيبيات التي وقعت في زمانه ﷺ.

الغيبيات التي وقعت زمن أصحابه.

الغيبيات التي وقعت بعد زمن أصحابه.

مع بيان سبل استثمار هذا الموضوع في تحصين المسلمين من فكر الإلحاد والرد على الملحدين.

Research Summary

Nowadays, Muslims are under a strong organized atheist attack, having diverse technics to destabilize their belief, creating suspicions in fundamentals of Islam, consequently, abandon it.

This case invites good Muslims including scholars, teachers, preachers who have influence to stand up and protecting Muslims belief from the hereafter and life's harm of this new attack, through deconstructing its discourse and explaining its flaws and inconsistencies on the one hand, and by showing strong and conclusive arguments of the existence of the Creator and the truthfulness of the Muhammad message on the other hand.

It is in this context that this research comes to clarify the definitive arguments and irrefutable proofs - which are many and varied – like the unseen events that our Messenger Muhammad told us and which occurred, that is because Muhammad bin Abdullah is a human being like the rest of mankind, and human nature is applied to him, and this includes the lack of knowledge of the unseen, in fact he told dozens of unseen news, some of which he foretold with their accurate details, and all of them occurred as he told, and nothing ever happened other than what he told, which makes the sane person wonder: How can this come from a human being? And humans don't not know the unseen, and even those of them who claim this, such as fortune-tellers and astrologers, are most likely to be wrong and lie, rarely when they are right and only on the short term unseen events using devils, unlike Mohammad he told of the immediate, near and far, even the very distant events, and he was truthful in all his news - so the honest and fair answer is that this is beyond human ability, which's proof of the existence of a higher power that reveals this to him, that shows the great power of almighty creator, Knower of the unseen and the seen.

This research determines this issue, by highlighting multiple and varied models of the unseen that our Prophet Muhammad told and that occurred, dividing them into three sections, taking in consideration, the time of the occurrence of the news or events:

The unseen that occurred in the time of Mohammad.

The unseen that occurred at the time of his companions.

The unseen that occurred after the time of his companions.

With an explanation of ways to invest this topic in immunizing Muslims, protecting them from the harm of atheism thought and arguing its proposition.

تقديم:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإننا نعيش زمانا كثرت فيه الشبهات وتنوعت، واستشرت بين المسلمين كما لم يقع من قبل في تاريخ الأمة المسلمة، وذلك بسبب الواقع الذي أحدثته ثورة الاتصالات وتنوع وسائل التواصل وتقنياته، ووقوعها في يد جل الناس على اختلاف أعمارهم وثقافتهم ومستوياتهم المعرفية، مما سهل على مشيبي الشبهات الوصول إلى أكبر عدد من الناس، وخلخلة إيمانهم بثوابتهم الدينية، كلا أو جزءا، حتى رأينا وقوع عدد كبير من شباب المسلمين في براثن الإلحاد، ومن لم يصل إلى حد الإلحاد تجد عنده تشكيكا في عقائد وأخبار وأحكام كانت تعد من القطعيات المعلومة من الدين بالضرورة عند المسلمين سابقا، ولكل ذلك تأثير سلبي بالغ لا يخفى على اعتزاز المسلمين بدينهم، وعلى تمثلهم له في سلوكهم العملي.

هذا الواقع يفرض تحديا خاصا على الغيورين من أبناء هذه الأمة المسلمة المجيدة، علماء ومفكرين ودعاة وخطباء وغيرهم من ذوي التوجيه، أن يتصدوا بقوة لهذه الهجمة الشرسة المنظمة، عبر تقديم علم وفكر قوي الحججة، رصين الأسلوب، جميل العرض، سلس المأخذ، يجذب انتباه المتلقي ويؤثر فيه، بما يمكن من دمج الباطل، وتثبيت الإيمان في قلوب المسلمين.

ومن الحجج القوية الفعالة - بإذن الله - في مواجهة موجة الإلحاد والتشكيك، تلكم الأخبار الغيبية الكثيرة المتنوعة التي أخبر بها رسولنا العظيم محمد ﷺ ووقعت كما أخبر، فإن ذلك لا يصدر من إنسان عادي أبدا. لذلك حرص العلماء منذ القديم على إبراز هذا الموضوع باعتباره دليلا من دلائل نبوة محمد ﷺ، فذكر طرفا منها أبو نعيم الأصبهاني (٥٤٣٠هـ) في كتابه دلائل



النبوة^(١). وتوسع البيهقي (٤٥٨هـ) في الموضوع في كتابه دلائل النبوة أيضا^(٢). وذكر أشياء متفرقة منها إسماعيل الأصبهاني (٥٢٥هـ) في «دلائل النبوة» له أيضا^(٣). وأطال السيوطي (٩١١هـ) النفس في الموضوع في كتابه «الخصائص الكبرى»^(٤)، عدا الإشارات التي كان يشير إليها شراح الأحاديث النبوية في كتبهم كلما تعرضوا لحديث من أحاديث الغيبيات.

وقد حرصت في بحثي هذا على استقصاء كل الأخبار النبوية الغيبية بحسب الوسع^(٥)، فقامت بجرد كل الوقائع الغيبية التي رويت عن الرسول ﷺ في كتب الحديث والسير، ثم أضربت عن تلك التي لم يصح سندها، بل حتى تلك التي اختلف المحدثون في ثبوتها، أو في أحد رواياتها مطعن يرد روايته، لأقتصر على الصحيح فقط. ثم تركت من ذلك الصحيح ما كانت دلالاته غير صريحة، قطعاً لدابر وتأويلات المتأولين المعاندين، وأغفلت تلك المتعلقة بأشراط الساعة الصغرى التي لما تظهر بعد، وكذا الأشراط الكبرى، ليخلص لي فقط الأخبار الصحيحة الصريحة التي وقعت بالفعل، فكانت بالعشرات، وهي لوحدها تفيد التواتر المعنوي بدلالة الغيبيات على صدق رسالة سيدنا محمد ﷺ، فكيف لو أضيف إليها الأحاديث الضعيفة والمختلف فيها والصحيحة غير الصريحة وأخبار السيرة، وكلها متنوعة الطرق، مختلفة المخارج، بحيث لا يمتري منصف عاقل في إفادة مجموعها القطع بأن محمداً رسول من عند الله. لذلك قال القاضي عياض - وهو يذكر ما أظهره الله على يدي نبيه من المعجزات -: «فصل (ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون) والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواياتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب»^(٦).

وقد جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عدم علم رسول الله محمد ﷺ بالغيب.

المبحث الثاني: ذكر الغيبيات التي أخبر بها الرسول ﷺ ووقعت.

(١) (ص ٥٢٧-٥٥٦)، عقد فصلاً بعنوان «ما أخبر به النبي ﷺ من الغيوب فتتحقق ذلك على ما أخبر به في حياته وبعد موته».

(٢) عقد باباً سماه: «جماع أبواب إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده، وتصديق الله جل ثناؤه رسوله ﷺ في جميع ما وعده» (ج ٦ ص ٢١٢-٥٥٢).

(٣) ينظر مثلاً (ص ٧٦٥) و (ص ٨٢١).

(٤) عقد فصلين، أحدهما بعنوان «ذكر المعجزات فيما أخبر به من الغيبات فكان كما أخبر سوى ما تقدم في الأبواب السابقة» (٢٧٢/٢)، والثاني «ذكر المعجزات فيما أخبر به من الكوائن بعده فوقع كما أخبر» (٣٩٨/٢)، لكنه جمع ما صح وما لم يصح.

(٥) ولا أزمع الاستقراء التام!

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٣٥/١)

المطلب الأول: الغيبيات التي وقعت في زمانه.

المطلب الثاني: الغيبيات التي وقعت زمن أصحابه.

المطلب الثالث: الغيبيات التي وقعت بعد زمن الصحابة.

المبحث الثالث: سبل استثمار هذا الموضوع في تثبيت المسلمين والرد على الملحدين

والمشككين.

ومن الله نستمد العون والتوفيق، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الأول: عدم علم رسول الله محمد ﷺ الغيب

شأن البشر كل البشر أنهم لا يعلمون الغيب، وهذا أمر مشاهد معلوم بدهاءة، وحتى بالنسبة للكهان والمنجمين فإنهم لا يزعمون معرفتهم بالغيب كله، وإنما يخبرون ببعض الغيبيات فقط، والقريبة منها دون البعيدة الموغلة في الزمن المستقبل، وتلك القريبة يخطئون في أكثرها ويصيبون في النزر القليل منها، وتلك التي يصيبون فيها إنما يكون مصدرهم فيها إخبار رئيهم من الجن، ولذلك إذا تلى القرآن عند الكاهن اضطرب أمره وبطل عمله لهروب رئيه من تلاوة الذكر، وقد أخبرنا الرسول الكريم ﷺ بطريقة اشتغال الكهان فقال - كما روت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها-: «الملائكة تتحدث في العنان - والعنان الغمام- بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة»^(١). وفي حديث آخر تفصيل أكثر، يقول ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال: ﴿الحق وهو العلي الكبير﴾ فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها، وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، وربما أدرك الشهاب قبل أن يلقها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء»^(٢).

فهذا حال البشر مع الغيب.

والرسول محمد ﷺ بشر من البشر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ سورة

فصلت، الآية ٦. فيسري عليه ما يسري على البشر، ومن ذلك عدم علمه الغيب، وقد دلت على

(١) صحيح البخاري (١٢٥/٤)

(٢) صحيح البخاري (١٢٢/٦)

ذلك الوقائع الكثيرة المشهورة، ومنها حادثة الإفك^(١)، حين اتهم أخطر اتهام يمكن أن يتعرض له الإنسان بصفة عامة، والإنسان العربي في ذلك الزمن بصفة خاصة، والرسول بصفة أخص، وهو الاتهام في العرض، وفي أحب عرض وهو عرض عائشة رضي الله عنها، ويمكث ﷺ شهراً لا يدري حقيقة الأمر، هل زوجه مذنب أم لا، والمجتمع المدني يغلي، وصارت القضية قضية رأي عام، والمنافقون يشمتون، والمؤمنون يتألمون، وبعد شهر يصل الرسول الكريم إلى خلاصة غير جازمة، ليقول لزوجته: «إن كنت بريئة فسبيرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله»^(٢). ولو كان يعلم الغيب لحسم الأمر من بدايته، لكن لم تحسمه إلا آيات نازلة من عالم الغيب والشهادة^(٣)، هي الآيات (١١-٢٦) من سورة النور.

بل صرح عليه الصلاة والسلام بهذه الحقيقة بأوضح عبارة وأبلغها حين قال للمتخاصمين إليه: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»^(٤). قال الحافظ ابن عبد البر تعليقا على هذا الحديث: «وفي هذا الحديث من الفقه أن البشر لا يعلمون ما غيب عنهم وستر من الضمائر وغيرها، لأنه قال ﷺ في هذا الحديث: «إنما أنا بشر»، أي إني من البشر ولا أدري باطن ما تتحاكمون فيه عندي وتختصمون فيه إلي، وإنما أقضي بينكم على ظاهر ما تقولون وتدلون به من الحجاج»^(٥). ولذلك يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾. الأنعام الآية ٥٠. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «يقول الله تعالى لرسوله ﷺ «قل لا أقول لكم عندي خزائن الله» أي لست أملكها ولا أتصرف فيها، «ولا أعلم الغيب»، أي ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، إنما ذلك من علم الله عز وجل، ولا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه، «ولا أقول لكم إني ملك» أي ولا أدعي أنني ملك، إنما أنا بشر من البشر، يوحي إلي من الله عز وجل، شرفني بذلك وأنعم علي به»^(٦).

فإذا تقرر هذا، وثبت أن محمداً ﷺ بشر لا يعلم الغيب، فإننا حين ندرس سيرته وأحاديثه، نجد أنه أخبر بعدد كبير من الوقائع الغيبية، ولم يثبت في واحد منها ما يناقضها ويكذبها، بعض

(١) ينظر تفصيلها في صحيح البخاري (١١٦/٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ومن الحوادث المشهورة الدالة أيضاً على عدم علم الرسول ﷺ الغيب قصة بني أبيرق، ينظر سنن الترمذي (٢٤٤/٥). وما وقع له مع عائشة رضي الله عنها وقوله لها: «لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير». صحيح مسلم (٦٦٩/٢)

(٤) صحيح البخاري (٦٩/٩)، وصحيح مسلم (١٣٢٧/٣)

(٥) التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد (٢١٦/٢٢)

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢٣١/٣)

تلك الوقائع الغيبية حدثت في زمانه، وبعضها في حياة أصحابه لتعلقها بهم، وهذه وقعت كلها بلا استثناء، وبعضها متعلق بما بعد جيل الصحابة، وقد شهد الزمان بتحقق جلها، والأخرى في انتظار التحقق.

وتحقق الغيبيات التي أخبر بها - وهو بشر لا يعلم الغيب - دليل قاطع وبرهان ساطع على وجود إله لهذا الكون، يعلم الغيب كما أخبر عن نفسه في كتابه بقوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿٣٧﴾. سورة الجن: الآيتان ٢٦-٢٧. وهذا الإله هو الذي أوحى لمحمد ﷺ بتلك الغيوب، وإلا فأنى لبشر أن يخبر بتلك الوقائع الكثيرة، فتقع على ما ذكر؟ ما تفسير الملحد لهذا الأمر؟!

هل هو ذكاء محمد؟

فنحن نرى أذكاء العالم وعباقرته لا يخبرون بالغيبيات! إلا أن يقال إن له عبقرية خاصة ليست لإنسان سواه، وحينها يكون تفرده دليلا على وجود إله خصه بذلك التميز الخارق! أم ترى كان الأمر مصادفة؟!

فنقول: قد يقبل هذا التفسير لو تعلق الأمر بواقعة واحدة أو بواقعتين، بل حتى - تنزلا - بعشرة أو عشرين! أما والوقائع بالعشرات فيستحيل أن يكون الأمر صدفة إلا عند من يكابر ويعاند المنطق السليم والواقع المشاهد.

أم إن أصحابه اختلقوا وقائع ونسبوها إلى رسولهم الذي يهيمون بحبه؟! فنقول: هذا أوغل في الوهم، بل في الجنون! فإنه لو جاز هذا في الوقائع التي كانت في زمانهم، - ولا يجوز ذلك كما سنرى في أثناء البحث بإذن الله -، فكيف يجوز في الوقائع المتعلقة بما بعد عصرهم وزمانهم؟! فيبقى التفسير المنطقي الوحيد لذلك هو الوحي والنبوة، إنه رسول إله يعلم الغيب، يوحى إليه بشيء من الغيبيات المستقبلية، لتكون حجة أخرى من حججه التي يظهرها لخلقه، لتدلهم عليه سبحانه.

ولنشرع في ذكر بعض الغيبيات النبوية التي تحققت (١).

المبحث الثاني: ذكر الغيبيات التي أخبر بها الرسول ﷺ ووقعت.

وقسمتها إلى ثلاثة أقسام، أخصص لكل قسم مطلباً.

(١) قلت بعضها، لأن العدد المحدد لصفحات البحث في هذا المؤتمر المبارك لا يسعف في ذكر كل ما وقفت عليه وفق المنهج الذي أشرت إليه في التقديم. وما أذكره بعضه أعلق عليه وأذكر دليله، وبعضه أشير إليه فقط وأحيل على المصدر للرجوع إلى تفاصيله.

المطلب الأول: الغيبات التي وقعت في زمانه.

إخباره ﷺ بمصارع طغاة المشركين في بدر قبل بداية المعركة:

أول معركة قتالية كبرى يخوضها المسلمون ضد المشركين الذين طالما آذوهم وعذبوهم بمكة كانت غزوة بدر، وليلة المعركة، يخبر ﷺ أصحابه بأسماء بعض المشركين الذين سيقتلون، ولو توقف عند هذا الحد لعد الأمر من باب التفاؤل، لكنه يحدد بدقة عجيبة مذهلة مكان سقوط ذلك القتيل! فيقتل من ورد ذكرهم على لسان النبي الأكرم ﷺ، ولا يجاوز ذلك القتل المكان الذي حدده الرسول ﷺ! ولا يكون ذلك إلا بوحى من الله تعالى.

عن أنس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ، كان يرينا مصارع أهل بدر، بالأمس يقول: «هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله». قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ (١).

وفي رواية لأبي داود: قال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان غدا ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان غدا ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان غدا ووضع يده على الأرض» فقال والذي نفسي بيده ما جاوز أحد منهم عن موضع يد رسول الله ﷺ (٢).

إخباره ﷺ يوم الأحزاب بأن قريشا لن تغزوه بعدها:

في السنة الخامسة من الهجرة قرر كل أعداء الدولة الإسلامية الوليدة التحالف وتوحيد الجيوش والقوة من أجل الانتفاض على المدينة وإنهاء وجود المسلمين بضربة واحدة قاصمة، فيفشل هجومهم ويخيب سعيهم، فيخبر الرسول الموحى إليه أن هذا آخر هجوم تتعرض له المدينة من هؤلاء، لكن ذلك لا يعني نهاية الحروب معهم، بل ستكون المبادرة والقوة للمسلمين. عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم» (٣). وذلك ما كان فعلا!

إخباره ﷺ بفتح خيبر على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وفي السنة السابعة للهجرة، يسير رسول الله ﷺ إلى خيبر لملاقاة اليهود الذين شاركوا في غزوة الأحزاب، وتحقيقا للنبوذة السابقة حين قال: «نحن نسير إليهم»، فيقع تعثر في بداية

(١) صحيح مسلم (٤/٢٢٠٢)

(٢) سنن أبي داود (٤/٣١٦)

(٣) صحيح البخاري (٥/١١٠)

المعركة التي دامت أياما، ثم يخبر أصحابه أنه سيعطي الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسيحقق الفتح، وكذلك كان. عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله. قال: فأرسلوا إليه فأتوني به. فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١). وفي حديث سلمة بن الأكوع عند البخاري أيضا: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان رمدا، فقال: أنا أتخلف عن النبي ﷺ، فلحق به، فلما بتنا الليلة التي فتحت قال: «لأعطين الراية غدا أو لياخذن الراية غدا رجل يحب الله ورسوله، يفتح عليه» فنحن نرجوها، فقيل: هذا علي فأعطاه، ففتح عليه.^(٢)

إخباره ﷺ بموت بعض الناس رغم بعد المسافة بينه وبينهم:

ونحن نستحضر أنه في ذلك الزمن لم تكن ثمة وسائل اتصال سريعة تنقل الحدث لحظة وقوعه، فمن أين يأتيه الخبر في حينه، ﷺ؟
ومن ذلك إخباره باستشهاد القادة الثلاثة في معركة مؤتة:

في بداية السنة الثامنة، يرسل ﷺ جيشا إلى منطقة مؤتة لملاقاة الروم، ويؤمر على الجيش ثلاثة من القادة الكرام بالترتيب، بحيث إذا أصيب أحدهم خلفه من يليه، والقادة هم: زيد بن ثابت، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة، ويجد المسلمون - وعددهم ثلاثة آلاف - في مواجهة جيش عرمرم يبلغ مائتي ألف، وتدور معركة من أندر معارك التاريخ، وهنا يقع شيء عجيب لا يمكن للملحد تفسيره بحال! يقتل القادة الثلاثة الواحد تلو الآخر، والرسول ﷺ - البعيد عن أرض المعركة بمئات الكيلومترات - ينقل الأحداث إلى من معه في المدينة المنورة أولا بأول، فيخبر باستشهاد كل قائد في حينه، ويزدرف الدموع، ثم يختار المسلمون قائدا جديدا لم يعينه الرسول ﷺ وهو خالد بن الوليد، فيخبر به ﷺ أيضا! وحين يرجع الجيش ويسألهم أهل المدينة، فإذا الأمر كما أخبر محمد ﷺ! ترى، كيف عرف هذا الرجل محمد القابع في المدينة ما يجري

(١) صحيح البخاري (١٨/٥)

(٢) صحيح البخاري (١٣٤/٥)



على بعد مآت الكيلومترات منه في اللحظة بالذات، وفي غياب وسائل الاتصالات الحديثة؟ كيف استطاع أن ينقل أهم الأحداث في بث حي وكأن فعله فعل مراسل من مراسلي وكالات الأخبار اليوم؟ تالله إنها الرسالة! إنها النبوة! إنه الوحي الإلهي النازل عليه ﷺ!

عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تدرقان: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»^(١).

ومثل ذلك أيضا إخباره ﷺ بموت النجاشي^(٢). وإخباره ﷺ بموت أحد المنافقين بالمدينة.^(٣)

وإخباره ﷺ بأن كسرى قُتل حين قال لرسوليه، «أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة»^(٤).

إخباره ﷺ بكتاب حاطب بن أبي بلتعة السري إلى المشركين في فتح مكة:

وفي السنة الثامنة أيضا، ينقض المشركون عهدهم المبرم مع المسلمين في صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، فيقرر الرسول ﷺ التوجه إلى مكة لمعاقتهم، وقرر إحاطة الأمر بسرية بالغة ليفجأ قريشا في دارها. لكن أحد أصحابه -وهو حاطب بن أبي بلتعة، ويتأويل خاص خاطئ- قرر إرسال رسالة سرية -لا يعلم بها إلا هو وحاملة الرسالة- إلى قريش بمكة، وتنتقل الرسالة في طريقها، ثم يأتيه الوحي فيخبره بأمر الرسالة، فيرسل رجلين من أصحابه لاعتراض الرسالة، ويحدد لهم المكان الذي سيجدان فيه حاملة الرسالة!

عن علي رضى الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ والزيبر بن العوام وأبا مرثد الغنوي، وكلنا فارس، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين، معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين. قال: فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ. قال: قلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب، فأخذنا بها، فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا! قال صاحبائي: ما نرى كتابا، قال: قلت: لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ، والذي يحلف به، لتخرجن الكتاب أو لأجردنك، قال: فلما رأته الجدمني أهوت بيدها إلى حجزتها، وهي

(١) صحيح البخاري (١٤٣/٥)

(٢) صحيح البخاري (٧٢/٢)

(٣) صحيح مسلم (١٢٤٥/٤)

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٢١/١)، ومسنند أحمد (٨٥/٣٤)، وقال الأرنبوط في تحقيقه للمسنند: حديث صحيح. وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: ١٤٢٩



محتجزة بكساء، فأخرجت الكتاب. قال: فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ، فقال: ما حملك يا حاطب على ما صنعت؟ قال: ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله، وما غيرت ولا بدلت، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله. قال: صدق، فلا تقولوا له إلا خيراً. قال: فقال عمر بن الخطاب: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فأضرب عنقه، قال: فقال: يا عمر، وما يدريك، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة. قال: فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم^(١).

قال ابن حجر: «من أعلام النبوة إطلاع الله نبيه على قصة حاطب مع المرأة»^(٢).

إخباره ﷺ بهبوب ريح شديدة في غزوة تبوك:

وفي السنة التاسعة للهجرة، خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك، وفي الطريق أخبر أصحابه بهبوب ريح شديدة تفرض شد وثاق البعير القوي! أخبر بذلك ولم تكن له أقمار صناعية ترصد له الأحوال الجوية! فمن غير الله أنبأه!

قال أبو حميد الساعدي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: «أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقوم أحد، ومن كان معه بعير فليقله فقلناها»، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيء^(٣).

قال النووي: «هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة، من إخباره عليه الصلاة والسلام بالمغيّب»^(٤).

إخباره ﷺ ببعض الأشياء الخفية جداً: والتي لا يطلع عليها إلا صاحبها. ومن ذلك:

إخباره ﷺ باللحم الذي أخذ بغير إذن أهله: وهذا أعجب وأغرب، أن يأكل لحماً، ثم يخبر بأنه أخذ بغير إذن أهله، وإذا الأمر كذلك! عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر: «أوسع من قبل رجليه، أوسع من قبل رأسه»، فلما رجع استقبله داعي امرأة فجاء وجيء بالطعام فوضع يده، ثم وضع القوم، فأكلوا، فنظر أباًؤنا رسول الله ﷺ يلوك لقمة في فمه، ثم قال: «أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها»،

(١) صحيح البخاري (٥٧/٨) وصحيح مسلم (١٩٤١/٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٣٢٤/١٢).

(٣) صحيح البخاري (١٢٥/٢)، وصحيح مسلم (١٧٨٥/٤).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٤٢/١٥).

فأرسلت المرأة، قالت: يا رسول الله، إنني أرسلت إلى البقيع يشتري لي شاة، فلم أجد فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة، أن أرسل إلي بها بئمنها، فلم يوجد، فأرسلت إلى امرأته فأرسلت إلي بها، فقال رسول الله ﷺ: «أطعميه الأسارى»^(١).

ومن هذا الباب إخباره ﷺ بصفة ومكان السحر الذي تعرض له.^(٢) وإخباره ﷺ بخبر الشاة المسمومة التي أهديت له بخير بعد ما أكل منها شيئاً^(٣). وإخباره سائلاً بما في نفسه قبل أن يسأل^(٤). وإخباره الصحابييين اللذين وقعا في غيبة رفيقتهما وقوله: «والذي نفسي بيده إنني لأرى لحمه بين أنيابكم». يعني لحم الذي استغاباه^(٥).

إخباره ﷺ بمصير بعض الناس وأنهم من أهل النار، رغم الظاهر الدال على خلاف ذلك: وهذا ضرب آخر من الغيوب، متعلق بخاتمة الإنسان!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خبير، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار». فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال، وكثرت به الجراح فأثبتته، فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرايت الرجل الذي تحدثت أنه من أهل النار؟ قد قاتل في سبيل الله من أشد القتال، فكثرت به الجراح، فقال النبي ﷺ: «أما إنه من أهل النار». فكاد بعض المسلمين يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيده إلى كنانته، فانتزع منها سهماً، فانتحر بها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، صدق الله حديثك؛ قد انتحر فلان، فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال، قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(٦).

وفي رواية: «فقال: الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله، ثم أمر بلالا فنادى بالناس: إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

إخباره ﷺ بمكان ناقته لما ضلت:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج

(١) سنن أبي داود (٢٢١/٥)، وقال الأرئوط: إسناده قوي.

(٢) صحيح البخاري (١٣٧/٧)، وصحيح مسلم (١٧١٩/٤).

(٣) البخاري (١٦٣/٣)، ومسلم (١٧٢١/٤) و سنن أبي داود (٥٦٧/٦).

(٤) صحيح الترمذي والترهيب (٩/٢).

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢١١/٦).

(٦) صحيح البخاري (١٢٤/٨) وصحيح مسلم (١٠٥/١). وانظر قصة أخرى مشابهة لرجل آخر في صحيح البخاري (٣٧/٤).

أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم، وكان عَقِيْبًا بَدْرِيَا، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي وكان منافقا.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل قالوا: فقال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة وعمارَة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتَه؟! فقال رسول الله ﷺ: وعمارَة عنده: «إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقتَه، وإني والله! ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلتني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها». فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عمارَة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ أنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت! فقال رجل ممن كان في رحل عمارَة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي! فأقبل عمارَة على زيد يجأ في عنقه، ويقول: إلي عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعر، أخرج أي عدو الله من رحلي، فلا تصحبني^(١).

فمن أعلمه بمكانها، بل وبما وقع لها؟! إنه الله جل جلاله.

المطلب الثاني: الغيبيات التي وقعت زمن أصحابه

إخباره ﷺ بأمور تتعلق بوفاة بعض الناس، سواء من جهة الكيفية أو غيرها: علما أنه يستحيل التنبأ بنهاية الإنسان وتفاصيل تلك النهاية، خصوصا تلك الآتية بعد مدة زمنية قد تصل إلى سنوات عديدة، إلا أن يكون ذلك عن طريق الوحي الإلهي.

ومن هذا الباب إخباره ﷺ بأن فاطمة ابنته أول أهله لحوقا به:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ، فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: مرحبا بابنتي فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثا فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا، ثم تبيكين؟ وسألتهما عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ. حتى إذا قبض سألتها فقالت: «إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه

(١) سيرة ابن هشام (٥٢٢/٢)، والحديث حسن، فابن إسحاق صدوق، وقد صرح بالتحديث، وعاصم ثقة، ومحمود بن لبيد من صفار الصحابة.

بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم إنه سارني، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة» فضحكت لذلك. (١) وفعلا كانت فاطمة أول أهله لحاقا به، بعد ستة أشهر من وفاته صلوات الله وسلامه عليه.

ومنه أيضا إخباره ﷺ بأول زوجاته لحوقا به، وهي زينب بنت جحش رضي الله عنها. (٢) وإخباره ﷺ باستشهاد عمر وعثمان رضي الله عنهما، وسلامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من القتل (٣)، وذلك ما كان، حيث مات أبو بكر على فراشه، وقتل عمر وعثمان رضي الله عنهما، بل ذكر تفاصيل ما سيقع لعثمان، (٤) فلم يحد الواقع عن ما أخبر به قيد أنملة! وإخباره ﷺ بمقتل عمار بن ياسر وبمن سيقته حين قال: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونهم إلى النار» (٥). وإخباره ﷺ بموت كل من كان على ظهر الأرض في زمانه قبل انصرام القرن، ولم يبق أحد من معاصريه بعد مائة سنة من وفاته ﷺ (٦). وإخباره ﷺ بأن عبد الله بن بسر يعيش ١٠٠ سنة (٧) فبلغها.

ومن هذا الباب إخباره باستشهاد أم حرام بنت ملحان، وبزمن استشهادها في دقة غاية في العجب، ولا بد من ذكر حديثها هنا! عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء، يدخل على أم حرام بنت ملحان (٨) فتطعمه، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل يوما فطعمته، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكا على الأسرة، أو قال: مثل الملوك على الأسرة» - شك إسحاق - قلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا. ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ يضحك، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله، قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكا على الأسرة، أو: مثل الملوك على الأسرة»، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين!» فركبت البحر زمان معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت. (٩)

(١) صحيح مسلم (١٩٠٥/٤)

(٢) صحيح البخاري (١١٠/٢) وصحيح مسلم (١٩٠٧/٤).

(٣) صحيح البخاري (٩/٥)

(٤) ينظر صحيح البخاري (١٢/٥) وصحيح مسلم (١٨٦٧/٤) وسنن الترمذي (٦٣٠/٥) ومسنند أحمد (٤١٣/٤١).

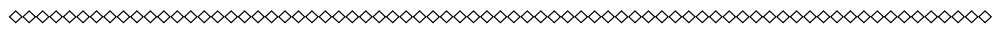
(٥) صحيح البخاري (٢١٠/٤) وصحيح مسلم (٢٩١٥/٤)

(٦) رواه البخاري (٣٤/١) وصحيح مسلم (١٩٦٦/٤)

(٧) مسند أحمد (٢٣٥/٢٩). وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٨) وهي من خالات رسول الله ﷺ من الرضاع. ينظر فتح الباري (٨٠/١١)

(٩) صحيح البخاري (٦٣/٨) وصحيح مسلم (١٥١٨/٤)



وكانت مع الجيش الذي ركب البحر لفتح قبرص، وقبرها معلوم بتلك الجزيرة^(١). بل في هذه النبوة المتعلقة بها ضروب أخرى من الأخبار الغيبية التي تحققت. قال الحافظ ابن حجر: وفيه ضروب من أخبار النبي ﷺ بما سيقع فوقه كما قال، وذلك معدود من علامات نبوته، منها إعلامه ببقاء أمته بعده، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكة ونكاية في العدو، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون مع من يغزو البحر وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية^(٢).

وللإمام أبي الوليد الباجي تعليق نفيس على هذا الحديث حيث يقول: « وقوله فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت، فكان هذا تحقيقاً لقول النبي ﷺ أنها من الأولين، وتبيننا أن المانع لها أن تكون من الآخرين أن عمرها ينتضي قبل ذلك، وهذا من أعلام نبوته الواضحة أن يعلم بالأشياء على وجهها قبل أن تكون، ثم تكون على حسب ذلك لا تخرم عنه، ويتكرر ذلك منه ﷺ تكراراً يوجد في أكثر الأحوال، وكل من يتعاطى تكهنات بتنجيم أو غيره فإن الأغلب عليه الخطأ، وإن أصاب في بعض الأشياء على ما يفعل الظان والمخمن والحازر والحمد لله رب العالمين»^(٣).

إخباره ﷺ عن أناس بأنهم من أهل الجنة ولم يصدر عنهم ما يناقض ذلك، بل ثبتوا حتى ماتوا:

مع أن المشاهد في دنيا الناس أن تبدل المواقف والأفكار والسلوكات قد يقع من أي أحد، بل حتى تغيير الدين، وقد ارتد عدد من المسلمين في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته. لكن الذين أخبر عنهم بأنهم من أهل الجنة لم يرتد أحد منهم، ولم يصدر عنهم ما يحرمهم منها.

مثل عبد الله بن سلام: فعن قيس بن عباد قال: كنت جالساً في مسجد المدينة، فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم خرج وتبعته، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة، قال: والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم ذاك: رأيت رؤياً على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه، ورأيت كأنني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها، وسطها عمود من حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل له: ارقه، قلت: لا أستطيع، فأتاني منصف، فرفع ثيابي من خلفي، فرقيت حتى كنت في أعلاها، فأخذت بالعروة، فقيل له: استمسك. فاستيقظت وإنها لفي

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦٢/٢)

(٢) فتح الباري (٨٠/١١)

(٣) المنتقى شرح الموطأ (٢١٣/٣)

يدي، فقصصتها على النبي ﷺ، قال: «تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت»، وذاك الرجل عبد الله بن سلام^(١). ومثله أيضا العشرة المبشرون بالجنة^(٢).

إخباره ﷺ بمجموعة من الأحداث التي ستقع بعد وفاته: بل أخبر بتفاصيل دقيقة تجعل المتأمل يندهش لتلك الدقة في الخبر، ولوقوع الخبر وفق تلك التفاصيل الدقيقة.

ومن هنا إخباره ﷺ بمدّة الخلافة الراشدة: وأنها ثلاثون سنة، وهذا التحديد الدقيق مذهل حقا، ولا يستطيع مثله الكهان والمنجمون أذعياء الغيب، وتستمر الخلافة هذه المدة فعلا، فلا تجاوزها ولا تقصر عنها، فمن أخبره؟!

عن سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»^(٣). ورواه البيهقي بسنده في المدخل إلى السنن الكبرى^(٤)، وفيه زيادة: «ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر اثنتي عشرة سنة وستة أشهر، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي رضي الله عنه تكلمة الثلاثين. قلت: معاوية؟ قال: كان أول الملوك». ثم روى بسنده عن أبي معشر قال: «استخلف أبو بكر رضي الله عنه في شهر ربيع الأول حين توفي رسول الله ﷺ، ومات لثمان بقين من جمادى الآخرة يوم الاثنين في سنة ثلاث عشرة، فكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وقتل عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وبويع عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، ثم بويع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين، وقتل في رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان سنة أربعين، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر»^(٥). فاللهم صل على الحبيب وسلم تسليمًا.

ومن هنا إخباره بوقوع الاقتتال بين فئتين من المسلمين وأن حفيده الحسن سيصلح بينهم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة»^(٦).

(١) صحيح البخاري (٢٧/٥)

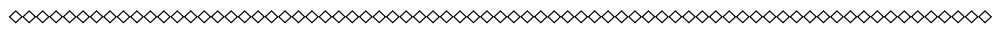
(٢) ينظر سنن الترمذي (٦٤٨/٥)

(٣) سنن الترمذي (٥٠٢/٤)، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) المدخل إلى السنن الكبرى (ص: ١١٦)

(٥) نفسه (ص: ١١٧)

(٦) صحيح البخاري (٥٩/٩) وصحيح مسلم (٢٢١٤/٤)



قال العلماء إن المقصود بالحديث ما وقع في صفين. وعن أبي بكرة نفيح بن الحارث رضي الله عنه قال: أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن، فصعد به على المنبر، فقال: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(١). وفي رواية: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمر الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم، فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له: واطلبا إليه، فأتياه، فدخلا عليه فتكلما، وقالوا له: فطلبنا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب، قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك قال: فمن لي بهذا، قالوا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالوا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢).

وتأمل الدقة في هذه النبوءة، فهي تتحدث عن فئتين، وأنها عظيमतان، وأن دعوتهما واحدة، وأن الاقتتال بينهما سيكون عظيما، ثم تحدد المصلح الذي سينتهي النزاع. وهذا التدقيق في ذكر الأخبار المستقبلية خارج عن قدرة أي إنسان مهما كان. ومنه إخباره ﷺ ببعض ما وقع لعائشة رضي الله عنها عام موقعة الجمل: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: «ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب، تخرج كلاب حوآب، فيقتل عن يمينها، وعن يسارها قتلا كثيرا، ثم تجو بعد ما كادت»^(٣).

وإخباره ﷺ بظهور الخوارج وقتال علي إياهم ووجود ذا النُدبية: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز

(١) صحيح البخاري (٣٦/٥)

(٢) صحيح البخاري (١٨٦/٢)

(٣) مسند البزار (٧٣/١١)، وصح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة عند كلامه عن الحديث رقم (٤٧٤)، وينظر أيضا مسند أحمد (٢٩٩/٤٠).



تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه -وهو قدحه- فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس». قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتمس فأتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعتته. (١)

وعن أبي كثير مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي علي بن أبي طالب حيث قُتل أهل النهروان، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال علي: يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه أبدا حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك أن فيهم رجلا أسود مُخَدَجُ اليد، إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع هَلَبَات، فالتمسوه، فإني أراه فيهم، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه، فكبر علي فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله، وإنه لمتقلد قوسا له عربية، فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مُخَدَجَتِهِ ويقول: صدق الله ورسوله، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون. (٢)

وقد سجد علي رضي الله عنه حين وجد ذا الشدية شكرا لله تعالى. (٣)

إخباره ﷺ بانتشار الإسلام وفتح عدد من البلدان:

وهذا من الأخبار العجيبة أيضا، فهذا رجل يعاني أشد أنواع الاضطهاد، بل إن أصحابه يكاد صبرهم ينفد من شدة الأذى الذي يلاقونه، ويأتونه مستغيثين مستجدين، ووسط كل هذا يخبرهم أنهم سيملكون جزيرة العرب، بل ما وراءها، بل مشارق الأرض ومغاربها، ويتكلم بلغة الوثائق مما يقول، بل ويقسم على ما يقول كأن نافذة إلى المستقبل فتحت له فهو يحدث بما يرى، حتى إنه ليرى الناس متقلبين داخل دولة الإسلام آمنين! وهذا الإخبار في تلك الظروف ضرب من الخيال، لأنه يصدر من رجل ضعيف لا يستطيع مواجهة قومه، الضعفاء بدورهم عن مواجهة الامبراطوريتين العظيمتين النافذتين حينها، فارس والروم. لكن لا تذهب الأيام والليالي حتى يتحقق ما أخبر على وفق ما أخبر.

(١) صحيح البخاري (٢٠٠/٤)

(٢) مسند أحمد (٩٤/٢). وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٤٦١/١)، وحسنه الأرناؤوط

(٣) ورد ذلك من طرق ثلاثة يقوي بعضها بعضا. ينظر: «إرواء الغليل» حديث رقم ٤٧٦.



عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: "كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون" (١).

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا» (٢).

قال النووي مبرزاً الدقة المتناهية في هذا الخبر النبوي: «وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ، قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزَي كسرى وقيصر، ملكي العراق والشام، وفيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى» (٣).

ومن هذا الباب إخباره بأسماء عدد من البلاد الكبيرة التي ستفتح، وكل البلاد التي ذكرها فتحت فعلاً. فأخبر بفتح اليمن والشام والعراق: عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» (٤).

(١) رواه البخاري (٢٠١/٤).

(٢) رواه مسلم (٢٢١٥/٤).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٢/١٨).

(٤) صحيح البخاري (٢١/٣).



وأخبر بفتح بيت المقدس،^(١) وفتح مصر^(٢)، وفتح بلاد فارس وأخذ كنوز كسرى وانتشار الأمن والأمان في جزيرة العرب.^(٣)

وأن من نتائج تلك الفتوحات هلاك كسرى فارس وقيصر الشام للأبد فقال ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.»^(٤)

وقد وقع كل هذا، والتاريخ والواقع خير شاهد، فلا قيصر ولا كسرى بعد كسرهما! والإسلام في تلك البلاد كلها.

إخباره ﷺ باتخاذ المسلمين الأنماط: وهذا نوع آخر من الغيبيات، وهو الإخبار عن أمر اجتماعي.

عن جابر رضي الله عنه قال: لما تزوجت، قال لي رسول الله ﷺ: «أخذت أنماطا^(٥)؟» قلت: وأنى لنا أنماط؟ قال: «أما إنها ستكون». قال جابر: وعند امرأتي نمط، فأنا أقول نحيه عني، وتقول قد قال رسول الله ﷺ: إنها ستكون.^(٦)

إخباره ﷺ بتغيير منطقة تبوك:

وقد كانت منطقة جرداء، ولا يكاد يوجد فيها ماء، فأخبر بتغيير حالها. عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعا، والمغرب والعشاء جميعا، حتى إذا كان يوما آخر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك، فصلى المغرب والعشاء جميعا، ثم قال: «إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي». فجئناها وقد سبقنا إليها رجالان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، قال فسألهما رسول الله ﷺ «هل مسستما من مائها شيئا؟» قالوا: نعم، فسبهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول. قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا، حتى اجتمع في شيء، قال وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر أو

(١) صحيح البخاري (١٠١/٤).

(٢) صحيح مسلم (١٩٧٠/٤).

(٣) صحيح البخاري (١٧٠/٤).

(٤) صحيح البخاري (٨٥/٤) وصحيح مسلم (٢٢٢٧/٤).

(٥) قال النووي: الأنماط بفتح الهمزة جمع نمط بفتح النون والميم وهو ظاهرة الفراش وقيل ظهر الفراش. (شرح مسلم ٥٨/١٤).

(٦) صحيح البخاري (٢٢/٧)، وصحيح مسلم (١٦٥٠/٣) واللفظ له.

قال: غزير - شك أبو علي أيهما قال - حتى استقى الناس، ثم قال «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا»^(١). وواقع هذه المنطقة الآن يؤكد صدق خبر سيدنا رسول الله ﷺ.

المطلب الثالث: الغيبيات التي وقعت بعد زمن الصحابة.

وهذه طائفة من الأخبار النبوية الموغلة في الزمن المستقبل، لا تدرك بحسابات ولا دراسات، بل وخارجة حتى عن سنن الكهان في تكهنهم، فإنهم لا يستطيعون التكهن بأمر من المستقبل البعيد.

إخباره ﷺ بفتح القسطنطينية قبل رومية:

عن أبي قبيل حبي بن هانئ المعافري قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله نكتب، إذ سئل رسول الله: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله: «مدينة هرقل تفتح أولاً»، يعني قسطنطينية^(٢). وقد فتحت القسطنطينية أولاً عام ٨٥٧ هـ. الموافق ١٤٥٢ م.

إخباره ﷺ بخلود هذه الأمة وعدم القضاء عليها:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»^(٣). وهذه نبوءة مشاهدة، إذ الأمة ما تزال قائمة رغم المكر العظيم الذي بذل عبر التاريخ وما يزال يبذل للقضاء عليها، مما لو وجه معشاره للقضاء على أمة من الأمم لذهبت وانمحت.

إخباره ﷺ بضعف المسلمين وتداعي الأمم عليهم:

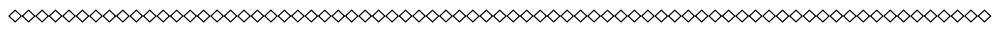
عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ مرفوعاً: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكرهية الموت»^(٤).

(١) صحيح مسلم (١٧٨٤/٤)

(٢) مسند أحمد (٢٢٤/١١)، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم ٤.

(٣) صحيح البخاري (٢٠٧/٤) وصحيح مسلم (١٥٢٤/٣)، واللفظ له.

(٤) سنن أبي داود (٣٥٥/٦)، وحسنه الأرناؤوط.



ولا شك في أن هذا الحديث يتحدث عن واقعنا اليوم، مليار ونصف من المسلمين على ظهر الأرض ولا تأثير لهم، غشاء كثاء السيل، تداعت عليهم أمم الأرض قسموهم إلى مناطق نفوذ تابعة لهم، استأثرت كل دولة بنصيب من دول المسلمين، يتنافسون على خيراتهم وبقاء تبعيتهم لهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فمن أطلع محمدا ﷺ على ما نعيشه اليوم؟
إخباره ﷺ بظهور (القرآنيين) المنكرين لسنته:

عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه». (١) وفي رواية ابن ماجه: «يوشك أن يقعد الرجل متكئا على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله» (٢). وهؤلاء موجودون معروفون.

إخباره ﷺ بظهور نار الحجاز:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى» (٣). وقد وقع هذا . و«بصرى»: مدينة حوران بسوريا، وتبعد عن المدينة ب ٩٨٥ كلم، وقد خرجت عام ٦٥٤هـ

قال الذهبي: «أمر هذه النار متواتر، وهي مما أخبر به المصطفى صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول: «لا تقوم الساعة حتى تخرج ناراً من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»، وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل ورأى أعناق الإبل في ضوئها» (٤).

إخباره ﷺ بالتطاول في البنيان:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال - في حديث جبريل المشهور-: «وترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» (٥).

(١) سنن أبي داود (١٢/٧)، وقال الأرنبوط: إسناده صحيح

(٢) سنن ابن ماجه (٩/١)

(٣) صحيح البخاري (٥٨/٩)، وصحيح مسلم (٢٢٢٧/٤)

(٤) تاريخ الإسلام (٦٦٠/١٤). وانظر تفاصيل ظهورها هناك.

(٥) صحيح مسلم (٣٦/١)

ومن يرى واقع العرب اليوم، وتنافسهم في بناء ناطحات السحاب، يدرك دقة لفظ «التناول»
في خبر المصطفى ﷺ.

إخباره ﷺ بظهور الكاسيات العاريات وأعوان الظلمة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما،
قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات،
رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة
كذا وكذا»^(١).

ونحن نرى هذين الصنفين الذين لم يرهما ﷺ، وبالذقة المتناهية الواردة في الوصف
النبوي، والله المستعان.

إخباره ﷺ بظهور الأمراض الجديدة نتيجة شيوع الفاحشة:

قال ﷺ: قال «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع
التي لم تكن مضت في أسلافهم»^(٢).

وما ظهور داء الأيدز وإخوته من عشرات الأمراض الحديثة الموصوفة ب «المنقولة جنسيا»
في هذا الزمن إلا دليل على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، ودقة لفظة «الأوجاع»، وهي مجموعة
أمراض، وموجعة حقا. صلوات الله على الحبيب!

إخباره ﷺ باتباع سنن من قبلنا:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم،
شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتهم» قلنا: يا رسول الله أليهود
والنصارى؟ قال: «فمن»^(٣).

ونحن نعيش هذه النبوءة العجيبة، فكثير من المسلمين يتبعون أهل الكتاب في طريقة
عيشهم وعاداتهم، بل حتى في تأريخهم وأعيادهم، بل وحتى القبيحة منها، وهي «جحر الضب»،
في الحديث، فيا لله لهذا الإعجاز!

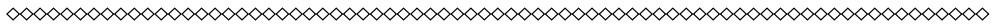
إخباره ﷺ بتفريط المسلمين في دينهم:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لتتقضن عرى الإسلام عروة

(١) صحيح مسلم (١٦٨٠/٢)

(٢) سنن ابن ماجه (١٢٢٢/٢)

(٣) صحيح البخاري (١٦٩/٤)، وصحيح مسلم (٢٠٥٤/٤) واللفظ له.



عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة»^(١). وهذا الحديث لا يتحدث فقط عن انتقاض عرى الإسلام، بل يتحدث عن أول وآخر ما ينتقض! والتاريخ شاهد على أن الحكم أول عروة انتقضت. ثم الواقع المعيش شاهد على حال كثير من المسلمين مع الصلاة!

إخباره ﷺ بتغيير بناء المسجد النبوي:

عن محجن بن الأدرع: أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: «يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟» (ثلاثا) فقيل له: وما يوم الخلاص؟ قال: «يجيء الدجال فيصعد أحدا، فينظر المدينة فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد. ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكا مصلتا، فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فذلك يوم الخلاص»^(٢).

حين توفي ﷺ ترك مسجده بناء طينيا صغيرا، ومن يرى المسجد النبوي اليوم من مكان عال يجد التطابق العجيب بين ما يشاهد وبين الخبر النبوي، فهو كالقصر الأبيض حقا، فمن أخبر محمدا ﷺ أن مسجده سيتسع بناؤه ويتغير حتى يكون كالقصر الأبيض؟! المبحث الثالث: سبل استثمار هذا الموضوع في تثبيت المسلمين والرد على الملحدين والمشككين.

نلاحظ من خلال هذا البحث تنوع الأخبار الغيبية النبوية وكثرتها وصدقها، وإذا كان علماءنا السابقون قدموها لأهل عصرهم في كتبهم لتقوية إيمانهم بنبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، فتحن أيضا مطالبون أن نقدمها لأهل عصرنا على وفق ما يناسبهم ويؤثر فيهم، من أجل تثبيتهم في مواجهة الهجمة الإلحادية الشرسة. وأقترح لذلك ما يلي:

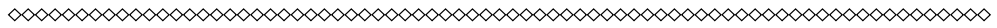
عقد محاضرات وندوات تعرف بهذا الإعجاز في الأخبار النبوية الغيبية.

تقديم برامج إعلامية في الموضوع.

إنتاج مقاطع مرئية قصيرة، يضم كل مقطع خبرا من هذه الأخبار الغيبية النبوية، في عرض شائق جاذب، تشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي، لتصل إلى الشباب، ويسهل استيعابهم لها، لتثبيتهم على دينهم وتقوي إيمانهم به.

(١) مسند أحمد (٤٨٥/٢٦). وقال الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) مسند أحمد (٢٣٨/٤). وهذا الحديث اختلف في ثبوته، لكن لفظة «القصر الأبيض» تستدعي التوقف عنده.

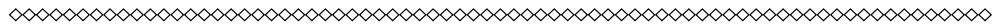


إدماج هذا الموضوع ضمن مناهج دروس التربية الإسلامية الخاصة بأطفال المدارس.
إنتاج رسوم كارتونية موجهة للأطفال في موضوع الأخبار الغيبية النبوية لتقوية عقيدة
الأطفال من صغرهم، لتكون تطعيماً مبكراً يقوي مناعتهم ضد الإلحاد.
صياغة بعض هذه الأخبار في قالب قصصي سلس موجه للأطفال.
والله تعالى أعلى وأعلم. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً.

لائحة المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
عثمان بن قايماز الذهبي. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. نشر دار الغرب الإسلامي. الطبعة
الأولى ٢٠٠٣ م.
تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تحقيق: محمد
حسين شمس الدين. نشر دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت. الطبعة
الأولى: ١٤١٩ هـ.
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
النمري القرطبي. تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري. نشر وزارة عموم
الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٣٨٧ هـ.
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى
بن مهران الأصبهاني. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
الخصائص الكبرى: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد خليل
هراس. نشر دار الكتب الحديثة.
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى
البيهقي. تحقيق د. عبد المعطي قلعجي. نشر دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث. الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي،
عبد البر عباس. نشر: دار النفائس، بيروت. الطبعة الثانية: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- دلائل النبوة: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني. تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الحميد. نشر: دار العاصمة. الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني. نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني. تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله. نشر: دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي. نشر دار الرسالة العالمية. ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف. نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر. الطبعة الثانية: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية: ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: ومعه حاشية مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء. أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي. حاشية أحمد بن محمد الشمني. نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي. عناية د. محمد زهير الناصر. دار طوق النجاة - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- صحيح مسلم: أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. دار الكتب العلمية-بيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م
- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع. تحقيق: علي محمد عمر. نشر مكتبة الخانجي - القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.



فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: عبد القادر شيبه الحمد. الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني): أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني. نشر: المكتب الإسلامي. الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

المدخل إلى السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي. تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي. نشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

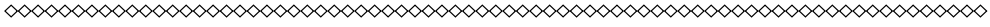
مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. تحقيق: أحمد محمد شاكر. نشر: دار الحديث - القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. نشر مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار. تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي. نشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة الأولى.

المنتقى شرح الموطأ: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي. مطبعة السعادة. الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. نشر المطبعة المصرية بالأزهر. الطبعة الأولى: ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.



أحاديث الهرج التي أنبأ النبي ﷺ عن وقوعها ووقعت في زمننا المعاصر

ملخص البحث

البحث عبارة عن دراسة حديثة موضوعية بيّنت فيه معنى كل من الإعجاز الغيبي والهرج لغة واصطلاحاً، ثم تعرضت فيه للتأصيل الشرعي لتنزيل أحاديث آخر الزمان على واقعة معينة، ثم ذكرت بعض ما من شأنه أن يرسم ملامح الصورة النبوية لأحاديث الهرج التي أنبأ عنها النبي ﷺ ووقعت في زمننا المعاصر؛ من أسباب وقوعه وظواهر تصاحب ظهوره، وأثر اللسان فيه، وكيفية التصرف في زمنه، وفضل العبادة فيه.

كلمات مفتاحية: إعجاز، غيبي، هرج، أنبأ، معاصر.

Abstract

The research is an objective modern study, in which I explained the meaning of each of the unseen miracles and pandemonium in both language and terminology, Then I was exposed to the legal rooting to consider the hadiths of the end of time on a specific incident, Then I mentioned some of what would draw the features of the prophetic image of the hadiths about the harj that the Prophet PBUH foretold and took place in our contemporary time; Among the reasons for its occurrence and the phenomena accompanying its appearance, the impact of the tongue on it, how to act in its time, and the virtue of worship in it

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:
أيّد الله سبحانه وتعالى رسله بمعجزات تكون آية لأقوامهم، فتدلّل على صدق نبوتهم، والإعجاز الغيبي أحد أنواع الإعجاز التي دلّت على صحّة النبوة والرسالة، ولقد تضمنت سنة النبي ﷺ العديد من الإنبيات عن أمور غيبية تحقّقت بعد أن أنبأ عنها ﷺ على تمام ما أخبر، منها

إنبأؤه بانتشار الهرج، فهذا البحث يؤصل لتنزيل أحاديث آخر الزمان على واقعة معينة ويذكر ضوابطه، ثم يرسم ملامح الصورة النبوية لأحاديث الهرج التي أنبأ عنها النبي ﷺ ووقعت في زمننا المعاصر.

أولاً: أهمية البحث ودوافع اختياره:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

كونه يقدم خدمة لطلبة العلم الشرعي، في جمع أحاديث الهرج التي أنبأ النبي ﷺ عن وقوعها ويصدق عليها أنها وقعت في زمننا المعاصر ودراستها دراسة موضوعية. الدلالة على صدق الوحي والنبوة من خلال إظهار وقوع ما أنبأ عنه النبي ﷺ قبل مئات السنين.

إرشاد الناس وتعليمهم كيفية التصرف من خلال هدي النبي ﷺ وسنته.

كونه يعالج موضوع الهرج وهو موضوع خطير وشائك ويتعلق بأرواح الناس، وبيان سبل التصرف وفق الهدي النبوي.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

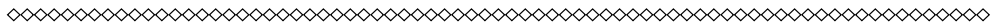
الإسهام في التأسيس الشرعي لموضوع البحث في أحاديث الإعجاز الغيبي ودراستها. دراسة موضوع «الهرج التي أنبأ النبي ﷺ عن وقوعها ويصدق عليها أنها وقعت في زمننا المعاصر» دراسة موضوعية والإلمام بكافة جوانبه. التعرف على سبل التصرف في زمن انتشار الهرج. إرشاد الناس إلى العودة إلى دين الله وسنة نبيه ففيهما العصمة من كل شر.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

لم أقف -بعد بحث- على موضوع يعرض «أحاديث الهرج التي أنبأ النبي ﷺ عن وقوعها ووقعت في زمننا المعاصر» دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية.

رابعاً: منهجية البحث:

البحث عمومًا: هو عبارة عن دراسة حديثة موضوعية لموضوع أحاديث الهرج التي أنبأ النبي ﷺ عن وقوعها ووقعت في زمننا المعاصر دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية. جمع الأحاديث: جمعت الباحثة الأحاديث المتعلقة بالموضوع من كتب السنة المختلفة لكن



دونما استقصاء، فالمنهج بشكل عام استقرائي جزئي، يخالطه منهج استنباطي وتحليلي.
إيراد الآيات القرآنية: كون الدراسة حديثة لا يمنع من إيراد الآيات القرآنية، فالقرآن والحديث وحيان يكمل بعضهما بعضاً، فعند ورود آية قرآنية ذكرت اسم السورة، ورقم الآية.
إيراد الأحاديث والتعليق عليها: غالباً ما أوردت الحديث كاملاً لأنه يحتوي على سبب وروده وقد أختصر إن وجدت ذلك مناسباً، وذكرت ما قيل من كلام الشراح حوله ممّا يتعلق بموضوع البحث، أو ما أراه مناسباً من تعليقات، وذكر الحديث يكون بذكر الراوي الأعلى غالباً.
غريب الحديث: فسّرت ما ورد من ألفاظ غريبة، بالرجوع إلى الكتب المختصة.
تخريج الحديث: أخرجت الحديث من مظانّه من كتب الحديث المتنوعة.

الحكم على الأسانيد: إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فخرجه دون أن أحكم عليه، إذ مجرد ذكره فيهما أو في أحدهما مشعر بصحّته، أمّا الأحاديث التي من خارج الصحيحين فنقلت حكم العلماء السابقين عليها.

توثيق المراجع: عزوت لاسم الكتاب ومصنّفه، ورقم الجزء والصفحة، وفي تخريج الأحاديث فكسابقه، لكن بزيادة ذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، أما ذكر المطبعة ودار النشر وسنته، ففي فهرس المراجع، ولم أذكرها في متن البحث.

خامساً: خطة البحث: جاء البحث في تمهيد ومبحثين:

التمهيد:

أولاً: المقصود بالإعجاز الغيبي.

ثانياً: المقصود بالهرج.

المبحث الأول: التأصيل الشرعي لتنزيل أحاديث آخر الزمان على واقعة معينة، وضوابطه:

المطلب الأول: التأصيل الشرعي لتنزيل أحاديث آخر الزمان على واقعة معينة، وفيه:

أولاً: إنباء الأنبياء السابقين عن بعثة النبي محمد ﷺ وتحقق صدق إنبائهم.

ثانياً: تنزيل الصحابة رضي الله عنهم أحاديث أنبأ عنها النبي ﷺ على وقائع حدثت معهم.

المطلب الثاني: ضوابط تنزيل أحاديث آخر الزمان على واقعة معينة.

المبحث الثاني: ملامح الصورة النبوية لأحاديث الهرج التي أنبأ عنها النبي ﷺ ووقعت في

زمننا المعاصر:

المطلب الأول: أسباب حدوث الهرج التي أنبأ النبي ﷺ عن وقوعها ووقعت في زمننا المعاصر.

المطلب الثاني: ظواهر تصاحب الهرج أنبأ النبي ﷺ عن ظهورها وظهرت في زمننا المعاصر.

المطلب الثالث: قتل العلماء في زمن الهرج كما أنبأ النبي ﷺ ووقع في زمننا المعاصر.

المطلب الرابع: كيفية التصرف في زمن الهرج كما أنبأ النبي ﷺ.

المطلب الخامس: فضل العبادة في زمن الهرج كما أنبأ النبي ﷺ.

التمهيد

قبل البدء بالدراسة الموضوعية لا بدّ من بيان المقصود من عنوان البحث، والتعريف بمصطلحاته، وفي هذا التمهيد بيان المقصود بالإعجاز الغيبي والهرج.

أولاً: المقصود بالإعجاز الغيبي.

لبيان المقصود بـ «الإعجاز الغيبي» لا بدّ من بيان المقصود من مصطلحين: «الإعجاز» و«الغيبي».

- الإعجاز لغة: قال ابن منظور: عَجَزَ يَعْجِزُ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا قَصَرَ عَنْهُ، وَالْمُعْجِزَةُ وَاحِدَةٌ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ. (١)

وقال ابن حجر: المعجزة اسم فاعل من الإعجاز وسميت بذلك لعجز من عندهم ذلك عن معارضتها، والهاء فيها للمبالغة أو صفة لمحذوف. (٢)

- الإعجاز اصطلاحاً: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة. (٣)

- الغيب لغة: قال ابن فارس: الْغَيْبُ وَالْيَأْيُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَسْتُرِ الشَّيْءِ عَنِ الْعَيْونِ، ثُمَّ يُقَاسُ. مِنْ ذَلِكَ الْغَيْبُ: مَا غَابَ، مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. (٤)

- الإعجاز الغيبي: هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية عن أمور غيبية وقعت في الماضي أو الحاضر أو ستقع في المستقبل من أمور الدنيا في وقت لا يمكن أن يبينها إلا من هو

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٥/٢٧٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج ٦/٥٨٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج ٦/٥٨٢.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس ج ٤/٤٠٣.

مؤيد بالوحي. (١)

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة... ويسمّيها مَنْ يسمّيها من النُّظَار «معجزات»، وتسمّى «دلائل النبوة» و«أعلام النبوة»، ونحو ذلك، وهذه الألفاظ إذا سُمّيت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ (المعجزات) (٢).

وبما أنّ دلائل النبوة برهان قاطع على صدق النبي ﷺ، ودراستها تزيد المؤمن إيماناً، وتزيد عقيدته رسوخاً، وتفيده فيما يستقبله من أيام وفتن ومحن، أبقى الله لأهل كل زمان من الدلائل ما يجدد الإيمان في نفوسهم ويردهم إلى دين الله مهما دارت بهم الأيام.

ثانياً: المقصود بالهرج.

قال ابن منظور: الهَرْجُ: الإختلاط؛ هَرَجَ النَّاسُ يَهْرَجُونَ، بِالْكَسْرِ، هَرْجًا مِّنَ الإختِلَاطِ أَي حَتَّطُوا. وَأَصْلُ الهَرْجِ: الكثرة فِي المَشْيِ والِاتساع. والهَرْجُ: الفِتنَةُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. والهَرْجُ: شِدَّةُ القَتْلِ وَكَثْرَتُهُ؛ وَفِي الحَدِيثِ: بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ هَرْجٌ: أَي قِتَالٌ وَإختِلَاطٌ؛ وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الأشعري أَنه قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أتعلم الأيام التي ذكر رسول الله ﷺ، فيها الهَرْجُ؟ قَالَ: نَعَمْ، تُكونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، يَرْفَعُ العِلْمُ وَيَنْزِلُ الجَهْلُ وَيَكُونُ الهَرْجُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: الهَرْجُ بِلِسَانِ الحَبَشَةِ القَتْلُ. وَفِي حَدِيثِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: يَكُونُ كَذَا وَكَذَا وَيَكْثُرُ الهَرْجُ، قِيلَ: وَمَا الهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: القَتْلُ. (٣)

إذا هو القتل كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

المبحث الأول

التأصيل الشرعي لتنزيل أحاديث آخر الزمان على واقعة معينة

المطلب الأول: التأصيل الشرعي لتنزيل أحاديث آخر الزمان على واقعة معينة، وفيه:

أولاً: إنباء الأنبياء السابقين عن بعثة النبي محمد ﷺ وتحقق صدق إنبائهم.

بشّر الأنبياء السابقين بعث النبي ﷺ فلما تحققت البشارة كان لها الدور الرئيس في

(١) انظر: مقال للدكتور راجب السرجاني على نوع قصة الإسلام: <https://islamstory.com/ar/artical/249/%D8%A784%D8%BA%D%84%D8%A5%D8%B9%D8%AC%D8%A7%D8%B2-%D8%A7%D9%D982%D8%B1%D8%84%D9%8A-%D8%A7%D9%81%D9%8A-%D9%8A%D8%A8%D9%985%8A%D9%83%D8%B1%D9%84%D9%86-%D8%A7%D9%A2%D9>

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية ج ٤/ ٦٧.

(٣) لسان العرب (٢/ ٢٨٩).

اعتناق أهل المدينة الإسلام^(١)، والسبب الرئيس في اعتناق عدد كبير من غير المسلمين للإسلام على مر التاريخ ابتداء من عصر النبوة وحتى عصر الجاهلي^(٢).

وقد عدّ القرآن الكريم وقوع هذه البشارات معجزة من معجزاته ودليلاً على صدقه فقد قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء: ١٩٧).

فقد ذكر القرآن الكريم أن الله - تعالى - أنزل البشارة بمبعث النبي محمد ﷺ في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وأعلم الله تعالى جميع الأنبياء ببعثته ﷺ، وأمرهم بتبليغ أتباعهم بوجوب الإيمان به واتباعه إن هم أدركوه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

فدعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في العرب رسولاً منهم، فأرسل الله - عز وجل - محمداً ﷺ إجابة لدعوته، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

وبشّر به عيسى عليه السلام، وأخبرنا الله تعالى عن بشارة عيسى بالنبي ﷺ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رُسُلَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة الصف: ٦).

وكان النبي ﷺ يقول: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشري عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»^(٣)

لقد تعددت البشارات في الكتب السماوية السابقة بخاتم النبيين محمد ﷺ حيث بشر

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ج٢/٢٢٧.

(٢) تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد، نصر الله عبد الرحمن ص٢٢.

(٣) المسند، أحمد بن حنبل ج٢٨٠/٢٨٠، رقم الحديث ١٧١٥٠، قال أحمد شاكر محقق المسند: حديث صحيح لغيره.

الأنبياء بقدمه، وأمروا أتباعهم بالإيمان به، وتصديقه إذا ظهر، ولولا ما حدث في هذه الكتب من تحريف وتزييف، وما أصاب علماء أهل الكتاب من كبر وحسد، لكانت النصوص الدالة على بعثة رسول الله ﷺ واضحة وضوح الشمس في وسط النهار .

عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قلت: «أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥) وحرزاً للأمة، أنت عبيد ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وأذانا صما، وقلوبا غلفا».^(١)

يقول ابن تيمية: «قد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه، ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى».^(٢)

وأخبر سلمان الفارسي رضي الله عنه في قصة إسلامه المشهورة عن راهب عمورية حين حضرته الوفاة فقال لسلمان: «إنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل».^(٣)

ثم قصَّ سلمان خبر قدومه إلى المدينة واسترقاقه، ولقائه برسول الله ﷺ حين الهجرة، وإهدائه له طعاماً على أنه صدقة، فلم يأكل منه الرسول ﷺ، ثم إهدائه له طعاماً على أنه هدية وأكله منه، ثم رؤيته خاتم النبوة بين كتفيه، وإسلامه على أثر ذلك.

وعن سلمة بن وقش رضي الله عنه قال: «كان لنا جار من اليهود بالمدينة فخرج علينا قبل البعثة بزمان فذكر الحشر والجنة والنار، فقلنا له: وما آية ذلك؟ قال خروج نبي يبعث من هذه البلاد - وأشار إلى مكة - فقالوا متى يقع ذلك؟ قال فرمى بطرفه إلى السماء وأنا أصغر القوم، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه. قال فما ذهبت الأيام والليالي حتى بعث الله تعالى نبيه، وهو حي - أي اليهودي - فأمننا به وكفر هو بغياً وحسداً».^(٤)

(١) الصحيح، البخاري، البيوع/ باب كراهية الصخب في الأسواق، ج ٢/ ٦٦: رقم الحديث ٢١٢٥.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية ج ٣/ ٥٠.

(٣) المسند، أحمد بن حنبل ج ٣٩/ ١٤٤: رقم الحديث ٢٢٧٢٧، قال أحمد شاكر محقق المسند: إسناده حسن.

(٤) المرجع السابق، ج ٢٥/ ١٦٥: رقم الحديث ١٥٨٤١، قال أحمد شاكر محقق المسند: إسناده حسن.

قال ابن تيمية: «والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد ﷺ عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم^(١)، وقال الإمام الماوردي: «.. تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء، بنبوة محمد ﷺ مما هو حجة على أممهم، ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم، بما أطلعه الله - تعالى - على غيبه، ليكون عوناً للرسول، وحشاً على القبول، فمنهم من عينه باسمه، ومنهم من ذكره بصفته، ومنهم من عزاه إلى قومه، ومنهم من أضافه إلى بلده، ومنهم من خصه بأفعاله، ومنه من ميّزه بظهوره وانتشاره، وقد حقق الله - تعالى - هذه الصفات جميعها فيه، حتى صار جلياً بعد الاحتمال، وبقينا بعد الارتياب»^(٢).

فإنباء الأنبياء السابقين عن بعث النبي ﷺ وتحقق هذا الإنباء، ثم بحث سلمان الفارسي وغيره من أهل الكتاب عن هذه الأخبار الغيبية وتحققهم من وقوعها على تمام ما قالوا تأصيل شرعي على جواز البحث في أحاديث الغيب والنظر فيها والعمل على إسقاطها على الواقع.

ثانياً: تنزيل الصحابة رضي الله عنهم أحاديث أنبأ عنها النبي ﷺ على وقائع حدثت معهم. وقد أنبأ النبي ﷺ صحابته عن أمور غيبية ثم دار بهم الزمن، وشهدوا تحققها عياناً مرات كثيرة، منها: أنه أنبأ أم حرام بنت ملحان أنها تركب البحر وتموت بعدها كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيَّ أُمَّ حَرَامِ بِنْتِ مَلْحَانَ فَتَطْعِمُهُ - وَكَانَتْ أُمَّ حَرَامِ تَحْتِ عِبَادَةِ بَنِ الصَّامِتِ - فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَطْعَمَنِي وَجَعَلَتْ تَقْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ نَبِجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ، أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَيَّ الْأَسْرَةَ»، شَكَ إِسْحَاقُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» - كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ - قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ»، فَرَكِبْتَ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعْتَ عَنْ دَابَّتْهَا حِينَ خَرَجْتَ مِنَ الْبَحْرِ، فَهَلَكْتَ»^(٣). قال ابن بطال: «وهذا الحديث من أعلام النبوة وذلك أنه أخبر فيه بضروب من الغيب قبل وقوعها، فمنها: جهاد أمته في البحر، وضحكه دليل على أن الله يفتح لهم ويفنمهم، ومنها: الإخبار بصفة أحوالهم في جهادهم وهو قوله: «يركبون نبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة» ومنها قوله لأم حرام: «أنت من الأولين» فكان كذلك، غزت مع زوجها في أول غزوة كانت إلى الروم في البحر مع معاوية. وفيه: هلكت، وهذا كله لا يعلم إلا بوحى

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية ج٢/٣٦٦.

(٢) أعلام النبوة، الماوردي ج١/١٤٩.

(٣) الصحيح، البخاري، الجهاد والسير/ باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، ج٤/١٦: رقم الحديث ٢٧٨٨.

من الله تعالى على ما أوحى إليه به في نومه.»^(١)

ومنها أنه أخبر عن موت النجاشي في اليوم الذي مات فيه كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا.»^(٢)

ومنها أنه أنبأ عن استشهاد أمراء غزوة مؤتة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وإصابة عبد الله بن رواحة وتولي خالد بن الوليد قيادة الجيش كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَإِنَّ عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَتَذْرِفَانِ - ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ فَفَتِحَ لَهُ.»^(٣)

ومنها أنه أخبر أن حاطب بن أبي بلتعة قد بعث خبر المسلمين في المدينة إلى مشركي مكة مع امرأة ففي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ، وَالْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ، فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلَنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ، فَقَلْنَا أَخْرَجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقَلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنَلْقِيَنَّ الشَّيْبَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تُعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَخْذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ صَدَقْتُمْ»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غُفِرَتْ لَكُمْ.»^(٤)

فهذه الإنبيات من النبي ﷺ وتتبع الصحابة لها ووقوعها مطابقة لما أخبر به النبي ﷺ

تأصيل شرعي على جواز البحث في أحاديث الغيب وإسقاطها على الواقع.

(١) ابن بطال، شرح صحيح البخاري ج ١١/٥.

(٢) الصحيح، البخاري، الجنائز/ باب الرجل ينعى إلى أهله، ج ٧٢/٢: رقم الحديث ١٢٤٥.

(٣) المرجع السابق نفسه: رقم الحديث ١٢٤٦.

(٤) الصحيح، البخاري، الجهاد والسير/ باب الجاسوس، ج ٥٩/٤: رقم الحديث ٣٠٠٧.

المبحث الثاني

ملامح الصورة النبوية لأحداث الهرج التي أنبا عنها النَّبِيُّ ﷺ ووقعت في زمننا المعاصر

لَمَّا أَنبَأَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْهِمْ زَمَانٌ يَنْتَشِرُ فِيهِ الْقَتْلُ، لَمْ يَخْبِرْهُمْ بِالْخَبَرِ مَجْرَدًا، بَلْ صَاحِبَ إِخْبَارِهِ إِيَاهُمْ دَلِيلًا شَامِلًا لِتِلْكَ الْمَرْحَلَةِ مِنْ أَسْبَابِ لَوْقُوعِهِ وَظَوَاهِرِ تَصَاحِبِ خُرُوجِهِ، وَأَثَرِ اللِّسَانِ فِيهِ وَأَنَّ قَتْلَ الْعُلَمَاءِ فِيهِ سَيَصْبِحُ أَسْهَلًا مِنْ قَتْلِ اللُّصُوصِ وَدَلَّ أُمَّتَهُ ﷺ عَلَى كَيْفِيَةِ التَّصَرُّفِ حِينَهَا مَعَ بَيَانِ فَضْلِ الْعِبَادَةِ وَفَضْلِ التَّمَسُّكِ بِالْدِينِ، كُلُّ هَذَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْبِرَ الْبَصَرَ وَالْبَصِيرَةَ وَأَنْ يَرَسِمَ صُورَةَ كَامِلَةً لِلْأَحْدَاثِ تَرشُدُ الْمُسْلِمَ فِي ظِلْمَةِ الْأَيَّامِ، وَتَتِيرُ قَلْبَهُ بِنُورِ صَدَقِ الدَّعْوَةِ وَالنَّبُوءَةِ وَضُرُورَةِ التَّمَسُّكِ بِهِمَا.

المطلب الأول:

أسباب حدوث الهرج التي أنبا النَّبِيُّ ﷺ عن وقوعها ووقعت في زمننا المعاصر.

حَرَصَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى النَّصْحِ لِأُمَّتِهِ وَتَحْذِيرِهَا مِنْ أَيِّ خَطَرٍ قَدْ يَصِيبُهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ حِرْصُهُ عَلَى التَّحْذِيرِ بَلْ تَعَدَّى إِلَى بَيَانِ الْأَسْبَابِ، وَلَمَّا كَانَ الْهَرْجُ خَطَرَ شَدِيدٍ يَمْحَقُ الْأُمَّةَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهَا، أَنبَأَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَنْ مَسَبِّبَاتِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عَمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو لِعَصْبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً فَقَتِلَ فِقْتَلَهُ جَاهِلِيَّةً وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي بِسَيْفِهِ يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَنْحَاشِي مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدُهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»^(١).

قال أبو الحسن الهروي: «(من خرج من الطاعة) أي طاعة الإمام (وفارق الجماعة) أي جماعة الإسلام (فمات) أي على ذلك (مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية) (عمية) - بكسر العين ويضم وبتشديد الميم المكسورة بعدها تحتية مشددة -، وهي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، ... قال إسحاق: هذا في تخارج القوم وقتل بعضهم بعضا، وكان أصله من التعمية وهو التلبيس (يغضب) أي حال كونه يغضب (لعصبية) وهي الخصلة المنسوبة إلى العصبية أي لإعلاء الكلمة العصبية (أو يدعو) أي غيره (لعصبية أو ينصر) أي بالفعل من الضرب والقتل (عصبية) قال النووي: معناه يقاتل بغير بصيرة وعلم تعصبا كقتال الجاهلية ولا يعرف المحق من المبطل، وإنما يغضب لعصبية لا لنصرة الدين، والعصبية إعانة قومه على الظلم، قال الطيبي: قوله (تحت راية عمية) كناية عن جماعة مجتمعين على أمر مجهول لا يعرف أنه حق أو باطل فيدعون الناس إليه

(١) الصحيح، مسلم، الإمارة/ باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ج ٣/ ١٤٧٦: رقم الحديث ١١٤٨.

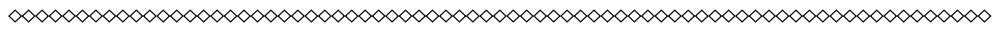
ويقاتلون له، وقوله (يغضب لعصبية) حال إما مؤكدة إذا ذهب إلى أن هذا الأمر في نفسه باطل، أو متقلبة إذا فرض أنهم على الحق وأن من قاتل تعصباً لا لإظهار دين ولا لإعلاء كلمة الله وإن كان المغضوب له محقاً كان على الباطل (فقتل) أي في تلك الأحوال (فقتلة) جاهلية (ومن خرج على أمتي) أي أمة الإجابة (بسيفه) أي بألة من آلات القتل، قال الطيبي: يجوز أن يكون حالاً أي خرج مشاهراً بسيفه وقوله (يضرب برها) أي صالحها (وفاجرها) أي طالحها حال متداخلة ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله يضرب، والجملة حال، وتقدم البر للاهتمام وإظهار الحرص والأذى (ولا يتحاشى من مؤمنها) أي لا يكثرث ولا يبالى بما يفعله ولا يخاف عقوبته ووباله، قال الطيبي: والمراد بالأمة أمة الدعوة فقله (برها وفاجرها) يشتمل على المؤمن والمعاهد والذمي، وقوله (لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده) كالتفصيل له. اهـ ولا يخفى بعد كون المراد أمة الدعوة (فليس مني) أي من أمتي أو على طريقتي (ولست منه) وفيه تهديد وتشديد وهذا السلب كسلب الأهلية عن ابن نوح في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: ٤٦) لعدم اتباعه لأبيه.

فهذا الشرح يبين أن مفارقة الجماعة والخروج على الأمير والقتال لأجل العصبية بدون علم ولا بصيرة سبب لتخالط الناس بعضهم ببعض وانتشار القتل الذي لا طائل من ورائه إلا الخروج من أمة الإسلام، وسفك الدماء المؤمنة البريئة، ونقض العهد مع أصحاب العهود، وانتشار الضعف في الأمة حتى تتداعى عليها الأمم.

وهذا للأسف يصدق عليه الوقوع في زمننا فتجد في بلاد الإسلام من يخرج على وحدة الأمة ويكسر شوكة صفها، ويقاتل أخاه المسلم عصبية لطائفته الدينية أو لحزبه السياسي دون أن يتفكر في مدى استحقاق السبب الذي يقاتل لأجله، بل وظهرت جماعات غيبت عقول كثير من الشباب وضللتهم مدعية الحق - وهو منها براء - دعت إلى قتال المسلمين الذين لا ينتمون إليها حتى سقط كثير من القتلى ضحايا لتشدّد بعض العقول وتسمّمهم الفكريّ بآراء ما أنزل الله بها من سلطان.

وثاني أسباب انتشار الهرج - كما أنبأ النبي ﷺ - بين صفوف أمة الإسلام هو تولي أمراء السوء الذين لا يراعون حقّ الله تعالى ولا حقّ عباده ففي حديث معاذ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنَّ عَصِيَّتَهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتَهُمْ أَضَلُّوكُمْ» (١).

(١) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني ج ١٦٥/٥، حسنه الألباني.



وهذا واقع في زمننا فنجد كثيرًا من رؤساء الدول المسلمة يقضي لنفسه ولأهله بما لا يقضيه لباقي المواطنين، ويحابي أهله وخاصته ممن سواهم من المواطنين، وتجد أنهم فوق القانون وفوق العقوبة، ولهم امتيازات لا يتمتع بها أحد سواهم، ومن عصاهم غيب في السجون، وتلقى من ألوان التعذيب ما لا يتحمّله بشر، ومن رضي فعلهم ضلّ عن سبيل الله، ومن أطاعهم ووالاهم فقد ضلّ وأضلّ.

فالسبب التي أنبأ عنها ﷺ لظهور الهرج وانتشاره في زمان من الأزمنة، ثم تحقّق هذه الأسباب في واقعنا المعاصر دليل على صدق الوحي والنبوة، وهو من معجزاته ﷺ، وهو أيضًا دافع قوي لنا للعودة لدين الله وسنة نبيه ﷺ والعصّ عليها بالتّواجد، والعمل بمقتضاها.

المطلب الثاني:

ظواهر تصاحب ظهور الهرج أنبأ عنها النبي ﷺ وظهرت في زمننا المعاصر.

هناك ظواهر متعدّدة تصاحب ظهور الهرج منها قبض العلم وكثرة الزلازل وتقارب الزمان وكثرة المال وانتشار الشحّ وعودة أرض العرب مروجًا وأنهارًا وظهور الأشر والبطر والتكاثر والتناجش على الدنيا والتباغض والتحاسد والظلم.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض»^(١)

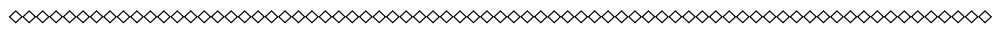
أمّا المراد بقبض العلم فهو ذهابه بموت العلماء، وليس المراد بذلك انتزاعه من الناس، وقد تبين ذلك في حديث عبد الله بن عمر في الصحيحين «إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»، وأمّا قوله في الرواية الأخرى «وينقص العلم» فهذا في أول الأمر ينقص ثم يقبض ويذهب بالكلية.^(٢)

وأما ظهور الزلازل فقد قال المهلب: ظهور الزلازل والآيات أيضًا وعيد من الله تعالى لأهل الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء: ٥٩)، وكذلك قال ﷺ في الرعد: «إنه وعيد شديد لأهل الأرض»، والتخويف والوعيد بهذه الآيات إنما يكون عند المجاهرة بالمعاصي والإعلان بها.^(٣) وأمّا كثرة الزلازل فمحمول على الزلازل المحسوسة، وهي ارتجاف

(١) الصحيح، البخاري، أبواب الاستسقاء / باب ما قيل في الزلازل والآيات: رقم الحديث ١٠٠٢.

(٢) طرح التثريب، ابن العراقي ج/٤/٢٨.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج/٣/٢٦.



الأرض وتحركها، ويمكن حمله على الزلازل المعنوية، وهي كثرة الفتن المزعجة الموجبة لارتجاف القلوب، والأول أظهر؛ لأن هذا يعني عنه ذكر ظهور الفتن^(١)

وأما المراد باقتراب الزمان قربه من الساعة قاله القاضي عياض والنووي، ويحتمل أن المراد قصره وعدم البركة فيه وأن اليوم مثلا يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة ولعل هذا أظهر وأوفق للأحاديث وأكثر فائدة ويدل له قوله في الحديث الذي رواه الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كالיום ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضربة بالنار»^(٢)

وأما كثرة القتل بغير حق ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل» وفي سنن ابن ماجه بعد قول النبي ﷺ «إن الهرج القتل؛ فقال بعض المسلمين يا رسول الله إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ ليس بقتل المشركين ولكن بقتل بعضكم بعضا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته، فقال بعض القوم يا رسول الله ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ لا، تنزع عقول أكثر ذلك الزمان وتخلف لها هباء من الناس لا عقول لهم»^(٣)

وأما فيضان المال فهو أن يكثر حتى يفضل منه بأيدي ملاكته ما لا حاجة لهم به. قال وقيل بل ينتشر في الناس ويعمهم وهو الأول انتهى^(٤)

ومن الظواهر أيضا انتشار الشحّ ففي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيَلْقَى الشَّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قالوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ»^(٥)

وأما المراد بـ «يلقى الشحّ» أي يوضع في القلوب ورواه بعضهم يلقي بفتح اللام وتشديد القاف أي يعطى والشح هو البخل بأداء الحقوق والحرص على ما ليس له^(٦)، وقال ابن حجر أنّ المراد هو: إلقاءه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير وليس المراد وجود أصل الشح لأنه لم يزل موجودا والمحفوظ في الروايات يلقي بضم أوله من

(١) فتح الباري لابن رجب ٢٤٤/٩

(٢) طرح التثريب، ابن العراقي ج٤/٢٨.

(٣) طرح التثريب، ابن العراقي ج٤/٢٨. وانظر مسند أحمد (١٩٧١٧) وصحيح الجامع للألباني (٢٠٤٧).

(٤) طرح التثريب في شرح التثريب، ابن العراقي ج٤/٢٧.

(٥) الصحيح، البخاري، الأدب/ باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ج٨/١٤: رقم الحديث ٦٠٢٧.

(٦) شرح النووي على مسلم، النووي ج١٦/٢٢٢.



الرباعي وقال الحميدي لم تضبط الرواة هذا الحرف ويحتمل أن يكون بفتح اللام وتشديد القاف أي يتلقى ويتعلم ويتواصى به كما في قوله ولا يلقاها الا الصابرون قال والرواية بسكون اللام مخففاً تقسد المعنى لأن الإلقاء بمعنى الترك ولو ترك لم يكن موجوداً وكان مدحاً والحديث ينبيء بالذم قلت وليس المراد بالإلقاء هنا أن الناس يلقونه وإنما المراد أنه يلقى إليهم أي يوقع في قلوبهم»^(١).

ومن الظواهر أيضاً أن تعود الجزيرة العربية مروجاً وأنهاً فصي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاً»^(٢).

قال القرطبي: وتتصرف دواعي العرب عن مقتضى عادتهم من انتجاع الغيث والارتحال عن المواطن للحروب والغارات ومن عزة النفوس العربية الكريمة الأبية إلى أن يتقاعدوا عن ذلك فيشتغلوا بغراسة الأرض وعمارتها وإجراء مياهها كما قد شوهد في كثير من بلادهم وأحوالهم»^(٣). وعند النظر في أحوال الأمة نجد أن كثيراً من هذه الظواهر قد تحقق في زمننا، وهذا من الإعجاز الغيبي الذي أخبر عنه ﷺ، فأما قبض العلم؛ فقد غيب في السجون كثير من العلماء وحرمت الأمة من علمهم، وكثير منهم قضى نحبه مسجوناً، وظهرت الزلازل وكثرت في بلاد لم تكن تعرفها من قبل، وبتنا لا نرى لأوقاتنا بركة وأثراً، وها هي أرض العرب قد عادت مروجاً فنسبة الأمطار في صحراء الجزيرة العربية تضاعفت بمعدل ملحوظ عن مائة عام سابقة حتى عادت أرضهم مروجاً، وظهر فيها الزروع والثمار.

فملاحظة هذه الظواهر مجتمعة إشارات ودلالات جلية على أن هذا هو الزمن الذي أخبر عنه النبي ﷺ وأن انتشار القتل فيه هو عين «الهرج» الذي حذر منه النبي ﷺ فعلى المؤمن الحي أن يتيقظ ويتعظ.

المطلب الثالث: كيفية التصرف في زمن الهرج كما أنبأ النبي ﷺ

لم يكن النبي ﷺ ليترك الأمة تحتار في أمر جلل كهذا، فانتشار القتل بينها، ومحقق صفوفها كارثة لا يجابها إلا من اعتصم بحبل الله المتين، لذا بين النبي ﷺ كيفية التصرف إذا حضر المرء زمن انتشار الهرج فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ يا أبا ذر قلت لبيك وسعديك، وذكر الحديث قال فيه كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف، قلت

(١) فتح الباري، ابن حجر ج ١٢/١٧.

(٢) الصحيح، ابن حبان، كتاب التاريخ/ باب ذكر الأخبار عن كون العمران وكثرة الأنهار في أرض العرب، ج ١٥/٩٢: رقم الحديث ٦٧٠٠.

(٣) شرح السيوطي على مسلم، السيوطي ج ٢/٨٤.

اللَّهُ ورسوله أعلم أو قال ماخار الله لي ورسوله قال عليك بالصبر أو قال تصبر»^(١).

قال الخطابي: «البيت ههنا القبر والوصيف الخادم يريد أن الناس يشغلون عن دفن موتاهم حتى لا يوجد فيهم من يحضر قبراً لميت ويدفنه إلا أن يعطي وصيفاً أو قيمته والله أعلم، وقد يكون معناه أن مواضع القبور تضيق عنهم فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر بوصيف»^(٢).

فالصبر والتصبر ملجأ يعمد إليه المرء في هكذا محنة، فاختلاط الحق بالباطل وانتشار القتل إلى الحد الذي يعجز فيه المرء عن دفن ميته، أو أن يصبح ثمن القبر يعادل ثمن البيت الذي يسكن فيه لخطب عظيم، وقد تحقق هذا في زمننا كما أنبأ النبي ﷺ ففي بعض بلاد الإسلام التي مرّت بمحن عظيمة وفتن كقطع الليل المظلم، كان المسلمون يتركون بيوتهم، وأمواتهم فيها لم تدفن بسبب لتعرضها للقصف الشديد حتى أنهم فرّوا بجلدهم ولم يدفنوا موتاهم أو أنهم حوصروا حتى عزّ عليهم الخروج لدفن الأموات.

ولطالما كان النصر والفرج مصاحباً للعسرة والضيق حتى قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٦)، وقال النبي ﷺ «وإنما النصر مع الصبر»^(٣) فهذه الآية وهذا الحديث ترياق للنفوس المتعبة في عزّ الأزمات، ومصيبة كانت انتشار الهرج تحتاج إلى نفس طويل، وصبر جميل، وعقل رزين، وإيمان رسيخ، فعلى المؤمن أن يتجمل بالصبر حتى ينال عظيم الثواب على ما يلاقى، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «أتقي الله وأصبري» قالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأنت بآب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوايين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»^(٤).

فالنّجاة من المهالك، وسوء المسالك، ومواقف الابتلاء، وداعيات الفتن، إنّما يكون بالصبر، فعلى المؤمن أن يذكر نفسه في زمن الهرج والفتن بالصبر والتصبر حتى يتجاوز هذه المحنة إلى بر الأمان.

المطلب الرابع: قتل العلماء في زمن الهرج كما أنبأ النبي ﷺ

وممّا أنبأ عنه النبي ﷺ في زمن الهرج؛ قتل العلماء، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على العلماء زمان يقتلون فيه كما يقتل اللصوص، فياليت العلماء يومئذ تحامقوا»^(٥)، وهذا

(١) السنن، أبو داود، الفتن والملاحم/ باب في النهي عن السعي في الفتنة، ج٤/١٠١: رقم الحديث ٤٢٦١، قال الألباني: صحيح.

(٢) معالم السنن، الخطابي، ج٤/٢٤٢.

(٣) المسند، أحمد بن حنبل ج٥/١٩: رقم الحديث ٢٨٠٢، قال محقق المسند: حديث صحيح.

(٤) الصحيح، البخاري، الجنائز/ باب زيارة القبور، ج٢/٧٩: رقم الحديث ١٢٨٢.

(٥) السنن الواردة في الفتن، الداني، ج٢/٦٦١: رقم الحديث ٣٠٢، وهو حديث حسن.

واقع في زمننا كما أنبأ ﷺ ومنتشر جداً، حتى ما عاد يجهر بكلمة الحق أحد إلا واعتقل، وقتل ونكل به.

فإن كانت القتل في حق الناس العاديين من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب بعد الإشراك بالله، فإنها لفي حق العلماء أظنع وأشدّ فقد صحّ عن النبي ﷺ قوله: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(١) فتصفية العلماء واحداً تلو الآخر تأكل لدين الله، فبموتهم يذهب العلم، ويطفو الجهل، ويترأس الجهال مصداقاً لحديث النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رِءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢)، وقد قال الحسن البصري: «كانوا يقولون: موت العالم ثلثة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار»^(٣).

ففي زمن الفتن واختلاط الأمور، وتمازجها حتى يصعب فصل الحق وبيانه، تكون الحاجة للعلماء الصادقين أشدّ ما يكون فانتشار القتل في صفوفهم لم يكن يوماً حجة لهم لكي لا يصدعوا بالحق، وبيبينوه للأمة، قال الشيخ الإبراهيمي: «واجب العالم الديني أن ينشط إلى الهداية، كلما نشط الضلال، وأن يسارع إلى نصره الحق، كلما رأى الباطل يصارعه، وأن يحارب البدعة، والشر، والفساد، قبل أن تمد مدها، وتبلغ أشدها، وقبل أن يتعوّدها الناس، فترسخ جذورها في النفوس، ويعسر اقتلاعها».

فهذا الإنباء من النبي ﷺ إنّما هو تحذير للعلماء أنّ المهمة الموكلة بهم عظيمة، وأنّ الفتنة التي سيلقوها جسيمة، فليتسلحوا بالعلم والإيمان، وليشدوا عراهم بحبل الله المتين، حتى يلقوا الله مقبلين غير مدبرين، ولهم في من سبقهم من العلماء الذين صمدوا في المحن أسوة حسنة أمثال الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية وغيرهم كثير ممن امتحن فصبر، حتى قال رجل للإمام أحمد بن حنبل في محنته: «يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً، وإن عشت عشت حميداً، وما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة»^(٤).

المطلب الخامس: فضل العبادة في زمن الهرج كما أنبأ النبي ﷺ

يظهر من خلال هذا الإنباء حرص النبي ﷺ على دعوة أمته للالتزام بعبادة الله سبحانه حتى في أحلك الظروف فعن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ

(١) السنن، ابن ماجه، الإيمان/ باب فضل العلماء، ج١/٨١: رقم الحديث ٢٢٢، قال الألباني: صحيح.

(٢) الصحيح، البخاري، العلم/ باب كيف يقبض العلم، ج١/٢١: رقم الحديث ١٠٠.

(٣) السنن، الدارمي، المقدمة/ باب فضل العلم، ج١/٢٥١: رقم الحديث ٢٢٢، قال المحقق: إسناده صحيح.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ج١٤/٢٩٧.

كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(١)، قال النووي: وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد.^(٢)

وقال ابن حجر: «قال القرطبي كأن في الحديث إشارة إلى أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخف أمر الدين ويقل الاعتناء بأمره ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشه نفسه وما يتعلق به ومن ثم عظم قدر العبادة أيام الفتنة»^(٣)

وقال أبو الحسن الملا الهروي: «الْعِبَادَةُ» أَي: ثَوَابُهَا مَعَ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْإِسْتِدَامَةِ عَلَيْهَا «فِي الْهَرَجِ» أَي: زَمَنَ الْفِتْنَةِ وَوَقْتَ الْمُحَارَبَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ «كَهَجْرَةِ إِلَيَّ» أَي: قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٤).

فبهذا يتبين الأجر العظيم الذي وعد به العابدون في زمن الهرج، والعبادة المطلوبة في الحديث هي كما قال ابن تيمية: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة^(٥)، فأى عمل صالح يجاهد المسلم نفسه ليقوم به في زمن عز فيه من يلتفت إلى عبادة الله يصدق عليه وعد رسول الله ﷺ، وفي هذا تسهيل على المسلم، فإن تعبد لله بالتوحيد أو بالإيمان وتحقيق شروطه أو الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الجهاد أو البر أو حتى المعاملات اليومية إذا نوى به أن يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

أولاً: ذكر النتائج:

- يطلق مصطلح «دلائل النبوة» أو «المعجزات» أو «دلائل صدق الوحي والنبوة» ويراد به نفس المعنى الاصطلاحي.

- يمتد التأصيل الشرعي لتنزيل أحاديث آخر الزمان على واقعة معينة منذ زمن الأنبياء السابقين.

- تتبّع الصحابة رضي الله عنهم ما أنبأ به النبي ﷺ من أمور غيبية فإزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

(١) مسلم، الصحيح، الفتن وأشراط الساعة/ باب فضل العبادة في الهرج، ج ٤/٢٢٦٨: رقم الحديث ٢٩٤٨.

(٢) شرح النووي على مسلم، النووي، ج ١٨/٨٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج ١٣/٧٥.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن الملا الهروي، ج ٨/٢٢٨٧.

(٥) العبودية، ابن تيمية ج ١/٤٤.

السنن، ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

السنن، أبو داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

السنن، الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م

السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

شرح السيوطي على مسلم، السيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الخبر، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

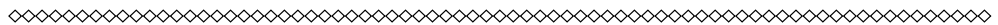
شرح النووي على مسلم، النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

شرح صحيح البخاري، ابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

الصحيح، ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٢٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

الصحيح، البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ. الصحيح، مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

طرح التثريب، ابن العراقي، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦ هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦ هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة - صورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).



العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن
أبي القاسم بن محمد ابن تیمیة الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد
زهیر الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ
- ٢٠٠٥م

فتح الباري لابن رجب، صبري بن عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية
- المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ -
١٩٩٦م

فتح الباري، ابن حجر، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه:
محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه
تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ
مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تیمیة، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة
التراث العربي.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن الملا الهروي، الناشر: دار الفكر،
بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

المسند، أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د
عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
معالم السنن، الخطابي، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
معالم ومنازل في تنزيل أحاديث الفتن والملاحم وأشراف الساعة على الوقائع والحوادث،
عبد الله العجيري.

مقال للدكتور راجب السرجاني على موقع قصة الإسلام.

مقاييس اللغة، ابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام
النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

د. محمد أحمد حسن رابعة

أستاذ مشارك في الإعلام - الدعوة والإعلام الإسلامي

جامعة اليرموك - الأردن

الإشارات النبوية حول تطور وسائل الاتصال

دراسة استقرائية استشرافية تحليلية

Prophetic signs about the development of means of communication

An inductive, forward-looking, analytical study

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة استقراء الروايات الحديثية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تتضمن إشارات غيبية مستقبلية تحمل دلالات حول تطور وسائل الاتصال والتواصل ومستجداتها من بعد عهد النبوة، وتقديم رؤية استشرافية لما قد تؤول إليه وسائل الاتصال وتقنياته في المستقبل القريب أو البعيد بعلم الله تعالى؛ مما يؤكد نبوة النبي ﷺ فيما يخبر عنه مما وقع أو سيقع مستقبلاً، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وقد وظفت الدراسة مناهج البحث الكيفي القائمة على الاستقراء والاستشراف والتحليل النصي؛ من خلال استقراء روايات الحديث الشريف الثابتة (الصحيحة أو الحسنة) التي وردت فيها نبوءات غيبية مستقبلية تحمل إشارات ضمنية توحى بتطور وسائل الاتصال وتقنياته في المستقبل من بعد عهد النبوة وحتى آخر الزمان، ثم تحقيق هذه الروايات والتثبت من قبولها وفق منهج تحقيق الروايات والأحاديث لدى علماء الحديث الشريف، وتحليل مضامين هذه الروايات وتوجيه دلالات عباراتها الحاملة لهذه المعاني المستقبلية وفق منهج تحليل النصوص، بالإضافة إلى محاولة استشراف الصورة المستقبلية التي تطورت إليها وسائل الاتصال من بعد عهد النبوة المبارك، وما وصلت إليه اليوم أو ما تتبئ بالوصول إليه في المستقبل القريب أو البعيد بعلم الله تعالى وذلك وفق المنهج الاستشرافي.

وخلصت الدراسة إلى أنّ هناك جملة روايات حديثية مقبولة (صحيحة، وحسنة) وردت فيها إشارات نبوية غيبية حول تطور وسائل الاتصال وتقنياته المعاصرة، وأن هذه الإشارات الصريحة



والضمنية تؤكد نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن يُستفاد من نتائج الدراسة في تقديم إضاءة أمام الباحثين والمختصين لإيلاء الموضوع مزيداً من العناية والبحث والتوسع وإشباعه بدراسات متخصصة ومتعمقة تُعنى بجمع مفردات الموضوع واستلهاام الدلالات ذات الصلة به واستشراف المستقبل في ضوء نتائجها.

كلمات مفتاحية: الإشارات النبوية، وسائل الاتصال، دراسة استقرائية، دراسة استشرافية،

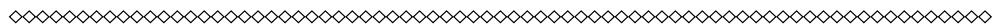
دراسة تحليلية

Abstract

This study aims to try to extrapolate the established hadith narrations from the Prophet, may God bless him and grant him peace, which include future metaphysical signs that carry indications about the development of the means of communication and communication and their developments after the era of the prophecy, and to provide a forward-looking vision of what the means of communication and its technologies may lead to in the near or far future with knowledge. God; Which confirms the prophecy of the Prophet, may God bless him and grant him peace, in what he tells of what has happened or will happen in the future, and that he does not speak out of whims that he is nothing but a revelation that is revealed.

The study employed qualitative research methods based on induction, foresight and textual analysis; By extrapolating the established (correct or good) hadith narrations in which future metaphysical prophecies were mentioned that carry implicit signs suggesting the development of the means and techniques of communication in the future from after the era of prophecy until the end of time, and then verifying these narrations and verifying their acceptance according to the approach of verifying the narrations and hadiths among scholars The noble hadith, analyzing the contents of these narrations and directing the connotations of their phrases bearing these future meanings according to the method of analyzing texts, in addition to trying to anticipate the future image to which the means of communication developed after the era of the blessed prophecy, and what it has reached today or what it predicts to reach in the near or far future With the knowledge of God Almighty, according to the forward-looking approach.

The study concluded that there are a number of acceptable hadith narrations (correct and good) in which there are metaphysical prophetic signs about the development of the means of communication and its contemporary



technologies, and that these explicit and implicit references confirm the prophecy of the Prophet, may God bless him and grant him peace, and the results of the study can be used to provide illumination for researchers. And specialists to give the subject more attention, research, expansion, and saturate it with specialized and in-depth studies concerned with collecting the vocabulary of the subject, drawing inspiration from the relevant connotations and foreseeing the future in the light of its results.

Key words: prophetic signs, means of communication, inductive study, prospective study, analytical study

المبحث الأول:

خلفية الدراسة وأهميتها

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلهي وحيُّ يوحى، وعَلَّه وأصحابه أولي البصائر والنهي، وبعد؛

فقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن تكون رسالة النبي ﷺ خاتمة الرسائل الإلهية، وأن يكون نبيِّنا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين جميعاً، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (القرآن الكريم: ٣٣: ٤٠). وتأكد ذلك بصريح قول النبي ﷺ وإخباره بذاته عن ذلك، فقال ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء». (البخاري: ح ٣٥٣٥، ومسلم: ح ٢٢٨٦)

ولذا فإنَّ رسالته صلى الله عليه وسلم جاءت عالمية خالدة تخاطب الناس كافة على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأماكن انتشارهم وأزمنة وجودهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨).

وبما أنَّ هذه الرسالة الإلهية جاءت عالمية كان لا بدَّ من إيصالها للعالمين وتبليغها للناس كافة لهدايتهم وإنقاذهم وإقامة الحجة عليهم وتحقيق الغاية من أصل الرسالة وهي هداية الخلق إلى الخالق ودلالة العباد على ربِّ العباد، ولتحقيق ذلك كان لا بدَّ من وجود الوسائل التي تكفل تبليغها للناس وتضمن وصولها إليهم على الرغم من الفروقات والتباينات بينهم في الزمان والمكان واللسان.



وقد حرص النبي ﷺ منذ تلقى الوحي بالقرآن من السماء، ثم أمر بالصدع به، وطلب إليه تبليغُه وإيصاله للناس، حرص صلى الله عليه وسلم على حمل رسالة الله إلى خلق الله، واستخدم في سبيل تحقيق ذلك استراتيجيات الإقناع المتنوعة وأساليب التواصل المختلفة، ووسائل الاتصال المتاحة والممكنة آنذاك، فوردت روايات حديثية ثابتة عنه صلى الله عليه وسلم تتضمن توظيف النبي ﷺ لبعض أساليب الاتصال وطرائقه ووسائله المتاحة آنذاك.

وفضلاً على استخدام النبي ﷺ للوسائل والأساليب الاتصالية المتاحة في عهده ﷺ، فقد وردت إشارات نبوية منه صلى الله عليه وسلم نقلت بروايات حديثية ثابتة فيها إشارات ضمنية توحى بتطور وسائل الاتصال وتقدمها في عصور متأخرة تشهد لها أمته والعالم من بعده صلى الله عليه وسلم.

وفي ضوء استقرار هذه الروايات الحديثية التي تتضمن إشارات نبوية غيبية مستقبلية، وفي سياق دراستها وفق النظرة الاستشرافية المستقبلية لما قد يستجد من تطورات على وسائل الاتصال وتقنياته، فيجدر التأكيد على إن هذا البحث لا يُعدّ من التجسيم أو الرجم بالغيب، ولا يعتمد على الخيال العلمي أو الخرص أو التخمين، ولا يستند إلى حسابات منطقيّة أو عقلية، ولا ينهض على توقعات مبنية على تقديرات ذاتية أو استطلاعات رأي ميدانية، ولا وإنما يعتمد على روايات حديثية ثابتة عن النبي ﷺ؛ يستقرؤها ويستوحى مما ورد فيها من إشارات نبوية مستقبلية، تحمل دلالات ضمنية يمكن استشراف المستقبل من خلالها حول واقع وسائل الاتصال أو ما قد تؤول إليه في المستقبل القريب أو البعيد.

وتبقى هذه اجتهادات في فهم النص واستشراف أبعاده ودلالاته في الواقع أو في المستقبل، قد تكون سبباً في فتح آفاق جديدة أمام المختصين للبحث في هذا المجال واستخلاص معانٍ أكثر دقة أعمق فهماً، وتسهم في خدمة النص النبوي الكريم ونفع الإنسانية.

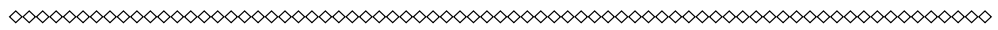
سائلاً الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه سبحانه وخدمة لدينه وسنة نبيه الكريم، وأن ينفعني به ووالدي والقائمين على هذا المؤتمر القيم، ومن علمني حرفاً، آمين

المطلب الأول:

أهمية الدراسة، ومشكلتها، وتساؤلاتها، وأهدافها

أولاً: أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة في محاولة استقرار الروايات الحديثية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، التي تتضمن إشارات ودلالات حول تطور وسائل الاتصال والتواصل ومستجداتها



من بعد عهد النبوة، ومن أهمية هذه الدراسة أنها تقدم رؤية استشرافية لما قد تؤول إليه وسائل الاتصال وتقنياته في المستقبل القريب أو البعيد بعلم الله تعالى؛ مما يؤكد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عنه مما وقع أو سيقع مستقبلاً، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وتأتي هذه الدراسة في إطار الاجتهاد في فهم النص النبوي واستشراف أبعاده ودلالاته في الواقع أو في المستقبل، مما يذكي أهميتها في أنها قد تكون سبباً لفتح آفاق جديدة أمام الباحثين والمختصين والمعنيين في هذا المجال، واستخلاص معانٍ أكثر دقة أعمق فهماً، مما لعله يسهم في خدمة النص النبوي الكريم ونفع الإنسانية.

ثانياً: مشكلة الدراسة :

تتمحور مشكلة هذه الدراسة في محاولة استعراض الإشارات النبوية التي وردت في أحاديث النبي ﷺ ونبوءاته الصادقة التي أشار فيها إلى تطور وسائل الاتصال الحديث، والتي أشار النبي ﷺ إلى حصولها قبل ألف وأربعمائة وثلاثة وأربعين سنة، واستنتاج مدى انطباقه على واقع تطور وسائل الاتصال وتطبيقاته الواسعة المعاصرة.

ثالثاً: تساؤلات الدراسة

وتحاول الدراسة أن تجيب عن التساؤلات الرئيسة التالية:

ما مفهوم الدراسات الاستشرافية، وكيف تطورت، وما أهم مبادئها؟

ما أهم الإشارات النبوية التي وردت عن النبي ﷺ حول تطور وسائل الاتصال وتقدمها ؟

ما مدى التقارب والانطباق بين هذه الإشارات النبوية وواقع تطور وسائل الاتصال وتطبيقاته

المعاصرة ؟

رابعاً: أهداف الدراسة:

وتحاول الدراسة أن تجيب عن التساؤلات الرئيسة التالية:

بيان مفهوم الدراسات الاستشرافية، وكيف تطورت، وما أهم مبادئها.

بيان أهم الإشارات النبوية التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم حول تطور وسائل

الاتصال وتقدمها.

توضيح مدى التقارب والانطباق بين هذه الإشارات النبوية وواقع تطور وسائل الاتصال

وتطبيقاته المعاصرة.

المطلب الثاني:

منهجية الدراسة، وحدودها، ومصطلحاتها وتعريفاتها الإجرائية

أولاً: منهجية الدراسة

وظّف هذا البحث مناهج عدة تتناسب وموضوعه، وتسعى لتحقيق أهدافه، وفيما يلي بيان موجز لهذه المناهج:

المنهج الاستقرائي:

يرجع أصل الاستقراء في لغة العرب إلى معنى التتبع والجمع والضم، ومنه القرو وهو الحوض الذي يُجمع ويُفْرغ فيه، وقرا البلاد بمعنى تتبعها أرضاً أرضاً يسير فيها وينظر حالها وأمرها.^(١) وترجع كلمة استقراء في اليونانية إلى (Enay Wyn) ومعناها يقود؛ بمعنى قيادة العقل إلى التتبع والاستنباط وغيرها من العمليات العقلية.^(٢)

والمنهج الاستقرائي يقوم على استقراء الظاهرة المراد دراستها،^(٣) وهو أنسب المناهج البحثية لجمع المعلومات من مظانها ومصادرها؛ ذلك بتتبع مفردات الموضوع واستقراءه في الكتب والمراجع السابقة على اختلاف أنواعها، وانتقاء ما له علاقة منها بمفردات موضوع البحث، ومحاولة الربط والتوفيق بينها؛ مقارنة وترجيحاً، ثمّ توظيفها في معالجة مشكلة البحث وتحقيق أهدافه، بعد تتبع جزئياتها للوصول إلى استنتاج أو حكم كلي.^(٤)

المنهج التحليلي:

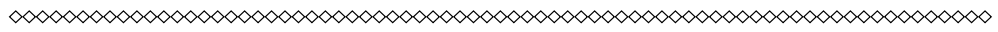
هو إجراء عمليات عقلية متنوعة من قراءة وتأمل وتفكيك ومقارنة تستهدف تركيبية النصّ؛ لأجل استنباط ما ينطوي عليه النصّ من محاميل يمكن تصنيفها وتوظيفها في الميدان المراد دراسته. ويمكن أن يأخذ التحليل منهج التحليل النظري أو الكيفي أو النوعي باستخدام أداة العقل

(١) انظر: الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٢٥٢، وابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويضي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ج ١٥، ص ١٧٥، وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٥، ص ٦٥

(٢) العرفج، محمد عبد العزيز، بحث ماجستير مقدم في قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ١٤٢٥/١٣٦هـ، منشور على موقع <https://com.blogspot.qawaneen/>

(٣) انظر: مرسي، أحمد بن مرسي، الأسس العلمية لبحوث الإعلام والاتصال، الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٢م، ص ٩٣

(٤) انظر: الحيزان، محمد بن عبد العزيز، البحوث العلمية، أسسها وأساليبها ومجالاتها، الرياض، ط٣، ٢٠١٠م، ص ١٢



المعتمدة على النظر والتأمل والاستنباط وغيرها، ويمكن أن يأخذ شكل التحليل الكمي من خلال أدوات القياس الكمي المعتمدة على المقاييس الإحصائية.^(١)

المنهج الاستشراقي؛

يرجع معنى الاستشراق في اللغة إلى معاني النظر إلى الشيء البعيد ومحاولة التعرف عليه، واتخاذ السبل التي توصل إلى ذلك بدقة كالصعود إلى مكان مرتفع يتيح فرصة أكبر للاستطلاع. والمنهج الاستشراقي هو منهج يقوم على محاولة استكشاف المستقبل وفق الأهداف المخطط لها، باستخدام أساليب كمية تعتمد على قراءة أرقام الحاضر والماضي، أو أساليب كيفية تستنتج أدلتها من الآراء الشخصية القارئة لمجرى الأحداث، ومن المهم لهذا الاستشراق أن يعتمد على ذلك النوع من المتغيرات القابلة أن تُبنى عليها السياسة التحسينية.^(٢)

وقد استفاد الباحث من المناهج الثلاثة أنفة الذكر في إخراج هذا البحث؛ فاعتمد على المنهج الاستقرائي في تتبع الروايات الحديثية وجمعها مما وردت فيها إشارات نبوية من النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن يستدل بمضمونها على تطور وسائل الاتصال وتقنياته من بعد عهد النبوة وحتى آخر الزمان، واعتمد فيها على الروايات المقبولة سنداً (صحيحة أو حسنة).

ووظف الباحث المنهج التحليلي الخاص بتحليل النصوص في تحليل ألفاظ ومضامين الروايات الحديثية الواردة عن النبي ﷺ، والتي تحمل إشارات نبوية صريحة أو ضمنية حول تطور وسائل الاتصال وتقنياته.

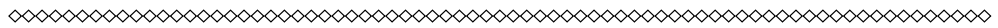
كما استفاد الباحث من المنهج الاستشراقي في محاولة الاستدلال بما ورد في الروايات الحديثية من إشارات توحى بتطور وسائل الاتصال وتقنياته في المستقبل من بعد عهد النبوة وحتى آخر الزمان، مما لعله يسهم في تقديم رؤية مستقبلية مبنية على نبوءات غيبية مستقبلية وردت في الروايات الحديثية التي تسنى للباحث جمعها والاطلاع عليها.

ثانياً: حدود الدراسة :

تحدد هذه الدراسة في استقراء الروايات الحديثية المتضمنة في الكتب المتخصصة في أشراف الساعة، واعتمدت على:

(١) خطاطبة، عدنان مصطفى، أسس ومهارات التحليل والاستنباط التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ١٠، ٢٠٢١م، ص ٥٢، ٥١

(٢) الجابري، نيف بن رشيد، وبيومي، كمال حسني، والمحيسن، إبراهيم بن عبد الله، استشراق مستقبل التعليم بمنطقة المدينة المنورة تطبيق السلاسل الزمنية، المجلة الدولية للبحوث النوعية المتخصصة، عدد ١٢، ص ٥٦-١٥١، <https://search.mandumah.com> و <http://www.shatharat.net>



كتاب اتحاف الجماعة بما ورد في الفتن وأشراط الساعة، للتويجري؛^(١) كون هذا الكتاب من أجمع الكتب الحديثة (المعاصرة) في الفتن، بالإضافة إلى كونه قد خرّج الروايات وحققها. موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة، للدكتور همام سعيد؛^(٢) كونها موسوعة تصنيفية منهجية لأحاديث الكتب الستة ومسند الإمام أحمد ورواياتها من كتب السنة، وقد تميّزت هذه الموسوعة بأن رواياتها مصنفة ومخرّجة، مع الحكم عليها والتعليق عليها وشرح موجز لها. وقد تحددت هذه الدراسة في الروايات المقبولة (الصحيحة والحسنة) في ضوء ما حكم عليه العلماء وعلماء الحديث الشريف.

ثالثاً: مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية الإشارات النبوية:

تعرّف الإشارات النبوية في هذه الدراسة إجرائياً بأنها: الإلماحات الضمنيّة الواردة في الأحاديث النبويّة الشريفة الثابتة (الصحيحة أو الحسنة) المتضمنة نبوءات غيبية مستقبلية عن أخبار أو أحداث أو مستجدات مستوحاة من سياق رواياتها، وتبقى ضمن دائرة الاجتهاد المقنن لاستشراف المستقبل من غير تكييف لها أو تعيين زمانها أو تحديد مكانها أو شكل وقوعها. الاستشراف: يُعرّف الاستشراف إجرائياً في هذه الدراسة بأنه رؤية مستقبلية اجتهادية لما ستكون عليه وسائل الاتصال في المستقبل القريب أو البعيد في ضوء ما تحتمله مضامين الروايات الحديثية الثابتة عن النبي ﷺ.

المبحث الثاني:

الدراسات الاستشرافية المستقبلية

المطلب الأول: مفهوم الدراسات الاستشرافية وتاريخها

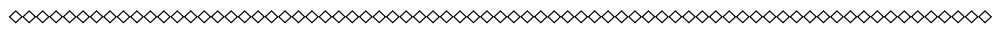
أولاً: مفهوم الدراسات الاستشرافية

يرجع معنى الاستشراف في اللغة إلى معاني النظر إلى الشيء البعيد ومحاولة التعرف عليه، واتخاذ السبل التي توصل إلى ذلك بدقة كالصعود إلى مكان مرتفع يتيح فرصة أكبر للاستطلاع.^(٣)

(١) التويجري، حمود بن عبد الله، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، دار الصميعي للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٦، والثانية ١٤١٤هـ.

(٢) سعيد، همام عبد الرحيم، ومحمد همام سعيد، موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة، مركز دراسات السنة النبوية، وجهاد الأستاذ للنشر، ومكتبة الكوثر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ، وط٢، ١٤٢٩هـ.

(٣) انظر: لوصيف، عمار، الدراسات الاستشرافية: مقارنة مفاهيمية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، عدد ٤٤، ديسمبر، ٢٠١٥م، مجلد ب، ص ٢٥٩.



أول من توصل إلى اصطلاح دراسة المستقبل هو المؤرخ الألماني «أوسيب فلنختاهيم» عام ١٩٣٠م، تحت اسم Futurology وهو الاسم الشائع للدراسة المستقبلية في اللغة الإنجليزية، ويقابله المصطلح الفرنسي (Prospective) للعالم «جاستون برجيه». ويمكن تعريف الدراسات المستقبلية بأنها «مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية، والعمل على إيجاد حلول عملية لها، كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث في المستقبل. كما أمكن تعريف الدراسات المستقبلية بأنها «التنبؤ المشروط من منظور احتمالي وعلمي نسبي»^(١).

والمنهج الاستشراقي هو منهج يقوم على محاولة استكشاف المستقبل وفق الأهداف المخطط لها، باستخدام أساليب كمية تعتمد على قراءة أرقام الحاضر والماضي، أو أساليب كيفية تستنتج أدلتها من الآراء الشخصية القارئة لمجرى الأحداث، ومن المهم لهذا الاستشراق أن يعتمد على ذلك النوع من المتغيرات القابلة أن تُبنى عليها السياسة التحسينية. (الجابري وآخرون، ٢٠١٩م)^(٢)

وينظر Shane إلى الدراسات الاستشرافية على أنها < تخصص علمي جديد يختص بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات في مختلف مجالات السلوك الإنساني. (عامر، ٢٠٠٨، ص ٢٠)^(٣)

وتتجه الدراسات الاستشرافية في حقل العلوم الاجتماعية إلى تحديد اتجاهات الأحداث في المستقبل وتحليل مختلف المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في الاتجاهات أو في حركة مسارها، وذلك من أجل الوصول إلى أفضل مستقبل بديل.

ويمكن القول، أن الدراسات الاستشرافية هي علم جديد، يقوم على تقييم الماضي والحاضر، وتحديد المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في المستقبل، وذلك من أجل الوصول إلى البديل الأفضل.^(٤)

ويميّز الباحثون والمهتمون بالدراسات الاستشرافية المستقبلية بين ثلاثة مفاهيم أساسية للدراسات الاستشرافية، هي:

(١) سكارى، محمد، منهجية حول الدراسات الاستشرافية. المركز الوطني للتجديد البيداغوجي والبحوث التربوية، ٢٠١٥، <https://www.politics-dz.com>

(٢) الجابري، نياف بن رشيد، ويومي، كمال حسني، والمحسن، إبراهيم بن عبد الله، استشراق مستقبل التعليم بمنطقة المدينة المنورة تطبيق السلاسل الزمنية، المجلة الدولية للبحوث النوعية المتخصصة، عدد ١٢، ص ٥٦-١٥١ <https://search.mandumah.com> و <http://www.shatharat.net>

(٣) عامر، طارق، أساليب الدراسات المستقبلية، دار اليازوري، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ٢٠

(٤) لوصيف، عمار، الدراسات الاستشرافية: مقارنة مفاهيمية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، عدد ٤٤، ديسمبر، ٢٠١٥م، مجلد ب، ص ٢٦٠



التصور: (Spéculation): يقصد الباحثون بهذا المفهوم، العملية التي من خلالها يتم تكوين صورة متكاملة للأحداث في فترة مستقبلية، وتتأثر هذه الصورة المستقبلية بعوامل الابتكار والخلق والخيال العلمي من جانب الباحث في محاولة لتصميم هذا التخييل المستقبلي.

التوقع المحسوب (Projection): يشير هذا المفهوم إلى العملية التي تقوم على فهم وإدراك تطور الأحداث من الحاضر إلى امتداد زمني مستقبلي؛ لمعرفة اتجاه التغير وطبيعته اعتماداً على استخدام معلومات متنوعة عن الحاضر وتحليلها، والاستفادة منها لفهم المستقبل.

التنبؤ: (Forecasting) وهو يتضمن محاولة تكوين صورة مستقبلية متنوعة محتملة الحدوث، كما يتضمن في نفس الوقت دراسة المتغيرات التي يمكن أن تؤدي إلى احتمال تحقيق هذه الصورة المستقبلية.^(١)

وفي ضوء المفاهيم السابقة للاستشراف، وفي إطار تطبيقه في سياق هذه البحث المتخصص حول النظرة الاستشرافية المستقبلية لما قد يستجد من تطورات على وسائل الاتصال وتقنياته، فيجدر التأكيد على إن هذا البحث لا يُعدّ من التنجيم أو الرجم بالغيب، ولا يعتمد على الخيال العلمي أو الخرص أو التخمين، ولا يستند إلى حسابات منطقية أو عقلية، ولا ينهض على توقعات مبنية على تقديرات ذاتية أو استطلاعات رأي ميدانية، ولا وإنما يعتمد على روايات حديثة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ يستقرؤها ويستوحي مما ورد فيها من إشارات نبوية مستقبلية، تحمل دلالات ضمنية يمكن استشراف المستقبل من خلالها حول واقع وسائل الاتصال أو ما قد تؤول إليه في المستقبل القريب أو البعيد.

وتبقى هذه اجتهادات في فهم النص واستشراف أبعاده ودلالاته في الواقع أو في المستقبل، قد تكون سبباً في فتح آفاق جديدة أمام المختصين للبحث في هذا المجال واستخلاص معانٍ أكثر دقة أعمق فهماً، وتسهم في خدمة النص النبوي الكريم ونفع الإنسانية.

كما أنّ إبراز مثل هذه الروايات قد يكون من سبل الهداية التي تشير إلى نبوة النبي ﷺ في إخباره عن أنباء مستقبلية ونبوءات استشرافية، ويكون ذلك من سبل الهداية والتصديق بنبوة النبي ﷺ في حال انطبقت هذه النبوءات مع الواقع ووفق ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه أو أشار إليه، «فالإشارة العلمية سبيل للهداية الإسلامية؛ إذ أنّ الحقائق العلمية الواردة في الأحاديث النبوية لم تأت لمجرد السرد العلمي، وإنما جاءت للاستدلال بها على حقيقة غيبية، كوجود الله تعالى أو بيان قدرته في خلقه»،^(٢) أو إثبات نبوة نبيه ﷺ.

(١) عامر، طارق، أساليب الدراسات المستقبلية، دار اليازوري، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ١٩

(٢) غنيم، كارم السيد، الالتزام بالنهج العلمي لدراسة الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية، منشور في موقع الإعجاز في القرآن والسنة، ٢٠١٩م، <https://com.m-quran/>

ثانياً: تاريخ الدراسات الاستشرافية

محاولات استشراف المستقبل جزء أزلني من ثقافة البشرية؛ فالإنسان العادي طالما انشغل بالتنجيم واستخدم الطلاسم وغيرها من الخرافات، دافعه إلى ذلك الشوق إلى معرفة الآتي من الأحداث.

وعبر التاريخ، حاول علماء ومفكرون استشراف المستقبل من خلال رؤى وتصورات مبنية على اعتبارات منطقية واستنتاجات تحليلية تولدت لديهم؛ ولعل من أمثلة هؤلاء أفلاطون في الجمهورية الفاضلة والفارابي في المدينة الفاضلة ومالتوس في النظرية المتشائمة لمستقبل البشرية، وأبو بكر بن طفيل في رسالته حي بن يقظان، وفوكوياما صاحب نظرية نهاية التاريخ. ونجد أن آينشتاين يبرر اهتمامه بالمستقبل عندما سُئل: لماذا تهتم بالمستقبل؟ فأجاب: ببساطة لأنني ذاهب إلى هناك، وجميع البشر ذاهبون للمستقبل. ويُعد ابن خلدون من أكثر المفكرين انفتاحاً على المستقبل، وأكثر المطوعين للمستقبل في اتجاه الاستشراف؛ فقد استشرَف مفاهيم العولمة التي اشتهرت في العقود الأخيرة، فرأى أن الحضارة الإنسانية هي إرث للجميع وغيرهم.^(١) ويظهر مما سبق أن الاهتمام بالمستقبل كعلم، وبالاستشراف كألية وإستراتيجية، ضارب في القدم ولكن ظهور المصطلح بهذه التسمية، «علم المستقبل» أو «الاستشراف»، هو حديث ويعود على الأرجح إلى العالم الألماني أوسيب فلختهايم (Flechtheim Ossip)، وتزامنت البدايات الأولى للدراسات المستقبلية في الغرب مع الحرب العالمية الثانية، حيث نشأت دراسة المستقبليات في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في مجال الدراسات الإستراتيجية العسكرية، ولكن البدايات الفعلية للدراسات المستقبلية تعود إلى ستينات القرن العشرين، خاصة مع ظهور الحاسب الآلي واتساع تطبيقاته، إلى أن أصبحت الدراسات المستقبلية همّاً يشغل المنظمات الدولية والمراكز البحثية والمعاهد العلمية وغيرها.^(٢)

وعلى الرغم من الظهور المتأخر للمنهجيات العلمية ذات العلاقة بالدراسات الاستشرافية للمستقبل إلى القرن العشرين، إلا أنها تطورت وغدت اليوم علماً قائماً بذاته له مناهجه المعتمدة، ومجالاته المتعددة، وتنظم لأجله الكثير من اللقاءات والندوات على جميع المستويات الإقليمية والعالمية، وبرزت مفاهيم علمية جديدة، مثل: استشراف المستقبل، والتحليل المستقبلي، والتنبؤ.^(٣)

(١) انظر: باسعيد، ابتسام عبد الله عمر، استشراف الجامعات الحكومية في المملكة العربية السعودية: دراسة استشرافية، أطروحة دكتوراه قسم الإدارة التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٤٤٠هـ، ص ٥٢.

(٢) انظر: فارح، مجدي، الدراسات المستقبلية في الفكر العربي الحديث، مجلة الدراسات المستقبلية، جامع السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٦م، عدد ١٧ (١)، ص ٦-٢٥.

(٣) الذبياني، محمد، دراسات المستقبل: أسسها الفلسفية واستخداماتها في البحوث التربوية في البلدان العربية، مجلة دراسات - العلوم التربوية، الجامعة الأردنية، ٢٠١٧م، مجلد ٤٤، عدد ٤، ١٦٥-١٨٤.



وقد تزايد الاهتمام بالدراسات المستقبلية في السنوات الأخيرة، بحكم تسارع المستجدات والتحديات التي تواجه البشرية في عصر الثورة التكنولوجية وما أملت من فرص ومخاطر ومحاذير، وأصبحت الدراسات الاستشرافية ضرورة ملحة تفرض نفسها على الواقع، وتُسهم في استشراف المستقبل الإنساني.^(١)

المطلب الثاني: الدراسات الاستشرافية في ضوء الإسلام

كون الدراسات الاستشرافية تُعنى بالمستقبل، والمستقبل بما فيه من علم الغيب الذي لا يخضع للعلم التجريدي أو التخميني، فستعرض هذه الجزئية من الدراسة لمنهجية الدراسات الاستشرافية في ضوء الإسلام.

أولاً: أنموذجات من استشراف المستقبل في الإسلام

باستقراء القرآن الكريم، والسنة الثابتة، والسيرة النبوية، يجد الباحث نماذج من استشراف المستقبل ذكرها القرآن الكريم ووردت أمثلة عدة في السنة والسيرة النبوية المشرفة، وفيما يلي بعضها:

في القرآن الكريم

يذكر لنا القرآن الكريم أنموذجات سألنا وأمثلة شاهدة على استشراف المستقبل، وردت على لسان الأنبياء الكرام، ومن ذلك: استشراف نوح عليه السلام لمستقبل قومه تجاه دعوته؛ فقد حدثنا القرآن الكريم عن جانب من دعوة نوح عليه السلام لقومه، فبعد عمر طويل لبثه نوح عليه السلام في قومه يدعوهم وينصحهم ويدلهم على الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤). ولما رأى منهم الصدود والعناد، وآيس من إيمانهم، توجه لله تعالى بالدعاء عليهم قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٦٦) ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦، ٢٧)، وموطن الشاهد الاستشرافي في دعاء نوح عليه السلام ربِّه سبحانه ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾. فما الذي جعل نوحاً عليه السلام يستشرف المستقبل فيجزم بهذا الحكم المستقبلي الغيبي؛ أن قومه لن يؤمنوا وسيبقوا على ضلالهم وسيكونون سبباً في ضلال غيرهم من العباد، وأنه آيس من أن يخرج من أصلابهم من يؤمن، بل سيلدون الفاجر الكافر؟ وبالرجوع إلى ما أورد علماء التفسير في بيان لذلك، نجد أنها تدور على تفسيرين:

(١) انظر: الحوت، محمد، وصلاح توفيق، ووفاء محمود، فعالية الدراسات المستقبلية في التخطيط التربوي، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، ٢٠١٥م، مجلد ٢٦، عدد ١٠٤، ص ١٩٧

الخبرة والاستقراء والمقايسة على تاريخهم ومواقفهم السابقة، وقد ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله ذلك: «وَذَلِكَ لِخَبْرَتِهِ بِهِمْ وَمُكْتَبِهِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا»^(١). وذكر ذلك الإمام الرازي أيضا وغيرهما كثير من المفسرين.

الوحي الإلهي؛ وذلك أن الله أوحى إليه أنه لن يؤمن قومك إلا من قد آمن، قال الإمام الرازي رحمه الله في مفاتيح الغيب: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ عَرَفَ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: لِلنَّصِّ وَالِاسْتِقْرَاءِ، أَمَّا النَّصُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ (هُود: ٢٥) وَأَمَّا الِاسْتِقْرَاءُ فَهُوَ أَنَّهُ لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَعَرَفَ طَبَاعَهُمْ وَجَرِيَهُمْ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَنْطَلِقُ بِأَبْنِهِ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: أَحْذَرُ هَذَا فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، وَإِنْ أَبِي أَوْصَانِي بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ، فَيَمُوتُ الْكَبِيرُ وَيَنْشَأُ الصَّغِيرُ عَلَى ذَلِكَ^(٢). وإلى هذا ذهب أيضا الإمام القرطبي رحمه الله^(٣).

في السنة والسيرة النبوية المشرفة:

الروايات الثابتة في السنة والسيرة النبوية ذات المضامين الاستشرافية للمستقبل متعددة، ومن أولها وأبرزها قصة استشراف ورقة بن نوفل لمستقبل النبي ﷺ مع قومه: ففي حديث بدء الوحي، جاء فيه كلام ورقة بن نوفل للنبي ﷺ حول مستقبل دعوته وموقف قومه منه ومن دعوته: «فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لِيَتَنِي أَكُونَ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مَخْرَجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عَوْدِي، وَإِنْ يَدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصَرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»^(٤).

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث ما يشير إلى مصدر ورقة بن نوفل في رؤيته الاستشرافية لمستقبل دعوة النبي ﷺ وموقف قومه منه، وأن رؤية ورقة كانت نابعة من علمه بالكتب السابقة فقد نص الحديث على أنه كان لديه علم من ذلك، أو لمقايسته على تاريخ الدعوات السابقة وأنه ما من نبي أو مرسل أو مصلح إلا عودي وأذي وأخرج. قال ابن حجر: «فَذَكَرَ وَرَقَةَ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي ذَلِكَ مَجِيئُهُمْ بِالْإِنْتِقَالِ عَنْ مَا لَوْفَهُمْ لِأَنَّهُ عِلْمٌ مِنَ الْكُتُبِ أَنَّهُمْ لَا يُجِيبُونَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَنَّهُ يَلْزِمُهُ لِدَلِيلِكَ مَنَابَذَتُهُمْ وَمَعَانِدَتُهُمْ فَتَنْشَأُ الْعَدَاوَةُ»^(٥).

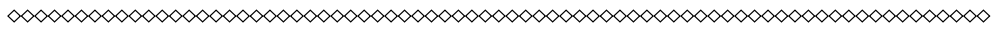
(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٢٢٧

(٢) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ، ج ٢٠، ص ٦٥٩.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٣١٢

(٤) أخرجه الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، حديث رقم (٢)، ج ١، ص ٧

(٥) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين



وهناك أمثلة في القرآن والسنة والسيرة النبوية عدّة تتضمن استشرافات مستقبلية ليس هذا مقام بسطها؛ ويكتفى بما ذكر من مثال في القرآن والسيرة النبوية، من باب التمثيل والاستشهاد لا من باب الحصر والتعداد. وإلا فالتمأمل لسير الأنبياء الكرام وشرائعهم، يجدها نماذج حيّة مليئة بالشواهد الاستشرافية للمستقبل الذي كانوا يتصورون وقوعه.

الاستشراف في نظر علماء الإسلام:

علم الاستشراف (المستقبلات) من العلوم التي عُنِي بها علماء الإسلام، فهو ليس غريباً عن الثقافة الإسلامية؛ فعلماء الإسلام ومفكروهم وفقهاؤها أشاروا لهذا العلم وأصلوا له ووضعوا مناهجه وضوابطه، فابن خلدون قدّم في ذلك نظريته القائمة على المنهج العلمي الرصين المبني على المقايسة والسببية؛ فالأحداث والوقائع التي تجري في الزمن الحاضر ولها ما يُماثلها من الأحداث والوقائع التي جرت في الزمن الماضي وفي المكان نفسه، فإنه يمكننا أن نتنبأ بمستقبلها. فالحوادث، وفق مفهومه، ترتبط مع بعضها بعضاً ارتباط العلة بالمعلول. ولذلك، يؤكد في كتاب «المقدمة» أن استقراء حوادث التاريخ ودراستها تقود إلى معرفة السبب، التي من شأنها أن تساعد على معرفة المسبب، وأن ملامح المستقبل لا بدّ أن تعود إلى أسباب تتفاعل في الزمن الحاضر. وعليه، فإن المستقبل يمكن التنبؤ به على أسس علمية.^(١) قائمة على مهارة التفكير السنني الذي يكشف قوانين العمران وحركة التاريخ، ونجد ابن خلدون قد قدّم في ذلك استشرافات في العولمة والعمران وعلم الاجتماع الإنساني.^(٢)

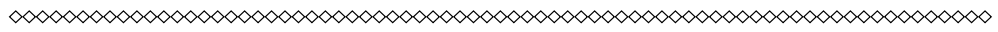
وقد أطلق فقهاء الإسلام على هذا النوع من الدراسات «فقه التوقع»، ويؤكد الدكتور نصر واصل مفتي الديار المصرية الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، أن فقه التوقع مبني على حق الفقهاء في تكوين نظرة عقلية تستشرف المستقبل قبل وقوعه وبناء الأحكام الفقهية اللازمة لهذا المستقبل، فالتوقع قسم فقهي أصيل شديد الأهمية؛ لأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ومن مهام الفقيه العمل على إظهار ذلك، ومن الضروري إذن أن يتوقع داخل عمله الاجتهادي أبعاد الحكم كلها، وجوانبه المختلفة من حيث ما يفضي إليه، وحال الناس في بيئاتهم المختلفة معه، وما سيؤول إليه الأمر في الأزمان القادمة، ففقه التوقع عملية استنباطية

الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج ١، ص ٢٦

(١) الجبوري، عماد الدين، ابن خلدون ونظرية المستقبل (الحلقة الأولى)، الخميس ١١ يونيو، ٢٠٢٠م، <https://www.indexpendentarabia.com>

(٢) انظر: كلمة التحرير لمجلة إسلامية المعرفة، ضرورة الوعي بالواقع وأهميته في فهم النصوص، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة علمية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة ١٧، العدد ٦٧، ١٤٣٢هـ، ص ٦، ومسفر القحطاني، منشورة على موقع الإسلام اليوم، <http://www.islamtoday.net/articles>

عبد الرحمن المصباحي - محمد سيد - تهاني السالم، من بحث: فقه التوقع.. دعوة لاستشراف أحداث المستقبل ودرء للخلافات الفقهية، <http://www.al-madina.com/node/225600/risala>



ذهنية تحمل الفقيه على تتبع مراد الشارع الحكيم من أحكامه، ليدرك أسرار التشريع فيحمل عليها ما استجد في دنيا الناس، ويراد به أمرين أساسيين: استشراف الفقيه النظرة المستقبلية في مآلات اجتهاده، والفقهاء الافتراضي الذي يفترض النازلة قبل وقوعها ليضع لها ما يناسبها من الأحكام. ففقهاء التوقع قد يكون حديثاً في مصطلحه ولكنه قديم في معناه وقد استخدمه واضعو الفقه الإسلامي فتجاوزوا القياس لمراعاة العرف الخاص بالمجتمع وظهور ما سمي بـ «المسائل الفقهية» عند الأحناف هو نوع من أنواع فقه التوقع، والأمة اليوم في حاجة ماسة لإقرار هذا النوع من الفقه، خاصة أن استحضر الواقع واستشراف المستقبل في الفقه الإسلامي أمر ضروري، وليس مطلوباً من العلماء اليوم في ظل المستجدات العلمية المتلاحقة أن ينتظروا الأمر الجديد لكي يبنوا أحكامهم الفقهية عليه، بل المطلوب هو السعي لمعرفة هذه المستجدات والاستعداد لها بأحكام فقهية صالحة تخدم المجتمعات الإسلامية ولا تحرمها من المستجدات الحديثة.^(١)

المطلب الثاني: ضوابط استشراف المستقبل في الإسلام

من المسلمات الإيمانية أن المستقبل من الأمور المغيبة عن البشر، وعلمه عند الله وحده لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٢٤)، إلا أن البشر مع توكلهم وتسليمهم لله مأمورون بالاجتهاد والتخطيط للمستقبل، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطط لبناء الدولة الإسلامية ويعد العدة لها وسار على نهجه خلفائه من بعده والسلف الصالح.^(٢)

واستشراف المستقبل منهج علمي وضع له مؤسسوه قواعده ومبادئه، ومن أهم هذه المبادئ التي تقوم عليها الدراسات الاستشرافية: مبدأ الاستمرارية؛ وهو توقع المستقبل امتداداً للحاضر، واستمرارية الحوادث من الماضي للحاضر للمستقبل. ومبدأ التماثل؛ وهو توقع أن تتكرر بعض أنماط الحوادث كما هي من وقت لآخر. ومبدأ التراكم؛ وهو تراكم نفس الأحكام على نفس الوقائع، مع اختلاف الأشخاص لمدد متفاوت تاريخياً. ومبدأ استخلاص العبرة من الماضي، ومبدأ التنبؤ بالمستقبل، بالإضافة إلى وفرة البيانات التي تقوم عليها الدراسات الاستشرافية

(١) انظر: المصباحي، عبد الرحمن، محمد سيد، تهاني السالم، فقه التوقع؛ دعوة لاستشراف أحداث المستقبل ودرء للخلافات الفقهية، جدة، بحث منشور على موقع المدينة الإلكترونية، ٢٠١٠م، <http://com.madina-al.www/> للاستزادة حول الاستشراف في الإسلام، ينظر: الجميلي، عبد العزيز، الاستشراف النبوي، بحث منشور بتاريخ ٢٠١٦م، على موقع رابطة العلماء السوريين، https://islamsyria.com/site/show_articles/8792

(٢) الجابري، نيف بن رشيد، ويومي، كمال حسني، والمحيسن، إبراهيم بن عبد الله، استشراف مستقبل التعليم بمنطقة المدينة المنورة تطبيق السلاسل الزمنية، المجلة الدولية للبحوث النوعية المتخصصة، عدد ١٢، ص ٥٦-١٥١، <https://search.mandumah.com>، و <http://www.shatharat.net>

ودرجة مصداقيتها ودقتها بما يساعد على ترشيد التفكير الاستشرافي.^(١)

والملاحظ على هذه المبادئ أنها تعتمد على المقايضة العقلية والسببية، من خلال استشراف المستقبل بناء على الماضي أو الحاضر، ومبدأ المقايضة من خلال مقايضة الأحداث والتشابه بينها مع اختلاف البيئة المكانية والزمانية، وهذه مقايسات عقلية، لا تستند إلى أدلة موثوقة، وإنما هي اجتهادات عقلية لا تخرج عن دائرة التوقع والتخمين.

وأما استشراف المستقبل في ضوء الإسلام، فإنه يستند من حيث الأصل إلى أدلة موثوقة ونصوص ثابتة، وتتحصر دائرة الاجتهاد فيه في فهم هذه النصوص فقط، ووفق قواعد وضوابط منهجية، وفيما يلي بيان موجز لأهم المبادئ والضوابط التي تحكم منهج الاستشراف في الإسلام: استشراف المستقبل من النبوءات الواردة عن النبي ﷺ يُعَدُّ من علم الغيب؛ والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩)، أو أوحى به لرسله الكرام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ١٧٩). وبناء على ذلك فإن استشراف المستقبل يخضع لضوابط علم الغيب التي تحرّم ادعاء الغيب وزعمه أو الخوض فيه من غير مستند من قرآن أو سنة ثابتة. ويفضّح الإسلام ويُشَنِّع، ويحرّم ويجرّم من اعتمد على الأدوات والوسائل المحرّمة في استشرافات المستقبل، كالتنجيم أو العرافة أو التنبوءات المظنونة.

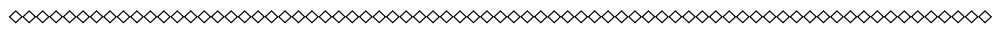
استشراف المستقبل يُستقى من مصادر يقينية شرعية؛ فالاستشرافات المستقبلية والإخبار عن أحداث أو وقائع أو مستجدات غيبية مستقبلية ينبغي أن تؤخذ من مستند يعتمد عليه كالروايات الحديثية الثابتة (صحيحة أو حسنة)، ولا تُستقى من مرويات ضعيفة أو منكورة أو موضوعة؛ لأنها ظنية الثبوت لا موثوقة الثبوت.

وهذا من الضوابط التي أكد عليها جلّ العلماء في التعامل مع أحاديث الغيب المستقبلية والفتن وأشراط الساعة، في ضرورة «حصر مصادر التلقي فيما هو حجة شرعية، وإهدار ما عداه كالأحاديث الضعيفة والموضوعة والاسرائليات، وحساب الجمل المسمى بعلم الحروف، والنامات، والتحليلات الظنية ونحوها».^(٢)

استشراف المستقبل احتمالي الوقوع؛ ويكون هذا في الأخبار التي تستند لروايات صحيحة

(١) يُنظر للتوسع: الجهني محمد فالج، الدراسات المستقبلية شغف العلم وإشكالات المنهج، <http://www.almaref.org> وقلبه عبده فاروق، الزكي أحمد عبد الفتاح: الدراسات المستقبلية منظور تربوي، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٣٥، ومبادئ الدراسات المستقبلية، <http://www.sawsanatalk.com>

(٢) المقدم، محمد بن أحمد بن إسماعيل، فقه أشراط الساعة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، ط٦، ٢٠٠٨م،



لكنها جاءت مجملة لا مفصلة، وضمنية لا صريحة، فينبغي أن تبقى الرؤى الاستشرافية المستقبلية التي تستقى من الروايات الحديثية في مثل هذه الحالات في دائرة التوقع والاحتمال، ولا ينبغي حملها على الجزم والقطع، لأنها في دائرة الغيب التي لا يعلم تفاصيل وقوعها إلا عالم الغيب والشهادة.

وقد أشار لهذا الضابط المقدم في كتابه «فقه أشراف الساعة»: «تبقى هذه الأشراف في دائرة التوقع المظنون دون أن نتكلف إيجادها بإجراءات من عند أنفسنا؛ لأنها أمور كونية قدرية واقعة لا محالة ولم نخاطب باستخراجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة»^(١).

استشراف المستقبل نؤمن بأصله ولا نتكلف تحديد موعد وقوعه؛ وهذا الإيمان يكون في حال وردت نصوص ثابتة تحمل أخباراً أو مضامين استشرافية مستقبلية، فإن المنهج القويم في التعامل معها أن نؤمن بوقوع ما أخبرت عنه جزماً لأنها وردت في نصوص ثابتة لا يجوز إنكارها أو تكذيبها، وتبقى ضمن دائرة الاجتهاد المقنن لاستشراف المستقبل من غير تكييف لها أو تعيين زمانها ومواقيتها أو تحديد مكانها وبيئاتها أو شكل وقوعها أو سياقاتها أو ظروفها.

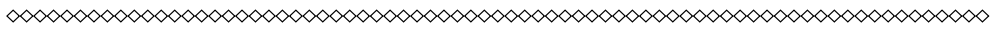
وهذا المنهج نستلهمه من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة عندما أخبرنا بأحداث استشرافية مستقبلية؛ حيث علمنا المنهج القرآني والنبوي أن لا نتكلف تحديد ميعاد حدث مستقبلية وإن كان ورد النص بثبوت وقوعه قطعاً، ففي قصة رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، وهذا ما ذكره القرآن الكريم مؤكداً بأدوات التوكيد، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (الفتح، ٢٧)، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك وهو في المدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب رض الله عنه في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أننا سنأتي البيت ونطوف فيه؟ قال: «بلى، فأخبرت أنك تأتيه عامك هذا؟» قال: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به»^(٢). وثمة أمثلة أخرى منها ما ورد من بشارة في مطلع سورة الروم بأن الروم ستغلب الفرس، فالآيات أخبرت بهذا الخبر الاستشرافي الغيبي المستقبلي، لكنها لم تحدد وقت وقوعه بعام على وجه التعيين.

استشراف المستقبل تُبنى على الاجتهاد في الفهم من غير تكلف إسقاطها على الواقع؛ فالنصوص الثابتة التي تتضمن أخباراً أو إشارات استشرافية مستقبلية (ظنية لا محكمة)^(٣) يمكن

(١) المقدم، محمد بن إسماعيل، فقه أشراف الساعة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط٦، ٢٠٠٨م، ص ٢٥٥

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص ٣٥٦.

(٣) المقدم، محمد بن أحمد، فقه أشراف الساعة، ص ٢٧٣



إعمال العقل في فهمها والاجتهاد في استبانة دلالاتها، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في إطار الاجتهاد العلمي المقتن الذي يعتمد على ألفاظ النصوص ودلالاتها في سياقها بما يتفق مع معانيها في لغة العرب، مع ضرورة تجميع الروايات في السياق الواحد، وتربيط النصوص بعضها ببعض، وفهما مكتملة لا مجزأة.

ويشترط أيضاً أن لا يُصار إلى التعطيل أو رد النصوص الثابتة، قال المقدسي في كتابه «لمعة الاعتقاد»: «الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ، وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه: مثل: حديث الإسراء والمعراج، ومن ذلك أشراط الساعة: مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل...»^(١).

ولا ينبغي حمل الألفاظ على الرمزية هروباً من عدم القدرة على استيعاب مضامينها أو عدم استهجان وقوعها، كما فسر بعضهم الروايات في الدجال، بأن الدجال ليس حقيقة وإنما يرمز للشر، والمهدي يرمز للخير، ومن أمثال هؤلاء محمد عبده فيما نقله عنه تلميذه محمد رشيد رضا، قال: «سئل الشيخ محمد عبده عن المسيح الدجال، وقتل عيسى له؟ فقال: إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها»^(٢).

ومما ينبغي الحذر منه أيضاً عدم تكلف إسقاط النصوص ذات المضامين الاستشرافية المستقبلية على وقائع أو أحداث بعينها، أو الجزم بأن المقصود منها كذا وكذا، وإنما المنهج الحق هو الإيمان بما ثبت منها وأما تكييف وقوعها فلا يصار إلى تفسير كفيته ولا زمانه، ويترك ذلك إلى حين وقوعه. وعلى ذا مضى الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا يتلقون من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث المتضمن لخبر مستقبلي غيبي، فيؤمنون به، فإذا مرّ بهم ووقع تذكروا فقالوا بذا أخبرنا رسول الله ﷺ.

وقد أفاض العلماء والباحثون في بيان منهج التعامل مع روايات أحداث المستقبل، وضوابطها وشروطها، بما لا يتسع المقام لبسطه، ويُعني ما تم لإيراده وذكره آنفاً.^(٣)

(١) المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، لمعة الاعتقاد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٢٨ - ٣١

(٢) الشрман، خالد، وبواعة سعيد، أحاديث الفتن: مفهومها، والتصنيف فيها، وقيمتها العلمية، وقواعد فهمها، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج ١٢، ع ٤، ٢٠١٦م، ص ١٢٥، وللاستزادة حول أمثلة أخرى، يُنظر: المقدم، فقه أشراط الساعة، ص ٢٨٦ - ٢٩٣

(٣) يمكن الاستزادة من كل: المقدم، فقه أشراط الساعة، وحوي، محمد سعيد حوى، منهج التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل، جامعة مؤتة، كلية الشريعة، أصول الدين، ٢٠١٦م. والشрман، وبواعة، وأحاديث الفتن، و غنيم، الالتزام بالمنهج العلمي

المبحث الثالث:

الروايات الحديثية المتضمنة للإشارات النبوية إلى تطور وسائل الاتصال

إن المتأمل لأحاديث النبي ﷺ في سياق حديثه عن أحداث غيب المستقبل؛ ليقف على أخبار غيبية ونبوءات مستقبلية سبق أن أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرم قبل قرابة خمسة عشر قرناً، ومن ذلك ما ذكره صلى الله عليه وسلم من أمارات الساعة وأحداث آخر الزمان ومستجداته. ورواها عنه صحابته الكرام سيما المهتمون منهم رضوان الله عليهم والمتخصصون في أحاديث الفتن وأشراط الساعة كالصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي روى حديثاً صريحاً في إخبار النبي ﷺ عما يكون إلى آخر الزمان، فقال حذيفة رضي الله عنه: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه».^(١)

وروى ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قد رفع لي الدنيا؛ فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه».^(٢)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يُقَلَّب جناحيه جناحيه في الهواء إلا ذكرنا منه علماً».^(٣)

وقد نُقلت إلينا من الروايات المختلفة في متونها ومضامينها، والمتباينة في درجتها وأسانيدها بين الصحيح والحسن والضعيف ما يخبر عن أحداث ومستجدات متنوعة؛ فمنها ما وافق ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم تماماً، ومنها ما شابه وقارب إشارات النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.^(٤)

ينبغي على الباحث أن ينهج منهج التوازن في تلقي مثل هذه الأخبار والآثار؛ فلا يبالغ في محاولة ليّ عنق النصوص وإنزالها على ما يستجد من أحداث وتطورات ومستجدات ويفسرهما

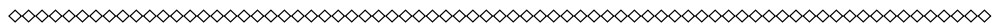
لدراسة الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية، مراجع سابقة

(١) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري رحمه الله.

(٢) رواه الطبراني، حديث ١٦٤٧، ج ٢، ص ١٥٥، ورجاله رجال الصحيح

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢ م، حديث ١٦٤٧، ج ٢، ص ١٥٥، ورجاله رجال الصحيح ورواه الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، حديث ١٣٩٧٣، ج ٨، ص ٢٦٤

(٤) يمكن الرجوع والاستزادة والإفادة من الكتب المتخصصة في أشراط الساعة وأماراتها، ومنها: إتحاق الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد الله التويجري، الأجزاء ١ - ٣.



بها، وكذا لا يسلك طريق المنكرين والمستكرين ممن يببالغ في محاولته تنزيه النصوص عن مستجدات قد تتحور أو تتغير وتتبدل؛ فالأول مبالغ في الإقحام والآخر مبالغ في التنزيه والإحجام. ومن أهم ما تجنيه الأمة في دراستها لمثل هذه الآثار أنه يعمق إيمان أفرادها بنبوءة النبي صلى الله عليه وسلم بإخباره عن الغيب المستقبلي والانتباه إلى عظيم معجزاته، توظيفها في ميدان دعوة الآخرين من غير المؤمنين والاستشهاد بها على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه رسول لا ينطق عن الهوى مما قد يقنع الآخرين بدعوته ويفتح قلوبهم وعقولهم للإيمان به وبرسالته، فضلا عن أن أخذ هذه الآثار ووضعها على مائدة البحث العلمي يطلع الباحث المنصف من خلال إشارات النبي صلى الله عليه وسلم وإخباراته على فوائد وفرائد، ولطائف ونصائح وتوجيهات ينتفع بها ويستثمرها في حياته، فتكون بمثابة بوصلة تحدد له الطريق القويم الذي يسلكه.

وقد أفرد التويجري في إتحاف الجماعة فضلا خاصا أورد فيه أقوال أهل العلم الثقات في وجوب الإيمان بما صح من أخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار ونبوءات، ومن ذلك ما أورده من كلام أبي محمد المقدسي في كتابه لمعة الاعتقاد، قال: «يجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحَّ به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه...»^(١).

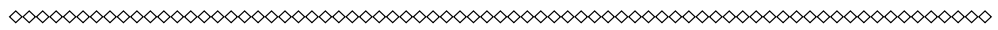
وفيما يخصّ موضوع هذا البحث؛ فقد وردت أخبار وآثار فيها إشارات نبوية حول وسائل الاتصال وتطور تقنياته، وسأذكر فيما يأتي أبرز هذه الروايات وما فهمه العلماء منها من إشارات فيما يخص وسائل الاتصال وتقنياته، وإيرادها لا يعني الجزم والقطع بدلالاتها على ذلك، وإنما هي من باب التنبية إليها ولفت أنظار الدارسين والمهتمين بها، ولتكون محل دراسة ونظر وتأمل وتفكر، وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول: الروايات التي تشير إلى انتشار الإسلام وعلاقتها بتطور وسائل الاتصال

يُعرض تحت هذا المطلب بعض الروايات الحديثية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، المتضمنة بشارته صلى الله عليه وسلم بانتشار الإسلام ووصوله إلى أرجاء واسعة، وأماكن يبلغها النهار أو يغشاها الليل، وهي تحمل إشارات يُستوحى منها أنّ ثمة وسيلة قادرة على إيصال رسالة السلام وحملها إلى حيث يبلغ الليل والنهار، وفيما يلي ذكر هذه الروايات وبيانها:

الحديث الأول: عن المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ،

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة، حمود بن عبد الله التويجري، ج ١، ص ٦



يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض من بيت مدر^(١) ولا وير^(٢) إلا أدخل الله عليهم كلمة الإسلام بعز عزيز، أو بذل ذليل، يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فلا يدينوا لها.»^(٣)

الحديث الثاني: عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وير إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل يعز بعز الله في الإسلام و يذل به في الكفر.»^(٤)

الحديث الثالث: عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ مَلِكَ أُمَّتِي سَيَبِيعُ مَا زَوَى لِي مِنْهَا...»^(٥)

هذه الأحاديث الثلاثة الصحيحة الثابتة، وإن اختلفت طرقها، وتباينت ألفاظها، إلا أنها تشير إلى معنى واحد، وتحمل في مضمونها بشارة مستقبلية ينبئ بها النبي صلى الله عليه وسلم، ويبشر أمته على مستقبل الإسلام أن رسالته ستبلغ الدنيا.

قال الإمام القاري في شرحه وتعليقه على حديث المقداد رضي الله عنه: «أي أدخل الله تعالى كلمة الإسلام في البيت ملتبسة بعز شخص عزيز أي يعزه الله بها حيث قبلها، أو بذل ذليل أي أو يذله الله بها حيث أباهها. ثم فسر العز والذل بقوله: (إما يعزهم) أي قوما أعزوا الكلمة بالقبول (فيجعلهم من أهلها) بالثبات إلى الممات (أو بذلهم) أي قوما آخرين لم يلتفتوا إلى الكلمة وما قبلوها، فكأنهم أذلوها، فجوزوا بالإذلال جزاء وفاقا. وإذا كان الأمر كذلك فتكون الغلبة لدين الله طوعا أو كرها، وقيل: إن في آخر الزمان لم يبق على وجه الأرض محل الكفر، بل جميع الخلائق يصيرون مسلمين إما بالطوع والرغبة ظاهرا وباطنا، وإما بالإكراه والجبر، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَيَكُونُ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ.»^(٦)

قال الألباني رحمه الله: «في هذا الحديث بيان أن الظهور المذكور في الآية لم يتحقق بتمامه

(١) المدر: الطين اللزج المتماسك، وما يصنع منه مثل اللبن والبيوت وهو بخلاف وبر الخيام

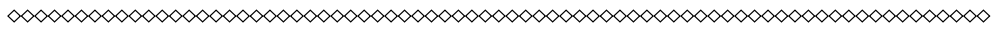
(٢) الوبر: صوف الإبل والأرانب ونحوهما والمقصود أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم منهم

(٣) رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، حديث رقم: ٨٤٤٢.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه، المستدرك بتعليق الذهبي، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، المحقق: تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، حديث رقم ٨٢٢٦. وقال في التعليق: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وذكره الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة، وقال صحيح، ج ١، ص ٣٢، برقم ٣

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٢٥٤هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٢، حديث ٧٦١٤، ج ١٥، ص ١٠٩، قال الأرنؤوط في تعليقه وتحقيقه عليه في صحيح ابن حبان: إسناده صحيح على شرط مسلم

(٦) القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١١٦، ح ٤٢.



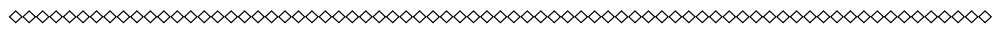
وإنما يتحقق في المستقبل ومما لا شك فيه أن دائرة الظهور اتسعت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ولا يكون التمام إلا بسيطرة الإسلام على جميع الكرة الأرضية وسيحقق هذا قطعاً لإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك»^(١).

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه البشارة المستقبلية بأدوات التوكيد اللفظية التي تُفهم السامع وتؤكد للقارئ أنها نبوءات صادقة وبشائر واقعة بإذن الله تعالى، ومن هذه المؤكدات: قوله: ﴿لِيُبلِغَنَّ هذا الأمر﴾ فافتتاح البشارة بلام التوكيد في أولها، ونون التوكيد الثقيلة في آخرها لتدل على توكيد الخبر وتحمل دلالة القسم عليه، وكأنه يقول صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمتة والعالمين: والله لبلغنَّ هذا الدين. والمؤكد الثاني قوله ﷺ: (إنَّ الله) فتأكيد النبي ﷺ مضمون خبره وبشارته ب (إنَّ) وهي من أدوات التأكيد، فضلاً عن استخدامه صلى الله عليه وسلم ألفاظ العموم في إخباره بهذه البشارات النبوية (لا يبقى على ظهر الأرض من بيت مدر)، فالنفي هنا نفي استغراق؛ لأن (من) تفيد الاستغراق؛ أي إنَّ ما أخبر به من انتشار الإسلام وبلوغ رسالته للعالمين، ستستغرق كلَّ مكان في الدنيا يعمه ليل أو يصله نهار، وسواء كان ذلك بيت مدر أو بيت وبر .. وصيغ التأكيد هذه تدل دلالة قطعية على أنَّ ما بشر به النبي ﷺ أمته، وما أخبر به عن مستقبل دعوته ورسالته لا محالة صائر ولا شك واقع.

وكون هذه الأخبار النبوية الغيبية المستقبلية التي بشرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم، أخباراً ثابتة موثوقة السند والرواية، فإننا نقف أمامها موقف المؤمنين بها والمصدقين بموعودها؛ لأنها نبوءات قالها نبيٌّ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، بل أراه الله تعالى ذلك عياناً حين زوى له الأرض أمام عينيه ينظر إلى ما سيكون عليها في مستقبل الأيام من أحداث، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يخبر أصحابه الكرام بما يراه أمام عينيه ويصف لهم ما سيكون وصفاً واقعياً كما رآه. وعلى لمؤمن أمام هذه النبوءات أن يصدق بمضمونها ويسعى جاهداً لفهمها واستشراق دلالاتها ومستقبل وقوعها، في إطار ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وبما لا يخرج النص عن سياقه ودلالات معانيه.

والمتأمل لهذه الأحاديث يجد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد بشر ببلوغ رسالته ودينه، وأنها ستتغلب على كافة الظروف البشرية (.. أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل)، والظروف المكانية (ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين)، (وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها)، والظروف الزمانية (ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار) أمَّا تغلبه على الظروف البشرية الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم (.. أدخله هذا الدين

(١) الألباني، محمد ناصر الدين، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ج١، ص١١٢.



بعز عزيز أو بذل ذليل) فيفهم من هذا أنّ دين الإسلام ورسالة النبي ﷺ لن يتمكن أحد من الوقوف في وجه انتشارها ووصولها للعالمين وبلوغها الآفاق التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه في وسلم: (ما بلغ الليل والنهار)، ودخولها البيوت على اختلاف أشكالها وأنواعها (ما من بيت مدر ولا وبر).

ولوتأملنا أفاض الحديث الشريف بعناية، لوجدنا أنّ النبي ﷺ وهو الذي أوتي جوامع الكلم، قد أخبرنا بدخول الإسلام بيوت العالمين (بعز عزيز أو بذل ذليل)، فالباء في نص الحديث لها دلالتها، إذ أنّ معاني حرف الباء كما ورد في كتب «حروف المعاني» أنها تقيّد معنى السببية أو الاستعانة^(١) وبالتالي فإنّه سيُسهم في بلوغ الإسلام للعالمين: المسلم وغير المسلم؛ المسلم المعتز بالإسلام الراضي به، والمنكر للإسلام الرافض له والمحارب له، وسيكونون جميعاً سبباً ووسيلة يُستعان بهم في إيصال رسالة الإسلام للعالمين. أمّا المسلم فهو ينشره معتزاً به وداعية إليه، وأمّا غير المسلم – ولو كان منكرًا ومعاديًا له – فإنّه سيكون سبباً في وصول رسالة الإسلام للعالمين، ولعلّ ذلك من خلال ما يستحدثونه من أدوات ووسائل ويطورونه من تقنيات ومستحدثات، تُوظّف في خدمة الإسلام ونشر رسالته للعالمين، وهذا واقع حقيقة؛ فالتقنيات الاتصالية اليوم التي امتلأت بالمواقع الخاصة بالإسلام، وأصبح يوظفها الدعاة والمسلمون من خلال الشبكة العالمية للانترنت، وعبر الفضائيات والمنصات الافتراضية العالمية، الذين استحدثوها وطوروها وما زالوا هم من غير المسلمين، فكانوا من خلال استحداثها وتطويرها سبباً في استخدامها وتوظيفها في نشر رسالة الإسلام وإيصالها للعالمين.

والأحاديث تشير إلى أنّ الإسلام سيبلغ كلّ مكان، ففي قوله (ما بلغ الليل والنهار)؛ فليس ثمة مكان إلا ويبلغه ضوء النهار أو يلفه ظلام الليل، وقوله أيضاً (ما من بيت مدر ولا وبر) فهذا لاستغراق جميع أنواع البيوت التي يسكن فيه الناس، وهذا مما لا طاقة لدعاة المسلمين أن يبلغوه من خلال رحلاتهم الدعوية وإن كثروا، ولا من خلال الاتصال الوجيه المباشر، ولعلّ الوصول إلى هذا يكون من خلال وسائل وتقنيات واسعة الانتشار وذات قدرات وإمكانات تخترق الحواجز والحدود، تُوظّف في نشر رسالة الإسلام إلى كلّ مكان دون استثناء، فتغطي الأرض والفضاء، وتبلغ ما بلغ الليل والنهار، وإنّ تقنيات الاتصال الرقمية والبيث الفضائي واسعة الانتشار باتت اليوم لها القدرة على ذلك بما لا يكاد يخفى على أحد. ولعلّ ذلك يتطوّر في مستقبل الأيام بما يحقق انتشاراً أوسع ووصولاً أبلغ.

(١) انظر: المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٣٩

المطلب الثاني: الروايات التي تشير إلى تواصل العجماءات والجمادات مع البشر

يُعرض تحت هذا المطلب بعض الروايات الحديثية الثابتة عن النبي ﷺ، المتضمنة إخباره عن خوارق ستقع، وهي أن تتحدث العجماءات والجمادات بلغة بيّنة مع الإنسان، وفيما يلي ذكر هذه الروايات وبيانها:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده»^(١).

وفي هذا الحديث الشريف يُقسم النبي ﷺ على ما يخبر به في نص الحديث؛ وهي من خوارق الأمور التي لم يعتد الناس على مثلها، ولم تحصل في واقعهم، وإنما ستقع في مستقبل الأيام، ودل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى ..) فهو إخبار عن غيب مستقبلي يقع فيه ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم، ونظراً لكون ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم غير مألوف ولم يسبق وقوع مثله في واقع من يحدثهم، لذا أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأخبار بالقسم: (والذي نفسي بيده).

ومضمون ما أقسم عليه النبي ﷺ من جنس الغرائب والعجائب وخوارق العادات، لأن الأنصاف التي ذكرها من جنس العجماءات أو الجمادات التي لا يصدر عنها كلاماً بيتاً، وهذه الخوارق: تكليم السباع الأنس؛ والسباع من جنس الحيوانات العجماءات، ومثلها ليس لا يحدث البشر ولا يكلمهم. وأمّا الأنصاف الثانية فهي من جنس الجمادات: عذبة السوط، شراك النعل، فخذ الرجل، ومثل هذه الأنصاف لم يُعهد أن تتكلم مع البشر وليس بينها وبينهم لغة حوار ولا كلام.

وأمام هذا الخبر الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤكّد بقسمه على مضمون ما أخبر به وأنبأ بوقوعه، فإن المؤمن يوقن به ويسلم له، ويجتهد في فهم مراده ودلالاته، وقد ذكر العلماء لهذا تفسيرين:

(١) رواه الترمذي في سننه (الجامع الصحيح)، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، ج ٤، ص ٤٧٦، حديث رقم ٢١٨١ وقال أبو عيسى وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل و القاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقة يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وصححه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: إسناده صحيح على شرط مسلم، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت، حديث رقم ٦٤٩٤

حمل النصّ على ظاهره؛ بمعنى أنّ ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم من تكليم السباع الإنس، وتكليم عذبة السوط وشراك النعل، وإخبار فخذ الرجل ما أحدث أهله بعده، أنّها ستقع على الوجه الحقيقي الذي أخبر به النبي ﷺ، فينطق الله السباع على الرغم من كونها من العجماءات، ويوجد في الجمادات ذاتها خاصية الكلام والتحدّث، فهذا غير مستغرب الوقوع لأنه يكون في آخر الزمان ومع اقتراب الساعة، وقد جاءت أحاديث كثيرة في تغيير نواميس الكون آنذاك، ومن ذلك ما يصاحب الدجال من الخوارق وغيرها، بالإضافة إلى كون مثل هذه الخوارق وقع مثلها في عهد النبي ﷺ، ومنها: أنّ حجراً كان يسلم على النبي ﷺ، وبكاء جذع النخلة في مسجد النبي ﷺ، وتكليم ذراع الشاة المسمومة للنبي ﷺ، وكذلك تكليم الذئب لراعي الغنم، وغيرها من المعجزات التي ظهرت في عهد النبي ﷺ، أو الخوارق التي حصلت لغيره صلى الله عليه وسلم.

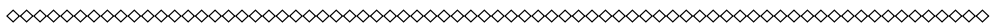
«وهذه من خوارق العادات حيث إن هذه الأمور لا تتكلم في الأصل ولكن عند اقتراب الساعة تتغير بعض نواميس الكون إذانا بقرب انتهائه فينطق الله تعالى الذي أنطق كل شيء هذه الأشياء ولله الأمر من قبل ومن بعد، وهذا الذي يدل عليه ظاهر الحديث وما ذلك على الله بعزيز»^(١)

يقول الدكتور عبد الرزاق البدر في تعليقه على حديث تكليم الذئب لراعي الغنم: «فها حصل تكليم حقيقي من الذئب للراعي، وكذلك يحصل في آخر الزمان تكلم السباع الأدميين ويكلم السوط والنعل والعصا صاحبه بما أحدث أهله، كل ذلك حق على حقيقته ويجري على ظاهره ولا يتكلف تأويله بما حصل من المخترعات الحديثة، ومثله ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم من أن حجراً في مكة كان يسلم عليه، وهذا حق على حقيقته، ومثله أيضاً ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن المسلمين يقاتلون اليهود في آخر الزمان فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، وهذا أيضاً حق على حقيقته وسيكلم الحجر والشجر وسيقع طبقاً لما أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، والمقصود أن هذه النصوص وأمثالها لا يجوز تأويلها وصرافها عن ظاهرها بل الواجب أن تمر كما جاءت مع تيقن حصول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من غير تكلف لتأويلها، أو صرف لها عن ظاهرها»^(٢)

وبناء على ذلك؛ فإنّه يبقى حمل النصّ على ظاهره وحقيقة معانيه والإيمان بأنّ هذه الأحداث قد تقع على الوجه الذي وصف النبي صلى الله عليه وسلم أمر ليس بالمستكر ولا المستغرب، فالله على كلّ شيء قدير، وتظهر في آخر الزمان من الأحداث العجائب التي تدل على قدرة الله تعالى وتصرفه في ملكه سبحانه بما يحمل رسائل الهداية للناس أجمعين.

(١) لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، فتاوى الشبكة الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ٢، ص ٦٥٢.

(٢) البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج ١، ص ٢٥٧.



تأويل النصّ وحمله على الكناية؛ بمعنى أنّ ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم من تقدّم
أنفأ في نصّ الحديث له دلالات وإشارات توحى بأنّ ثمة تغيّرات ومستجدات قد تجعل مثل هذه
الجمادات ناطقة، وقد أشار بعض العلماء المعاصرين إلى هذه المعاني في تعليقهم على الحديث،
منهم العلامة ابن باز رحمه الله الذي سئل عن المقصود بهذا الحديث النبوي، فأجاب: «أنه
يكون في آخر الزمان شيء يجعل في السوط أو في العصا أو نحو ذلك، يترتب عليه حفظ كلام
الأهل، وذلك كالمسجلات التي وقعت الآن هي من هذا الباب، فقد تجعل في السوط، وقد تجعل
في العصا، وقد تجعل في شبه ساعته في البيت صغيرة، وقد يجعلها الإنسان في عضده؛ فيحفظ
كل شيء، كل هذا واقع، فإذا جعل المسجل في محل في البيت عند أهله وحول أهله؛ سجل عليهم
كل ما يقولون.» ويبيّن رحمه الله معنى السوط، بأنّه يطلق على العصا ويطلق على ما يفتل من شيء
من سيور أو غيرها يقال له: سوط؛ لأنّه يساط به الأشياء»^(١).

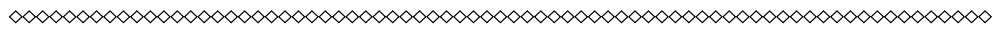
ومن باب المقاربة في فهم الإشارات النبوية في هذا الحديث، فإنّ ما وصلت إليه المستجدات
والتقنيات اليوم من تطوّر ملحوظ، وخاصة في وسائل الاتصال، يحمل الباحث على القول بأنّ مثل
هذه المستجدات قد تنطبق عليها إشارات النبي صلى الله عليه وسلم، مع التأكيد على أهمية إبقاء
المعنى الحقيقي على أصله، وعدم إلغاء لإمكانية وقوعها على الوجه الحقيقي الذي تنطّف فيه
العجماوات والجمادات في الواقع. فأجهزة الجوّالات التي يحملها الناس في جيوبهم وحقائبهم
الخاصة، ويستخدمون لها وصلات وسماعات أذن يتحدثون ويستقبلون الكلام من خلالها، وكذلك
أجهزة التسجيل الصوتية والمرئية التي يستطيع المرء أن يودعها في مكان ما فتلتقط له كل ما
يجري في المكان، ثم يسترجع ما رصده متى شاء، وكذلك كاميرات المراقبة التي أصبح بإمكان
المرء اليوم أن يتابع بواسطتها أدق التفاصيل في بيته ومسكنه وغير ذلك.

هذه المستحدثات وغيرها مما لا توقف لعجلة تطوره، يفتح أمام المجتهدين باب إمكانية
تفسير بعض الروايات الحديثية التي تحمل مضامين وإشارات مستقبلية تفسيراً عصرياً،
مع ضرورة أن يبقى هذا أحد وجوه التفسير المحتملة لها، وليس القطع ولا الجزم بأنّه المعنى
المقصود منها، والإبقاء على الأصل في تفسير معانيها على الحقيقة، بعيداً عن التأويل المتكلف
الذي يعطلّ أصل وقوعها على حقيقتها.

المطلب الثالث: الروايات التي تشير إلى سعة انتشار الأخبار والإشاعات

يُعرض تحت هذا المطلب بعض الروايات الحديثية الثابتة عن النبي ﷺ، المتضمنة إخباره
عن بعض الأصناف الذين استحقوا عذاب الله تعالى بسبب كذبهم، ويحمل الحديث في طياته أنّ

(١) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، فتاوى نور على الدرب، <https://binbaz.org.sa/fatwas>



هذا الكذب الذي استحقوا عليه هذا النوع من العذاب كان واسع الانتشار يبلغ الآفاق، وفيما يلي ذكر الرواية وبيانها:

رَوَى البُخَارِيُّ عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة أتيان، وإنهما قالوا لي: انطلق، .. فانطلقنا فأتينا على رجل مستقل لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكُلُوبٍ من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى قال: قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالوا لي: انطلق انطلق، ... قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجباً فما هذا الذي رأيت؟ قالوا لي: ... وأما الرجل أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق». (١)

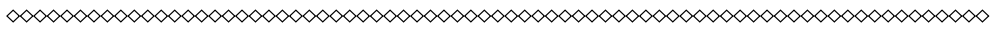
يشير هذا الحديث الشريف إلى ما حدث به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عمّا رآه في منامه، ورؤيا الأنبياء حق، فقد وصف لهم صلى الله عليه وسلم أحوال المعذبين، وذكر منهم حال الكذاب الذي يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق، وإذا تأملنا نص الحديث وجدنا أنّ العقوبة التي استحقها كانت من جنس عمله وملائمة للجرم الذي كان يرتكبه؛ فلما كان يكذب ويتشدد بالكذب، كانت العقوبة بشق فمه وشرشرته إلى قفاه عن جانبي فمه ووجهه، وهذا يناسب حال انتشار كذبه الذي كان يتشدد به فهو ينتشر حوله ومن جوانبه. «ولذا جاء إنزال العقوبة في محل المعصية». (٢)

وتخصيص النبي ﷺ وصف كذبة هذا الرجل المعذب بقوله (تبلغ الآفاق)، ولم يكتف بأصل جرم الكذب، يفهم منه إشارة إلى أنّ جرمه قد تعدى مجرد الكذب، بل هو كذب واسع الانتشار حتى إنه ليلبغ الآفاق. وهذا ما يشهد له الأصل اللغوي لمعنى «الآفاق»، فقد ذكرت كتب معاجم اللغة أنّ الآفاق تدل على التباعد والاتساع: «الآفاق، جمع أفق، والهمزة والفاء والقاف أصل واحد، يدل على تباعد ما بين أطراف الشيء واتساعه، وعلى بلوغ النهاية، ومن ذلك الآفاق: النواحي والأطراف، وآفاق البيت من بيوت الأعراب: نواحيه دون سَمَكِهِ، وللسماء آفاق وللأرض آفاق كما روي ذلك عن أبي حنيفة رحمه الله». (٣)

(١) رواه الإمام البخاري في جامعه الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، كتاب التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم: ٧٠٤٧

(٢) انظر: الغفاني، سيّد حسين، الجزء من جنس العمل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ودار ماجد عسيري، جدة، ط ٢٠١٩، ج ٢، ص ٢١١

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٥، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ١١٤، والصدّيق، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصدّيق الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيجا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ج ٨، ٣٨١



ومن صور الكذبة التي تبلغ الآفاق: كذب بعض الشعراء في المدح أو الثناء أو الغزل أو غيرها مما كان يُحفظ ويُنقل وينشر في الآفاق من خلال نقلة الشعر وحفظته، وكذلك ما كان يكذبه بعض القصاص من سرد الروايات والقصص فتنتشر عنهم بين الناس في الآفاق، ويدخل في هذا الباب أيضاً كذب الوضعيين ممن كانوا يضعون الأحاديث ويكذبونها على النبي صلى الله عليه وسلم فيأخذها الناس ويتأقنونها عنهم حتى تبلغ الآفاق، وتُنقل من مصر إلى مصر ومن عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل.

وانطباق معنى انتشار الكذب في الآفاق كما وصف النبي ﷺ ذلك في نصّ الحديث «فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق» في واقعنا اليوم أمر مشهود ملحوظ، فوسائل الاتصال وتقنياته المتطورة ومنصاته المتنوعة جعلت من انتشار أية رسائل أمراً ميسوراً يمكن من خلالها أن يبلغ أوسع الآفاق، وهذا الفهم لا يقصر دلالة ما ورد في الحديث النبوي على أنّ الكذبة لا تكون إلا من خلال وسائل الاتصال، بل يبقى الأمر على إطلاقه، فيفهم منه انتشار الكذبة على نطاق واسع سواء أكان ذلك من خلال وسائل الاتصال ومنصاته أم غيرها.

وقد أشار المنجد إلى بعض الإشارات التي تضمنها بعض الأحاديث النبوية حول وسائل الاتصال وخاصة شبكة الإنترنت .. وذكر من شواهد هذا الحديث الذي يشير إلى الكذبة التي تبلغ الآفاق، فقال: «وكذلك من الإشارات الموجودة في الأحاديث لهذه الشبكة التي تشملها وتشمل غيرها من الوسائل الإعلامية أنه يمكن استغلالها لنشر الكذب، وقد حصل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة ويكثر الكذب رواه ابن حبان وهو حديث صحيح ولعلنا كنا أو كان البعض يستغرب في حديث الذين يعذبون في قبورهم أنه عليه الصلاة والسلام ذكر رجلاً يشرشر شذقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه يميناً وشمالاً يفعل به هكذا إلى قيام الساعة وهو الرجل الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، كنا نقول: كيف يكذب الرجل كذبة تبلغ الآفاق؟ ولا شك أن القيام بهذا الآن في شبكة الإنترنت أمر واضح جداً؛ فالكذبة تبلغ الآفاق، وبذلك يمكن أن نعرف أن الإشارة إلى هذه الشبكة قد ورد في عدد من الأحاديث التي تشمل بمعناها هذه الشبكة الموجودة الآن»^(١)

«ومن صور الكذب التي تُستخدم فيها وسائل التقنية والتواصل الاجتماعي، وتنتشر على شكل رسائل أو تعريقات مكتوبة أو مسموعة أو مصورة أو مرئية، من ذلك: الكذب على الله جل جلاله، وعلى رسوله ﷺ بنشر الفتاوى المنحرفة والضالة، أو الأحاديث والروايات الموضوعة والمكذوبة، وحث الناس على نشرها بعبارات الترغيب أو التهيب، مثل (انشر تؤجر) وغيرها، ومنها نشر الشائعات والأخبار غير الموثوقة، ومنها انتحال الشخصيات والتسمي بأسماء منتحلة، ودبلجة الصور والمقاطع المسموعة والمرئية ومنتجتها وتركيبها من خلال برامج المونتاج الحديثة،

(١) المنجد، محمد، الإنترنت ما لها وما عليها، شريط <http://www.ahlalhdeth.com/showthread/vb/?t=195674>

ومنها اختلاق الطرف والنُكت المكذوبة لإضحاك الناس»^(١).

ومن صور الكذب المنتشر عبر وسائل الاتصال أيضاً: ترميط الصور عن الآخر وخاصة صورة الإسلام والمسلمين والمتدينين والدعاة والمشايخ والعلماء وغيرهم من أهل الإسلام، وكذلك التضليل والخداع الإعلامي بأشكاله المختلفة، وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره.

المطلب الرابع: الروايات التي تشير إلى التقارب الزماني والمكاني

يُعرض تحت هذا المطلب بعض الروايات الحديثية الثابتة عن النبي ﷺ، المتضمنة إخباره عن التقارب الزماني والمكاني؛ تقارب الزمان، وتقارب في السواق، وفيما يلي ذكر هذه الروايات وبيانها:

الحديث الأول: روى الإمام البخاري عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض»^(٢).

الحديث الثاني: روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب ويتقارب الأسواق ويتقارب الزمان ويكثر الهرج قيل وما الهرج قال القتل»^(٣).

يُنَبئ هذان الحديثان الشريفان عن أحداث مستقبلية ستقع، ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم أن الساعة لن تقوم حتى تقع هذه الأحداث التي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأحداث ذات العلاقة بموضوع هذه الدراسة ما يتعلق بتقارب الزمان وتقارب الأسواق: «يتقارب الأسواق ويتقارب الزمان»، ومن التفسيرات التي قدّمها العلماء لمعنى التقارب، ما يلي:

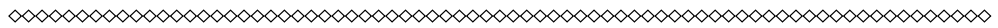
قلة البركة في الزمان: وهذا ما رجحه وأكد عليه الإمام ابن حجر في تعليقه بالشرح على هذا الحديث في كتاب الفتن في صحيح الإمام البخاري، فقد أورد رحمه الله أقوالاً عدة في فهم معنى تقارب الزمان، خلص إلى ترجيح دلالاتها على قلة البركة من الزمان ليله ونهاره.

ومما أوردته رحمه الله في معنى (تقارب الزمان): قصر الأعمار بالنسبة إلى كل طبقة؛

(١) انظر: السمان، محمد بن عدنان، من صور الكذب في التقنيات ووسائل التواصل الحديثة، مكتبة صيد الفوائد، <http://www.htm.780/rasacl/net.saaid>

(٢) رواه الإمام البخاري في جامعه الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، كتاب الاستسقاء، باب: ما جاء في الزلازل والآيات، برقم: ١٠٢٦

(٣) رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده، برقم ١٠٧٢٥، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، المسند بتعليق الأرنؤوط: ج ٢، ص ٥١٩. وقال الهيثمي رحمه الله رجاله رجال صحيح عن سعيد بن مسعود وهو ثقة كما في مجمع الزوائد



فالطبقة الأخيرة أقصر أعماراً من الطبقة التي قبلها، وقيل تقارب أحوالهم في قلة الدين والشرّ والفساد والجهل، وقيل تقارب الزمان أي قصره، والقصر يحتمل أن يكون حسيّاً أو معنويّاً؛ أمّا الحسيّ فلم يظهر بعد ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة، وأمّا المعنويّ فله مدة منذ ظهر يعرف أهل العلم الديني ومن له فطنة من أهل السبب الديني، فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذلك، ومنه سرعة انقضاء الأيام بأن نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا، والحق أن المراد نزعة البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامة قرب الساعة. وكذلك قال الإمام النووي رحمه الله: المراد بقصره أي الزمان عدم البركة فيه وإن اليوم مثلاً يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة.^(١) وقد أكد مصطفى البغا في تعليقه على الحديث قال: (يتقارب الزمان) تقل بركته وتذهب فائدته.^(٢)

التقارب بسبب الوسائل والتقنيات الحديثة: فمن العلماء المعاصرين من فسّر التقارب بأنه يحصل من خلال وسائل وتقنيات حديثه تطوي مسافة الزمن فتقرّب البعيد.

ومن أهل العلم المعاصرين الذين فسروا هذه الإشارات الواردة في أحاديث النبي ﷺ أنها ذات دلالة على ما وصلت إليه تقنيات الاتصال ووسائله من تطور الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في تعليقه على فتح الباري أنّ التقارب المذكور في الحديث يفسر بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم وقصر المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك والله أعلم.

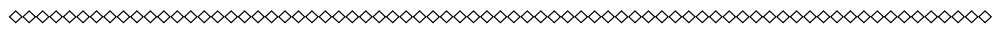
وممن فسرها بذلك أيضاً الشيخ محمد المنجد حيث قال في ذلك: «إن موضوع شبكة العنكبوت من الموضوعات العصرية العجيبة الإنترنت وما أدراك ما الإنترنت لشيوعها وعظمتها حتى عدها بعضهم أعظم اختراع في القرن العشرين وإنني كلما تأملت هذه الشبكة لا ينقضي عجبتي وأنا أقارنها بحديث النبي ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب ويتقارب الأسواق ويتقارب الزمان ويكثر الهرج قيل وما الهرج قال القتل». ويلفت النظر في هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام «ويتقارب الزمان».^(٣)

ويذكر التويجري في تعليقه على «ويتقارب الزمان» من هذا الحديث: «والظاهر والله أعلم بمراد رسوله ﷺ أن ذلك إشارة إلى ما حدث في زماننا من المراكب الأرضية والجوية والآلات الكهربائية التي قربت كل بعيد، والمعنى على هذا: يتقارب أهل الزمان. والأحاديث في هذا تنطبق

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ١٧

(٢) انظر الجامع الصحيح المختصر، الإمام البخاري، تحقيق مصطفى البغا، طبعة ابن كثير، ج ١، ص ٢٥٠، حديث رقم ٩٨٩.

(٣) المنجد، محمد، الإنترنت ما لها وما عليها، شريط <http://www.ahlalhdeth.com/showthread.php?p=195674>



على سير المراكب الأرضية في هذه الأزمان؛ فإنها تقطع مسافة السنة في شهر فأقل، ومسافة الشهر في جمعة فأقل، ومسافة الجمعة في يوم فأقل، ومسافة اليوم في ساعة فأقل، ومسافة الساعة في مثل احتراق السعفة، وبعضها أسرع من ذلك بكثير، وأعظم من ذلك المراكب الجوية؛ فإنها هي التي قربت البعيد غاية التقريب؛ بحيث صارت مسافة السنة تقطع في يوم وليلة أو أقل من ذلك، وأعظم من ذلك الآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات؛ كالإذاعات، والتلفونات الهوائية؛ فإنها قد بهرت العقول في تقريب الأبعاد؛ بحيث كان الذي في أقصى المشرق يخاطب من في أقصى المغرب كما يخاطب الرجل جلسه، وبحيث كان الجالس عند الراديو يسمع كلام من في أقصى المشرق ومن في أقصى المغرب ومن في أقصى الجنوب ومن في أقصى الشمال وغير ذلك من أرجاء الأرض في دقيقة واحدة؛ كأن الجميع حاضرون عنده في مجلسه. فالمراكب الأرضية والجوية قربت الأبعاد من ناحية السير، والآلات الكهربائية قربت الأبعاد من ناحية التخاطب وسماع الأصوات، فسبحان من علم الإنسان ما لم يعلم»^(١).

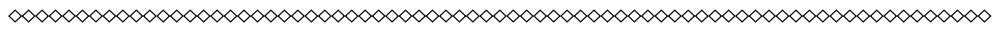
وأما «تقارب الأسواق» الواردة في الحديث فقد تدل على معنى حقيقي من تقارب الأسواق بمعنى قربها من بعضها وتقارب أماكنها، وهذا موجود اليوم من تقارب المحلات التجارية وتجمعها في مكان واحد، أو تقاربها في عروضها وأسعرها، أو تقارب السلع وتجمعها في مكان واحد كما نراه اليوم في المجمعات التجارية الكبرى ما يعرف بـ (المولات) التجارية التي تجمع أصناف البضائع من كل مكان في مكان واحد.

ويشير التوجيهي إلى أن معنى «يتقارب الزمان» هو الحاصل بسبب تطور الوسائل والتقنيات الحديثة، يقول: «والظاهر والله أعلم أن ذلك إشارة إلى ما وقع في زماننا من تقارب أهل الأرض بسبب المراكب الجوية والأرضية والآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات؛ كالإذاعات والتلفونات، والتي تنقل الكتابة؛ كالفاكس والتلكس، وغيرها من الآلات الحديثة التي صارت أسواق الأرض متقاربة بسببها، فلا يكون تغيير في الأسعار في قطر من الأقطار؛ إلا ويعلم به التجار أو غالبهم في جميع أرجاء الأرض، فيزيدون في السعر إن زاد، وينقصون إن نقص»^(٢).

ويؤكد الشيخ المنجد على معنى التقارب في الأسواق وأنه بسبب وسائل الاتصال الحديثة لاسيما شبكة الانترنت؛ لا يوجد وسيلة حصل فيها تقارب للأسواق مثل هذه الشبكة التي تربط بين أسواق العالم قاطبة في جميع البلدان على هذه الشبكة فيتم البيع والشراء من قبل الشخص

(١) انظر التوجيهي، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة، حمود بن عبد الله التوجيهي، ج ٢، ص ١٩٤ - ١٩٥ بتصرف يسير.

(٢) انظر التوجيهي، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة، حمود بن عبد الله التوجيهي، ج ٢، ص ١٩٤ - ١٩٥ بتصرف يسير.



الجالس عند الشاشة في لحظة واحدة يشتري ويبيع في أسواق الأرض، فهذه الشبكة قربت الأسواق تقريباً ليس بعده تقريب، ولذلك فليس من المبالغة أن نقول أن الإنترنت من أشرط الساعة لقد حصل تقارب الزمان وتقارب الأسواق بهذه الشبكة التي ربطت العالم بعضه ببعض»^(١).

ومن الإشارات الموجودة في الأحاديث التي لها علاقة مباشرة بهذه الشبكة حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن بين يدي الساعة ذكر من العلامات (فشو التجارة وظهور القلم)^(٢) وكذلك انتشار الربا كما جاء في حديث النبي ﷺ بين يدي الساعة يظهر الربا رواه الطبراني وقال المنذري رواه رواة الصحيح ولا شك أنه تجري على شبكة الإنترنت معاملات ربوية كثيرة ببطاقة الفيزا وغيرها مما أسهم في فشو الربا كما ورد في لفظ الروايات الحديثية.^(٣)

النتائج والتوصيات

النتائج

خلصت الدراسة إلى جملة نتائج، من أهمها:

هناك روايات حديثية مقبولة (صحيحة، وحسنة) وردت فيها إشارات نبوية غيبية حول تطور وسائل الاتصال وتقنياته المعاصرة، وأن هذه الإشارات الصريحة والضمنية تؤكد نبوءة النبي ﷺ.

استشراف المستقبل في ضوء الإسلام، فإنه يستند من حيث الأصل إلى أدلة موثوقة ونصوص ثابتة، وتنحصر دائرة الاجتهاد فيه في فهم هذه النصوص فقط، ووفق قواعد وضوابط منهجية

استشراف المستقبل يُستقى من مصادر يقينية شرعية كالروايات الحديثية الثابتة (صحيحة أو حسنة)، ولا تُستقى من مرويات ضعيفة أو منكرة أو موضوعة؛ لأنها ظنية الثبوت لا موثوقة الثبوت.

استشراف المستقبل احتمالي الوقوع لا قطعي الثبوت؛ فينبغي أن تبقى الرؤى الاستشرافية المستقبلية التي تُستقى من الروايات الحديثية ضمن دائرة التوقع والاحتمال، ولا ينبغي حملها على الجزم والقطع

استشراف المستقبل تُبنى على الاجتهاد في الفهم من غير تكلف إسقاطها على الواقع؛ فالنصوص الثابتة التي تتضمن أخباراً أو إشارات استشرافية مستقبلية (ظنية لا محكمة) يمكن

(١) المنجد، محمد، الإنترنت ما لها وما عليها، شريط <http://www.ahlalhdeth.com/showthread/vb/com.ahlalhdeth.com?t=195674>

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم ٢٨٧٠، ج ٤، ص ٦٥، وصححه أحمد شاكر

(٣) المنجد، محمد، الإنترنت ما لها وما عليها، شريط <http://www.ahlalhdeth.com/showthread/vb/com.ahlalhdeth.com?t=195674>

إعمال العقل في فهمها والاجتهاد في استبانة دلالاتها، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في إطار الاجتهاد العلمي المقنن، من غير تعطيل لها بدعوى عدم فهمها، ولا تكلف تأويلها وحملها على معان لا تحتملها دلالة ألفاظها ولا سياقاتها.

التوصيات

توصي الدراسة بما يلي:

توصي المراكز العلمية والبحثية المهمة بالسنة النبوية بإيلاء هذا الموضوع (استشراف المستقبل) واجراء مزيد من البحوث والدراسات والندوات حوله.

توصي الباحثين والمهتمين من أهل العلم وخدمة السنة باستقراء الروايات الحديثية المتعلقة باستشراف المستقبل والأخبار الغيبية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، واستخلاص الروايات المقبولة منها وجمعها في دراسات تخدم السنة النبوية والأمة.

يمكن أن يُستفاد من نتائج الدراسة في تقديم إضاءة أمام الباحثين والمختصين لإيلاء الموضوع مزيداً من العناية والبحث والتوسع وإشباعه بدراسات متخصصة ومتعمقة تُعنى بجمع مفردات الموضوع واستلهاام الدلالات ذات الصلة به واستشراف المستقبل في ضوء نتائجها.

قائمة المصادر والمراجع والدراسات

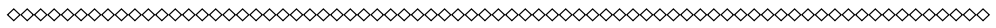
ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت مصنف ابن أبي شيبة

ابن جزى الكلبي <http://audio.islamweb.net/audio/inde...&read=0&lg=636>

ابن حبان في صحيحه، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُسْتِي (المتوفى: ٢٥٤هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٢، حديث ٧٦١٤، ج ١٥، ص ١٠٩

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج ١، ص ٢٦

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:



الساعة، دار الصمعي للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٦، والثانية ١٤١٤ هـ

الجابري، نياف بن رشيد، وبيومي، كمال حسني، والمحيسن، إبراهيم بن عبد الله،
استشراف مستقبل التعليم بمنطقة المدينة المنورة تطبيق السلاسل الزمنية، المجلة الدولية
للبحوث النوعية المتخصصة، عدد ١٢، <https://search.mandumah.com>،
الجامع الصحيح المختصر، الإمام البخاري، تحقيق مصطفى البغا، طبعة ابن كثير، ج ١،
ص ٢٥٠، حديث رقم ٩٨٩.

الجبوري، عماد الدين، ابن خلدون ونظرية المستقبل (الحلقة الأولى)، الخميس ١١ يونيو،
<https://www.independentarabia.com>، م ٢٠٢٠

الجميلي، عبد العزيز، الاستشراف النبوي، بحث منشور بتاريخ ٢٠١٦ م، على موقع رابطة
العلماء السوريين، https://islamsyria.com/site/show_articles/8792

الجهني محمد فالح: الدراسات المستقبلية شغف العلم وإشكالات المنهج، <http://www.almaref.org/news.php?action=show&id=4309>

الحاكم في مستدركه، المستدرك بتعليق الذهبي، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن
عبد الله بن محمد، المحقق: تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
عثمان بن قايماز، حديث رقم ٨٣٢٦. وقال في التعليق: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين
ولم يخرجاه.

الحوت، محمد، وصلاح توفيق، ووفاء محمود، فعالية الدراسات المستقبلية في التخطيط
التربوي، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، ٢٠١٥ م، مجلد ٢٦، عدد ١٠٤، ص ١٩٧

حوى، محمد سعيد حوى، منهج التعامل مع أحاديث الفتن والمستقبل، جامعة مؤتة، كلية
الشريعة، أصول الدين، ٢٠١٦ م.

الحيزان، محمد بن عبد العزيز، البحوث العلمية، أسسها وأساليبها ومجالاتها، الرياض،
ط ٢، ٢٠١٠ م

خطاطبة، عدنان مصطفى، أسس ومهارات التحليل والاستنباط التربوي، دار وائل للنشر
والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٢١ م

الذبياني، محمد، دراسات المستقبل: أسسها الفلسفية واستخداماتها في البحوث التربوية
في البلدان العربية، مجلة دراسات - العلوم التربوية، الجامعة الأردنية، ٢٠١٧ م، مجلد ٤٤، عدد

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

سعيد، همام عبد الرحيم، ومحمد همام سعيد، موسوعة أحاديث الفتن وأشرط الساعة، مركز دراسات السنة النبوية، وجهاد الأستاذ للنشر، ومكتبة الكوثر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ، وط٢، ١٤٢٩هـ

سكاري، محمد، منهجية حول الدراسات الاستشراافية، المركز الوطني للتجديد البيداغوجي والبحوث التربوية، ٢٠١٥، <https://www.politics-dz.com>

السمان، محمد بن عدنان، من صور الكذب في التقنيات ووسائل التواصل الحديثة، مكتبة صيد الفوائد، <http://www.saaaid.net/rasael/780.htm>

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣.

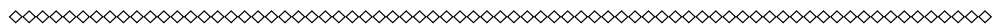
الشرمان، خالد، وبواعنة سعيد، أحاديث الفتن؛ مفهومها، والتصنيف فيها، وقيمتها العلمية، وقواعد فهمها، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج ١٢، ع ٤، ٢٠١٦م، ص ١٣٥

الصدريقي، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصدريقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج ٨، ٢٨١

الطبراني، المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م، حديث ١٦٤٧، ج ٢، ص ١٥٥، ورجاله رجال الصحيح

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

طومان، أحمد، الدراسات الاستشراافية في العالم الإسلامي، مجلة البيان، العدد ٢٨٩، ٢٠٠١م. الموقع الالكتروني لمجلة البيان <https://albayan.co.uk>



عامر، طارق، أساليب الدراسات المستقبلية، دار اليازوري، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م
عبد الرحمن المصباحي - محمد سيد - تهاني السالم ، من بحث : فقه التوقع.. دعوة
لاستشراف أحداث المستقبل ودرء للخلافات الفقهية ، <http://www.al-madina.com/> ،
(node/225600/risala)

العرفج، محمد عبد العزيز، بحث ماجستير مقدم في قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ١٤٣٥/١٤٣٦هـ، منشور على موقع [https://
qawaneen.blogspot.com](https://qawaneen.blogspot.com)

العفاني، سيّد حسين، الجزء من جنس العمل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ودار ماجد
عسيري، جدة، ط ٢، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٢١١

غنيم، كارم السيد، الالتزام بالمنهج العلمي لدراسة الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية،
منشور في موقع الإعجاز في القرآن والسنة، ٢٠١٩م، <https://quran-m.com>

فارح، مجدي، الدراسات المستقبلية في الفكر العربي الحديث، مجلة الدراسات المستقبلية،
جامع السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٦م، عدد ١٧ (١)، ص ٦-٢٥

فليه عبده فاروق، الزكي أحمد عبد الفتاح: الدراسات المستقبلية منظور تربوي، دار
المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م

القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى:
١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ
- ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١١٦، ح ٤٢.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٣١٢
كلمة التحرير لمجلة إسلامية المعرفة، ضرورة الوعي بالواقع وأهميته في فهم النصوص،
مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة علمية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي،
السنة ١٧، العدد ٦٧، ١٤٣٣هـ، ص ٦، ومسفر القحطاني، منشورة على موقع الإسلام اليوم، [http://
www.islamtoday.net/articles](http://www.islamtoday.net/articles)

لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، فتاوى الشبكة الإسلامية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ٣، ص ٦٥٢.
لوصيف، عمار، الدراسات الاستشرافية: مقارنة مفاهيمية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة
قسنطينة، الجزائر، عدد ٤٤، ديسمبر، ٢٠١٥م، مجلد ب، ص ٢٥٩

مبادئ الدراسات المستقبلية، <http://www.sawsanatalq.com>

محمد العبة، موقع الإسلام اليوم_ http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=185&artid=952

المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: د فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٣٩

مرسي، أحمد بن مرسي، الأسس العلميّة لبحوث الإعلام والاتصال، الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٣م

المصباحي، عبد الرحمن، محمد سيد، تهاني السالم، فقه التوقع؛ دعوة لاستشراف أحداث المستقبل ودرء للخلافات الفقهية. جدّة، بحث منشور على موقع المدينة الإلكترونية، ٢٠١٠م، <http://www.al-madina.com>

المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، لمعة الاعتقاد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٢٨ - ٢١

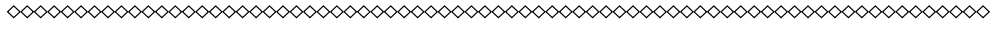
المقدّم، محمد بن أحمد بن إسماعيل، فقه أشراف الساعة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، ط٦، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٤

من دراسة د. مسفر القحطاني، منشورة على موقع الإسلام اليوم. http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=37&catid=185&artid=11273

المنجد، محمد، «الإنترنت مالها وما عليها» <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=195674>

الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، فتاوى نور على الدرب، <https://binbaz.org.sa/fatwas>

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي



الهيثمى، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمى (المتوفى: ٨٠٧هـ)،
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة،
عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، حديث ١٣٩٧٣، ج ٨، ص ٢٦٤

والحمد لله أولاً وآخراً

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وآله وأصحابه

The Islamic Academic Quest Journal Publication Guidelines

In the course of providing an opportunity to scholars and searchers to benefit from academic quests and searches, the journal's management is delighted to publish the submitted researches provided that:

1. The research is specialized in a scholarly issue, or an Islamic calamity – a current case accident.
2. The research should be characterized by its academic elements, originality, and seriousness, with authentication of: sources, Hadiths, and verses of Quran.
3. The research should be new and not previously published; it also should not be an extract of a thesis.
4. Works should not exceed 48 pages nor fall behind 16.
5. Paper size should be of an A4, with font size = 16, and a font style of (Traditional Arabic).
6. The work marked by the previously mentioned characteristics should be sent on a CD-Rom to the journal's address.
7. The writer will enclose an English translated abstract of one to two pages.
8. An introduction of the author should be provided alongside his detailed personal address.
9. Works are evaluated by arbiters before publication. The author will be notified about the result of this evaluation.

Please note that:

- It is not necessary that the journal will adopt and publish every work it receives.
- Typescripts of rejected researches will not be returned to their authors.
- Views expressed in the journal represent those of the writers.



ISSN:2708-1796

E-ISSN: 2708-180x

**International Imam El Boukhary Academy
the Central Office for Islamic Academic Quest Journal**

**the Islamic Academic Quest Journal
Specialized Academic Islamic Journal concerned in the Islamic quests and studies
Licensed by decree of the Ministry of Information 2004/364**

The Fourth International Conference 5-7 / 11 / 2021



Imam Al-Bukhari International Academy

In cooperation with:

The Islamic University of Minnesota

Sponsored by:

The International Consortium of Universities at Istanbul

**The Fourth International Conference,
Evidence of the Prophethood of Muhammad
(may Allah bless him and grant him peace)**

**in the light of the Qur'an and Sunnah,
and the testimonies of well-balanced people of the Book
and the contemporary scholars in the West.**

PROFESSORiate CONSULTATIVE MEMBERS

Prof. Dr. Bassam khodor Al-Shati

A Professor in the faculty of Sharia'h in kuwait University

Prof. Dr. Omar Abd-Assalam tadmury

A formerly Professor in the Lebanese University

Prof. Dr. Waleed Al Menesi

President of the Islamic University of Minnesota

Prof. Dr. Ahmad Sabalek

President of the International Islamic University

Prof. Dr. Bachar Hussein AL Ejel

A Professor in the Jinan University, Lebanon

Dr. Shawki Nazir

Professor, University of Gardaiah, Algeria,
Editor-in-Chief of Ijtihad for Legal and Economic Studies

Dr. Saleh Abdel Kawi Al Sanabani

A Professor at Al-Iman University and Head
of the Department of Scientific Miracles - Yemen

Dr. Abdel Wasee Yehya Al Maezebi Al Azdi

College of Arts and Sciences,
Najran University, Sharurah Branch

**In addition to the cooperation of
Professors from the Islamic and the Arabic world**



ISSN:2708-1796
E-ISSN: 2708-180x

**An Islamic Academic Arbitral Journal
concerned in the Islamic quests and studies**

the chief editor and managing director

Pr. Dr. Saadeddine Mohamad El Kebbi

the Managing editor

Pr. Dr Mahmoud Safa Al Sayad Alakla

Bank transfers

*AlBaraka Bank-Lebanon-tripoli

Account no 13903

*Western Union-Lebanon tripoli

Correspondences

Lebanon-tripoli-POB 208 tripoli

telefax: 009616471788

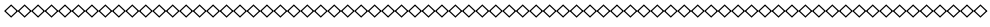
e-mail:

albahs_alalmi@hotmail.com

www.boukharysrc.com

معتمدة لدى قاعدة بيانات:





ISSN:2708-1796
E-ISSN: 2708-180x

The Islamic Academic Quest journal

An Islamic Arbital Periodical



The Central Office For
Islamic Academic Quest journal

The Fourth International Conference 5-7 / 11 / 2021



Imam Al-Bukhari International Academy

In cooperation with:

The Islamic University of Minnesota

Sponsored by:

The International Consortium of Universities at Istanbul

**The Fourth International Conference,
Evidence of the Prophethood of Muhammad**

(may Allah bless him and grant him peace)

**in the light of the Qur'an and Sunnah,
and the testimonies of well-balanced people of the Book
and the contemporary scholars in the West.**

1443 2021